

# أبو حنيفة الفارسي

حياته، ومكانه بين أئمة التفسير العربية  
وأشاره في القراءات والنحو

تأليف

الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي  
أستاذ الدراسات القرآنية واللغوية  
بجامعة أم القرى - مكة المكرمة



ص ١٦٦٢٥٠

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« هذا الكتاب رسالة دكتوراه ، نوقشت علنا بكلية دار العلوم جامعة القاهرة في مساء الأربعاء ( ٨ من جمادى الآخرة ١٣٧٦ هـ - ٩ من يناير ١٩٥٧ ) ومثلت ثلاث من جامعاتنا في المناقشة : فقد اشترك فيها السادة الأساتذة : على النجدي ناصف أستاذ اللغة العربية بكلية دار العلوم مشرفا ، وعباس حسن أستاذ اللغة العربية بكلية دار العلوم ، ومصطفى السقا وكيل كلية الآداب سابقاً ( جامعة القاهرة ) والدكتور عبد العزيز برهام وكيل كلية الآداب ( جامعة الإسكندرية ) وفضيلة الشيخ محمد الدني رئيس قسم الدراسات الإسلامية بكلية دار العلوم ، والأستاذ بكلية العمريمة بالجامع الأزهر - سابقاً » .

وبعد مناقشة دامت سبع ساعات ونصف أعلن منح صاحب الرسالة درجة الدكتوراه في اللغة العربية بمرتبة المشرف .

تطلب جميع منشوراتنا من مكتبات دار المطبوعات الحديثة  
جدة - سوق الندي - جانب مكتبة مرزا ت : ٦٤٣٣٠١١  
جدة - حي الجامعة - سوق الأمير متعب التجاري ت : ٦٨٩١٦٦٠  
المدينة المنورة - شارع السهانية - المتفرع من شارع أبي ذر ٨٣٦٣٢٤٨  
جدة - المملكة العربية السعودية ص. ب ١٦٦٢٥

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤٠٩م - ١٩٨٩م

النَّاسِر

دَارُ الْمَطْبُوعَاتِ الْحَدِيثَةِ



المملكة العربية السعودية - جدة - ص.ب. ١٦٦٢٥ - تلفون : ٦٨٩١٦٦٠

أَبُو حَالِي الْفَارِسِي



## فهرس بممل

الرقم	الموضوع
	مقدمة
٧	بقلم الأستاذ الكبير على النجدي ناصف أستاذ اللغة العربية بكلية دار العلوم
	تقديم الرسالة
١١	الموضوع - أهدافه - منهج البحث فيه - مصادره مدخل البحث
١٧	١ - نشأة القراءات وتطورها وأثرها في البحث النحوي
٢٦	ب - الفقه وعلم الكلام وأثر كل في القراءات والنحو
	الباب الأول : عصر أبي على وحياته وآثاره
٣٥	الفصل الأول   الحال السياسية والعقلية والاقتصادية والحقلية في عصر أبي على
٥١	الفصل الثاني   أبو على في عيشه ونفسه
١٤٧	الفصل الثالث   إحصاء آثاره
	الباب الثاني : أبو على والاحتجاج للقراءات
١٥٣	الفصل الأول   الاحتجاج للقراءات وتطوره حتى عصر أبي على الفارسي
١٦١	١ - سيبويه - إمام النحاة - والاحتجاج للقراءات
١٦٦	ب - الطبري إمام المفسرين - والاحتجاج للقراءات
١٧١	ج - ابن مجاهد - إمام القراء - والاحتجاج للقراءات
١٧٢	الفصل الثاني   الحجة لأبي على الفارسي : عرض وتحليل
٢٥٧	الباب الثالث : دراسات مقارنة
٢٥٧	الفصل الأول   بين القراء والفارسي في الاحتجاج
٢٧٠	الفصل الثاني   بين الزجاج وأبي على في الاحتجاج
٢٩٥	الفصل الثالث   بين أبي بكر بن السراج وأبي على في الاحتجاج
٣١٠	الفصل الرابع   بين الفارسي وابن خالويه في الاحتجاج
٣٢٧	الباب الرابع : أثر أبي على في الاحتجاج للقراءات
٣٢٧	الفصل الأول   تأثر ابن جني في المحتسب بأبي على
٣٨٥	الفصل الثاني   تأثر مكي بن أبي طالب حموش القيسي بأبي على
٣٩٢	الفصل الثالث   تأثر أبي عمرو الداني بأبي على

الموضوع	الرقم
١ - تعقيب : بتقسيم المحتجين للقراءات إلى مدرسة الأثر ومدرسة القياس	٤٢٧
الباب الخامس : أبو علي والنحو	
الفصل الأول	
١ - نشأة البحث النحوي وتطوره	٤٣١
٢ - معالم النشاط النحوي منذ عهد أبي الأسود إلى أبي علي	٤٤٧
الفصل الثاني	
عرض كتب أبي علي في النحو	٤٦٦
أولاً : المسائل المشككة والبغداديات	٤٦٧
ثانياً : الاغفال	٤٧٦
ثالثاً : العسكرية	٤٨٨
رابعاً : البصريات	٤٩٤
خامساً : الحليليات	٤٩٩
سادساً : الإيضاح والتكملة	٥١٤
سابعاً : الشيرازيات	٥٤٧
ثامناً : من كتاب الشعر	٥٥٨
تاسعاً : أقسام الأخبار	٥٦٢
عاشراً : المسائل المنشورة	٥٧٠
أبو علي والتصريف	٥٧٣
الباب السادس : دراسات مقارنة بين أبي علي	
والأعلام النحاة من معاصريه	٥٧٦
الفصل الأول	
أبو علي والسيراني	٥٧٩
الفصل الثاني	
أبي علي والرماني	٥٨٨
الفصل الثالث	
أبو علي والزجاجي	٦١٣
الباب السابع : مدى تأثير الخالفين بنحو أبي علي	٦٣٧
الفصل الأول	
أثر أبي علي في أصول النحو ( في خصائص ابن جني )	٦٣٧
الفصل الثاني	
أثر أبي علي في الفروع ( في أمالي ابن الشجري )	٦٤٩
الفصل الثالث	
أثر أبي علي في الاحتجاج لمسائل الخلاف ( في الانصاف لأبي البركات الأنباري )	٦٥٩
الفصل الرابع	
أثر أبي علي في الإعراب ( في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري )	٦٦٨
الخاتمة : تلخيص البحث - الجديد فيه - مقترحات	٦٧٥
مصادر الرسالة ومراجعها	٦٩٣
فهرس الأعلام	٧٢٠

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# مُهْتَلِفَةٌ

بقلم الأستاذ الكبير على النجدي ناصف أستاذ اللغة العربية بطنجة دار المعلمين

هذا أبو على الفارسي كما وجده الصديق الكريم الدكتور عبد الفتاح شلي بعد رحلة طويلة مضيئة في بطون الاسفار المطبوع منها والمخطوط، وهذه آثاره في القراءات والنحو كما تمثلت له ، بعد ما أحصاها عدا ، واتمسا في مظانها بحثا ، ثم عكف عليها فأشبعها دراسة وتقدا .

ولإن بحثاً موضوعه أبو على الفارسي وآثاره في القراءات والنحو ، وواضعه باحث جامعي أيد ، أوتي مثل ما أوتي الدكتور شلي من كفاية ومواهب - لحقيق أن يكون بحثاً قيماً جليلاً - له بين أنداده من البحوث منزلة كالتى كانت للشيخ أبي على بين أنداده من العلماء .

لقد كان الفارسي في المائة الرابعة وبين علمائها كما كان سيبويه في المائة الثانية وبين علمائها ، مثلاً عالياً للأستاذية العاملة المنتجة ، والغزارة العلمية الدافقة ، والقدرة الذهنية الفائقة على التبويب والتصنيف ، وكان كلاهما كذلك حلقة وضاعة باهرة ، في سلسلة الثقافة العربية الخالدة ، وصلت الخلف بالسلف ، وحملت علم الأولين إلى الآخرين .

ظهر أبو على وقد ازدهرت النهضة ، وآتت أكلها يانعا جنيا . وظهر سيبويه وما تزال النهضة نامية مطردة ، تشتد في طلب الغاية من النضج والاكتمال ، فأقبل كلاهما على الأئمة من المعاصرين وغير المعاصرين ، يأخذ منهم ، ويستوعب كل ما عندهم

حتى إذا تضلع منه ربا وأدرك أربا ، انصرف إليه يحصه ، ويقلب النظر فيه ،  
ولأنه خلال هذا وذاك ليضيف إليه ويستخلص منه ما شاء الله أن يضيف ويستخلص ،  
ولما أن رضى عنه واطمأن إليه ، خرج به على الناس علماً منظماً ، وعملاً مقدماً ،  
وأثراً جديداً أو أشبه بالجديد من كل مقتبس أو منقول . وقد أعجب الناس بحجة  
الفارسي وبراعته في التأليف ، كما أعجبوا من قبل بكتاب سيبويه وبراعته كذلك في  
التأليف ؛ إذ رأوا الحجة في بابها كالكتاب في بابها : فالحجة تدعم القراءات وتحتج  
لها ، وتنفي الشبهة عنها بما فيها من النصوص الشاهدة ، والبحوث البارعة ، والأدلة  
الناصعة . والكتاب يكفل للناس عصمة الألسنة أن تجرى بلحن أو تحريف في تلاوة  
كلام الله ؛ بما يرفع للنحو من قواعد ، ويوصل من أصول ويفرع من فروع ، ويقرر  
من مسائل .

وإذا لقد بذل كلاهما للدين من نفسه ، وخدمه جاهداً بعبله ، وأدرك من دنياه  
الغاية التي كان يجمع عليها سلف هذه الأمة الكريمة في علم ما يعلنون : أن يجعلوه  
قربى إلى الله ، ووسيلة يخدمون بها دينه الخفيف في ناحية من نواحيه .

ولم يكن الفارسي قبل اليوم معروفاً على مقدار ما تستوجبه مكانته العالية وآثاره  
الباقية ، وما يقتضيه البر به والإنصاف له وحسن الاعتراف بفضله ، فإكان الرجل  
فيما أعلم إلا أشتاتاً من الآراء المرددة ، والأنباء المرسلة ، والترجمات المقتضبة ،  
وما كانت كتبه كذلك إلا مجرد أسماء نقرؤها في كتب التراجم والفهارس ، ثم لانكاد  
نعرف منها أو نعرف عنها إلا اليسير .

وما كان منتظراً في عهد الركود والجمود أن يكون حظ الفارسي خيراً من هذا  
الحظ ، ولا أن يكون نصيبه من الدرس والبحث غير هذا النصيب من الإغفال  
والإهمال ، فقد كان الرجل في جلاله بحوثه ، وعمق فلسفته أبعد منالا ، وأعسر  
متاولاً من أن يستشرفه أو يتناول إليه باحث أو ناشر إلا في عهد توثب ونهوض .

فلهذا نرى الدكتور عبد الفتاح شلبي دون غيره يختص به ، وينبعث في طلبه ،  
وفي هذا العصر على التعيين ، ولا أرى أن هذا وذاك لمجرد المصادفة والاتفاق ،  
ولكنه في الواقع للنسبة الموازية بين الفارسي وصاحبه ، ثم بين الفارسي والوقت  
الذي قدر له أن يبعث فيه : فالدكتور عبد الفتاح شلبي باحث جلد ، متمكن في دراسته  
جسم النشاط ، وافر الإخلاص . والعهد عهد القومية العربية في تجمعها ونهوضها

واتجاهها إلى الغاية المشتركة في الهدف البعيد ، فمن دلائل التوفيق لها ، وهي تجمع الكلمة ، وتأخذ الالهة أن تذكر أمسها في يومها ، وتأخذ من ماضيها لحاضرها ، وأن تمضي في هذه السبيل قدما إن شاء الله .

لقد بعث الله الشيخ الفارسي في هذا البحث العتيد ، ورده علينا بعد ألف عام خلقاً سوياً ، نراه في شخصه ونفسه ، وفي عواطفه وحسه ، وفي هواه ورشده ، وفي آرائه وعقيدته ، وفي تفكيره وفلسفته ، وفي بيئته وعصره ، وفي ينباع التي استقى منها ، والإضافات التي أضافها ، وفي مدى ما انتفع الخالقون به ، وأفادوا منه . وهذه آثاره في القراءات والنحو قد أحصيت ، وحقق عددها ، وعينت أماكن وجودها ، وأوتى كل منها حقه من العرض ، والدرس ، والتحليل ، والنقد في أناة وحكمة وإنصاف .

وعجيب حقاً أن يكون ذلك كله على رأس الألف الثانية لوفاته (رحمة الله عليه) ، فهل ترى الأقدار كما قال الدكتور عبد الفتاح شلبي في تلخيص الرسالة ، قد تولت عنا تكريمه ، فحددت لنا موعده ، وندبت مناله ، على نحو ما يفعل الناس في إحياء ذكرى العظماء الخالدين ؟

وظاهرة أخرى قد تكون من ظواهر تكريم الأقدار للفارسي ، وهي تهئية الأسباب المواتية لجعل بعثه كاملاً : أنها جعلت ثقافته متصلة متشابهة ، لا تخرج عن حيز اللغة والنحو ، ولا تبعد منهما شيئاً ؛ ليدرسه الباحث جملة واحدة ، وعلى منهج واحد ، فيفيد من جانب لجانب ، ويأخذ من هذا لذاك . فما أظن أن باحثاً صبوراً مقتدراً يتصدى لدراسة الفارسي فيأخذ أثره في النحو أو القراءات ، ويدع الآخر لباحث غيره ؛ لأنه في أحد الأثرين لا بد ملم بالأثر الآخر وقائل فيه ، وإلا كان درسه مشطوراً أو مبتوراً ؛ لأن الفارسي (رحمة الله) لم يعمل للقراءات من ناحية الرواية والسند ، ولكن من ناحية الاستدلال والاحتجاج ، وكان معوله طبعاً في هذا وذاك على النحو وبحوثه ، واللغة ونصوصها .

وبعد ، فإن لي في هذا المقام آميتين : عامة ، وخاصة ، فأما العامة : فإن تتوالى أمثال هذه البحوث القيمة ، نحني بها مجد سلفنا العظيم ، ففي ذلك مدد متصل النهضة ، وإضافة ثمينة إلى الثقافة ، وغفر صادق لنا واعتزاز . ولا بأس أن تدور كلها أو معظمها أول الأمر على أعلام الدولة في البلاد الشرقية ، ثم تدور بعد ذلك

على الاعلام في سائر الاقطار ، ولا سيما مصر ، فلا شرق بين العرب اليوم ولا غرب ؛  
ولكنهم أمة واحدة في أقطار متعددة . رفعت من بينها الحواجز ، وزالت الحدود .  
ثم إن النهضة إنما نشأت وازدهرت في الشرق حيث حاضرة الخلافة ومستقر  
السلطان . فنحن إذ نبدأ بدراسة اعلام الشرق وثقني بدراسة الاقطار الأخرى  
إنما نبدأ الدرس من أوله ، وتناولوه من أصله ، ثم نجرى في تتبعه على سنن من المنطق  
واطراد النهج .

وأما الخاصة فإلى السيد الدكتور عبد الفتاح أن يعكف على آثار الفارسي ،  
فيعيد قراءتها ، ويحقق نصوصها ، ثم يخرجها للناس لإخراجاً عصرياً ؛ ليفيد منها علماء  
اليوم والغد كما أفاد منها علماء الأمس . وبذلك يكون قد أوفى كل حق الفارسي عليه .  
والرغبة إلى الله تعالى أن يوفقه في الإخراج كما وفقه في التأليف ، وأن يمدّه  
دائماً بعون منه وتأيد ؟

على النجدي ناصف

يوم الجمعة { ١٣ من شعبان سنة ١٣٧٦  
١٥ من مارس سنة ١٩٥٧

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تقديم

الموضوع - أهدافه - منهج البحث فيه - مصادر

أحمدك اللهم على توفيقك حمد الشاكرين ، وأصلى وأسلم على خاتم رسلك وصحباة أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فموضوع هذا البحث ، أبو علي الفارسي وأثره في القراءات والنحو ، وأول صلتى بأبي علي كانت في هذه الآراء التي يذكرها له النحاة في مختلف المسائل النحوية مبثوثة في كتبهم هنا وهناك ، ولم تكن هذه الآراء حين ذاك تثير مني الاهتمام وإن كانت تسمى إلى تفرد أبي علي بالرأى في هذه المسائل في كثرة ظاهرة .

ثم كان لإعدادي لبحث الماجستير ، فتوثقت الصلة بيني وبين الرجل ؛ إذ كنت مستعينا بكتابه الحجة على تحقيق الموضوع الذي أكتب فيه ، وسارت الأيام خفافا أو ثقالا وشخصية الرجل ماثلة أمام ناظري وفي خاطري ، والزمن يزيدني عندي لإجلالا وتوقيرا وقديرا ، وأحسست أن ديناً في عنق بزداد ثقله كلما تأكدت الصلة بيني وبين أبي علي ، ولم يكن لهذا الدين من وفاء إلا أن أجعل الشيخ موضع الدرس في هذه المرحلة من مراحل دراستي العالية

ودفعني إلى ذلك - أيضاً - أني رأيت جمهرة الباحثين من حولى يترجمون للشعراء والأدباء ، ويؤلفون الكتب في الاعلام من رجال التاريخ ، ويقدمون الرسائل العلمية في هؤلاء وهؤلاء ، وقد صرفوا جهودهم إليهم مشكورين على كل حال - غير محتفلين بأمثال أبي علي من العلماء الذين كان لهم في الثقافة الإسلامية والدراسات العربية أثر مذكور ، وفضل غير منكور .

ثم رأيت أن المكتبة العربية لم تحظ عن أبي علي وترجمته وآثاره بشيء ذي خطر

ففي عظم هذه الآثار المطبوعة تراجم قصيرة مأخوذ بعضها من بعض ، يعتمد فيها المؤلفون اللاحقون على ما قال السابقون . بل إنك لتجد أمراً عجيباً : دائرة المعارف الإسلامية تغفل ترجمة الرجل ، وكل من وجدى والبستاني يذكر ترجمة قصيرة لا تنفع غلة ، ولا تشير إلى الفراهة العقلية لأبي علي ، وجورجي زيدان يشير إليه عابراً فيجعله من مشهورى النحاة الذين لم تصله من مؤلفاتهم ما يستحق الذكر !! (١)

على حين يعطى تلميذه ابن جنى فضل اهتمام وصدارة وتنويه .

وتحتفل مجلة « المقتطف » فتوسع صدرها لصاحب فيترجم له أحد كتبها (٢) ترجمة تدل على معرفة لقدره ، وإن كانت تأخذ الطابع العام للتراجم التقليدية التي جرى عليها الأقدمون فيما يكتبون .

وتحقق كتب ابن جنى تلميذ أبي علي ، ولا تتوجه الجهود إلى الشيخ مع أنه هو الذى صنع تلميذه على عينه . وسقاه من فيضه ، ونشأه واصطفاه .

ويبرز أبو علي في الدراسات الحديثة فينوه به في الكتب المحدثه ، والمجلات الأدبية ، وجمع اللغة العربية ، فلا يخلو ذلك التنويه من قصور في فهم آراء الشيخ ؛ مبعثه أن أحداً من هؤلاء المحدثين لم ينقطع له ، ولم يتخصص في دراسته .

ثم كانت التفاته مباركة من صفوة علمائنا ومن طلاب الدراسات العالية إلى تراثنا النحوى القديم والذين صنعوه ، فترجم أستاذنا لسيدويه ، وقدمت رسائل في التحليل والفراء والزخشرى وغيرهم من النحاة وعلى الرغم من هذه الجهود فالميدان لا يزال قسيساً للجهاد والصيال .

\* \* \*

ورأيت في موضوعى اتصالاً بالدراسات القرآنية ، وهى أنفع للناس ، وأخلد على الزمن ، وأحق ما تبذل فيه الجهود ، وأكرم ما يتوفر عليه الباحثون .

\* \* \*

وأمر آخر توفي أبو علي سنة ٣٧٧ هـ ، وإذن فنحن الآن على أبواب الذكرى الالفيه لذلك الرجل ، فهل أنصفته الأقدار بأن جعلته موضوع دراسة جامعية عالية

---

(١) انظر تاريخ آداب اللغة العربية الجزء الثاني : / ٣٠٣ و ٣٠٤ .

(٢) هو الأستاذ عبد الله أمين أحد نظار المعلمين السابقين . والترجمة في عدد مايو ١٩٥١



توضع موضع البحث والمناقشة على ملا من الناس ، وبذلك يكرم الرجل أجل التكريم في ذكره ؛ كفاء ما قدم من آثار ولقاء ما مت به إلى كتاب الله من صلة أى صلة ؟

\* \* \*

من أجل ذلك ، ومن أجل التمس الخالص بالبحث العلمى ، وهو فى ذاته هدف كريم - أحببت أن ألقى بدلوى فى الدلاء ، وأن أؤدى بعض الحق نحو رجل من رجال العلم ، فأجلى شخصيته ، وأتعرّف مكانته بين السالفين والخالفين والعلماء من طبقته المعاصرين فى القراءات والنحو جميعا . ولم يكن من الميسور لو قصرت الموضوع على جانب واحد أن أستقل ببحثه دون التعرض إلى الجانب الآخر بالدرس فالنّان يلتقيان عند أبى على متلازمين كالحديثين ، وعلى أية حال لم تتأثر كيفية البحث بتعدد جوانب الموضوع . . .

\* \* \*

وقد انتهجت المنهج التاريخى فى هذا البحث . جمعت المصادر المتصلة به ، ثم نظرتها وحقنت الآراء الواردة فيها ، والظواهر الخاصة بأبى على منها ، ومدى تأثيره بالسابقين ومكانته بين المعاصرين ، وأثره فى الخالفين ، وانتهى ذلك كله بالبحث إلى أن يصير فى سبعة أبواب يسبقها تمهيد ، وتتلوها خاتمة .

فى التمهيد تحدثت عن نشأة القراءات وتطورها والفقه وعلم الكلام وصلة ذلك كله بالبحث النحوى .

وفى الباب الأول تحدثت فى فصول ثلاثة عن عصر أبى على ، وحياته ، وأحصيت آثاره .

وفى الباب الثانى تحدثت عن الاحتجاج للقراءات وتطوره حتى عصر أبى على ، ومنحت فضل اهتمام للاحتجاج عند إمام النحاة سيديّه ، وإمام المفسرين . الطبرى وإمام القراء . ابن مجاهد ثم تناولت كتاب الحجة وعرفت به .

وعقدت فى الباب الثالث دراسات مقارنة بين أبى على والمحتجين للقراءات : القراء ، والزجاج ، وابن السراج ، وابن خالويه .

ثم بينت فى الباب الرابع أثر أبى على فى الاحتجاج للقراءات ضارباً بالمثل بابن جنى فى المحتسب ، ومكى بن أبى طالب فى الكشف ، والدانى فى الموضح .

وقسمت المحتجين للقراءات إلى مدرستين : إحداها تمثل الآثر ، والأخرى تمثل القياس .

\* \* \*

وفي الباب الخامس تحدثت عن أبي على النحوى ، فألمت للمامة يقتضيها المقام بنشأة النحو ، وتطوره ، ونشاط النحويين منذ أبي الأسود حتى عصر أبي على ، ثم تناولت ما عثرت عليه من كتب أبي على النحوية ، وبينت خصائصها كما تمتلئ لي كتاباً كتاباً .

ثم عقدت في الباب السادس دراسات مقارنة بين أبي على والنحاة من طبقته : السيرافى ، والرمانى ، والزجاجى .

وبينت في الباب السابع مدى تأثير الخالفين بنحو أبي على في الأصول ، والفروع ، ومسائل الخلاف ، والإعراب ، ممثلاً على الترتيب باب جنى في خصائصه ، وابن الشجرى في أماليه ، وابن الانبارى في مسائل الخلاف ، والعبرى أبي البقاء في إعراب القرآن .

وفي الخاتمة لخصت النتائج الكبرى التى وصلت إليها ، وما حققت من مسائل في غضون الأبواب المختلفة للبحث ، وذكرت ما بدا لى من مقترحات .

\* \* \*

أما مصادر البحث فقد كانت عزيزة نادرة ، والصفة الغالبة عليها أنها مخطوطة ومشورة في مكتبات العالم ، فسعيت إليها في دور الكتب المختلفة ، وفي معهد إحياء المخطوطات بالأمانة العامة للجامعة العربية ، وأعاني قوم من المشرفين على هذه الدور ، لهم عند الله الجزاء الوفور ، يسروا ماقدروا ، وأعلنوا وماستروا ، ومكنوا كراما غير باخلين<sup>(١)</sup> ، فاستطعت الحصول على ما يلزم البحث من مخطوطات لآثار أبي على ، والزجاج ، والزجاجى ، والرمانى ، وابن جنى ، والربعى ، والداني ، وابن خالويه ... وملكت نسخاً مصورة من الحجة ، والمسائل المختلفة لأبي على ، فاتصلت اتصالاً

---

(١) أخص بالشكر الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب بمعهد إحياء المخطوطات بالأمانة العامة للجامعة العربية والأستاذ فؤاد سيد أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية .

مباشراً بعقلية الرجل ، وصحبته ليالى وأياماً طوالاً سيرت فيها غوره ، وجلبت قدره  
وتعرفت أثره ، واستعذبت فى سبيل ذلك العناء ، وما أنفقت من وقت ومال ؛  
لأذكنت طالب حقيقه ، ومنقباً عن مجهول ، وكاشفاً عن غامض ، وراجياً أن أضيف  
إلى العلم ، شاكرآ لله أن تهيأ لى من وسائل البحث ما لم يتهيأ للسابقين من الأولين :  
فهذا ابن غلبون يكتب الحجة كلها على ضخامتها — بخطه — ، ويعكف أحمد بن تميم  
اللبلى وغيره على كتابة مسائل أبى على المختلفة ، فلاقوا فى ذلك من العناء دونه ما كنت  
ألقاه ، وكان ذلك باعثاً لى على أن أمضى فى الطريق قادراً نعمة الله .

وبجانب هذه المصادر — مراجع عامة — متصلة بالموضوع من قريب أو بعيد  
من كتب القراءات والنحو أصوله وفروعه ، وكتب التاريخ ، والتراجم ، والبحوث  
الحديثة ، ومألف المستشرقون .

\*\*\*

وبعد : فمن الشكر الواجب أن أسجل اعترافى بالجهد الصادق المخلص الكريم  
الذى بذله أستاذى المفضل على النجدي ناصف أستاذ اللغة العربية بكلية دارالعلوم  
فى الإشراف على هذه الرسالة ، والتوجيه الدقيق المفيد فى فصولها ، وما عدل  
من ميلها ، حتى استوت على سوقها ، ولن أستطيع بكلمات أن أقدر تفضله الذى أجزل ،  
وأدأه الذى وفى ، فأبتهل إلى الله مخلصاً أن يجزيه أكرم الجزاء .  
وشكرى العام لكل من شجع أو أعان .

والله المسئول أن يكتب لى النجاح بقدر ما بذلت من سعى ، وما أخلصت من نية .

عبد الفتاح ساجي

{ حرر بحدائق القبة }  
{ شعبان ١٣٧٣ هـ }  
{ إبريل ١٩٥٦ م }



## مدخل البحث

« وفيه ألم الإمامة يقتضيها المقام بنشأة القراءات وتطورها والفقه وعلم الكلام وأثر ذلك كله في القراءات والبحث النحوي ، وبذلك تتم حلقات السلسلة منذ أن نشأت هذه العلوم إلى عصر أبي على الفارسي . »

### أورو — نشأة القراءات وتطورها وأثرها في البحث النحوي :

عنى المسلمون عناية منقطعة النظير بكتاب الله الكريم ، فتركزت دراساتهم فيه ، أو دارت حوله ، وعكفوا عليه مفسرين ، وتفهموا أحكامه متفقهين ، وتلوه حق تلاوته متعبدين ، تحقيقاً لمضمون قوله تعالى وهو أصدق القائلين : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون <sup>(١)</sup> » .

دعا الرسول ( صلوات الله عليه وسلامه ) إلى تعلمه وتعليمه ، وقراءته وإقرائه وجعل قراءته أفضل العبادات ، وارتفع بمكان أهله ؛ فجعلهم أهل الله وخاصته <sup>(٢)</sup> ، ووجه أنظارهم إلى مكانته وهدايته قبيل أن تحين منيته : إذ يقول : « إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله وسنتي <sup>(٣)</sup> » .

وكانت المحاولة الأولى لتوثيق نصه في أمر الرسول أصحابه ألا يكتبوا شيئاً عنه سوى القرآن : حدث الحافظ أبو بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني بسنده عن رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) أنه قال : « لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن ، فمن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمحاه <sup>(٤)</sup> . وقد استأذن أبو سعيد الخدري النبي ( صلى الله عليه وسلم ) في كتب الحديث فأبى أن يأذن له <sup>(٥)</sup> . وهذا عمر يترك كتب السنن لئلا يترك كتاب الله ويلبس بشيء <sup>(٦)</sup> . ولهذا رويت الأحاديث بالمعنى ولم تنقل كما سمعت من النبي ، ومن هنا منع الاستشهاد بها على اللغة والنحو ، من منع من أمثال ابن الضائع ، وأبي حيان <sup>(٧)</sup> .

(١) سورة الحجر آية ٨ (٢) النشر لابن الجزري ٣/١ .

(٣) خطبته ( صلى الله عليه وسلم ) في حجة الوداع .

(٤) المصاحف للسجستاني ص ٤ .

(٥) تقييد العلم للخطيب البغدادي ، ٣٢ تحقيق يوسف المش طبعة دمشق ١٩٤٩ .

(٦) انظر القسم الثاني الفصل الأول من المصدر السابق ٤٩-٥٨ .

(٧) خزانة الأدب للبغدادي ٥/١ مطبعة دار الصور .

وكان عرض الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) ما نزل من كتاب الله على جبريل مرة في كل سنة ، وعرضه عليه مرتين <sup>(١)</sup> سنة وفاته - المحاولة التالية لتحديد نص القرآن الكريم <sup>(٢)</sup> ، وترتيبه في سورة وآياته <sup>(٣)</sup> ، وتلقاه الصحابة (رضوان الله عليهم) من النبي ( صلوات الله عليه وسلامه ) حرفا حرفا ، لم يهملوا منه حركة ولا سكونا ولا إثباتا ولا حذفاً <sup>(٤)</sup> ، واستمع الرسول ( عليه الصلاة والسلام ) لإليهم وهم يقرءون ، ذكر الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ : روى خارجة بن زيد عن أبيه قال : « أتى النبي ( صلى الله عليه وسلم ) المدينة ، وقد قرأت سبع عشرة سورة ، فقرأت على رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) فأعجبه ذلك ، وعن ابن مسعود قال : قال لي رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) : اقرأ علي : ففتحت سورة النساء ، فلما بلغت : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » <sup>(٥)</sup> ، رأيت عينيه تذرفان من الدمع ، فقال : « حسبك الآن ، !

وكان من الصحابة من حفظ القرآن كله ، ومنهم من حفظ أكثره ، ومنهم حفظ بعضه كل ذلك في زمن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) <sup>(٦)</sup> وقد نقل السيوطي في الإتيان عن ابن حجر أن أبا بكر كان يحفظ القرآن <sup>(٧)</sup> ، وذكر أبو عبيد القاسم بن سلام ( ٢٢٣ ) هـ في كتاب القراءات القراء من أصحاب النبي ( صلى الله عليه وسلم ) مهاجرين وأنصارا <sup>(٨)</sup> . وهكذا انتقل الرسول ( عليه الصلاة والسلام ) إلى الرفيق الأعلى ، والقرآن في صدور الرجال ، وفي الصحف والعسب واللخاف <sup>(٩)</sup> ، والأكتاف والاقتاب <sup>(١٠)</sup> والرقاع <sup>(١١)</sup> .

ثم يحى عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق ( رضى الله عنه ) ، ويحارب المرتدة وعلى رأسهم « مسيلة الكذاب » وأصحابه . ويصدق القراء من كبار الصحابة الحملة تحت إمرة قائدهم خالد بن الوليد ،

(١) إبراز المعاني لأبي شامة ص ٤ . (٢) انظر فضائل القرآن لابن كثير ص ٩١ .

(٣) المصاحف للسجستاني / ٥ ( المقدمة ) (٤) النشر لابن الجزري / ٦/١ .

(٥) سورة النساء آية ٤١ وتاريخ القرآن للزنجاني / ١٧ .

(٦) ينظر النشر لابن الجزري / ٦/١ . (٧) الاتقان / ١/ ٩٠ ، ٧٢ .

(٨) المرجع السابق . (٩) المصاحف للسجستاني / ٧ ، فضائل القرآن / ٢٢ .

واللخاف : حجارة بيض رقاق واحدتها لفة بوزن صفحة

(١٠) المرجع السابق / ٩ (١١) الاتقان في علوم القرآن / ١/ ٧٢ وما بعدها .

وجعلوا يتنادون بشعارهم الحبيب إلى قلوبهم : « يا أهل سورة البقرة ! ، ولم يزل ذلك دأبهم حتى فتح الله عليهم ، وقتل الله مسيلة ، وأتبع أئمة أصحابه بالسيف المسلمة<sup>(١)</sup> .

وتجلى المعركة عن قتل سبعين من القراء فيما ينقله السيوطي عن القرطبي<sup>(٢)</sup> ونحو خمسمائة فيما يقول ابن كثير<sup>(٣)</sup> ، وفيما ينقله ابن الجزري<sup>(٤)</sup> ، وكان قد قتل منهم على عهد الرسول في غزوة بدر معونة سبعون<sup>(٥)</sup> ، ويتنبه المسلمون إلى تراثهم الأجداد ، ويخشون أن يذهب القرآن بذئاب القراء ، ويشرح الله صدر أبي بكر الصديق (رضوان الله عليه) بعد أن يتردد<sup>(٦)</sup> ، فيرى رأى الصحابة في جمع القرآن ، ويمضي زيد بن ثابت يتتبع القرآن بنسخه من الصحف ، والعصب ، والخاف ، وصدور الرجال ، وبذلك تتم مرحلة أخرى من مراحل حفظ الكتاب الكريم فيجمع بين لوحين ، وحفظ عند أبي بكر حتى توفي ، ثم عند عمر حتى توفي ، ثم كان عند حفصة زوج النبي (صلى الله عليه وسلم)<sup>(٧)</sup> .

ويشتهر بإقراء القرآن من الصحابة سبعة : عثمان ، وعلي ، وأبي بن كعب ، وزيد ابن ثابت ، وابن مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعري<sup>(٨)</sup> ، ويتفرق الصحابة في الأمصار فاتحين ، ويقرئون الناس بقراءاتهم ، فكان أهل الشام يقرءون بقراءة أبي بن كعب<sup>(٩)</sup> ، وأهل البصرة فيما نقله أبو داود السجستاني<sup>(١٠)</sup> يقرءون بقراءة عبدان بن قيس<sup>(١١)</sup> ، وأهل الكوفة يقرءون بقراءة عبد الله بن مسعود<sup>(١٢)</sup> ، وكانوا يقولون قراءة عبد الله ، وأهل البصرة يقولون قراءة أبي موسى<sup>(١٤)</sup> ، وكل قراءة متصلة السند بالرسول على ما بينها وبين الأخرى من تخالف<sup>(١٤)</sup> . ولم يكن المسلمون في أول عهدهم ينكرون هذه الفروق بين القراءات بعد ما سمعوا تيسير الرسول

(١) فضائل القرآن / ٢٥ . (٢) الاتفاق ٨٩/١ .

(٣) فضائل القرآن / ٢٥ . (٤) النشر ٧/١ .

(٥) الاتفاق ٨٨/١ . (٦) المصاحف / ٧ .

(٧) المصاحف / ٩ . (٨) الفهرست لابن النديم / ٤٠ .

(٩) الاتفاق ٩١/١ . (١٠) المصاحف / ١٤ .

(١١) هو أبو موسى الأشعري انظر ٤٤٢/١ طبقات القراء .

(١٢) المصاحف / ١٤ . (١٣) انظر / ١٣ من المصدر السابق .

(١٤) أورد أبو داود السجستاني أمثلة لهذا التخالف انظر مثلا / ٥٤ وما بعدها .

عليهم بقوله (عليه الصلاة والسلام) « أنزل القرآن على سبعة أحرف فأقرءوا ما تيسر منه <sup>(١)</sup> » .

حتى إذا كانت خلافة عثمان (رضي الله عنه) اشتد الخلاف بين الناس حتى اقتتل الغلمان والمعلمون : جعل المعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يلقنون فيختلفون ، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين ، وحتى كفر بعضهم بقراءة بعض <sup>(٢)</sup> ، فبلغ ذلك عثمان ، فقام خطيباً فقال : أتم عندي تختلفون فتلحنون ، فمن نأى عني من الأمصار أشد فيه اختلافاً وأشد لحناً ، اجتمعوا يا أصحاب محمد ، واكتبوا للناس إماماً . وهكذا تمت خطوة خطيرة في الحفاظ على كتاب الله بتوحيد نصه في مختلف أمصار العالم الإسلامي .

ويقال ان الذي دعا عثمان إلى اتخاذ هذه الخطوة أن حذيفة بن اليمان قدم عليه وكان ينازى أهل الشام في ثغر أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق . فرأى حذيفة اختلافهم - الشاميين والعراقيين - في القرآن حتى كادت تكون بينهم فتنة ، فركب حذيفة إلى عثمان ، فقال يا أمير المؤمنين : « أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في القرآن اختلاف اليهود والنصارى ، ففرع لذلك عثمان ، وأرسل إلى حفصة بنت عمر أن أرسلني إلى بالصحف التي جمع فيها القرآن ، فأرسلت بها إليه حفصة <sup>(٣)</sup> ، وكتبت المصاحف باتفاق من الصحابة (رضي الله عنهم) ، بالمدينة ، ونفذت إلى الأمصار البصرة ، والكوفة ، والشام ، ومكة ، واليمن ، وأمسك عثمان لنفسه مصحفاً وهو الذي يقال له الإمام <sup>(٤)</sup> ، وأمر باتباعها وترك ما عداها ، فأخذ الناس بها ، وتركوا من تلك القراءات كل ما خالفها ، وبقوا ما يوافقها <sup>(٥)</sup> ، وجردت هذه المصاحف جميعها من النقط والشكل ، فاحتملت ما صح نقله ، وثبتت تلاوته عن النبي (صلى الله عليه وسلم <sup>(٦)</sup> ) .

ثم تجرد قوم للقراءة . واشتدت بها عنايتهم ، وكثر لها طلبهم . حتى صاروا بذلك أئمة تشد الرحال إليهم ، ويأخذها الناس عنهم ، واشتهر من الصحابة عثمان ، وعلى ، وأبي ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعري <sup>(٧)</sup> ، واشتغل الناس بالإقراء في مختلف الأمصار فكان :

(١) فضائل القرآن وإبراز المعاني / ٤ (٢) المصاحف / ٢١ .

(٣) المصاحف للسجستاني من ص ١٨-٢٢ بروايات مختلفة .

(٤) النشر / ١/٧ (٥) إبراز المعاني / ٤

(٦) النشر لابن الجزري ٨/١ (٧) إبراز المعاني لأبي شامة / ٤



( بالمدينة ) ابن المسيب ، وعروة ، وسالم ، وعمر بن عبد العزيز ، وسليمان ، وعطاء ابننا يسار ، ومعاذ بن الحرث الذي يعرف بمعاذ القاري ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وابن شهاب ، ومسلم بن جندب ، وزيد بن أسلم .

و ( بمكة ) عبيد بن عميرة ، وعطاء بن أبي رباح ، وطاووس ، ومجاهد ، وعكرمة و ( بالكوفة ) علقمة ، والأسود ، ومسروق ، وعبيدة ، وعمرو بن شرحبيل ، والحرث بن قيس ، والربيع بن خيثم ، وعمرو بن ميمون ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وزر بن حبيش ، وعبيد بن نضله ، وأبو زرعة بن عمرو بن جرير ، وسعيد بن جبير والنخعي ، والشعبي .

و ( بالبصرة ) عامر بن عبد القيس ، وأبو العالية ، وأبو رجاء ، ونصر بن عاصم ويحيى بن يعمر ، وجابر بن زيد ، والحسن ، وابن سيرين ، وقتادة .

و ( بالشام ) المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان بن عفان ( رضى الله عنه ) في القراءات <sup>(١)</sup> وزاد السيوطي نقلا عن الذهبي : خليفة بن سعد صاحب أبي الدرداء <sup>(٢)</sup> .

ثم تلت هؤلاء طبقة أخرى ، فاشتهر من هذه الامصار الخمسة - خمسة عشر رجلا في كل مصر ثلاثة :

١ - فكان بالمدينة أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، ثم شيبه بن نصاح ، ثم نافع بن أبي نعيم وإليه صارت قراءة أهل المدينة

ب - وكان بمكة : عبد الله بن كثير ، وحيد بن قيس الأعرج ، ومحمد بن عيصن وأقدمهم ابن كثير ، وإليه صارت قراءة أهل مكة .

ج - وكان بالكوفة : يحيى بن وثاب ، وعاصم بن بهدلة ، وسليمان الأعشى ، ثم تلاهم حمزة رابعاً ، ثم الكسائي .

د - وكان بالبصرة : عبد الله بن أبي اسحق ، وعيسى بن عمر ، وأبو عمرو ابن العلاء وإليه صارت قراءة أهل البصرة ، وانخذوه إماما ، وكان لهم رابع هو عاصم الجحدري .

ه - وكان بالشام : عبد الله بن عامر ، ويحيى بن الحارث الذماري ، وثالث هو خليل بن سعد أو عطية بن قيس الكلبي ، أو اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر على خلاف في ذلك

واشتهر بالآفاق<sup>(١)</sup> الأئمة السبعة<sup>(٢)</sup> الذين صارت إليهم القراءة في هذه الأمصار نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم ، وحزمة ، والكسائي . وهؤلاء هم القراء السبعة الذين اختار قراءتهم ابن مجاهد ( ٣٢٤ هـ )<sup>(٣)</sup> آخر من انتهت إليه الرياسة بمدينة السلام<sup>(٤)</sup> ، وتولى شرح كتاب ابن مجاهد في السبعة أبو علي الفارسي ( ٣٧٧ هـ ) في كتاب الحجة ، وكان قد شرع فيه قبله شيخه أبو بكر بن السراج ( ٣١٦ هـ )<sup>(٥)</sup> على ما سأتناوله بالتفصيل إن شاء الله .

كانت جهود المسلمين في سبيل الحفاظ على القرآن الكريم منذ عهد الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) حتى عهد عثمان بن عفان ( رضى الله عنه ) تشمل المراحل الآتية :

أولاً — مرحلة ( توثيق النص القرآني ) وهذه ذات مظهرين :

١ — المظهر الأول يتجلى في أمر الرسول بكتابة القرآن دون سواه .

ب — المظهر الآخر يتجلى في عرض الرسول القرآن الكريم على جبريل .

ثانياً — ثم كانت مرحلة ( جمع النص القرآني ) بين لوحيْن في عهد أبي بكر

ثالثاً — ثم تلتها مرحلة ( توحيد النص القرآني ) في عهد عثمان ، وكانت هذه

المراحل كافية في صون الكتاب عن التحريف أو التبديل والتصحيف لو أن العرب لم تنفخ للحن ألسنتهم باختلاطهم بغيرهم من الأمم الأعجمية الأخرى ، ولكن الأمر قدر على غير ذلك ، فقد كثرت هذه الحراء ، وأفسدت من ألسن العرب كما قال زياد ابن أبيه لأبي الأسود الدؤلي<sup>(٦)</sup> ، ويرغب أبو الأسود ، أو يرغب زياد إليه أن يضع لهم شيئاً يقيمون كلامهم به ، وينشط أبو الأسود إلى هذا العمل بعد أن يسمع رجلاً يقرأ قوله تعالى : « إن الله بريء من المشركين ورسوله » يقرأها بجر اللام ويرى أن يبدأ بإعراب القرآن<sup>(٧)</sup> .

ويذكر أبو حيان في البصائر والذخائر أن علي بن أبي طالب هو الذي أمر

(١) الاتقان ١/٩٢

(٢) انظر ترجمة هؤلاء الأئمة السبعة في كتاب غاية النهاية لابن الجزري على الترتيب .

(٣) إبراز المعاني لأبي شامة ٥/ (٤) الفهرست لابن النديم ٤٧/

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي ١/

(٦) نزعة الألباء ط جمعية إحياء آثار علماء العرب ص ٦.

(٧) المصدر السابق

أبا الأسود<sup>(١)</sup>، ويذكر القرطبي في تفسيره<sup>(٢)</sup> والزخشري في كشافه<sup>(٣)</sup> وأبو حيان في بجره<sup>(٤)</sup> أن عمر بن الخطاب هو الأمر، ولا يحدد أبو عمرو الداني في كتابه : النقط أيهما الأمر ، حيث يقول : رويناه أن المبتدئ بذلك كان أبا الأسود الدؤلي<sup>(٥)</sup>. وهكذا تتظاهر الروايات على أن التكليف كان لذلك الرجل ، وأيا ما كان الأمر فإن هذه الروايات لها دلالتها على أن المسلمين هموا يريدون أن يقوموا بعمل لصيانة كتاب الله فكانت المرحلة الرابعة . وهي مرحلة إعراب النص القرآني كما جاء في كلام أبي الأسود الدؤلي من قبل .

وفي هذه المرحلة وضع بصيغ يخالف لون المداد . نقطة فوق الحرف للفتحة ، وجانبه للضمة ، وأسفله للكسرة ، وللفئة نقطتان<sup>(٦)</sup> ثم كانت الخطوة الأخيرة وهي إجماع النص القرآني ، لتمييز الحروف المتشابهة بعضها من بعض ، وكان ذلك في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ، واستعان على ذلك برجلين هما : نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر على قول<sup>(٧)</sup> ، أو الحسن البصري ، ويحيى بن يعمر على قول آخر<sup>(٨)</sup>. ثم استبدل بالنقط في عمل أبي الأسود حروف اللين . ألف صغيرة علامة للفتحة والواو للضمة ، والياء للكسرة ، وكان ذلك عمل الخليل بن أحمد ( ١٧٠ هـ ) ، لأنه كان يرى أن الفتحة من الألف والكسرة من الياء والضمة من الواو<sup>(٩)</sup> ، والخليل هو الذي جعل - فيما يقول الداني - الهمزة والتشديد والروم والاشمام<sup>(١٠)</sup>. وهنا تكون المرحلة الخامسة التي سلكها المسلمون رعاية للنص القرآني ، تلك اعجامة .

والذي يهم الباحث متصلاً بموضوع هذا البحث . المرحلة الرابعة من المراحل السابقة ؛ إذ هي متصل اتصالاً وثيقاً بالحديث عن نشأة النحو والإعراب . ثم هي

(١) ١٨٣/١ (٢) ٢٤/١ واطظر كتابه التذكار ٩٩/

(٣) ١٣٩/٢ (٤) ٦/٥

(٥) كتاب النقط ص ١٣٢ وما بعدها

(٦) اظر نزعة الألباء ٦/ واطظر فضائل القرآن لابن كثير ص ٨٩

(٧) كتاب التصحيح والتحريف لأبي أحمد الحسن العسكري ص ١٠ ، ووفيات الأعيان

٣٤٤/١

(٨) فضائل القرآن لابن كثير ص ٨٩

(٩) الكتاب لسيويه ٣١٥/٢ (١٠) المقنع لأبي عمرو الداني ١٢٥

ذات دلالة أخرى ؛ إذ تشير إلى قيام مدرسة بجانب مدرسة القراءات هي مدرسة النحو والنحاة ، وقد عملت هاتان الطائفتان جنباً إلى جنب ، بل كان رجال هذه منذ النشأة الأولى وفيما يشتهرون به - هم رجال تلك ، ولأن مرحلة التخصص العلمي لم تكن بعد ، فسعت هذه إلى أداء القرآن ، وتجويد متنه ، وأدائه ، وإقراءه ، وضبط تلقينه ، وترتيله ترتيلاً ، وسعت الأخرى إلى إعرابه ، وضبطه ، وتفسير معجمه مستعينة بحفظ اللغة والرواية عن الإعراب ، وكلتا الطائفتين تجتمع على الخير من خدمة كتاب الله وفقهه تقرباً إليه وزلفى ومن هنا كان اللحن بشعاً ، وأشد ما يستبشع في كتاب الله . يروى أن الحجاج بن يوسف قال ليحيى بن يعمر : أتجدني الحن ؟ فقال : الامير أفصح من ذلك ، فقال : عزمت عليك . أتجدني الحن ؟ فقال يحيى : نعم ! فقال له : في أى شيء ؟ فقال : في كتاب الله تعالى . فقال : ذلك أشنع ففى أى شيء من كتاب الله تعالى ؟ قال : قرأت . قل إن كان أبائكم وأبناؤكم وإخوانكم وأرواحكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم ، فرفعت أحب وهو منصوب ، فقال الحجاج . . . . لا تساكني ببلد أنا فيه ونفاه إلى خراسان (١)

وحسبك أن تعلم في الصلة بين النحاة والقراء أن علياً أستاذ أبي الأسود في القراءات والنحو (٢) وكان عبد الرحمن بن هرمز أحد القراء (٣) ، ويحيى بن يعمر كذلك (٤) ، وأن أبا عمرو وعبد الله بن أبي اسحق الحضرمي روايا القراءة عن نصر ابن عاصم (٥) ، وأن يونس بن حبيب يروى القراءة عرضاً عن أبي عمرو بن العلاء ويأخذ العربية عنه (٦) ، وكذلك كان سيديوه (٧) ، وسيبويه قارىء يتعرض للقراءات (٨) وكان ابن كثير المكي ( ١٢٠ هـ ) (٩) أحد القراء السبعة المشهورين يقرأ عليه عيسى ابن عمر ( ١٤٩ هـ ) (١٠) والخليل بن أحمد ( ١٧٠ هـ ) (١١) ، وكل واحد من هذين إمام راسخ وحجة ثبت في اللغة والنحو ، وأبو جعفر الرواسي (١٢) ، وعلى بن حمزة الكسائي (١٣) ( ١٨٩ هـ ) كل له قدم راسخة في العربية والقراءات ، وكان الكسائي

(١) نزهة الألباء / ١٠ (٢) المصدر السابق / ٩ (٣) الفهرست ٥٩

(٤) طبقات الزبيدي / ٢٣ (٥) طبقات القراء ٣٣٦/٢ - نزهة الألباء / ١٠٣

(٦) طبقات القراء ٤٠٦/٢ (٧) طبقات القراء ٢٨٩/١ (٨) المحجة نسخة البلدية ٤٤/١

(٩) طبقات القراء ٤٤٣/١ (١٠) نزهة الألباء / ١٣ (١١) المصدر السابق / ٢٩

(١٢) بنية الوعاة / ٣٣ (١٣) طبقات القراء ٥٣٥/١

- كما يقول ابن الأنباري - أعظم الناس بالنحو وأوحدهم في الغريب ، وكان أوحد الناس في القرآن ، كذلك كان يحيى بن زياد القراء ( ٢٠٧ هـ ) (١) وثلث ( ٢٩١ هـ ) (٢) والآخر الكبير ( ٢٩٢ هـ ) (٣) الذي كان شيخ الإقراء بدمشق ضابطاً ثقة نحويّاً مقرئاً . قال أبو علي الأصفهاني عنه : « صنف كتباً كثيرة في القراءات والعربية . حتى عد ابن الجزري ( ٨٨٣ هـ ) فيما يلزم المقرئ ، « أن يحصل جانباً من النحو والصرف بحيث أنه يوجه ما يقع له من القراءات ، وهذا من أهم ما يحتاج إليه » (٤) ،

والنحاة عند القراء أكثر ضبطاً للقراءة ، وأصح نقلاً من اللغويين ؛ قال أبو بكر ابن السراج بعد أن أورد رواية الأصمعي عن أبي عمرو وقراءته الصراط بالزاي ؛ « وأما الزاي فأحسب الأصمعي لم يضبط عن أبي عمرو ؛ لأن الأصمعي كان غير نحوي ، ولست أحب أن تحمل القراءة على هذه اللغة ، وأحسب أنه سمع أبا عمرو يقرأ بالمضارعة للزاي فتوهمها زايًا » (٥) .

وهذا السيوطي ( ٩١١ هـ ) يذكر في مقدمة كتابه « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » ، أنه اعتمد على طبقات القراء لأبي عمرو الداني ( ٤٤٤ هـ ) ، وطبقات القراء للحافظ أبي عبد الله الذهبي ( ٧٤٨ هـ ) ، وذيل طبقات القراء للعفيف المطري ، لجمع كل ما تضمنته هذه الكتب من ترجمته نحوي (٦) . والمطلع على تأليف القراء أو النحاة يجد مظاهر الثقافة القرآنية والنحوية عند هؤلاء وهؤلاء : فيونس بن حبيب ( ١٨٢ هـ ) يؤلف معاني القرآن (٧) ، وقطرب ( ٢٠٦ هـ ) يؤلف في الرد على الملحد في متشابه القرآن (٨) ، وأبو حاتم السجستاني يؤلف في اختلاف المصاحف (٩) والسجستاني يقرأ كتاب سيديوه على الآخر مرتين ، وإن درسته يهوى يؤول المعاني في القراءات ، والرد على ابن مقسم في اختياره (١٠) .

(١) تبة الألباء / ٦٦

(٢) المصدر السابق ١٥٧ (٣) طبقات القراء ٢ / ٣٤٧

(٤) منجد المقرئين / ٤

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي ١ / ١٣٩ نسخة بلديه الاسكندرية

(٦) بنية الوعاة / ٣ (٧) الفهرست / ٦٣

(٨) المصدر السابق / ٧٩ ، ٥٧ (٩) الفهرست / ٨٧

(١٠) الفهرست / ٩٤ وذكر الاسم خطأ : أبي مقسم

والنفاد من القراء يؤلف أصول النحو<sup>(١)</sup> ، وأبو محمد اليزيدي كان مؤلف النقط والشكل والمصادر في القرآن ، كما يؤلف في المقصور والممدود ، وعبد الله ابن أبي محمد اليزيدي يؤلف في غريب القرآن كما يؤلف مختصر نحو<sup>(٢)</sup>.

والأخفش المجاشعي يؤلف الأوسط في النحو والمقاييس ، كما يؤلف في معاني القرآن<sup>(٣)</sup> . وأبو زيد الأنصاري ( سعيد بن أوس ) يؤلف في قراءة أبي عمرو ، والمبرد يؤلف احتجاج القراءة ومعاني القرآن كما يؤلف المقتضب والمدخل في النحو ...<sup>(٤)</sup> حتى إذا ما انتهينا إلى أبي علي الفارسي وجدناه يشير إلى الصلة بين النحاة والقراء في قوله : وسألت بعض من ينظر في العربية من القراء عن معيضة ووزنه وجمعه<sup>(٥)</sup> . ثم يؤلف الحجة في التعليل لقراءات الأئمة السبعة ، والإغفال فيما أغفله الزجاج من معاني القرآن<sup>(٦)</sup> ، والتبج لأبي علي الجبائي في التفسير ، كما يؤلف في النحو : الإيضاح والتكملة<sup>(٧)</sup> ..

وقد نشأت هاتان المدرستان متصلتين - كما بينت - ثم أخذتا في الانفصال متميزتين حتى أورد السيوطي : « لم يكن ثابت بن حيان ( ت . ٥٦٢٨ ) من الأئمة النحويين ، وإنما كان من الأئمة المقرئين<sup>(٨)</sup> » ، وحتى بلغ من انفراج الشقة بينهما أن عرض النحاة المتأخرون بمشايع القراء وضعفهم في العربية<sup>(٩)</sup> . وأبين بعد ذلك :

\* \* \*

## ثانياً - الفقه وعلم الكلام وأثر كل في القراءات والنحو :

وما يتصل بموضوع هذا البحث الحديث عن الفقه وتطوره ، والفقهاء ومذاهبهم والمتكلمين وطرقهم في تناول الدراسات المتصلة بالعقائد ، وأثر ذلك كله في القراءات ومباحثها ، والنحو ومسائله ، حتى تعرف على الصورة التي انتهى إليها البحث القرآني والنحوي ، وكيف وصلت إلى أبي علي الفارسي .

(١) الفهرست ٤٩/

(٢) الفهرست ٧٥/

(٣) الفهرست ٧٨/

(٤) الفهرست ٨٨/

(٥) المسائل المشككة لوجه ١٩

(٦) الفهرست ٩٥/

(٧) مجمع الأدياء ٢٤١/٧

(٨) بنية الوعاة ٥٥/ ، ٢١٠ (٩) اظفر المنفى لابن هشام ١١٥/٢

وكل من الفقه وعلم الكلام وثيق الصلة بالآخر ، فقد كان النظر في الدين بأحكامه وعقائده يسمى فقهاً ، ثم خصت الاعتقادات باسم «الفقه الأكبر» ، وخصت العمليات باسم الفقه ، وسميت مباحث الاعتقادات «علم الكلام»<sup>(١)</sup>.

وأسارع فأذكر أن الذين أفتوا في عهد الرسول (صلوات الله عليه وسلامه) كانوا ممن تعلموا الكتابة ، واشتغلوا بالقراءة والإقراء ، بل أطلق لفظ القراء على أهل الفتوى ، ومن يؤخذ عنهم الدين ؛ جاء في مقدمة ابن خلدون : «أن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا ، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم ، وإنما كان ذلك مختصاً بالحاملين للقرآن ، العارفين بناسخه ومنسوخه ، ومتشابهه ومحكمه ، وسائر دلالاته بما تلقوه من النبي (صلى الله عليه وسلم) أو ممن سمعه منهم ومن عليتهم ، وكانوا يسمون لذلك القراء ، أى الذين يقرءون الكتاب ؛ لأن العرب كانوا أمة أمية ، فاختص من كان منهم قارئاً للكتاب بهذا الاسم»<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا النص تعليل لاشتغال هؤلاء القراء بالإفتاء ، ولم كان الدين مأخوذاً عنهم ، ومختصاً بهم دون غيرهم .

ومن ذكروا بالإفتاء من الصحابة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن ثابت ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعري ، وسلمان الفارسي (رضى الله عنهم أجمعين)<sup>(٣)</sup>

وقد حفظ التاريخ لمعظم هؤلاء المفتين عملاً جليلاً في سبيل القرآن . في جمعه ، أو توحيد نصه ، أو كتابته ، أو إقرائه على النحو الذى بينت من قبل<sup>(٤)</sup> . وأزيد هنا أن ابن مسعود إلى جانب تجويده القرآن وتحقيقه وترتيبه كان يتعلم من رسول الله - فيما يتعلم - الأعمال التى تشتمل عليها آيات القرآن ، قال : «كنا نتعلم من النبي (صلى الله عليه وسلم) عشر آيات فما نتعلم العشر التى بعدهن حتى نتعلم ما أنزل الله في هذه العشر من العمل»<sup>(٥)</sup> . وهو مع ذلك الإمام في تجويد القرآن ، وتحقيقه ، وترتيبه مع حسن الصوت<sup>(٦)</sup> . وحذيفة بن اليمان وردت الرواية عنه في حروف القرآن<sup>(٧)</sup>

(١) تاريخ الفلسفة الإسلامية / ٥٠ (٢) مقدمة ابن خلدون / ٤٤٦ ط مصطفى محمد

(٣) الحطط القرظية ١٤٢/٤ ط الملبجى

(٤) انظر صفحات ٣ وما بعدها من هذا البحث

(٥) طبقات القراء ٤٠٩/١ (٦) نفس المصدر (٧) طبقات القراء ٢٠٣/١

وزيد بن ثابت موسوم في كتب الطبقات بأنه المقرئ<sup>(١)</sup>، وأبي بن كعب من القراء الذين قرءوا على النبي القرآن العظيم، وقرأ عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) بعض القرآن للإرشاد والتعليم<sup>(٢)</sup>. ومعاذ بن جبل عالم بالحلال والحرام، وعن أشار إليه النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله: «خذوا القرآن من أربعة»<sup>(٣)</sup>، وأبو الدرداء قاضي دمشق، وحكيم هذه الأمة، وأحد الذين جمعوا القرآن حفظاً على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم)<sup>(٤)</sup>. وأبو موسى الأشعري حفظ القرآن وعرضه على النبي (صلى الله عليه وسلم)<sup>(٥)</sup>، وقد أرسل إليه عمر بن الخطاب رسالته المشهورة التي تعد دستور القضاء<sup>(٦)</sup>، وهكذا كان كل واحد من هؤلاء الأعلام ذا قدم راسخة في القراءة والإقراء والإفتاء، وبقي اسم القراء يطلق صدر الملة على أهل الفتوى، ثم عظمت أمصار الإسلام وذهبت الأمية من العرب<sup>(٧)</sup>، ولم تعد القراءة مقصورة على أولئك الذين يقرءون الكتاب، هنالك - ومنذ عصر بني أمية - استعمل لفظ العلم للدلالة على حفظ القرآن، ورواية السنن والآثار، وسمى أهل هذا الشأن «العلماء» واستعمل لفظ الفقه للدلالة على استنباط الأحكام الشرعية بالنظر العقلي، فيما لم يرد فيه نص كتاب ولا سنة، وسمى أهل هذا الشأن الفقهاء<sup>(٨)</sup>.

وكانت الأمة العربية في الصدر الأول لا تزال قريبة العهد بالبداءة، تعيش على الفطرة في غير تعقيد، قليلة الأحداث التي تعرض لها من ناحية العقيدة، وكان التشريع كافياً في إقامة دين هذه الأمة وسياستها سياسة رشيدة دون حاجة إلى إعمال الفكر في رأى أو اتجاه إلى قياس اللهم إلا في النادر القليل<sup>(٩)</sup>.

ومنذ عهد بني أمية اتسعت المملكة الإسلامية، ودخل فيها كثير من أمم الأرض، وانتقل العرب إلى هذه الأقطار المفتوحة، وتفرق القراء وعلماء الصحابة في البلاد، وصار كل واحد مقتدى ناحية من النواحي، وكثرت الوقائع واستفتوا

(١) نفس المصدر ٢٩٦

(٢) المصدر السابق ٣١ (٣) طبقات القراء ٣٠١/٢

(٤) نفس المصدر ٦٠٦/٢ (٥) المصدر السابق ٤٢٢/٢

(٦) السكامل للمبرد ٩/١ (٧) مقدمة ابن خلدون ٤٤٦

(٨) تمهيد التاريخ، الفلسفة الإسلامية ١٩٣

واظن جامع بيان العلم لابن عبد البر مصر ادارة الطباعة المنيرية ٢٣/٢ - ٣٣

(٩) انظر تاريخ التشريع الإسلامى ١٢٦



فيها فأجاب كل واحد على حسب حفظه أو استنباطه ، وإن لم يجد فيما حفظه أو استنبطه ما يصلح للجواب اجتهد برأيه (١) .

وينقسم الفقه إلى طريقتين - طريقة أهل الرأي والقياس ، وهم أهل العراق أتباع أبي حنيفة ، وطريقة أهل الحديث وهم أهل الحجاز (٢) أتباع مالك .

وتوسط بين أهل الحديث وأهل الرأي محمد بن إدريس الشافعي ( ٢٠٤ هـ ) وهو الذي وضع نظام الاستنباط الشرعي من أصول الفقه ، ولقد انتهى علم أصول الفقه بأن جمع بين مسائل المنطق وأبحاث الفلسفة والكلام شيئاً غير قليل (٣) ، ذلك أنه في نهاية القرن الأول الهجري وعلى يد المعتزلة ظهر علم الكلام وشاع ، وكان هؤلاء يعتمدون على الجدل والمنطق في كلامهم (٤) .

وبجانب المعتزلة فرق الخوارج (٥) ، والروافض (٦) ، والكرامية (٧) ، والجبورية (٨) ، والمرجئة (٩) ، والصوفية (١٠) ، وغير هؤلاء يتظاهرون بالإسلام (١١) وغيرهم خارجون عليه ، من يهود ساسرية ، ومعادية ، وعيسوية (١٢) . ونصارى ؛ ملكانية ونسطورية ويعقوبية (١٣) . ومجوس : زرادشتية ، وثنوية : مانوية ومزدكية . . . وصائبة (١٤) ، وكل هؤلاء وهؤلاء لهم آراء في أصول الدين والعقيدة ينافح عنها بالحجة ، ويدعو إليها بالدليل ، ويقارع غيره بالقياس والتعليل ، وما كان منهم إلا من نظر في الفلسفة ، وسلك من طرقها ما وقع عليه اختياره فلم يبق مصر من الأمصار ، ولا قطر من الأقطار إلا وفيه طوائف كثيرة من هذه الفرق ، حتى إذا كانت نهاية القرن الثالث الهجري ظهر السني « أبو الحسن الأشعري ، يرد على المعتزلة ، وينصر عقائد أهل السنة بالأدلة العقلية ، وساعده على ذلك أنه كان

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية / ١٨٨

(٢) انظر في تفصيل ذلك ص ١٦٠ / ٢

(٣) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية / ١٣٤

(٤) المصدر السابق / ٢٨٨

(٥) اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين للإمام الرازي ٤٦-٥١

(٦) المصدر السابق / ٥٢ (٧) المصدر السابق / ٦٧

(٨) ص ٦٨ (٩) ص ٧٠

(١٠) ص ٧٢ (١١) ص ٧٦

(١٢) ص ٨٣ (١٣) ص ٨٤

(١٤) ص ٨٦

تليذاً لأبي على الجبائي المعتزلي ثم بدا له فتحول عن الاعتزال <sup>(١)</sup> ويمس أبا على الفارسي طائف من هذا الاتجاه ، فيتهم بالاعتزال <sup>(٢)</sup> ويؤلف كتاب التتبع لأبي على الجبائي <sup>(٣)</sup> .

وهكذا تحول العالم الإسلامي في العصر العباسي الأول وما قبله بقليل إلى صراع فتن في العقائد ، وجدل قوى في الفقه والفرائض ، وذاع ذلك في مجالس الخلفاء <sup>(٤)</sup> وفي الطرقات <sup>(٥)</sup> وحلقات المساجد <sup>(٦)</sup> ، وامتزجت أبحاث الفقهاء والمتكلمين بأبحاث النحو والنحويين ، وأعان على ذلك عدم التخصص في الدراسة ، وأخذ كل فريق بسبب من ثقافة الآخر إلى أن الأئمة من هؤلاء وهؤلاء كانوا متعاصرين ، فالحسن البصري (١١٠ هـ) <sup>(٧)</sup> يعاصره عبد الله بن أبي اسحق (سنة ١١٧ هـ) <sup>(٨)</sup> ، ويحيى بن يعمر (١٢٨ هـ) <sup>(٩)</sup> . وكل من هؤلاء معاصر لواصل بن عطاء المعتزلي (١٣١ هـ) <sup>(١٠)</sup> .

وعمر بن عبيد المعتزلي (١٤٢ هـ) <sup>(١١)</sup> يعاصره عيسى بن عمر النحوي (١٤٩ هـ) <sup>(١٢)</sup> وأبو عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ) <sup>(١٣)</sup> ، وهؤلاء جميعاً يعاصرون أبا حنيفة النعمان (١٥٠ هـ) <sup>(١٤)</sup> ، وقد توفي كل من أبي يوسف صاحب أبي حنيفة ويونس بن حبيب البصري سنة ١٨٢ هـ على ما يذكر ابن العماد الحنبلي في الشذرات ومحمد بن الحسن (١٨٩ هـ) كان معاصراً لسيبويه (١٨٠ هـ) ، وحسبك هؤلاء الأئمة إمعاناً في الجدل ، وثبتاً بالقياس ، وتعمقاً في المباحث المنطقية . وكثيراً ما كانت تتعقد صلات الصداقة بين هؤلاء وهؤلاء ، أو ينفرط عقد المودة بينهم ، ومهما يكن من أمر فإن في هذه وتلك لقاحاً للعقول ، أو دافعاً إلى التسليح بما يتسلح به الخصوم ، فقد قالوا : « إن ابن المقفع كان صديقاً للخليل بن أحمد <sup>(١٥)</sup> » ،

- |                                  |   |
|----------------------------------|---|
| (١) المخطط القرظية ١٨٤/٤         | (٢) معجم الأدباء ٢٣٤/٧                                      |
| (٣) معجم الأدباء ٢٤١/٧           | (٤) نقل السيوطي في الأشياء والنظائر كثيراً من هذه المحادلات |
| (٥) ضحى الإسلام ١٠١/٣            | (٦) وفيات الأعيان ٤٢٦/٦                                     |
| (٧) شذرات الذهب ١٧٥/١            | (٨) المصدر السابق ١٣٦/١                                     |
| (٩) شذرات الذهب ١٧٤/١            | (١٠) المصدر السابق ١٧٩/١                                    |
| (١١) شذرات الذهب سنة ١٤٢ هـ      | (١٢) شذرات الذهب وفيات سنة ١٥٠ هـ                           |
| (١٣) المصدر السابق سنة ١٥٠ هـ    | (١٤) المصدر السابق وفيات سنة ٨٢ هـ                          |
| (١٥) تاريخ الفلسفة الإسلامية ٣٩/ |   |

« وثمامة بن أشرس كان كذلك لأبي زكريا يحيى الفراء <sup>(١)</sup> ، وقالوا : « إن أبا يوسف صاحب أبي خنيفة كان يقع في أبي الحسن على بن حمزة الكسائي <sup>(٢)</sup> . »

ويذكر السيوطي في آخر بغية الوعاة بابا في المنتقى في أحاديث النحاة <sup>(٣)</sup> لم يذكر في أساندها من اشتهر بفن غير النحو <sup>(٤)</sup> ، ولم يدع فيها أحداً ممن تحقق أنه نحوي إلا ذكره .

ويكون هناك تفاعل بين النحويين والفقهاء ، وتختلط أبحاث هؤلاء بأبحاث هؤلاء : قال أبو بكر بن شقير : حدثني أبو جعفر الطبري قال : سمعت الجرمي يقول : أنا منذ ثلاثون أفتى الناس في الفقه من كتاب سيديوه قال : فحدثت به محمد بن يزيد على وجه التعجب والإنكار فقال : أنا سمعت الجرمي يقول هذا - وأوماً بيده إلى أذنيه - . <sup>(٥)</sup> وحكى الدوري قال : كان أبو يوسف يقول : أى شيء يحسن الكسائي؟ إنما يحسن شيئاً من كلام العرب ، فبلغ ذلك الكسائي فالتقى عند الرشيد ، وكان الرشيد يعظم الكسائي لتأديبه إياه ، فقال لأبي يوسف : « يا يعقوب ! إيش تقول في رجل قال لامرأته : « أنت طالق طالق طالق ؟ قال : « واحدة ! ، قال : « فإن قال لها : « أنت طالق أو طالق أو طالق ؟ ، قال : « واحدة ! ، قال : « فإن قال لها : « أنت طالق ثم طالق ثم طالق ؟ ، قال : « واحدة ! ، قال : « فإن قال لها : « أنت طالق وطالق وطالق ، قال : « واحدة ! ، قال الكسائي : « يا أمير المؤمنين ! أخطأ يعقوب في اثنتين ، وأصاب في اثنتين ، أما قوله : أنت طالق طالق طالق فواحدة ؛ لأن الثنتين الباقيتين تأكيد كما تقول : « أنت قائم قائم قائم ، وأنت كريم كريم كريم ، ، وأما قوله : « أنت طالق أو طالق أو طالق ، فهذا شك فوقعت الأولى التي تتيقن ، وأما قوله : « أنت طالق ثم طالق ثم طالق ، فثلاث ؛ لأنه نسق ، وكذلك قوله : « أنت طالق وطالق وطالق <sup>(٦)</sup> . » وضرب أبو على الفارسي مثلاً للاتساع والحذف قولهم في صريح الطلاق : « أنت واحدة تقديره أنت ذات تطليقة واحدة ، فحذف المضاف والمضاف إليه ، وأقيم صفة المضاف إليه مقام الاسم الموصوف <sup>(٧)</sup> . »

(١) تركة الألباء / ٦٨

(٢) المصدر السابق / ٤٦

(٤) ص ٤٤١

(٦) تركة الألباء / ٤٧

(٣) ص ٤٤٠

(٥) طبقات الزبيدي / ٧٧

(٧) الإيضاح : ٥٢

وكتب الرشيد ليلة إلى القاضي أبي يرسف يسأله عن قول القائل :  
فإن ترفقي يا هند فالرفق آين \* وإن تخرقى يا هند فالخرق أشأم  
فأنت طلاق\*، والطلاق عزيمة \* ثلاث ، ومن يخرق أعق وأظلم  
فقال : « ماذا يلزمه إذا رفع الثلاث وإذا نصبها ؟ » قال أبو يوسف : فقلت :  
« هذه مسألة نحوية فقهية ، ولا آمن الخطأ إن قلت فيها برأيي ، فأنت الكسائي  
وهو في فرشه فسألته فقال : « إن رفع ثلاثاً طلقت واحدة ؛ لأنه قال : أنت طلاق  
ثم أخبر أن الطلاق التام ثلاث . وإن نصبها طلقت ثلاثاً : لأن معناه أنت طالق  
ثلاثاً وما بينهما جملة معترضة <sup>(١)</sup> . »

ويروى عن بشر المريسي من أئمة المعتزلة <sup>(٢)</sup> ، أنه قال للفراء : « يا أبا زكرياء !  
أريد أن أسألك مسألة في الفقه ، فقال : سل ! فقال : « ما تقول في رجل سها  
في سجدتي السهو ؟ » قال : « لا شيء عليه ، قال : « من أين لك ذلك ؟ » قال : « فسته  
على مذاهبنا في العربية ، وذلك أن المصغر لا يصغر ، وكذلك لا يلتفت إلى السهو  
في السهو <sup>(٣)</sup> ، ويوزع نجم الدين الطوفي ( ت ٧١٦ هـ ) في كتابه « الصعقة الغضبية ،  
الآبحاث المتعلقة بالعربية على المسائل الفقهية <sup>(٤)</sup> »

وعقد الشبه بين النحويين والفقهاء : فعن بكار بن قيس أنه قال : « ما رأيت  
نحوياً قط يشبه الفقهاء إلا حيان بن هلال والمازني <sup>(٥)</sup> . »  
ويؤلف النحاة كتباً في أصول النحو ، كما يؤلف الفقهاء في أصول الفقه كما فعل  
ابن السراج <sup>(٦)</sup> . وتأخذ كتب النحاة أسماء كتب الفقهاء <sup>(٧)</sup> . ويقال إن الشيخ  
أبا اسحق الشيرازي أخذ من ابن جنى أسماء كتبه ؛ فإن له المذهب والتنبيه ، واللمع  
والتبصرة في أصول الفقه <sup>(٨)</sup> .

- 
- (١) المنى لابن هشام ٥٠/١ ط المطبعة الأزهرية سنة ١٩٢٨  
(٢) ترجمته في لسان الميزان للحافظ ابن حجر ٢٩/٢ - ٣٠ - وتاريخ بغداد : وقد رد آراءه  
الدارمي من أهل السنة أنظر رد الامام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي تحقيق محمد  
حامد القمي مطبعة أنصار السنة المحمدية سنة ١٣٥٨ هـ .  
(٣) نزعة الألباء : ٦٩  
(٤) انظر ورقة ٦٣ وما بعدها والكتاب مخطوط بدار الكتب رقم ٢٢٨ مجاميع .  
(٥) نزعة الألباء / ١٢٦  
(٦) انظر ص ٤٩ من الاقتراح وس ١٦٩ من نزعة الألباء  
(٧) انظر فهرس دار الكتب في كل من النحو والفقه .  
(٨) وفيات الأعيان ٤١٢/٢

وتسربت اصطلاحات الفقهاء والمتكلمين وطرائقهم إلى كتب النحاة ، ويقول ابن جنى : « إن أصحابنا انتزعوا العلل من كتب محمد بن الحسن ، وجعلوها منها بالملاطفة والرفق <sup>(١)</sup> » .

وعقد بابا في كتابه الخصائص عن علل العربية : « كلامية هي أم فقهية <sup>(٢)</sup> ؟ كما عقد بابا في الخصائص أيضاً مما يشبه تداخل اللغات تركيب المذاهب ، ويشبهه في أصول الفقه إحداث قول ثالث ، والتلفيق بين المذهبين <sup>(٣)</sup> .

ونقل السيوطي في الاقتراح قول ابن جنى : « إذا أدرك القياس إلى شيء ما ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره فدع ما كنت عليه . ثم علق عليه بقوله : « وهذا يشبهه في أصول الفقه نقض الاجتهاد إذا بان النص بخلافه <sup>(٤)</sup> » .

وابن الأنباري يؤلف في علم الجدل في النحو ، وعلم أصول النحو ، فيعرف به القياس وتركيبه وأقسامه : من قياس العلة ، وقياس الشبه ، وقياس الطرد إلى غير ذلك على حد أصول الفقه ، فإن بينهما من المناسبة ما لا خفاء به : « لأن النحو معقول من منقول ، كما أن الفقه معقول من منقول <sup>(٥)</sup> » .

وفي النظر بين عجز الفقيه عن التعليل وعجز النحوي عنه قالوا : « إذا عجز الفقيه عن تعليل الحكم قال : « هذا تعبدى » ، وإذا عجز النحوي عنه قال : هذا مسموع <sup>(٦)</sup> » ، ويقول ابن جنى في مسألة أوردها محمد بن الحسن في كتاب الإيمان : « أن هذه المسألة فتوى الفقيه فيها مسوق على كلام النحوي عليها ، وكذلك معظم مسائل الإيمان <sup>(٧)</sup> » .

وكان هناك تناظر بين ما يمدح به المتكلمون وما يمدح به النحويون فالنظام قياس <sup>(٨)</sup> ، كذلك كان عبد الله بن أبي إسحق <sup>(٩)</sup> ، وعيسى بن عمر <sup>(١٠)</sup> ، والخليل ابن أحمد <sup>(١١)</sup> و . . .

(١) الاقتراح / ٥١ (٢) الخصائص / ٤٦

(٣) الاقتراح للسيوطي / ٣٦ (٤) الاقتراح / ٨٦

(٥) نزعة الألباء / ٦١ والاقتراح / ٣ (٦) الاقتراح ص ٤٧

(٧) انظر مسألة في الأخبار والماني مخطوط مصور بدار الأمانة العامة للجامعة العربية .

(٨) تاريخ الفلسفة في الاسلام / ٦٠

(٩) الفهرست لابن النديم / ٦٤ وانظر ص ١٢ من نزعة الألباء ، و ص ١١ من طبقات

الشعراء لابن سلام .

(١٠) الكتاب لسيبويه ١ / ٣١٣ (١١) نزعة الألباء / ٢٩

ويؤلف النحاة كتباً تأخذ اسم العلل أو القياس ، أو الاحتجاج : فابن مروان الكوفي له كتاب القياس على أصول النحو <sup>(١)</sup> ، وهشام الضرير له : كتاب القياس <sup>(٢)</sup> ، وأبو علي الحسن بن عبد الله الأصفهاني له : كتاب علل النحو <sup>(٣)</sup> ، وكتاب تقض علل النحو <sup>(٤)</sup> ، والمهلب أبو العباس أحمد بن محمد يؤلف شرح علل النحو <sup>(٥)</sup> . وإسماعيل بن محمد القمي كتاب العلل <sup>(٦)</sup> وكذلك لأبي محمد بن الحسين <sup>(٧)</sup> وألف علي بن محمد بن عبدوس كتاب البرهان في علل النحو <sup>(٨)</sup> ، وكذلك ألف قطرب أبو علي محمد بن المستنير كتاب العلل في النحو <sup>(٩)</sup> ، وكذلك كان للأخفش المجاشعي كتاب المقاييس في النحو <sup>(١٠)</sup> ولأبي الخير الحسن بن سوار البغدادى مقال في أن دليل يحيى النحو على حدوث العالم أولى بالقبول من دليل المتكلمين <sup>(١١)</sup> ويطرد التقارض بين النحاة والمتكلمين حتى يجيء أبو علي القارسي فيؤثر عنه أنه قال : « أخطئ في خمسين مسألة في اللغة ، ولا أخطئ في واحدة من القياس » <sup>(١٢)</sup> . وهكذا يتسلم أبو علي القارسي هذا التراث العقلي من القراء ، والفقهاء ، والمتكلمين ، والنحاة ، ويكون لكل من هؤلاء أثره في تأليف القارسي واتجاهاته على النحو الذي أبينه فيما بعد إن شاء الله .

- 
- |  |                               |
|--|-------------------------------|
| (١) النهرست / ١٠٥  | (٢) المصدر السابق / ١٠٤       |
| (٣) النهرست / ١٢٠  | (٤) المصدر السابق / ١٢١       |
| (٥) المصدر السابق / ١٢٥  | (٦) نفس المصدر والصفحة        |
| (٧) النهرست / ١٢٨  | (٨) النهرست لابن النديم / ١٢٧ |
| (٩) المصدر السابق  | (١٠) النهرست / ٧٨             |
| (١١) انظر فهرس المخطوطات : ١٣٩ والمقال مخطوط محفوظ براجي باشا ١٤٦٣/٣ |                               |
| (١٢) نزعة الألباء / ٢١٠  |                               |

## عُصْرُ أَبِي عَلِيٍّ وَحَيَاتُهُ وَآثَارُهُ

### الحال السياسي

قامت الدولة العباسية على أكتاف الفرس ودعوتهم ، وحفظ العباسيون لهم هذه العارفة ، فاتخذوا منهم القادة ، والقضاة ، والولاة ، والوزراء ، والكتاب ، والحجاب ، ورؤساء الشرطة . . . إلا أن الفرس كانوا يأملون أكثر بما نالوا في ظل بني العباس من مكانة ونفوذ ، فحكوا الدسائس ، وأحكموا المؤامرات والمساكيد ، وفطن الخلفاء العباسيون في صدر دولتهم ، إلى ما يحيك الكائدون والمتنمرون فبطشوا بهم جبارين فكان قتل أبي مسلم الخراساني ، وأبي سلة الخلال ، وكانت نكبة البرامكة على ما هو متعالم معروف .

ثم دب دبيب النزاع بين العرب والفرس مرة أخرى ، في تلك الفتنة التي كانت بين الأيمن ومن ورائه العرب - والمأمون ومن ورائه الفرس ، وانتهت بانتصار هؤلاء يمثلهم المأمون على خصومهم يمثلين في قتل الأيمن

ولكن الفرس لم يقنعوا ؛ فكانت ثورة دبابك الحرقي<sup>(١)</sup> ، وكانت مناهضته للمأمون ، ثم كانت انتصاراته الباهرة حتى إذا شعر المأمون بدنو أجله استدعى أخاه المعتصم ، وألح عليه أن يداوم على حرب البابكية بصرامة وحزم .

ولكن المعتصم ( ٢١٨ - ٢٦٧ هـ ) وقد رأى مناهضة الفرس ، ومعارضة العرب - ولي وجهه نحو عنصر آخر هو الأتراك ، فاتجه إلى بلاد الترك يستكثر غلبانها ، ويؤلف منهم جيشاً قوياً ، وأسكنهم بغداد حتى ضاقت بهم ، وزاحموا الناس في دورهم ، وتعرضوا للنساء ، فكان في كل يوم ربما قتل منهم جماعة ، حدث المؤرخون قالوا : د ركب المعتصم يوماً فلقبه رجل شيخ ، فقال للمعتصم : ديا أبا إسحق ! فأراد الجند ضربه فنعمهم المعتصم وقال له : د مالك يا شيخ ! ، فقال : ( د لا جزاك الله خيراً عن الجوار ) جاورتامة فرأيناك شر جار ، جئتنا هؤلاء العلوج من غلبانك الأتراك فأسكنتهم بيتنا فأيتمت بهم صبياننا ، وأرملت نساءنا ، والله لنقاتلنك بسهام

(١) تاريخ الأمم الإسلامية للأستاذ الخضري س ١٩٦

السحر (يعنى الدعاء) ، والمعتصم يسمع ذلك ، فدخل منزله ، ولم ير راكبا إلا فى يوم مثل ذلك اليوم ، فركب وصلى بالناس العيد وسار إلى موضع سامرا فبناها (٢٢١ هـ) <sup>(١)</sup> . وربما كانت هذه القصة ملفقة ، لكنها على كل حال لها دلائلها من توغل هؤلاء العلوج الأتراك فى السلطان ، حتى أزالوا بعد هيبة الخلفاء .

وكان المتوكل (٢٢٣ — ٢٤٧ هـ) شديد الانحراف عن آل على (كرم الله وجهه) ، وفعل من حرث قبر الحسين (عليه السلام) ما فعل ، وكانت بينه وبين المنتصر ابنه مباينة ، فاتفق المنتصر مع جماعة من الأتراك على قتله ، وقتل وزيره الفتح بن خاقان ، فهجموا عليه وهو يشرب نخبطوه بالسيوف فقتلوه ، وقتلوا الفتح معه <sup>(٢)</sup> ، وكان ذلك أول اجترائهم <sup>(٣)</sup> فأصبح الخلفاء العوبة فى أيديهم ؛ ذاك لأنه عند موت المنتصر اجتمع أكابر المماليك وقالوا : متى ولينا أحداً من ولد المتوكل طلبنا وأهلكنا ، فأجمعوا على مبايعة المستعين ، وقالوا : هو ابن ابن مولانا المعتصم فإذا ما بايعناه لم تخرج الخلافة من ولد المعتصم ، وبايعوا المستعين (٢٤٨ — ٢٥٢) <sup>(٤)</sup> وهكذا استولى الأتراك على المملكة ، وأصبح الخليفة فى يدهم كالأسير ؛ إن شاءوا أبقوه وإن شاءوا خلعوه ، وإن شاءوا قتلوه . . . . . حكى الفخرى قال : لما جلس المعتز (٢٥٢ — ٢٥٥ هـ) على سرير الخلافة قعد خواصه ، وأحضروا المنجمين وقالوا لهم : انظروا كم يعيش ؟ وكم يبق فى الخلافة ؟ ، وكان بالجلس بعض الظرفاء فقال : أنا أعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته ، فقالوا له : فكم تقول إنه يعيش ؟ وكم يملك ؟ ، قال : دمه ما أراد الأتراك . . . . .

ونار الأتراك بالمعتز وضربوه بالدبابيس ، وخرقوا قميصه ، وأقاموه فى الشمس فكان يرفع رجلاه ، ويضع أخرى لشدة الحر ، وكان بعضهم يلطمه ، وهو يتقى بيده ، ثم جعلوه فى بيت ، وسدوا بابه ، حتى مات بعد أن أشهدوا عليه أنه خلع نفسه !! <sup>(٥)</sup> .

(١) الفخرى ٢٠٥ — ٢٠٦

(٢) المصدر السابق ٢١٠

(٣) تاريخ آداب العرب لجورجى زيدان ج ٢/ ١٥٣

(٤) الفخرى ٢١٢

(٥) الكامل لابن الأثير ج ٧/ ٧٧ والفخرى ٢١٥



ثم زاد الطين بلة :

١ — ظهور القرامطة في عهد المكتفي بالله ( ٢٨٩ — ٢٩٥ هـ ) حتى قطعوا الدروب على الحاج<sup>(١)</sup> ، واقتلعوا الحجر الأسود<sup>(٢)</sup> ، ومكث في أيديهم عشرين سنة

ب — استكثار المقتدر — وكان صغير السن — من الخدم الروم والسودان حتى كان في داره أحد عشر ألف خادم ، وكأنه لم يكتف بما حل بالدولة من الاتراك ، فاستولى هؤلاء وهؤلاء على الخلافة ، وانغمس الخلفاء في الملذات ، وشغلوا بها عن تدبير الملك ، ودبت بينهم المنازعات فأسقط كل ذلك من هيبتهم يقتل المقتدر ، وتقطع رأسه ، وتمكك جثته مرمية على قارعة الطريق<sup>(٣)</sup> مكشوف العورة حتى مر رجل من الاكره فستر عورته بحشيش ثم حفر له في الموضع ودفن حتى عفا أثره<sup>(٤)</sup> .

وصادر القاهر ( ٢٢٠ — ٢٢٢ هـ ) أم المقتدر فعلقها برجل واحدة منكسة الرأس ، وأفسد الوزير ابن مقله قلوب الجند على القاهر ، وزين لهم حتى هجموا عليه وخلعوه وسمّوه حتى سالت عيناه إلى خديه ، ثم حبس وأفرج عنه حتى بلغ به الحال أن وقف بجامع المنصور يطلب الصدقة من الناس ١١ وفي أيام القاهر نبعت الدولة البويهية<sup>(٥)</sup> التي عاش في ظلها أبو على الفارسي .

وملك بعد القاهر ابن أخيه الراضي بالله ( ٣٢٢ — ٣٢٩ هـ ) وقد استوزر الراضي أبا جعفر الكرخي ، وكان هذا قصيراً جداً في غاية القصر فاحتاجوا - حتى يتمكن الوزير من مسارة الخليفة - أن يقطعوا من قوائم سرير الخليفة أربع أصابع ، وتطّير الناس من ذلك ، وقالوا هذا مؤذن بنقص الدولة ؛ وكذلك كان ؟ وقد أسلم الراضي قياده إلى ابن رائق ، وسمّاه أمير الأمراء ، وكلفه تدبير المملكة فانضم إليه أمراء العسكر ، وصاروا حزباً واحداً ، واستقبد ابن رائق أمير الأمراء بالأمور : ولى النظار والعمال ، ورفعت إليه المطالعات ، ورد الحكم في جميع الأمور إلى نظره ، ومن تلك الأيام خرجت الأمور من الخلافة العباسية ، واستولى الأعاجم وأرباب السيوف على الدولة ، وجبوا الاموال ، وكفوا يد الخليفة .

(٢) وفیات الأعيان ١/١٠١

(٤) تجارب الأمم ٥/٢٣٧

(١) الفخرى ٢٢٧

(٣) الفخرى ٢٣٣

(٥) الفخرى ٢٣٠

وقد نافس ابن رائق على إمرة الأمراء كثير من القواد ، فكان من نتائج هذا التنافس ، وبال وحروب ، وأهوال وخطوب ، ولم تنته هذه الفترة الصاخبة التي أطلق عليها المؤرخون فترة « أمير الأمراء » إلا باستيلاء البويهيين على بغداد ، فضاعت البقية الباقية من سلطة الخلفاء <sup>(١)</sup> .

وقد قبض (توزون) من أمراء الديلم على المتقي لله (٢٢٩ - ٢٣٣ هـ) ، وسمل عينيه ، وخلعه ، وبوع المستكني (٢٣٣ - ٢٣٤ هـ) الذي خلع من الخلافة ونهبت داره ، وسملت عيناه أيضاً <sup>(٢)</sup> ، ثم كانت الخلافة للطبيع لله (٢٣٥ - ٢٣٦ هـ) الذي خلع نفسه ، وترك الخلافة لولده الطائع (٣٦٣ - ٣٨١ هـ) ثم تتابع الخلفاء على نحو من هذا الضعف : القادر (٣٨١ - ٤٢٢ هـ) ، فابنه القائم بأمر الله (٤٢٢ هـ) وفي عهده انقضت دولة بني بويه ، وظهرت دولة بني سلجوق <sup>(٣)</sup> .

وهكذا لاقى الخلفاء العنت من خدمتهم الأتراك والروم والسودان : حبسوا ، وسملت عيونهم ، ونهبت دورهم ، وصودروا وقتلوا تقتيلاً ، وطرحوا جثثهم على قارعات الطرقات ، وضربت عليهم الذلة حتى سألوا الناس الصدقات !! .

ومنذ أوائل القرن الرابع الهجري تسافطت الدولة العباسية كسفاً هنا وهناك ففي أيام الراضى بالله (٢٢٢ - ٢٢٩ هـ) كانت فارس في يد علي بن بويه ، والرى وأصفهان والجبل في يد أخيه الحسن بن بويه ، والموصل وديار بكر وديار ربيعة ومضر في أيدي بني حمدان (٣١٧ - ٣٩٤ هـ) ، ومصر والشام في يد ابن طنج <sup>(٤)</sup> ، والمغرب ، وإفريقية في يد أبي القاسم القائم بأمر الله بن المهدي العلوي <sup>(٥)</sup> ، والاندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الأموي ، وخراسان والبلاد الشرقية في يد نصر بن أحمد الساماني <sup>(٦)</sup> ، وطبرستان وجرجان في يد الديلم ، والبحرين واليمامة في يد أبي طاهر القرمطي <sup>(٧)</sup> .

ولم يبق للخليفة العباسي إلا بغداد ، حتى جاء عضد الدولة من البويهيين فضم العراق إلى ملكه ، كما ضم إليه ملك البويهيين جميعها ، وضم إليه الموصل وبلاد

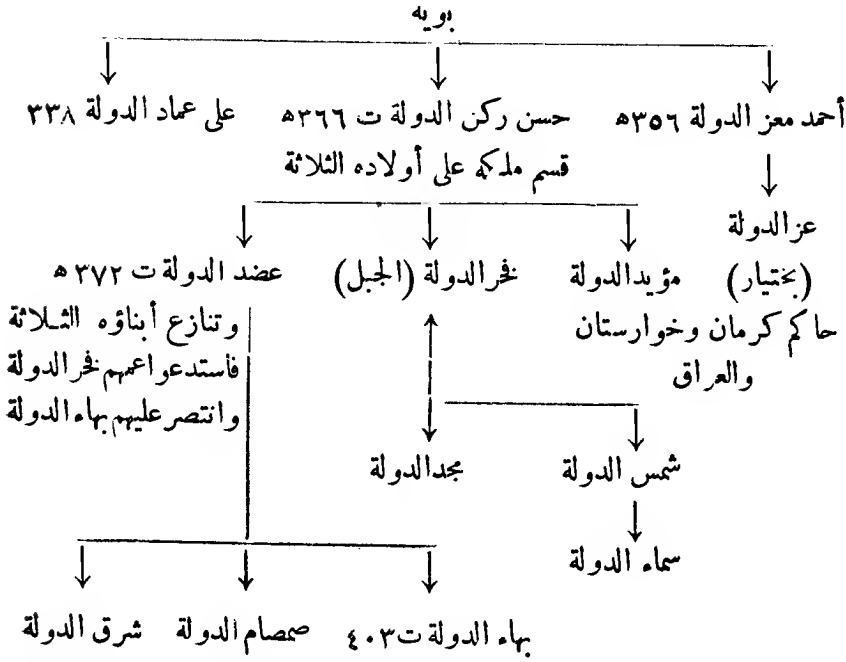
(١) تجارب الأمم ٣٥٣/٥ (٢) الغزى ٢٥٣

(٣) الغزى ٢٥٤ (٤) الغزى ٢٤٧

(٥) الكامل لابن الأثير حوادث سنة ٣٢٤ هـ

(٦) الغزى ٢٤٧ (٧) الكامل حوادث ٣٢٤ هـ

الجزيرة وسمى الملك . وهو أول من سعى بذلك في الإسلام ، وكان يقيم أحياناً في الرى ، وأحياناً في شيراز . فلما فتح العراق جعل عاصمة مملكه بغداد (١) .  
وفيا يلى رجال الأسرة البويهية الذين عاصروهم أبو على (٢) :



بهاء الدولة ٤٠٣هـ صمصام الدولة شرق الدولة  
وظل السامانيون يسيطرون على خراسان ، وما وراء النهر حتى جاء آل سبكتكين  
وأنزلوا السامانيين عن مكانهم ، وجلسوا محلهم في السيادة ، فكانت الدولة الغزنوية  
وتسمى أيضاً دولة بني سبكتكين ( ٣٥١ — ٥٨٢ هـ ) ، ومن أهم بلاد هذه الدولة  
ولاية سجستان . وقد نسب إليها كثير (٣) .

\*\*\*

ومهما يكن من خلاف في السنة التي ولد فيها أبو على الفارسي ، ومهما يكن  
من خلاف كذلك في السنة التي انتقل فيها إلى جوار ربه ، فإن الذى لا شك فيه  
أنه عاصر الدولة العباسية وهى توجد بأنفاس قوتها الأخيرة ، وقد أخذت الخلافة

الحال العلمية

(١) انظر تاريخ الشعوب الإسلامية تأليف كارل بروكلمان ج ٢/٩٣-٩٥

(٢) عن مادة بويه دائرة المعارف الإسلامية ص ٢٥٦

(٣) انظر وفيات الأعيان ٢/١٤٠ ، ١٥٢ ، ٣٩٣

في الانحلال والضعف ، فقد ولد في أخريات القرن الثالث الهجري — في أوائل خلافة المعتمد على الله ، ثم نسا الله في أجلة فعاش حتى أوائل الربع الأخير من القرن الرابع الهجري ، وإذن فقد رأى الدولة العباسية ، وقد تناثرت في هذه الدويلات التي استقل بها الأمراء في مشارق العالم الإسلامي ومغاربه . وكانت هذه الدولة تتنازع مجد العلم والأدب كما تتنازع السلطان ، وآتت عناية الخلفاء في العصر العباسي الأول بالحركة الفكرية — أكلها في ذلك الحين ، وكانت عجلة التقدم العلمي لا تزال دائرة في عصر الدويلات فكانت عهودها خيراً وبركة على العلم والعلماء ، والأدب والآداب ؛ بما رأى القائمون على أمر هذه الدولة من ملوك ووزراء أن التفاف الشعراء والكتاب والعلماء حولهم مظهر من مظاهر السلطان ، وحلية من حلي الزمان ، وسبيل إلى اكتمال أمتهم ، وذيوخ شهرتهم . حتى رأينا من لا يحسن العربية يزين ملهه بهؤلاء من رموس العلم والآداب في زمنه .

استدعى بجكم البركي حاكم واسط<sup>(١)</sup> ، وأمير بغداد والعراق أبا بكر محمد بن يحيى<sup>(٢)</sup> الصولي ، وكان مقرباً إليه ، وقال له : « إن أصحاب الأخبار رفعوا إلى أني لما طلبتك من المسجد ( وكان الصولي يقرأ درساً فيه ) قال الناس : « أئجله الأمير ولم يتم مجلسنا ، أفتراه يقرأ عليه شعراً أو نحواً أو يسمع من الحديث ؟ » ( يقولون ذلك تهكماً بجكم لأنه لا يحسن العربية ) ، ثم قال بجكم رداً على هذا : « أنا إنسان ، وإن كنت لا أحسن العلوم والآداب أحب ألا يكون في الأرض أديب ، ولا عالم ، ولا رأس في صناعة إلا كان في جنبي وتحت اصطناعي ، وبين يدي لا يفارقتي ، »<sup>(٣)</sup>

فالظر كيف بلغت به رغبته في اجتذاب العلماء مع ما فيه من عجة لا تبين ، ولا يرجى معها فهم شعراً أو نحواً أو استماع إلى المحدثين ؟ على أن منهم — إلى جانب ذلك — من كان عالماً محباً للعلماء راغباً في الاستفادة من علمهم ، وهذا عضد الدولة يناقش أبا على الفارسي مناقشة العالم ، ويستقل كتاب الإيضاح منه<sup>(٤)</sup> ، وقد حكم الأستاذ براون في كتابه التاريخ الأدبي للفرس أن السلطان محمود بن سبكتكين علم أن في مجلس مأمون بن مأمون جماعة من رجال

(١) الأوراق ص ١٩٥ (٢) وفيات الأعيان ١/١١١

(٣) الأوراق ص ١٩٥ وظهر الاسلام ج ١ ص ٩٥

(٤) شذرات الذهب ج ٣/٨٨

العلم والفلسفة منهم ابن سينا والبيروني، وأبو سهل المسيحي، وابن الحار، وأبو نصر العراق، فكتب إليه أن أرسلهم ليشرفوا بمجلسي، ونستفيد بعلمهم، لجمعهم مأمون ابن مأمون، وقرأ عليهم كتاب السلطان فآبي ابن سينا وفر، وقبل البيروني وابن الحار والعراق<sup>(١)</sup>.

وشيء آخر دعا إلى اجتذاب هؤلاء العلماء والأدباء، ذلك حاجة هؤلاء الملوك إلى أساطين البيان، ورؤساء صناعة الكتابة؛ إذ وجدوا فيهم سبيلاً إلى إبلاغ الرغائب، وإطفاء الفتن، وتأديب العصاة المارقين، ولساناً به يتحدثون ويوعدون ويرقون ويرعدون<sup>(٢)</sup>، وقد ظهر الكفاة في ذلك العصر أولئك الذين يجمعون بين البلاغة والسياسة فيحكمون بعدل، وينطقون بفصل، ويحملون الدولة، ويدبرون المملكة، ويسوسون الرعية، فإن انضاف إلى ذلك أن يكون الواحد منهم - أي الكافي - في بلاغته صاحب حظ، وفصاحة لفظ، وجمال منظر، وفي سياسته ذات حيل، وصحة فكر، وثبات عزيمة، فقد لبس كما يقول الثعالبي ثوب الفضل بعلمه، وأخذ الجبل بطرفيه، وصلاح لتدبير الدولة والممالك<sup>(٣)</sup>.

ومن هنا قال أبو إسحق الصابي مفتخراً :

وقد علم السلطان أني لسانه	وكاتبه الكافي السديد الموفق
أوازره فيما عرا، وأمدده	برأى يريه الشمس والليل أغسق
يمجدد بني نهج الهدى وهو دارس	ويفتح لي باب النهى وهو مغلق
ولي فقر تضحي الملوك فقيرة	إليها لدى أحداثها حين تطرق
أرد بها رأس الجحوش فينثني	وأجعلها صوت الحرون فيعتق <sup>(٤)</sup>

لذلك أغدق الملوك والوزراء على هؤلاء وهؤلاء الهدايا والعطاء

وتعددت العواصم الثقافية والعلمية فبعد أن كانت البصرة، والكوفة، وبغداد أصبحت - بجانب ذلك - شيراز، والري، وأصبهان، ودينور، وهمدان، وبخارى، ونيسابور، وسمرقند، وجرجان، وجلب، والقاهرة، ووجدنا من العلماء من ينسب

(١) ج ٩٦/٢ واظظر ظهر الإسلام ٢٨٦/١

(٢) اظظر نثر النظم وحل المقد ٢/

(٣) ظهر ورقة ١٤ تحفة الوزراء للشيخ أبي منصور الثعالبي مخطوطه • نحوش

(٤) البيئمة ج ٥٠/٢

إلى هذه البلاد أو غيرها ، ففيهم الآمدى <sup>(١)</sup> ، والأيوردي <sup>(٢)</sup> ، والاستراباذي <sup>(٣)</sup> ،  
والأنصاكي <sup>(٤)</sup> ، والبساسيري <sup>(٥)</sup> ، والبستي <sup>(٦)</sup> ، والبسطامي <sup>(٧)</sup> ، والسجزي <sup>(٨)</sup> ،  
والشهرستاني <sup>(٩)</sup> ، والطالقاني <sup>(١٠)</sup> ، والعسكري <sup>(١١)</sup> ، والفارابي ، والكرماني <sup>(١٢)</sup> ،  
والهروي <sup>(١٣)</sup> ، وأخيراً الفسوي ، وهو اللقب الذي يلقب به أبو علي الفارسي أحياناً .

وقد كثر ارتحال العلماء والأدباء وتنقلاتهم في هذه الممالك ، وكان السفر في طلب  
العلم مفخرة ، والقعود عنه معرة ، وهذا ابن شنبوذ (ت ٣٢٨ هـ) المقرئ  
البغدادى ينسب إلى الوزير ابن مقلة الكاتب المشهور - قلة المعرفة ، وغيره جلساؤه  
بأنهم ما سافروا في طلب العلم كما سافر <sup>(١٤)</sup> ، ومن هنا كان القاضي الجرجاني  
- كما يقول الثعالبي - خلف الخضر في قطع عرض الأرض ، وتدويج بلاد العراق  
والشام وغيرها . ثم عرج على حضرة صاحب ، وألقى بها عصا المسافر <sup>(١٥)</sup> .

وهذا الحافظ الكبير أبو بكر غندر محمد بن جعفر البغدادي كان رحالاً جوالاً  
توفي بأطراف خراسان غرباً ، سمع بالشام ، والعراق ، ومصر ، والجزيرة . . . ، ودخل  
إلى أرض الترك <sup>(١٦)</sup> ، وأبو الحسن السلاحي هجر بغداد إلى الموصل ، ثم ورد أصبهان  
ثم قصد عضد الدولة بشيراز <sup>(١٧)</sup> ، وأبو حاتم محمد بن حيان التميمي البستي يرحل  
إلى الآفاق ، ويتنقل بخراسان والشام ومصر والعراق والجزيرة ثم عاد إلى نيسابور  
وتوفي سنة (٣٥٤ هـ) . وارتحال المتنبي أشهر من أن ينبه إليه ، وهذا أبو علي  
الفارسي (٣٧٧ هـ) يرحل إلى بلاد كثيرة . شيراز ، والبصرة ، وبغداد ، وحلب ،  
وعسكر مكرم ، وهيث ، فكان من أثر ذلك مسائله : الشيرازيات ، والبصريات ،  
والبغداديات ، والحلبيات ، والعسكريات والهيثيات <sup>(١٨)</sup> .

- |                              |                            |
|------------------------------|----------------------------|
| (١) وفيات الأعيان ٤٥٦/٢      | (٢) المصدر السابق ٧٤/٤     |
| (٣) وفيات الأعيان ٢٤/٣       | (٤) نفس المصدر ١١٤/١       |
| (٥) الوفيات ١٧٢/١            | (٦) الوفيات ٤٥٤/١          |
| (٧) الوفيات ٢١٣/٣            | (٨) الوفيات ٣٩٣/٢          |
| (٩) ٤٠٣/٣                    | (١٠) ٢١٠/١                 |
| (١١) ٣٦٥/١                   | (١٢) ٨١/٤                  |
| (١٣) الوفيات ٨٠/١            | شذرات الذهب ٧٣/٣           |
| (١٤) وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٢٦ | (١٥) يتيمة الدهر ج ٣ : ٢٣٨ |
| (١٦) شذرات الذهب ج ٣/٧٣      | (١٧) يتيمة الدهر ج ٣/١٦٣   |
| (١٨) اللغني ١٠/٢             |                            |

وإذا اتخذنا الثعالبي ، والبيروني مثلاً لأدباء هذا العصر وعلائه عرفنا تولية  
الأدباء وجوههم شطر هذه الدول :

فالثعالبي : أهدى كتابه لطائف المعارف إلى الصاحب بن عباد ، والمبهيج ، والتمثيل ،  
والمحاضرة إلى شمس المعالي قابوس ، وسحر البلاغة وفقه اللغة إلى الأمير أبي الفضل  
الميكالي ، والنهاية في الكتابة ، وشر النظم ، والطائف والظرائف إلى مأمون  
ابن مأمون أمير خوارزم . وقدم أخبار ملوك الفرس وسيرهم إلى نصر أخى  
السلطان محمود .

والبيروني : أقام في خوارزم عند المأمونية ، ثم سار إلى شمس المعالي ، وقدم  
إليه كتاب الآثار الباقية ، ثم قصد السلطان محمود فلزمه وقدم إليه كتابه عن الهند ،  
وقدم كتاب التفهيم في علم التنجيم الذى ألفه بالعربية والفارسية إلى سيدة من خوارزم  
اسمها ريمانة ، ثم قدم القانون المسعودى فى النجوم إلى مسعود بن محمود ، وكتاب  
فى المعارف إلى السلطان مودود بن مسعود <sup>(١)</sup> .

وكانت هناك ارتحالات لطلب العلم كما كانت الارتحالات لطلب المال : حكى  
ابن خلكان قال : قال أبو على محمد بن وشاح بن عبد الله : سمعت أبا نصر بن نباته  
يقول : كنت يوماً قائلاً فى دهليزى ، فدق على الباب ، فقلت : « من ؟ » فقال :  
« رجل من أهل المشرق » ، فقلت : « ما حاجتك ؟ » فقال : « أنت القائل :  
من لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الأسباب ، والداء واحد ؟ »  
فقلت : « نعم » ، فقال : « أرويه عنك ؟ » فقلت : « نعم » ، فضى ، فلما كان  
آخر النهار دق على الباب فقلت : « من » ، فقال : « رجل من أهل تاهرت  
من الغرب » ، فقلت : « ما حاجتك ؟ » فقال : « أنت القائل : »

من لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الأسباب ، والداء واحد ؟  
فقلت : « نعم » ، فقال : « أرويه عنك ؟ » فقلت : « نعم » <sup>(٢)</sup> .  
وقد يكون ما يحكيه أبو نصر بن نباته (ت ٤٩٥ هـ) من قبل الدعاية إلى شعره  
وأنه يسير فى الآفاق ، ويصل إلى المشرق والمغرب ، ولكنه - يدل على الارتحال  
الذى شغف به أهل هذا العصر على كل حال .

(١) الرسالة مجلد ٢ عدد ٣٨ ص ٥٤٩ وما بعدها

(٢) وفيات الأعيان ج ٢/٣٦٥

وكانت مجالس الملوك والوزراء جامعة للعلماء والأدباء والفلاسفة والأطباء ، مثلاً ورد على بلاط سيف الدولة من اللغويين والنحاة : ابن خالويه ، وأبو علي الفارسي ، وابن جني ، وأبو الطيب اللغوي<sup>(١)</sup> ، وأبو الطيب المتنبي ، ومن الفلاسفة الأطباء الفارابي<sup>(٢)</sup> . ومن الكتاب أبو علي الحاتمي<sup>(٣)</sup> ، وأبو الفرج البيهقي<sup>(٤)</sup> ، وأبو الفرج الأصفهاني<sup>(٥)</sup> ، أما الشعراء فما أكثرهم ! وفد عليه : الصنوبري (ت ٣٣٤هـ) والناشي ، والنامي ، والخليع ، الشامي ، والوأواء ، الدمشقي وكشاجم ، وأبو فراس الحمداني ، والسري الرفاء ، والخلديان : أبو بكر محمد بن هاشم ، وأبو عثمان سعيد بن هاشم ، وابن نباتة السعدي ، وأبو الفرج البيهقي ، والزاهي .

وكذلك كان صاحب بن عباد : احتف به كما يقول الثعالبي - من نجوم الأرض وأفراد العصر ، وأبناء الفضل ، وفرسان الشعر من يربي عدد من على شعراء الرشيد... مثل أبي الحسين السلامي ، وأبي بكر الخوارزمي ، وأبي طالب المأموني ، وأبي الحسن البديهي ، وأبي سعد الرستمي ، وأبي القاسم الزعفراني ، وأبي العباس الضبي ، وأبي الحسن بن عبد العزيز الجرجاني . وأبي القاسم بن أبي العلا ، وأبي محمد الخازن ، وأبي هاشم العلوي ، وأبي الحسن الجوهري ، وبني المنجم وابن بابك ، وابن القاشاني ، وأبي الفضل الحمداني ، واسماعيل الشاشي ، وأبي العلا الاسدي ، وأبي الحسن النويري ، وأبي دلف الخزرجي ، وأبي الفياض الطبري وغيرهم<sup>(٦)</sup> .

وحلى هؤلاء هؤلاء قصورهم بالمكتبات التي جمعت أعداداً ضخمة من الكتب فمضد الدولة صاحب أبي علي - له خزنة كتب - عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد<sup>(٧)</sup> . والصاحب بن عباد يجمع من الكتب ما يحتاج في نقله إلى أربعةائة رجل<sup>(٨)</sup> ، وكان يعنى بطلب النسخ الصحيحة إلى خزنة كتبه عناية عظيمة حتى أنه أوفد إلى مدينة السلام أبا العلا الحسين بن محمد ليصحح كتاب التذكرة على أبي علي الفارسي نفسه<sup>(٩)</sup> . ويقول صاحب في كتاب إلى أبي علي الفارسي :

- 
- |                              |   |
|------------------------------|---|
| (١) ٣١٧/                     | (٢) كان الطب من فروع الفلسفة : جاء في ابن النديم : أن الطبيب الفاضل يجب أن يكون فيلسوفاً انظر الفهرست ص ٢٨٩ وما بعدها - وفیات الأعيان ٢٣٩/٤ |
| (٣) معجم الادباء ١٥٤/١٨      | (٤) وفیات الأعيان ٣٧٣/٢   |
| (٥) قس المصدر ٤٦٨/٢          | (٦) بذة الدهر ٣٢/٣  |
| (٧) أحسن التقاسم المقدسي ٤٤٩ | (٨) الكامل/بن الاثير ١/٧٧   |
| (٩) معجم الادباء ٢٤٢/٧       |   |



• لقد اعتمدت على صاحب أبي العلاء - أيده الله - لاستنساخ التذكرة ، وللشيخ - أدام الله عزه - رأيه الموفق في التمكن ، من الأصل والإذن بعد النسخ في العرض بإذن الله تعالى <sup>(١)</sup> . وقالوا : « إن فهرست كتب خزانة صاحب - يقع في عشر مجلدات على ما يروى أبو الحسن البيهقي <sup>(٢)</sup> .

وقد استحث هؤلاء الملوك العلماء على تأليف الكتب فألف أبو إسحق الصابي لعضد الدولة كتاباً في تاريخ آل بويه سماه الناجي <sup>(٣)</sup> ، وألف له علي بن العباس المجوسي الكناش العضدي في الطب <sup>(٤)</sup> ، وسمى أبو النصر محمد بن عبد الجبار العقبي كتابه اليميني نسبة إلى لقب محمود سبكتكين ، فقد لقبه الخليفة القادر بالله « يمين الدولة وأمين الدولة » <sup>(٥)</sup> ، وابن فارس يؤلف كتابه « الصاحب » نسبة إلى الصاحب ابن عباد <sup>(٦)</sup> ، وأبو علي الفارسي يؤلف العضدي <sup>(٧)</sup> نسبة إلى عضد الدولة وهكذا وهكذا .

واستبحرت العلوم الموضوعية والمترجمة في ذلك العصر ، وليس المقام هنا مقام التعداد أو التفصيل ، ويكفي للتدليل على ذلك - الاطلاع على كتاب الفهرست لابن النديم ، فهو وثيقة تبين ما وصل إليه المسلمون في حياتهم العقلية - حتى موت أبي علي الفارسي <sup>(٨)</sup> : في الكلام والمتكلمين ، والفقه والفقهاء والمحدثين ، والفلسفة والمفلسفين طبعيين ومنطقيين . . . الخ . ومثل الفهرست لابن النديم في إلقائه ضوءاً على الحياة العقلية في القرن الرابع الهجري كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي (ت ٣٨٧ هـ) . وقد جعله في مقاليتين : إحداهما لعلوم الشريعة والعربية وهي في ستة أبواب وفيها اثنان وخمسون فصلاً : في الفقه والكلام والنحو والكتاب والشعر والعروض والأخبار . والأخرى في علوم العجم من اليونانيين وغيرهم من الأمم في تسعة أبواب ، وفيها واحد وأربعون فصلاً : في الفلسفة ، والمنطق والطب ، وعلم العدد ، والهندسة ، والنجوم ، والموسيقى ، والحيل ، والكيمياء <sup>(٩)</sup> .

(١) مجمع الادباء ٣٥٠/٧ .

(٢) مجمع الادباء ٢٥٩/٦ (٣) الوفيات ٢١٨/٣

(٤) ٦٨/٢ ذيل تجارب الأمم تاريخ الحكماء .

(٥) ظهر الاسلام ٢٨٦/١ (٦) انظر الصاحب : ٢ ط المؤيد ١٩١٠ م

(٧) لبناء الرواة ٣٨٧/٢ .

(٨) صنف ابن النديم كتابه الفهرست سنة ٧٧ هـ وهي السنة التي توفي فيها أبو علي الفارسي

انظر ص ب من الفهرست

(٩) مفاتيح العلوم ص ٤ وانظر ظهر الاسلام ٢٢٩/١ - ٣٣٢ .

وعما تمتاز به الحركة العقلية في القرن الرابع الهجري ظهور مذهب الشيعة فالفاطميون يتشيعون ، والحدانيون كذلك ، وينوبويه لا يقلون عن هؤلاء وهؤلاء ويروى المؤرخون أنهم أخذوا أصول التشيع عن الحسن بن علي الاطروش ، الذي لبث فيهم ثلاث عشرة سنة ينشر بينهم التشيع ، فأسلم منهم خلق كثير ، والتفوا حوله ، كان ذلك أول القرن الرابع الهجري<sup>(١)</sup> . وكانت الكوفة أكبر مراكز التشيع ، فهي علوية من قديم ، وفيها مشهد على (كرم الله وجهه) حتى قال بعضهم : « من أراد الشهادة فليدخل دار البطيخ »<sup>(٢)</sup> بالكوفة وليقل (رحم الله عثمان بن عفان ا) وكانت البصرة - قبل القرن الرابع - عثمانية - حتى قالوا : (من نزل البصرة فلم يقر لهم بثلاث فليست له بدار : بفضل عثمان ، وفضل الحسن البصري ، ورطب الأزاز<sup>(٣)</sup>) ولكنها في غضون القرن الرابع امتد إليها مذهب التشيع حتى اضطر أبو بكر الصولت (٣٣٠ هـ) أن يستتر حتى مات لأنه روى خبراً في علي (كرم الله وجهه) فطلبته الخاصة والعامة لتقتله .

ولقد هم البويهيون أن يجعلوا الخلافة علوية شيعية بعد أن كانت عباسية سنية فقد أراد معز الدولة أن يبايع محمد بن يحيى الزيدى العلوى فلواه الصيمرى عن ذلك بقوله : « إذا بايعته استنفر عليك أهل خراسان وعوام البلدان ، وأطاعه الديلم ورفضوك ، وقبلوا أمره فيك ، وبنوا العباس قوم منصورون تعتل دولتهم مرة ، وتصح مرارا ، وتمرض تارة ، وتستقل أطوارا ؛ لأن أصلها ثابت ، وبنائها راسخ ، فعدل معز الدولة عن تعويله<sup>(٤)</sup> .

وكان أهل بغداد سنيين يحترمون الشيخين ، فلما جاء البويهيون شجعوا التشيع ورسموا للناس طقوساً ، ينوحون ويلطمون وجوههم يوم عاشوراء<sup>(٥)</sup> ويدهتجون بإظهار الزينة وإشعال النيران بعيد الغدير غدير خم<sup>(٦)</sup> ،

ومهما يكن من أمر فإن التشيع وثيق الصلة بالاعتزال : فالمعتصم كأخيه المأمون معتزلى يكرم الشيعة ، وجعفر المتوكل شديد الانحراف عن الشيعة والمعتزلة ، حتى أمر

(١) النجوم الزاهرة ١٨٥/٤ (٢) سوق الفاكية

(٣) ابن الفقيه ص ٢٦٦ ط: ليون (٤) حاشية ابن الأثير ٣١٥/٦

(٥) المتنظم ١٥/٧

(٦) السكامل لابن الأثير ١٧/٧ البداية والنهاية لابن كثير ٣٤٦

يهدم قبر الحسين <sup>(١)</sup> وعضد الدولة وهو من الأمراء المتهيين يعمل على مذهب المعتزلة <sup>(٢)</sup> ولا بد أن تكون قلة لإعتداد المعتزلة بالأخبار الماثورة بما لام أغراض الشيعة <sup>(٣)</sup> ، والطريقة التي سار عليها ابن بابويه القمي أكبر علماء الشيعة في القرن الرابع الهجري في كتابه المسمى كتاب العال تذكرنا بطريقة علماء المعتزلة الذين كانوا يبحثون عن علل كل شيء <sup>(٤)</sup> ، وكان في مذهب الشيعة كما كان في مذهب المعتزلة مكان لكل ألوان الزندقة : يحكي أن الوزير المهلب ظفر بقوم يزعمون أن روح علي بن أبي طالب وروح فاطمة قد انتقلت إليهم فحبسهم ، ولكنهم التجثوا إلى أهل البيت . فأمر معز الدولة بإطلاقهم . فلم يكن من الوزير إلا أن يدعن لمشيشته خوفاً من أن يتهم بالميل عن التشيع <sup>(٥)</sup> . وظهر التشيع في شعر ابن عباد <sup>(٦)</sup> ، كما ظهر الاعتزال في رسائله <sup>(٧)</sup> . وكان عباد أبو الصاحب يدين بالاعتزال فقد ألف كتاباً في أحكام القرآن نصر فيه الاعتزال وجود فيه <sup>(٨)</sup> ، ومن هناك أبو علي الفارسي يتشيع ، وكان يتهم بالاعتزال على ما سأعرض له في مكانه بالتفصيل

\* \* \*

المال الاقتصادية ولم يكن هناك توازن في الحال الاقتصادية : أموال تتدفق على خزائن الملوك والوزراء والرؤساء ، وفقر مدقع يعانيه الشعب ، وشاع بين الناس مصادرتهم ، لذلك أخفى الأغنياء أموالهم في غير نطاقها ، كالدفن في الأرض ، والإخفاء في الشقوق ، حتى حكوا أنه من حسن حظ أمير من آل بويه أن احتاج إلى مال كثير يصرفه على الجند ، وإلا شغبوا ، فصادف أن رأى ثعباناً يختبئ في السقف ، فأمر بالبحث عنه ، فوجدت غرفة فوق السقف ، وفوقها دور آخر علوى ، ووجدت هذه الغرفة مملوءة بالذهب المخزون في الخفاء ففرج ذلك كربه ، وأزال شدته . وعين أبو حسين الرقي قاضياً على حلب فكان يصادر التركات ويقول : « التركة لسيف الدولة ، وليس لأبي الحسين إلا أخذ الجمالة وشاع بين الناس : « من هلك فلسيف الدولة مالك » <sup>(٩)</sup> .

\* \* \*

- |                              |  |
|------------------------------|--|
| (١) الفخرى ٧٠٩               | (٢) أحسن التقاسيم ٢٣٨                    |
| (٣) الحضارة الإسلامية ١٠٢/١  | (٤) ابن الأثير ٣٣٩/٦                     |
| (٤) الحضارة الإسلامية ١٠١/١٠ | (٥) ابن الأثير ٣٣٩/٦                     |
| (٦) يتيمة الدهر ج ١٠١/٣      | (٧) رسائل الصاحب ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، مثلاً |
| (٨) معجم الأدباء ١٢٧/٦       | (٩) ظهر الإسلام ج ٧/٢ وما بعدها          |

فإذا انتقلت إلى الحديث عن الحياة الخلقية ، وجدنا من النصوص ما يكشف لنا عن صورتها في ذلك العصر . فيتحدث المؤرخون عن إهمال عضد الدولة (ت ٣٧٢هـ) للشرعية، ويستشهدون على ذلك بأنه فرض على الرافضات والقحاب بفارس ضريبة ، وكان يضمن هذه الضريبة <sup>(١)</sup> كما نجد تعشق الذكران شائعاً في ذلك العصر: فيحكى أن سيف الدولة كان له غلام يسمى باسم مؤنث وهو « نمل » ، وكان عزيزاً عليه <sup>(٢)</sup> وكان الصاحب بن عباد يتعشق غلاماً ألغى السنين وهذا « معز الدولة » يهيم حباً بمملوك تركي في غاية الجمال ، فيجعله مقدم الجيش لمحاربة بني حمدان ، وكان الوزير المهبلي يستحسنه ويرى « أنه من أهل الهوى لا مدد الوغى » فقال فيه :

طفل يرق الماء في وجناته ، ويرف عوده  
ويكاد من شبه العذا رى فيه أن تبدو نهوده  
ناطوا بمقعد خصره سيفاً ، ومنطقة تؤوده <sup>(٣)</sup>

وهكذا يخلط معز الدولة الجهاد بالمجون ، والجد بالاستهتار والفتون ، فلا يتحرج أن يجعل مقدم الجيش غلاماً أشبه بالعذارى ، قد تحير في أديم خديه ماء الهوى ، ورف عوده وكادت تبدو نهوده !!

جعلوه قائد عسكر ضاع الرعيل ومن يقوده  
وقد كان للشيخ أبي على الفارسي مثل ذلك ، محمد بن طويس القصرى - أحد تلاميذه وكان حدثاً ، وكان الشيخ يتعشقه ، ويخصه بالطرف ، وبحرص على الإملاء عليه والالفات إليه ، وبه سمى مسائله - على رأى - القصريات !! <sup>(٤)</sup> .

ولم ينج من الانغماس في هذه الحمأة أهل التوقر والنحرج ؛ فجرف التيار المتصوفة من أمثال ابن فهم الصوفي <sup>(٥)</sup> ، وأبي الوزير <sup>(٦)</sup> ، والقضاة كالجراحى أبي الحسن الذى يغمر بالحاجب إذا رأى مرطاً ، وأمل أن يقبل خدأ وقرطاً <sup>(٧)</sup> . والمتطبين والفلاسفة : كابن غسان البصرى الذى أحرق العشق كبده على غلام بباب الطاق <sup>(٨)</sup> ، والمنطقى أبي سليمان المفتون بصبي موصلى ملأ الدنيا عيارة وخسارة <sup>(٩)</sup>

(١) الحضارة الإسلامية ١٤١/٢ (٢) تاريخ تجارب الأمم لابن مكويه ٨٣١/٦

(٣) وفيات الأعيان ج ١/٣٩٤ (٤) معجم الأدباء ٢٠٦/١٨

(٥) الإمتاع ج ٢/١٦٦ (٦) نفس المرجع ج ٢/١٦٧

(٧) الإمتاع ج ٢/١٦٨ (٨) الإمتاع ج ٢/١٦٦

(٩) الإمتاع ج ٢/١٧٤

حتى القراء كاللكنائى المتيماً بصباغة المغنية <sup>(١)</sup> ولعل ظهور هذا الانحراف عند هؤلاء وهؤلاء كان من قبيل المجازاة ولم يكن عن رغبة نابعة في نفوسهم إلى الشهوة .

وفى بغداد فى القرن الرابع الهجرى ؛ كان درب السلق <sup>(٢)</sup> ودار القطن <sup>(٣)</sup> وباب الطاق <sup>(٤)</sup> ، وبين السورين ، ودرب الزعفرانى <sup>(٥)</sup> محلات للغناء والخلاعة والرقص . وهذا أبو حيان يلقى ضوءاً على هذه الحياة فيقول : بعد أن عدّ كثيراً من الاطراب والآغاني : « ولو ذكرت هذه الاطراب من المستمعين ، والآغاني من الرجال والصبيان والجوارى والحرائر لطال وأمل ، وزاحمت كل من صنف كتاباً فى الآغاني والآلحان ، وعهدى بهذا الحديث سنة ستين وثلاثمائة . وقد أحصينا ونحن جماعة فى الكرخ - أربعمائة وستين جارية ، ومائة وعشرين حرة ، وخمسة وتسعين من الصبيان البدور ، يجمعون بين الخلق والحسن ولظرف والعشرة ، هذا سوى من كنا لا نظفر به ، ولا نصل إليه لعزته وحرصه ورقبائه ، وسوى ما كما نسمعه ممن لا يتظاهر بالغناء ، وبالضرب إلا إذا نشط فى وقت ، أو ثمل فى حال ، وخلع العذار فى هوى قد حالقه وأضناه ، وترنم وأوقع ، وهز رأسه ، وصعد أنفاسه ، وأطرب جلّاسه ، واستكتمهم حاله ، وكشف عنهم حجابهم <sup>(٦)</sup> ... وهذا المقدسى - وقد زار العراق وجنوب فارس فى العهد البويهى - يحدثنا عن الفساد الشائع فى أهل شيراز القريبة من مولد أبي على <sup>(٧)</sup> وللصاحب بن عباد على جلال قدره شعر فى الذكران <sup>(٨)</sup> مما يدل على شيوع هذه الغلاميات فى غير تخرز أو حياء عند ذوى المسكنة من الأمراء والوزراء فكيف بالسوقة وطغام الناس والسفهاء ؟ !

على أن لكل موجة من الهوى والمجون فى كل عصر ما يقابلها من الهدى والصلاح ، وقد ظهر فى ذلك العصر زهاد ونساك وصوفية ووعاظ ومتعبدة ، بل حنابلة متشددة ، يحدثنا أبو الفداء فى تاريخه عن حوادث سنة ٣٢٣ هـ أن قد عظم أمر الحنابلة على الناس ، وصاروا يكبسون دور القواد والعامة ، فإن وجدوا نبذاً

(١) الإمتاع ١٨٢/٢

(٢) الإمتاع ١٦٧/٢

(٣) الإمتاع ١٦٥/٢

(٤) الإمتاع ١٧١/٢

(٥) الإمتاع ١٦٩/٢

(٦) انظر أحسن التماسيم ٤٢٩

(٧) الإمتاع ١٣٨/٢

(٨) انظر يتيمة الدهر ١٢/٣ وما بعدها

أراقوه ، وإن وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء ، واعترضوا في البيع والشراء ، وفي مشى الرجال مع الصبيان <sup>(١)</sup> .

ومن اشتهروا بالخير والتقوى أبو منيث الحسين بن منصور الحلاج الزاهد المشهور <sup>(٢)</sup> ، وأبو الحسن النساج الصوفي ( ت ٣٢٢ هـ ) <sup>(٣)</sup> ، وأبو بكر دلف ابن جحدر - وقيل جعفر - بن يونس المعروف بالشبلي الصالح المشهور ( ت ٣٣٤ ) <sup>(٤)</sup> وأبو طالب محمد بن علي الحارثي المكي صاحب كتاب قوت القلوب ( ت ٢٨٦ هـ ) <sup>(٥)</sup> وأبو الحسين محمد بن أحمد الواعظ المعروف بابن سمجون ( ت ٢٨٧ هـ ) <sup>(٦)</sup> وقد ذكره الحريري في المقامة الرازية <sup>(٧)</sup> .

وإلى جانب هؤلاء ما كان عند عامة الناس من تشدد في الدين وتعصب له على الخارجين وهذا ابن شنبوذ المقرئ يحضره ابن مقلة الكاتب المشهور ويحاسبه على قراءات شاذة اشتهرت عنه ، ويحبسه فيكلم أبو أيوب السلطان الوزير في أمره ويسأله في إطلاقه ، وعرفه ان صار إلى منزله قتلته العامة ، وسأله أن ينفذه في الليل سرأ إلى المدائن ليقيم بها أياماً ثم يدخل إلى منزله ببغداد مستخفياً ، ولا يظهر بها أياماً ..

وفي ذلك ما يدل على النزعات الدينية في نفوس العامة من أهل هذا الزمان <sup>(٨)</sup> ، والتسك الشديد بما للإسلام من تعاليم . إلى أن عضد الدولة - صاحب أبي علي - الذي حكيت شيئاً عنه في إهماله الشريعة - شوهد في كثير من تذاكيره وما كان يوقعه في تقاويمه : نذرنا للأمر الفلاني كيت وكيت ، وكذا وكذا ألف درهم للصديقة <sup>(٩)</sup> في هذا الجو السياسي المليء بالمكاييد والتنافس ، وفي هذه البيئة العلمية الناضجة بالتأليف والتشجيع ، وفي هذه الحياة الاجتماعية التي اختلطت فيها الأوزار والأقذار والمفاسد والمقايح بالهدى والزهد والتقوى والصلاح - عاش أبو علي وسنرى في الفصل الثاني مقدار ما تفاعل الشيخ هو والبيئة التي عاش فيها - مؤثراً ومتأثراً .

(١) تاريخ أبي الفداء ٨٧/١ (٢) وفيات الأعيان ٤٠٥/١

(٣) وفيات الأعيان ٢٣/٢ (٤) المصدر السابق ٣٩/٢

(٥) وفيات الأعيان ٣٤٠/٣ (٦) وفيات الأعيان ٣٤١/٣

(٧) اظر مقامات الحريري المقامة الحادية والعشرون

(٨) وفيات الأعيان ٤٢٨/٣ (٩) ذيل تجارب الامم ٦٦/٣

## الفصل الثاني

### أبو علي في عيشه ونفسه

هذا بحث عسير ، والسبيل إليه أشد مشقة وعسرا : إذ كيف يجلى الباحث شخصية مثل شخصية أبي علي الفارسي العالم اللغوى النحوى ؟ لو كان أبو علي أديبا - كاتباً أو شاعرا - لاستطعت التعرف عليه من خطرات نفسه ، وهو اجس حسه ، فإن آثار الأديب صورة لما اعتمل في نفسه من خواطر وأحاسيس ، وأمر آخر يجعل هذه الدراسة شاقة عسيرة : ذلك أن أبا علي لم يحظ من المترجمين الأولين - كابن النديم في الفهرست ، والزبيدي في الطبقات - إلا بأسطر لاتنفع غلة الباحث ، ولا تروى منه ظمأ ، فلم يزد الزبيدي على ذكر طرف من اتصالاته ببعض أمراء الدويلات في عصره في سطر ونصف <sup>(١)</sup> ، وأورد ابن النديم ترجمة في نحو ثلاثة أسطر ذكر فيها بعض تأليفه ثم أخطأ في تاريخ وفاته <sup>(٢)</sup> ، وهذا غاية ما كتبه المعاصرون لأبي علي عنه ، وهو من القلة والتشويه كما ترون . أما ما كتبه المتأخرون فهو أشتات من أنباء مقتضبة ، ثم هي مطلقة مرسله يعوزها التحقيق وتحتاج إلى دليل فما عساي - بعد هذا - أن أصنع في تجلية عيش أبي علي ونفسه ؟ وكيف يستقيم لي أن أتحدث عن بيئة أبي علي المكانية وصفاته العقلية والخلقية ... الخ والدراسة الحديثة تحتم على التحليل الدقيق حتى لو استطعت إحصاء أنفاسه فعلت ؟ ومن هنا جاءت المشقة والعسرة ، وهما أمر طبعي ، فطريق الباحثين لم تفرش بالورود ، هي وعرة وشائكة ، وإذن لا بد من المطاولة والمصاربة والمعاناة في استفتاء النصوص ، واستكناه الأحداث ، واستشفاف ما توحى به الآثار ، والمقابلة بين مختلف الأخبار حتى أمثل أبا علي بشراً سوياً ، وأطوع ما كان منه عصياً ، وذلك ما أنا في سبيل إلىه ...

(١) انظر طبقات الزبيدي ١٣٠

(٢) انظر الفهرست ٩٥

## نسب أبي علي وأسرته

لعل أول من أذاع نسب أبي علي الفارسي تلميذه أبو الحسن علي بن عيسى الربيعي فقد قال في صدر شرحه بالإيضاح أنه أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد ابن سليمان بن أبان الفارسي <sup>(١)</sup> ، وتعتمد كتب التراجم على الربيعي في ذلك على اختلاف يسير بينها زيادة ونقصاً في سلسلة هذه النسبة .

فالخطيب في تاريخ بغداد لا يذكر أباً <sup>(٢)</sup> ، وتابعه في ذلك القفطي في أنباء الرواة <sup>(٣)</sup> ، والسيوطي في بغية الوعاة <sup>(٤)</sup> ، وابن النديم في الفهرست <sup>(٥)</sup> لا يذكر اسمه ، ويقتصر على لقبه وكنيته وأبيه وجده عبد الغفار ، وابن تزي بردي يقف عند جده الأول : عبد الغفار ولا يزيد شيئاً <sup>(٦)</sup> وكذلك فعل الأنباري <sup>(٧)</sup> وكذلك يفعل ابن الأثير في الكامل <sup>(٨)</sup> ويتابعه أبو الفداء في تاريخه <sup>(٩)</sup> .

ويذكر اليني في إشارة التبعين : عبد الغفار بن سليم بن أبان <sup>(١٠)</sup> ، وتضطرب هذه السلسلة في عقد الجمان <sup>(١١)</sup> ، كما تضطرب في الشذرات <sup>(١٢)</sup> ، إذ يقول صاحب العقد : «و الحسن بن علي أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي . فقد جعل أباه علي أحمد بن عبد الغفار ، وأظن أن علياً مقحم من النسخ .

ويقول ابن العماد في الشذرات : الحسن بن محمد بن عبد الغفار النحوي ، وابن الحاج خليفة في كشف الظنون تقف عند أبيه ولا يزيد ، فهو «أبو علي ، حسن ، بدون ال - ابن أحمد الفارسي النحوي <sup>(١٣)</sup> ، والحسن «بال ، بن أحمد الفارسي النحوي <sup>(١٤)</sup> ، وكذلك فعل ابن حجر في لسان الميزان <sup>(١٥)</sup> ، والعمري في مسالك الأبصار <sup>(١٦)</sup> - يقف كل منهما عند كنيته ولقبه إذ يقول : «هو أبو علي الفارسي القسوي النحوي ، . ويأتي صاحب روضات الجنات بالسلسلة كاملة كما أوردها الربيعي في الإيضاح ، ولكنه يعرى الحسن ، من ال <sup>(١٧)</sup> . وفي تقديم

- 
- (١) وفيات ٣٦١/١ ، معجم الادباء ٢٣٢/٧ (٢) ٢٧٥/٧  
 (٣) ٢٧٣/١ (٤) ٢١٦ (٥) ١٥ (٦) ١٥١/٤ (٧) ٢٠٩  
 (٨) ١٩/٩ (٩) ٣١/٩ (١٠) ورقة ١٣ (١١) القسم الثالث / ٤٠٠  
 (١٢) ٨٨/٣ (١٣) كشف الظنون ١٣١/١ (١٤) ٣٨٤/١  
 (١٥) ١٩٥/٢ (١٦) المجلد الثاني ٢٦٨/٤

(١٧) ٢١٩ قال تلمب : كل ما كان مثل العباس وعباس ، وحسن والحسن ، فإدخال الالف واللام وإخراجهما عند السكتاني والراء إذا سميا واحد ، وقال الخليل : إذا أستقطها فلا يكون الاسم الاول فلا يسقطها إلا وقد حول المعنى أنظر البصريات ٦٣



الإغفال ورد مرة: قال أبو على الحسن بن عبد الغفار الفارسي، وأخرى: قال أبو على أحمد بن عبد الغفار الفسوي النحوي <sup>(١)</sup>.

ولعل من اختصر في هذه النسبة قصد إلى الاختصار العجزي « الذي يعرف من غير إخلال ، ومن أطال قصد إلى الجمع الكاشف في إيماء واستيعاب .  
أما أولئك الذين اضطربوا في هذه النسبة ، فلا اعتذار لهم من اضطرابهم إلا أن يكون ذلك أو بعض منه من عمل الناسخين <sup>(٢)</sup> .

ولم يحتفظ الفرس بأنسابهم كما احتفظ العرب بها ، ومن هنا كانت آخر حلقة من حلقات هذه السلسلة - عند من أطال - أبان ، وأبان كما أعلم ، عربي مصروف على الصحيح <sup>(٣)</sup> ، حتى كان من أمثالهم المأثورة : « من لم يصرف أبانا فهو أبان ، وإذا اعتبرت أن أبانا أول من أسلم من أجداد أبي علي ، فإني أقدر أنهم دخلوا في الإسلام ، وتسموا بأسماء المسلمين حوالى منتصف القرن الثاني الهجري ، باعتبار أن كل جيل يمثل من الأعوام أربعين <sup>(٤)</sup> .

وأبو على فارسي الأب ، ولا أعتمد في ذلك على ما يلقب به من أنه فسوي ، فارسي، نعم لقد تكون هذه النسبة دالة على فارسيته ، ولكنها لا تدل في كل الحالات . فأبو إسحق الشيرازي ، والفيروزابادي من أبناء أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ، والترمذي صاحب الشئائل <sup>(٥)</sup> ، والترمذي صاحب السنن <sup>(٦)</sup> كل هؤلاء من العرب ، والحاكم أبو عبيد الله النيسابوري من بني ضبة <sup>(٧)</sup> ، والأصبهاني أبو الفرج صاحب الأغاني - أموي ، وهذا الحسن بن الخطير بن أبي الحسن النعماني يلقب بالفارسي مع أنه عربي من نسل النعمان بن المنذر ، وإنما قيل له الفارسي لأنه تفقه بشيراز على مذاهب أبي حنيفة <sup>(٨)</sup> وقد أخطأ مفرسو المزهري ف أطلقوا اسم هذا الفارسي النعماني على أبي علي الفارسي <sup>(٩)</sup> .

لأنما اعتمدت في تقرير فارسية أبي علي على ما تواترت به الاخبار ، وما يذكره المؤرخون ، وما يمكن أن يدل عليه علمه بالفارسية ، وتحدثه بها ، وربطه بينها وبين العربية كما سأعرض له فيما بعد إن شاء الله .

(١) الاغفال ص ٢ (٢) الاغفال ص ١ (٣) القاموس مادة ابن

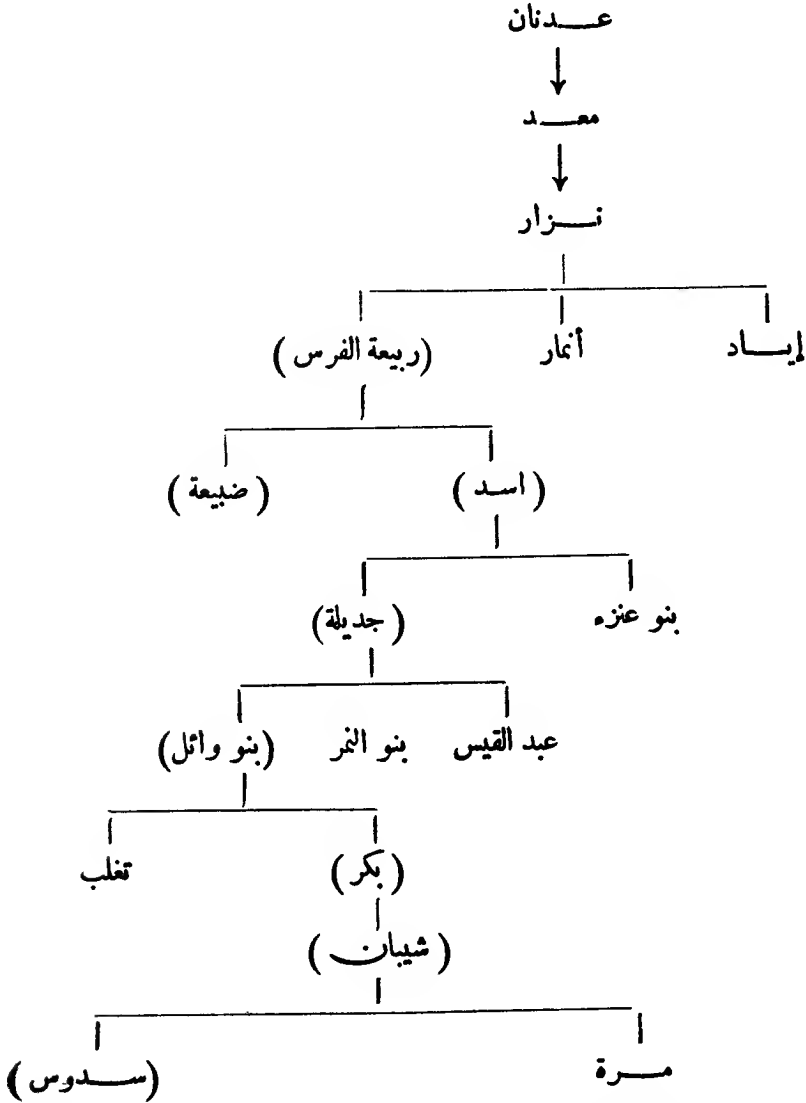
(٤) انظر الاسس المتكثرة ٦٧ (٥) وفيات الاعيان العرجة رقم ٥٤٤

(٦) وفيات الاعيان الترجمة رقم ٥٨٥ (٧) مجلة الرسالة ، المجلد الثاني ٢١٣

(٨) طبقات المفسرين ورقة ٥٧ مخطوطة بدار الكتب تاريخ رقم ١٦٨ وانظر

بنية الرواة ٢١٩ (٩) انظر المزهري ٤٨٧/٢ ، ٦٠٦ تحقيق المرحوم جاد المولى وزميليه

أما أمه فهي سدوسية من سدوس (بفتح السين) شيبان<sup>(١)</sup> وشيبان من بكر ،  
وبكر من بني وائل ، ووائل من جديله ، وهذه من أسد ، وأسد من ربيعة ربيعة  
الفرس ، وربيعه الفرس من نزار بن معد بن عدنان<sup>(٢)</sup>  
ويمكن وضع سلسلة النسب كالآتي<sup>(٣)</sup> :



(١) معجم الأدباء ٢٣٣/٧  
وما حوالها ، وجمهرة أنساب العرب ٢٧٥-٣٠٨ ، والأنباه على قبائل الرواه ٩٦  
(٢) انظر نسب عدنان واطحان للبرد ١٩  
(٣) بالقباس من صبح الأعشى ٣٣٧/١ وما بعدها .

وينص النسابون على سدوس شيان احترازاً من سدوس (بضم السين هنا) ابن أسمع من بني سعد بن زهران بن عمرو بن الغوث بن طيء<sup>(١)</sup>.

قالوا: «وسمى ربيعة الفرس، لأنه أعطى الخيل من ميراث أبيه<sup>(٢)</sup> أو لأن أباه نزاراً أوصى له من ماله بالخيـل<sup>(٣)</sup>، وقال ابن عبد البر القرطبي النمرى (ت ٤٦٣ هـ) في الأبناء على قبائل الرواة: ويقال لربيعة ربيعة الفرس وذلك فيما زعموه أنه لما مات نزار معد بن عدنان تقسم بنوه ميراثه واستهموا عليه، وكان لزار فرس مشهور فضله في العرب، فأصاب الفرس ربيعة فلذلك سميت ربيعة الفرس، وكان لزار ناقة حمراء مشهورة الفضل في العرب، فأصاب الناقة مضر، فلذلك سميت مضر الحمراء<sup>(٤)</sup>.

وقد ذكر الأستاذ المرحوم أحمد أمين أن أم أبي على فارسية<sup>(٥)</sup> ويبدو أن الأمر قد التبس عليه، فقرئت الفرس بفتح الفاء والراء، الفرس بضم الفاء وسكون الراء<sup>(٦)</sup>.

ويظهر من نسبة أبي على الفارسي هذه المصاهرة التي كانت بين الفرس والعرب والتي شاعت في العصر العباسي من الخلفاء إلى عامة الشعب، ولم يعد العرب يتخرجون منها مزوجين أو متزوجين<sup>(٧)</sup>، كما كانوا كذلك في العصر الجاهلي حيث كانت الدولة عربية خالصة.

وقد انتقلت ربيعة الفرس إلى الرحبة كما جاء في مسالك الأبصار ونقله القلقشندي في صبح الأعشى<sup>(٨)</sup>، والرحبة مدينة على الفرات بين الرقة وغانة<sup>(٩)</sup>، فيظهر أن انتقال الربيعين إلى الجزيرة الفراتية يسر اتصال الفرس بهم بحكم المجاورة التي أدت إلى الامتزاج والمصاهرة.

(١) صبح الأعشى ٣٢/١

(٢) قابوس مادة حر

(٣) صبح الأعشى ٣٣٧/١

(٤) الأبناء على قبائل الرواة ٩٦

(٥) ظهر الإسلام ٩١/٢

(٦) وكسان الحريري صاحب المقامات يزعم أنه من ربيعة الفرس انظر (وفيات الأعيان ٢٩/٣)

(٧) رفض النعمان أن يزوج كسرى ابنته حرقه (الطبري ١٥٠/٢)

(٨) تجميع البلدان ٢٨١/

(٩) ٣٣٧/١

## كنيته

وهي أبو علي ، وتلك الكنية غالبية فيمن اسمه الحسن ، <sup>(١)</sup> أو الحسين <sup>(٢)</sup> :  
ومن غير الغالب تكنية من اسمه الحسن أو الحسين بغير أبي علي ، فأبو سعيد <sup>(٣)</sup> ،  
وأبو أحمد <sup>(٤)</sup> ، وأبو محمد <sup>(٥)</sup> ، وأبو بكر <sup>(٦)</sup> ، وأبو عبد الله <sup>(٧)</sup> . كل هذه كنى  
للحسن أو الحسين .

ومن النادر الكنية بأبي علي في غير الحسن والحسين ، كما ماعيل بن القاسم  
البغدادى <sup>(٨)</sup> ، وقطرب <sup>(٩)</sup> ، ومعاذ الهراء <sup>(١٠)</sup> ، واحمد بن محمد القاسم <sup>(١١)</sup> ،  
واحمد بن ابراهيم بن أيوب <sup>(١٢)</sup> ، ومعقل بن يسار ، والسائب بن يزيد <sup>(١٣)</sup> ، وشيوع  
أبي الحسن كنية لمن اسمه على تكاد تطرد وتستمر .

ويبدو لى أن الكنية بأبي علي شاعت عندما استعلن أمر الشيعة ، وكان لدعوتهم  
ذبوع ، ولذبههم أنصار ، كما شاعت التسمية ، بالحسن والحسين من أجل ذلك ،  
وقد بينت من قبل مقدار ذبوع التشيع في ذلك العصر الذى عاش فيه أبو علي  
الحسن . ويلقى ضوءاً على ذلك ويؤيده ما جاء في الهوامل والشوامل لأبي حيان  
وابن مسكويه . وكلاهما معاصر للفارسي — من أن رجلاً كان يكنى أبا حفص  
فاكتنى أبا جعفر ، وكان سببه في ذلك أنه قصد رجلاً يتشيع فكره أن يعرفه  
بأبي حفص <sup>(١٤)</sup> .

وقد بين أبو علي الفارسي اشتقاق التسمية ، بعلى ، وذلك إذ يقول : فأما تسميتهم

(١) انظر وفيات الأعيان من ٣٩٥/١-٣٥٦/١

(٢) انظر وفيات الأعيان ٤٠٠/١-٤٣٤/١

(٣) وفيات ٣٥٩/١-٣٦١/١ (٤) ٣٦٤/١

(٥) ٣٧٠/١-٣٩٠/١ (٦) ٣٨٠/١

(٧) ٤٣٦-٤٠٣/١ (٨) الزهر ٤٣٠/٢

(٩) نزعة الألباء ٦٢/ (١٠) نزعة الألباء ٣٤/

(١١) صفوة الصفوة ٢٥٦/٢ (١٢) صفوة الصفوة ٤١/٢

(١٣) انظر الكنى والأسماء للدولابي ٨٤/١

(١٤) الشوامل ٢٧٣

بعل فيجوز أن يكون فعيلًا من علا على الأمر إذا غلبه واضطلع عليه ، ويجوز أن يكون فعيلًا من قوله :

« وكانا امرأين كل شأنهما يعلو ،

ويجوز أن يكون فعيلًا من عَلِيَ في المكارم يَعْلَى فهو عَلِيٌّ مثل عَلِمَ يَعْلَمَ فهو عَلِيمٌ <sup>(١)</sup> .

وأبو علي ينسب إلى فسا ، وهي المدينة التي ولد بها فيقال الفسوي <sup>(٢)</sup> ، وقد ذكر البستاني خطأ أنه ولد بمدينة نسا بالنون <sup>(٣)</sup> ، كما وردت هذه النسبة في إشارة التعيين لأبي المحاسن الميمنى <sup>(٤)</sup> ، وذلك إذ يقول « . . . الفارس النسوى » . صحيح أن هناك مدينة تسمى نسا بخراسان ، وإليها ينسب الإمام أحمد النسائي صاحب كتاب السنن ، ونسا أيضاً مدينة بفاس <sup>(٥)</sup> ، ومدينة بكرمان <sup>(٦)</sup> ، ولم ينسب أحد من مؤلفي الانساب أبا علي إلى نسا ، وقد ذكر السمعاني صاحب كتاب الانساب في باب النون والسين المهملة ، وابن الأثير في الباب <sup>(٧)</sup> من نسب إلى نسا ، ولم يكن أبو علي الفارسي بينهم .

وربما التبس على الميمنى وتابعه البستاني في ذلك ، وقد يكون هذا عند الميمنى من خلط النساخ يقرب صورة الفاء في فسامن النون في نسا ، ويعين الفاء أن العرب ينسبون إلى نسا فيقولون نسوي ولم يقولوا نسائي ، وجاء في معجم البلدان ، نسا كلمة عجمية ، وعندهم بسا ، وكذا يتلفظون بها . . . ولم يقولوا في النسبة إلى فسا : فسائي . . . وإليها ينسب أبو علي الفارسي الفسوي <sup>(٨)</sup> ، والفسوي نسبة إلى فسا <sup>(٩)</sup> ، ونقل ذلك صاحب تقويم البلدان <sup>(١٠)</sup> ، وجاء في وفيات الأعيان وبسا بالفارسية ، وتسمى فسا <sup>(١١)</sup> ، وقد أوردها بالباء ابن شعبة الاسدي فقال : ولد ببسا <sup>(١٢)</sup> والنسبة إلى بسا عند أهل فارس بساسيرى ، وبالعرب فسوى ، ومنها الشيخ أبو علي الفارسي <sup>(١٣)</sup> النحوى .

- 
- ( ١ ) المسائل الشيرازيات ورقة ٣٣ ( ٢ ) طبقات الزيدى ١٣٠  
 ( ٣ ) انظر دائرة المعارف للبستاني ( ٤ ) ورقة ١٢ ( ٥ ) أحسن التقاسيم ص / ٤٣٢  
 ( ٦ ) تقويم البلدان ٤٥٠ ، ٤٥١ ( ٧ ) ٢٣٣/٣ وما بعدها .  
 ( ٨ ) معجم البلدان ٣٧٦/٦ ( ٩ ) الانساب للسمعاني مادة فسا واللباب ٢/٢١٥  
 ( ١٠ ) ٣٣١ ( ١١ ) وفيات الأعيان ١/١٧٢  
 ( ١٢ ) طبقات ابن شعبة / ٢٩٥ ( ١٣ ) وفيات الأعيان ١/١٧٢

وقد بارك الله في هذه المدينة ، فأخرج منها جماعة من أعيان العلماء ، فأبى جانب أبي علي — أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن حوان الفسوي الكبير الإمام المشهور ، رحل من الشرق إلى الغرب ، وسمع وأبصر وصنف مع الورع والذكاء ، وأبو يوسف يعقوب بن سفيان بن زياد الفسوي الصغير <sup>(١)</sup> ، وأبو محمد عبد الله ابن جعفر بن درستويه ، بن المرزبان الفارسي الفسوي النحوي . . . ومحمد بن أحمد ابن يونس الفسوي أبو عبد الله <sup>(٢)</sup> .

هذا ومن تمام الحديث في لقب أبي علي أن أذكر أن تلقيه بالفسوي كان يكثر عند القدامى والمعاصرين ، فقد ذكره أبو حيان في كتابه الإمتاع بأبي علي الفسوي <sup>(٣)</sup> ، وذكره الزبيدي بالطبقات <sup>(٤)</sup> بذلك أيضاً ، كما ذكره معاصره محمد بن أبي الفوارس <sup>(٥)</sup> .

أما المتأخرون من اللغويين ، والنحاة ، والفقهاء ، والمفسرين — فإما أن يدلوا عليه بأبي علي ، أو بالفارسي <sup>(٦)</sup> ، أو بهما معاً <sup>(٧)</sup> ، ولا يكادون يلوون ألسنتهم بالفسوي <sup>(٨)</sup> . وهذا ابن سيده في كتابه المخصص يقول : قال أبو علي الفارسي وإذا ذكرت أبا علي فإياه نعي — . . . <sup>(٩)</sup> .

وكان ابن جني يذكره كثيراً في الخصائص بقوله : « قال شيخنا أبو علي . . . ، أو بكنيته مجردة ، ولا يستطيع الباحث أن يضبط ما أثر عن عضد الدولة فيما جرى على لسانه من نسبة لأبي علي في قوله : « أنا غلام أبي علي . . . » ، فالتخصص متضاربة : فمنها ما فيه الفارسي فقط <sup>(١٠)</sup> ، ومنها ما فيه الفسوي <sup>(١١)</sup> ، ومنها الغفل من قيد النسبة إلى هذه أو تلك <sup>(١٢)</sup> . وأميل إلى صيغة : « أنا غلام أبي علي النحوي في النحو ، من بين هذه التفسيرات كما رواها ياقوت <sup>(١٣)</sup> ؛ لأنه بهذا القيد : النحوي ، يتميز أبو علي دون سواه ، ثم هو تعيين لأبي علي ، بما هو مذكور به ومشهور عنه : النحوي .

(١) الباب ٢١٥ — ٢١٦ (٢) بنية الوعاة ٢٠ (٣) ١٢٩/١

(٤) ١٣٠ (٥) تاريخ بغداد ٧/٢٦٧

(٦) رسالة النفران ١٥٢ والمخصص ٩٦/١ (٧) الدر على هامش البحر المحيط ٤٠/٧

(٨) انظر النيسابوري على هامش الطبري ١٧٦/٤ ، ١٢/٥٢ وفوائد المز بن عبد السلام عند تفسير محيط من قوله تعالى : وافته من ورائهم محيط . (٩) المخصص ١٧/١

(١٠) نزهة الألباء ٢٠٩ (١١) عقد الجمان القسم الثالث ٤٠٠

(١٢) النجوم الزاهرة ١٥١/٤ (١٣) انظر معجم الأدباء ٢/٢٣٤

ويؤيد ذلك ما كتبه أحمد بن سabor في المسائل الشيرازيات إذ قال : « الجزء الأول من المسائل الشيرازيات ، تأليف الشيخ أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحوى (أدام الله عزه) ، نقلتها من أصله بخطه ، وقرأتها عليه . . . » (١) .

وكان أبو علي لا ينسب نفسه إلى فسا ، ولكنه ينسبها إلى فارس ، فقد كتب في توثيق الشيرازيات لأحمد بن سabor المذكور في ظهر كل جزء من أجزائها ما نصه : قرأ على أبو غالب أحمد بن سabor هذا الكتاب ، وكتب الحسن بن أحمد الفارسي بخطه ، ، وقد تكرر نص هذا التوثيق ثلاث عشرة مرة ، في أول كل جزء من أجزاء الشيرازيات ، كذلك نسب أبو علي نفسه إلى فارس ، في مكتبة بينه وبين الصاحب (٢) ، ويظهر أن ما في لفظ الفسوى من إحياء منفر ، لا تقبل النفس عليه ، جعل أبا علي وتلاميذه لا يستريحون إليه .

هذا وقد يطلق الفارسي أيضاً على أبي الخصيب الفارسي النحوى (٣) ، وعلى الشيخ أبي اسحق إبراهيم بن علي الفارسي اللغوى النحوى ، الذى هو من تلامذة أبي علي ، وله شرح كتاب الجرمى ، ونقض ديوان المتنبى وغير ذلك (٤) ، كما يطلق الفسوى على أبي يزيد ، وثيمة بن موسى بن الفرات الوشاء (٥) (ت ٢٨٩ هـ) .

كما أن هناك من يشترك في الكنية والاسم واللقب مع أبي علي ، وذلك أبو علي الحسن بن محمد بن عثمان الفارسي (٦) .

ولكن المعروف عند المتأخرين من النحاة والفقهاء (٧) ، أنهم إذا قالوا : « الفارسي » أو أبو علي ، فإنهم يعنون الشيخ أبا علي الفارسي ، الذى أتحدث عنه لشهرته عن سواه ، وإن أرادوا غيره كان لابد من القرينة المميزة ، والاشارة الدالة . . كأن يقولوا مثلاً : « أخذ محمد بن أبان القرطبي ، عن أبي علي البغدادى وغيره » (٨) .

(١) انظر صدر المسائل الشيرازيات

(٢) انظر معجم الأدباء ٢/٢٤٠ (٣) بنية الوعاء ٢٠٩

(٤) روضات الجنات ٣٣٠ وبنية الوعاء ٤٨١

(٥) انظر وفيات الأعيان ٥/٦٤

(٦) انظر المحتسب لابن جني ١٠

(٧) انظر فوائد الغز بن عبد السلام مخطوطه بدار الكتب : ٧٧ م تفسير عند حديثه على إعراب غير المضروب عليهم وقارنه بما أورد أبو علي في الحجة ٩٦/١ من مراد ملا وانظر كذلك هذه الفوائد عند الحديث عن اللغات في سواء - وقارنه بما ورد في الحجة متعلقاً بهذه

(٨) معجم الأدباء ١٧/١١٧

الكلمة ١٧٠/١

## مولد أبي علي

يضرِب كثير من المؤرخين صفحاً عن السنة التي ولد فيها أبو علي ، ويختلفون اختلافاً يسيراً في وفاته ، ويذكرون أنه مات وقد جاوز تسعين سنة<sup>(١)</sup> . فلو فرضت أنه مات وسنه إحدى وتسعون سنة ، وهو أقل ما تحقق به مجاوزة التسعين من السنين ( وقد وثقت فيما بعد سنة ٣٧٧ هـ تاريخاً للوفاة ) ، فغنى هذا أن أبا علي ولد سنة ٢٨٦ هـ ، وهذا التاريخ لا يتفق مع ما ذكره ابن خلكان من أنه ولد سنة ٢٨٨ هـ<sup>(٢)</sup> ، والعيني في عقد الجمان<sup>(٣)</sup> ، والكتبي في عيون التواريخ<sup>(٤)</sup> . ولقد جاء في شذرات الذهب أن أبا علي توفي عن تسع وثمانين سنة<sup>(٥)</sup> ، ومعنى ذلك أن صاحب الشذرات متفق مع ابن خلكان في أن ميلاد أبي علي كان سنة ٢٨٨ هـ ، كما يتفق أيضاً مع ابن قاضي شبهه الأسدي حيث يقول : « إن أبا علي مات سنة ٣٧٧ هـ عن تسع وثمانين سنة »<sup>(٦)</sup> .

وعلى كل فالأمر يسير ، فاللقاء سنتين أو إضافتهما إلى تاريخ الميلاد لا يترتب عليه أمر ذو بال ، وحسبي من أبي علي وحسبه أن الله نسا له في أجله ، وبارك له في عمره حتى عاش نحواً من تسعين .

---

(١) انظر معجم الأدباء ٢٣٣/٧ ولسان الميزان ١٩٥/٢ والنجوم الزاهرة ١٥١/٤ وتاريخ ابن الأثير ١٩/٩ وتاريخ أبي الفداء ٣١/٢  
(٢) انظر وفيات الأعيان ٣٦٣/١ (٣) القسم الثالث ٤٠٠  
(٤) انظر ص ٢٠ (٥) شذرات الذهب ٨٨/٣  
(٦) طبقات ابن شهية ٢١٥



## البيئة المكانية لأبي على

تنقلاته :

ولد أبو على في فسا (٢٨٨ هـ)<sup>(١)</sup> ، وإليها نسب<sup>(٢)</sup> . وقد نقل المؤيد عماد الدين اسماعيل في كتابه تقويم البلدان عن ابن حوقل ، أن فسا أكبر مدينة في كوره دارا مجرد ، وتقارب في الكبر شيراز ، وأكثر خشب أبنيتها السرو<sup>(٣)</sup> ، وقال الاصطخرى : فسا مدينة مفترشة البناء ، واسعة الشوارع ، تقارب في الكبر شيراز ، وهي أصح هواء وأوسع أبنية ، وبنائهم من طين . . .<sup>(٤)</sup> ، ولم يتعرض أحد من المؤرخين — فيما أعلم — إلى النشأة الأولى التي نشأ عليها أبو على الفارسي ، لحياته من مولده إلى أن انتقل إلى بغداد سنة (٣٠٧ هـ)<sup>(٥)</sup> مجهولة لا نعرف عنها شيئاً ، اللهم إلا ما يحدثنا به التاريخ عن أحوال فارس السياسية — وهو أمر عام — لا يتصل بالفارسي بخاصة ، ولكنه على كل حال يلقي ضوءاً على المؤثرات الأولى في حياة الشيخ أبي على . ففي السنة التي انتهى فيها حكم المعتمد على الله أبي العباس أحمد بن المتوكل (٢٥٦ — ٢٨٨ هـ)<sup>(٦)</sup> ولد الفارسي ، وإلى أن انتقل أبو على إلى بغداد (٣٠٧ هـ) وفارس لا تستقر على حال من القلق ، ففي سنة ٢٨٨ هـ دخل طاهر بن عمرو بن الليث بلاد فارس في عسكره ، وأخرجوا عنها عامل الخليفة ، وفيها ولى المعتضد مولاه بدر فارس ، وأمره بالشخص إلى بلخ أن طاهراً تغلب عليها فسار إليها في جيش عظيم . فلما قرب من فارس تنحى عنها من كان بها من أصحاب طاهر فدخلها بدر وجنى خراجها<sup>(٧)</sup> .

وفي سنة ٢٩٠ هـ يولى طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث على فارس<sup>(٨)</sup> ، ويتشغل بالصيد واللبو ، ويمضى إلى سجستان للتنزه ، فيخرج عليه قائد من أصحابه يعرف بأبي قابوس ، ويوليه المكنى فارس (٢٩٣ هـ)<sup>(٩)</sup> ، وتتر فترة قلقه يولى فيها الولاية على فارس ، وسرعان ما يعزلون ، وتكون وقعة بين طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث

(١) معجم الأدباء لياقوت : ٢٣٤/٢

(٢) معجم البلدان (فسا) . (٣) تقويم البلدان : ٣٢١

(٤) معجم البلدان : ٣٧٦/٦ (٥) وفيات الأعيان : ٣٦/١

(٦) الفخرى : ٢٢٢٠ (٧) السكامل : ٨١/٧

(٨) السكامل لابن الأثير : ١٨٨/٧ (٩) السكامل : ١٩٤/٧

وبين « سبكرى ، غلام عمرو بن الليث ، فيؤسر طاهر ، ويوجه هو وأخوه يعقوب إلى الخليفة المقتدر مع كاتبه عبد الرحمن بن جعفر الشيرازى إلى بغداد أسيرين ويحبسان ويولى سبكرى على فارس ( ٢٩٧ هـ ) ويقرر الخليفة أمره على مال يحمله <sup>(١)</sup> .

ولا يستقر الأمر لسبكرى ، ففي نفس العام الذى ولى فيه يتقدم الليث بن على ابن الليث من سجستان إلى فارس ، ويستولى عليها ، ويهرب سبكرى إلى أرجان ، ويسير الخليفة مؤنساً الخادم إلى فارس : معونةً لسبكرى ، وبعد حرب يخفق فيها مؤنس يعول ابن الفرات وزير الخليفة على محمد بن جعفر فى فتح فارس ، ويستولى عليها ابن جعفر ، ثم لا يلبث حتى يموت ( ٢٩٨ هـ ) ، ويستعمل عبد الله بن ابراهيم المسمى <sup>(٢)</sup> ، ولا يستقر به الحال حتى يعزل ( ٣٠٠ هـ ) <sup>(٣)</sup> ، ويـتـعمل على فارس بدر الحمائى .. وفى سنة ٣٠٤ هـ يخالف أبو زيد خالد بن محمد على المقتدر بالله — بكرمان وكان يتولى الخراج — ويسير منها إلى شيراز يريد التغلب عليها ، فيخرج إليه بدر الحمائى ويحاربه ويقتله ، وتحمل رأسه إلى بغداد ، ويطاف به <sup>(٤)</sup> .

وقد قصدت قصداً إلى اقتباس هذه الناحية التاريخية ، وابتدأتها من ميلاد أبى على الفارسى ( ٢٨٨ هـ ) إلى أن انتقل إلى بغداد ( ٣٠٨ هـ ) ، وكانت الحال من قبل هذه السنين لا تقل اضطراباً وقلقاً ونزاعاً بين القواد على ملك فارس <sup>(٥)</sup> ، ولا شك أن أبا على الفارسى سئم هذه الحال القلقة فى بلاده <sup>(٦)</sup> ، وتطلع كأمثاله إلى بغداد عاصمة الخلافة <sup>(٥)</sup> ، والتى يرد منها الولاة الذين يحكمون ، والتى فيها الخلفاء والوزراء الذين يولون ويعزلون ، وفى بغداد أيضاً ، العلماء والمتعلمون ، والفقهاء والمتفقهون ، ورؤساء المتكلمين <sup>(٦)</sup> ، والأطباء <sup>(٧)</sup> ، وسادة الحساب والنحوية ، ومجيدو الشعراء ، ورواة الأخبار والأنساب ، وفنون الآداب ، وحضور كل طرفة <sup>(٨)</sup> . ومن هنا كان علاؤها متجه المستفسرين من مختلف العواصم الإسلامية إلى ذلك الحين <sup>(٩)</sup> ، ولئن ضعفت الخلافة فى بغداد لإنها لم تزل — مع ذلك — محتفظة بكيانها الثقافى ، وصدارتها فى ميدان البحث العلمى فى ذلك العهد ، الذى وفد

(١) الكامل ٢٠/٨ (٢) الكامل ٢١/٨

(٣) المصدر السابق ٢٦/٨ (٤) المصدر السابق ٣٦/٨

(٥) راجع الكامل لابن الأثير فيما قبل ٢٨٨ هـ

(٦) تاريخ بغداد ٥١/ (٧) الكامل لابن الأثير ٥٥/٨

(٨) تاريخ بغداد ٥١/١ (٩) انظر الإمتاع ١٣٠/١

فيه أبو علي ، وقد كان وزراء الخلفاء يعقدون مجالس للبحث والمناظرات ، كالذي كان في مجلس الوزير ابن الفرات ، وقد ذكر أبو حيان التوحيدى أنه كان في مجلس ذلك الوزير ، الخالدي ، وابن الأخشاد ، والكتبي ، وابن أبي بشر ، وابن رباح ، وابن كعب ، وأبو عمرو قدامة بن جعفر ، والزهوى ، وعلى بن عيسى الجراح ، وابن فراس ، وابن رشيد ، وابن عبد العزيز الهاشمي ، وابن يحيى العلوى ، و... ، وكان ابن الفرات يعدّهم في العلم بحاراً ، وللدن وأهله أنصاراً ، ولحق وطلابه مناراً ،<sup>(١)</sup> .

وحق العهد الذي انقسمت فيه المملكة الإسلامية إلى دويلات لم تكن المنافسة بين العواصم للقضاء على بغداد ؛ بل لتكون كل منها بغداد أخرى في العلم والثقافة . ويظهر أن الحال السياسية لفارس ما كانت تغرى العلماء بالاستمرار فيها ، والإقامة بها ، وهذا أبو بكر بن دريد — أستاذ أبي علي يهجر فارس إلى بغداد ويدخلها سنة ٣٠٨ هـ<sup>(٢)</sup> في وقت قريب من انتقال أبي علي من بلاده إلى عاصمة الخلافة .

وشيء آخر أظنه دفع أبا علي إلى الوفود على عاصمة العراق ، ذلك هو العبقرية الدفينة في شيراز على بعد أربع مراحل من نسا<sup>(٣)</sup> ؛ ذلك سيبويه لإمام النجاء ، وناهيك به مثالا يقتدى ، وسيرة تحتذى .

ثم كان بعد سيبويه — ابن درستويه (٢٥٨ — ٣٤٧ هـ) وابن درستويه من بعد — المعاصر القريب لأبي علي ، وقد علا شأن ابن درستويه في بغداد ، واشتهر عليه ، وصار له تلاميذ منهم أبو طاهر ، والكرمانى ، وأبو علي القالى ثم البغدادي<sup>(٤)</sup> وابن درستويه — إلى جانب ذلك من فارس ، بل هو من فسا<sup>(٥)</sup> فهو فارسى فسوى مثل أبي علي ، والناس يحتذون التابعين من أبناء جلدتهم فليس ببعيد أن يحذو أبو علي حذوه ، ويقفو قفوه .

ولما كان أبو علي البغدادي ينتسب إلى قالى قلا ؛ رجاء أن ينتفع بذلك

(١) الإمتاع ١٠٨/١ (٢) وفيات الأعيان ج ٣/٤٥٠

(٣) معجم البلدان ٣٧٦/٦ (٤) طبقات الزيدى ١٣١ ، ١٣٢ ، ٢٠٥ أيضاً

(٥) معجم البلدان مادة فسا .

عند العلماء في بغداد<sup>(١)</sup> ، ويمضى عليه — من ذلك الحين — القالى ، فأحر بأبي على الفارسي أن يندفع إلى بغداد متطلعاً إلى ابن درستويه ، منتفعاً بفارسيته وفسويته جميعاً . ومن هنا ينزل أبو على في صف شونيز ببغداد ، وفي الجانب الغربي منها<sup>(٢)</sup> حيث ينزل عبد الله بن جعفر بن درستويه ، بل يكون جاراً لابن درستويه بيت بيت<sup>(٣)</sup> ١١

انتقل الشاب أبو على إلى بغداد ( ٣٠٧ هـ ) مدفوعاً بهذه العوامل العامة والخاصة ، ويبغى الشأو البعيد باتخاذ الوسائل إليه<sup>(٤)</sup> . ومهما يكن من أمر فإن أبا على لقي ببغداد في تلك السن المتهيئة لتلقي العلوم في ضبط ، ووعى ، وإقبال ، ورغبة . لقي شيوخ القراءة ، والحديث ، واللغة ، والنحو ، على التفصيل الذى سأورده بعد حين

ومنذ ورود أبي على بغداد تتضح حياته ، بانتقاله إلى عاصمة الخلافة التى تتوجه إليها الأبصار فى سائر الأمصار ، وينصت لها التاريخ ، وبارتباط حياته بهؤلاء الشيوخ الذين كانت لهم شهرة ذائعة فيما يدرسون من علوم .

وقد مكث في العراق من ٣٠٧ — ٣٤١ هـ ، ويظهر أنه تصدر للإقراء والتدريس فى حياة أساتذته ، فقد أخبر ابن جنى أن على بن عيسى الرومانى قرأ عليه كتاب الجمل ، وكتاب الموجز لابن السراج فى حياة ابن السراج<sup>(٥)</sup> .

ومن مسأله التى خلفها ، استدل على أنه كان ينتقل فى مدن العراق ويحاضر طلابه ، فله إلى جانب البغداديات<sup>(٦)</sup> ، البصريات ، والهيثيات<sup>(٧)</sup> والقصريات<sup>(٨)</sup> نسبه إلى قصر بن هبيرة بنواحى الكوفة<sup>(٩)</sup> ، ولا ننسى أنه مر بتلميذه ابن جنى وهو يقرئ النحو بجامع الموصل<sup>(١٠)</sup> ، ويظهر أنه كان يزور فارس ، ويعود إلى بغداد مراراً فى ذلك بين الحين والحين . فقد زار فارس قبيل وفاة أبي بكر بن الخياط ( ٣٢٠ هـ ) ثم رجع إلى بغداد بعد وفاة أبي بكر<sup>(١١)</sup> .

(١) طبقات الزيدى ٢٠٥ — سأل الزيدى أبا على : لم قيل له القالى ؟ فقال : هـ لما انحدرنا إلى بغداد كنا فى رقة فيها أهل قالى فلا فكانوا يحافظون لمسكاتهم من الثغر ، فلما دخلت بغداد انتسبت إلى قالى فلا وهى قرية من منازل رجوت أن اتفعم بذلك عند العلماء ، فضى على " القالى " .

(٢) وفيات الأعيان ١/٣٢٥

(٣) الحلبيات ظهر ورقة ٣٣/٥ نحوش (٤) طبقات الزيدى ١٣١

(٥) ٢٣٩/٧ معجم الأدباء ٢٣٩/٧ (٦) كشف الظنون ١/١٦٦٧

(٧) المغنى ١٠/٢ (٨) كشف الظنون ١/٢٦٧٠ (٩) روضات الجنات ٢٢٠

(١٠) تزهة الألباء ٢٢١ (١١) انظر معجم الأدباء ٧/١٤٢

ثم أمضى في تحديد بيئته المكانية بأزمانها فأقول :

هذه البيئة يطويها معاصره الزبيدي في طبقاته طياً ، وذلك إذ ينص على أن الفسوى : « كان عند ابن حمدان ، فاستجلبه الديلمي لبني أخيه خسره يؤدهم ، فأقام ببغداد ، ثم توجه إلى شيراز <sup>(١)</sup> . ويذكر ابن الجزري أن أبا علي صاحب عضد الدولة ، ثم لحق بسيف الدولة <sup>(٢)</sup> ، ومعنى ذلك أنه اتصل بعضد الدولة أولاً ، ولكن ترتيب ابن الجزري تنفيه حقيقة التاريخ أولاً ، ونصوص ابن جني ثانياً <sup>(٣)</sup> .

وتتردد الأسئلة الآتية أمام الباحث :

في أية سنة فارق أبو علي بغداد إلى سيف الدولة بن حمدان ؟ وما نشاطه العلمي في هذه المدة التي مكثها بالشام ؟ ومتى فارق حلب ؟ ولم فارقها ؟ ألان الديلمي استجلبه لبني أخيه خسرو يؤدهم كما يقول الزبيدي ؟ أم لأنه — مع ذلك — لم يطب له المقام ؟

وكم سنة أقام ببغداد بعد رجوعه من حلب ؟ ومتى توجه إلى شيراز ؟ وماذا كان من أثره فيها ؟ وكم سنة أقام بها ؟ وماذا قدر لأمره بعد ذلك ؟

هذه أسئلة ترددت في نفسي ؛ استكثراً للصورة التي وددت رسمها لتقلبات أبي علي ، وظلت الإجابة عنها تخالني أمداً طويلاً ، وأخذت أبحث عنها في مظانها ملتصقاً قبساً من هنا ، وقبساً من هناك ، حتى استطعت رسم هذه الصورة على النحو الآتي :

كان قدوم الفارسي علي حلب سنة ٣٤١ هـ على ما يذكر ابن خلكان في الوفيات <sup>(٤)</sup> ، وابن العباد في الشذرات <sup>(٥)</sup> ، وقد اعتبرت هذا التاريخ بما ذكر ابن جني في كتابه الخصائص إذ يقول : أنشدنا أبو علي ( رحمه الله ) لجرير :

سيروا بني العم فالأهواز منزلكم \* ونهر تيرى فما تعرفكم العرب  
بسكون فاه تعرفكم .

أنشدنا هذا بالموصل سنة إحدى وأربعين <sup>(٦)</sup> ، وبما ذكره في كتاب المحتسب : فأنت من الغوائل حين ترمى \* ومن الرجال بمنزح

(١) طبقات الزبيدي ١٣٠ (٢) طبقات القراء ٢٠٧/١

(٣) انظر الخصائص ٧٦/١ ، والمحتسب ٣٢٤/١

(٤) ٣٦١ (٥) الخصائص ٧٦/١

(٦) المحتسب ٤٢٣/١

يريد بمنزح ، وعليه قول عنتره أنشدناه أيضاً سنة إحدى وأربعين بالموصل :  
\* ينباع من ذفرى غضوب جصرة <sup>(١)</sup> \*

اعتبرت ما يقوله ابن خلكان بما يقوله ابن جنى في الخصائص ، والمحاسب ،  
فوقر في نفسى أول الأمر أن أبا على لم يفد على حلب في سنة إحدى وأربعين ،  
ثم صدقت كلام ابن جنى ، وما ذكره ابن خلكان ، عندما نظرت في المصور  
الجغرافى موضع الموصل وحلب ، فوجدت أن أقرب طريق للذهاب من الموصل  
إلى حلب هو الذى بينها وبين الموصل . وأن المسافة بينهما تنفرج جنوبى الموصل  
وشمالها . فلعل أبا على وابن جنى سلك أقرب طريق من الموصل إلى ابن حمدان فى  
عاصمة إمارته .

وغير خافية هذه الأسباب التى دعت أبا على الفارسى ، وتليذه ابن جنى إلى  
الذهاب لسيف الدولة ، غير أنى أشير إليها فى كلمة سريعة موجزة :

( فأولا ) قد بلغ الأمير سيف الدولة حينئذ الأوج فى عظمته ، وإذا استشهدت  
بالتاريخ على ذلك وجدت أن المتنبي فيما يقول العكبرى قال قصيدته التى أولها :  
ذى المعالى فليعلون من تعالى \* هكذا هكذا ، وإلا فلألا

يذكر نهوض سيف الدولة إلى الثغر ، وذلك فى جمادى الأولى سنة ٣٤٦ ،  
وفى سنة ٣٤١ بنى سيف الدولة مرعشا ، وامتدحه عند ذلك أبو الطيب بقصيدة  
قال فى مطلعها :

فدينك من ريع ، وإن زدتنا كرباً \* فإنك كنت الشرق للشمس والغربا <sup>(٢)</sup>  
( وثانياً ) قد تحدثت الركبان ، ونطق الزمان بما كان من إغداق سيف  
الدولة على قاصديه <sup>(٣)</sup> . وقد كان سيف الدولة لا ينتقر فى العطاء ،

---

(١) الخصائص ٧٦/١ والتكملة : زِيَّافَةٌ مِثْلُ الْفَنَيْقِ الْمُكْدَمِ أراد ينبع —  
والذفرى ما خلف الإذن ، والجصرة الناقة الموتة الخلق ، والزيف المتبخر ، والفعل زاف  
يزيف . والفنيق الفعل من الإبل يقول : ينبع هذا العرق من خلف اذن ناقة غضوب موثقة  
الخلق شديدة التبختر من سيرها مثل خل من الإبل قد كدمته الفحول ، شبهها بالفحل فى تبخترها  
ووثاقها خلقها وضخامتها . شرح المملكات السبع للزوزنى ١٤٦ ، ١٤٧

(٢) اعلام النبلاء للطباطبائي ٢٥٨/١

(٣) اعلام النبلاء ٢٧٧/١ وما بعدها

فكان يجود حتى على أولئك الذين لا يجدون من القول ما يحسنون<sup>(١)</sup> .  
( وثالثاً ) كان سيف الدولة شيعياً<sup>(٢)</sup> ، وكان في أبي على شيعية رأينا بواعثها من قبل ، وسأتحدث عنها في القريب إن شاء الله .

من أجل هذا تهيأت الظروف لأبي على أن يرحل إلى جوار الخداني ، وبقي إلى جواره فترة كانت محفوفة بالدسائس والمكائد ، فقد التقيا فيها بنحصر عنيد ، حبيب إلى قلب سيف الدولة ، وذلك أبو عبد الله بن خالويه ، وربما خشي ابن خالويه أن تضيق مكانته عند مولاه ، وكان سيف الدولة مشغولاً بالمسائل اللغوية ، يعرضها مستفسراً أو مختبراً . سأل سيف الدولة عن اسم ممدود جمع مقصوراً ، وكان بين الحاضرين أبو على ، وأحمد بن نصر ، وابن خالويه . فقال أحمد بن نصر : « أنا أعرف حرف حلفاء وحلفاء في قلنا : « حلفاء جمع حلفة ، وإنما سألت عن واحد » ، فقال الفارسي : « أنا أعرف حرفاً ، أشياء وأشأوى » ، قلنا : أشياء جمع . قال ابن خالويه : « أنا أعرف أسماء ممدودة تجمع بالقصر » ، قال : ماهي : قلت : « لا أقولها إلا بألف دينار » ، ثم ذكرت ذلك<sup>(٣)</sup> .

وقد ظهرت هذه المحاورات أيضاً فيما حكاه الرواة من أن ابن خالويه اجتمع هو وأبو على الفارسي ، فقال ابن خالويه لأبي على : نتكلم في كتاب سيبويه ، فقال له أبو على : بل نتكلم في الفصح ! . ويحكى أنه قال لأبي على : كم للسيف اسماً ؟ قال : اسم واحد ! فقال له ابن خالويه : بل له أسماء كثيرة ، وأخذ يعددها نحو الحسام ، والمخزم ، والقضيب ، والمقضب . فقال له أبو على : « هذه كلها صفات »<sup>(٤)</sup> . وتنعقد الصلة قوية بين المتنبي وابن جني ، وكلاهما منافس قوى لابن خالويه ، ثم يكون ما يكون من انتصار سيف الدولة لابن خالويه ، ومفارقة مغاضباً . .

وكان من الطبيعي ألا يطيب المقام لأبي على الفارسي في هذا الجو الخائق ، وإذا كان سيف الدولة أعرض عن المتنبي وانتصر لابن خالويه ، والمتنبي هو من

(١) انظر اعلام النبلاء ٢٨٥/١ (٢) اعلام النبلاء ٢٧٩/١

(٣) المزهر بتصرف ٢٢٦/٢ ، ٢٢٧

(٤) تزهة الألباء ٢٠٨ ويعرض ابن مسكويه في كتاب الشوامل والهوامل لهذه المسألة

موفقاً بين الرأيين انظر م .

سيف الدولة ، صداقة ، وإذاعة شهرة ، وطول عشرة . . أفلا يعرض عن الفارسي الوافد الطارئ ، وليس في حاجة ماسة إليه ، ولديه مايجزى عنه : ابن خالويه ؟ .

فارق أبو على بلاط سيف الدولة ، ولم يكن في ذلك قالياً أو مغاضباً للأمير ، ولكنه كان مرغماً من تحامل ابن خالويه ، وافترائه عليه ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، وقلة تحفظه فيما يرمى به أبا على ، وذلك ماتحدثنا به المسائل الحلبيات <sup>(١)</sup> . ويبدو أن الصلة أصبحت قاصرة على المكاتبة ولا غير .

ويطوف أبو على في بلاد الشام ، ويمضى إلى طرابلس ، ويقع بحلب <sup>(٢)</sup> ، ويزور المعرة ، ويتصل برجالها وأهل العلم فيها اتصالاً تلمس فيه المبرة <sup>(٣)</sup> ، وتظفر منه الدراسة النحوية بالمسائل الحلبية <sup>(٤)</sup> .

وفارق المتنبي — صديق ابن جني — سيف الدولة ، فلم يجد بلداً أقرب إليه من دمشق ؛ لأن حمص كانت من بلاد سيف الدولة ، وكان ذلك سنة ٣٤٦ ، فيما يقول البديعي في الصبح المنبي ، ويبدوان أبا على وابن جني نبت بهما حلب كذلك ، فينزل أبو على بدمشق ، ويظهر أنه أقام بها إقامة مكنته من أن يملئ المسائل الدمشقية <sup>(٥)</sup> ، ويشير ابن جني إلى أن أبا على كان بحلب — كذلك سنة ٣٤٦ ، ذكر ذلك في الخصائص <sup>(٦)</sup> .

وهنا أعود مرة أخرى إلى عبارة الزبيدي حيث يقول : كان أبو على عند بني حمدان فاستجلبه الديلمي لبني أخيه خسره يؤدبهم . . . فأقام ببغداد ثم توجه إلى شيراز . . . فتي كان استجلاب الديلمي أبا على ؟ للإجابة عن هذا السؤال استمر متتبعا سيرة المتنبي ، ومقاييساً إياها بما يذكره التاريخ عن أبي على : يخرج المتنبي من مصر حائقا على كافور ٣٥٠ هـ <sup>(٧)</sup> ، ثم ينتقل إلى العراق وفارس ، ثم يكون في شيراز عند عضد الدولة ٣٥٤ هـ <sup>(٨)</sup> .

(١) انظر الكلام عن هذه المسائل في هذا البحث

(٢) معجم الأدباء ٢٣٣/٧ (٣) المصدر السابق ٢٥٥/٧

(٤) كشف الظنون ١٦٦٧/١ (٥) معجم الأدباء ٧٤١/٧

(٦) انظر ص ٢٨٤ والمحتمس (انظر ٧٥/١) (٧) الروائع ١١

(٨) هامش العكبري الصبح المتنبي ٢٢٩ والروائع العدد الخامس بالمتنبي ١٣



وفي تلك السنة كان أبو علي الفارسي أيضاً في شيراز <sup>(١)</sup> ، وكان إلى هذا الوقت لم تنعقد الصلة بينه وبين المتنبي ، فقد كان كما يقول الرواة ، يستقل المتنبي على قبح زيه ، وما يأخذ به نفسه من الكبرياء <sup>(٢)</sup> ، فالقول بأن المتنبي جرت بينه وبين أبي علي مجالس في حلب لا دليل عندى عليه ، ولكن ابن جني كان ذا هوى لأبي الطيب ، وقد أخذ يحتال على أبي علي في شيراز — لا في حلب — حتى ربط بين الرجلين <sup>(٣)</sup> ، ولكن متى رحل أبو علي إلى شيراز ؟؟ وحتى متى ظل أبو علي فيها ؟

يبدو بصيص من النور يهdy إلى الإجابة عن هذا السؤال الأخير ، فيما يرويه على بن عيسى الربعي لذي يقول : « كنت يوماً عند المتنبي بشيراز » <sup>(٤)</sup> ، فقبل له أبو علي الفارسي بالباب ، وكانت تأكدت بينهما المودة ، قال : « بادروا إليه ، فأنزلوه ، فدخل أبو علي وأنا جالس عنده فقال : يا أبا الحسن : خذ هذا الجزء ، وأعطاني جزءاً من كتاب التذكرة ، وقال : أكتب عن الشيخ البيهقي الذين ذكرتك بهما وهما :

سأطلب حقى بالقنا ومشايخ كأنهم من طول ما التشموا مرد  
نقال إذا لا قوا ، خفاف إذا دعوا كثير إذا شدوا ، قليل إذا عدوا

وللربعي هنا أهمية عظيمة في الاهتداء إلى المدة التي مكثها أبو علي بشيراز ؛ ذلك لأن الربعي الشيرازي الأصل — بدأ بقراءة مختصر الجرمي على السيرافي في سنة أربع وأربعين وثلاثمائة <sup>(٥)</sup> ، ثم انتقل من بغداد إلى شيراز فقرأ على أبي علي الفارسي عشرين سنة ، ثم رجع إلى بغداد ، وقد ولد الربعي سنة ٣٢٨ وتوفي سنة ( ٤٢٠ ) ببغداد <sup>(٦)</sup> .

وأول شيء نستنتجه من ذلك : أن أبا علي أقام بشيراز السنين العشرين ، توطدت فيها علاقته بعضد الدولة ، ويؤلف له الإيضاح ثم التكملة ، ويسايره في ميدان شيراز ، ويباحثه في النحو وعلله ، حتى صار غلامه فيه ، وكان فيما يقول

(١) انظر الدليل الآتي على هذه القضية

(٢) الصبح المنبي ٢٠٩

(٣) ( انظر الصبح المنبي على هامش المكبرى ٢١٠/١ )

(٤) الصبح المنبي ٢١٢/١

(٥) حقائق التأويل ٨٧ — ٨٨

(٦) حاشية الشيخ الأمير على المغنى ٩٨/١

المؤرخون : يكرم العلماء . . . ويدنيهم من حضرته ويعارضهم في أجناس المسائل ، ويفاوضهم في أنواع الفضائل <sup>(١)</sup> ، ويقرأ كل يوم جزءاً من كتاب الايضاح للفارسي ، وجزءاً من كتاب أبي الحسين الرازي الصوفي في النجوم <sup>(٢)</sup> ، على أن عبارة الربعي بعد ذلك تهدي إلى الإجابة عن السؤال الأول ، وتعين السنة التي نزل فيها أبو علي شيراز إذا ضمت إلى :

ا — ما ورد في كتب التراجم . ب — وما حدث به التاريخ العام —  
فإذا جاء في كتب التراجم ؟

قال ياقوت : لما خرج عضد الدولة لقتال ابن عمه عز الدين بختيار بن معز الدولة دخل عليه أبو علي الفارسي فقال له : ما رأيك في صحبتنا ؟ فقال له : أنا من رجال الدعاء لا من رجال اللقاء . . . <sup>(٣)</sup> ، فتي خرج عضد الدولة من فارس لقتال ابن عمه بختيار ؟ ذلك ما تجيب عنه كتب التاريخ العام إذ يقول ابن مسكويه : ودخلت سنة ٣٦٦ ، وفي هذه السنة تحرك عضد الدولة نحو العراق ، ورحل من فارس . . . وكان ذلك لمحاربة بختيار . . . <sup>(٤)</sup> .

ويعتذر أبو علي من تخلفه بشيراز ، ويضئ عضد الدولة من نصر إلى نصر ، حتى يستولى على بغداد سنة ٣٦٧ هـ ، ويخلع الطائع على عضد الدولة خلع السلطنة ، ويتوجه بتاج من الجوهرة ، ويطوقه ، ويسوره ، ويقبله سيفاً ، ويعقد له لواءين بيده : أحدهما مفضض على رسم الأمراء ، والآخر مذهب على رسم ولاية اليهود ، ولم يعقد هذا اللواء الثاني لغيره من قبل ، ولقب تاج الملة <sup>(٥)</sup> .

وتستقر الأمور لعضد الدولة في بغداد ، ويجد أبو علي الفرصة سانحة للرجوع إلى عاصمة الملك ، فيفارق شيراز كما يقول أبو حيان ، ويلحق بالخدمة الموسومة به سنة ٣٦٨ هـ <sup>(٦)</sup> .

ولإذن لو رجعنا إلى عشرين عاماً — وهي المدة التي قضاها أبو علي في شيراز قبل سنة ٣٦٨ هـ لرأينا أن أبا علي ورد إلى شيراز سنة ٣٤٨ هـ ، وهو تاريخ يتفق هو ومفارقة سيف الدولة سنة ٣٤٦ هـ ، ولعله أقام ببغداد كما يقول الزبيدي فيما بين ٣٤٦ ، ٣٤٨ .

---

(١) ذيل تجارب الأمم ج ٦٨٥ (٢) المنتظم لابن الجوزي هـ  
(٣) معجم الأدباء ٢٣٦/٧ (٤) تجارب الأمم لابن مسكويه ٣٦٥/٢ وما حوالها  
(٥) تاريخ الإسلام الذهبي حو دث سنة ٣٦٧ (٦) الإمتاع ١٣١/١

يمضى أبو على إلى العراق ، ويعلو شأنه ، ويكون هو واسطة العقد من أهل العلم ،  
ولإذ قد أجرى عضد الدولة سنة ٣٦٦ هـ الجرايات على القضاة ، والمحدثين ، والمتكلمين  
والمفسرين ، والنحاة ، والشعراء ، والنسابين ، والأطباء ، والحساب ، والمهندسين ،  
وأدرّ الأموال على الأئمة ، والمؤذنين ، والعلماء ، والقراء<sup>(١)</sup> فإذا يكون لأبي على  
من ذلك كله ؟ يستشفع به القوم من الأقطار ، ويتغونه وسيلة إلى عضد الدولة<sup>(٢)</sup> ،  
ثم كان الوكيل عن الملك عضد الدولة في عقد قران ابنته للطائع لله العباسي  
سنة ٣٦٩ هـ<sup>(٣)</sup> ، وهكذا يبلغ أبو على الشأو البعيد ، ويشتهر ذكره في الأقطار ،  
وتقصده الوفود ، وتزاحم لديه على الورود<sup>(٤)</sup> .

وبعد فيجمل بي تلخيص بيئة أبي على المكانية بأزمانها على النحو الآتي :

فارس	العراق	حلب ودمشق
٣٠٧—٢٨٨	٣٤١—٣٠٧	٣٤٦—٣٤١
العراق	فارس	بغداد
٣٤٨—٣٤٦	٣٦٨—٣٤٨	٣٧٧—٣٦٨

ويتحدث ابن شاکر الکتبی عن اشتداد الغلاء في هذه السنة ( ٣٧٧ هـ ) ،  
وما لحقه من فناء كثير<sup>(٥)</sup> . ولست أميل إلى ربط شيء من ذلك بوفاة أبي على ،  
فقد كان الرجل ميسور الحال ، لا يؤثر فيه اشتداد الغلاء ، ولكنه كره الغداة ،  
ومر العشى ، وكبر السن ، وبجاوزته التسعين ، وتكون خاتمة المطاف القدر المحتوم  
على كل حي ، فينقل أبو على إلى جوار ربه في ربيع الأول سنة ٣٧٧ هـ

ويدفن عند قبر أبي بكر الرازي الفقيه<sup>(٦)</sup> بمقابر الشونيزي ، بالجانب الغربي  
من بغداد<sup>(٧)</sup> ، وفيها الواعظ الناسك سري السقطي<sup>(٨)</sup> ، وابن أخته أبو القاسم  
الجنيد الخزاز القواريري الزاهد المشهور<sup>(٩)</sup> ( على الجميع رحمة الله ) .

(١) السكامل لابن الأثير ٢٥٥/٣ (٢) معجم الأدباء ٢٥٥/٧

(٣) انظر تجارب الأمم ٤١٤/٤ قلا عن تاريخ الإسلام للذهبي

(٤) مسالك الأبصار : ج ٤ مجلد ٣٠١/٢

(٥) عيون التواريخ لابن شاکر الکتبی ٢٠

(٦) أعيان الشيعة ١١/٢١ (٧) وفيات الأعيان ١/٢٢٥

(٨) تاريخ بغداد ١/١٢٢ (٩) وفيات الأعيان ١/٣٢٥

## هل تزوج أبو علي ؟

أسرته :

لا أعرف لأبي علي ولداً ، فهل تزوج ، أو أعرض عن الزواج ألبتة ؟ لا أملك من النصوص ما يؤيد شيئاً من ذلك أو ينفيه . أما الأمر الذي لا شك فيه فهو أنه لم يعقب ، وذلك ما يدل عليه قول ابن جني في الخصائص ، أقام على هذه الطريقة — يشير إلى قوة قياسه وأنسه بها — سبعين سنة ، زائحة عله ، ساقطة عنه كلفه ، .  
« لا يعتاقه عنه ولد » . (١) ، وأرجح أنه لم يتزوج ، فقد وصف ابن جني أبا علي بخلو سربه ، وسروح فكره ، وفروده بنفسه (٢) ، وهو وصف يكون للعزب الذي لم يتزوج ، لا سيما إذا كان في يسر حال ، وسعة المال .  
ولأن كان أبو علي لم ينجب ، فإن الله عرضه عن ذلك بابني أختين أخذاً النحو عنه ، ونشرا كتابه الإيضاح في الآفاق .

أما أحدهما : فأبو الحسين محمد بن الحسين بن عبد الوارث النحوي (ت ٤٢١هـ) ، عرف بالفضل (٣) ، ورث علم خاله وعليه درس حتى استغرق عليه ، واستحق مكانه (٤) ، وأخذ عنه الإمام أبو بكر عبد القاهر الجرجاني ، وليس للإمام الجرجاني أستاذ سوى أبي الحسين هذا (٥) . أوفده خاله أبو علي إلى الصاحب بن عباد فارتضاه وأكرم مثواه ، وقرب مجلسه (٦) ، ولما استأذنه للسفر أصبحه كتاباً إلى خاله أبي علي (٧) ، وقد كان لأبي الحسين دم في الشعر ، وذلك شيء لم يدركه خاله ، ومن أشعاره التي ذكرها الثعالبي في اليتيمة يتضح أنه كان مغرمًا بالمحسنات البديعية ، وإدخال المصطلحات النحوية (٨) ، فمن شعره :

وتربية المعروف شرط تمامه      وهل تم شرط دون ذكر جزائه ؟  
وله تصانيف منها : كتاب الهجاء ، وكتاب الشعر (٩) .

- 
- (١) الخصائص: ٢٨٤/١ - ٢٨٥ (٢) مقدمة المحتسب: ٧  
(٣) انظر نزعة الألباء: ٢٢٦ (٤) يتيمة الدهر: ٢٧٠/٤  
(٥) معجم الادباء: ١٨٧/١٨ (٦) يتيمة الدهر: ٢٧٦/٤  
(٧) انظر معجم الادباء: ٢٤٩/٧ وما بعدها  
(٨) يتيمة الدهر: ٣٧٢/٤٠ (٩) انظر «أ» يتيمة الدهر للثعالبي: ٢٧٠/٤ - ٢٧٤  
«ب» نزعة الألباء: ٢٢٦ «ج» معجم الادباء: ٢٤٩/٧ - ٢٥١ ، ١٨٦/١٨ - ١٨٧  
«د» بنية الوعاة: ٣٨

وأما الآخر فزيد بن علي الفارسي النحوي ، ولم ينص ياقوت على أنه ابن أخت أبي علي <sup>(١)</sup> ، وثبته في ذلك السيوطي في البغية <sup>(٢)</sup> ، وعبارتهما : « أخذ - أي زيد - النحو عن أبي الحسين ابن أخت أبي علي الفارسي ... » ، ولكن القفطي في إنباء الرواة ينص على أنه ابن أخت أبي علي <sup>(٣)</sup> ، وكذلك نقل ابن مکتوم بتلخيص أخبار النحويين اللغويين <sup>(٤)</sup> ، وبين عبارة ياقوت ، ويتابعه السيوطي - والقفطي تخالف : ياقوت يقرى زيد بن علي - علي الشريف أبي البركات عمر بن إبراهيم الكوفي <sup>(٥)</sup> ، والقفطي ينص على أن أبا البركات الكوفي أخذ عن زيد بن علي ، ويبدو أن القفطي مصيب ؛ بآية قوله : « وعمر - أي زيد بن علي - إلى أن قرأ عليه الشريف أبو البركات الكوفي النحو كتاب الإيضاح بحلب عند رحلته إليها من الكوفة في شهر رجب سنة ٤٥٥ هـ ، فإذا كان تعمير أبي زيد يمكن أبا البركات من القراءة عليه ، فكيف يمسك الوضع فيكون أبو البركات شيخاً ، وزيد تلميذاً ؟ ويؤكد ما ذهب إليه القفطي أن أبا البركات ولد سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة <sup>(٦)</sup> ، ومعنى ذلك أن سنة كانت عند رحلته إلى الكوفة ثلاث عشرة سنة ، وهي سن التلقي لا سن الإلقاء ، وقد رد القفطي ما قال أبو القاسم الدمشقي في كتابه مختصر ابن عساكر ، حيث جعل وفاة زيد بن علي سنة سبع وتسعين وأربعمائة <sup>(٧)</sup> ، وذلك قول القفطي : « قلت في هذا القول نظر فانه يكون قد مات قبل ذلك » ، ويتفق القفطي في ذلك مع ياقوت حيث ذكر في المعجم أن وفاة زيد سنة سبع وستين وأربعمائة <sup>(٨)</sup> ، ووصف القفطي لزيد أنه كان معمرأ سنة ٤٥٥ هـ <sup>(٩)</sup> ، يرجح تاريخ وفاته كما ذكر ياقوت ، ويرجح قول القفطي أنه أخذ النصوص عن أبي علي خاله .

وقد كانت لزيد بن علي مشاركة حسنة في النحو والأدب ، شرح الإيضاح ، كما شرح الحماسة ( حماسة أبي تمام ) <sup>(١٠)</sup> ، وهكذا كان لكل من أبي الحسين وأبي القاسم فضل لإذاعة كتاب الإيضاح لحالهما على النحو الذي بينته من قبل في إيجاز ، وسأتحدث عنه بعد في تفصيل .

(١) معجم الأدباء : ١٧٧/١١ (٢) ٢٥٠ - ٢٥١

(٣) ١٧/٢ (٤) انظر ص ٣٣

(٥) معجم الأدباء : ١٧٧/١١ (٦) إنباء الرواة ٣٢٦/٢

(٧) انظر مختصر ابن عساكر : ٢٥/٦

(٨) ١٧٧/١١ (٩) انظر إنباء الرواة ١٧/٢

(١٠) بنية الوعاة : ٢٥٠ وما بعدها

ويبدو أن شهرة أبي الحسين ، فاقت شهرة أبي القاسم ؛ فقد عرف أبو الحسين « بابن الأخت (١) » ، وهو دليل على شهرة أبي علي أولاً — كما أنه دليل على شهرة أبي الحسين ثانياً ؛ لانفراده بهذا التعريف الذي يغنى عن التسمية — دون أبي القاسم .

هذا مبلغ العلم بأسرة أبي علي : أبيه ، وأمه ، وهذين العالمين الجليلين ، أبي الحسين ؛ وأبي القاسم . أملى خالهما ذكرهما على التاريخ ، وروى أخبارهما الزمان ، وكان لأبي الحسين — بخاصة — الفضل على عالم جرجان ، وفارس المعاني والبيان — الإمام عبد القاهر الجرجاني .

### يسره

هناك من الدلائل ما يثبت أن أبا علي كان غنياً : — فهو أولاً قرأ على مبرمان كتاب سيويه ، وكان مبرمان لا يقرئ أحداً الكتاب إلا بمائة دينار (٢) . ثم هو ثانياً كان يصطنع في حياته ما يصنعه الأغنياء المترفون : — ١ — يتخذ الغلمان (٣) . ب — ويملك الدواب (٤) ، ج — وينزل إلى السميريات حين ينتقل ببلاد العراق (٥) . ثم هو ثالثاً : قد عاش ما عاش خالي السرب ، وقد انبتت علائق الهموم عن قلبه (٦) وحط من أثقاله (٧) ، وهو أخيراً اتصل بالملك (٨) ، ونفق عندهم (٩) ، فاجتمع له من الأموال حتى قالوا إنه أوصى بثلك ماله لنحاة بغداد ، فكان ثلاثين ألف دينار (١٠) .

هذه الدلائل تشير إلى يسر أبي علي ، وانتقل بعد ذلك إلى أثر من آثار غناه ، ذلك زيه ونظافته .

(١) كشف الظنون: ١٣٩/١

(٢) بنية الوعاة: ٣٤ (٣) انظر معجم الأدباء: ٢٠٧/١٨

(٤) انظر انباه الرواة ١١٩/٢ (٥) نزهة الالباء: ٢٢١

(٦) المحتسب لابن جني: ٧/١ (٧) الخصائص لابن جني: ٢٨٥/١

(٨) نفس المصدر: ٢٨٥/١ (٩) معجم الأدباء: ٢٣٤/٧

(١٠) طبقات القراء: ٢٠٧/١ والمقام يقتضى صحة ما ذكره ابن الجوزي في الطبقات لا ما ذكره أبو المحاسن الميمنى في إشارة التعمين حيث قال إن الوصية كانت بثلاثين ألف درهم. انظر إشارة التعمين في ترجمة أبي علي مخطوط تاريخ رقم ١٦١٢ دار السكتب المصرية .

## زى أبى على ونظافته

كانت الطيالة ملابس عامة الناس ذكر ذلك المقدسى فقال : « يلبس العوام ثياب السود . . . » ، ويكثرون التطلس ، ويسطلون العائم ، وليس لأهل الطيالة بشيراز مقدار إنما هو لأصحاب الدراريغ<sup>(١)</sup> ، وقال فى موضع آخر : لا ترى على مجوسى غياراً ، ولا لصاحب طيلسان مقداراً ، ولقد رأيت أهل الطالس سكارى<sup>(٢)</sup> .  
ويبدو كذلك أن التطلس يكون شتاء ، ذلكم ما يشير إليه مثال أبى على فى الإيضاح : « جاء البرد والطيالة<sup>(٣)</sup> » ، وبعيد أن يتزيا أبو على بالعائم الشهجانية الواردة من مرو وشيجان ، فقد كانت هذه للفقراء من عامة الناس كما يؤخذ من قول أبى شجاع<sup>(٤)</sup> .  
ولا شك فى أن أبا على كان يتزيا بزى الشيوخ والوجهاء فى عصره ، من لبس العائمة والدراريغ<sup>(٥)</sup> ، وكان هناك نوع من الفرجيات مبطنة بالوبر يجلب إلى عضد الدولة من البلاد البعيدة<sup>(٦)</sup> ، فلعل مثل هذه الفرجيات قد وصل شيء منها إلى أبى على ، مجلبها شاربياً ؛ إذ كان ذا مال ، أو ينالها هبة ؛ لأنه كان أثيراً عند عضد الدولة ، وقد استهدى تليذه أبو اسحق الفارسى جبة خز بيضاء ، مما يدل على تفضيل ذلك اللون من الثياب<sup>(٧)</sup> .

هذا وفى ثلاثة الآيات التى رويت عن أبى على ما يدل على أنه كان يخضب شبيهه ، الذى بدا فى رأى العين ذمياً<sup>(٨)</sup> .

وهناك من النصوص ما يستنتج منها ما كان عليه أبو على من النظافة ، وحسن السمى :

- (أ) فهو فارسى والفارس أهل النظافة ، وتأليف الطعام ، والطيب ، واللباس<sup>(٩)</sup> .  
(ب) وفسا — مولد أبى على — ليس فى إقليم فارس أنزه ، ولا أطيب ،

(١) أحسن التقاسيم: ٤٤٠ (٢) المصدر السابق: ٤٢١ .  
(٣) الإيضاح: ٦١ (٤) انظر ذيل تجارب الأمم لأبى شجاع: ٤٣ .  
(٥) انظر أحسن التقاسيم: ٤٤٠ . والدراريغ أثواب لا تكون إلا من صوف .  
(٦) ذيل تجارب الأمم: ٧٤ (٧) معجم الأدباء: ٢٠٤/١ .  
(٨) انظر مثلاً معجم الأدباء: ٢٥٢/٧ .  
(٩) القصد والأمم: ٢١

ولا أجود أهلا ، وأحسن فواكه منها . . . وقل في طيبها وخيراتها ما شئت (١) .  
ويقول عنها ياقوت : « إنها أئزه مدينة بفارس فيما قيل ، (٢) .

( ج ) وأبو علي يحتذى حدو سيويوه ، ويقفوقفوه ، ويقدره حق قدره ،  
ومن المرجح أن يكون قد تأثر بسيويوه في العناية بزیه ، وهيئته ، إلى جانب ما هو  
عليه من طبيعته .

( د ) وقد وجد في تذاكير عضد الدولة ما يدل على حسن سياسته في تربية  
أولاده ، وتهذيب من يلوذ بهم ، ويكون في جملتهم (٣) ، وقد استجلب عضد الدولة  
أبا علي لبني أخيه خسرو يؤدهم (٤) ، ثم كان أبو علي وثيق الصلة بعضد الدولة  
يحالسه ، ويسايره في ميدان شيراز ، ولا يكون كذلك إلا إذا كان حسن السمعة ،  
يأخذ نفسه بما يجب على مصاحب الملوك ، من آداب .

( هـ ) وقد كان أبو علي يستثقل المتنبي ، ويزرى عليه قبح زيه ، وما يأخذ به  
نفسه من الكبر (٥) ، ورجل ينظر إلى قبح الزى هذه النظرة . لا بد أن يكون جميل  
المظهر ، نظيف الثياب .

هذا وقد كان لامتراج الفارسية بالعربية في دمه ، أثر في قوة بنيته ، وإلى تلك  
يشير قول الشريف الرضي في رثائه :

« قمر يهد الأرض إن تخمطا . . . » (٦)

كما يستنتج من قول ابن جني : « . . . ومغداه ، ومراحه مقصوران على حفظ  
بنيته (٧) — يستنتج أنه كان معنياً بصحته ، إلى أن طول عمره حتى تخفى التسعين ،  
يؤيد هذا الذي ذهب إليه . »

---

(١) أحسن التقاسم : ٤٣٢/٤٣١

(٣) ذيل تجارب الأمم : ٧٠/٣

(٥) الصبح المنبى على هامش شرح العكبري : ٢١٠

(٧) المحتسب : ٧-١

(٢) معجم البلدان : ٣٧٦/٦

(٤) طبقات الزبیدی : ١٣٠

(٦) أعيان الشيعة : ٣٥/٢١



## أخلاقه

وقد تجمع لدى من النصوص ما هديت به إلى التعرف على أخلاق أبي علي ، وبمناقشة هذه النصوص واعتبارها بما كان يضطرب فيه أبو علي من البيئة العامة والخاصة ، أستطيع أن أرسم صورة واضحة المعالم لما كان عليه الرجل من أخلاق :

( أ ) فالنصوص تتحدث عن صدق أبي علي <sup>(١)</sup> في نفسه <sup>(٢)</sup> .

( ب ) وترفعه عن الكذب <sup>(٣)</sup> .

( ج ) وأنه كان يتجمل بما يتجمل به أهل البربذوى القربى ، من سعى في الخير لذوى رحمه ، فهذا ابن أخته أبو الحسين يوفده إلى الصاحب بن عباد ، ويوصى به خيراً ، فيكرم ابن عباد وفادته ، ويقرب مجلسه ، ويفيد أبو الحسين من هذه الرحلة ، ويعلو مكانه حتى يصل إلى مرتبة الوزارة ، فيزىر للأمير إسماعيل بن سبكتكين <sup>(٤)</sup> . وقد استشهدت على أمانة أبي علي العلوية ، وأفردت لها مكاناً خاصاً من البحث .

( د ) والفارسي أبو علي من غير شك ، يندفع بفارسيته إلى النزوع نحو المجيد ، والتطلع إلى إحياء مجد الفرس القديم ، والشعور العنيف باسترجاع هذه العزة الغابرة ولعله في ذلك كما قال مهيأر :

و أعجبت بي بين نادى قومها . . . ، أربعة الآيات <sup>(٥)</sup> .

( هـ ) وفي النصوص ما يدل على عدم وفائه ، حدث الشيخ أبو العلاء قال : « أن أبا علي مضى إلى العراق ، وصار له جاء عظيم عند الملك فنا خسرو ، فوقع لبعض أهل المعرفة حاجة في العراق ، احتاج فيها إلى كتاب من القاضي أبي الحسن سليمان - إلى أبي علي - فلما وقف على الكتاب قال : « إني قد أنسيت الشام وأهله ، ولم يعره طرفه » <sup>(٦)</sup> ولكن : ألا يمكن التماس العذر لأبي علي من موقفه هذا الذي وقفه بالنسبة لأهل المعرفة ؟ فقد كان أبو علي في رحلته إلى الشام منغص العيش بمنافسة ابن خالويه ، وقد رأينا كيف كان ابن خالويه يدس له ، ويوقع به ، ويفترى عليه ، وكيف بلغت بينهما الخصومة إلى الحد الذي رمى به كل منهما الآخر بأنه

(١) معجم الأدباء : ٢٥٣/٧ (٢) لسان الميزان لابن حجر : ١٩٥/٢

(٣) نيتمة الدهر : ٢٧٠/٤ (٤) المصدر السابق : ٢٧١

(٥) ديوان مهيأر طدار السكتب : ٦٤/١ (٦) معجم الادباء : ٣٥٥/٧ ، ٢٥٦

لا يفهم<sup>(١)</sup> ، والأمير سيف الدولة ضالع مع ابن خالويه ينصره على منافسيه<sup>(٢)</sup> ، ويستدعى عضد الدولة أبا على<sup>(٣)</sup> ، ويفارق الشيخ الشام ، وفي ذهنه هذه الصورة التي تمثل هذه الحقبة القلقة التي تبغضه في الشام ، وأهل الشام فإن جاءته رقعة يلتمس فيها بعض أهله بذل العون ، فلا شك أن ذلك يعيد إلى ذهنه هذه الحقبة بما فيها من مكاييد وآلام ، فتترامى أمام عينيه قلقاً وحسداً ، وسدماً ، ويحاول أن ينسى ، وينطق بأنه نسي الشام ، ومن يسكن الشام .

( و ) ونصّ يدل على أن أبا على كان يكره الحروب ، ولم يتمرس بالقتال ، ذلك ما حدث به التاريخ : أنه لما خرج عضد الدولة لقتال ابن عمه عز الدولة ، بختيار بن معز الدولة ، دخل عليه أبو على ، وقال له : « ما رأيك في صحبتنا ؟ » ، - فقال له : « أنا من رجال الدعاء لا من رجال اللقاء - نغار الله للبلك في عزيمته ، وأنجح قصده في نهضته ... »<sup>(٤)</sup> .

ويجب أن ندخل في حسابنا عند النظر في هذا النص ، ومناقشته سن أبي على حينئذ ، فتي خرج عضد الدولة لقتال ابن عمه ؟ وكم سن أبي على إذ ذاك ؟ التاريخ يحدثنا أن خروج عضد الدولة لقتال ابن عمه كان سنة ٣٦٦ هـ<sup>(٥)</sup> ، ومعنى هذا أن أبا على كانت سنه في هذا العام ثمانية وسبعين عاماً ، فإذا يصنع هذا الشيخ الفاني في ميدان يحول فيه الموت ، وتصافع المنايا فيه النفوس ، ومن هنا يفهم جواب أبي على بأنه من رجال الدعاء لا من رجال اللقاء<sup>(٦)</sup> .

وقد رويت أخبار لأبي على تدل على أنه كان رعيدياً ؛ فقد غلس أبو على يوماً إلى الصلاة في المسجد ، فقام إليه عبد الله بن حمود الاندلسي من مذود - كان لدابة أبي على خارج داره ، وكان عبد الله قد بات فيه ؛ ليدلج إليه قبل الطلبة طلباً للسبق ، والاخذ من عليه - فارتاع منه أبو على ، وقال له : ويحك من تكون ؟ قال : إني عبد الله الاندلسي ، فقال : إلى كم تتبعني ! والله إن على وجه الأرض أنحى منك !<sup>(٧)</sup> حقيقة أن الخوف في هذه الحال من الأمور المتوقعة من كل من كان

(١) الحليبات : ٣٨ (٢) انباه الرواة : ١/٣٢٧

(٣) طبقات النحويين : ١٣٠ (٤) معجم الأدباء ٧/٢٣٦-٢٣٧

(٥) تاريخ الملبين للشيخ جرجس بن الصبيد : ٢٣٢

(٦) معجم الأدباء : ٧/٢٣٦ (٧) انباه الرواة : ٩/١١٩ .

في مثل أبي علي من المفاجأة ، ولكن ارتبائه على هذه الصورة ، ثم صرفه الاندلسي بما قال - دليل عندى على طبيعة الجبن المتأصلة في نفس أبي علي .

وبعد : فهل يتفق هذا مع ما أورده الزبيدي عن أبي عبيدة في طبقاته : لا يكون نحوى شجاعاً ١٩ وقد عللوا ذلك بأن النحوى يفرق بين الساكن والمتحرك ، ولا يفرق بين الموت والحياة (١) ، وأرى أبا عبيدة مخطئاً ؛ فالشجاعة أمر يتعلق بالطبيعة الموهوبة ، ولا صلة لها بالصفة المكتسبة .

ومن طبيعة الجبان الرعديد أن الظفر يستخفه ، فتراه يرقص ، أو يصفق ؛ معلناً انتصاره وفلجه ، شئاً يختلف فيه عن الشجاع الصنديد الذى يتلقى النصر في ثبات واطمئنان ، وأذكر هنا خفة أبي علي عندما انتصر على أكبر تلاميذ ابن الحياط ، فأخذ يصفق قائماً في المسجد (٢) .

(ك) هذا وقد روى عن أبي علي من الاخبار ما يجعله من أهل المجانة ؛ فقد كان يتعشق محمد بن طويس القصرى ، ويخصه بالطرف ، ويحرص على الإملاء عليه ، والاتفات إليه ، وبه سميت المسائل القصريات (٣) .

ويبدو أن شيئاً من ذلك كان شائعاً في الدولة الإسلامية حينئذ بدليل أن الحنابلة سنة ١٢١ قاموا ينصرون حدود الله ، ويمنعون الناس الرذيلة ، واعترضوا فيما يقول أبو الفداء في البيع والشراء ، وفي مشى الرجال مع الصبيان (٤) .

وقد اتهم أبو حيان أبا علي بأنه نان يشرب ، ويتخالع ، ويفارق هدى أهل العلم ، وطريقة الربانيين ، وعادة المتسكين (٥) ، ولا يبعد أن تكون هذه التهمة صحيحة ؛ فقد عاش أبو علي رديحاً من الزمن في شيراز التي اشتهرت بنبذها وصار يصدر إلى البلاد البعيدة (٦) والتي يقول فيها المقدسى : رسوم شيراز على الإسلام عار ، (٧) ثم هو تلميذ على ابن دريد ، الذى يقول عنه تلاميذه : كنا ندخل على ابن دريد ، ونستحي منه ؛ لما نرى من العيدان المعلقة ، والشراب المصفى موضوع وقد جاوز التسعين (٨) . وكان ابن دريد كذلك يتعلق « بالوضى » من الغلمان (٩) ، وربما كان لصحبة

- |                              |  |
|------------------------------|--|
| (١) طبقات الزبيدي: ١١٩       | (٢) معجم الأدباء: ٢٣٥/٧                |
| (٣) معجم الأدباء: ٢٠٧/١٨     | (٤) تاريخ أبي الفداء: ٨٧/١             |
| (٥) الامتاع والموانسة: ١٣٢/١ | (٦) حضارة العرب تأليف غستاف لوبون: ٢١٧ |
| (٧) أحسن التقاسيم: ٣٤        | (٨) معجم الأدباء: ١٣٠/١٨               |
| (٩) معجم الأدباء: ١٣٩/١٨     |  |

أبى على الطويلة لعصدة الدولة أثر في ذلك ، فقد كانت حياة ذلك الشاب خليطاً من الهدى ، والمجون ، قالوا : كان إذا تلبه جدد الوضوء ، وخرج إلى مجلس الشرب فجلس ، وحضر الندماء والملهون<sup>(١)</sup> .

هذا ولا أرى في حديث أبى على عن الخمر في كتابه الحجة ما يدل على معاقبتها . فقد قال في تفسير قوله تعالى : « كان مزاجها كافورا »<sup>(٢)</sup> ، . المعنى أنها في طيب الرائحة ، وسطوعها ، وأرجها كأرج المسك والكافور . فأما قوله تعالى : « كان مزاجها زنجبيلا »<sup>(٣)</sup> ، فإنه يدل على لذادة المقطع : لأن الزنجبيل يحذى اللسان ، وزعموا أن ذلك من أجود الاصناف للخمر عند العرب<sup>(٤)</sup> . .

فوصفه لذاذتها من مزج الزنجبيل الذى يحذى اللسان ، ليس معناه أنه جرب وتلذذ بما يلذذ الشاربين ، فقد احتاط الرجل بقوله وزعموا . . الخ ، والله أعلم بعد ذلك بحقيقة ما كان .

(٥) وبعد : ففي وصاته بثلك ماله لنجاة بغداد<sup>(٥)</sup> — ما يدل على حبه لهذه الطائفة وحده عليها ، وبره بها ؛ مشاركة منه لاهل الصنعة ، ورغبة منه في تخفيف ما يجدون .

## أمانة أبى على العلمية

وما يتصل بالحديث عن أخلاق أبى على — تلك السمة التى تطالعك في كتبه واضحة لا تحتاج في إدراكها إلى كبير عناء ، تراها في الحجة ، والإيضاح ، كما تبدو في مسائله المختلفة ، تلك أمانته العلمية ، التى تتجلى في توقفه فيما يرويه ، وتحرجه وتأدبه وتحريه ، ينسب المنقول شواهد ، وأقوالاً ، وخطأً ، ويعين المكان والكتاب ، ويذكر الحسبان والظن ، ويلقى العهدة على من روى ، ويتحاشى الادعاء في إثبات ما علم ، ونفى ما لم يعلم ، فيقرر أنه لم يعلم كذا ، أو لم يسمع ، أو لم يحفظ ، ويستثبت شيوخة ليتيقن ، ويشير إلى الرأى في غير إصرار ، ويعلن أنه لا يدري .

١ — يعزو الشعر إلى قائله أو منشده<sup>(٦)</sup> .

(١) ذيل تجارب الأمم : ٤١ (٢) سورة الدهر : آية (٥)

(٣) سورة الدهر : آية (١٧) (٤) الحجة : ٢٠٤/١ مراد ملا .

(٥) طبقات القراء : ٢٠٧/١

(٦) انظر مثلاً لوحة ٣٥ من البندايات ، وقد قنعت الكتاب على سبيل الاتفاق فرأيت في هذه اللوحة ينسب إلى الفرزدق وجريز وذى الرمة وأبى زيد .

- ٢ — ويقول حدثنا فلان . . وفلان من شيوخه <sup>(١)</sup> .
- ٣ — ويقرر مثلاً أنه وجد المنقول بخط السكري <sup>(٢)</sup> .
- ٤ — ويقول : قال الجرمي فيما قرىء علينا بالبصرة في الفرخ <sup>(٣)</sup> .
- أو يقول : وقد كان أبو بكر ذكر لنا في كتابه ديوان النابتة ، من رواية الأصمعي ، وفيما قرأنا عليه كذا وكذا <sup>(٤)</sup> .
- ٥ — وتارة يقول : وأنشد أبو بكر من الأصمعي أحسب <sup>(٥)</sup> . أو أظنه الأعرابي ، أو أكثر ظني أن الأصمعي قد ذكر في كتابه المترجم بالألفاظ <sup>(٦)</sup> وأنشد أبو مالك فيما يغلب على ظني <sup>(٧)</sup> . أو كذلك أظنه قال <sup>(٨)</sup> . أو أرى أنه حكى لي كذا <sup>(٩)</sup> ..
- ٦ — أو يقول : هذا أول القصيدة وابتدأها على ما حكى لي <sup>(١٠)</sup> ، ولم أسمع من الغشاوة فعلاً متصرفاً بالواو <sup>(١١)</sup> ، ولم أحفظ من ينباع فعل يفعل <sup>(١٢)</sup> ، أو لم أعلم اتخذت تعدى إلا إلى مفعول واحد <sup>(١٣)</sup> ، ولست أعرف الكناية عن معنى الجملة لاحد من أصحابنا إلا شيئاً أجاز أبو عثمان في كتابه الأخبار على تمرير <sup>(١٤)</sup> .
- ٧ — أو يقول : هذا لفظ أحمد بن يحيى ، واستثبت أبا الحسن في ذلك فأثبتته وصححه ، ولم أعلم لأصحابنا في هذه المسألة نصاً <sup>(١٥)</sup> .
- أو يقول : حكى لي أحلت عينه ، ولست منها على ثقة <sup>(١٦)</sup> .
- ٨ — أو يقول في بيت عنتره :
- هل تبلغن دارها شـدنية لعنت بمحروم الشراب مصرم <sup>(١٧)</sup>
- لعنت عليها ، فيكون الجار على هذا متصلاً - على ما رآه الساعة - بتبلغني <sup>(١٨)</sup> .

- (١) انظر مثلاً الحجة : ١/ ١٦٢ ، ١٦٤ ، ٢٣٦ مراد ملا .
- (٢) الحجة : ١/ ٢٤٢ بلدية .
- (٣) البصريات : ٨٣ وانظر ٦٤ أيضاً .
- (٤) البغداديات : ٢٦ .
- (٥) البصريات : لوحة ٥٧ .
- (٦) البغداديات : ٣٥ .
- (٧) الشيرازات : ٣٩ .
- (٨) الشيرازات : ٤١
- (٩) المختص : ٨/ ٢٣
- (١٠) البصريات : ٨٥
- (١١) الحجة : ١/ ٢٧٩ البلدية ، ٢٠٨ مراد ملا
- (١٢) البصريات : لوحة ٥٥
- (١٣) الحجة : ٢/ ٦٧ البلدية
- (١٤) البصريات : ٦٥
- (١٥) الحجة : ١/ ٢٢٦ البلدية
- (١٦) المختص : ١/ ١٠١
- (١٧) شرح المعاني السبع للزوزني ١٤٣
- (١٨) البصريات : ٥٥

٩ — ثم لا يستحي أن يقول لا أدري . قال في زلجى : لا أدري أفعل هي أم اسم .

هذه نزعة أبى على ؛ وفاء بحق الأمانة العلمية في مظاهرها المختلفة ، حتى تستطيع في يسر أن تميز أقواله من أقوال غيره ، على يقين في هذا التمييز وبصيرة ، وقد نص هو على ذلك في كتابه إلى الصاحب بن عباد ، وقد أهدى إليه كتاب الحجة ؛ إذ يقول : « فما تضمن من أثر ، وقراءة ، ولغة ، فهو من المشايخ الذين أخذت عنهم ، وأسندت إليهم » (١) .

وكذلك كان شأنه في كتبه التي اطلعت عليها .  
فإذا ذهبت ألتبس تعليلاً لهذه النزعة وجدت من أسبابها :  
( أولاً ) أنه محدث (٢) ، والمحدثون يلتزمون الصدق ، والأمانة ، والتحرى في الرواية ، والإسناد فيما يحدثون ، وقد وصفه ابن حجر بأنه صدوق في نفسه (٣) .  
( ثانياً ) أن العلماء قد توارثوا هذه النزعة ، ورويت عنهم أقوال مأثورة في الاعتراف بفضل القدامى ، فهذا أبو عمرو بن العلاء يقول : « إنما نحن بالإضافة إلى من كان قبلنا كبقل في أصول رقل » (٤) .

وقال يونس لأبي زيد : يا أبا زيد ! كم من علم استفدناه فكنت أنت سبيه (٥) ، واستحسن إبراهيم بن المهدي كتاب إسحق بن إبراهيم في النغم واللحن قائلاً : أحسنت يا أبا محمد ، وكثيراً ما تحسن . فقال إسحق : بل أحسن الخليل ؛ لأنه جعل السبيل إلى الإحسان (٦) ، وشيء مثل ذلك يروى عن السيرافي (٧) . وقد ظهرت هذه النزعة عند شيوخه الذين أخذ عنهم كابن السراج (٨) ، أو تأثر بهم كسيديويه (٩) ، وأبي حاتم (١٠) ، وأبي الحسن (١١) .

- (١) معجم الأدباء : ٢٣٩/٧ — ٢٤٠ .  
(٢) تاريخ بغداد : ٢٧٥/٧ (٣) انظر لسان الميزان : ١٩٥/٢  
(٤) نزعة الأبناء : ١٨ (٥) المغنى : ١١٢/٢  
(٦) طبقات النحويين واللغويين : ٤٦ (٧) انظر معجم الأدباء : ١٥٤/٨  
(٨) انظر الحجة : ٣٩/١ بلدية .  
(٩) انظر الكتاب : ٣١٨/١ ، ٣١٥/٢ وسيديويه امام النحاة : ١٨١  
(١٠) انظر نوادر أبي زيد : ١٦ (١١) انظر كتاب مسائيه : ٢٣٥

وما كان لأبي على وهذا مسلك أساتذته ، أن يتخلى عن هذه الفضيلة فيما يحكيه ولا يزال الناس — بعد أبي على — يتواصون بهذه الأمانة العلية حتى قالوا :  
« من بركة العلم وشكره عزوه إلى أهله » <sup>(١)</sup> .  
وقد عرف ابن جني هذه النزعة في أساتذه ، وقد نقل ذلك السيوطي <sup>(٢)</sup> عن  
الحصائص <sup>(٣)</sup> .

( ثالثاً ) أن أبا على حين أورد أقوال القدامى في أمانة لم يقف أمامها محتفية  
شخصيته ؛ بل ناقش ، واعترض ، ورد ، وأورد الدليل ، وصحح ، ورأى ، ونظر ،  
وأكد ، ورجح ، واستشهد ، ولا يتأتى شيء من ذلك في قوة إلا إذا كان مصحوباً  
بذكر آراء غيره منسوباً إليه على قدر علمه به في شك أو يقين .

### عقيدته

لا نكاد نجد فيما بين أيدينا من كلام أبي على الفارسي نفسه ما ينم على  
تميزه في العقيدة بنحلة أو مذهب .  
وهو في تناوله الكثير من نصوص القرآن ، المتصلة عن كتب بسائل  
الاعتقاد ، في عرض هذا الكتاب ، نراه يوجه كل عنايته ، بعد عرض ما  
أثر من وجوه القراءات المتواترة ، نحو تطبيق آرائه النحوية على كل وجه  
من تلك الوجوه ، ثم ايضاح مذاهب التفسير المختلفة المترتبة على ذلك ،  
دون مناصرة لمذهب على آخر ولا تحيز له الا بمقدار ما يصح له من  
التوجيه النحوي ، سواء أكان في ذلك ترجيح لمذهب أهل السنة أم المعتزلة  
أم غير هؤلاء وهؤلاء .  
وربما كان هذا المنهج الاختصاصي ، الذي سلكه أبو على في هذا  
الكتاب ، هو مذهبه الذي ارتضاه لنفسه في سائر مصنفاته ، أي أنه كان  
لا يشغل عقله وباله بالكتابة في غير فنه الذي تفرد به ، وحرص قصب السبق  
فيه على أفذاذ عصره ، وهو : علم العربية .

---

(١) انظر الزهر: ٣١٩/٢ (١) انظر الزهر: ٤١٧/٢ (٢)  
(٣) انظر ٦٠٨/٢ وما بعدها . (٤) ١٩/٩ (٥) ١٣١/٢  
(٦) ضحا الإسلام: ١٣/٣ (٧) تاريخ الأمم الإسلامية : (الدولة العباسية ٢٠٣)  
(٨) الفخرى : ٢٠٩

فنحن — من جانب — لا نكاد نجد في ثبت مصنفات أبي على كتابا يتصل بغير مباحث النحو ومسائل العربية ، وإذا كان قد ورد في ذكر مصنفاته عند ياقوت (١) ذكر كتاب له في تتبع كلام أبي على الجبائي في التفسير ، فأغلب الظن أنه تتبع في هذا الكتاب وجوه التخریجات النحوية المختلفة للآيات التي استند إليها أبو على الجبائي لتفسير نصوص القرآن في ضوء عقيدته الاعتزالية ، أو غيرها من الآيات ، مع صرف النظر في هذا التتبع عن مناصرة مذهب على آخر أو التحيز له .

على أن ذلك ان دل على شيء فانما يدل على معارضة الفارسی للجبائي في الاعتزال لا تشييعه له أو اعتناقه مذهبه .  
والا لم يكذب يتضح — من جانب آخر — اغفال كبار المترجمين لحياة أبي على بيان عقيدته ، أو الجزم بقول في ذلك على الأصح .

ولعل أول خبر يمكن الركون اليه في تحديد اتجاه خاص لعقيدة الفارسی هو ما ذكره الخطيب البغدادي من أنه كان متهما بالاعتزال (٢) . ويدل هذا الخبر — أول ما يدل — على تضعيف هذا الاحتمال . فثمة فرق بين أن يقول الخطيب — وهو من هو في سعة الاطلاع والتثبت — : كان أبو على معتزليا ، وأن يقول : كان متهما بالاعتزال ، كما يدل بعد ذلك على أن كتب أبي على — وقد كانت مشهورة متداولة في عصر الخطيب — لا توحى بميل خاص الى التشيع لفرقة ، أو التطرف في عقيدة .

ثم يجيء بعد الخطيب البغدادي أبو الحسن على الشيباني المعروف بابن الاثير الجزري ، صاحب الكامل في التاريخ ، فيزيد هذه التهمة وهنا على وهن ، ولا يذكر في عقيدة أبي على أكثر من قوله : قيل كان معتزليا (٣) .  
قد يكون هذان النصان أوثق ما ورد في تحديد عقيدة أبي على الفارسی وبيان نحلته ، لقدّم مصدريهما ، وقوة ما عرف عن هذين المصدرين من التحري ، والتحرز من القاء الكلام على عواهنه .

(١) معجم الادباء في ترجمة ابى. على الفارسی ٧ : ٢٤١ .

(٢) تاريخ بغداد ٧ : ٢٧٦ .

(٣) الكامل لابن الاثير ٩ : ١٧ .



وليس غريبا بعد أن يتوارث المترجمون المتأخرون حياة أبى على اتهمه بالاعتزال في وصف متردد بين التشكيك والترجيح (١) ، فطالما تبينا من كتب التراجم العربية في العصور المتأخرة على وجه الخصوص ايثارا لجمع الاخبار، والتكاثر بالآثار، على حسن التأتى لتحقيق النصوص، ونقد ما تحتوى عليه أو تشير اليه ، بل هي لا تخلو في كثير من الاحيان من شهوة التزيد في الخبر ، والتعلق بحشد كل بديع غريب •  
نعم ينقل صاحب معجم الادباء عن أبى الفتح منصور بن المعذر الاصفهاني المتكلم أنه كان يعد أبا سعيد السيرافي وأبا على الفارسي وعلى ابن عيسى الرمانى ، من المعتزلة النحويين (٢) •

ولكن هذا الخبر ربما أمكن فهمه على أن أبا الفتح الاصفهاني المذكور قد اعتمد على أقوال وتهم كالتى أشار اليها الخطيب البغدادي ، فغلبت عليه الرغبة في نظم الحلقات المتناسبة في عقد ، وجمع الاشباه في قرن •  
على أننا اذا دققنا النظر في دراسة عصر أبى على ويثته ، ووضعنا في الحسبان صورة ذلك العصر السياسية والاجتماعية العامة كما عرضناها من قبل ، لا سيما ذلك الطابع الذي كان يسم تلك الصورة من رجحان كفة البويهين وتغلغل نفوذهم وسلطانهم، ثم نظرنا بعد ذلك الى ما كان يتمتع به ابو على الفارسي من رفيع المنزلة وعظيم الشأن عند عضد الدولة البويهى — على وجه الخصوص — الذى أهدى اليه أبو على كثيرا من كتبه ، وقد يكون منها كتاب الحجة كما يتضح من فاتحته ، وكذلك الى حظوته عند غير عضد الدولة من أعيان رجال السياسة والحكم كالصاحب بن عباد، استطعنا اذا أن نهتدى هونا الى مثار تلك التهم التى أشار اليها البغدادي، والتي ربما كان الاصفهاني المتكلم قد تمسك بها في عد الفارسي من نحاة المعتزلة ، بل قد يكون في ذلك مظنة لما هو أكثر منه ، وهو توهم ان يكون الفارسي — فوق ما نسب اليه — من علماء الشيعة الامامية او غيرهم •

(١) انظر ابن خلكان رقم ١٥٥ ، وانباء الرواة للقفطى ١ : ٢٧٤ ، وبغية الوعاة للسيوطى : ٢١٦ •  
(٢) معجم الادباء لياقوت : ٣ : ٢٤٤ •

ولكن ذلك ونحوه لا يعدو ان يكون قرينة فقط ، ان صلحت لترجيح رأى على رأى فهى لا تصلح أن تكون سنداً أو مستمسكاً يعتد به او يعتمد عليه ، الا ان يرد في ذلك قول صريح عن مصدر وثيق ، او يكشف ابو على نفسه في عرض كلامه عن نحلة ، او عقيدة ، او مذهب ينتمى اليه .

حقا ورد ذكر لمصنفات ابى على الفارسي في كتاب : الذريعة الى تصانيف الشيعة ، لمحمد بن محسن الرازى ( نزيل سامراء المولود في ١١ من ربيع الاول ١٢٩٣ هـ / ١٨٧٦ م ) ، ولكن مصنف هذا الكتاب من متأخري الشيعة ، والقوم يتكاثرون بكل ما فيه مظنة الاتصال بهم على احد الوجوه .

على انه لم يرد ذكر لابي على الفارسي ولا لكتبه في كتاب معالم العلماء ، وهو فهرست لكتب واسماء المصنفين من الشيعة قديما وحديثا . تأليف رشيد الدين ابى جعفر محمد السروى المتوفى سنة ٥٨٨ هـ .

كما لم يرد للفارسي ولا لمصنفاته ذكر في فهرست الشيخ ابى جعفر الطوسي شيخ الطائفة ( المتوفى سنة ٤٥٩ / ١٠٦٧ ) ، ولا فى تكملته لمحمد بن على بن شهر آشوب المازندراني ( المتوفى سنة ٥٨٨ / ١١٩٢ ) ، ولا فى ذيله ايضا لعلى بن عبيد الله بن بابويه القمى ( المتوفى سنة ٥٨٠ / ١١٨٤ ) .

فأما كثرة استشهاد مفسرى الشيعة بأقوال أبى على وآرائه النحوية واللغوية ، كما يصنع أبو على الفضل بن الحسن ، أمين الدين الطبرسي ( المتوفى سنة ٥٤٨ / ١١٥٣ ) فى كتابه مجمع البيان لعلوم القرآن ، فليس فى ذلك حجة لتشيع أبى على ، بل ربما كان الملاحظ فى ذلك ما كان بينه وبين عضد الدولة وغيره من روابط المذهب والنحلة ، ان لم يكن ما ذكرناه قبل من تكاثر القوم بكل من تحوم حوله شبهة قرابة اليهم .

وأما رثاء الشريف الرضى للفارسي . فما أبعد أنه يكون دليلا على تشيعه، فقد كان الشريف يمدح ويرثى أعيان الرجال من شتى الملل والنحل،

وحسبك برثائه لابی اسحاق الصابىء وهو أبلغ قولاً وأسير ذكراً من رثائه لابی على •

وبعد ، فقد نجد في تضاعيف كتاب الحجة لابی على ما قد يدل دلالة قوية على تشيعه ، كما ورد فيما نقله عن على كرم الله وجهه :

« يروى أن علياً — عليه السلام — لما قال له عدى بن حاتم ما الذى لا ينسى ، الخ • فهذا الدعاء لعلى : « عليه السلام » ، صريح في الدلالة على تشيع صاحبه ، والشيعه — كما هو معروف — يقرنون علياً بالرسول صلى الله عليه وسلم وأنبياء الله ورسله •

ولكن مثل هذا النقل لا يصح أن يتخذ دليلاً حاسماً على تشيع الفارسي الا اذا استوثقنا من كتابته بخط أبى على نفسه لا بخط أحد النساخ • وليس بين أيدينا نسخة من كتاب الحجة بخط أبى على •

### مذهبه في الفقه

الظاهر أن أبا على كان يأخذ بمذهب أبى حنيفة في الفقه ، فقد كان مولده في فارس ومنشؤه في العراق ، وأصحاب أبى حنيفة في القطرين كثير (١) •

ثم ان هناك مشابهة واضحة بين نحو أبى على وفقه أبى حنيفة ، كلاهما يشيع فيه القياس ، وهو اذا حقق أن ينزع الى أبى حنيفة وأن يؤثر فقهه على ما سواه •

ويتردد الاستشهاد في كتب أبى على بأقوال لابی يوسف ومحمد (٢) ، وما كان ليفعل الا وهو لها دارس وهى لديه حاضرة • ويروون عن كتب أبى على أنها احترقت ، فلم يبق منها الا نصف كتاب الطلاق عن محمد ابن الحسن (٣) •

(١) احسن التقاسيم : ٤٢٩ •

(٢) انظر الشرايات : ٢٦ ، ١٥٦ •

(٣) معجم الادباء : ٧ : ٢٥٧ •

## صفات أبي على العقلية

من الآثار الأدبية التي تفصل صفات أبي على العقلية أرجوزة الشريف الرضى التي رثى بها أبا على ، قال :

أبا على للألدِّ إنَّ سَطَاً      وللخصوم إنَّ أطالوا اللَّغَطَا  
تُصِيبُ عمداً إنَّ أصابوا غلطا      ولمع تكشف عنهن الغِطَا  
كشفتك عن بيض العذارى النطا      ومصعب للقول ، صعب المتطى  
عسفته ، حتى عاد مجزول المطا      وسائر بالخطا ، لا بالخطا  
شواردُ عنك قطعن الريطا      كما رأيت الخيل تعدو المرطى  
ألبست فيها كلَّ أُذُنٍ قرطا      قد وردت أفهامنا وِرد القطا  
ومشكلات ما نشطن مفشطا      مَيَّز من ديجورها ما اختلطَا  
ضل المجادون ، وما تورطا      ملؤا مجارة فَنِيقٍ قد مطَا  
قَرُمٌ يهدُّ الأرض أن تخمطا<sup>(١)</sup>      تطرفوا الفج الذى توسَّطَا  
لا جذعا أودى ولا مُعْتَبِطَا      كانوا العقابيل ، وكنت الفرطا  
عند السراع يعرف القوم البطا      أرضى زَمَانُ بك ، ثم أسخطَا  
ما أطلبَ الأيامَ منا شَطَطَا<sup>(٢)</sup>

وهذه الأرجوزة تكشف عن غير خصيصة من خصائص أبي على : فهو جدل ذو لَدَد ، يفحم الخصوم — ويظهر أن ذلك انحدر إليه من دم أمه العربى ؛ ففى العرب — كما يقول الجاحظ اللدد عند الخصومة<sup>(٣)</sup> ، ثم هو يصيب عمداً إن أصابوا مخطئين ، يكشف عن لمع الأفكار ، حتى تبدو واضحة غراء ، ويذل صعاب القول ، حتى يردها حزة الامتطاء ، ويعالج شوارد الأفكار ، بما يقربها إلى الأفهام ،

(١) جاء فى القاموس — والمتخبط القهار والشديد الغضب له جلبة من شدة غضبه .

(٢) ديوان الشريف الرضى ٤٤٥/١ وما بعدها أعيان الشيعة ٣٥/٢١

(٣) البيان والتبيين : ٢٢/١

ويزيل ما اختلط بها من غموض وإبهام . قد ضل منافسة حتى ملوا مجاراته ، وهو هو لم يتورط ، أو يدركه الضلال ، غلاب شديد الغضب ، في جلبة تهد الأرض ، فلا يجرو أحد أن يقف أمامه خشية ورعاً . فيه لحولة ، أسعد الزمان بحياته ، ثم أسخط بموته ، وما أكثر ما تبعد بنا الأيام !

ومن الدلائل الخاصة على ذكاه أبي على نصحه لأبي القاسم عبد الله بن محمد بن جرو الأسدي ، وكان يلثغ بالراء غيناً — فقال له الفارسي : « ضع ذبابة القلم تحت لسانك ؛ لتدفعه بها ، وأكثر مع ذلك ترديد اللفظ بالراء » .

ويفعل ابن جرو الأسدي ما نصح به أبو على فيستقيم له لإخراج الراء <sup>(١)</sup> . قال ياقوت : « ما أحسن ما تطف أبو على في طبه هذا ! فإ الذي دله على هذه المعالجة ؟ ومن أين استنبط هذه المداواة ، وكيف احتال لهذا البرء ؟ ثم علل لذلك تعليلاً يتفق مع طبيعة الراء في النطق ، وعادة الألتغ ، وأثر رفع اللسان بالقلم أو نحوه — في ذلك . ثم قال : فلو كان واصل بن عطاء الغزالي حاذقاً حذق أبي على ( رحمه الله ) فداوى رأرأته ولثغته بهذا الدواء لأراحه من تكلفه لإخراج الراء من كلامه ، حتى شاع عنه من ابدال بعض الكلم ما شاع <sup>(٢)</sup> .

وبراعة أبي على في النكتة ، وسرعة استحضارها دليل كذلك على الذكاء : نقل صاحب أعيان الشيعة عن رياض العلباء أن جماعة وقفوا على باب أبي على فلم يفتح لهم فقال أحدهم : « أيها الشيخ ! اسمي عثمان ، وأنت تعلم أنه لا ينصرف ، فبرز غلامه وقال : إن الشيخ يقول : « إن كان نكرة فليصرف <sup>(٣)</sup> » ! !

ومما يشهد لأبي على بصفاء ذهنه ، وخلو فكره — أنه سئل قبل أن ينظر في العروض عن خرم متفاعلين ، فتفكر وانتزع الجواب فيه من النحو <sup>(٤)</sup> .

وقد يكون في هذه القصة شيء من المبالغة أشبه بذلك الذي يحكى عن الخليل من أن ملك اليونان كتب إليه كتاباً باليونانية غفلاً بالكتاب شهرأ حتى فهمه . . . <sup>(٥)</sup> ، ولكن القصة على كل حال صدى لما كان يشتهر به أبو على من الذكاء .

على أن آثار العالم تدل على عقليته ، وهذه كتب أبي على تنطق بما كان عليه من دقة في الاستخراج ، وبراعة في الاحتجاج ، ولطف في القياس والاستدلال ،

(١) بقية الوعاء : ٣٢٠ (٢) معجم الأدباء : ٦٧/١٢

(٣) أعيان الشيعة : ٢١/٢١٠ حاشية نكتته الشيخ ! تحوية . . .

(٤) انظر بقية الخبر في معجم الأدباء : ٢٢٦/٢٣٥/٧ .

(٥) انظر الخبر بتمامه في طبقات الزبيدي : ٤٧٠

بما يؤكد قوله : « أخطيء في خمسين مسألة مما به الرواية ، ولا أخطيء في واحدة مما به القياس »<sup>(١)</sup> . وفي ذلك دليل أى دليل على أنه يعمل عقله وتفكيره في اعتبار الأشياء فيصيب ، ولا يخطئه السداد والتوفيق .

وتعليل ذكاه أبى على أمر ميسور ، فهو :

أولاً — فارسي ، « والفرس — كما يقول أبو عمر النرى القرطبي ( ٤٦٣ هـ ) أهل رياسة وسياسة ، وحسن مملكة ، ووضع الأشياء في مواضعها »<sup>(٢)</sup> ، وهى صفات تتصل بنضج العقل ، وخلوص التفكير .

ثانياً — ثم هو فسوى ، وقد قرر المقدسى الذى طوف بالبلاد الإسلامية في عصر الفارسي أنه لم يجد « ألبق من أهل فسا »<sup>(٣)</sup> .

ثالثاً — ثم هو عاش مدة طويلة بشيراز ، وفي أهلها كما يقول المقدسى أيضاً : « عقل ودها »<sup>(٤)</sup> .

هذه الدلائل العامة تصاحبها أخرى خاصة ، فأبو على يمتزج في نسبه الدم العربي بالدم الفارسي ، ومن المقرر أن الاغتراب في المصاهرة مؤد إلى فراهة الأجسام ، وسلامة العقول حتى أثر « اغتربوا لا تضوا »<sup>(٥)</sup> ، فكيف يكون الحال بالامتزاج والتصاهر بين فارسي وعربية ؟

---

(١) انظر نزهة الأدباء : ٢١٠ ، وبجملها صاحب اعيان الشيعة مائة والاتفاق على الأول .

(٢) أحسن التقاسيم : ٣٤

(٣) القصد والأمم : ٣١

(٤) لسان العرب : ٢٢٥/١٩

(٥) نفس المصدر : ٤٣٠

## ثقافة أبي علي — دراسته ومراجعته

يحدثنا المؤرخون أن أبا علي انتقل من فارس إلى العراق في السنة السابعة بعد الثلاثمائة من الهجرة ، ومعنى ذلك أنه انتقل إلى العراق ، وقد نضج واكتمل إذ كان يدرج نحو العشرين <sup>(١)</sup> . ولست أعرف على التحديد منهج الدراسة الذي اتصل به أبو علي قبل انتقاله إلى عاصمة العراق ، وإن بدا أنه شدا أطرافاً من ألوان الثقافة العربية مما يبدأ به الدارسون عادة من حفظ القرآن الكريم وسماع الحديث الشريف ، والتفقه في الدين الخفيف ، وحفظ أشعار العرب ، إلى جانب ما توحى به عبارته ، وقد جرى ذكر الشعر بحضرته : «لاني لأغبطكم على قول الشعر ، فإن خاطري لا يوافقني على قوله مع تحقيق العلوم التي هي مواده <sup>(٢)</sup> ، وما مواد الشعر إلا علم العربية والشريعة والعروض والقوافي <sup>(٣)</sup> . كما يبدو أنه نظر في النحو قبل أن ينظر في العروض <sup>(٤)</sup> . وانتقال أبي علي إلى العراق مكنه من الاتصال بالاعلام من شيوخ العربية ، وبذلك عرفنا على التحديد منهج الدراسة الذي تلقاه منذ ذلك الحين : ففي العراق يلتقي بأبي بكر بن مجاهد المقرئ ، وأبي اسحق الزجاج النحوي ، اللغوي وصاحب الاختيار في النحو والعروض <sup>(٥)</sup> . وأبي بكر ابن الخياط الذي كان يخطط بين مذهبي البصرة والكوفة <sup>(٦)</sup> ، وأبي بكر بن دريد اللغوي صاحب الجمهرة ، وأبي بكر مبرمان النحوي ، وأبي بكر بن السراج صاحب الأصول في النحو <sup>(٧)</sup> ، ولا شك أنه باتصاله بهؤلاء الشيوخ أرضى نهمه العلمي ، واستكمل ما لم يكن أدركه في فسا وشيراز ، وتبحر في اللغة والنحو وعلوم العربية ما شاء أن يتبحر ، وتحدثنا المصادر أنه قرأ كتاب سيويه على مبرمان <sup>(٨)</sup> وأبي بكر ابن السراج <sup>(٩)</sup> ، كما سمع من الزجاج كتابه في معاني القرآن <sup>(١٠)</sup> . كما سمع معاني القرآن للقراء من أبي بكر بن مجاهد <sup>(١١)</sup> .

- 
- (١) يذكر الدكتور بشر فارس أن أبا علي انتقل إلى بغداد وهو ابن تسع ولعل عشرة ساقطة . انظر سر الزخرفة الإسلامية : ٣١/٣٤ .  
 (٢) وفيات الأعيان ٣٦٢/١ ومجمع الأدباء : ٢٥١/٢  
 (٣) انظر المثل السائر : ٤ (٤) انظر مجمع الأدباء : ٢٣٥/٧-٢٣٦  
 (٥) نزعة الالباء : ١٦٦ (٦) نزعة الألباء : ١٦٨  
 (٧) نزعة الالباء : ١٦٩ (٨) بغية الوعاة : ٧٤  
 (٩) مجمع الأدباء : ٢٥٢/٧ - ٢٥٣ (١٠) انظر مقدمة كتاب المحتسب : ١٠  
 (١١) انظر المصدر السابق . . .

وتعد عبارة أبي حيان التوحيدى فى كتابه الامتاع<sup>(١)</sup> ، مفتاحاً للحديث عن دراسة أبى على ومراجعته فهو يقول : « . . وأما أبو على فأشد تفرداً بالكتاب وأشد إكباباً عليه . وما تجاوز فى اللغة كتب أبى زيد ، وأطرافاً عما لغيره ، وتفتيش كتب أبى على نفسها يجعلنا نتحقق من قوله أبى حيان ، وبخاصة كتابه الحجة الذى قال فى إهدائه للصاحب بن عباد : « فإتضمن من أثر ، وقراءة ، أولغة ، فهو عن المشايخ الذين أخذت ذلك عنهم ، وأسندته إليهم »<sup>(٢)</sup> .

كتب أبى على تدل على أنه حفظ القرآن الكريم ، وانتفع به ، ونظر فيه نظرة الفاحص المستشهد على آرائه النحوية . اسمع إليه يقول : « مما أصبت مما أعمل فيه الثانى قوله ( تعالى ) : « قال آتوني أفرغ عليه قطراً »<sup>(٣)</sup> . تر كيف يقف أبو على أمام آى القرآن الكريم يتفحصها ، ويستخرج منها ما تدل عليه بما يذهب إليه ، ثم تراه قوى الاستحضار ، لآى القرآن يفسر بعضها ببعض ، ويشرح لفظاً هنا بلفظ هناك<sup>(٤)</sup> ، وهو عالم بالتفسير<sup>(٥)</sup> . وقد اطلع على تفسير ابن عباس<sup>(٦)</sup> ويحكى عن أبى عمر فى تفسيره<sup>(٧)</sup> . ويورد تفسير السدى للقليل فى قوله تعالى : « ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا »<sup>(٨)</sup> . ويتصل بأبى عبدة فى مجازة ، ويستعين به<sup>(٩)</sup> . ويروى عن الزجاج كتاب الإبانة والتفهيم عن معنى بسم الله الرحمن الرحيم<sup>(١٠)</sup> ، كذلك كان من ثقافة أبى على الحديث ، يسمعه ويرويه ، وله تلاميذ يسمعون منه ، وقد قال عن نفسه : قد سمعت الكثير فى أول الأمر ، وكنت أستحي أن أقول : أثبتوا اسمي<sup>(١١)</sup> كما استظهرت فى مكان آخر على روايته للحديث ، وعلى تفقهه فى الدين ، ومشاركته فى هذا اللون من الثقافة الدينية . وما من شك كذلك أنه بجانب هذه الدراسات الدينية واللغوية والنحوية كانت له مشاركة فى رواية الشعر<sup>(١٢)</sup> وكان يقايس بين المسائل النحوية

- |   |  |
|---|--|
| (١) الجزء الأول ١٣١   | (٢) معجم الأدباء ٢٣٩/٧ - ٢٤٠                                   |
| (٣) يرى أبو على ما لا يراه البصريون                                   | (٤) سأعطى ذلك فضل بيان فيما بعد                                |
| (٥) انظر الشيرازات ٨١   | (٦) الحجة ٢٣/١ مراد ملا والاغفال هـ                            |
| (٧) الحجة ٢٢٨/١ مراد ملا  | (٨) الحجة ١٥٤/١ مراد ملا .                                     |
| (٩) انظر مثلاً الحجة ١/١٥٩ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ٢٠٦ ، ٢٣١ ، ٢٧٣ من البلدية . | (١٠) انظر المخطوطة رقم ٦٧ نحو الصفحة الأخيرة من هذه المجموعة . |
| (١١) معجم الأدباء ٢٥٥/٧   | (١٢) انظر البصريات لوحة ٥٧                                     |



والمعاني الشعرية<sup>(١)</sup> ، كما كان له علم بالأخبار الأدبية<sup>(٢)</sup> ، وقد قرأ على أبي بكر ابن السراج ديوان النابغة من رواية الأصمعي<sup>(٣)</sup> .

وقد أجاز ابن جني رواية أبيات المعاني<sup>(٤)</sup> للأشناداني الراوية البصري<sup>(٥)</sup> ، وكتابه المعاني يتضمن الكلام على المذاهب الشعرية ونقدها ، وضروبها ، وأساليبها وأطوارها في عصورها المختلفة ، وتفسير غريبها<sup>(٦)</sup> . كذلك رأيت أبا علي يعتمد على ما قال أبو مالك عمر بن كركرة الأعرابي<sup>(٧)</sup> ، وأبو مالك هذا أحد فصحاء العرب المشهورين الذين سمع منهم العلاء<sup>(٨)</sup> . كذلك اتصل أبو علي بمعاني الشعر لأستاذه أبي بكر بن الخياط<sup>(٩)</sup> .

وشاهد أبي علي دالة على ماله من وفرة المحفوظ<sup>(١٠)</sup> ، والضلالة في الاستشهاد ، واليقظة في الاستنتاج<sup>(١١)</sup> . يذكر الأمثال<sup>(١٢)</sup> ، ويستشهد بأقوال الكهان<sup>(١٣)</sup> ودعاء الأعراب<sup>(١٤)</sup> وأقوالهم<sup>(١٥)</sup> ، وآثار الأجبار<sup>(١٦)</sup> ، ويروي الأخبار<sup>(١٧)</sup> ، ويعرف ما يذكره حذاق الفلاسفة<sup>(١٨)</sup> ، وهو عالم بعادات العرب<sup>(١٩)</sup> ، وعادات الفرس<sup>(٢٠)</sup> .

ومن المراجع اللغوية والنحوية والصرفية التي اعتمد عليها أبو علي واتصل بها : نوادر الأصمعي<sup>(٢١)</sup> ، وكتاب الخيل للأصمعي أيضاً<sup>(٢٢)</sup> ، والآلفاظ له كذلك<sup>(٢٣)</sup> ،

- 
- (١) انظر الخصائص: ٥٦٨/١ (٢) انظر الشيرازيات: ١٨ ، ١٢٠  
 (٣) انظر البغداديات: ٢٩  
 (٤) انظر خزائن الأدب: ١٢/١ (٥) بغية الوعاة: ٣٢٤  
 (٦) الكتاب مطبوع بدمشق ١٩٢٢ م ، ١٣٤٠ هـ  
 (٧) الشيرازيات: ٣٩  
 (٨) انظر الفهرست: ٦٦ في ترجمة ويلتقم الحمار المستنق وصحتها الحمار المستنق وانظر الرواة  
 ٣٦٠/٣ (٩) معجم الأدباء: ٢٦١/٧  
 (١٠) انظر مثلاً المخصص لابن سيده: ٩٨/٥ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ٤/٧ ،  
 ٢٣ ، ٢٤ ، ٦١ ، ٦٣ ، ١١٣ (١١) انظر مثلاً المخصص: ١٨٧/٧-١٨٨  
 (١٢) المخصص: ١٢١/٤ ، ١٥٥/٩ (١٣) المخصص: ٦٤/٤  
 (١٤) نفس المصدر: ١٤٣/١٦ (١٥) المخصص: ٣/١٢  
 (١٦) ٧/٩ (١٧) المخصص: ٤٣/١٦  
 (١٨) المخصص: ٣١٩/١١ (١٩) انظر المخصص مثلاً: ٤٩/٨  
 (٢٠) انظر المخصص: ١٥٩/٧ في شرح البحار  
 (٢١) انظر انباء الرواة: ١١٩/٢ (٢٢) انظر القلم رقم ٧٨٦ المحفوظ بمعهد احياء  
 المخطوطات العربية (٢٣) انظر البغداديات: ٤٩ ، ٣٥ في كلمة ثمة وانظر سيبويه ٢/٢٣٠

ويتصل بنوادر ابن الأعرابي<sup>(١)</sup> ، والأصول لأبي بكر بن السراج<sup>(٢)</sup> ، والجل<sup>(٣)</sup> ، وكتاب الأخبار لأبي عثمان<sup>(٤)</sup> . ويروى كتاب التصريف عن ابن السراج عن المبرد<sup>(٥)</sup> .

ويستعين بما قال الجرمي في اللغة<sup>(٦)</sup> ، ويقرأ كتابه الفرخ<sup>(٧)</sup> . وهو القائل : « قل من اشتغل بمختصر الجرمي إلا صارت له بالنحو صناعة<sup>(٨)</sup> » . ويكتب الاشتقاق لابن دريد إملأه عنه<sup>(٩)</sup> . ويتصل بكتب يعقوب بن السكيت<sup>(١٠)</sup> ، وينص على أنه قرأ إصلاح المنطق على أبي إسحق<sup>(١١)</sup> . كما يقرأ التصريف للفراء<sup>(١٢)</sup> ، ويطلع الفارسي على كتب أبي الحسن بعامة<sup>(١٣)</sup> ويشير قوله : أنشده : ( يريد فلو كان البكاء يرد شيئاً ) — أبو الحسن في المعاني إلى اطلاعه على ذلك الكتاب<sup>(١٤)</sup> . وكذلك قوله قال أبو الحسن في كتابه في القرآن<sup>(١٥)</sup> ، كما يتصل بكتاب الغلط للمبرد<sup>(١٦)</sup> . وينظر في المقترض فما ينتفع منه بشيء إلا بمسألة واحدة<sup>(١٧)</sup> ، ويطلع على المسائل المشروحة من كتاب سيويه للمبرد ، ويقرؤه على ابن السراج<sup>(١٨)</sup> . ويتصل بأحمد بن يحيى ثعلب عن طريق أبي بكر بن مجاهد الذي حدث عنه ، وكان على علم بمذهب الكسائي والفراء<sup>(١٩)</sup> وآراء الكوفيين على العموم<sup>(٢٠)</sup> ، ثم هو يطلع على كتاب العروض لأحمد بن محمد العروضي حتى قال أبو علي . وقد احتاج إلى الاستشهاد ببيت قد تكلم عليه في التقطيع : « وقد كفانا أبو الحسن العروضي الكلام في هذا الباب<sup>(٢١)</sup> » .

هذه أمثلة من مصادره تجمل لنا سعة اطلاعه ، وحرصه على آثار من سبقوه ، كما كان حريصاً على نقل الفوائد<sup>(٢٢)</sup> . كذلك تدل بعض أنبائه أنه كان يعقد سمعه

- 
- |  |                                    |
|--|------------------------------------|
| (١) البصريات : ٦١  | (٢) البغداديات : ٣٩ والبصريات : ٦٤ |
| (٣) معجم الأدياء : ٢٣٩/٧   | (٤) البصريات : ٦٦                  |
| (٥) انظر النصف لابن جني ٦ تحقيق الأستاذين إبراهيم مصطفي وعبد الله أمين |                                    |
| (٦) الشيرازيات : ٣٦  | (٧) البصريات : ٦٤ ، ٨٣             |
| (٨) نزهة الألباء : ١٠١   | (٩) البصريات : ٥٧                  |
| (١٠) البصريات : ٧٣   | (١١) المخصص : ٧٤/٥                 |
| (١٢) انظر خزانة الأدب : ٢/٢٥٩ (١٣) انظر الحجة : ١/٣٦ من البلدية        |                                    |
| (١٤) انظر المسائل المنورة لوحة ١٥٦                                     | (١٥) الحجة : ١/٢٤٨ من مراد الملا   |
| (١٦) الاغفال : ١٥  | (١٧) انظر معجم الأدياء : ١٩/١٢١    |
| (١٨) الاغفال : ١٩٧   | (١٩) الحجة : ١/٢٨٩ من البلدية      |
| (٢٠) انظر البصريات : ٦٤  | (٢١) معجم الأدياء : ٤/٢٣٣          |
| (٢٢) انظر معجم الأدياء : ٧/٢٣٧   |                                    |

على لهجات الناس ، وما يلوون به ألسنتهم ، فتنبه هذه الظواهر إلى لفظها ، وتسجيلها ، والإفادة منها في تلافح اللهجات ، وسريانها على ألسن المتكلمين<sup>(١)</sup> .

ومما يدل على حبه للعلم موقفه من كتبه التي احترقت ، وما ناله من الهم والحزن والتحير والذهول ، وبقاؤه على ذلك شهرين لا يكلم أحداً لغلبة الفكر عليه<sup>(٢)</sup> .

ومما مكن له في العلم أنه أقام على أنسه به لا يشغله عنه شيء — كما يقول تلميذه ابن جنى — سبعين سنة زائحة عله ، ساقطة عنه كلفه ، وجعله همه وسدمه ، لا يعتاقه عنه ولد ، ولا يعارضه فيه متجر ، ولا يسوم به مطلباً ، ولا يخدم به رئيساً إلا بأخرة وقد حط من أمثاله ، وألقى عصا ترحاله<sup>(٣)</sup> . .

ثم هو بنظره في العربية ، والخوض فيها ، يستجيب لداع ديني يفسره شرحه للحديث الشريف : « إن الله ينهاكم عن قيل وقال ، حيث قال : معنى النهي في هذا الحديث المجادلة بالباطل ؛ ليدحض به الحق ، وليس على النهي عن الخوض في العربية وتعلمها ؛ لأن الحوض على النظر فيها قد كثرت الرواية به عن السلف (رحمهم الله) ، ثم قال : حدثنا اسماعيل بن محمد قال : « حدثنا محمد بن عيسى العطار قال : حدثنا كثير بن هشام قال : « حدثنا عيسى بن إبراهيم عن الحكم بن عبد الله الزهرى ، عن سالم عن أبيه قال<sup>(٤)</sup> : « مر عمر بن الخطاب على قوم يرمون رشقاً فقال : بئس ما رميتم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إنا قوم متعلين . فقال : والله لذنبكم في لحنكم أشد على من ذنبكم في رميكم ؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : رحم الله رجلاً أصلح من لسانه<sup>(٥)</sup> .

بهذه النزعة الدينية يخوض أبو على في العربية ، ونأهيك بها نزعة دافعة إلى بلوغ أقصى الغايات ؛ استجابة لداع من دواعي العقيدة ، ورغبة في مذخور الثواب بتقديم القربات .

أما دور العلم والأماكن التي درس فيها أبو على ، وثقف ، وثقف فقد كانت :

(١) المساجد : ويقول المقدسى : « ومن رسوم أهل فارس إذا صليت العصر

كل يوم جلس العلماء للعوام إلى المغرب ، وكذلك بعد الغداة إلى ضحى ، وأيام الجمع

(١) انظر الخصائص: ٩٥/١ (٢) انظر معجم الأدباء: ٢٥٦/٧ - ٢٥٧

(٣) الخصائص: ٢٨٥/١

(٤) حرصت على نقل الاسناد في هذا الحديث لأنت توثيقه على هذه الصورة من تمام

(٥) الحجّة: ٢٣١/١ مراد ملا

البرهان على ما أنا فيه

يجمعون في غير موضع ، وطابت شيراز بجامعها ، والصوفية به كثير<sup>(١)</sup> . ونجد في نهاية المسألة الأولى من الشيرازيات لأبي علي ما نصه : « هذه مسألة أملاها — أي أبو علي — بشيراز في المسجد الكبير بالربض<sup>(٢)</sup> » .

(ب) والدور : قال ابن جرير الطبري : حضرت باب دار أبي كريب الهمداني مع أصحاب الحديث فاطلع من باب خوذة له ، وأصحاب الحديث يلتمسون الدخول ويضجون ، فقال : أيكم يحفظ ما كتب عني ؟ فالتفت بعضهم إلى بعض ، ثم نظروا إلى وقالوا : « أنت تحفظ ما كتبت عنه ؟ » قال : قلت نعم ا فقالوا : هذا فسله ، فقلت : « حدثنا في كذا بكذا ، وفي يوم كذا بكذا » . قال : « وأخذ أبو كريب في مسأله إلى أن أعظم في نفسه ، فقال له : ادخل إلى فدخل إليه ، وعرف قدره على حدائته ، ومكنه من حديثه<sup>(٣)</sup> .

ونجد في صدر رسالة من الشيرازيات ما نصه : « قرأتها على الشيخ (أيده الله) في جمادى الأولى سنة أربع وستين وثلاثمائة في منزله<sup>(٤)</sup> » .

(ج) وخزائن الكتب : وتلقى العلم عنها يتضح بما يذكره ياقوت عن جعفر ابن محمد الموصلي (ت ٣٢٣ هـ) من أنه كان له ببلدة دار علم جعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم ، وقفاً على كل طالب للعلم ، لا يمنع أحداً من دخولها ، إذا جاء غريب يطلب الأدب ، وإن كان معسراً أعطاه ورقاً وورقاً ، تفتح كل يوم ، ويجلس فيها إذا عاد من ركوبه ، ويجتمع إليه الناس ، فيملي عليهم من شعره ، وشعر غيره ومصنفاته . . . يملئ من حفظه من الحكايات المستطابة ، وشيئاً من النوارد المؤلفة ، وطرفاً من الفقه ، وما يتعلق به<sup>(٥)</sup> . ولعل أبا علي ورد هذا المنهل في بعض رحلاته إلى الموصل . هذا وكانت خزانة عضد الدولة مفتوحة للعلماء كما نفهم من المقدسي<sup>(٦)</sup> .

- 
- |                         |                                      |
|-------------------------|--------------------------------------|
| (١) أحسن التقاسيم: ٤٣٩  | (٢) المسائل الشيرازيات : لوحة رقم ١٠ |
| (٣) معجم الأدباء: ٥١/١٨ | (٤) الشيرازيات: لوحة رقم ١١          |
| (٥) معجم الأدباء: ١٩٣/٧ | (٦) انظر أحسن التقاسيم: ٣٩٤ ، ٤٤٨    |

## هل كان أبو علي يعرف الفارسية ؟

أبو علي يلقب النفسوى حيناً ، والفارسي أحياناً <sup>(١)</sup> ، وهو لقب يوحى بأنه على صلة بالفرس ، فاللقب الاول دال على مولده ، والآخر يشير إلى جنسيته ، ثم هو قد انتقل من بلاد فارس إلى بغداد في نحو العشرين من عمره ، وإذن فقد أمضى مدة طويلة في فارس : فسا مولده . وشيراز التي عاش فيها قبل أن يرحل إلى بغداد عاصمة الخلافة فهل كان بعد ذلك كله — يعرف الفارسية ؟

يشير ابن جنى في كتابه الخصائص إلى أن أبا علي قد تدرب بالفارسية قبل استعراجه <sup>(٢)</sup> ، ولكن تدربه بالفارسية لم يكن يبلغ به إلى أن يكون عالماً باللغة العجمية عليه باللغة العربية <sup>(٣)</sup> .

وفي مكان آخر من الخصائص يقول ابن جنى : « ورأيت أبا علي ( رحمه الله ) كثير المستوحش من الابتداء بالساكن في كلام العجم . . . قال : « وإنما خفي حال هذا في اللغة العجمية لما فيها من الزممة ، يريد أنها لما كثر ذلك فيها ضعفت حركاتها ، وخفيت <sup>(٤)</sup> .

وملاحظ أني على في النص الأخير ، وعدم استيحاشه من ابتداء العجم بالساكن ، وتعليله ذلك بما علل . كل ذلك لا ينهض دليلاً قوياً على علمه بالفارسية ؛ لأن هذا الملحظ يتأتى للعربي خالص العروبة ، كما يتأتى لمن هو غير أعجمي على وجه العموم . ومثل ذلك يوجه إلى قوله في البغداديات : « وإنما تكون الدربة بحسب كثرة العادة ، وهذا وجود في العادات ، وبين عند أهل اللغة . ألا ترى أن المتكلم باللغة العربية لا يسهل عليه النطق باللغة الفارسية ، ولقلة اعتياده لذلك ، وكذلك المتكلم باللغة الفارسية ، وكثيراً لا يسهل عليه النطق باللغة العربية سهولة الفارسية ، وليس ذلك لشيء أكثر من أن كل واحد من أهل اللغتين لما لم يكثر ذلك في عادته فلم يرَ تَضُّ به لم يخفَّ عليه <sup>(٥)</sup> .

ولإذا كان ابن جنى الرومي يعرف الكلمات الفارسية <sup>(٦)</sup> ، فأحر بشيخه الفارسي أبي علي أن يعرفها .

على أني بعد ذلك وجدت ما يدل على علم أبي علي بترجمة بعض كلمات فارسية

(١) انظر تحقيق ذلك في ص ٤١ وما بعدها من هذا البحث .

(٢) الخصائص : ٣٥٢/١ (٣) نفس المصدر : ٢٥٢/١ - ٢٥٣

(٤) الخصائص : ٩٤/١ (٥) البغداديات : لوحة ٤٧

(٦) الخصائص : ٩٣/١ وما بعدها

ذلك قوله في معرض الحديث عن الخبر في قولهم « هو حلو حامض » ألا ترى أن أبا عمرو قال في تفسير ذلك : « ترش شيرين <sup>(١)</sup> » ، وترش شيرين كلمة فارسية؛ معناها حلو حامض <sup>(٢)</sup> .

وفسر الزجاج الاسوار من أساورة الفرس بأنه الجيد الرمي بالسهم ، وتعقبه الفارسي بقوله : « وما ذكره في الاسوار أنه الجيد الرمي بالسهم فهذا لعمري صفة من أوصافهم ، وليس بترجمة اللفظ على حقيقته ، والترجمة ذو الفرس <sup>(٣)</sup> .

وقال أبو علي في الحلييات : « والأبريق » ترجمته بالفارسية أحد شيتين : (١) أما أن يكون طريق الماء . (ب) أو صاب الماء على هيئة <sup>(٤)</sup> ، وانظر كلامه في الأسكرجه <sup>(٥)</sup> .

وأورد أبو منصور الجواليقي في كتابه المعرب من كلام الأعجمي على حروف المعجم ما نصه : « حكى عن أبي علي قال : « رأيت أبا بكر يدير هذه اللفظة : (بوصى) ، ليشتها فقلت : « أين تذهب ؟ أنها فارسية : إنما هو بوزيد وهو اسم جدنا ، قال ومعناه السالم فقال أبو بكر : « فرجت عني » .

فذلك النص يدل على معرفة أبي علي للفارسية <sup>(٦)</sup> ، وثقة أبي بكر به فيها ، وما يحدث عنها

وبعد : فإن فارسية أبي علي ، وإقامته قرابة أربعين عاماً ببلاد فارس قبل أن يرحل إلى بغداد ، وبعد أن لحق بخدمة الدولة الديلمي ، ثم صداقته لعضد الدولة الذي يرتفع في نسبه من بوبه إلى واحد من ملوك الفرس <sup>(٧)</sup> ومعرفة عضد الدولة للفارسية <sup>(٨)</sup> ، وحكمة بلاد فارس في وقت ضعفت فيه الخلافة العباسية — كل ذلك بعض الدلائل على صلة أبي علي بالفارسية وعلمه بها .

على أنني بعد أعود إلى قوله ابن جني عنه — وقوله الفصل في ذلك : — إنه تدرب بالفارسية قبل استعراجه ، ويبدو أنه لما استعرب تغلبت العربية ، ولحقت الفارسية الخفيف من العربية كما يقرر الجاحظ في بعض ما قال <sup>(٩)</sup> .

(١) الحجة : ١٣٦/١

(٢) انظر القاموس الفارسي العربي في هاتين الكلمتين

(٣) الاقفال رقم ٦٩٩ تفسير : ٥٢٨

(٤) الحلييات ظهر ورقة ٨٧ (٥) الحلييات : ٨٤

(٦) المعرب . ٤ (٧) الفخرى : ٢٤٤

(٨) انظر أحسن التقاسيم : ٤٣٢ في كلامه على جور (٩) انظر البيان والتبيين :

## مذهب أبي علي في القراءات

يجدر بي وموضوع البحث « أبو علي وأثره في القراءات والنحو ، أن أتبين مذهب أبي علي في القراءة كما أتبين مذهبه في النحو ، وأن أتعرف القراءة التي كان يقرأ بها القرآن الكريم ، والإمام الذي كان يتأثره في قراءته ، والأسباب التي دفعته إلى تأثر ذلك الإمام دون سواه ؟ ثم دلائل هذا التأثير فيما ترك لنا أبو علي من شواهد ونصوص ، ويعينني المقدسي في أحسن التقاسيم لإعانة خاصة . حيث يبين أصحاب القراءات المستعملة في عهده — وهو معاصر لأبي علي — كما يذكر أماكنها في العالم الإسلامي ، وذلك قوله : « وأما أصحاب القراءات المستعملة اليوم فعلى أربعة أقسام :

( أ ) حروف أهل الحجاز وهن أربع : قراءة نافع ، وابن كثير ، وشيبة ، وابن جعفر .  
( ب ) وحروف أهل العراق وهن أربع : حرف عاصم ، وحمره ، والكسائي ، وأبي عمرو .

( ج ) وقراءة أهل الشام وهي لعبد الله بن عامر .

( د ) وحروف الخاص وهن أربع : قراءة يعقوب الحضرمي ، واختيار أبي عبيدة ، واختيار أبي حاتم ، وقراءة الأعمش . وأكثر الأئمة على أن الجميع صواب<sup>(١)</sup> وشيوع قراءات هؤلاء الأئمة في تلك البيئات أثر من آثار استيطانهم لها ، وأخذ أهلها القراءات عنهم ، وتلاوة القرآن بحروفهم :

١ — فابن عامر أحد العرفاء الذين أقامهم أبو الدرداء الانصاري في جامع دمشق ، ولما مات أبو الدرداء خلفه ابن عامر<sup>(٢)</sup> .

(١) أحسن التقاسيم : ٣٩ ط ليدن الطبعة الثانية سنة ١٩٠٩

(٢) طبقات القراء : ٦٠٦/١

٢ — وابن كثير مكي ، ولد بمكة ، وظل ثلاثة أرباع قرن بها مقبلاً فيها <sup>(١)</sup> . ولم يزل هو الإمام المجتمع عليه في القراءة بمكة حتى مات بها <sup>(٢)</sup> .

٣ — ونافع مدني عاش بالمدينة يقرئ فيها الناس دهرأ طويلاً نيفاً وسبعين سنة <sup>(٣)</sup> .

٤ — بقي بعد ذلك العراقيون : أبو عمرو البصري <sup>(٤)</sup> ، وعاصم ، وحزمة ، والكسائي الكوفيون <sup>(٥)</sup> ، فمن الطبيعي إذن وهذه بيئات القراء السبعة أن تذيب قراءاتهم فيها لإذكار الناس يتلقون عنهم ، ويقرءون — سماعاً أو عرضاً عليهم . وأستطيع أن أستبعد كلا من ابن عمر الشامي ، ونافع ، وابن كثير الحجازيين ؛ لأن أبا علي لم يعيش في بيئة الشام إلا قليلاً ، بل كما أعلم — لم يعيش في الحجاز أصلاً — فليست له وسيلة إلى قراءة إمام من هؤلاء الأئمة الثلاثة .

وبقي بعد ذلك شيوخ البيئة العراقية التي عاش فيها أبو بكر بن مجاهد الذي روى أبو علي القراءة عرضاً عليه <sup>(٦)</sup> .

وأثر هؤلاء الأئمة العراقيين ، ودلائل تأثر المقرئين بقراءتهم واضحة فيما يرويه المؤرخون من أن أبا جعفر الطبري ( ت ٣١٠ هـ ) كان يقرأ قديماً لحزمة قبل أن يختار قراءته <sup>(٧)</sup> ، وأن نبطويه ( ت ٣٢٣ هـ ) كان يقرئ القرآن على قراءة عاصم بمسجد الانباريين <sup>(٨)</sup> .

ويمكنني بعد ذلك استبعاد الأئمة الكوفيين : عاصم ، وحزمة ، والكسائي ، لكوفيتهن ، ونزعة أبي علي التي تقذف به إلى جانب البصريين . ولم يبق بعد هذه التصفية إلا أبو عمرو البصري ، وهو ما أرجح أن يكون أبو علي يقرأ القرآن على حرفه ، أو يكون له اختيار يميل به إلى مذهب أبي عمرو .

فلأبي علي صلات بأبي عمرو البصري ترجع إلى أساتذته من الشيوخ الذين يعتمد عليهم ويوثقهم ، وأخص هؤلاء أبو زيد الأنصاري ، وسيبويه ، فأبو زيد يوثق في قراءة أبي عمرو <sup>(٩)</sup> ، وسيبويه يقرأ على أبي عمرو <sup>(١٠)</sup> . ويأخذ الحروف عنه <sup>(١١)</sup> .

(١) إبراز المعاني : ٢١ (٢) طبقات القراء : ٤٤٥/١

(٣) انظر طبقات القراء ٣٣١/٢ (٤) سراج القاري لابن القاصح : ١١

(٥) انظر المصدر السابق : ١٢ (٦) طبقات القراء : ٢٠٧/١

(٧) معجم الأدباء : ٦٦/١٨ (٨) انباه الرواة : ١٨١/١

(٩) الفهرست : ٨١ (١٠) طبقات القراء : ٢٩٠/١

(١١) انظر دليل ذلك في الكتاب : ١٦٧/٢



وترى أبا علي في كتاب الاغفال يحتاج لقراءة أبي عمرو : يومنون بالتخفيف ويختار ذلك على التحقيق<sup>(١)</sup> . ويظهر ارتياحه لقراءة أبي عمرو ، وأقرأ معي ذلك النص من كتابه الحجة ترأقباله على قراءة أبي عمرو ، واحتفاله بالاحتجاج لها ، والتدليل عليها ، ومهاجمة قراءة الكوفيين بعد أن يحتاج لها في فتور : ( ولا بد أن أن يحتاج لها لأن هذا مهمه في كتاب الحجة ) .

قال ابن مجاهد ما ملخصه : « اختلفوا في قوله عز وجل : أنذرهم ، وما كان مثله في كل القرآن من الهمزتين في الكلمة الواحدة : فهو بتحقيق الهمزتين عند عاصم وحزمة ، والكسائي ، في أحد قوليه ، وابن عامر ، . وهو بتخفيف الثانية وإدخال الألف بينهما عند ابن كثير وأبي عمرو ، غير أن مد أبي عمرو في أنذرهم أطول من ابن كثير<sup>(٢)</sup> .

وقال أبو علي في الاحتجاج لالتقاء الهمزتين في أنذرهم وتحقيقهما : من حجة من حققهما أن يقول : إن الهمزة حرف من حروف الحلق ، فكما اجتمع مثله في سائر حروف الحلق نحو فة وفهت وكع وكعت كذلك حكم الهمزة . وكما يجوز ذلك ويسوغه أن سيبويه زعم أن ابن إسحاق كان يحقق الهمزة ، وأناس معه . قال سيبويه ، وقد تكلم ببعضه العرب وهو ردي<sup>(٣)</sup> . فانظر إلى ذلك الحكم الذي نقله عن سيبويه ، وبه يقرر رداءة تحقيق الهمزتين ، وبالتالي يكون حكم القراءة بالتحقيق ثم قال : والحجة لقول من قال أنذرهم فلم يجمع بين الهمزتين ، وخفف الثانية أن يقول : إن العرب قد رفضت جمعها في مواضع من كلامهم . وبعد أن ضرب الأمثلة لذلك قال : ففي هذا دلالة بينة على رفضهم اجتماعهما . . . ثم عاد وكرر هذه العبارة ، ثم وازن بين الهمزة وأخواتها الحلقية ، ثم دفع اعتراضاً قد يرد . وذكر أن العرب الزموا باب رزيئة وخطيئة القلب عما يؤدي إلى اجتماع همزتين فيه ، فقالوا خطايا ورزايا فلو كان لاجتماعهما عندهم مساغ ما رفضوا ذلك الأصل كما أنه كان ( كذا ) وأظن ( لو كان ) هنا ساقطة — لتحرك العينات في نحو قال وباع مجاز ما الزمواهما القلب . فإن قلت : قد حكى عن بعضهم خطأ . ( كذا ) بتحقيق الهمزتين

(١) الاغفال : ٦٠ تفسير رقم ٨٧٥

(٢) ملخص من سبعة ابن مجاهد : الحجة ١٦٦/١ مراد ملا واطظر النشر في القراءات

العشر لابن الجزرى : ٣٦٣/١

(٣) الحجة : ١٨٨/١

فذلك يجرى مجرى الأصول المرفوضة نحو ضنونا والأظلل كذا ، ولو جاز الاعتداد بذلك وما أشبهه لجاز أن يقال في تكسير مطية مطاء ( كذا ) كقول بعضهم سياء ، فإذا كانوا قد رفضوا ذلك في حال السعة والاختيار مع أنه أسهل من اجتماع الهمزتين فإن يرفضوا اجتماع الهمزتين أجدر<sup>(١)</sup> .

وأنت ترى في تضاعيف هذا الاحتجاج خمس أبي على ، وميله إلى القول برأى أبي عمرو وألفاظه الدالة على ذلك . الدلالة البينة على رفض العرب اجتماع الهمزتين ، وتكريره هذه العبارة ، ودفعه الاعتراضات التي قد ترد . وأن العرب قد الزموا باب رزية وخطيئة القلب عما يؤدي إلى اجتماع همزتين فيه ، وأن تحقيق الهمزتين في خطائي يجرى مجرى الأصول المرفوضة ، وأنهم رفضوا ما هو أسهل من اجتماع الهمزتين فرفض اجتماعهما أجدر . ثم انظر قوله في مكان آخر : وقول أبي عمرو أرجح عندنا<sup>(٢)</sup> ، وهذا كله ينتهي بنا إلى النتيجة التي رجحتها من قبل ؛ وهو أن أبا على كان يقرأ بحرف أبي عمرو ، أو على الأقل يكون له اختيار يميل به إلى ما ذهب إليه ذلك الإمام .

### الفقه ومذهبه فيه

وأبو على يلم في كتبه بمسائل من الفقه تدل على اتصاله به ، ووعيه له ، فهو يتحدث عن الربا وأنواعه<sup>(٣)</sup> . وعن الصدقة وإخفائها<sup>(٤)</sup> . وعن ذى الأمانة من المودع والمعير والموكل والشريك ، ومن يك في ماله يد أمانة لاضمان كما يتحدث عن الكافر المودع<sup>(٥)</sup> ، ومن صار ذا أمن في ماله ونفسه بإظهار الشهاداتين ، وخرج عن أن يكون حربا مستحل المال النفس<sup>(٦)</sup> ، ويذكر اختلاف الفقهاء في د اشهد بالله . وهل يكون يمينا إذا لم يوصل بالله<sup>(٧)</sup> ، وأن أبا حنيفة لم يوجب الكفارة على من حلف : يعلم الله ثم حنث<sup>(٨)</sup> ، ويذكر قول الفقهاء : د إن المولى

(١) الحجة : ١٩٠/١ مراد ملا (٢) الحجة : ٢٩٤/١ مراد ملا

(٣) الحجة : ٢٨/٣ البلدية (٤) ٤٠/٣

(٥) ٢٠٥/١ (٦) ٢٠٧/١

(٧) الشرايات : ٢٦ (٨) الحجة : ٤٠٦/١٠ مراد الملا

إذا قال لعبد: يا بني لم يعتق عليه كما يعتق إذا أقر بنسب ذى رحم محرم منه <sup>(١)</sup> ،  
ويشرح لا يقتل مسلم بكافر ، ولا ذوعهد في عهده بكافر <sup>(٢)</sup> ، ويتحدث عن الإقالة  
في البيع <sup>(٣)</sup> ، كما يتحدث عن بعض صور الطلاق شارحا لها ، ومخرجا أحكامها <sup>(٤)</sup> .

ويبدو أنه درس من المذاهب الفقهية مذهب أبي حنيفة ، وقد جمعت للتدليل  
على ذلك أدلة منها ما هو عام ، ومنها ما هو خاص :

فمن الإدلة العامة (١) ما ذكره المقدسي في أحسن التقاسيم عن قوله : « وأصحاب  
أبي حنيفة في بلاد فارس كثير » <sup>(٥)</sup> .

(ب) وما ذكره الصفدى في الغيث المنسجم من أن الغالب في الحنفية معتزلة <sup>(٦)</sup> .  
ومعروف عن أبي على أنه كان معتزليا ، وقد برهنت في مكان آخر على ذلك .  
ومن الأدلة الخاصة (١) أن أبا على قياس ، وعبارته في ذلك مشهورة <sup>(٧)</sup> .  
وأبو حنيفة وأصحابه يمثلون مدرسة القياس <sup>(٨)</sup> . ومن هنا كان أثر أبي حنيفة دون  
غيره من الأئمة شديد الوضوح في أبي على .

(ب) ما ذكره ابن جني ( تليذ أبي على ) قائلا : « اعلم أن أصحابنا انتزعوا  
العلل من كتب محمد بن الحسن ، وجمعوها منها بالملاطفة والمرفق » <sup>(٩)</sup> .

(ج) ثناء أبي على — على أبي حنيفة في أمثلة وردت بكتبه .  
فن ذلك ما قال : « كما يجوز تشبيه المعنى بالعين للبالغة في أمره ، والرفع منه  
جاز أيضا تشبيه العين بالمعنى إذا أكثر من محاولة ذلك المعنى ، وكثر أخذه فيه ،  
واكتثاره منه فتقول على ذلك أبو حنيفة الفقه ، وأصبح ماؤم غورا .

وكذلك ثناؤه على أبي يوسف في قوله : « أبو يوسف أبو حنيفة » <sup>(١٠)</sup> .  
(د) استشهاده بأقوال أبي يوسف <sup>(١١)</sup> ، وقد ورد ذلك الاستشهاد أيضا في  
الشيرازيات <sup>(١٢)</sup> والخصائص <sup>(١٣)</sup> ، كما استشهد بمحمد في الشيرازيات <sup>(١٤)</sup> .

(١) الشيرازيات : ٤٤ (٢) الشيرازيات لوحة ١٥٢

(٣) الحجة ٢٣٨/١ مراد الملا (٤) الحجة ٣٥/١ ، ٥٢

(٥) أحسن التقاسيم : ٤٣٩ (٦) الغيث المنسجم : ٤٧/٣

(٧) انظر نزعة الألباء : ٢١٠ (٨) وتاريخ بغداد : ٣٣٢/١٣ ، ٣٥٠

(٩) الاقتراح : ٥١ وانظر الخصائص : ١٦٨

(١٠) الايضاح : ١٩ رقم ١١٢٠ نحو مخطوط بدار السكت

(١١) الحجة : ٢٠/١ مراد ملا (١٢) ١٥٦

(١٣) انظر ٢١٣/١ (١٤) انظر ص ٢٦

( هـ ) وقد عقد ابن جنى مسألة من كلام محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة في كتاب الإيمان وهي: قال محمد بن الحسن ، ان قال أى عبيدى ضربك فهو حر ، فضربه جميعهم عتقوا كلهم ، ولو قال أى عبيدى ضربته فهو حر فضرب واحدا من عبيده عتق ذلك العبد ، فإن ضرب غيره من بعده منهم لم يعتق غير الاول وحده وعلق أبو على على هذه المسألة <sup>(١)</sup> .

( و ) ولما احترقت كتب أبي على لم يبق منها إلا نصف كتاب الطلاق عن محمد بن الحسن <sup>(٢)</sup> .

( ز ) ما ذكروه من أن الحسن بن أبي الحسين النعماني الفارسي لقب بالفارسي لأنه تفقه بشيراز على مذهب أبي حنيفة <sup>(٣)</sup> ،

( ح ) وقد ذكر استدلال أبي يوسف بقوله تعالى : « إنا أنزنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ، على جواز الاجتهاد من النبي ﷺ .  
هذه هي الأدلة العامة والخاصة التي استندت إليها في تقرير مذهب أبي على الفقهى ، وكانت دراسته لمذهب أبي حنيفة من العوامل التي جعلته بارعا في القياس على النحو الذي سأتناوله بالبيان .

---

(١) انظر فهرس المخطوطات المصورة : ٣٧٩ رقم ١٦

(٢) معجم الأدباء : ٢٥٧/٧

(٣) ورقة ٥٧ طبقات المفسرين تأليف محمد بن على أحمد الداودى المالكي مخطوط بدار

الكتب ١٦٨ تاريخ

## مذهب أبي علي النحوى

أبو علي عند أبي بكر الزبيدى فى الطبقة العاشرة من النحويين البصريين ، ومن أصحاب ابن السراج <sup>(١)</sup> . وابن النديم يجعل أبا علي كذلك من النحويين البصريين <sup>(٢)</sup> وهو كذلك عند المتأخرين ، وذلك قول ( السيوطى ٩١١ هـ ) فى الجمع : « و اختلف البصريون فى كيفية وضعها - وضع همزة الوصل - فقال الفارسي وغيره ، « اجتلبت ساكنة ، وكسرت لالتقاء الساكنين » <sup>(٣)</sup> . . . »

وينظر المحدثون إلى مذهب أبي علي فى النحو نظرات متخالفات : فالأستاذ عبد الحميد حسن يتحدث عنه بين نحاة بغداد <sup>(٤)</sup> . ويرى صاحب نشأة النحو أن أبا علي ممن ترسموا خطأ المذهب البغدادى <sup>(٥)</sup> والأستاذ الشيخ محمد النجار يرى فى تقديمه كتاب الخصائص أن أبا علي يميل فى نزعه النحوية إلى البصرية <sup>(٦)</sup> .  
والباحث إزاء هذا التخالّف لابد أن يقيم الدليل على الرأى الذى يراه فى تحقيق مذهب أبي علي النحوى :

فأولاً : ماذا تشير إليه النصوص ؟

وثانياً : وماذا تدل عليه المقابلة بين السمات العامة للمذهب البصرى أو الكوفى ، وما ورد من هذه السمات فى كتب أبي علي ؟

وثالثاً : ثم ماذا تنتهى إليه الموازنة بين رأى كل من الفريقين فى المسائل النحوية

المختلفة ورأى أبي علي فى هذه المسائل ؟.

ولأريد هنا الاستقصاء أو الاستيعاب ، وإنما اكتفى بذكر أمثلة فى هذه النواحي الثلاث ، يستدل بها ، ويقاس عليها ، وتختصر الدلالة على مذهب أبي علي النحوى فى إجمال .

أولاً : أما النصوص فيمكننى أن أعرض منها ما يأتى :

( ١ ) يقول أبو حيان : « أبو علي أشد تفرداً بالكتاب ، وأشد اكباتاً عليه ، وأبعد من كل ما عداه مما هو علم الكوفيين » <sup>(٧)</sup> .

( ٢ ) وحدث أبو علي ابن جنى أنه وقع حريق بمدينة السلام فذهب به جميع علم

(١) انظر طبقات الزبيدى : ١٢٦-١٣٠ (٢) انظر الفهرست : ٥٩-٩٥

(٣) الجمع : ٢١١/٢ (٤) انظر القواعد النحوية : ١٠١

(٥) انظر نشأة النحو : محمد طنطاوى : ٩٧ ، ٩٨ ط سنة ١٣٥٧ ، ١٩٣٨ م

(٦) انظر تقديم الخصائص ط ص ٤٤ ط دار الكتب (٧) الإمتاع : ١/١٣١

البصريين ، قال : « وكنت قد كتبت ذلك كله بخطي ، وقرأته على أصحابنا »<sup>(١)</sup> .  
 ( ٣ ) وتري أبا علي يقول - مثلاً - قياس أصحابنا كذا ، وقياس البغداديين كذا<sup>(٢)</sup> .  
 ( ٤ ) وعقد ابن جني - تلميذ أبي علي - باباً في أن لغة أهل الوبر أصح من لغة أهل  
 المدر<sup>(٣)</sup> . وغرضه من ذلك التدح في الكوفيين<sup>(٤)</sup> .  
 ثانياً : وأما السمات العامة للذهب البصري وصدائها في كتب أبي علي فمنها :

( ١ ) انه يعتد بالكثرة ويعدها من أسباب قوة القراءة<sup>(٥)</sup> .  
 ( ٢ ) ثم هو لا يقيس على الشاذ<sup>(٦)</sup> . ولا يعتد بالقليل<sup>(٧)</sup> . قال : ترك القياس  
 على القليل أولى من القياس عليه لقلة ذلك ، وخروجه مع قلته على القياس ،  
 وإذا جاء الشيء خارجاً عن قياس الجمهور والكثرة في جنس لم يبلغ أن  
 يتجاوز به ذلك الجنس<sup>(٨)</sup> . ، ومن هذا يرتضى أبو علي ما كان أقوى  
 في القياس ، وأشيع في الاستعمال<sup>(٩)</sup> . ويرفض ما ليس بالمستعمل في الاستعمال  
 ولا المتجه في القياس<sup>(١٠)</sup> .

( ٣ ) يضاف إلى ذلك موقفه الذي شذ فيه بعض القراءات العربية عن ابن عامر  
 أو حمزة مثلاً . وذلك ما يتفق فيه مع نزعة البصريين على وجه العموم .  
 ثالثاً : وأما المقارنة بين رأى أبي علي ورأى البصريين والكوفيين فهي كذلك  
 تهدي إلى نزعة أبي علي البصرية ، فمن المسائل التي رأى فيها أبو علي رأى  
 البصريين ، واحتج لهم ما يأتي :

( ١ ) الشيطان فيعال من شطن مثل البيطار<sup>(١١)</sup> .  
 ( ٢ ) تصويب إيه بالكسر من غير تنوين في قول ذي الرمة :  
 وقفنا ، فقلنا إيه عن أم مالك<sup>(١٢)</sup> وما بال تكليم الديار البلاقع<sup>(١٣)</sup>  
 ( ٣ ) الحال لا تتقدم على العامل إذا كان معنى<sup>(١٤)</sup> ، والكوفيون لا يجيزون تقديم

- (١) معجم الأدباء : ٢٥٦/٧ (٢) الشيرازيات : ١٤١  
 (٣) انظر الخصائص : ٤٠٥/١ (٤) الاقتراح : ٣٢  
 (٥) الحجة : ٣٨/٢ من البلدية (٦) انظر البغداديات لوحة ٢٥  
 (٧) انظر الحجة : ١١١/١ (٨) انظر الحجة : ١٥/٣-٢٠ من البلدية  
 (٩) انظر الحجة : ٦٨/١ من مراد ملا  
 (١٠) الحجة : ١٢٨/١ (١١) الحجة : ٣١٤/١ من مراد ملا  
 (١٢) معجم الأدباء : ٢٣٤/٨ وانظر شرح السيرافي للكتاب : ١٠٨/١  
 (١٣) شرح السيرافي للكتاب : ١٠٨/١ (١٤) الحجة : ١٦٠/١ والانصاف : ١٥٨/١

الحال على الفعل العامل فيها مع الاسم الظاهر نحو راكباً جاء زيد ، ويجزونه مع المضمر راكباً جئت . وذهب البصريون إلى أنه يجوز تقديم الحال على العامل فيها مع الاسم الظاهر والمضمر .

وقد بينت في حديثي عن كتاب الإيضاح مذهب أبي على البصرى وظهوره في ذلك الكتاب <sup>(١)</sup> ومن هنا كان أبو على بصرياً ما في ذلك شك ، وقد ارتفع أبو على عن طبقته المعاصرة إلى طبقة القدامى من النحويين الأولين ، فهو لا يضع نفسه في الطبقة التي وضعه فيها الزبيدي ، حقيقة هو من أصحاب ابن السراج من حيث الزمن والتلقي ، ولكنه ينزع إلى تقدير الخليل وسيبويه والأخفش ، فتراه في الأعم الأغلب يدور في فلك هؤلاء النحاة ، ويقول بأرائهم . وربما خالفهم في الأقل الأندر <sup>(٢)</sup> . ثم يرمى باعتراضاته من جاء بعدهم من النحاة بصريين كانوا أو كوفيين .

ويعد كتابه الاغفال مخالفة صريحة لأراء الزجاج في مسائل نحوية تتصل بكتاب سيبويه ، وفهمها الزجاج على وجه ، وفهمها أبو على وجه آخر ، وانتصر فيها لسيبويه في الأغلب الأعم . كذلك نراه يستدرك على أبي بكر بن السراج في الاحتجاج .

وقد بينت في مواضع مختلفات من هذا البحث موقف أبي على من المبرد ، وعملت لذلك ، هذا ومسائله المختلفة — ولا سيما البصريات — تلقى ضوءاً عن موقفه من الكسائي ، والفراء ، وأحمد بن يحيى ، كما تدل على علمه بأرائهم وتقويمها . والطابع العام في موقفه مع المبرد التخالف ، وقد يتفق معه القليل <sup>(٣)</sup> . ، واتفق في بعض ما ذهب إليه مع الكوفيين <sup>(٤)</sup> . وهو في توافقه وتخالفه يصدر عن اقتناع مؤيد بالحجة ، ويقين مدعوم بالبراهين ، وذلك كله ينتهي بي إلى القول بأن أبا على فزمنه كان إماماً بصرياً مستقلاً بأرائه في النحو ، وشيخاً لمدرسة قائمة بذاتها تلاميذها

(١) راجع الإيضاح في الصفحات الآتية ١٢، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٤٤، ٥٠، ٥١، ٦٣، ٧١

(٢) انظر مثلاً المصم : ٧/١

(٣) انظر أمثلة لذلك في المغني ٢١/٢ والمصم ٧٥/١ ، ٧٧ ، ١٩٥/٢

(٤) انظر مثلاً الشيرازيات : ٤١ والمغني ٦١/١ ، ٦٢ ، ١٠٥ والمصم ٢١/٢ وشرح

الأصموني : ١٨٧/٢

أنصاره يقولون بقوله ، ويستعينون بكلامه ، ومن هنا يؤلف ابن جني اللمع يجمعه من كلام شيخه أبي علي ، ويشرح أبو طالب العبدى الإيضاح فقالوا ، إنه شرح كلام أبي علي بكلام أبي علي<sup>(١)</sup> ، ويتفق مع أبي علي كثير من تلاميذه في كثير من المسائل النحوية<sup>(٢)</sup>

وهذا كله يفسر لنا قول صاحب البدائع : « لا يجوز اضممار حرف العطف خلافاً للفارسي ومن تبعه<sup>(٣)</sup> » . أو قول ابن هشام : « حيث تقع مفعولاً به وفاقاً للفارسي<sup>(٤)</sup> » ، ما ورد في معجم الأدباء : من أن فلاناً النحوى لقي ببغداد أصحاب أبي علي<sup>(٥)</sup> . إلى غير ذلك من الأقوال التي تشير إلى تفرد صاحبه بالرأى ، وإماميته فيه .

### أبو علي والشعر

حدث علم الدين — أبو علي محمد القاسم بن أحمد الأندلسي قال : « وجدت في مسائل نحوية تنسب إلى ابن جني قال : « لم أسمع لأبي علي شعراً قط ، إلى أن دخل إليه في بعض الأيام رجل من الشعراء ، فجزى ذكر الشعر ، فقال أبو علي أنى لأعبطكم على قول هذا الشعر ، فان خاطرى لا يواتبني على قوله ، مع تحقيقى للعلوم التي هي من مواده فقال له ذلك الرجل : فما قلت قط شيئاً منه ألبتة ؟ فقال ما أعهد لى شعراً إلا ثلاثة أبيات قلتها في الشيب وهي قوله :

خضبت الشيب لما كان عيباً	وخضب الشيب أولى أن يعابا
ولم أخضب : مخافة هجر خلّ	ولا عيباً خشيت ، ولا عتابا
ولكن المشيب بدا ذمياً	فصيرت الخضاب له عقاباً <sup>(٦)</sup>

ويستنبط من هذا النص ما يأتي :

- 
- (١) انباه الرواة : ٣٨٧/٢  
 (٢) انظر مثلاً للمع ١/٣٨٠، ١٢٣، ٢٠٧، ٢١١، ٢/٨٥٠ والمغنى : ١/٣٧ في اتفاق ابن جني معه وانظر ٢/٨٩ في اتفاق الريمي مثلاً  
 (٣) بدائع القوائد ٢٠٩ (٤) مغنى ١/١١٤  
 (٥) معجم الأدباء ١٧/٥ ، ٢٠  
 (٦) معجم الأدباء : ٧/٢٠١ ، ٢٥٢



أولاً : أن أبا على لم يرزق حظاً من الطبع الذى هو ملاك قول الشعر ، والذى بدونه لا تغنى مواده شيئاً .

ثانياً : انه لم يقل هذه الآيات الثلاثة إلا بأخرة من زمنه ، بدليل أنه قالها فى المشيب ما لم يكن قالها تفصيحاً ومحاكاة لغيره فى الموضوع .

ثالثاً : أنه فى هذه الآيات ينزع ذلك النزوع العقلى الذى عرف عنه ، واشتهر به ، فالتعليل يبدو واضحاً فى كل بيت من الآيات الثلاثة :

( ا ) فى الاول منها القول بالاولى والأجدر .

( ب ) وفى البيتین الآخرين تقليب الامر على وجوهه ، ثم ترجيح وجه منها . فكأنه فى هذه الآيات الثلاثة أمام مسألة نحوية يدل على رأيه فيها مستعيناً بمنهاج البحث المنطقى .

ويبدو أن أبا على — بالرغم من كثرة حفظه للشعار — كان لا ينظر إلى الشعر على أنه وسيلة من وسائل التذوق الأدبى والاستمتاع الفنى ، فهو إن نظر فى بيت نظر إليه من حيث الافادة اللغوية ، أو الصناعة النحوية ، يفتش فيه عن لفظ أو يبحث فيه عن شاهد من شواهد النحو يضيفه إلى هذه الشواهد التى رواها الأئمة السابقون ، أو يستنتج منه دليلاً على رأى يراه ، ومن الدلائل عندى على أنه كان ينظر إلى الشعر هذه النظرة : نظرة النحوى المستشهد ، لا نظرة الأديب المستمتع ما جاء فى البصريات من قوله : مما أصبت مما أعمل فيه الثانى قول كثير :  
قضى كل ذى دين فوفى غريمه وعزة مطول معنى غريمها  
أعمل الثانى وهو : فوفى<sup>(١)</sup> .

وما رواه ابن جنى فى مشابهة معانى الإعراب معانى الشعر ، وأن الذى نبه إليه أبو على وضرب لذلك أمثلة منها : قولهم فى ( لا ) النافية للكرة أنها تبنى معها فتصير كجزء واحد من الاسم نحو : لا رجل فى الدار ، ولا بأس عليك ، وأنشد أبو على فى هذا المعنى

خييط على زفرة ، قتم ولم يرجع إلى دقة ، ولا هضم<sup>(٢)</sup>

(١) البصريات ٦٨ (٢) الخصائص : ٥٦٠/١ وانظر هناك شرح البيت \*

(\*) والزفرة : وسط الفرس يقال : إنه لعظيم الزفرة ، وبميرمز فور شديد تلاحم المفاصل ، =

وكان إذا أوجبت القسمة عنده أمرين كل واحد منهما غير جائز<sup>(١)</sup>. (كقولهم أنهم لا يبنون من ضرب وعلم وما كانت عينه لأمّاً أو راه مثل غنسل، قالوا: «لانا نصير به إلى ضرب وعلم، فان أدغمنا ألبس بفعل، وان أظهرنا النون قبل الراء واللام ثقلت، فتركنا بناءه أصلاً<sup>(٢)</sup>). — يقول فيه قسمة الأعشى:

«فاختر وما فيهما حظ لمختار»<sup>(٣)</sup>.

وقد عرف ابن جني — وهو التليذ الأول هذه النزعة عند أبي علي، قالوا: كان أبو علي الفارسي بشيراز، وكان يمر المتنبّي إلى دار عضد الدولة على دار أبي علي الفارسي، فكان إذا مر به أبو الطيب يستثقله على قبح زيه، وما يأخذ به نفسه من الكبرياء.

وكان لابن جني هوى في أبي الطيب، كثير الإعجاب بشعره، لا يبالي بأحد يذمه، أو يحط منه، وكان يسوؤه أطناب أبي علي في ذمه، واتفق أن قال أبو علي يوماً: اذكروا لنا بيتاً من الشعر نبحت فيه، فبدأ ابن جني وأنشد:

حلتِ دون المزار فالיום لوزر      ت لحال التحول دون العناق  
فاستحسنه أبو علي واستعاده وقال: «لمن هذا البيت؛ فانه غريب المعنى، فقال ابن جني: «للذي يقول»:

أزورهم، وسواد الليل يشفع لي      وأثنى، وبياض الصبح يغري بي  
فقال وإن هذا حسن بديع جداً فلن هذا؟ قال: للذي يقول:  
أمضى إرادته؛ فسوف له قد      واستقرب الأقصى، فثم له هنا

فكثر إعجاب أبي علي، واستغرب معناه، وقال لمن هذا؟ فقال ابن جني للذي يقول:

ووضع الندي في موضع السيف بالعلا      مضر، كوضع السيف في موضع الندي

== ويقال للفرس إنه لعظم الزفرة أى عظيم الجوف، وقال الجمدى: خبط على زفرة... يقول: كأنه زافر أبداً من عظم جوفه، فكأنه زفر يخط على ذلك. انظر لسان العرب. مادة زفر

(١) الخصائص: ١/٦١

(٢) الخصائص: ١/٦٨

فقال : « وهذا أحسن والله ! لقد أطلت يا أبا الفتح ، فأخبرنا من القائل ؟ » قال : « هو الذى لا يزال الشيخ يستثقله ، ويستقبح زيه وفعله ، وما علينا من القشور إذا استقام اللب ! » قال أبو على : « أظنك تعنى المتنبي ! » قلت نعم ! قال : والله لقد حببته لى ، ونهض ودخل إلى عضد الدولة ، فأطال فى الثناء على أبي الطيب ولما اجتاز به استنزله واستنشدته ، وكتب عنه أبياتاً<sup>(١)</sup> .

ومن المهم هنا أن أشير إلى ما سلكه ابن جنى من لطف المدخل ، وحسن التأتى ! فقد عرض أبياتاً على الشيخ أبى على قصد إلهاها عامداً ؛ لأنها من ذلك النوع الذى يتأثر به الفارسى ، وينتزع منه إعجابه .

فالأبيات فى مجموعها تحتوى على مقابلات أحوال بأحوال فى صورة منطقية عامة : فهى حالت دون المزار فشغه الوجد حتى حال تحوله دون العناق ! وسواد الليل يشفع زائراً ، وبياض الصبح يغرى به منثياً ، ثم هذا البيت المملوء كلمات نحوية : سوف — قد — ثم — هنا ، والإشارة الدالة على معانيها ، واستغلال هذه المعانى ، فى تصوير ما أراد الشاعر من المدح بمضاء الإرادة ، وبعد الهمة ! .. ذلك منهج تفكير أبى على النحوى المنطقى ، وقد كان ابن جنى ماهراً حين عرض هذه الأبيات لاسترضاء الشيخ دون سواها ، وقد مكنته هذه الصيغة الطويلة ، لأبى على فى الحل والارتحال — إلى ذكائه — من تفهم نفسية أبى على والغوص فى أعماقها ، والتعرف على خطواتها ، فقدم إليه المتنبي وأنزله من نفسه بأبيات مليئة بالادوات النحوية ، قريبة من صنعة النحاة ، وصنعة أبى على بوجه خاص . وكان لابن جنى مندوحوه عن هذا الشعر المصنوع بشعر المتنبي المطبوع ، ولكنها نزعة أبى على عرفها ابن جنى ، ودلف إلى شيعة منها ، فكان أثرها فى إقبال الشيخ على المتنبي ذلك الإقبال الذى يرويه المؤرخون .

ومن هنا أرى فى هذه النزعة غير ما رأى الدكتور إبراهيم سلامة ، فى قوله على التعميم : « بل كانوا — أى النحاة — أدباء ومشتغلين بالادب فى الأقل ، لأن الأدب مادة علمهم ، والمقياس الذى يرجعون إليه إذا اختلط عليهم الأمر<sup>(٢)</sup> » . فلم يكن نظر الكثير منهم فى الأدب اشتغالا به ؛ بل كانوا — أو على الأقل أبو على

(١) السبع المائى على هامش الميكبرى : ١ / ٢١٠

(٢) محاضرات فى البلاغة والنقد : ٢٠

خاصة — نحاة اشتغلوا بالنحو ومسائله وتعليلاته إذا ما نظروا إلى الأدب، أو اتصلوا به على الوجه الذى سبق به البيان .

ومهما يكن من أمر فإن لأبى على نظراء من النحاة تخلفوا فى قول الشعر، فلم يؤثر مثلاً — عن شيخه الأول سيويو — قرض الشعر ، كذلك لم يؤثر شيء من ذلك عن الكسائى والقراء <sup>(١)</sup> . كذلك كان المبرد متخلفاً فى قول الشعر، وكان لا ينتحل ذلك ، ولا يعتزى إليه ، ولا يرسم نفسه به — وإن رويت له الأشعار <sup>(٢)</sup> ، وكان له تذوق فنى، وكان للجوهري شعر العلماء لا شعر مفلقى الشعراء <sup>(٣)</sup> ، وقد شاع بين الناس تأخر النحاة فى الشعر ، وبرودته منهم ، قالوا : « وللحسن بن بندار أبى محمد التفليسى شعر عليه تكلف ويرد كشعر النحاة <sup>(٤)</sup> » .

## نثر أبى على

وأنتقل بعد ذلك إلى التحدث عن نثر أبى على ، ولا أريد هنا أن أتحدث عن نثره العلمى ؛ فلذلك مكانه المقسوم من هذا البحث عند الحديث عن أسلوبه فى كتبه المختلفة ، ولكن أريد التحدث عن نثره الفنى ، وبيان ما يمكن أن يكون له من خصائص فيما ترك لنا من هذا القبيل ، ونجد لأبى على من ذلك :

- (أ) مقدمات كتبه : الإيضاح ، والتكملة ، والحجة .
- (ب) ثم كتابه إلى سيف الدولة ، وقد ورد فى الحلبيات من مسائله .
- (ج) ثم شرحه للأبيات التى تعرض لشرحها .
- (د) وأخيراً مكاتباته إلى صاحب بن عباد .

(أ) ومقدمات كتب أبى على قصيرة ، بل إن بعضها خلا من المقدمات كالمسائل على وجه العموم ، وأرى أن السبب فى ذلك قصر باع الرجل فى النثر الفنى ، فهو لا يود أن يطيل ؛ لأنه لا طاقة له بالفن ، ولا قدرة عنده عليه . ولو رجعت إلى مقدمة الإيضاح ثم إلى مقدمة التكملة لوجدته يقول فى الإيضاح :

(١) طبقات النحويين للزبيدي : ١٢٢

(٢) انظر طبقات النحويين : ١١٢

(٣) ينمية الدهر : ٢٨١/٤ (٤) انباه الرواة : ٢٩٠/١

بسم الله الرحمن الرحيم أمّا على أثر ذلك — (أطال الله بقاء الملك الجليل عضد الدولة، وأدام عزه، وتمكينه، وأسبغ عليه طوله وفضله) — ، فإنّ جمعت في هذا الكتاب أبواباً من العربية متحرّياً في جمعها على ما ورد به أمره (أعلاه الله) فإن وافق اجتهادى مارسم فذاك يمين تقبيته، وحسن تليّبه وهدايتة، وإن قصر إدراك عبده عما وجده مولانا (أدام الله لإرشاده ورشده) رجوت أن يسعني صفحه، لعله بأن الخطأ بعد التحرّى موضوع عن المخطئ<sup>(١)</sup>.

ويقول في تقديم التكملة: « الحمد لله رب العالمين الذى جعل حمده فاتحة كتابه وخاتمة دعوى أوليائه في جنته؛ فقال تعالى: « وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد خاتم النبيين، وعلى أنبيائه المرسلين، وعباده الصالحين، وإياه نسأل وإليه نرغب في إيزاع الشكر، وإلهام الحمد على ما منح الانام، وشمل الخاص والعام من النعمة بالملك العادل عضد الدولة (أطال الله بقاءه، واسبغ عليه نعماءه) كما أفاض في البلاد عدله، وأوسع العباد فضله، وبث فيهم عرفه وطوله، وقبض عنهم الآراء الجائرة، وكف عنهم الأيدي الغاشمة، حتى ما تجد إلا فقيراً مجبوراً، وغنياً موفوراً، فإلى الله عز وجل نبتل في امتاعه بما خوله، وخول به من هذه النعم، وإبقائه عماداً للدين، وجمالاً للدنيا، انه سميع الدعاء، فعال لما يشاء<sup>(٢)</sup>.

وليس في مقدمة الحجة شيء يستحق التعليق؛ لأنها لا تتجاوز حمد الله والصلاة على خاتم أنبيائه، والدعاء لعضد الدولة، وبيان الداعي لتأليف الكتاب في أسطر لا تزيد عن خمسة عشر سطراً، وهى بعد جارية على نمط مقدمة الايضاح والتكملة وواضح من هذه المقدمات:

١ — التذلل والخضوع، ولم يكن أبو عى في ذلك وحيداً؛ فقد كانت هذه سمة الكتاب في هذا العصر.

٢ — كثرة الاعتراضات بالجلل الدعائية.

٣ — الصناعة النحوية البادية في أسلوبه؛ كقوله: «أما على أثر ذلك، وهو تحليل لقول غيره «أما بعد».

٤ — الصناعة الصرفية البادية في قوله: «إيزاع الشكر، وإلهام الحمد».

(١) الايضاح: نحو ١١٢٠

(٢) التكملة ص ٦٤ من الايضاح نحو ١٠٠٦

٥ — التقديم الذى يشعر بالاختصاص : إياه نسأل — إليه نرغب ، إلى الله عز وجل نبتهل .

٦ — النزعة المنطقية : كالقياس فى قوله : ( أطال الله بقاءه ... ) كما أفاض فى البلاد عدله ... ) .

٧ — الهروب من بذل الجهد الفنى بالالتجاء إلى الاقتباس من القرآن الكريم ( جعل حمده فاتحة كتابه ، وخاتمة دعوى أوليائه فى جنته فقال تعالى : وآخر دعواهم ... )

٨ — وقوله : « حتى ما تجد إلا فقيراً مجبوراً ، وغنياً موفوراً ، مأثور عن بعض السابقين وقد سأله خليفة : كيف وجدت الرعية ؟ .

٩ — المزوجة حيناً ، والسجع غير الملزم حيناً .

١٠ — ظهور ثقافته الشرعية فى نحو قوله : « الخطأ بعد التحرى موضوع عن المخطئ وهو أصل تعبدى فقهى .

(ب) أما كتابه إلى سيف الدولة الوارد بالحلبيات<sup>(١)</sup> فيبدو فيه كذلك الخضوع والتزلف ، كما يبدو فيه الضعف والتكلف ، إلى ما فيه من الغموض والابهام ، وأنه لا يستطيع أن يقيم سطراً دون أن يتعثّر أو يصيبه البهر ، فلا يستطيع البيان ، والكتاب رد على ابن خالويه فى مسائل نحوية ، ومن هنا لا يهمننا منه إلا مقدمته وخاتمته ؛ لأنه فى هاتين لا يتحدث فى هذه المسائل ، وإعما يقدم ما نحن بسبيله ، وما يمكن أن يكون مادة للحكم على ثره : قال فى صدر الكتاب :

« قرأ ( أطال الله بقاء سيدنا الأمير سيف الدولة ) — عبد سيدنا الرقعة النافذة من حضرة سيدنا ، فوجد كثيراً منها شيئاً لم تجر عادة عبده به ، لاسيما مع مثل صاحب الرقعة ...

فانظر كم تكررت كلمة سيدنا فى هذين السطرين ؟

ثم كم تكررت كلمة العبد ؟

وكيف دل التكرار على ضعف الأسلوب والخنوع حيث جاء مهلهلاً لا يبدو فيه التماسك ؟

ثم اقرأ قوله في آخر هذا الكتاب يرد على ابن خالويه وقد هاجمه بأن أحدا لا يعرف ما يقول : وليس في الرقعة التي وصلت إلى عبد سيدنا شيء حكمه أن يتكلم عليه، وآخرها حرف لم يبعد فيه وهو قوله : وليس يعرف أحدا ما يقول فكيف ينقضه؟ وما يصدق هذا أن رقعة من ثلاث رقايع وردت حضرة سيدنا الأمير سيف الدولة (أطال الله بقاءه) فما ذكره فيها قول الشاعر :

« قالت ألا ليت ما (كذا) هذا الحمام لنا ،

وتعاطى تفسير الرفع والنصب في الحمام فقال : « ومن رفع الحمام جعله خبر ليت ، وهذا (أطال الله بقاء سيدنا) من العويص الذي يفهمه أحد ، ولا يعرفه ولا ينقضه ولا يبرمه ، وقد نفذ جواب عبد سيدنا في ذلك على الوجه الذي يعرف (١) » .

وهو هنا يضعف ويذل لسيف الدولة بمقدار ما يهجم ويعنف مع ابن خالويه إلى جانب هذه السمات التي لا تختلف عما سبق به البيان .

(ح) أما شرحه لبعض الآيات التي استشهد بها ، فهو شرح قائم على الصنعة الإعرابية (٢) . وقد أدى ذلك إلى إخلاله بالأداء الفني في التعبير ، فالتطبيق النحوي عنده في المحل الأول ، ولا شيء يهيم به بعد ذلك : اقرأ مثلا - شرحه للبيت :

(فلك بالليط الذي تحت قشرها كغرقى بيض كنه القميص من عل)  
قال أبو علي : ينبغي أن يكون موضع الذي نصبا بأنه مفعول به لملك ، ولا يكون جراً على أنه وصف لليط ؛ لأن الليط فوق القلب ليس تحته ، والمعنى : ملك بالقشر الذي فوق القلب الذي تحت القشر ؛ ليصون القشر القلب فلا ينشق (٣) .

وهو هنا يعطينا نموذجاً لأسلوبه ، وهو أسلوب تبدو عليه الصنعة الإعرابية والالتزام الترتيب النحوي في حل البيت ، وإظهار الأسماء ، ووضعها مكان الضمائر ، ولو أدى ذلك إلى تكرار يوهن الأسلوب .

(١) الحلييات ورقة : ٣٨ (٢) إنباه الرواة : ١١٩/٢ تتحكم هذه الصنعة حتى في حديثه الدارج : انظر قوله إلى عبد الله الأندلسي لما أراد صرفه : إلى كم تبعني ؟ والله إن على وجه الأرض أنعم منك كيف أجاب القسم ؟ وكيف وضع (إن) موضع (ما) ؟ .  
(٣) الحجة : ١٠/١

( د ) وقد كتب أبو علي إلى صاحب بن عباد : ذلك ما يفهمه قول صاحب :  
وللشيخ ( أيداه الله ) بكتابه الوارد . . . . .<sup>(١)</sup> . ولكن التاريخ لم يحتفظ لنا  
بما كتب أبو علي ، ولعل عدم احتفاظه بذلك لأنه لم يكن مما يستحق أن  
يروى أو يحتفظ به . وهل يفهم قول صاحب لابن علي : والشيخ ( أدام  
الله عزه ) يقتصر على الخطاب الوسط دون الخروج في إعطاء الرتب إلى  
الشطط<sup>(٢)</sup> . هل يفهم قوله هذا — ما استظهرته آتفاً من أن أبا علي كان يلتزم  
الافلال فيما يكتب من نثر ؛ لأنه لا طاقة له بالاطالة فيه ؟ أرجح ذلك .  
وبعد : فإن بعد أبي علي من صناعتى النثر والنظم يؤكد قول أبي حيان :  
« أكثر أئمة العربية بمعزل عن التصرف فى الفصاحة ، والتفنن فى البلاغة . . . وقل  
أن ترى نحوياً بارعاً فى النظم والنثر »<sup>(٣)</sup> .

وهذا أبو سعيد السيرافى — وهو هو — لم يستطع أن يقيم كتاباً للصيمرى  
يرد به على ابن العميد فى خبر مفيد طريف يرويه أبو حيان فى الإمتاع<sup>(٤)</sup> .  
ومما سبق يتضح ما كان يراد من قولهم مثلاً : « إن أبا القاسم بن جرو الأسدى  
أخذ الأدب عن الشيخ أبى على الفارسى »<sup>(٥)</sup> . فالمراد ما كان يشيع عند أبى على من  
ثقافة عربية شاملة فى اللغة والنحو<sup>(٦)</sup> ، والصرف ، والعروض ، وتوبيخه القراءات ،  
والشعر ، ورواية الاخبار . . . ولا يفهم منها — بناء على ما سبق — التعرض  
لهذه الآثار المروية ، والاشعار بالتذوق الأدبى ، أو النقد بأسلوب يمت إلى الاساليب  
الأدبية كما يصطنعه أرباب البلاغة والبيان .

(١) معجم الأدباء : ٢٤١/٧

(٢) بتيمة الدهر : ٢٧١/٤ ومعجم الأدباء ٢٥٠/٧

(٣) البحر المحيط : ٩١ (٤) انظر الامتاع : ١٣٢/١ وما بعدها

(٥) بنية الوعاة : ٣٢٠ (٦) انظر نزعة الألباء : ٦١



## « شيوخ أبي علي »

لأبي علي ضربان من الشيوخ : ضرب عاصره ، وأخذ منه ، وتلق عنه ، وضرب لم يعاصره ، ولكنه اعتمد على كتبه وأقواله ، فجعلها مصادره : استقى منها ، واعتد بها .

والضرب الأول هو الذي يذكره المؤرخون والمترجمون ، فينصّون على أنه تلذ للزجاج<sup>(١)</sup> ، وابن السراج<sup>(٢)</sup> ، وابن الخياط<sup>(٣)</sup> ، وابن دريد<sup>(٤)</sup> ، وابن مجاهد<sup>(٥)</sup> ، ومبرمان<sup>(٦)</sup> ولم أر واحداً يتحدث عن تلذة أبي علي للأخفش : علي بن سليمان<sup>(٧)</sup> مع أنه عاصره ، والتقى به ، وأخذ منه ، وحدث عنه .

كذلك لم أرهم يتحدثون عن غير ابن مجاهد من شيوخه القراء وهم كثير . أما الضرب الآخر الذي لم يعاصره أبو علي فيمثله كثير من الشيوخ أخصهم . . أبو زيد — وسيبويه والأخفش الأوسط : سعيد بن مسعدة .

وسأحدث عن الضريين ، وأبين مدى تأثر أبي علي بكل — في تفصيل :  
(١) أبو اسحق إبراهيم بن السري الزجاج<sup>(٨)</sup> :

تعرض أبو علي للزجاج وذكر أنه أحد شيوخه عند الحديث على إعراب قوله تعالى : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للبتقين »<sup>(٩)</sup> وتعرض له من غير تصريح باسمه في الكلام على مهمما<sup>(١٠)</sup> ولم يكن الزجاج في أول الأمر من المشتغلين بالعلم ؛ إنما كان يخرط الزجاج ، ثم مال إلى النحو ، ولزم المبرد<sup>(١١)</sup> وصار أقدم أصحابه قراءة عليه ، وكان من يريد أن يقرأ على المبرد يعرض عليه أولاً ما يريد أن يقرأه<sup>(١٢)</sup> . وقد ارتفعت منزلة الزجاج في الحياة الاجتماعية ، وبلغ مكانة عند الخلفاء حتى نادى المكتفي<sup>(١٣)</sup> ، والمعتضد<sup>(١٤)</sup> . وقد كان الزجاج من أهل الفضل والدين حسن الاعتقاد<sup>(١٥)</sup>

(١) ت ٣١١ هـ (٢) ت ٣١٦ هـ (٣) ت ٣٢٠ هـ

(٤) ت ٢٢١ هـ (٥) ت ٣٢٤ هـ (٦) ت ٣٤٥ هـ

(٧) ت ٣١٥ هـ (٨) ت ٣١١ وقيل ٣١٦ هـ (٩) الحجة : ١٨٥/١

(١٠) البغداديات : ٢٨، ٢٧ (١١) بغية الوعاة : ١٧٩ (١٢) الفهرست : ٩٠

(١٣) طبقات الزبيدي ١٢١ (١٤) إنباه الرواة : ١٦٤/١

(١٥) إنباه الرواة : ١٦٤/١

وتجلى عقيدته عندما ذكر اسم الله فقال : « أكره أن أذكر ما قاله النحويون في هذا الاسم تنزيهاً »<sup>(١)</sup>.

والزجاج صاحب اختيار في النحو والعروض<sup>(٢)</sup> كما عرف بنظرية الاشتقاق التي زعم فيها أن كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف ، وإن نقص حروف أحدهما عن عن حروف الأخرى ، فإن إحدهما مشتقة من الأخرى<sup>(٣)</sup>.

والزجاج المذكور بكتابه معاني القرآن<sup>(٤)</sup> وله كتب أخرى ذكرها بن النديم<sup>(٥)</sup>، منها كتاب الاشتقاق ، وكتاب القوافي ، وكتاب العروض ، وله كذلك مختصر نحو ، وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف<sup>(٦)</sup>.

وقد ذكر الزبيدي أن أبا إسحق كان يقول بالعلم والنظر<sup>(٧)</sup>.

أما مدى تأثير أبي علي بشيخه أبي إسحق فقد رأيته يروى ما أخبره به الشيخ في اللغويات<sup>(٨)</sup>، ويتعرض له في الإعراب<sup>(٩)</sup>، وإذا كان أبو إسحق يقول بالعلم والنظر فإن أبا علي برع في ذلك ، وربما كان من منابع براعته اتجاه شيخه الزجاج ، وقد عقدت في هذا البحث دراسة مقارنة بين الشيخ وتلميذه في الاحتجاج . وقد سمع أبو علي من شيخه كتابه في معاني القرآن<sup>(١٠)</sup> وقد كان معاني القرآن مثار نشاط فكري : أبو علي يصلح عليه مسائل في كتابه الذي سماه<sup>(١١)</sup> الاغفال أو المسائل المصلحة ثم يرد ابن خالويه على كتاب الاغفال ، فيؤلف أبو علي نقض الهاذور في الرد على ابن خالويه ، وكان أبو علي قوى الهجوم على شيخه : يصفه بالسهو في الحكاية والغلط<sup>(١٢)</sup>، والخطأ<sup>(١٣)</sup>، أو يصف كلامه بأنه فاسد<sup>(١٤)</sup>، وليس بالجليد<sup>(١٥)</sup>، وحيناً ينصفه<sup>(١٦)</sup>، وقد تناوأت ذلك بالتفصيل عند الحديث على كتاب الاغفال، وقد روى

- 
- |  |   |
|--|---|
| (١) الاغفال : ٢  | (٢) نزعة الألباء : ١٦٦                    |
| (٣) معجم الأدباء : ١٤٥/١                               | (٤) انباء الرواة : ١٥٩                    |
| (٥) فهرست / ٦١   | (٦) محفوظ بدار الكتب المصرية برقم ١٤١ نحو |
| (٧) طبقات : ١١٩  |   |
| (٨) انظر مثلاً المسكريات : ١٣٣ والحجة : ٢٨٦/١ مراد ملا |   |
| (٩) انظر الحجة : ١٨٥/١                                 | (١٠) الاغفال : ٢                          |
| (١١) انظر إقليد الخزانة : ٦٢ ، ١٢٥                     | (١٢) الاغفال : ٢ رقم ٨٧٥ تفسير            |
| (١٣) ٤٤٢ - ٤٤٣   | (١٤) ٣١                                   |
| (١٥) ٤٨  | (١٦) انظر ص ٦١                            |

أبو علي عن شيخه كتابه ، الإبانة والتفہيم عن معنى بسم الله الرحمن الرحيم <sup>(١)</sup> .  
ويعد أبو اسحق الزجاج طريق أبي علي إلى المازني <sup>(٢)</sup> .

### (٢) الآخفش الصغير ٥٣١٥ :

وهو أبو الحسن علي بن سليمان ، قرأ على ثعلب والمبرد <sup>(٣)</sup> ، ويختلف المترجمون في تقديره : فهو عند أبي البركات الانباري من أفاضل علماء العربية <sup>(٤)</sup> ، وهو عند المرزباني : « لم يكن بالموسع في الرواية في الاخبار والعلم بالنحو » <sup>(٥)</sup> ، وكان إذا سأل عن مسائل النحو ضجر ، وانتهر كثيراً من يواصل مسأله ويتابعها <sup>(٦)</sup> ، على حين يقرر ابن النديم في الفهرست أن علي بن سليمان كان حافظاً للاخبار <sup>(٧)</sup> .

وكان علي بن سليمان مولعاً باعتراض ابن الرومي بما يتطير به ، فشق ذلك على ابن الرومي فهجاه وأقذع ، واستعمل الآخفش حفظ هجائه ، وأملاه فيما يملى من الاخبار والاشعار على أصحابه ، فلما رأى ابن الرومي أن الآخفش لا يألم لهجائه أقصر عنه <sup>(٨)</sup> .

ويبدو أن أبا علي انتفع بالجانب الذي برع فيه علي بن سليمان ؛ وهو رواية الاخبار ، فالفارسي يروي عنه بسنده قصيدة يزيد بن الحكم الثقفي لأخيه من أبيه وأمه عبد ربه <sup>(٩)</sup> ، وينص في الإيضاح على أنه أنشده <sup>(١٠)</sup> ، ويستثبته في آراء شيخه ثعلب <sup>(١١)</sup> واستعانة أبي علي بالآخفش الصغير لم تبلغ مبلغ استعانتة بالآخفش الأوسط على أية حال .

---

(١) انظر المخطوطة رقم ٦٧ نحوش دار الكتب الصفحة الأخيرة من هذه المجموعة والرسالة في المجموعة الثالثة وقد ذكر فهرس المحفوظات المصورة بالأمانة العامة أن الرسالة للزجاجي ت ٣٧٧ هـ

(٢) انظر البغداديات ٣٢، ٢٩

(٣) بنية الوعاة : ٣٣٨ (٤) نزعة الألباء : ١٦٨

(٥) معجم الأدباء : ٢٤٧/١٣ وبنية الوعاة : ٣٣٨

(٦) المصدر السابق وانظر الفهرست لابن النديم ١٣٧

(٧) الفهرست : ١٢٣ (٨) طبقات الزبيدي : ١٢٦

(٩) البصريات : ٥٧ (١٠) الإيضاح : ٣٩

(١١) الحجة : ٢٢٦/١ من البلدية

(٣) أبو بكر محمد بن السري البغدادى ابن السراج ت ٥٣١٦ هـ :

ومن أشياخ أبي علي محمد بن السري بن السراج صاحب الكتب المفيدة في النحو ، منها كتاب الاصول ، جمع فيه أصول العربية ، وأخذ مسائل سيويه ، ورتبها أحسن ترتيب<sup>(١)</sup> ، وإليه المرجع عند اضطراب النقل واختلافه<sup>(٢)</sup> ، وكتاب الاصول غاية في الشرف ، والفائدة<sup>(٣)</sup> ولابن السراج كتاب في مختصر النحو أختصر فيه أصول العربية ، وجمع مقاييسها<sup>(٤)</sup> .

وكان ابن السراج من أحدث غلمان المبرد سناً مع ذكائه وفطنته ، وقد انتهت إليه الرياسة بعد موت الزجاج<sup>(٥)</sup> ، نظر في دقائق سيويه وعول على مسائل الاخفش والكوفيين ، وخالف أصول البصريين في مسائل كثيرة ، ويقال دما زال النحو بجنونا حتى عقله ابن السراج بأصوله<sup>(٦)</sup> وابن السراج هو الذي احتج للقراءات التي ذكرها ابن مجاهد ، وكانت بينهما صحبه<sup>(٧)</sup> ، وقفي قفوه أبو علي الفارسي ، على النحو الذي تعرضت له عند حديث الموازنة بين الرجلين في الاحتجاج .

وكان (رحمه الله) يعرف قدر المتقدمين عليه ، والذين سبقوه ممن اشتغلوا بالعلم<sup>(٨)</sup> ، وقد أخذ أبو علي عن ابن السراج كتاب سيويه<sup>(٩)</sup> .

وها نحن أولاء نرى مقدار الاثر الكبير الذي تركه ابن السراج في نفس أبي ، فجمعه المقاييس ، ونظره في دقائق الكتاب ، وتعويله على مسائل الاخفش واحتججه للقراءات ، ومعرفته فضل المتقدمين ، كل أولئك بعض ما كان لابن السراج من آثار عند الفارسي . وقد أخبره أبو بكر بن السراج بمذاهب الكوفيين ، ومن هنا يعتمد عليه أبو علي في تفسير مصطلحاتهم<sup>(١٠)</sup> .

وقد رأيت أبا علي يحتفل في مسائله بابن السراج : يسأله مستقهماً<sup>(١١)</sup> .

(١) نزهة الألباء : ٦٩ (٢) معجم الأدباء : ٢٠٠/١٨

(٣) طبقات الزبيدي : ١٢٢ (٤) طبقات الزبيدي : ١٢٢

(٥) الفهرست : ٩٢ (٦) معجم الأدباء : ١٩٨/١٨

(٧) انظر نزهة الألباء : ١٦٨ (٨) انظر معجم الأدباء : ٢٠٠/١٨-١٢٠١

(٩) بنية الوعاة : ٤٥ (١٠) انظر البغداديات : ٣٦

(١١) البغداديات : ٢١

ويورد قوله ويشرحه <sup>(١)</sup>، ويعقب عليه <sup>(٢)</sup>، ويقيس على كلامه <sup>(٣)</sup>، ويستأنس بما يلى عليه <sup>(٤)</sup>، وينقل تعريفه للاسم ويعلق عليه <sup>(٥)</sup>، ويدلل على رأيه ويعلمه <sup>(٦)</sup>، ويعتمد عليه في تقسيم الشاذ <sup>(٧)</sup> وينشد ما أنشده عن أبي العباس عن أبي عثمان <sup>(٨)</sup>، ويروي ما أنشده عن السكري عن هاشم <sup>(٩)</sup> — وكل ذلك في اعتداد وتوثيق.

#### (٤) أبو بكر بن الحياط ت ٣٢٠ هـ :

أما أبو بكر الحياط فهو محمد بن أحمد بن منصور، قدم بغداد، واجتمع مع إبراهيم ابن السري الزجاج، وجرت بينهما مناظرة، وكان يخطل المذهبين: نحو البصريين والكوفيين، اثني عليه السيوطي، ذكر له صاحب الفهرست <sup>(١٠)</sup> النحو الكبير، ومعاني القرآن، والمقنع <sup>(١١)</sup>. والموجز فهو بذلك مشارك في الدراسات النحوية والقرآنية جميعاً :

قرأ عليه أبو علي الفارسي، وكتب عنه شيئاً من علم العربية — رأى ذلك ياقوت بخط أبي علي <sup>(١٢)</sup>.

وقد أدعى ابن خالويه على أبي علي الفارسي أنه قال بأن ابن الحياط لا يعرف شيئاً، فرد ذلك أبو علي في كتاب منه إلى سيف الدولة حيث قال :

وأما قوله : اني قلت أن ابن الحياط كان لا يعرف شيئاً فغلط في الحكاية . كيف استجيز ذلك ؟ وقد تكلمت ابن الحياط في مجالس كثيرة، ولكي قلت : إنه لا لقاء له ؛ لأنه دخل إلى بغداد، بعد موت محمد بن يزيد، وصادف أحمد بن يحيى، وقد صمَّ صمماً شديداً لا يخرق الكلام سمعه، فلم يمكن تلم النحو منه، وإنما كان

(١) البصريات : ٦٦

(٢) البصريات : ٦٩

(٣) البصريات : ٧٤

(٤) نفس المصدر

(٥) البصريات : ١٣٢

(٦) البصريات : ١٣٤

(٧) البصريات : ١٣٧

(٨) وانظر ترجمة الألباء وبنية الوعاة : ١٢١

(٩) في البغية المتن في النحو وهو تحريف انظر ص ١٩

(١٠) معجم الأدباء : ١٤٢/١٧ ، وانظر معجم الأدباء : ٢٦١/٧

يقوله ( كذا والصواب يقول ) فيما كان يؤخذ عنه على ما يمليه ، دون ما كان يقرأ عليه <sup>(١)</sup>.

وفارق أبو على أبا بكر قبل وفاته وهو يشغل بالعة التي توفي فيها ، ورجع أبو على إلى بلاد فارس ثم عاد وقد توفي أبو بكر <sup>(٢)</sup>. وقد اتى ابن جني على كتب أبي بكر بحضرة أبي على الفارسي قاتلاً لو عاش لظهر من جهته علم كثير ، فقال أبو على ، : نعم إلا أنه كان يطول كتبه <sup>(٣)</sup> ...

فاذا أردت التعرف على أثر ابن الخياط في أبي على وجدته في مشاركته في الدراسات النحوية ، والقرآنية ، ومعرفته مذاهب الكوفيين والبصريين جميعاً ، وما كان عليه الرجل من علم كثير . وقد كتب ابن الخياط كثيراً من كتب أبي زيد <sup>(٤)</sup> وسنرى مقدار ارتفاع أبي على بابن الخياط ، وتأثره به في هذا الجانب <sup>(٥)</sup>.

( ٥ ) أبو بكر بن دريدت ٥٣٢١ :

وابن دريد هو أبو بكر محمد بن الحسن ( ٢١٣ — ٥٢٢١ ) ، ولد بالبصرة ونشأ بعمان فأقام بها مدة ، ثم صار إلى جزيرة ابن عمارة <sup>(٦)</sup>. فسكنها مدة ثم صار إلى فارس ففطنها ، ثم صار إلى بغداد <sup>(٧)</sup> ، بعد أن أسن ، فأقام بها إلى آخر عمره <sup>(٨)</sup>. فربما التقى به أبو على في فارس ، وربما التقى به في بغداد .

وكان ابن دريد عالماً باللغة ، وأشعار العرب ، أخذ عن علماء البصريين ، وقرأ عليهم أخذ عن أبي حاتم السجستاني ، وأبي الفضل الرياشي ، وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي <sup>(٩)</sup> ، وهو مشهور بكتابه الجهرة في علم اللغة <sup>(١٠)</sup> ، ومقصودته <sup>(١١)</sup> التي مدح بها الأمير أبا العباس الميكالي رئيس نيسابور <sup>(١٢)</sup>.

ولذا كان كل من الزجاج ، وابن السراج ، وابن الخياط من أساتذة أبي على مذكوراً

(١) معجم الأدباء : ١٤٥/١٧ (٢) معجم الأدباء : ٢٦١/٧

(٣) انظر معجم الأدباء : ٢٦٠/٧ (٤) المصدر السابق

(٥) انظر ص ١٢٨ من هذا الكتاب

(٦) في معجم الأدباء جزيرة ابن عمر : ١٢٨/١٨

(٧) الفهرست : ٩١ (٨) معجم الأدباء : ١٢٨/١٨

(٩) تزهة الألباء : ١٧٣ (١٠) الفهرست : ٩١

(١١) تزهة الألباء : ١٧٣ (١٢) معجم : ١٣١/١٨

بحميد الأخلاق ، وحسن العقيدة ؛ فان ابن دريد كان محباً للشراب والغناء ، حتى كان يعلق العيدان والشراب المصنفي في بيته وقد جاوز التسعين <sup>(١)</sup> ، يلقاه الناس على كبر سنه — سكران لا يكاد يستمر لسانه على الكلام من سكره <sup>(٢)</sup> ، وكان يتصدق بدينار الخمر قائلًا : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » ، كما كانت تهدي إليه الدنان <sup>(٣)</sup> ، كما كان يتعلق بالوضوء من الغلبان <sup>(٤)</sup> .

وكان لا يمسك شيئاً يقع بيده <sup>(٥)</sup> . تصدر ابن دريد في العلم ستين سنة ، وقد مات . هو وأبو هاشم الجبائي في يوم واحد ، فقال الناس : « مات علم اللغة والكلام <sup>(٦)</sup> » .

فإذا تبينت آثار ابن دريد في الفارسي وجدته في العلم باللغة ، ورواية أشعار العرب ، وفي مسائل أبي علي — البصريات يظهر تأثر أبي علي بابن دريد واضحاً فهو يروى ما أنشد ابن دريد : « تقول عرسى وهى لى فى عومرة . . . الخ » ، ويشرح ألفاظ البيت بألفاظ ابن دريد ولا يزيد ، كذلك يروى ما قاله ابن دريد في الرحمان من غير تعليق <sup>(٧)</sup> ، وقد روى شيئاً من كلامه <sup>(٨)</sup> . كما يروى عنه ما جرى بين الأصمعي والمفضل الضبي <sup>(٩)</sup> .

وربما تأثر أبو علي بشيء من شرب ابن دريد ومجائته <sup>(١٠)</sup> .

#### (٦) أبو بكر بن مجاهد (ت ٢٢٤ هـ) :

وأبو بكر بن مجاهد هو أحمد بن موسى آخر من انتهت إليه رئاسة القراءات والاقراء بمدينة السلام في عصره ، اجتمع في حلقته نحو ثلثمائة مصدر <sup>(١١)</sup> ، ذكره ابن النديم ، فأثنى عليه ، ووصفه بأوصاف حسنة من الفضل — والعلم ، والديانة

(١) نزهة الألباء : ١٧٤ وانظر معجم الأدباء : ١٨/١٣٠

(٢) معجم الادباء : ١٨/١٣١ (٣) معجم الأدباء : ١٨/١٣٦

(٤) ١٨/١٣٩ (٥) طبقات الزبيدي : ٢٠١

(٦) نزهة الألباء : ٤٧٥

(٧) انظر البصريات : لوحة رقم ٥٧

(٨) انظر الاغفال : ٥٨ تفسير ٨٧٥ بدار الكتب

(٩) انظر المخصص : ٢٩/١ (١٠) انظر الكلام عن أخلاق أبي علي

(١١) طبقات القراء : ١/١٤٢

والمعرفة بالقراءات ، وعلوم القرآن، وحسن الأدب ، ورقة الخلق ، وثقوب الفطنة <sup>(١)</sup> ، ووصفه ابن الجزرى فى كتابه الطبقات : بأنه شيخ الصنعة ، وأول من سبغ السبعة <sup>(٢)</sup> وهو الذى حمل الوزير ابن مقلة على تعذيب ابن شنبوذ <sup>(٣)</sup> ، وروى أبو على القراءة عنه عرضاً <sup>(٤)</sup> .

ولولا أبو بكر بن مجاهد ما كان كتاب الحجة لأبى على ، ويكنى ذلك أراً يتحدث عن فضل ابن مجاهد ، وصدى لعله وكتبه فى نفس الفارسى . وقد استظهرت فى مكان آخر أن الجدل الذى أقامه ابن مجاهد حول القراءات الشاذة كان بعض ما دفع ابن جنى — تلميذ الفارسى — إلى تأليف المحتسب .

### (٧) أبو بكر مبرمان (ت ٥٣٤٥ هـ)

أما المبرمان فهو محمد بن على بن اسماعيل العسكرى ، كان إماماً فى النحو قيماً به أخذ عنه السيرافى والفارسى ، وكان مع علمه وفضله وضع النفس <sup>(٥)</sup> ، ساقطاً المروءة نحيفاً ، إذا أراد أن يمضى لمصلحة طرح نفسه فى طبق حمال ، وشده بجبل ، وربما كان معه نبق أو غيره فىأكل ، ويرمى الناس بالنوى يتعمد رموسهم ، وربما بال على رأس الحمال <sup>(٦)</sup> ، وقد كان مبرمان ضئيلاً بعمله لا ييسر سبيل الأخذ عنه ، فكان لا يقرأ كتاب سيبويه إلا بمائة دينار ، وقد احتال عليه أبو هاشم الجبائى ، وسخر منه فى حيلة طريفة يروها المترجمون <sup>(٧)</sup> ، كانت لمبرمان عناية بكتاب سيبويه ، شرحه ، وشرح شواهد ، إلى جانب شرحه كتاب الأخفش ؛ وله كتب أخرى فى النحو <sup>(٨)</sup> . . . هذا ولقبه المبرد مبرمان لكثرة سؤاله له <sup>(٩)</sup> .

ولعلك ترى ما كان لمبرمان من أثر عند الفارسى : فهو معنىً بالكتاب ، وحسبك هذا عملاً له أثر جليل فى نفس التليذ أبى على . وأصحح هنا ما قال العاملى صاحب

(١) القهرست : ٤٧

(٢) ١٣٩/١

(٣) انظر طبقات القراء : ٤/٢ - ٥٥٠

(٤) طبقات القراء : ٢٠٧

(٥) الفلاكة والمفلوكون : ١١٣ (٦) بغية الوعاة : ٧٥

(٧) انظر معجم الأدباء : ٢٥٦/١٨ (٨) انظر بنية الوعاة : ٧٥

(٩) الفلاكة والمفلوكون : ١١٣



أعيان الشيعة ، فبعد أن ذكر مشايخ أبي علي ، وعد منهم أبا أسحق الزجاج ، وأبا بكر ابن السراج ، وأبا بكر مبرمان ، وأبا بكر الخياط — قال : وفي لسان الميزان أخذ عن أبي بكر بن مجاهد — ثم علق العاملى على ذلك بقوله : « ولعله أحد المذكورين » أقول : وهذا الذى قاله العاملى خطأ ؛ فإن أبا بكر بن مجاهد غير الزجاج ، وابن السراج ومبرمان ، وابن الخياط . كذلك وقع العاملى فى خطأ آخر ؛ فبعد أن ذكر قول ابن جنى الذى أورده ياقوت فى معجم الأدباء وسؤاله أبا علي هل قرأ على أبي بكر؟ قال العاملى : ولا يعلم أن أبا بكر هذا من هو ؛ لأنه مر فى مشايخه أنه أخذ عن ثلاثة كلهم يكنى أبا بكر ، ولعل المراد به السراج فإنه أعرفهم وأشهرهم والله أعلم<sup>(١)</sup> .  
أقول : وأبو بكر هنا هو أبو بكر بن الخياط الوارد فى كتاب الفارسي لسيف الدولة<sup>(٢)</sup>...

وبعد فهؤلاء هم شيوخ أبي علي فى القراءة واللغة والنحو وقد أوردهم على حسب سنى وفاتهم ، وذكرت ما كان لكل شيخ من الأثر الخلقى والعلى فى نفس أبي علي ، وما يستحق التسجيل أن معظم هؤلاء الشيوخ قد اختارهم الله إلى جواره فى الربع الأول من القرن الرابع الهجرى ، وبعد نزول أبي علي بغداد بنحو خمسة عشر عاما ؛ فالزجاج ت ٣١١ هـ<sup>(٣)</sup> ، وابن السراج توفى سنة ٣١٦ هـ<sup>(٤)</sup> ، وابن الخياط ت ( ٣٢٠ هـ )<sup>(٥)</sup> . وابن دريد ت ( ٣٢١ هـ )<sup>(٦)</sup> . وابن مجاهد ت ( ٣٢٤ هـ )<sup>(٧)</sup> . والذى أريد أن أرتبه على ذلك أن أبا علي قد خلا الجوله نحو خمسين عاما : نصف قرن من الزمان ، تصدر فيه للإمامة ، وقد أحس أبو علي من نفسه ذلك فى حياة شيخه أبي بكر بن الخياط ؛ إذ يرى أنه أصبح فى درجة تعلو به على أصحاب ابن الخياط ، وترفعه إلى درجة ابن الخياط نفسه : قال ابن جنى : حدثني أبو علي قال : اجتمعت مع أبي بكر بن الخياط عند أبي العباس المعمرى بنهر معقل فى حديث طويل ، فسأله عن العامل فى إذا من قوله سبحانه : هل ندلكم على رجل ينبشكم إذا مزقتم كل ممزق ... قال فسلك فيها مسلك الكوفيين ، فكلمته إلى أن

(١) أعيان الشيعة : ٢٨/٢١

(٢) انظر الخليات : ٣٣ ظهره نحو

(٣) انظر تركة الألباء : ١٦٨ (٤) المصدر السابق : ١٦٩

(٥) انظر معجم الأدباء : ١٧/١٤١ (٦) تركة الألباء : ١٧٥

(٧) الفهرست : ٤٧

أمسك، فسألته عن غيرها، وعن غيرها، وافترقنا، فلما كان الغدا اجتمعت معه عند أبي العباس، وقد أحضر جماعة من أصحابه، فسألوني فلم أر فيهم طائلا، فلما انقضى سؤالهم قلت لأكبرهم: كيف تبنى من سفرجل مثل عنكبوت؟ فأجابته مسرعا: سفرووت، فلما سمعت ذلك قمت في المسجد قائما وصفقت بين الجماعة: سفرووت سفرووت!! فالتفت إليهم أبو بكر وقال: «لا أحسن الله جزاءكم، ولا أكثر في الناس أمثالك»<sup>(١)</sup>؛ خيلا عما جرى، واستحياء من أبي علي<sup>(٢)</sup> وافترقنا فكان آخر العهد بهم<sup>(٣)</sup>، وهذه الحكاية إلى جانب ما استشهدت بها عليه — تدل على براعة أبي علي في التصريف، وتنقله في مجالس العلم، ومناصرته أهله من الشيوخ، ونابغي الطلاب؛ فها تذا ترى أنه يكلم ابن الخياط إلى أن يمسك، وأنه يقبل على أكبر طلابه سنا، وأرجحهم عقلا، وأوسعهم علما عند نفسه، فيأتي عليه هذه المسألة الصرفية التي يجيب عنها لإجابة نخجل أبا بكر بن الخياط، وتبعث في نفسه الاستحياء من أبي علي، ثم يكون الافتراق بين الرجلين الذي لا لقاء بعده.

وهكذا يرتفع أبو علي عن طبقة شيوخه الذين تلقى عنهم، فيتعرض للزجاج في كتابه الاغفال، ويعرض احتجاجه للقرآن جنبا إلى جنب احتجاج شيخه أبي بكر ابن السراج على النحو الذي عرضت له في مكان آخر من ذلك البحث، ويتحدث في بعض كتبه أن شيوخه كانوا يسألونه<sup>(٤)</sup>. ويتعرض لابن دريد بقوله: «وقد كان شيخ من أهل اللغة وزن هذه الكلمة — يستعور — يفتعور حتى نبه عليه، وله فيما كان أملاه من الابنية حروف كثيرة تحتاج إلى إصلاح»<sup>(٥)</sup> وبهذا يرتفع أبو علي عن شيوخه المعاصرين، ويعلو بأسناده إلى المصادر الأولى<sup>(٦)</sup>.

وقد بينت في حديثي عن ثقافة أبي علي انتفاعه بالشيوخ القدامى أمثال الاصمعي وأبي عبيدة، وأبي عثمان المازني، وأحمد بن يحيى ثعلب، كما أوردت في غصون عرضي لمسائله مهاجمة القراء، والكسائي، والمبرد ثم ثعلب حيناً، ورأيت أبا علي لم يكن يعجبه نقل اللحياني<sup>(٧)</sup>. كما رأيت يهاجم ابن السكيت (هو أبو يوسف يعقوب ابن

(١) الخصائص: ٥٩٤/٢ وما بعدها ٢٧٤ نحو تيمور

(٢) معجم الأدباء: ٢٣٥/٧ (٣) الخصائص: ٥٩٥/٢

(٤) انظر الحجة: ٣٢٦/١ مراد ملا (٥) البغداديات: لوحة رقم ٤

(٦) انظر طبقات الزبيدي: ١٢٧ (٧) المخصص: ١٤٦/٣، ٤٤/٤، ٢٣٢/١٤

وهو علي بن حازم اللحياني، انظر نزهة الألباء: ١٢٢

السكيت<sup>(١)</sup> . فيخطئه في الرواية<sup>(٢)</sup> ، ويرميه بالوهم<sup>(٣)</sup> ، وينص على أنه غير مسموع له في التصريف<sup>(٤)</sup> .

لكن أبرز من انتفع بهم أبو علي من الشيوخ القدماء ، واعتد بأقوالهم في توقير وإجلال ثلاثة رجال : أبوزيد ، وسيويه ، والاخفش .

(١) فاما أبو زيد فهو سعيد بن أوس بن ثابت . . . الانصارى<sup>(٥)</sup> وثابت هذا شهد أحداً ، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ( صلى الله عليه وسلم ) . وأبوزيد معدود من القراء ، والنحاة ، واللفويين : روى القراءة عن المفضل عن عاصم الكوفي ، كما روى عن أبي عمرو بن العلاء البصري<sup>(٦)</sup> ، وألف كتاباً في قراءة أبي عمرو<sup>(٧)</sup> .

وكان من جلة أصحابه وكبرائهم<sup>(٨)</sup> . ويقول السيرافي : « وعامة كتاب النوادر لأبي زيد عن المفضل<sup>(٩)</sup> . فها نحن أولاء نرى أن أبا زيد لا يتعصب في طلب المعرفة<sup>(١٠)</sup> . وهذا ما يقرره السيرافي إذ يقول : « ولانعلم أحداً من علماء البصريين بالنحو واللغة أخذ عن أهل الكوفة شيئاً من علم العرب إلا أبا زيد<sup>(١١)</sup> . ومعظم تأليف أبي زيد في اللغة<sup>(١٢)</sup> .

ورأيت أبا علي يصف أبا زيد بالضبط في الرواية<sup>(١٣)</sup> ، ويعقد لما ينشده مسألة مستقلة سأل عنها عضد الدولة<sup>(١٤)</sup> ، ويستعين به في تفسير الكلمات<sup>(١٥)</sup> ، ويروى ما أنشده في كثرة ظاهرة ، ويوجه إعراب ما ينشده<sup>(١٦)</sup> . ويعرف طريقته في

(١) انظر نزعة الألباء : ١٢٣ المخصص : ١٠٧/٧

(٢) المخصص : ١٠٧/٧ (٣) المخصص : ١٠٢/٤ ، ٦٢/١٤

(٤) انظر المخصص ١١٢/٨ في وزن تنحيز

(٥) طبقات الزبيدي : ١٨٢ (٦) طبقات القراء : ١٨٩/١

(٧) الفهرست : ٨١

(٨) طبقات القراء : ٣٠٥/١ (٩) أخبار النحويين البصريين : ٤٥ وفي صدر

النوادر تفصيل لما أخذ أبو زيد عن الفضل وما سمعه عن العرب من شعر التقصيد وأبواب

الرجز واللغات انظر نوادر اللغة : ١ (١٠) سيويه امام النحاة لأستاذنا : ٦٢

(١١) أخبار النحويين البصريين : ٤٥ (١٢) انظر الفهرست : ٨١

(١٣) الحجة : ٢٦٧/١ ، من البلدية (١٤) انظر الشرايات : ٩٩

(١٥) الحجة : ٢٢٩/١ من البلدية (١٦) الحجة : ١٤٨/١ من البلدية

تناوله مسائل اللغة <sup>(١)</sup> ، ويورد تفسيره للكلمات <sup>(٢)</sup> ، ويبلغ اعتداد أبي على بأبي زيد مبلغه إذ ينشد ما حكى أبو زيد .

( فإذا سمعت بأنتى قد بعثهم بوصال غانية فقل كذبذب )

ثم يعلق على ذلك بقوله : « وهذه الكلمة : « كذبذب » يحكى فيما شذ عن سيبويه فى الألفية ، ولولا ثقة أبي زيد ، وسكون النفس إلى ما يرويه لكان ردها مذهبا <sup>(٣)</sup> . وجاءت عناية أبي على بأبي زيد مصداقاً لقولة أبي حيان : « وما تجاوز أبو على فى اللغة كتب أبي زيد وأطرافاً ما لغيره <sup>(٤)</sup> » .

فإذا ذهبت أتلس الأسباب التى من أجلها تأثر أبو على بأبي زيد رأيت منها :  
أولاً — أن أبا زيد ثقة مقبول الرواية <sup>(٥)</sup> . فيه غفاب وتقوى وإسلام <sup>(٦)</sup> .

وثانياً — أنه روى عن الأعراب الفصحاء <sup>(٧)</sup> : روى عن عقيل وقشير من أعراب مضر ، وقد نزلوا بالبصرة من محل أصابهم <sup>(٨)</sup> .

وثالثاً — أن شيخا من شيوخ أبي على — هو أبو بكر بن الخياط — كتب كثيراً من كتب أبي زيد <sup>(٩)</sup> . فلعل التليذ تأثر بما تأثر به الشيخ .

ورابعاً — أن الناس عنوان من قديم يكتب أبو زيد ، فقد كان الرياشى يحفظ الشعر الذى فى النوادر ، كما يحفظ السورة من القرآن . كما حفظ كتاب الحمز لأبي زيد وقرأه عليه حفظاً ، وكان يمد حروفه <sup>(١٠)</sup> . وقد شرح نوادر أبي زيد أبو الحسن الأخفش ، وأبو هاشم ، والجرمى ، والسكرى <sup>(١١)</sup> .

وخامساً — أن سيبويه كرم أبا زيد فى الكتاب ، فلم يصرح باسمه فى الرواية عنه ، بل كنى عنه بأفضل ما يكتنى به عن الرواة والعلماء مثل : « من نثق به ، ومن لا نثق به » ، فكانما أراد سيبويه — كما يقول أستاذنا — أن يدعو الناس إلى هذه التسمية ، وأن يشاركه فيها من لم يكن يشاركه ؛ اجلالاً للرجل ومكافأة <sup>(١٢)</sup> . وسيبويه هو من هو

(١) المخصص : ٢٤٨/١٤ (٢) الحجة : ١٧٦/١ ، ١٨٠ مراد ملا

(٣) الحجة : ٢٢٨/١ مراد ملا (٤) الامتاع : ١٣١/١

(٥) أخبار النهوين والبصريين : ٤٢ (٦) نزعة الألباء : ٨٧

(٧) الحجة : ٧٣/١ من البلدية (٨) طبقات الزيدى : ١٨٢

(٩) معجم الأدباء : ٢٦٠/٧ (١٠) نوادر أبي زيد : ٢

(١١) انظر إقليد الخزانة : ١٢٥ (١٢) انظر سيبويه امام النجاة : ٩٣

جلال قدر ، وارتفاع محل عند أبي على بخاصة ، فلا غرو أن يكون أول المستجيبين لدعوة سيويه إلى إكبار أبي زيد .

(ب) وأما سيويه فيبلى موقف أبي على منه ، ويختصر تقديره له ما قال أبو حيان : « أما أبو على فأشد تفرداً بالكتاب ، وأشد إكباباً عليه <sup>(١)</sup> ، وفي غضون بحثي هذا ، وعند عرض كتب أبي على المختلفة جليت مصداق قوله أبي حيان ، وأنه من المعاد المكرور أن أذكر النصوص الدالة على هذه القولة ، فذلك مما يطيل حبل الكلام ، ولكنني أكتفي — اختصاراً بذكر مظاهر تأثر أبي على بسيويه :

أبو على قرأ الكتاب قراءة فاحصة واعية <sup>(٢)</sup> ، ووازن نسخته بعضها ببعض <sup>(٣)</sup> ، ورد ما قد يتوهم في الكتاب من التدافع <sup>(٤)</sup> ، وصحح مذهبه <sup>(٥)</sup> ، واحتج به <sup>(٦)</sup> ، واحتج له <sup>(٧)</sup> . ونص على أن القول قول سيويه <sup>(٨)</sup> ، وبني على ما يرويه ، وقاس على ما يحكيه <sup>(٩)</sup> . وجاء الحجة شرحاً للكثير من نصوص سيويه ، وتطبيقاً للقواعد التي ذكرت في الكتاب <sup>(١٠)</sup> . ورأيت أبا على يستعمل بعض ألفاظ سيويه ، إن قال سيويه مثلاً : « أخبرني من نشق به . . . » . قال أبو على : « أنشدنا بعض من نشق بروايته . . » . أخبرني وإن قال سيويه : وجيه ضعيف <sup>(١١)</sup> . قال أبو على : أبو على : « وجيه في القياس <sup>(١٢)</sup> » . ومن هنا فهم أبو على أسلوب سيويه ، وحكمه وصار إليه <sup>(١٣)</sup> ، ولا يقتصر نظر أبي على إلى سيويه على اللغة والنحو ؛ بل يستهدى به قارئاً راوية للقراءات <sup>(١٤)</sup> . يعقد في الحجة كلام سيويه فيما يصدره من أحكام على مختلف الروايات . قال : « وقد روى أن بعضهم قرأ يوم التناد ، وكأنه اعتبر يوم يفر المرء من أخيه فجعل التناد تفاعلاً من ند البعير إذا شرد ونفر ، وليس ذلك بالوجه ، ألا ترى أنه لا يسهل أن تقول : « نددت بما لزمك ولا ناددت منه كما يقول : فررت منه ، ونرى سيويه يستعمل

(١) الامتاع : ١٣١/١ (٢) انظر عرض كتاب الاغفال

(٣) انظر المخصص ١٤٥/١٤ ، ١٨٠

(٤) الحجة : ٩٦/١ مراد ملا (٥) الحجة : ٢٦٢/١ مراد ملا

(٦) الحجة : ٤٠/١ من البلدية (٧) البغداديات : ٢٥

(٨) البصريات : ٨٨/٢٦٠ (٩) الحجة : ٦٠/١ من البلدية

(١٠) الحجة : ٥٣-٥١/١ (١١) الكتاب : ٣٥٤/٢

(١٢) الحجة : ١٥/٣-٢٠ من البلدية (١٣) انظر المخصص ١٩١/٦

(١٤) انظر الحجة : ٤٤/١ من البلدية

في هذا المعنى فراً كثيراً ، ولا يستعمل ند وليس هذا الاعتبار إذأ بالوجه <sup>(١)</sup> ، .  
وقد نقل هذا ابن سيده في المخصص <sup>(٢)</sup> . أرأيتم كيف احتكم أبو على إلى استعمال  
سيبويه ، وبني عليه ؟ ومن أجل سيبويه خاصم أبو على المبرد ومن تابعه ، والمبرد  
نقض على سيبويه ، ومن أجله أيضاً سالم في الأعم الأغلب أحمد بن يحيى خصم المبرد .  
ولسيبويه المكانة الأولى بين النحاة ، والباحث في غنى بسبب هذه المكانة عن  
التعليل لدوران أبي على في فلك سيبويه ، ولكن هناك أسباباً خاصة تجعل أبا على  
يقف هذا الموقف من إمام النحاة . فكلاهما فارسي ، بل إن قبر سيبويه بشيراز <sup>(٣)</sup> ،  
حيث سلخ أبو على أيام صباه وتلقيه قبل أن ينتقل إلى بغداد ، ثم حيث أقام  
عشرين سنة أخرى بعد اتصاله ببعض الدولة ، فهذه نحو أربعين عاماً يقضيها بشيراز  
قريباً من ذلك الكثر الدفين . ألا يكفي ذلك لأن يحذو أبو على حذوه ، ويقتفي منه  
الآثار ؟ بلى !

(ج) أما الأخفش : فهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة <sup>(٤)</sup> . وكان تأثر أبي على  
به ظاهراً : قوى قراءاته ، ودلّل عليها <sup>(٥)</sup> ، وخطأ ما حكى السكري بما قال أبو الحسن <sup>(٦)</sup>  
وفهم كلامه على وجهه ، ورد فهم ابن السراج له ، وقيد لإطلاق المبرد عنه <sup>(٧)</sup> ،  
واعتمد عليه في اللغويات <sup>(٨)</sup> ، وتصريف الكلمات <sup>(٩)</sup> ، وأخذ برأيه في بعض المسائل  
النحوية <sup>(١٠)</sup> ، وقاس على ما يقول <sup>(١١)</sup> ، واحتج له <sup>(١٢)</sup> ، وأورد كلامه ووجهه <sup>(١٣)</sup> .  
وكان أبو على يوثق الأخفش ، ويثني على صدقه ، ويعلم ذلك لتلاميذه . حكى  
ابن جنى قال : قال لنا أبو على : « يكاد يعرف صدق أبي الحسن ضرورة ، وذلك  
أنه كان مع الخليل في بلد واحد ، ولم يحك عنه حرفاً واحداً <sup>(١٤)</sup> » . ولعل الأخفش  
أحد أولئك الذين وجهوا أبا على للنطق والقياس : فقد كان الأخفش فيما يقول

- 
- (١) الحجة : ٣٢٢/١ مراد ملا (٢) انظر : ١١٨/٧  
(٣) معجم الأدباء : ١١٦/١٦ (٤) المزهر : ٤١٩/٢  
(٥) الحجة : ٢٥٢-٢٥٤ مراد ملا  
(٦) الحجة : ١٨٢/١ بلدية (٧) الحجة : ٢٥٤/١ مراد ملا  
(٨) الحجة : ٢١٦/١ ، ٢٣١ من البلدية  
(٩) الحجة : ١٠٤، ١٠٣، ٨/١ من البلدية  
(١٠) الحجة : ٢٨/١ من البلدية (١١) المصدر السابق ١٨٠/١  
(١٢) نفس المصدر : ١٨٨/١ (١٣) ٢٤٨/١ مراد ملا  
(١٤) انظر المزهر : ٤١٦/٢

السيوطي : « أعلم الناس بالكلام ، وأحذقهم في الجدل <sup>(١)</sup> ، وألف فيما ألف المقاييس في النحو <sup>(٢)</sup> » ، وعندى أن اعتداد أبي على بسيبويه وأبي زيد هو الذى جعله يتأثر بأبي الحسن ، فهو الطريق إلى الكتاب <sup>(٣)</sup> ، ثم هو أحذق أصحاب سيبويه <sup>(٤)</sup> ، وأعلم من أخذ عنه <sup>(٥)</sup> ، وأحفظهم <sup>(٦)</sup> . وهو بعد ذلك شارح نوادر أبي زيد <sup>(٧)</sup> .  
هذا وكان أبو على يروى عن أبي الحسن عن طريق أبي عبد الله اليزيدى عن عمه عنه <sup>(٨)</sup> .

حاشية : يدلل بعض المشتغلين بالعلم في زماننا على قيمة مؤلفات الأخفش ، بما نقله ابن جني عن بعضها ، ومادري أنت الذى وجه ابن جني إلى الأخفش هو أستاذه أبو على الذى تلمذ على الأخفش كما سلف به البيان <sup>(٩)</sup> .

## زملاء أبي على

كان لأبي على زملاء أخذوا العلم معه عن شيوخه ، وبرز منهم :

- ( أ ) أبو سعيد السيرافى .
- ( ب ) على بن عيسى الرماني .
- ( ج ) أبو القاسم الزجاجي .
- ( د ) ابن خالويه .

وقد عقدت في مناسبات البحث المختلفة ، دراسات موازنة بين أبي على وهؤلاء الزملاء بما يغنى عن إعادة الحديث في هذا المقام .

(١) بنية الوعاة : ٢٥٨ (٢) الفهرست : ٧٨

(٣) الفهرست : ٧٨ وتزهة الألباء : ٤٥

(٤) أخبار النحويين البصريين : ٣٩

(٥) تزهة الألباء : ٩٤ (٦) بنية الوعاة : ٢٥٨

(٧) خزنة الأدب : ١٤/١ (٨) الحجة : ١/٤٤٠ مراد ملا

(٩) انظر بحث الأستاذ طه الزبي عن الأخفش مخطوطة بمكتبة كلية اللغة العربية برقم ٣٧٣

## تلاميذ أبي علي

جلس أبو علي للتدريس في البلاد التي تنقل فيها: شيراز، وبغداد، والبصرة، وواسط والموصل، وحلب، وغيرها، وكان له في كل بلد من هذه البلاد تلاميذ أخذوا عنه، ومنهم من صحبه وتبعه في أسفاره، وخلا به في مقامه كابن جني<sup>(١)</sup>. ومنهم من أقام عليه عشرين سنة، حتى لا يبق له شيء يحتاج أن يسأل عنه، وذلك علي بن عيسى الربعي<sup>(٢)</sup>. وقد ذكر العبدى أبا علي، وأحصى من كان يحضر مجلسه ويقرأ عليه كتاب سيبويه دون غيره من المتوسطات، فجعلهم ثلاثين رجلاً وأكثر<sup>(٣)</sup>. وقد قسم تلاميذ أبي علي علمه، واختلفت حظوظهم منه، فمنهم مستوعب علم أبي علي يتأثره في أطرافه المختلفة كابن جني، ومنهم قارى يروى القراءة عنه عرضاً كعبد الملك ابن بكران النهرواني<sup>(٤)</sup>. ومنهم من سمع منه الحديث كأبي القاسم التنوخي، وعلي ابن المحسن الذي سمع في أوائل حاله<sup>(٥)</sup> من أبي علي وقيل وفاة أبي علي<sup>(٦)</sup>، ومحمد ابن عبد الواحد أبي الحسن<sup>(٧)</sup>، ومحمد بن عبد الواحد أبي عبد الله ابن زوج الحره<sup>(٨)</sup>، وهلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابي<sup>(٩)</sup>.

ومنهم العروضى، والنحوى، واللغوى. ومنهم بارع كأستاذة في جودة النظر ودقة الفهم والقياس وهكذا وهكذا...

ولا يكاد المترجمون لأبي علي يذكرون في ترجمته غير ابن جني والربعي<sup>(١٠)</sup>، مع أن تلاميذه الآخرين قد رزقوا حظاً من الشهرة، واحتل بعضهم مكانة مرموقة في الحياة، وإليك طائفة من تلاميذ أبي علي، وأكثرهم متصدر متميز، وما منهم إلا له مقام معلوم في اللغة، والنحو، والعروض، أو النظر، والقياس، وإقامة الحجج. وتفصيل الحديث عن تلاميذه على سبيل التقصى، وبيان مدى تأثرهم بأبي علي،

(١) انباه الرواة: ٣٣/٢ (٢) انباه الرواة: ٢٩٧/٢

(٣) انباه الرواة: ٣٨٧/٢ (٤) انظر طبقات القراء: ٢٠٧/١

(٥) انظر تاريخ بغداد: ١١٥/١٢ (٦) تاريخ بغداد: ٢٧٥/٧

(٧) تاريخ بغداد: ٣٦١/٣ (٨) نفس المصدر: ٣٦

(٩) تاريخ بغداد: ٧٦/١٤، ومعجم الأدباء: ٢٩٤/١٩، ووفيات الأعيان: ١٥٢/٥

(١٠) تحدثت عنهما بالتفصيل عند الكلام على كتاب المحتسب، وفي الكلام على أخلاق أبي

على تحدثت عن تلميذه محمد بن طويس القصرى تلميذه النحوى المعتزلى، والذي إليه تنسب المسائل القصرىات في بعض الأقوال (انظر معجم الأدباء: ٢٩٦/١٨)



بما يتصل اتصالاً وثيقاً بطرف من موضوع هذا البحث : آثار أبي علي في النحو ، وقد ذكرت قريباً بإيجاز من سمع الحديث من أبي علي ، وهام أولاء بقية تلاميذه على حسب سنوات الوفاة :

١ — كان من تلاميذ أبي علي قاضي القضاة بشيراز عبيد الله بن أحمد الفزاري ، وهو من أولئك الذين تلقوا العلم على الفارسي بشيراز ، وصنف صناعة الإعراب ، وعيون الإعراب <sup>(٢)</sup> .

٢ — ومحمد بن أحمد بن عمر الخلال أبو الغنائم : اللغوي ، قال عنه ياقوت : إمام عالم جيد الضبط صحيح الخط معتمد عليه <sup>(٣)</sup> .

٣ — إبراهيم بن علي الفارسي : ذكره الثعالبي في البخاريين ، وقال : كان من الأعيان في اللغة والنحو ، ورد بخاري في أيام السامانية ، فأجل ، وبجل ، ودرس عليه أبناء الرؤساء والكتاب بها وأخذوا عنه ، وولى التصفح في ديوان الرسائل ، وصنف وأمل ، وشرح ، وتكلم في العروض والقوافي ، والمعاني <sup>(٤)</sup> ، وشرح كتاب الجرمي وناقض المتنبي ، وحفظ الطم والرم ( أي الكثير ، فهو مثل <sup>(٥)</sup> ) .

٤ — هذا ويجعل صاحب أعيان الشيعة من تلاميذ أبي علي الأزهرى <sup>(٦)</sup> . ولم أجد شيئاً من ذلك في كتب التراجم الأخرى <sup>(٧)</sup> .

٥ — عبد الله بن محمد بن جرو الاسدي أبو القاسم : كان كأستاذه نحويًا عروضيًا ، معتزليًا <sup>(٨)</sup> ، كما سلك مسلك أستاذه في المقايضة بين مسائل النحو ، ومعاني الشعر <sup>(٩)</sup> . أنشد في مسألة ياءات الإضافة :

ويسقط بينها المرتى لغواً كما أسقطت في الدية الحوار <sup>(١٠)</sup>  
وكان أبو القاسم الاسدي من أهل الموصل ، قدم بغداد ، وقرأ على شيوخها <sup>(١١)</sup> .

(١) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر

(٢) بنية الوعاة : ٣٢٠ ، وروضات الجنات : ٢٢١

(٣) معجم الأدباء : ٢٠٨/١٧ ، بنية الوعاة : ١٥

(٤) معجم الأدباء : ٢٠٥/٧ (٥) بنية الوعاة : ١٨٤

(٦) أعيان الشيعة : ٢٨/٢١

(٧) انظر مثلاً نزعة الألباء : ٢١٤ ، معجم الأدباء : ١٦٥/١٧-١٦٦

(٨) انظر معجم الأدباء : ٦٣/١٢ (٩) انظر الخصائص : ٥٦٠/١ وما بعدها ..

(١٠) انباء الرواة : ١٥٥/٢ (١١) معجم الأدباء : ٦٣/١٢

وقد عرفه القفطى بأنه صاحب أبي على<sup>(١)</sup>، وكانت له مناظرات جرت له مع الشيوخ في العروض أورد بعضها ياقوت<sup>(٢)</sup>. وكان فيه بعد ذلك حذق، وذكاء مع جودة خط، وصحة ضبط<sup>(٣)</sup>.

كان أبو على باراً بأبي القاسم الأسدى، واثقاً به، قدمه أبو على إلى عضد الدولة أماماً يصلى به حين طلب منه ذلك، واقترح عليه أن يكون جامعاً إلى العلم بالقراءة العلم بالعربية، وصلى أبو القاسم بعضد الدولة، فلما كان الغد وأتى أبو على، وسأل الملك عنه فقال: «هو كما وصفت إلا أنه لا يقيم الراى، فيقدم أبو على لصاحبه نصيحة حتى لا يبلغ، وينتصح الأسدى فتستقيم له الراى<sup>(٤)</sup>».

وتوفى ابن جرو الأسدى (٣٨٧ هـ) بعد أن صنف «الموضح في العروض والمفصح في القوائى، والأمد في علوم القرآن<sup>(٥)</sup>».

٦ — اسماعيل بن حماد الجوهري: صاحب الصحاح<sup>(٦)</sup>. من أعاجيب الدنيا<sup>(٧)</sup> ذكاء وفطنة رعلماً<sup>(٨)</sup>. دخل العراق فقرأ علم العربية على شينخى زمانه، ونور عين أوانه أبو على الفارسى، وأبى سعيد السيرافى<sup>(٩)</sup>. ومضى لسبيله عن آثار جلييلة، وله كتاب العروض ومقدمة في النحو<sup>(١٠)</sup>. والصحاح في اللغة قال الثعالبى: «وهو أحسن من الجهرة، وأوقع من تهذيب اللغة، وأقرب متناولاً من بحمل اللغة<sup>(١١)</sup>». وقد رأيت أنه يرجع في الصحاح إلى شينخى أبى على، ويروى عنه (انظر مثلاً بابى «بقم»: «ودمدن<sup>(١٢)</sup>». وقال ابن فضل الله في المسالك مات الجوهري: ٣٩٣ هـ<sup>(١٣)</sup>.

٧ — عبد الباقي بن محمد بن الحسن: قرأ على الفارسى<sup>(١٤)</sup>. وكان نحوياً متصديراً

- |   |                                      |
|---|--------------------------------------|
| (١) انباه الرواة: ١٥٤/٢   | (٢) معجم الأدباء: ٦٣/١٢-٦٥           |
| (٣) نفس المصدر  | (٤) انظر خبر ذلك في بنية الوعاة: ٣٢٠ |
| (٥) معجم الأدباء: ٦٥/١٢   | (٦) نزهة الألباء: ٢٢٧                |
| (٧) يتيمة الدهر: ٢٨٩/٤  | (٨) معجم الأدباء: ١٥١/٦-١٥٢          |
| (٩) معجم الأدباء: ١٥٣/٦   | (١٠) بنية الوعاة: ١٩٥                |
| (١١) يتيمة الدهر: ٢٨٩/٤   |                                      |
| (١٢) تاج اللغة وصحاح العربية، في هاتين المادتين وانظر مختار الصحاح: ٦٠، ٦١٩ |                                      |
| (١٣) انظر بنية الوعاة: ١٩٥....  | (١٤) بنية الوعاة: ٢٩٤                |

للافادة<sup>(١)</sup> مات لعشر بقين من ربيع الأول سنة أربعمائة وصنف الدواء واشتقاقها، وشرح حروف العطف<sup>(٢)</sup>.

٨ — أبو طالب أحمد بن بكر العبدى: أخذ عن أبي على جل ما عنده<sup>(٣)</sup> وكان نحوياً لغوياً قيميا بالقياس كما يقول السيوطى<sup>(٤)</sup>. اعتنى بكتاب العضدى وشرحه شرحاً كافياً شافياً<sup>(٥)</sup>. وبلغ من تأثره بشيخه أنه شرح كتاب أبي على بكلام أبي على لكثرة اطلاعه على كتبه وفوائد، وفي رأى القفطى أن شرح العبدى للعضدى يعد عمدة لكل من تعرض لشرح هذا الكتاب<sup>(٦)</sup>. وله غير شرح العضدى — شرح كتاب الجرمى<sup>(٨)</sup> ولعل الذى وجهه إلى شرح هذا الكتاب قوله أستاذه أبي على فيه<sup>(٩)</sup>. عاش العبدى إلى قريب من سنة عشرين وأربعمائة<sup>(١٠)</sup>. ويقول ياقوت أنه توفي سنة ست وأربعمائة فى خلافة القادر بالله وينقل السيوطى ذلك<sup>(١١)</sup>.

٩ — محمد بن عثمان بن بلبل: لغوى، نحوى، صاحب السيرافى، والفارسى، وروى عنه كتاب الحجة، وسمعه منه ابن بشران النحوى<sup>(١٢)</sup> ومات سنة عشرين وأربعمائة، وقد رأيت أحمد بن تميم بن هشام اللبلى ينقل العسكريات من خطه<sup>(١٣)</sup>. وفى الأمانة العامة للجامعة العربية (الإدارة الثقافية) نسخة من كتاب المبهج كتبت سنة ٤٢٠ هـ منقولة من خط ابن بلبل<sup>(١٤)</sup>.

١٠ — على بن عبيد الله السمسى: اللغوى<sup>(١٥)</sup>، النحوى<sup>(١٦)</sup>، تصدر ببغداد للرواية وأقرأ الأدب، وكان جيد المعرفة بفضون العربية، كما كان ثقة فى روايته مات فى المحرم سنة ٤١٥ هـ.

- 
- (١) انباه الرواة: ١٥٥/٢، وأورده باسم عبد الباقي بن محمد بن بانيسى النحوى  
 (٢) بنية الوعاة: ٢٩٤  
 (٣) انباه الرواة: ٣٨٧/٢  
 (٤) البنية: ١٢٩  
 (٥) نزهة الألباء: ٢٢٢  
 (٦) انظر انباه الرواة: ٣٨٧/٢  
 (٧) البنية: ١٢٩، وهذه قضية يحتاج تحقيقها إلى مقام غير ما أنا فيه الآن  
 (٨) انظر نزهة الألباء: ١٠١  
 (٩) انباه الرواة: ٣٨٨/٢  
 (١٠) البنية: ١٢٩  
 (١١) معجم الأدباء: ٢/٢٣٧  
 (١٢) بنية الوعاة: ٧٢ ومعجم الأدباء: ٢٤٩/١٨، انظر طبقات القراء: ١/٥٦٦  
 (١٣) انظر لوحة ٢/٢٤١ العسكريات (١٤) انظر فهرس المخطوطات المصورة: ٣٦٩  
 (١٥) انباه الرواة: ٢/٢٨٨  
 (١٦) معجم الأدباء: ٨/١٤  
 (١٧) وانظر بنية الوعاة: ٣٤٣....

١١ — على بن عبيد الله الدقيق النحوى: أحد الآئمة العلماء فى هذا الشأن  
 وكان مباركا فى التعليم، تخرج عليه كثير لحسن خلقه، وبجاجة سيرته، وله شرح  
 الإيضاح، وشرح الجرمى<sup>(١)</sup>. وكتاب العروض. والمقدمات. توفى سنة ٤١٥هـ<sup>(٢)</sup>.  
 ١٢ — صاعد بن الحسن بن عيسى الربعى البغدادى أبو العلاء: لغوى أديب،  
 كان عارفاً بال لغة، وفنون الأدب، والأخبار<sup>(٣)</sup> وكان أحضر الناس شاهداً، وأرواهم  
 لكلمة غريبة<sup>(٤)</sup>. وأصله من الموصل، ودخل الأندلس، واتصل بالمنصور بن  
 أبي عامر وناداه وأحسن المنصور إليه وزاد<sup>(٥)</sup>. ومعنى ذلك أنه نشر علم أستاذه  
 فى المغرب، ألّف للمنصور كتاب الفصوص على مثال نوادر أبي على القالى<sup>(٦)</sup>.  
 وقد اتهمه الصفدى بالكذب فى نقله، وعلل بذلك رفض الناس كتبه<sup>(٧)</sup>. وكان  
 يسمى كتبه أسماء غريبة لا أصل لها<sup>(٨)</sup>. وكان وفياً للمنصور فلم يحضر مجلس أنس  
 بعده، وقد كان أولاده تولوا الأمر، فادعى وجعاً لساقه منعه الحضور<sup>(٩)</sup>. وله  
 طرف حكاهما القفطى والسيوطى نقلاً عن تذكرة الصفدى<sup>(١٠)</sup>. توفى بصقلية سنة  
 ٤١٧ فيما يذكر السيوطى وسنة ٤١٩ فيما يذكر القفطى نقلاً عن ابن حزم<sup>(١١)</sup>.  
 ١٣ — أحمد بن محمد بن الحسن الإمام المرزوقى أبو على: من أصبهان كان غاية  
 فى الذكاء والفظنة، وحسن التصنيف، وإقامة الحجج<sup>(١٢)</sup> قرأ كتاب سيبويه على  
 أبي على الفارسى، وتلذذ له بعد أن كان رأساً بنفسه<sup>(١٣)</sup>. وقد أخذ الناس عنه  
 واستفادوا منه، وكان الحجة فى وقته<sup>(١٤)</sup>. عنى فى تأليفه بشرح الشعر، فكان له:  
 شرح الحماسة، وشرح المفضليات، وشرح أشعار هذيل<sup>(١٥)</sup>، وشرح الفصيح،  
 وشرح الموجز، ثم كان له كتاب الأزمنة<sup>(١٦)</sup>.

- 
- (١) انظر سبب العناية بفتح ذلك الكتاب ترجمة الألباء : ١٠١  
 (٢) انظر ياقوت : ٥٧٢٥٦/١٤ — بنية الوعاة : ٣٤٣  
 (٣) معجم الأدباء : ٢٨٢—٢٨١/١١ (٤) بنية الوعاة : ٢٦٨  
 (٥) انباء الرواة : ٨٦/٢ (٦) معجم الأدباء : ٢٨٣/١١  
 (٧) انظر بنية الوعاة : ٢٦٨  
 (٨) انباء الرواة : ٨٦/٦ وانظر معجم الأدباء : ٢٨٥/١١  
 (٩) انظر انباء الرواة ومعجم الأدباء (١٠) البنية : ٢٦٨  
 (١١) انظر انباء الرواة : ٩٠/٢ (١٢) بنية الوعاة : ١٥٩  
 (١٣) الوافى بالوفيات : ٦/قسم ثالث ٢٤١ (١٤) انباء الرواة : ١٠٦/١  
 (١٥) انظر بنية الوعاة : ١٥٩ (١٦) انظر الوافى بالوفيات : ٢/قسم ثالث ٢٤١ ..

ومفردات متعددة في النحو <sup>(١)</sup> . وكان معلم أولاد بني بويه بأصبهان ، دخل عليه صاحب بن عباد فلم يقيم له ، فلما أفضت إليه الوزارة جفاه توفي سنة احدى وعشرين وأربعمائة <sup>(٢)</sup> .

١٤ — أبو الحسين عبد الوارث النحوى ابن أخت أبي على الفارسي : وقد تحدثت عنه عند الكلام على أسرة أبي على <sup>(٣)</sup> .

١٥ — الحسين بن محمد بن جعفر النحوى المعروف بالخالع <sup>(٤)</sup> : رافقى الاصلى ، سكن الجانب الشرقى من بغداد <sup>(٥)</sup> . قال الصفدى : كان من كبار النحاة ، وكان من الشعراء <sup>(٦)</sup> . وقد حدث عنه الخطيب البغدادي <sup>(٧)</sup> . وقد عنى الخالع فى تأليفه عناية خاصة بالآداب ، فكان له فى ذلك : « الأمثال ، وتخييلات العرب ، شرح أبي تمام صناعة الشعر كما كان له : الاودية والجبال والرمال <sup>(٨)</sup> . مات الخالع سنة ٤٢٢هـ <sup>(٩)</sup> .

١٦ — على بن طلحة بن كردان النحوى أبو القاسم : قرأ على أبي على والرماني كتاب سيوييه — من نحاة واسط ، وعنه أخذ النحوجماعة من الواسطيين ، وهم يفضلونه على ابن جنى والربيعى <sup>(١٠)</sup> . وهو موصوف بالفضل والمعرفة <sup>(١١)</sup> واشتهر بالتصوف والتزهد ، وصنف لإعراب القرآن فى خمسة عشر مجلداً ، ثم بدا له فغسله قبل موته توفي سنة ٤٢٤هـ <sup>(١٢)</sup> .

١٧ — محمد بن محمد بن عيسى أو الحسن المعروف بالخيشى : من أهل البصرة قرأ على أبي على ، وبرع فى النحو والآداب ، وسكن واسط مدة ، وأقرأ بها ، وروى عنه ، وقدم آخر عمره إلى بغداد ، وأقام بها حتى مات ، وحدث بها ، وكان من أئمة

(١) انباه الرواة : ١٠٦/١

(٢) راجع معجم الأدباء : ٢٤١/٤ ، بغية الوعاة : ١٥٩ ، الوافى بالوفيات : ٢/قسم ثالث : ٣٤١ وانباه الرواة : ١٠٦/١

(٣) راجع يتيمة الدهر : ٢٧٢/٢ ، تزهة الألباء : ٢٢٦ - ٢٢٧ ، معجم الأدباء :

(٤) معجم الأدباء : ١٠٥٠/١٠ (٥) بغية الوعاة : ٣٨

(٦) بغية الوعاة : ٢٣٥ (٧) تاريخ بغداد : ١٠٥/٨

(٨) معجم الأدباء : ١٠٥٠/١٠ (٩) تاريخ بغداد : ١٠٥/٨

(١٠) انباه الرواة : ٢٨٤/٢ (١١) تاريخ بغداد : ١٠٦/٨

(١٢) معجم الأدباء : ٢٩٠/١٣

(١٣) راجع معجم الأدباء : ٢٥٩/١٣ ، وانباه الرواة : ٢٨٤/٢ ، والبغية : ٣٣٩

النحاة المشهورين بالفضل والتبيل ، وأخذ كذلك عن ابن جني واضرابه مات سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة <sup>(١)</sup> .

١٨ — عالي بن عثمان بن جني أبو سعد النحوى ، ولا يذكر ياقوت أنه أخذ عن أبي على <sup>(٢)</sup> . وتبعه فى ذلك السيوطى فى البغية <sup>(٣)</sup> . ولكن القفطى يعده بمن أخذ العربية عن أبيه وعن أبي على الفارسى ، وظاهر أن شيئاً من ذلك قد كان لصحبة أبيه الطويلة وملازمته أبا على ، وكان عال فوق علمه بالعربية شاعراً <sup>(٤)</sup> . توفى سنة سبع وخمسين وأربعمائة أو ثمان وخمسين <sup>(٥)</sup> .

هذا وقد ورد فى رياض العلماء القول بأن الشريف الرضى قرأ النحو على أبي على <sup>(٦)</sup> ، وقد يكون ذلك فى أوائل حال الرضى وأواخر حياة أبي على كما يقول العالمى فى أعيان الشيعة <sup>(٧)</sup> . ويبدو أن الشريف الرضى بدأ بقراءة النحو على الربيعى ، ولم يتلذذ لأبي على <sup>(٨)</sup> . وإن كان قد عاصره ، ولقيه بدليل ما قال فيه من رثاء <sup>(٩)</sup> .

كما يعد العالمى أيضاً — صاحب بن عباد من بين تلاميذ أبي على <sup>(١٠)</sup> . ويذكر أنه أجازته بالرواية عنه ، وعن مشايخه ، وقد ورد شيء من هذا فى مكاتبة من أبي على للصاحب حيث يقول : كتابى فى قراء الأمصار . . . فما تضمن من أثر ، وقراءة ، ولغة فهو من المشايخ الذين أخذت ذلك عنهم ، وأسندته لإيهم ، فتى أثر سيدنا الصاحب الجليل أدام الله عزه و . . . الخ حكاية شيء منه عنهم أو عنى لهذه المسكاتبة فعل ، وكتب الحسن بن أحمد الفارسى بخطه <sup>(١١)</sup> ، ولعل العالمى ينظر إلى هذه العبارة ، فهل الإجازة بالرواية تبرر أن يكون الصاحب بن عباد تلميذاً لأبي على دون أن يجلس ابن عباد إلى الشيخ مجلس التليم . إلى أستاذه يتلقى منه ، ويأخذ عنه ؟ وقد وجدت عبارة من ابن عباد إلى أبي على تمت بصلة إلى ما أنا فيه تلك :

(١) انظر بغية الوعاة : ٩٩ — ١٠٠ . .

(٢) انظر معجم الأدباء : ٢٩/١٢ (٣) انظر : ٢٧٤

(٤) انظر إنباه الرواة : ٣٨٥/٢ (٥) انظر ياقوت : ٣٩/١٢

(٦) انظر ص ٣٩-٤١ مخطوط الشيخ أغابزر ك

(٧) ٢٨/٢١ (٨) انظر حقائق التأويل : ٨٧/٥

(٩) انظر الحديث عن صفات أبي على المقلية

(١٠) أعيان الشيعة : ٢٨/٢١ (١١) معجم الأدباء : ٢٣٩/٧ — ٢٤٠

« والشيخ (أدام الله عزه) — يبرد غليل شوقي إلى مشاهدته بعبارة ما افتتح من البر بمكانته ، ويقتصر على الخطب الوسط دون الخروج في إعطاء الرتب إلى الشطط ، كما يخاطب الشيخ المستفاد منه التلميذ الآخذ عنه ، ويبسط في حاجاته ، فإني أظنني أجدر أخوانه بقضاء مهماته إن شاء الله تعالى (١) .

وأرى أن صاحب لم يعترف صراحة بتلميذ لآبي علي ، وإنما أراد أن يؤنس الشيخ حتى يفضي إليه بحاجاته ، ولو كان ابن عباد تلميذاً حقاً لآبي علي لغير وجه الكلام من التشبيه إلى الاعتراف الصريح ، على أنه سرعان ما عاد لجعل أبا علي من طبقته لأن لم يرتفع صاحب بنفسه في عبارته التي فيها يقول : « فإني أظنني ... الخ » إلى مرتبة فوق مرتبة النظراء .

هذا وقد قرأ علي بن عيسى الرمانى — كتاب الجمل ، وكتاب الموجز لابن السراج على أبي علي — في حياة ابن السراج (٢) . ولكن ذلك ليس معناه تتلمذ الرمانى للفرسى ؛ فقد كانا من طبقة واحدة (٣) لا تجعل أحدهما شيخاً ، والآخر تلميذاً ، وإن كان ذلك يدل على ارتفاع درجة أبي علي — ولعل قراءة الرمانى على أبي علي ، لأن ابن السراج عمل من الموجز النصف الأول ، ثم تقدم إلى أبي علي بآتمامه ، فنقل أبو علي ما وضعه من كلام ابن السراج في الأصول وفي الجمل (٤) .

وبعد : فقد قصدت قصداً إلى استقصاء تلاميذ أبي علي الذين أخذوا عنه في فارس . والعراق ، ثم شرقوا ، وغربوا في الآفاق . في بلاد العراق ، والشام ، وصقلية والاندلس ، ثم في فارس ، وأفغانستان ، وخراسان ، وأصبهان ، وجرجان ، وغيرها من البلدان التي حلوا بها ، وتنقلوا فيها ينشرون معهم علم الشيخ أبي علي ويرسمون صورة واضحة المعالم لذويوع ثقافة الرجل في مختلف أقطار الإسلام ، ويتركون له بذلك أثراً باقياً على مدى الأيام

(١) معجم الادباء : ٢٥٠/٧ (٢) معجم الادباء : ٢٣٩/٧

(٣) انظر طبقات الزيدى : ١٢٩ ، ١٣٠

(٤) رسالة الغفران : ٣٥٧-٣٥٨ تحقيق ابنة الشاطىء

## وفاة أبي علي

وتاريخ الوفاة مختلف فيه على ثلاثة أقوال :

- (١) قول ابن النديم في الفهرست .
- (ب) قول ابن الأثير في الكامل وتابعه أبو الفداء .
- (ح) قول سائر المترجمين .

ولرأى ابن النديم أهمية خاصة ؛ لأنه معاصر لأبي علي ، وقد صنف كتابه كما يقول ياقوت سنة ٣٧٧هـ<sup>(١)</sup> ، وابن النجار في كتابه ذيل د تاريخ بغداد يوفى التحديد إلى أبعد مما ذكر ياقوت فيقول : « صنف ابن النديم كتابه الفهرست في شعبان سنة ٣٧٧هـ ، ومات يوم الأربعاء لعشر بقين من شعبان سنة ٣٨٤هـ<sup>(٢)</sup> ولهذا التحديد في التصنيف صلة بما أنه فيه من الحديث عن سنة الوفاة رابطاً بين ما قاله ابن النديم وما قاله سائر المؤرخين .

وأسارع فأذكر أقوال المؤرخين جملة حتى يتاح لي التعليق : يقول ابن النديم : أن أبا علي توفي قبل السبعين وثلاثمائة<sup>(٣)</sup> .

ويقول ابن الأثير في كتابه الكامل في حوادث سنة ٣٧٦هـ : وفيها توفي أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي صاحب الإيضاح . . . ، وقد جاوز تسعين سنة<sup>(٤)</sup> وتكاد تكون عبارة أبي الفداء في تاريخه هي عبارة ابن الأثير ، فهو متفق معه على أن سنة الوفاة ٣٧٦هـ ، وأنه قد جاوز التسعين<sup>(٥)</sup> .

والخطيب البغدادي ( ت ٤٦٣ ) يقول : « قال محمد بن أبي الفوارس في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة توفي أبو علي الفسوي النحوي ، كما يذكر الخطيب في وفاة أبي علي قوله : « توفي أبو علي الفارسي النحوي في يوم الأحد السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعين وثلاثمائة<sup>(٦)</sup> .

وتابعه الانباري في نزهة الألباء ، وسائر المؤرخين للنحاة ، واللغويين ، والأدباء

---

(١) انظر معجم الأدباء : ١٨/١٧  
(٢) الفهرست / ١٥  
(٣) الكامل لابن الأثير : ٩/١٩  
(٤) تاريخ بغداد : ٧/٢٨٦  
(٥) تاريخ أبي الفداء : ٢/١٣١



والفرق يسير بين ما ذكره هؤلاء ، وما قاله ابن الاثير وأبو الفداء ، ولكنه كبير بين ما ذكره الخطيب البغدادي ، وما ذكره ابن النديم .

فبأى القولين آخذ ١ وأيهما أدع ١٩

أرجح أن أبا علي توفي سنة ٢٧٧ هـ . لما يأتي :

(أولاً) في سنة ٣٦٩ كان أبو علي وكيل عضد الدولة في عقد العقد للخليفة الطائع لله على ابنة عضد الدولة (١) .

(و ثانياً) تذكر كتب تاريخ المحدثين أن أبا علي الفارسي روى عنه التنوخي والجوهري (٢) فتى روى التنوخي أو الجوهري عن أبي علي ١٩

قد سمح التنوخي — فيما يروى البغدادي — أبا علي في رجب سنة خمس وسبعين وثلاثمائة (٣) . وهذا ينفي قول ابن النديم أنه توفي قبل السبعين وثلاثمائة ، وقد وقر في نفسى أن يكون هناك خطأ وتغاير بين النسخة الخطية للفهرست والنسخ المطبوعة فرجعت إلى كل النسخ التي استطعت العثور عليها ، والرجوع إليها ، فوجدتها متفقة على أن سنة الوفاة قبل السبعين بقى علي أن أوافق أحد المؤرخين : ابن الاثير أو الخطيب ، ولا سبيل إلى ترجيح أحد القولين على الآخر ؛ لأن السنوات قد تتقارض فتأخذ هذه من تلك ، ومن هنا يقع الاختلاف والتردد في تاريخ الحوادث بين سنتين متتاليتين .

لكن إجماع المؤرخين — عدا ابن الاثير — على أن أبا علي توفي سنة ٢٧٧ هـ يرجح أنه توفي في هذا العام . وقد اتفقوا في اليوم الذي انتقل فيه أبو علي إلى جوار ربه وأنه يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع ، ويختلفون : آخر هو أم الأول (٤) . فابن خلكان يقول بالآخر ، والخطيب البغدادي (٥) وابن التباري (٦) . يقولان بالأول . ولا يعنى الباحث هذا الخلاف اليسير ، اللهم — إلا إذا رجحنا قول البغدادي لإجماع المؤرخين الاوائل عليه .

(١) تاريخ الاسلام للذهبي وهامش : ٤١٤ تجارب الامم

(٢) لسان الميزان : ١٩٥/٢ وعقد الجمان للمبني القسم الثالث : ٤٠٠

(٣) تاريخ بغداد : ٢٧٥/٧ (٤) ٣٦٢/١

(٥) ٢٧٦/٧ (٦) نزهة الالباء : ٢١٠/١

و (ثالثاً) وهناك دليل لاسقاط قول ابن النديم :

فابن جنى يولد سنة ٣٣٠ (١)، وقد صحب أبا علي أربعين سنة (٢)، ولما مات تصدر مجلسه ببغداد (٣) فإذا كان موت أبي علي قبل سنة ٣٣٠ كما يقول ابن النديم فعنى هذا أن ابن جنى — على أكثر تقدير — لازم شيخه منذ ولادته، وهذا مستحيل أى مستحيل ١٤

والمؤرخون يذكرون أن ابن جنى كان يقرئ النحو — وهو شاب — بجامع الموصل فرَّ به أبو علي، فاعترض عليه الفارسي، فوجده مقصراً، وسأل ابن جنى عنه فقيل له: «هذا أبو علي» فأخذ في طلبه، فوجده ينزل إلى السميرية يقصد بغداد، فنزل معه في الحال، ولزمه وصاحبه منذ ذلك الحين إلى أن مات، وخلفه ابن جنى، وتصدر مجلسه في بغداد. (٤) فتي بدأت الصحبة ؟ هناك بريق من النور يرشد إلى ذلك، هو قول ابن جنى: «وحدثنا أبو علي سنة إحدى وأربعين (٥)».

فن المحقق الثابت أن الصحبة بدأت منذ ذلك التاريخ، وإن كان هذا لا ينفي أن تكون الصحبة بدأت قبل ذلك، وانتهت بموت الفارسي، ومعنى هذا أن الصحبة استمرت نحو الأربعين عاماً (٦) كما يقول ياقوت ..

(١) معجم الأدباء : ٨٣/١٢ ووفيات الأعيان : ٤١٢/٢

(٢) بنية الوعاة : ٣٢٢ (٣) معجم الادباء : ٩٠/١٢

(٤) نزهة الإلياء : ٢٢١ (٥) الخصائص : س ٧٦/٧

(٦) التجديد الضابط غير مفصود في عدد السنين فليس معنى صحبة أربعين سنة أنها لا تزيد ولا تنقص، وحسبي أن يكون العدد قريباً من الأربعين .

## من آراء القدماء في أبي علي وأقوالهم عنه

يثني القدماء على أبي علي ، ويرون فيه رأياً حسناً ، ذكره الخطيب البغدادي ( ت ٤٦٣ هـ ) فنقل عن قوم من تلامذة أبي علي أنهم قالوا : « أبو علي الفارسي فوق المبرد وأعلم منه <sup>(١)</sup> » ، وأثنى البغدادي على كتبه ، ووصفها بأنها عجيبة حسنة لم يسبق إلى مثلها ، وذكر شهرته في الآفاق ، وبراعة غلمان له حذاق <sup>(٢)</sup> ، وقال أبو طالب العبدى : « ما كان بين سيويه وأبي علي أفضل منه <sup>(٣)</sup> » . وكان أبو علي إمام وقته <sup>(٤)</sup> ، وانتهت إليه الرياسة في النحو <sup>(٥)</sup> وانفرد به ، وقصده الناس من الأقطار وعلت منزلته في العربية <sup>(٦)</sup> .

وكان عضد الدولة يقول إذا افتخر بالعلم والمعلمين : « معلى في النحو أبو علي » <sup>(٧)</sup> . أو يقول : « أنا غلام أبي علي النحو » <sup>(٨)</sup> .

وقد بلغ من تقدير المعاصرين لأبي علي أن تليذ عليه الإمام المرزوقي أحمد بن محمد بعد أن كان — أي المرزوقي — رأساً بنفسه <sup>(٩)</sup> . وذكر محمد بن الحسن الحاتمي ( ت ٣٨٨ هـ ) أبا علي ، ووصفه بأنه فارس العربية ، وحائز قصب السبق فيها منذ أربعين سنة <sup>(١٠)</sup> ، وقد امت قبل ' ثناء الشريف الرضى على الشيخ في أبياته التي بها يرثيه ، وذكر الشيخ أبو علي الطبري ( ت ٥٤٨ هـ ) صاحب مجمع البيان <sup>(١١)</sup> عن الشيخ أبي علي الفارسي كلاماً في ذيل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم ... الآية » ، ثم قال : « وهذه كلمة مأخوذة من كلام أبي علي الفارسي ، وناهيك به فارساً في هذا الميدان ! نقاباً يخبر

(١) تاريخ بغداد : ٢٧٥/٧ ، ونزهة الالباء : ٢٠٩ ، والمتنظم لابن الجوزي : ١٣٨/٧

(٢) تاريخ بغداد : ٢٧٥/٧ وانظر النجوم الزاهرة : ١٥١/٤

(٣) نزهة الالباء : ٢٠٩ (٤) عقد الجمان القسم الثالث : ٤٠٠

(٥) إشارة التعيين (٦) النجوم الزاهرة : ١٥١/٤

(٧) اخبار العلماء بأحكام الحكماء : ١٥٢

(٨) انظر تاريخ بغداد : ٢٧٥/٧ ، وإنباه الرواة : ٢٧٣/١ ، ووفيات الاعيان : ٣٦٢/١

وفية الوعاة : ٢١٦ وشذرات الذهب : ٨٨/٣

(٩) معجم الادباء : ٣٥/٥ (١٠) معجم الادباء : ١٥٧/١٨

(١١) انظر معجم سركيس : ١٢٢٧

عن مكنون هذا العلم بواضح البيان ، . ثم عقب صاحب الروضات بقوله : « وناهيك به ثناء على مرتبة الرجل من شيخ كبير ، ومطلع خبير ، مضافاً إلى سائر ما يوجد من التعظيم عليه في مواضع كثيرة من تضاعيف مصنفات الأدب والتفسير <sup>(١)</sup> .

وأثنى القاضي الأكرم على ابن الخشاب ( ت ٥٦٧ هـ ) فقال : « لأنه كان في درجة أبي على الفارسي <sup>(٢)</sup> . وثناء الأكرم على ابن الخشاب ومقارنته بأبي على في مضمونه اعتداد بفضل الشيخ ، وتقدير لمكانته .

وقال في مسالك الأبصار عن أبي على : « رجل خط ببراعة ، وحط الصبح عن قناعه ، وكف الدهر عن قراءه ، وسعت إليه الزمر ، وسعد لديه بالثمر ، وجاءته الوفود ، وتزاحمت لديه على الورود ، وصدرت عنه الركائب ، وقد أودعت حقايقها طيباً ، وحقايقها ما كان لسقام الأفهام طيبياً ، وكان على هذا لا يسلم من لسان حاسد ، وثالب حاشد ، وثباته على هذا عجب ، وإثباته في أهل الفضل قد وجب <sup>(٣)</sup> .

فها نحن أولاء نرى أن مبعث ثناء القدماء على أبي على ، وتقديرهم له أمور :

( أ ) صلته بعضد الدولة .

( ب ) إمامته في النحو .

( ج ) مصنفاته .

( د ) براعة تلاميذه وحذقهم .

وبما لا شك فيه أن تقدم أبي على عند عضد الدولة ، أضفى عليه كثيراً من تقدير القدماء ، على أن الرجل ما كان ليتقدم عند الأئمة لولا قدمه الراسخة في النحو ، وبراعته الفائقة في التصنيف .

وأود أن أقف وقفة عند رأى لأبي العلاء في أبي على أورده في رسالة الغفران قال : « وكنت قد رأيت في المحشر شيخاً لنا كان يدرس النحو في الدار العاجلة يعرف بأبي على الفارسي ، وقد امترس به قوم يطالبونه ، ويقولون : تأولت علينا وظلمتنا ، فلما رأني أشار إلى يديه ، فجئته فإذا عنده طبقة منهم ( يزيد بن الحكم الكلبي ) وهو يقول : « ويحك ! أنشدت عنى هذا البيت ، برفع ( الماء ) يعنى قوله :

(١) روضات الجنات : ٢٢٠ ، ٢١٩ (٢) انظر معجم الأدباء : ٤٨/١٢

(٣) مسالك الأبصار ج ٤ مجلد ٢ : ٣٠١

فليت كفافا كان شرك كله وخيرك عنى ما ارتوى الماء مرتوى<sup>(١)</sup>  
ولم أقل إلا الماء ، وكذلك زعمت أنى فتحت الميم فى قولى :  
تبدل خليلا بى كشكلك شكله فاقى خليلا صالحاً بك ممتوى  
ولانما قلت : مقتوى بضم الميم .

\* \* \*

وإذا رجل آخر يقول : ادعيت على أن الهاء راجعة على الدرس فى قولى :  
هذا سراقه للقرآن يدرسه والمرء عند الرشا إن يلقها ذيب  
أفجنون أنا حتى أعتقد ذلك ؟  
وإذا جماعة من هذا الجنس كلهم يلومونه على تأويله ، فقلت : يا قوم ! إن هذه  
أمور هينة ، فلا تعتسوا هذا الشيخ ؛ فإنه يمت بكتابه فى ( القرآن ) المعروف ( بكتاب  
الحجة ) ، وأنه ما سفك لكم دماً ، ولا احتجن عنكم ما لا فتقرقوا عنه<sup>(٢)</sup> .  
وفى هذا النص دلالات :  
أولها : أن أبا على يتأول على الشعراء ، ويدعى عليهم .  
وثانيها : وأن تأوله — هنا — وادعاه من الأمور الهينة .  
وثالثها : أن كتاب الحجة لأبى على مقدر من أبى العلاء ، ومن أجله نهى عن  
إعنات الشيخ ، ودفع عنه الهجوم .  
واتهم أبو محمد الأسود فى كتابه نزهة الأديب أبا على بتحريف البيت :  
وطرفك إما جئت فاحبسه كما يحسبوا أن الهوى حيث تنظر  
وذكر أن الصواب فيه :

إذا جئت فامنع طرف عينيك غيرنا لكى يحسبوا أن الهوى حيث تنظر<sup>(٣)</sup>  
وإذا كان أبو على مشهوراً بأمانته العلمية ، ودقته فيما يرويه وتحريه ، فالباحث  
لا يسلم بما اتهم به من تحريف أو ادعاء ، سواء أكان ذلك من الأسود أم من  
أبى العلاء ؛ فالقصيدة التى ورد فيها بيتنا يزيد الكلابى مسندة إليه فى البصريات إسناداً  
دقيقاً ، أنشدها أبو على ؛ عن أبى الحسن على بن سليمان الاخفش ، عن أبى العباس

(١) فى البصريات لوحة ٧ هـ وأمالى القالى : ٦٨/١

فليت كفافا كان خبرك كله وشرك عنى ما ارتوى الماء مرتوى

(٢) رسالة النفران تحقيق ابنة الشاطىء : ١٥٤ (٣) المغنى لابن هشام : ١٤٨/١

ثعلب ، عن أبي الحسن ، عن الأحول الذي رواها عن رجل عن أبي عبيدة . إلى أن كُتبي ه الماء ومقتوى ، مضبوطان بما أراد يزيد<sup>(١)</sup> . فلعل هذا الضبط توارثه تلاميذ أبي علي عنه ، على أني رأيت أبا علي يتعقب الرواة بما يدل على تحقيقه للرواية وتمحيصه ما ينشد المنشدون<sup>(٢)</sup> . ورجل هذا شأنه يكون بعيداً عن قصد التحريف أو الادعاء .

هذا ويتفق كل من الأعلام الشنتمري والبغدادي مع أبي علي الفارسي في رجوع الضمير على الدرس في البيت ه هذا سراقه . . . ، ولم يجوز عوده على القرآن ؛ لئلا يلزم تعدى العامل إلى الضمير وظاهره معاً<sup>(٣)</sup> . ولإذن للرأي الذي ذهب إليه أبو علي في البيت وجه من الصناعة النحوية ، وعلى أية حال فاتهم الشيخ بما اتهم به لا يضع من مكانته ، ولا يحط من قيمته ، ويكفيه ما انتهى إليه حكم أبي العلاء ، وهو حكم ترضى حكومته

---

(١) البصريات : ٥٧ (٢) انظر المخصص : ١٠٢/٤ ، ١٠٧/٧  
(٣) انظر شرح الشواهد للأعلام - الكتاب : ٤٣٧/١ ، والحزانة ط السلفية : ٢/٢  
وانظر الحجة : ٥٥/٤ ن البلدية حيث أورد أبو علي البيت ، وخرجه ، وعلل لتخريجه .

## الفصل الثالث

### آثار أبي علي

إحصاؤها - وترتيبها - وملاك ذلك

عاش أبو علي في عصر انقسام الدولة العباسية إلى دويلات تكرم العلم ، وتنافس على اجتذاب العلماء ، ويسعى هؤلاء إلى نيل الخطوة عند الحكام والأمراء بما يهدونه من تأليف ينسبونها إليهم ، ثم كان أن تليد أبو علي لشيوخ تختلف نواحي تخصصهم : ففيهم القارى كآبي بكر بن مجاهد ، وفيهم النحوى كابن السراج والزجاج ، وفيهم اللغوى كان دريد ، وكان أبو علي بعد ذلك محباً للعلم مشغولاً به ، مكباً على دراسة ما خلف الأقدمون من تراث في النحو والثقافة العربية ، ثم نسا الله له في أجله ، فامتلات حياته الطويلة بالبحث ، والدرس ، والتأليف ، وتنقل أبو علي في الأقطار الإسلامية المختلفة يسعى إليه طلاب العلم ، يجتمعون حوله ، مستمعين إليه ، مشتركين معه فيما يتناوله من مسائل اللغة والصرف بحثاً ، ودراسة ، وتفسيراً ، وتفتيشاً ، وإملاء ، وتدويناً . ثم يكون أبو علي مؤدباً لأبناء خسرو ، ويؤلف لعضد الدولة الذى تليد له . . وكانت طبيعة أبي علي ناقدة ، وقرىحته وقادة تعقب الشيوخ إصلاح ما أغفلوه ، وتبصيرهم بالتنبيه على مواضع السهو والغلط ، فجاءت آثار أبي علي صورة صادقة لهذه العوامل التى أحاطت به في بيئته العامة ، وطبيعته ، وظروفه الخاصة ، وترك ثروة علمية ضخمة أحصيتها بما ذكره المترجمون والوراقون فيما يأتى :

- ١ - الحجة .
- ٢ - التذكرة : قال في كشف الظنون ، وهو كبير في مجلدات (١) .
- ٣ - أبيات الإعراب .
- ٤ - شرح أبيات الإيضاح ، ذكره ابن النديم .
- ٥ - مختصر عوامل الإعراب
- ٦ - المسائل المصلحة يروىها عن الزجاج ، وتعرف بالأغفال .

- ٧ — الإيضاح .  
 ٨ — المقصور والمدود .  
 ٩ — الإيضاح الشعري .  
 ١٠ — المسائل الحلبية .  
 ١١ — المسائل البغدادية .  
 ١٢ — المسائل الشيرازية .  
 ١٣ — المسائل القصيرية .  
 ١٤ — نقض الهاذور .  
 ١٥ — كتاب الترجمة ذكره ياقوت <sup>(١)</sup> .  
 ١٦ — المسائل المنثورة .  
 ١٧ — المسائل الدمشقية .  
 ١٨ — أبيات المعاني .  
 ١٩ — التتبع لكلام أبي علي الجبائي في التفسير .  
 ٢٠ — تفسير قوله تعالى : « يأياها الدين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة » .  
 ٢١ — المسائل البصرية .  
 ٢٢ — المسائل العسكرية .  
 ٢٣ — المسائل المصلحة من كتاب ابن السراج .  
 ٢٤ — المسائل المشككة .  
 ٢٥ — المسائل الكرمانية : ذكرها ياقوت ، والقفطي ، والسيوطي ، وابن الحاج خليفة .  
 ٢٦ — العوامل المائة .  
 ٢٧ — المسائل المجلسيات .  
 ٢٨ — المسائل الذهبيات : انفرد بذكرها القفطي في إنباه الرواة <sup>(١)</sup> .  
 ٢٩ — تعليقة على كتاب سيويه : ذكره السيوطي في بغية الوعاة <sup>(٢)</sup> .  
 ٣٠ — جواهر النحو : انفرد بذكره بروكلمان وذكر أنه بمكتبته مشهد <sup>(٣)</sup> .  
 ٣١ — الهيئات : ذكرها ابن هشام في المعنى <sup>(٤)</sup> ، كما ذكره البغدادى <sup>(٥)</sup> .  
 ٣٢ — أقسام الأخبار في المعاني <sup>(٦)</sup> .  
 ٣٣ — الأهازيات : ذكرها ابن سيده في المحكم <sup>(٧)</sup> .

(١) انظر معجم الأدباء : ٢٤١/٧ ..

(٢) انظر : ٢٧٤/١ (٢) انظر ٢١٧

(٣) انظر تاريخ الأدب العربي : ١١٣/١ ، ١١٤٢ ، والملحق ١٧٥ ، ١٧٦

(٤) انظر : ١٠/٢ (٥) انظر الخزانة : ٦٣/٢

(٦) انظر فهرس المخطوطات المصورة : ٣٧٩

(٧) المحكم و اللغة لابن سيده : ١ ص ١٤



### تعليق وتحقيق :

(١) النحو هو الطابع العام لكتب أبي على التي نظرتها ، وأستثنى كتاب الحجة فهو موسوعة جامعة للثقافة العربية .

(ب) نسب العلامة أحمد تيمور كتاب البارغ للفارسي وقال : « لأنه لا يوجد إلا تنف منه بباريس <sup>(١)</sup> » . والمعروف أن البارغ لأبي على القالي <sup>(٢)</sup> ، فلعل هناك لبساً دعا إليه تشابه الكنيتين .

(ج) علق المرحوم الشيخ عبد الخالق عمر على كتاب نقض الهاذور بقوله : « هذا الكتاب ذكره أبو بكر بن خير في فهرسه <sup>(٣)</sup> » ، ولم نفهم له موضوعاً إلا أن يراد من الهاذور الهاذر ، غير أن هذا الوزن لم يرد في القاموس مع كثرة ما جاء به من الوصف في الهذر <sup>(٤)</sup> . وتشير علامة الاستفهام التي وضعها محققو سر صناعة الإعراب بعد : نقص (كذا) الهاذور إلى نحو ما حاك في صدر الأستاذ عبد الخالق عمر <sup>(٥)</sup> . وأقول : إن موضوع نقض الهاذور هو الرد على ابن خالويه في رده كتاب الأغفال <sup>(٦)</sup> .

(د) لا أعلم أن أحداً من المترجمين ذكر أن للفارسي كتاباً في معاني القرآن ، ولعل الأمر قد التبس على بعض الباحثين في زمننا <sup>(٧)</sup> .

(هـ) المسائل القصصية : أملاها أبو على على تليذه أبي الطيب محمد بن طويس القصري فسميت به <sup>(٨)</sup> ، ويذكر صاحب الروضات أسباباً أخرى في تسميتها بالقصصية <sup>(٩)</sup> .

---

(١) انظر مجلة الهلال سنة ٢٨ ص ٣٣١

(٢) انظر وفيات الأعيان : ٢٠٤/١ ، وتذكرة النوادر : ١١١ مطبعة دائرة المعارف الهندية سنة ١٣٥٠ هـ

(٣) ص ٣١٠

(٤) حاشية معجم الأدباء : ٢٤١/٧

(٥) انظر مقدمة سر الصناعة : ٣٠

(٦) انظر الفلاحة والفلوكين : ١٠٢ وخزانة الأدب : ١٢٥/٤

(٧) انظر أثر القرآن في تطور النقد العربي : محمد زغلول سلام : ٣٣

(٨) انظر كشف الظنون : ١١٧٠/٣

(٩) راجع روضات الجنات : ٢٢٠ وأعيان الشيعة : ٤٦٠/٢٠

(و) ذكر ياقوت من كتب أبي على : المسائل المصلحة على ابن السراج<sup>(١)</sup> .  
والذى أعرفه أن أبا على أصلح على الزجاج حسب<sup>(٢)</sup> .

(ز) هل الإيضاح الشعرى هو شرح أبيات الإيضاح ؟ أو هو كتاب الشعر ؟  
أو هو ما ذكره أبو على فى كتاب الحجة باسم : « شرح الآيات المشكلة للإعراب  
من الشعر<sup>(٣)</sup> » .

ليس لدى ما أجيب به عن هذه الأسئلة على وجه اليقين .

(ح) عقد أبو على فى التكملة فصلاً جامعاً عن المقصور والممدود ، فهل هو كتاب  
المقصور والممدود الذى ورد فى الإحصائية السابقة ؟

(ط) قال المرحوم أحمد أمين ما نصه : « وقد رحل أبو على إلى بلاد كثيرة ،  
وكان يدون فى كتابه ما يجرى له من مناظرات فى كل بلد ، فكتاب المسائل الحلييات  
والبغداديات ، والشيرازيات الخ<sup>(٤)</sup> » .

والقارئ لمسائل أبي على هذه لا يجد شيئاً فيها من مناظرات ؛ وإنما هى مسائل  
أشتات بعيدة كل البعد عن جو المناظرات ، ولا رائحة فيها لشيء من ذلك ( راجع  
البحوث التى عرفت فيها بهذه المسائل ) .

(ى) رتبت ما عثرت إليه من كتب أبي على على النحو الآتى :

المسائل المشكلة ، فالأغفال فيما أغفله الزجاج من المعانى ، فالبغداديات ،  
فالمسكريات ، فالبصريات ، فالحلييات ، فالإيضاح ، والتكملة ، فالشيرازيات ،  
ثم الشعر ، وأقسام الأخبار ، والمسائل المنشورة ، فالحجة .

أما الأسس التى بنيت عليها هذا الترتيب فتكاد تنحصر فيما يأتى :

(أ) نصوص وردت فى كتبه تشير إلى تقدم كتاب عن كتاب ، فهو يشير  
فى الأغفال إلى المشكلة ، ويشير فى الحلييات إلى الأغفال ، كما يشير فى الحجة إلى  
مسائله جميعاً .

(ب) ما انتهت إليه فى فصل ( بيئة أبي على المكانية ) الذى رتبت فيه تنقلاته  
فى المدن التى زارها ، وعلى هذا الترتيب نسقت مسائله التى عثرت عليها ، فكانت

(٢) انظر التعريف . بالأغفال

(٤) ظهر الاسلام : ١/ ٢٤٣

(١) انظر معجم الأدباء : ٧/ ١٤١

(٣) انظر الحجة : ٣/ ١٥ ن البلدية

البغداديات ، والبصريات سابقتين للحلبيات ، وكانت هذه سابقة للشيرازيات ، وهكذا ...

(ج) بدء صلته بعضد الدولة عينت لى تاريخ الإيضاح والتسكلة ومكانهما الزمنى فى ترتيب كتبه .

(د) لم أهتم إلى ميلاد الشعر ، والعسكريات ، وأقسام الأخبار ، فليس هناك نصوص كاشفة ولا دلائل تعين ، وقد أورد أبو حيان فى ارتشاف الضرب<sup>(١)</sup> . رأى أبى على فى أن القسم يجوز أن يتلقى بلام كى ، وقال : « إن أبا على أجازه فى العسكريات ، ورجع عنه فى البصريات ، والتذكرة ، ، فهل يفهم من ذلك أن العسكريات سابقة على البصريات والتذكرة ١٩ !

وقد أعددت أول الأمر أن يكون أساس الترتيب ما يبدو فى كتب الشيخ من دلائل التطور العقلى وآثاره ؛ فالكتاب الذى يظهر فيه العمق والنضج يكون خالفاً ، والذى يبدو فيه الساحة والقفاجة يكون سالفاً — هذا على وجه العموم — وعנית بخاصة أخذاً بذلك الملاك — بجمع مسائل وردت فى أكثر من كتاب ، والموازنة بينها ، والتعرف على دلائل التطور العقلى فيها — كحديثه مثلاً عن إعراب أوجاءوكم حصرت صدورهم فقد ورد فى البغداديات<sup>(٢)</sup> . والشيرازيات<sup>(٣)</sup> ، وتدليله على أن الجمل لا تقوم مقام الفاعل فقد ورد فى البصريات<sup>(٤)</sup> . والبغداديات<sup>(٥)</sup> وحديثه عن شأن<sup>(٦)</sup> . وحديثه عن أن<sup>(٧)</sup> . وهكذا<sup>(٨)</sup> . . . ولكنى رأيت أن الأخذ بذلك الملاك يتدافع . أولاً — مع النصوص التى وردت فى كتبه ، وهى أحق أن يؤخذ بها ، وأن تعتبر دون سواها ، ثم رأيت . ثانياً — أن مرد التعمق عند الشيخ الحال التى ألفت فيها ، والظروف التى أحاطت به ، وأهمية الموضوع الذى يتناوله . ومن أجل ذلكم كان احتفاله بالاغفال — وهو من كتبه الأولى —

(١) انظر ص ٨٦٨

(٢) لوحة : ١٩ (٣) لوحة : ٤٢

(٤) لوحة : ٤٧ (٥) ٤٦

(٦) انظر البغداديات : ٤٥ ، والعسكريات : ١٣٣

(٧) انظر الشيرازيات : ٦٧ والنشورة ١٦٤

(٨) راجع التعريف بهذه الكتب

لأنه تعرض لشيخه الزجاج ، فلا بد أن يحشد الجهد ، وأن يدقق إذا ما أخذ أو ردَّ ، ثم كان احتفاله بكتابه إلى سيف الدولة — وهو جزء من الحلبيات — ؛ لأنه يرد فيه كيداً ، ويفحم به خصماً ، افترى عليه حسداً ، كما كان احتفاله بالشيرازيات ؛ لأنها ولدت في فترة من الهدوء والاستقرار مكَّنا للشيخ أن يتعمق وأن يتأنق<sup>(١)</sup> .

أما كتابه الحجة فقد اجتمعت عوامل مختلفة دفعت الشيخ إلى تجويده : فهو أولاً من كتبه المؤلفة أخيراً ثم هو ثانياً يقرن احتجاجه للقراءات بما احتج ابن السراج<sup>(٢)</sup> ، وأخيراً كان موضوعه كافياً لأن يحمل الشيخ على الاحتفال به ، لجاء الكتاب بعد ذلك نابضاً بحيويته ، ومعرّضاً لثقافته وشخصيته ...

# الباب الثاني

## أبو علي والاحتجاج للقراءات

### الفصل الأول

الاحتجاج للقراءات، وتطوره حتى عصر أبي علي الفارسي

أعقد هذا الفصل ، والغرض منه المامه بأهم ظواهر الاحتجاج للقراءات وتطورها منذ عصر صدر الإسلام حتى عصر أبي علي الفارسي ؛ لتكمل أمانى حلقات البحث في سلسلة مترابطة آخذ بعضها بحجز بعض . حتى إذا ما انتهيت إلى أبي علي فصلت الكلام على عمله في الاحتجاج تفصيلا ، وبذلك يتجلى جهده في تطور الاحتجاج ، وموازناً عمله بالسالفين ، متحدثاً عن أثره في الخالفين .

ومن الحق أن أذكر أنى لم أستقص مظاهر الاحتجاج كلها فما لى طاقة بذلك ، وإن كانت — فليس من الشأن فى هذا البحث أن أحشد الجهد له ، ولكنه مجرد التمثيل للعالم الكبرى التى بدت لى من آثار المشهورين من المحتجين ، قراءاً كانوا أو نحويين . وأبدأ الحديث فأقول :

قد يكون التخالف بين قراءة وقراءة ناشئاً من اختلاف المصاحف<sup>(١)</sup> ، أو من لهجات القبائل العربية<sup>(٢)</sup> . وقد يكون التخالف — فى الأعم الأغلب بسبب اختلاف الأحكام النحوية فى الأساليب العربية ، وهو ما سماه أبو الفضل الرازى : « الاختلاف من حيث وجوه الإعراب »<sup>(٣)</sup> . وما سماه ابن قتيبة : « الاختلاف فى إعراب الكلمة وحركات بنائها »<sup>(٤)</sup> . وقد اشتغل كل من القراء والنحاة

(١) انظر الفهرست لابن النديم ٥٤/

(٢) راجع القرطبن لابن مطرف السكناني : ٢٢٢

(٣) انفسر فى القراءات المعسر لابن الجزرى : ٢٧/١

(٤) القرطبن : ٢٢١

بالاحتجاج للقراءات ، فوجهوها ، وكشفوا عن عللها على اختلاف بين الفريقين في النزعة ، ومنهج التناول على ماسأ بينه في موضعه المقسوم إن شاء الله .

وكانت هناك احتجاجات فردية لبعض القراءات ، وتتمثل هذه الاحتجاجات فيما روى — مثلاً عن ابن عباس ( ت ٦٨ هـ ) <sup>(١)</sup> . انه قرأ نشرها من قوله تعالى :

« وانظر إلى العظام كيف نشرها ... » <sup>(٢)</sup> ، واحتج <sup>(٣)</sup> بقوله : « ثم إذا شاء أنشره ، وما روى عن عاصم الجعدى ( ت ١٢٨ هـ ) <sup>(٤)</sup> انه كان يقرأ مَلِك يوم الدين <sup>(٥)</sup> — بغير ألف ، واحتج على من قرأها مالك « بألف ، فقال : يلزمه أن يقرأ : « أعوذ برب الناس مالك الناس » <sup>(٦)</sup> .

وكان عيسى بن عمر ( ت ١٤٩ هـ ) يقرأ : « يا جبال أوّبي معه والطير » <sup>(٧)</sup> ، بالنصب ويقول : هو على النداء <sup>(٨)</sup> . وأستطيع أن أستنتج من رواية ابن السراج عن الزيدى أن أبا عمرو أحد القراء السبعة ( ت ١٥٤ هـ ) <sup>(٩)</sup> . احتج لقراءته في بعض منها : جاء في كتاب الحجة في الاحتجاج لقراءة أبي عمرو « مالك يوم الدين » ، قال أبو بكر محمد بن السرى : قال أبو عمرو فيما أخذته عن الزيدين : « إن ملك يجمع مالكا » .

وكان يحتج على من قرأها مالك بألف <sup>(١٠)</sup> — بقوله : « أفلا يقرءون : فتعالى الله المالك الحق » <sup>(١١)</sup> ؟.

يقول أبو عمرو ذلك متعجباً ؛ إذ لم يقرأها في سورة طه بالالف أحد من العشرة <sup>(١٢)</sup> ولا من الأربعة عشر <sup>(١٣)</sup> .

(١) طبقات القراء : ٤٢٦/١ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٥٩

(٣) معاني القرآن للقراء : ١٧٣/١

(٤) طبقات القراء : ٣٤٩/١

(٥) سورة عبس آية ٢٢

(٦) الحجة : ٣/١

(٧) سورة الفاتحة آية : ٤

(٨) طبقات النحويين واللفويين للزيدى : ٣٦

(٩) سورة سبأ آية ١٠

(١٠) الحجة : ١/لوحه ٢ من مراد ملا

(١١) طبقات القراء : ٢٩٢/١

(١٢) سورة طه آية : ١١٤

(١٣) انظر النشر : ٣٢٢/١

(١٤) انظر انحاف فضلاء اليعفر ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

ويبدو أن التوجيه الإعرابي للقراءات المتخالفة قد ذاع في عصر محمد بن سليمان وإلى البصرة (ت ١٧٣ هـ) <sup>(١)</sup>.

فقد كان يقول: «إن الله وملائكته، وكان يرفع الملائكة، فقيل له في ذلك، فقال: «خرجوا لها وجها، ولم يكن يدع الرفع» <sup>(٢)</sup>.

هذه تخریجات فردية مرتبة ترتيباً تأرخياً لبعض القراءات، ينهج أصحابها نهجاً لغوياً وإعرابياً في الاحتجاج <sup>(٣)</sup>. أو يستعينون بقراءة على تخریج أخرى <sup>(٤)</sup> حتى إذا كان هرون بن موسى الأعور (ت قبل سنة ٢٠٠) <sup>(٥)</sup> وذكر صاحب البغية أنه توفي في حدود السبعين ومائة <sup>(٦)</sup> — رأيناه فيما يقول أبو حاتم السجستاني: أول من سمع البصرة وجوه القراءات، وألفها، وتبع الشاذ منها، فبحث عن أسناده <sup>(٧)</sup>، وكان الذي هيا له ذلك — فيما يبدو — أنه روى القراءة عن ثلاثة من القراء: قرأ على عاصم بن أبي النجود، وعبد الله بن كثير، وأبي عمرو ابن العلاء <sup>(٨)</sup>، وإذن فهرون الأعور يعد الخطوة الأولى — كما يقول أبو حاتم — في تأليف القراءات والاحتجاج لها، وأذكر هنا جهد سيبويه (ت ١٨٠ هـ) واحتجاجه للقراءات في مواضع من الكتاب، وسأفرد لها بعد بالحديث والبيان.

وقد ذكر ابن الجزرى أن العباس بن الفضل (ت ١٨٦ هـ) ناظر الكسائي في الإمالة <sup>(٩)</sup>، والمناظرة بما فيها من برهان وتدليل، يرجح عندها أنها جاءت على صورة احتجاج وتعليل، وربما كان معنى ناظر الكسائي أنه نظيره، وبذلك التفسير لم تقع هناك منافسة، ولهذا التفسير وجهة من قول ابن الجزرى عن يحيى بن زياد الخرازى رواية عن الهذلي أنه — أى يحيى — نظير قتيبة في الإمالة <sup>(١٠)</sup>. ولكن يبعد هذا التأويل عندي:

(١) صيغة المفاعلة مع الكسائي.

(١) انظر شذرات الذهب: ٧٨٢/١ (٢) البيان والتبيين للجاحظ: ٢٣٤/٦  
(٣) انظر تخریج عيسى بن عمر لقراءة ياجبال أوّبي معه والطبر وكذلك تخریج حمزة لمز  
الذهب، وتسهيل الحوت

(٤) انظر تخریج ابن عباس لقراءة (نشرها) (٥) طبقات القراء: ٣٤٨/٢

(٦) بنية الوعاة: ٤٠٦ (٧) طبقات القراء: ٣٤٨/٢

(٨) المصدر السابق (٩) طبقات القراء: ٣٥٣/١

(١٠) المصدر السابق: ٣٧٢/٢

(ب) قول الذهبي : « أن قتيبة بن مهران له إملالات مزججة معروفة <sup>(١)</sup> » ، فيكون ابن الجزرى أراد أن يحيى بن زياد نظير قتيبة في ذلك .

(ج) أن العباس بن الفضل والكسائي كانا متعاصرين مما يقوى وقوع المناظرة بينهما ( فقد توفى الأول ١٨٦ هـ ) ، ( وتوفى الكسائي ١٨٢ هـ وقيل سنة ١٨٩ هـ ) <sup>(٢)</sup> .

ويمثل لنا ما دار بين حمزة بن حبيب — أحد القراء السبعة وتلميذه الكسائي . طرفاً من المناقشات حول القراءات . . . وما في غضون هذه المناقشات من احتجاج : قالوا : « قرأ الكسائي أمام حمزة — سورة يوسف ، فلما بلغ إلى قصة الذئب قرأ : « فأكله الذئب » ، بغير همزة فقال له حمزة : « الذئب بالهمزة » ، فقال له الكسائي : « ولذلك أهمل الحوت وقرأ : « فالتقمه الحوت » ، فقال : « لا » ، فقال الكسائي — لم همزت الذئب ، ولم تهمل الحوت ، وهنا فأكله الذئب ، وهذا فالتقمه الحوت ١٩ فرجع حمزة يبصره إلى حماد الاحول وكان أكمل أصحابه ، فتقدم إليه في جماعة أهل المجلس فناظروه فلم يصنعوا شيئاً ، وقالوا : أفدنا ( يرحمك الله تعالى ) فقال — والتمائل حمزة — تقول « إذا نسبت الرجل إلى الذئب قد استذاب ولو قلت : قد استذاب بهمز همز لكننت إنما نسبت إلى الذئب . فتقول : قد استذاب الرجل إذا ذاب شحمه بغير همز وإذا نسبته إلى الحوت قلت : قد استذاب الرجل أى كثر أكله للحوت إذا كان يأكل منه كثيراً ، فلا يجوز فيه الهمز ، فلتلك العلة همز الذئب ، ولم يهمل الحوت ، وفيه معنى آخر : لا تسقط الهمزة من مفردة ولا من جمعه ، وأنشدهم :

أيها الذئب ، وابنـه ، وأبوه ! أنت عندى من أذؤب ضاريات <sup>(٣)</sup>

وقد دارت مناقشة حول قوله تعالى : « إنما أنا رسول ربك لأهـب لك <sup>(٤)</sup> » . اشترك فيها يحيى أكثم ، واليزيديان : محمد بن أبي محمد وأخوه ابراهيم وكانا يقرئان المأمون : قرأ المأمون « إنما أنا رسول ربك ليهـب لك » ، فردها يحيى متمسكاً برسم المصحف وأقرءها محمد ، وخرجها على وجه من التأويل <sup>(٥)</sup> . فسئل يحيى في هذه

(٢) انظر نزعة الألباء : ٤٧

(١) طبقات القراء : ٢٦/٢

(٤) سورة مريم آية ١٩

(٣) نزعة الألباء : ٤٤

(٥) انظر خبر هذه المناقشة في طبقات النحويين واللغويين لزيدى : ٧٩



المناقشة جانب القول بالآثر<sup>(١)</sup>، وذهب محمد فيها مذهب أهل الرأي من المحتجين .  
ويذكر المترجمون يعقوب بن اسحق بن زيد الحضرمي (ت ٢٠٥ هـ) أحد القراء  
العشرة<sup>(٢)</sup> وحفيد عبد الله بن أبي اسحق النحوي — بعمل في الاحتجاج . يقول عنه  
أبو حاتم : « كان أعلم من أدركنا ورأينا بالحروف ، والاختلاف في القرآن ، وتعليقه  
ومذاهبه ، ومذاهب النحو في القرآن ، وأزوى الناس لحروف القرآن ، وحديث  
الفقهاء<sup>(٣)</sup> ، وقد ألف يعقوب كتاباً سماه الجامع ، جمع فيه عامة اختلاف وجوه  
القرآن ، ونسب كل حرف إلى من قرأ به<sup>(٤)</sup> . ويبدو أن كلا من هرون الأعور  
(ت في حدود ١٧٠ هـ) ويعقوب الحضرمي (ت ٢٠٥ هـ) جمع بين القراءات  
المتواترة والشاذة ، كما كان من أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) مثل ذلك ،  
جاء في كشف الظنون : « أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب ، وجعلها فيما أحسب  
خمساً وعشرين قراءة مع السبعة<sup>(٥)</sup> .

وبقيت انتخريجات الفردية بجانب هذه الكتب الجامعة للقراءات واسنادها  
ذلكم ما قاله أبو سوار<sup>(٦)</sup> . فيما يرويه أبو عثمان المازني (ت ٢٤٦ هـ) قال : قرأتُ  
على أبي وأنا غلام : ترى الودق يخرج من خلاله ، فقال أبو سوار وكان فصيحاً : يخرج  
من خلله ، فقال أبي : « من خلله قراءة ٤١ ، فقال أبو سوار : أما سمعت  
قول الشاعر :

« يشير بغمزة ، يخرجن منها خروج الودق من خلل السحاب ،  
قال أبو عثمان : خلل وخلال واحد ؛ هما مصدران<sup>(٧)</sup> . وكان أمر تقتضيه  
طبيعة الأشياء أن تؤولف كتب الاحتجاج للقراء السبعة بعد أن اختارها ابن مجاهد  
(ت ٢٢٤ هـ) أول من سبع السبعة<sup>(٨)</sup> في كتابه المترجم بقراءات الأمصار ،  
لذكيف يكون احتجاج للقراء السبعة ولما يقع عليهم الاختيار ١٤ قبل ابن مجاهد

(١) كان يحيى سليماً من البدعة ينتحل مذهب أهل السنة انظر تاريخ بندا : ١٩٨/١٤

(٢) طبقات القراء : ٣٨٢/٢

(٣) طبقات الزيدى : ٥١ وطبقات القراء : ٣٨٩/٢

(٤) طبقات النحويين واللغويين للزيدى : ٥١ (٥) كشف الظنون : ٢٢٠/٢

(٦) لم أجد في كتب التراجم إلا سوار بن عبد الله (٢٤٥ هـ) انظر تاريخ بندا : ٣١٠/٩  
والا بن سوار ، وليس هو المذكور هنا إذ أن ابن سوار هذا توفي سنة ٤٩٦ هـ انظر  
طبقات القراء : ٨٦/١

(٩) ابراز المعاني : ٥

(٨) الفهرست لابن النديم : ٦٧

كانت الكتب الجامعة للقراءات تشتمل على السبعة التي وثقتها ابن مجاهد فيما بعد ، بجانب ما تشتمل على غيرها من القراءات الأخرى ، واحتج العلماء لهذه القراءات جميعاً السبعة وغيرها كالذي كان من المبرد ( ت ٢٨٥ هـ ) الذي ألف كتابه و احتجاج القراءة <sup>(١)</sup> . في ذلك الوقت الذي سبق ابن مجاهد بما يقرب من نصف قرن . كالذي كان من الطبري ( ت ٣١٠ ) على النحو الذي سأعرض له فيما بعد بالتفصيل . وقد ألف ابن درستويه ( ت ٣٤٧ هـ ) كتاب و الاحتجاج للقراء ، كما يذكر ابن النديم <sup>(٢)</sup> . وقد توفي ابن درستويه بعد ابن مجاهد ، ومن هنا لا أستطيع على التحقيق أن أجزم بأن احتجاج ابن درستويه كان للقراء السبعة أو كان على نحو احتجاج المبرد — شاملاً للسبعة وغيرها ؟ ومن المرجح أن يكون على هذا النحو الأخير ، كما يفهم من تقديم أبي على كتاب الحجة حيث يذكر أنه مسبوق بعمله في الاحتجاج لسبعة ابن مجاهد : سبقه محمد بن السري حسب ، ولم يعرض لذكر ابن درستويه <sup>(٣)</sup> . ويعد عمل ابن مجاهد خطوة حاسمة باختياره القراء السبعة ، وكان الرجل ذا قدم راسخة في القراءات ، وكان بعيد الصيت مع الدين والحفظ والخير <sup>(٤)</sup> . كما كان مسموع الكلمة عند الحكام ، فانتصروا لهذه القراءات ، وأوقعوا من خالفها العذاب <sup>(٥)</sup> . واتجه المحتجون إلى الاحتجاج لقراء الأمصار السبعة ، بحجة للدين ، وحفاظاً على التنزيل ، فتتابع المعالم الكبرى للتأليف في الاحتجاج على النحو الآتي :

يحتج أبو بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج ( ٣١٦ هـ ) للقراءات المسموعة التي ذكرها ابن مجاهد في كتابه القراءات ، فيتم سورة الفاتحة ويتناول جزءاً من سورة البقرة ثم يمسك <sup>(٦)</sup> . ويؤلف أبو طاهر عبد الواحد البزار ( ت ٣٤٩ هـ ) كتاب الانتصار لحزمة <sup>(٧)</sup> . وقد جعلته من كتب الاحتجاج لما يوحى به العوان ، كما يؤلف محمد بن الحسن الأنصاري ( ت ٣٥١ هـ ) كتاب السبعة بعلمها الكبير <sup>(٨)</sup> ، وينشط أبو بكر محمد بن الحسن بن مقسم ( ت ٣٦٢ هـ ) في هذا الباب فيؤلف :

- |                                  |                            |
|----------------------------------|----------------------------|
| (١) الفهرست : ٨٨                 | (٢) الفهرست : ٥٣ ، ٩٤      |
| (٣) الحجة : ١ / لوحة             | (٤) طبقات القراء : ١ / ١٤٢ |
| (٥) كما حدث لابن شنبوذ وابن مقسم | (٦) تقديم الحجة : ٢ / ١    |
| (٧) الفهرست : ٤٨                 | (٨) الفهرست : ٥٠           |

(١) كتاب احتجاج القراءات . (ب) كتاب السبعة بعلمها الكبير .  
 (ج) كتاب السبعة بعلمها الأوسط . (د) كتاب السبعة بعلمها الأصغر<sup>(١)</sup> .  
 ويؤلف الأزهرى (ت ٣٦٨ هـ) صاحب تهذيب اللغة كتاباً فى علل  
 القراءات<sup>(٢)</sup> .

ثم يعقبه أبو على الفارسى (٣٧٧ هـ) بكتابه الحجة ، ويعاصر أبا على ابن خالويه  
 (٣٧٠ هـ) فيحتج لقراءات السبعة كذلك<sup>(٣)</sup> . ويحيى ابن جنى تليذ الفارسى  
 (ت ٣٩٢ هـ) فينصر لما شذذ ابن مجاهد من القراءات ، ويحتج لها فى  
 كتابه المحتسب .

وفى القرن الخامس ينشط القراء فى الاحتجاج ، فيؤلف مكى بن أبى طالب  
 حموش (ت ٤٣٧ هـ) كتابه الكشف عن علل القراءات وحججها<sup>(٤)</sup> . ويؤلف  
 الدانى (٤٤٤ هـ) كتاب الموضح لمذاهب القراء واختلافهم فى الفتح والإمالة<sup>(٥)</sup> .  
 وتتابع كتب القراء جامعة تفصيل مذاهب السبعة<sup>(٦)</sup> . أو العشرة<sup>(٧)</sup> أو الأربع  
 عشرة<sup>(٨)</sup> . وأغلبها يحتج احتجاجاً موجزاً للأصول ، وفرش الحروف . وبقى على  
 أن أقول : هـ ان هناك كتباً ألفت فى معانى القرآن<sup>(٩)</sup> ، وقد قصدت هذه الكتب .  
 كما يدل عليها اسمها ، وكما استنتجت من اطلاعى على الباقية منها<sup>(١٠)</sup> . قصدت إلى  
 إلى تفسير القرآن ، وتعرضت — تبعاً لذلك — إلى إعراب الكلمات التى تتعلق  
 بإعرابها توجيه المعنى . وتختلف باختلافه الأوجه الإعرابية فى الكلمة ، أو إلى  
 التفسير اللغوى للبتن القرآنى الذى اختلفت القراء فى ألفاظه . وتعرض هذه الكتب  
 لتوجيه القراءة ، ولكن من هذه الزاوية أولاً — ومن هذه الناحية يعدها الباحث  
 من كتب الاحتجاج .

- 
- (١) الفهرست : ٤٩  
 (٢) تاريخ الاسلام الذهبى : ١٠٩ حوادث سنة ٣٦٨  
 (٣) فى حجة ابن خالويه مخطوط بدار الكتب رقم ١٩٥٢٣ ب  
 (٤) الكتاب بدار الكتب رقم ١٩١٨٢ ب  
 (٥) له نسختان بمكتبة الأزهر رقم ١٠٣ ، ٥٩٨٠٢ قراءات  
 (٦) كالتيشير وجامع البيان للدانى والمفتاح لأبى القاسم عبد الوهاب بن محمد المحفوظ بدار  
 الكتب رقم ١٩٦٦٩ ب  
 (٧) كالنصر لابن الجوزى  
 (٨) كاتحاف فضلاء البشر للبنا الديلمى  
 (٩) انظر الفهرست : ٥١  
 (١٠) كمعاني القرآن للقراء والزجاج

وبعد : فيجدر بي أن ألخص المعالم الكبرى للاحتجاج في الخطوات الآتية :  
كانت الخطوة الأولى في الاحتجاج تتمثل في هذه التخريجات الفردية ، تأتي منشورة هنا وهناك ، يدعو إليها المقام ، وترد عند الاقتضاء ، واستمرت هذه الخطوة مسيرة للخطوة الثانية التي تمثلت في جمع القراءات الصحيحة والشاذة — والبحث عن أسنادها كما فعل هرون بن الأعور ، ويعقوب بن أبي اسحق ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وأمام المفسرين الطبري في كتابه القراءات ، وهذه الخطوة تكاد تكون مفقودة طوى كتبها الزمان ، وعصفت بها الأحداث .

ثم كانت المرحلة الفاصلة في الخطوة الثالثة باختيار إمام القراء أبي بكر بن مجاهد القراءات السبع ، ويدور حول عمله هذا نشاط له مظاهر أربع تتمثل في :  
(١) الاحتجاج لهذه القراءات والكشف عن عللها جملة ؛ كما فعل أبو علي في الحجة .

(ب) توثيق غير هذه السبع والاحتجاج له ؛ كما فعل ابن جني في المحتسب .  
(ج) الاقتصار على الانتصار لقاريء من السبعة ؛ كما فعل أبو طاهر البزار في كتابه الانتصار لمخزومة

(د) الاحتجاج لأصل من أصول القراءات يعمل المؤلف لمذاهب القراء السبعة فيه ؛ كما فعل الداني في كتابة الموضح حيث احتج للفتح والإمالة عند سبعة القراء . ويبرز بين هذه المعالم — كتاب سيبويه علما شاعرا يهدي المحتجين ، كما تظهر بجانبه في الاحتجاج كتب المفسرين . وسأعرض في الفصول التالية نزعة كل من إمام النحاة ، وإمام المفسرين ، وإمام القراء — في الاحتجاج تمهيدا لتناول نزعة أبي علي بالدرس والبيان ...

## سيبويه والاحتجاج للقراءات

يعد الكتاب فيما أرى - الأصل في باب الاحتجاج ، وهو العمدة لمن سلك هذا المنهج من المحتجين ، قراء كانوا أو نحويين ، ومن هنا كان من الضروري أن أتحدث عما كان من سيبويه في هذا السبيل .

وأقدم أن سيبويه في كتابه كان يحتج للأساليب العربية ، وأوجه الخلاف والمشابهة بينهما ، وطرائق إعرابها ، ومقتضيات هذه الطرائق ، وتلك الأوجه من المعنى والاستعمال <sup>(١)</sup> .

وقد قال سيبويه في معرض التدليل على أن العرب يستخفون فيحذفون النون والتنوين ، ولا يتغير من المعنى شيء . . . وبعد أن أورد طرفاً من الأمثلة يستشهد بها على ذلك ، قال : « وسترأه أيضاً مفرداً في بابه مع غير هذا من الحجج » <sup>(٢)</sup> . فدل لفظه هذا أنه كان يقصد إلى الاحتجاج قصداً ، وهو بعمله هذا قد فتح باب الاحتجاج لمن جاء بعده من النحاة والقراء ، وقد كان أبو علي الفارسي في الحجة ينظر إلى الكتاب <sup>(٣)</sup> .

وأسجل فيما يأتي بعض الملاحظات على منهج سيبويه في تناوله الآيات القرآنية التي قرئت بأوجه متخالفة <sup>(٤)</sup> :

(١) فهو أحياناً يخطئ القارىء ، ويضعف القراءة إذا لم تكن متفقة هي وما انتهى إليه من رأى أو قياس ، وذلك تخريجه لإعراب فيكون من قوله تعالى : « كن فيكون » ، فاختر الرفع ، ثم قال : وقد يجوز النصب في الواجب في اضطرار الشعر . .

فما نصب في الشعر اضطراراً قول الشاعر :

سأترك منزلي لبني نعيم وألحق بالحجاز فأستريحاً

وقول الأعشى :

ثم لا تجزوني عند ذاكم ولكن سيجزيني الإله فيعقبا

(١) سيبويه إمام النحاة : ٣٧

(٢) الكتاب : ٨٤/١ (٣) انظر الحديث عن سيبويه شيبخا من شيوخ أبي علي

(٤) أعانتني فهارس شواهد الكتاب التي أوردتها أستاذي الأستاذ علي النجدي على هذا البحث

ثم قال : وهو ضعيف في الكلام<sup>(١)</sup>.

وقد رجعت إلى كتب القراءات ، فوجدت أن قراءة النصب عن ابن عامر في ستة المواضع التي ورد فيها هذا الحرف في القرآن الكريم ، ووافقه الكسائي في حرفي النحل ويس<sup>(٢)</sup> . فكيف يقول سيبويه : والنصب ضعيف في الكلام ؟ وقد ورد في قراءات إمام ناهيك من إمام ؟

وقد جرى النحاة البصريون وراء سيبويه ، فهذا أبو علي الفارسي يرى ما يراه إمامه<sup>(٣)</sup> . .

ويجىء العكبري فيلف لهما ؛ إذ يقول : « وقرئ بالنصب على جواب لفظ الأمر ، وهو ضعيف ، ثم دلل على هذا الضعف<sup>(٤)</sup> .

(ب) وقد ينفرد قارئ من القراء العشرة بقراءة ، ويقرأ غيره بغيرها ، ومع ذلك فإن سيبويه يحكم بأن هذه القراءات المنفردة أكثر وأجود ، فقد قرر أن النصب في معذرة من قوله تعالى : « قالوا معذرة إلى ربكم . . » ، أكثر وأجود<sup>(٥)</sup> .

فأما كون القراءة أجود فلا اعتراض لي عليه ، وذلك لأن القراءات قد تتفاوت في ذلك لما نقل ابن الجزري في كتابه ( منجد الطالبين ) ، عن أبي نصر الشيرازي في تفسيره : « إنا لاندعى أن كل ما في القراءات على أرفع الدرجات من الفصاحة<sup>(٦)</sup> » . وإن كان سبيل التأديب يلزمنا الاعتداد بها جميعاً .

وأما أن قراءة النصب أكثر فيرده أن حفصاً هو الذي قرأ بالنصب والباقي قرءوا بالرفع<sup>(٧)</sup> ، ولا شك في أن هؤلاء القراء يمثلون الأكثرية في العرب إذا ما اجتمعوا على شيء ، فحكم سيبويه يتخالف هو وإجماع بقية القراء ، على غير ما رأى وقرر .

وكان خيراً لو أطلق التجويز من غير ترجيح ، كما حكم في قوله تعالى : « كلا إنها لظلي نزاعة للشوى<sup>(٨)</sup> » .

(١) الكتاب : ج ١ ص ٤٢٣

(٢) راجع النشر : ٢٢٠/٢ (٣) الحجة : ج ١ ص ٤٧٤ نسخة مراد ملا

(٤) إعراب القرآن للعكبري : ج ١ ص ٣٣ (٥) الكتاب : ج ١ ص ١٦٢

(٦) منجد المفسرين : ٦٥ (٧) انظر النشر في القراءات العشر : ج ٢ ص ٢٧٢

(٨) ج ١ ص ٢٠٨

ومن التوافق الملحوظ أن ينفرد حفص بالنصب ، ويقرأ الباكون من العشرة بالرفع<sup>(١)</sup> . تماماً كما في قوله تعالى : قالوا معذرة إلى ربكم . . . .

(ج) وأحياناً يجوز قراءة لم ترد عن واحد من القراء العشرة ، فقد جوز الرفع والنصب في « جواب » من قوله تعالى : « فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ؛ إذ يقول : في تأويل النصب — أن محمولة على كان كأنه قال : « فما كان جواب قومه إلا قول كذا وكذا » ، ثم قال : وإن شئت رفعت الجواب ، فكانت إن منصوبة<sup>(٢)</sup> . وقد فهمت تجويزه الأمرين في مساواة من قوله مخيراً : « وإن شئت » ثم رجعت إلى كتاب النشر فلم أجد الرفع في القراءات العشر<sup>(٣)</sup> . وهذا دليل عندى على أن أئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الألفى في اللغة ، والأقيس في العربية ؛ بل على الأثبت في الأثر ، والأصح في النقل والرواية<sup>(٤)</sup> . ومن هذا القبيل — أى من تحكيم القياس وبجانبه العمل بالأثر — أن يقول سيبويه مثلاً : ولو قرئ بكذا كان جيداً ، كما ذكر في قوله تعالى : « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً<sup>(٥)</sup> » .

(د) وأحياناً يجوز قراءة مشهورة ، ويجوز وجهاً غير مقروء به كأن يقول في : « وأما نمود فهديناهم » ، النصب عربى كثير ، والرفع أجود<sup>(٦)</sup> . ومن التخالف الذى لم أستطع تفسيره ، أنه مع تحكيمه القياس ، وبجانبه العمل بالأثر في ظاهر أمره ومخرجه يقول : « القراءة لا تخالف لأنها سنة !<sup>(٧)</sup> » ، ولا زلت أتمس تحليلاً لهذه المواقفين المتناقضين ، أو أرجو توفيقاً بينهما .

فهل كان سيبويه يتخير القراءات على مذاهب العربية ؟ هذا هو ما أميل إليه وأرجحه ، وليس سيبويه في ذلك نسج وحده ؛ بل إن أستاذه عيسى بن عمر له اختيار في القراءة على مذاهب العربية كذلك<sup>(٨)</sup> .

(هـ) وهو يكتفى بالإشارة إلى أن الآية قرئت على وجه من وجوه الإعراب دون اهتمام — فى الأعم الأغلب — بذكر القارئ بما يدل على أن المهم عنده أنه يحتاج للوجه الذى قرئت به الآية ، ولا يهمه أن يحتاج للقارئ فيما ذهب إليه .

(١) النشر ج ٢ ص ٣٩٠ (٢) ج ١ ص ٤٧٦

(٣) ج ٢/٢٤٨ (٤) منجد القرئين : ٥٦

(٥) ج ١ ص ٧٤ (٦) المصدر السابق : ٤٢ ، ٧٤

(٧) طبقات القراء لابن الجزرى : ج ١/٣٦٠

فهل ذلك هو الصواب في تعليل هذه الظاهرة ، أو الصواب أن القراء لم يتضح منزلة الأئمة منهم في زمنه ، فنراه يقول : « وقرأ أهل المدينة كذا »<sup>(١)</sup> دون إسناد إلى نافع مثلاً ؟ ، « وقرأ أهل الكوفة كذا »<sup>(٢)</sup> ، دون إسناد إلى حمزة أو الكسائي ؟ « وقرأ بعضهم كذا »<sup>(٣)</sup> ، أو أن هذه قراءة أهل الحجاز<sup>(٤)</sup> ، أو قراءة أهل مكة كذا<sup>(٥)</sup> دون إسناد إلى ابن كثير ؟ أو دفعته العصبية الطائفية ، والمنافسة في الصنعة إلى عدم ذكر هؤلاء .

فعلى حسب ما استقصيت — لم أره ينص إلا ما نص — إلا على إمام بصرى كآبي عمرو بن العلاء<sup>(٦)</sup> . أو من قرأ على بصرى كالأعرج<sup>(٧)</sup> أو عيسى<sup>(٨)</sup> . أو من بعد عن هذه العصبية كعبد الله بن مسعود<sup>(٩)</sup> أو أبي<sup>(١٠)</sup> .

وقد استفتيت كتب القراءات والتفسير فيما جوّزه أو جوّده سيويه من قراءات في مثل قوله تعالى : « فما كان جواب قومه إلا أن قالوا »<sup>(١١)</sup> ، « تلتقطه بعض السيارة »<sup>(١٢)</sup> .

« تماماً على الذي أحسن »<sup>(١٣)</sup> ، « لكن الراشون في العلم منهم .. والمقيمون »<sup>(١٤)</sup> . « وأما ثمود فهديناهم »<sup>(١٥)</sup> ، « ولكن البر من آمن بالله .. والصابرون في البأساء والضراء وحين البأس »<sup>(١٦)</sup> .

فوجدت أن الذي قرأ بالرفع في قوله : « فما كان جواب .. » الحسن وابن أبي اسحق<sup>(١٧)</sup> وبتأنيث الفعل تلتقطه . الحسن وقتادة وأبو رجاء<sup>(١٨)</sup> . وبرفع أحسن يحيى بن يعمر . وابن أبي اسحق<sup>(١٩)</sup> .

- 
- (١) الكتاب : ج ١ / ٢٨٣ ، ٤٢٩ ، ٤٧٥ ، مثلاً  
 (٢) الكتاب : ج ١ / ٤٣٠ ، ٤٧٦ ، مثلاً (٣) الكتاب : ج ١ / ٢٥  
 (٤) الكتاب : ج ١ / ٤١٧ ، مثلاً (٥) الكتاب : ج ٢ / ١٠ ، مثلاً  
 (٦) الكتاب : ج ٢ / ٢٣٨ ، مثلاً (٧) الكتاب : ج ١ / ٣٠ ، مثلاً  
 (٨) وانظر ترجمة حميد بن قيس الأعرج وقد روى عنه أبو عمرو ج ٢ / ٢٦٥ طبقات القراء ، الكتاب : ج ١ / ٤٧١ ، مثلاً  
 (٩) ج ١ / ٢٥٨ ، ٤٧١ (١٠) ج ١ / ٤٨١  
 (١١) الكتاب : ج ١ / ٤٧٦ (١٢) ج ١ / ١٥  
 (١٣) ج ١ / ٢٧٠ (١٤) الكتاب : ج ١ / ٣٤٨  
 (١٥) ج ١ / ٤١ ، ٢٤ ، ج ٢ / ٢٨ (١٦) الكتاب : ج ١ / ٢٤٨  
 (١٧) البحر المحیط لأبي حيان ج ٧ / ٨٦ (١٨) البحر المحیط لأبي حيان ج ٥ / ٢٨٤  
 (١٩) البحر المحیط لأبي حيان ج ٤ / ٢٥٥



وبرفع المقيمين : ابن جبير ، وعمرو بن عبيد .  
والجحدري وعيسى بن عمر ومالك بن دينار وعصمة عن الأعمش .  
ويونس ، وهارون عن أبي عمرو <sup>(١)</sup> . وبرفع ثمود في قوله :  
وأما ثمود : الحسن وابن أبي اسحق <sup>(٢)</sup> ، ورفع الصابرين : الحسن والأعمش  
ويعقوب <sup>(٣)</sup> .

ثم رجعت إلى كتب طبقات القراء ، فوجدت أن هؤلاء القراء بصريون :  
فيعقوب بصرى <sup>(٤)</sup> ( ٢٠٥ هـ ) ، وعمرو بن عبيد ( ١٤٤ هـ ) كذلك <sup>(٥)</sup> ،  
والمرجح أنه لم يذكره سيويه ( ١٨٠ هـ ) وربما رويت عنه قراءة فرواها سيويه <sup>(٦)</sup> ،  
وعيسى بن عمر ( ١٤٩ هـ ) معروفة مكانته في الشيوخ البصريين <sup>(٧)</sup> ، وكل من :  
عصمة بن عروة <sup>(٨)</sup> ، وهارون الأعور <sup>(٩)</sup> ، وقناة <sup>(١٠)</sup> ( ١١٧ هـ ) ، ومالك  
بن دينار <sup>(١١)</sup> ( ١٣٧ هـ ) ، ويونس بن حبيب <sup>(١٢)</sup> ، وأبو رجاء العطاردي <sup>(١٣)</sup>  
( ١٠٥ هـ ) ويحيى بن يعمر بصرى <sup>(١٤)</sup> ، كما تنص كتب طبقات القراء . ولم أعر  
على ترجمة للجحدري الذي روى قراءة الرفع في المقيمين .

وأخلص من هذا العرض إلى نتيجة : هي أن سيويه ، وقد اهتم هذا الاهتمام  
الواضح بإيراد هذه الآيات ، وبالقرارات التي رويت بها ، وبالقرءاء الذين ظهروا  
— بعد استفتاء كتب القراءات والطبقات — أنهم بصريون ، بتوجيه قراءاتهم  
على النحو الذي أورد في الكتاب — أقول يمكن أن أستخلص من هذا ما أستطيع  
أن أسميه نحو القراء البصريين ، وهو أمر خليك بأن يختبر ، ويتوسع فيه ، ويتوجه  
إليه الدارسون والباحثون ، إلى ما فيه من توثيق لقراء لم يردوا في العشر ، وأن يقيم  
ماورد في كتاب سيويه إلى ما ذكرته كتب التفسير المعنية بالقراءا كالبحر المحيط  
لابن حيان ، والمحاسب لابن جني ، فلعلنا نخرج من هذه الدراسة بنتائج ذات قيمة

(١) البحر المحيط لأبي حيان ج ٣/٣٩٥

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ج ٧/٤٩١ (٣) المصدر السابق ج ٢/٨

(٤) طبقات القراء : ج ٢/٢٨٨ (٥) طبقات القراء : ج ١/٦٠٢

(٦) المصدر السابق (٧) طبقات القراء : ج ١/٦١٣

(٨) طبقات القراء : ج ١/٥١٢ (٩) طبقات القراء : ج ٢/٤٤٨

(١٠) طبقات القراء : ج ٢/٢٥٠ (١١) طبقات القراء : ج ٢/٣٦

(١٢) طبقات القراء : ج ٢/٤٦٦ (١٣) طبقات القراء : ج ١/٦٠٤

(١٤) طبقات القراء : ج ٢/٣٨١ في البحر المحيط يحيى بن معمر والصواب ما أثبتناه .

في البحوث المتعلقة بالقرآن وتوثيق قراءاته . ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كبيراً .

وبما يتصل بموقف سيبويه من المنافسين ، أنه كاد يطرد عندي إذا قال : وقرأها بعضهم أو نحواً من ذلك : أنه القارئ كوفي ، فقد قال : وبلغنا أن بعضهم قرأ هذا الحرف نصباً ، وامرأته حمالة الخطب<sup>(١)</sup> ، وقد رجعت إلى كتاب النشر فرأيت أن الذي قرأ بالنصب عاصم<sup>(٢)</sup>

وقد قال : وقرأها بعضهم خاف<sup>(٣)</sup> ( بالإمالة ) ، وما بعضهم إلا حمزة<sup>(٤)</sup> ، ولما كالا لهذا البحث أذكر أن سيبويه يحتج لأوجه القراءة بما هو مرسوم في بعض المصاحف ، مسمى أصحابها حيناً ، وحيناً يغفل ذلك ، فقد ذكر في قوله تعالى : « ودوا لو تدهن فيدهنون » ، زعم هرون أنها في بعض المصاحف : ودوا لو تدهن فيدهنوا<sup>(٥)</sup> ، وقد أوردها Jeffry في مصحف ابن مسعود<sup>(٦)</sup> فوجدتها كذلك<sup>(٧)</sup> ، وكذلك وردت في مصحف أبي والأعمش<sup>(٨)</sup> .

وذكر قول الله تعالى : « لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء » ، ثم قال : وزعموا أنها في مصحف أبي أنهم لا يقدرون<sup>(٩)</sup> ، وقد ذكرها Jeffry في كتاب المصاحف — بكسر الهمزة — وهو خطأ<sup>(١٠)</sup> .

وسيبويه باستشاده بما جاء في المصاحف يقرب كثيراً من أهل النقل والآثر ، ويبعد عن أصحاب القياس والنظر ، وهي ظاهرة لو انضمت إلى قوله : « والقراءة لا تخالف لأنها سنة<sup>(١١)</sup> » . فإن ذلك يجعلني أضع سيبويه مع مدرسة القراء الذين يأخذون بالنقل عن الأئمة ، ويعتدون برسم المصحف . ولكن ما جاء في كتابه من اعتماد بالقياس . وتضعيف بعض القراء الأئمة يدفعني إلى القول بأنه كان متردداً بين المذهبين . وهو إلى مذهب القياس ومدرسة النحاة أقرب ، ذلك لأن الملاك العام في احتجاجه للقراءات أنه أراد أن يجري القراءات على مقاييس العربية ، ومن هنا رأينا أنه لا يتحرج أن يصف كلا من القارئ والقراءة بالضعف ، كما بينت من قبل<sup>(١٢)</sup> . ثم أخلص إلى الحديث عن اتجاه إمام المفسرين أبي جعفر الطبري ، ومكانته في الاحتجاج .

(١) الكتاب ج ١/ ٢٥٢ (٢) النشرج ٤٠٤/ ٢ (٣) الكتاب ج ٢/ ٢٦١  
(٤) النشرج ٥٩/ ٢ وبرايز الماني لأبي شامة ١٦٩ في شرح بيت الشاطبي :  
وكيف اللائي غير زاغت بماضى أمل خاب ، خافوا ، طاب ، ضاقت لتجمل  
(٥) الكتاب ج ١/ ٤٢٢ (٦) P. 103 (٧) المصاحف للسجستاني / ٦٣  
(٨) P. 47 (٩) الكتاب ج ١/ ٤٨١ (١٠) P. 169  
(١١) الكتاب ج ١/ ٤٨١ (١٢) الكتاب ج ١/ ٤٢٣

## أبو جعفر الطبري والاحتجاج

(٢٢٤ — ٥٣١٠ هـ)

يمثل أبو جعفر الطبري نضج الثقافة الإسلامية في عصورها الذهبية ، فقد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من عصره<sup>(١)</sup> . وكان مليئاً بما نهض فيه من أى علم كان<sup>(٢)</sup> . والطبري شيخ أبي بكر بن مجاهد<sup>(٣)</sup> . سمع ابن مجاهد منه رواية ورش عن نافع<sup>(٤)</sup> . وقد بلغ من تقديره للطبري أنه كان يجتاز على مسجده فلا يدخله ، ويقف بباب مسجد الطبري يستمع قراءته طويلاً ، وكان يثنى عليها<sup>(٥)</sup> ، كان يقول : « ما سمعت في المحراب أقرأ من أبي جعفر<sup>(٦)</sup> » ، وقد ألف الطبري فيما ألف — كتاباً في القراءات أثنى عليه الناس<sup>(٧)</sup> . ونقل ياقوت أنه في ثمانى عشرة مجلدة ، جمع فيه القراءات من المشهور والشاذ ، وعلل ذلك وشرحه<sup>(٨)</sup> . ولعله كتاب الفصل بين القراءة<sup>(٩)</sup> الذى ذكره ياقوت وكان أبو بكر يقول فيه : « ما صنف في معنى كتابه مثله<sup>(١٠)</sup> » ، ووصفه البراني بأنه كتاب حسن<sup>(١١)</sup> . وكتاب الطبري في القراءات يشتمل على كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام ، لأنه كان عنده وعليه بنى كتابه<sup>(١٢)</sup> . فالطبري إذن يمثل حلقة من سلسلة متصلة بدأت بهارون الأعور ، وتتابعت حلقاتها ممثلة في يعقوب الحضرمي ، وأبي عبيد القاسم بن سلام ، ولتن عصفت الأحداث بكتاب الطبري في القراءات فلم يصل إلينا إن كتابه (جامع البيان في تفسير القرآن) المشهور المتعالم بين الناس ، يضئ للباحث السبيل في التعرف على حلقة من حلقات التطور في الاحتجاج للقراءات ، كما يبين نزعة الطبري في ذلك ، فهو يروى في كتابه هذا القراءات المختلفة مسندة إلى من قرأها ، يستجيز بعضاً فيرجحه ، ولا يستجيز بعضاً فيفسده ، وملاك الترجيح عنده أمور :

- |                               |                            |
|-------------------------------|----------------------------|
| (١) تاريخ بغداد : ١٦٣/٢       | (٢) معجم الأدباء : ٧٨/١٨   |
| (٣) طبقات القراء : ١٠٧/٢      | (٤) معجم الأدباء : ٦٧/١٨   |
| (٥) تاريخ بغداد : ١٦٤/٢       | (٦) معجم الأدباء : ٦٦/١٨   |
| (٧) انظر طبقات القراء : ١٠٧/٢ | (٨) معجم الأدباء : ٤٥/١٨   |
| (٩) معجم الأدباء : ٦٥/١٨      | (١٠) المصدر السابق : ٦٦/١٨ |
| (١١) طبقات القراء : ١٠٧/٢     | (١٢) معجم الأدباء : ٦٨/١٨  |

(١) ما حدث به عن أشياخه، وما نقل من أقوال السلف من الصحابة، والأئمة، والخلف، والتابعين، وعلما الأمة<sup>(١)</sup>.

(ب) الأخذ بظاهري المعنى، وحقيقة اللفظ، من غير التجاء إلى المجاز.

(ج) إجماع الحجة من الأمصار، وفي ذلك يقول: «ما جاءت به الحجة متفقة عليه حجة على من بلغه، وما جاء به المنفرد فغير جائز لا اعتراض به على ما جاءت به الجماعة التي تقوم بها الحجة نقلا، وقولا، وعملا<sup>(٢)</sup>، وتراه لا يستجيز القراءة بما خالف اتفاق الحجة، وإن كان له في التأويل، والعربية وجه مفهوم<sup>(٣)</sup> فإن قرأ بقراءة جمهور، وقرأ بأخرى قلّة، أشار إلى أن القارئ مصيب الصواب بأى هذه القراءة قرأه، وإن كان يحب ألا يعدو في قراءته قراءة ما عليه الجمهور<sup>(٤)</sup>.

(د) رسم المصحف، فليس لأحد خلاف رسوم مصاحف المسلمين<sup>(٥)</sup>. وفي هذا المرجح والذي قبله يقول في قراءة: «والذين يؤتون ما أتوا<sup>(٦)</sup>»، وعلى هذه القراءة قراءة الأمصار، وبه رسوم مصاحفهم، وبه نقرأ لإجماع الحجة من القراء عليه، ووفاقة خط مصاحف المسلمين<sup>(٧)</sup>.

(هـ) الشواهد من الأشعار السائرة، ومنطق العرب ولغاتهم المستفيضة المعروفة، وذلك مشروط بعدم خروجه عن أقوال السلف<sup>(٨)</sup>.  
وقد أصبت مثالا جامعاً، لعظم هذه المرجحات، يستدل به وينقاد على وتيرته، قال أبو جعفر:

(١) حدثت عن الحسين قال: سمعت أبا معاذ يقول: «دأبنا عبيد بن سليمان قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: «وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال» في حرف ابن مسعود، «وإن كاد مكرهم لتزول منه الجبال»، هو مثل قوله: «تكاد السموات يتفطرن منه، وتنفشق الأرض، وتخر الجبال هدا»، واختلقت القراء في قراءة قوله: «لتزول منه الجبال»، فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز، والمدينة، والعراق ما خلا الكسائي، «وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال» — بكسر اللام الأولى وفتح الثانية — وما كان مكرهم لتزول منه الجبال. وقرأه الكسائي: «وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال»

(٢) جامع البيان: ٣٠٧/١

(٤) المصدر السابق: ٦٢٥/١٤

(٦) المؤمنون: آية ٦٠

(٨) المصدر السابق: ٣١/١

(١) جامع البيان: ٣١/١

(٣) جامع البيان: ٤٨/٢

(٥) جامع البيان: ١١٢/١

(٧) جامع البيان: ٢٣/١٨

— بفتح اللام الأولى ورفع الثانية — على تأويل قراءة من قرأ ذلك : « وإن كاد مكرهم لتزول منه الجبال » من المتقدمين الذين ذكرت أقوالهم ، بمعنى اشتد مكرهم حتى زالت منه الجبال أو كادت تزول منه . وكان الكسائي يحدث عن حمزة عن شبل عن مجاهد أنه كان يقرأ ذلك على مثل قراءته : « وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال برفع تزول . حدثني بذلك الحارث عن القاسم عنه . والصواب من القراءة عندنا قراءة : « وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال بكسر اللام وفتح الثانية ، بمعنى وما كان مكرهم لتزول منه الجبال ، وإنما قلنا ذلك هو الصواب .

(ب) لأن اللام الأولى إذا فتحت ، فعنى الكلام وقد كان مكرهم تزول منه الجبال ، ولو كانت زالت لم تكن ثابتة ، وفي ثبوتها على حالتها ما يبين عن أنها لم تزول ، ( وفي هذا أخذ بظاهر المعنى ) .

(ج) وأخرى لإجماع الحجة من القراء على ذلك ، وفي ذلك كفاية عن الاستشهاد على فتحها وفساد غيرها ( ١١ ) ، فإن ظن ظان أن ذلك ليس بإجماع من الحجة إذا كان من الصحابة والتابعين من قرأ ذلك كذلك ، فإن الأمر بخلاف ما ظن في ذلك ، وذلك أن الذين قرءوا ذلك بفتح اللام ورفع الثانية ، وقرءوا : « وإن كاد مكرهم بالبدال ، وهي إذا قرئت كذلك فالصحيح من القراءة مع « وإن كان ، فتح اللام الأولى ، ورفع الثانية على ما قرءوا ، وغير جائز عندنا القراءة كذلك (١) .

(د) لأن مصاحفنا بخلاف ذلك ، وإنما خط مصاحفنا « وإن كان ، بالنون لا بالبدال . وإذا كانت كذلك فغير جائز لأحد تغيير رسم مصاحف المسلمين ، وإذا لم يجوز ذلك لم يكن الصحاح من القراءة إلا ما عليه قراءة الأمصار ، دون من شذ بقراءته عنهم (٢) . .

(هـ) أما احتجاجة بالشواهد العربية في القراءات ، فقد أكثر أبو جعفر منها حتى عد كتابه مصدراً من هذه المصادر التي تعنى بإيراد هذه الشواهد ، ويبدو موقفه في الاحتجاج بهذه الشواهد من المثال الآتي :

وأما الميتة من قوله تعالى : « إنما حرم عليكم الميتة والدم . . » فإن القراء مختلفة في قراءتها ، فقرأها بعضهم بالتخفيف ، ومعناه فيها التشديد ، ولكنه يخففها كما يخفف القائلون : وهو هين لين ، الهين اللين كما قال الشاعر :

(١) يلحظ تضر الطبرى في التعبير هنا .

(٢) جامع البيان : ١٤٧/١٣ وما بعدها

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء  
لجمع بين اللتين في بيت واحد في معنى واحد ، وقرأها بعضهم بالتشديد ،  
وخطوها على الأصل . والصواب من القول في ذلك عندى أن التخفيف والتشديد  
في باء الميتة لنتان معروفتان في القراءة وفي كلام العرب ، فبأيهما قرأ ذلك القارىء  
فصيب ؛ لأنه لا اختلاف في معنيهما (١) .

هذه النزعة من الطبرى ، وسلوكه هذه المسالك ، دليل على أنه كان سلفياً ،  
يعتمد على الرواية ، والنقل ، والإجماع ، ورسم المصحف ، وهو في سبيل إقراره هذا  
المسلك لم يستجز قراءة ابن عامر ( وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم  
شركائهم ) ، لإجماع الحجة من القراء على غيرها ، وأن تأويل أهل التأويل ورد  
عليه إجماع القراء (٢) ، وهذا أمر غريب ، وأغرب منه وصفه قراءة حمزة —  
والأرحام في قوله تعالى : « واقفوا الله الذى تساءلون به والأرحام » بأنها غير  
فصيحة — مكروهة في المنطق ، رديئة في الإعراب (٣) . فإذا علمنا أن الطبرى  
معدود من الكوفيين النحويين (٤) . وهم يجوزون قراءة حمزة ، وأن الطبرى كان  
يقرأ قديماً لحزة قبل أن يختار قراءته (٥) . وأن قراءة ابن عامر وحمزة منقولة بالسند  
الصحيح إذا علمنا ذلك ، بدأ الطبرى متدافعاً في مسلكه ، ولا يستطيع الباحث له تعليلاً .  
على أن موقفه في تفسير قراءة متواترة ، قليلة نادرة ، وهو في جل مذهبه كما أورد  
ياقوت على الجماعة من السلف ، وطريق أهل العلم المتمسكين بالسنة (٦) . وأترك  
أبا جعفر الطبرى لأتعرّف على حلقة جديدة من حلقات الاحتجاج في مسلك  
تلميذه — شيخ القراء — ابن مجاهد أحمد بن موسى .

(١) جامع البيان : ٤٨/٢ (٢) جامع البيان : ٣١/٨  
(٣) انظر جامع البيان : ١٤١/٤ (٤) معجم الأدباء : ٦٠/١٨  
(٥) معجم الأدباء : ٦٦/١٨ (٦) معجم الأدباء : ٨٢ ، ٨١/١٨

## أبو بكر بن مجاهد والاحتجاج (ت ٨٣٤هـ)

روى أبو بكر بن مجاهد قراءات الأئمة السبعة من أهل الأمصار في كتابه المترجم بالقراءات ، وكان اختياره لها قائماً على الأساسين الآتين :

- (١) ماحدثه به الشيوخ مسنداً إلى الإمام القارىء .  
(ب) رسم المصحف ، فكان اعتداده بهذين الأساسين بمثابة توثيق واحتجاج لما اختار من القراءات . وسأعطى مثالا لكل يكشف من هذه النزعة عند ابن مجاهد .

(١) قال في احتجاج قراءة ابن كثير جبريل — بفتح الجيم وكسر الراء — من غير همز ، وميكائيل مهموز .. حدثني الحسين بن بشر الصوفي<sup>(١)</sup> . من روح ابن عبد المؤمن عن محمد بن صالح عن شبل عن ابن كثير قال : « رأيت النبي ﷺ في المقام ، وهو يقرأ جبريل وميكائيل فلا أقرأهما أبداً إلا هكذا<sup>(٢)</sup> » .

(ب) وفي الاحتجاج برسم المصحف يقول : قرأ ابن عامر وحده : قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه ، بغير واو ، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام<sup>(٣)</sup> . ومن أجل تمسك ابن مجاهد بهذين الأساسين دفع الوزير بن مقلة إلى تعذيب ابن مقسم ، الذي خالف في قراءته الأساس الأول ، إذ كان يقول : « إن كل قراءة وافقت المصحف ووجهاً في العربية فالقراءة بها جائزة وإن لم يكن لها سند<sup>(٤)</sup> » ، كما عذب ابن شنبوذ الذي كان يقرأ معتمداً على السند ، وموافقة العربية ، وإن خالف المصحف الإمام<sup>(٥)</sup> . ويبدو من هذا تمسك ابن مجاهد بالآثر تمسكاً شديداً ، وأرى السبب في ذلك أنه تأثر في ذلك بالنزعة التي غلبت على شيخه الطبرى أولاً ، ولأنه لم يكن ذا بصر بالعربية ثانياً<sup>(٦)</sup> ، ولأن كتابه القراءات قائم على النقل والرواية ثالثاً . ومن هنا لم يجز شيئاً غلبت من القراءة على مقاييس النحاة . وفيما يلي الحلقة الكبرى في هذا البحث؛ تلكم الحجة لابن علي ..

(٢) الحجة : ٤٤٠/١ ن مراد ملا .

(٤) طبقات القراء : ١٢٤/١

(٦) انظر المحتسب لابن جني : ٦٠/١

(١) انظر طبقات القراء : ٢٣٩/١

(٣) الحجة : ٤٧٢/١ مراد ملا

(٥) طبقات القراء : ٥٤/٢

## الفصل الثاني

### الحجة

لم يشر الزبيدي في طبقاته إلى شيء من تأليف أبي علي ، فأغفل فيما أغفل كتابه (الحجة) ، وجعله ابن النديم (٣٨٥ هـ) في فهرسته أول كتبه حين ذكر تصانيفه ، وأورده باسم الحجة ولم يزد ، ويزيد البغدادي (٦٣ ؛ ٥ هـ) في تاريخه ، فيذكر الكتاب باسم (الحجة في علل القراءات السبع) ، وفي فهرس المخطوطات المصورة يرد الكتاب بأسماء مختلفة ، فهو حيناً الحجة في شرح القراءات السبع ، وحيناً الحجة للأئمة السبعة من قراء الأمصار في القراءات السبع ، وحيناً الحجة في علل القراءات . وهذه الأسماء كلها تدور حول معنى الاحتجاج للقراءات ، مقيدة بالسبع وموصفة بها حيناً ، وعطلا من ذلك حيناً آخر . ويجمل بي أن أبين الأسباب العامة والخاصة التي دعت أبا علي إلى تأليف ذلك الكتاب .

فأول هذه الأسباب أن القراءات السبع جمعت في كتاب ، جمعها أبو بكر ابن مجاهد (ت ٢٢٤ هـ) <sup>(١)</sup> . ومنذ ذلك الحين كانت الخطوة الطبيعية التالية ، وهي الاحتجاج لهذه القراءات ، وكان الذي قام بهذا العمل تلميذ ابن مجاهد ، وهو أبو بكر بن السراج ، ثم جاء من بعده أبو علي الفارسي . نعم كان هناك احتجاج للقراءات المتخالفة في بعض الآيات ، ولكن لم تكن جمعت بعد في كتاب .

وسبب ثان ، ذلك أن هؤلاء الذين تصدوا للاحتجاج كانوا من النحاة الذين أكبوا على كتاب سيبويه يدرسونه ، ويتفهمونه — وأبو علي في الصدارة منهم ، وكان في الكتاب احتجاج للقراءات المختلفة في بعض الآيات ، وفيه كذلك توجيه لبعض الأساليب العربية التي لها نظائر في آي القرآن ، وأضرابها ، وأوجهها التي رويت بها ، فلما أراد النحاة المتأخرون التأليف في الاحتجاج وجدوا الباب مفتوحاً ،

---

(١) ورد في بغية الوعاة في ترجمة هارون بن موسى بن شريك المعروف بالأخفش أنه كان قياً بالقراءات السبع ؟ ، فهل ألف ابن مجاهد هذه القراءات السبع قبل وفاة هارون هـ هذا سنة ٢٩٢ هـ ؟ ! ( انظر بغية ص ٤٠٦ ) .



فتحه أمامهم سيويه — ولئن كان الناس قد أسمو الكتاب (قرآن النحو<sup>(١)</sup>) .  
إن هؤلاء النحاة المحتجين وجدوا فيه — كذلك ما أسميه (نحو القراءات) ، وجدوا  
فيه مثلاً للاحتجاج للقراءات المختلفة في الآيات الآتية :

« إن هذه أمتكم أمة واحدة<sup>(٢)</sup> » ، « إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون<sup>(٣)</sup> » .  
« تلتقطه بعض السيارة<sup>(٤)</sup> » ، تماماً على الذي أحسن<sup>(٥)</sup> » .

ولم يكن النحاة ليفوتهم هذا الجانب من كتاب سيويه ، وهم الذين اتخذوه  
قرآناً ، أكبوا عليه ، ودرسوا ما فيه .

وثالث ، أن البيئة العلمية العامة أصبحت بيئة جدلية ، يقوم الدين فيها على  
الافتناع واليقين ، لا على الاتباع والتلقين ، وكان شأن الناس في القراءات شأنهم  
في العقائد والديانات ، فلم يؤمنوا بأن الله واحد لأنهم قرءوا سورة الإخلاص ،  
وفيه أمر بوحداية الله ، وتنزيهه عن الشراكة والولد .. لا : بل لأنهم نظروا ،  
وفكروا ، وجادلوا ، وقدروا ، وانتخوا من ذلك كله إلى علم اليقين إن لم يكونوا  
مغرضين . وكذلك القراءات : ما سندها ؟ وما حجتها ؟ ولم ذهب ذلك القارئ هذا  
المذهب ؟ وهل له معتمد من اللغة والنحو ؟ ومن هنا كانت خطة هؤلاء النحاة  
المحتجين — على ما يبدو لي — من أنهم آثروا القياس والنظر ، وأعملوها فيما  
هو ثابت بالنقل والاثار ، وهي خطة لا يرتضيها القراء ، ولكن النحاة المحتجين  
كانوا إليها مضطرين لمواجهة المعاندين والمنكرين ، في عصر شاعت فيه الزندقة ،  
وتغشاه الإلحاد ، وفيهم ملحدون يكيدون للإسلام ، ويفضون من عقائد المسلمين ،  
وينقرون عما يمكن أن يكون ثلثه في كتابهم الكريم ، ويعتمدون في كيدهم وتعرضهم  
على مباحث الجدل ، ومسائل الفلسفة والمنطق ، وما فيه من تعليل وقياس  
وقد ألف أبو الحسين محمد بن أحمد الملطي الشافعي وهو معاصر لأبي علي ، وتوفي  
معه في عام واحد (٣٧٧ هـ) ألف كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع<sup>(٦)</sup>  
وفي ذلك دليل على ما ذاع في هذا العصر من قالة هؤلاء الملحدين ، وتجرد حماة الدين

(٢) مراتب النحويين الورقة ١٠٦ (٣) الكتاب : ٢٨٧/١

(٤) الكتاب : ٤٧٠/١ والصكريات ١٣٥ .

(٥) الكتاب : ٢٥/١ (٦) نفس المصدر : ٢٧٠/١ .

(١) قام بطبع هذا الكتاب السيد عزت المطار الحسيني (١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م)  
واظفر س (١ - ١٠) في التعريف بال المؤلف ومنهجه في البحث بقلم المرحوم محمد زاهد الكوثري

للد عليهم بالحجة والبرهان . كما تعرض ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) إلى هؤلاء الملحدین ، فأحب كما يقول : « أن ينضح عن كتاب الله ، ويرى من ورائه بالحجج النيرة ، والبراهين البينة ، ويكشف للناس ما يلبسون <sup>(١)</sup> » ، وربما حسب هؤلاء وكانوا يستمعون من العلماء <sup>(٢)</sup> ، أنهم يستطيعون العثور على أخطاء نحوية في الكتاب الكريم ، كما يقول دي بور <sup>(٣)</sup> .

قال يحيى بن المبارك اليزيدي : « كان يجيئني رجل فيسألني عن آيات من كتاب الله مشكلات ، وكنت أتبين العنت في سؤاله ، فكنت إذا أجبتة أرى لونه يربد ويسود ، فقال لي يوماً : « أيجوز في كلام العرب أن تقول : أدخلت القوم الدار ثم أخرجتهم رجلاً ؟ » فقلت : « لا يجوز ذلك حتى تقول : أخرجتهم رجلاً رجلاً ، فتدل على تفصيل الجنس » ، قال : فكيف قال الله تعالى : « ثم يخرجكم طفلاً ؟ » ، فقلت : « ليس هذا من ذاك ، لأن الطفل مصدر في الأصل : فهو يقع على الواحد ، والاثنتين ، والجمع بلفظ واحد ، فنقول هذا طفل ، وهذا طفل ، وهؤلاء طفل ، وهؤلاء طفل ، كما قال تعالى : « والطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء » ، وطفل في الآية موضع أطفال ، فكأنه قال : « ثم يخرجكم أطفالاً » ، قال فأخبرني عن قوله : « يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ، من أين لهم هذه الأرض هناك ؟ »

فقلت له : وهمت ! أما سمعت قوله تعالى : « يوم تبدل الأرض غير الأرض » ، فودوا أن تلك الأرض تسوى بهم ؟ فسكت ! <sup>(٤)</sup> .

وإذن كان من المعاندين نظر في كتاب الله ، وكان من المسلمين دفاع عن صحة أسلوبه ، وفهم متشابهه ، وأحرفه المختلفة ، وتجود ابن جني يرد هذه المطاعن في بعض ما أورد من كتابه المحتسب <sup>(٥)</sup> . وينص ابن بشار الانباري على أنه ألف كتاب الأضداد ليدفع ظن أهل البدع والزيغ <sup>(٦)</sup> .

(١) تأويل مشكل القرآن ١٧ وما بعدها (٢) تاريخ بغداد : ٥٦/١٤

(٣) تاريخ الفلسفة الإسلامية : ٣٧٠ .

(٤) أخبار أبي القاسم الزجاجي ورقة ١٥ .

(٥) انظر المحتسب : ١/٣٦٨ حيث يقرر ابن جني أن القراءات كلها مروية ، ويرد على من طعن عليها عند الاحتجاج لقراءة ( فولوا إليه وهم يمجزون ) .

(٦) انظر الأضداد للانباري : ٢

ومالى أذهب بعيداً ، وهذا أبو على صريح فى نصه الآتى على أنه صدر فى كتاب الحجة عن نزعة الحفاظ على كتاب الله ، ودفع ما قد يتوهم من اللحن فى قراءاته ، فبعد أن احتج لقراءة حمزة: ومكر السيم وإسكانه الهمزة فى الادراج ، وبني احتجاجه على إجرائهم الوصل بجرى الوقف كما فى قولهم هذا أفعويا هذا — قال ، فإذا ساغ ما ذكر فى هذه القراءة من التأويل لم يسغ لقائله أن يقول : «لأنه لحن ، ألا ترى أن العرب قد استعملت ما فى قياس ذلك؟ فلو جاز لقائل أن يقول إنه لحن لزمه أن يقول : إن قول من قال أفعو فى الوصل لحن ، فإذا كان ما قرأ به على قياس ما استعملوه فى كلامهم المنشور لم يكن لحناً ، ولذا لم يكن لحناً لم يكن لقادح بذلك قدح .

ثم قال : « وهذه القراءة وإن كان لها مخلص من الطعن فالوجه قراءة الحرف على ما عليه الجمهور فى الدرج <sup>(١)</sup> .

وبما يؤكد هذه النزعة من أبى على عندى أنه يقف هذا الموقف مع حمزة وهو من الائمة الكوفيين ، ثم تدعو البصرية أباً على إلى ترجيح القراءة بما عليه الجمهور وإن كانت قراءة حمزة خالصة من الطعن لجريانها على ما استعمله العرب فى نثرهم .

وسبب رابع : يؤيد ما سبق : هو أن المحتجين فى العهد الأول للقراءات بصريون : فأبو طاهر البزار بصري <sup>(٢)</sup> ، والنقاش الأنصارى بصري <sup>(٣)</sup> ، وكل من ابن السراج <sup>(٤)</sup> ، وأبى على الفارسى <sup>(٥)</sup> . وابن جنى بصري كذلك ، والبصرة كما تعلم متأثرة بالمذاهب الفلسفية ، وما شاع فى سكانها من مسائل المنطق <sup>(٦)</sup> ، ومن أجل ذلك ألف قطرب ( ٢٠٦ هـ ) كتاب ائرد على الملحدين فى متشابه القرآن <sup>(٧)</sup> أو فيما سأل عنه الملحدون من آى القرآن <sup>(٨)</sup> ، وألف ابن درستويه كتاب الاحتجاج للقراء ، وهو كما يقول ابن النديم فى الفهرست يتعصب للبصريين عصبية شديدة <sup>(٩)</sup> . وقد قدر الخاصة المثقفون ، والعلماء البصيريون عمل هؤلاء الائمة المحتجين ، فهذا

(١) الحجة : ١٩٠/٦ ن البلدية .

(٢) الفهرست : ٤٨ (٣) الفهرست : ٥٠ (٤) الفهرست : ٩٢

(٥) الفهرست : ٩٥ (٦) تاريخ الفلسفة : ٤٩ (٧) الفهرست : ٧٩

(٨) نفس المصدر : ٥٧ (٩) الفهرست : ١٣

أبو العلاء المعري ينصف أبا علي الفارسي في رسالة الغفران ، وقد اجتمع عليه قوم في الآخرة ، يتمرسون به ويطالبونه فيأمرهم أبو العلاء أن يكفوا عنه فلا يعنتوه لانه يمت بكتابه في القرآن المعروف بكتاب الحجة<sup>(١)</sup>.

هذه الاسباب العامة بجانبها أسباب خاصة بأبي علي دفعته إلى الاحتجاج للقراءات :

فالرجل عالم بالكتاب أولا<sup>(٢)</sup>. قارئ على أبي بكر بن مجاهد<sup>(٣)</sup>. الذي سبغ السبعة ثانياً<sup>(٤)</sup>. مقتف أثر أستاذه أبي بكر محمد بن السري في الاحتجاج لسبع ابن مجاهد ثالثاً<sup>(٥)</sup>. ثم هو أخيراً أوتي ضلالة في اللغة، والنحو، وتوجيه المعنى، والإعراب ، وتمرس برواية الاحاديث ، وبراعة في القياس ، وألم في كتبه السابقة للحجة بطائفة من الآيات القرآنية وتجه القراءات المختلفة فيها ، فكانت هذه الاسباب مجتمعة داعية لأبي علي أن يحتج للقراءات بدل أن تكون مفرقة في كتبه هنا وهناك<sup>(٦)</sup> : وحكم النظر والقياس دفاعاً عن القرآن ، ودفعاً للمفترين من المجوس والنصارى واليهود الذين سكنوا فارس<sup>(٧)</sup> الذي نشأ به وعاش الشطر الأكبر من حياته فيه . وأبو علي قصير النفس في تقديم الحجة ولكنه مع ذلك يجعل منهجه في الكتاب ويبين الاسباب التي دعت به إلى تأليفه في إيجاز ، فبعد أن حمد الله ، وصلى على خاتم النبيين ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ، وسائر الصالحين قال :

« أما بعد ( أطال الله بقاء الأمير الجليل عضد الدولة وتاج الملة وأدام له العزة والبسطة ، وأمددة بالتوفيق والتسديد ، وأيده بالنصر والتمكين ) فإن هذا كتاب نذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى ابن العباس بن مجاهد ( رحمه الله ) المترجم بمعرفة قراءات أهل الامصار بالحجاز

(١) رسالة الغفران : ١٥٤ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة : ١٣١/١ (٣) انظر طبقات القراء : ٢٠٧/١

(٤) المصدر السابق : ١٢٩/١ (٥) لوحة ٢

(٦) انظر المسائل المنثورة لوحة : ١٥٣، ١٥٩ ، والشرايات : لوحة ١٨ والصكريات ١٣٥ ثم الايضاح : ٣٤ ، ٤٣ ، ٦٦ في توجيهه على التوالي : فا كان جواب قومه إلا أن قالوا بالرفع والنصب ( الايضاح ٣٤ ) وما هو على الغيب بظنين أو بضنين - في باب ظن (٤٣ الايضاح) - لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر الايضاح : ٦٦ نحو ١١٢ : (٧) أحسن التقاسيم ٤٣٩

والعراق والشام ، بعد أن نقدم ذكر كل حرف من ذلك على حسب ما رواه وأخذنا عنه . وقد كان أبو بكر محمد بن السري شرع في تفسير صدر من ذلك في كتاب كان ابتداءً باملأته ، وارتفع منه بعض ( كذا ) ما في سورة البقرة من وجوه الاختلاف عنهم ، وأنا أسند إليه ما فسر من ذلك في كتابي هذا ، وإلى الله نرغب في تفسير ما قصدته ، والمعونة عليه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل<sup>(١)</sup> .

وفي هذا التقديم دلالات ؛ فكتاب الحجة مهدي إلى عضد الدولة ، وإذن فهو مؤلف قبل سنة ٣٧٢ هـ ، وهي السنة التي توفي فيها ذلك المليك<sup>(٢)</sup> . بل يبدو أنه مؤلف بعد سنة ٣٦٧ هـ . وذلك ما يدل عليه لفظ « تاج الملة » ، فقد لقب عضد الدولة به — فيما يقول الذهبي — في سنة ٣٦٧ هـ<sup>(٣)</sup> . وخطب بالملك سنة ٣٦٨ هـ على ما يذكر الشيخ ابن العميد<sup>(٤)</sup> . وهي السنة التي لحق فيها أبو علي بالخدمة الموسومة به<sup>(٥)</sup> . بعد أن استقر الأمر لعضد الدولة في بغداد .

ودلالة أخرى في ذلك التقديم : هي أن أبا علي بين منهجه في الحجة ، فهو يذكر ما ثبت عن ابن مجاهد في كتابه ( قراءات أهل الأمصار ) على حسب ما رواه ، وأخذ أبو علي عنه ، ثم يذكر كلام ابن السراج في الاحتجاج ، إلى أن استقل أبو علي به . وأرى أبا علي قد وفي بهذا النهج غاية الوفاء ، بل أنه ذكر هنا الخطوط الرئيسية من نهجه دون أن يتعرض له بالتفصيل والاستقصاء ، وإليك ما يبدو للباحث من نهج أبي علي في الحجة بشيء من البيان .

---

(١) الحجة لوحة ٢ (٢) انظر الكامل لابن الأثير : ٢/٩

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي حوادث ٣٦٧ هـ

(٤) انظر تاريخ المسلمين للشيخ جرجس بن العميد : ٢٣٧ ، ٢٣٨

(٥) انظر الإمتاع : ١٣١/١

## نهج أبي علي في كتاب الحجة

يبدأ أبو علي بنص أبي بكر بن مجاهد في كتابه القراءات، فيذكر اختلاف القراء في الحرف الذي يريد الاحتجاج له ، مرتباً ذلك على ترتيب آي القرآن الكريم في الحروف التي وقع الاختلاف فيها ، ثم يورد كلام أبي بكر بن السراج ، ثم ينهي الحكاية عنه ، ثم يصدر احتجاجه بكلمة : « قال أبو علي » .

وظل أبو علي يصطنع ذلك الأسلوب حتى وصل إلى آخر قوله تعالى : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للباقين » ، وبعد هذه الآية يستقل أبو علي بالاحتجاج ، فلا يرد ذكر ابن السراج ، وقد عقدت فصلاً بينت فيه أوجه التخالف والتشابه بين الشيخين في الاحتجاج .

ولا يعتمد أبو علي إلى اللفظ القرآني ، الذي وقع فيه الاختلاف بين القراء ، فيحدث عنه محتجاً له ؛ بل يتناول الآية التي وقع فيها ذلك الحرف ، فيحدث عن التفسير اللغوي لكلماتها ، مستقصياً المعاني التي تحملها هذه الكلمات ، مورداً لكل معنى سنده من القرآن الكريم ، مستدلاً بأقوال أئمة اللغة السابقين : التوزي ، والجزمي ، وأبي زيد ، وأبي عبيدة ، والسكري ، وأبي حاتم ، وثعلب .. ومستشهداً بما روى من الشعر ، جاهلياً وإسلامياً . وهكذا يمضي في الشرح اللغوي ، ثم يتبعه بتصريف الكلمة — إن كانت تحتل التصريف ، ذاكرة الآراء المحتملة ، مستدلاً على كل رأى بما لديه من نصوص قرآنية وشعر وأقوال ، ويذكر الرأى الذي يختار ويستدل عليه ، ثم يخلص من ذلك إلى الحديث فيما يتصل بذلك من مسائل النحو ، فيذكر آراء أئمة النحاة من أمثال الخليل ، وسيبويه ، والأخفش ، والمازني ، والجزمي ، والكسائي ، والفراء ، وثعلب ، والمبرد ؛ وينتصر لفريق دون فريق ، ويرى الرأى ويعززه بالأدلة والشواهد من القل والقياس ، وفي غضون كل بحث من هذه البحوث يستطرد بذكر قضايا ، ويستدل عليها حتى ينتهي من ألفاظ الآية على هذا النحو : لغة ، ونحواً ، وصرفاً ، وتفسيراً ، واحتجاجاً ، وتديلاً ؛ وقد يخطط ذلك كله بمسائل تتصل بالفقه ، والكلام ، والبلاغة .

ثم يعود إلى إعراب الآية ، وقد يذكر شيئاً من الأصول النحوية التي بني عليها توجيه الإعرابي .

وبعد هذه الجولة الواسعة المتقصية المستطردة يعود إلى الاحتجاج للقراء ، فيذكر الحجة لكل إمام ، راجعاً كل قراءة إلى أصل من أصول العربية .

ولم تختف شخصية أبي علي وراء هذه النقول التي يوردها للأئمة الأقدمين ، من علماء اللغة ، والنحو ، والصرف ، ومنشدي الأشعار ، ونقل الأخبار ، ورواة الآثار ، بل هو — عند ذلك — يبدو ماثلاً من وراء ستار ، ثم يسفر أمامك سفوراً في تعقيبه ، وتعليقه ، وتحليله ، وتعليله ، وتفنيده ، وتعزيده ، وقياسه ، وتنظيره ، وإغماضه ، وإبهامه ، وتشقيق المقال ، وبسط الجدال ، وتأصيل المذهب ، والمعالجة بالرأى ، ووفرة الاستشهاد ، ونزعة الاستطراد ؛ ويحمل بي أن أعطى مثلاً : مثلاً واحداً يتبين منه هذا الذي ذكرت :

مثال من استطراده ، واستيعابه ، وتقصيه :

الخطوات التي سلكها في الاحتجاج لاختلافهم في قوله تعالى :

« فتلقي آدم من ربه كلمات ، برفع الاسم ونصب الكلمات ، ونصب الاسم ورفع الكلمات »<sup>(١)</sup> :

١ — أورد ما ذكر ابن مجاهد في كتابه القراءات :

( أ ) من قرأ بنصب الاسم ورفع الكلمات وذكر أنه ابن كثير .

( ب ) من قرأ برفع الاسم ونصب الكلمات وذكر أنهم الباكون .

٢ — ثم بدأ احتجاجه مصدراً كلامه بقوله : « قال أبو علي ، » .

٣ — « لقي ، يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان غير مضعف .

٤ — واستشهد على هذه القضية بالآيات التي وردت في التنزيل :

( أ ) « فإذا لقيتم الذين كفروا ، » .

( ب ) « إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله ، » .

( ب ) « لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ، » .

٥ — إذا ضعفت العين تعدى إلى مفعولين ، وضرب أمثلة ، واستشهد بالآية

الكرمية : « ولقاهم نضرة وسرورا ، » .

٦ — ليس تضعيف العين هنا على حد : فرح وأفرحته وفرحته ، وخرج

وأخرجته وخرجته .

(١) الحجة ١٩/٢٠ : نسخة البلدية ، ٣١٦/١ نسخة مراد ملا .

٧ — أخذ يدلل على هذه القضية :

إذا قلت ألقيت كذا فليس بمنقول من لقيته ، كأشربته من شرابه .

٨ — ثم دلل على عدم نقله من لقيته بأنه لو كان كذلك لتعدى إلى مفعولين كما تعدى لقيت ، فلما لم يتعد إلى الثاني إلا بحرف الجر نحو : ألقيت متاعك بعضه على بعض ، علمت أنه استئناف بناء على حده ، وليست الهمزة همزة نقل ، كالتى فى قولك : ضربت زيدا وأضرته إياه ... فجعلوا ألقيته بمنزلة طرحته فى تعديده إلى مفعول واحد .

٩ — ثم تحدث عن مصدر لقيت ناقلا كلام أبى زيد فى ذلك .

١٠ — وجره ذلك إلى التحدث عن الآية :

وإن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا .

فذكر أن المعنى بالحياة الدنيا : بدلا من الآخرة .

١١ — وأكد تفسيره ذلك ، بالآية الكريمة الأخرى :

( أ ) و أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، أى بدلا منها .

( ب ) وبالآية : و لو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخفون ، أى بدلا منكم .

١٢ — وناظر الآيات السابقة كلها : و إن الذين لا يرجون لقاءنا ... و و أرضيتم بالحياة ... و و لو نشاء لجعلنا منكم ... بالآيات الكريمة :

( أ ) و إن يشاء يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين .

( ب ) و إن يشاء يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء ، كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين .

( ج ) و قول الراعى :

و أخذوا المخاض من الفصيل غلبَةً ظلماً ، و يكتب للأمير أفيلا ، .

( د ) و قول الآخر :

كسوناها من الربط اليماني ملاء ، فى بناءها فضول

أى بدلا من الربط .

١٣ — ثم عاد إلى تفسير الرجاء فى الآية : و لا يرجون لقاءنا ، ففسر لا يرجون

بلا يخافون ، و دلل على ذلك :



(١) بدليل عقلى : لأنهم لا يؤمنون بها ، فلا يوجلون منها كما يوجل المؤمنون المصدقون بها المعنيون بقوله تعالى : « إنما أنت منذر من يخشاها » .

(ب) وبالدليل الثقلى خليطاً بالعقلى : « إنما أنت منذر من يخشاها » ، وقال : « وهم من الساعة مشفقون » .

ويرتب على هذه المقدمات النتيجة الآتية حيث يقول :  
فيكون الرجاء هنا الخوف كما قال : « لا ترجون لله وقاراً ، وكما قال :  
« إذا لسعته النحل لم يرج لسعها » .

١٤ — ثم ذكر معنى آخر للرجاء ، وهو الرجاء الذى خلافه اليأس .  
واستشهد على ذلك بقوله تعالى : « قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور » .

١٥ — وذكر المحذوف فى الآية وقدره : « كما يئس الكفار من أصحاب القبور من الآخرة » ، وذكر علة المحذوف ، وأنها تقدم ذكر المحذوف .

١٦ — وقاس الحذف فى هذه الآية على قوله : « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات » ، حيث حذف المتأخر لدلالة ما تقدم عليه .

١٨ — ثم قدر محذوفاً آخر فى الآية : « كما يئس الكفار . . . لجعل اليأس من الحشر لا من الآخرة على حذف مضاف ويكون التقدير : كما يئس الكفار من حشر أصحاب القبور » .

١٨ — وناظر هذا الشرح فى تلك الآية بقوله تعالى :  
(١) « وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة ،  
أو نرى ربنا » .

(ب) « قد خسر الذين كذبوا بقاء الله » ،

(ج) « بل هم ببقاء ربهم كافرون » .

مفسراً لقاء الله فى هذه الآيات بالبعث .

١٩ — واستشهد على ذلك التفسير بقوله تعالى : « بل كانوا لا يرجون نشوراً » .  
وقوى رأيه بقول الله تعالى : « حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة » .

٢٠ — وأسله الكلام على معنى اللقاء فى الآيات السابقة إلى ما يلحقون فى قوله

تعالى : « تحيتهم يوم يلقونه سلام ، وذكر أنه على معنى يوم يلقون ثوابه ، إذ هم على العكس من أولئك الموصوفين بقوله تعالى : « فسوف يلقون غياً » .  
٢١ — وشرح حال هذين الفريقين : يلقى أحدهما الثواب ، ويلقى الآخر العقاب بقوله تعالى :

« الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم » ، أى ملاقو ثواب ربهم .  
خلاف من وصفوا بقوله : « لا يقدرُونَ على شئ مما كسبوا » . وقوله : « حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً » ، ونحو ذلك مما يدل على إحباط الثواب .  
٢٢ — ثم مضى يشرح قوله تعالى : « وأنهم إليه راجعون » ، بأنهم يصدقون بالبعث ولا يكذبون به ، مستدلاً بقوله تعالى فيما حكى عن المنكرين له فى نحو « إذا متنا وكنا تراباً وآبأؤنا أنما لمبعوثون » ، ونحو قولهم فيه : « إن هذا إلا أساطير الأولين » .  
٢٣ — ثم رجع يفسر الظن ها هنا بالعلم وفى قول المؤمن : « إني ظننت أنى ملاق حسابه » .

٢٤ — ثم فرق بين معنى الظن فى الآيتين : فى الآية الأولى : « الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم » ، أى ثوابه قال : « يجوز ألا يكون منهم القطع على ذلك والحثم به مستدلاً بقول إبراهيم :  
« والذى أطمع أن يغفرلى خطيئتي يوم الدين . . . » ، وأما الظن فى الآية الثانية : « إني ظننت أنى ملاق حسابية » ، فلا يكون إلا على العلم والتيقن مستدلاً بدليل عقلى أو عقيدى إذ يقول : « لأن صحة الإيمان إنما يكون بالقطع على ذلك والتيقن به ، والشاك فيه لا إيمان له » .

٢٥ — ثم عاد بعد هذا التشقيق إلى النقطة التى بدأ منها ، وقد بعد عنها — عاد إلى « لقيته ولاقيته » ، وضرب الشواهد :

(١) من القرآن الكريم على لاقيت : « واعلموا أنكم ملاقوه » ، والذين يظنون أنهم ملاقو ربهم . وعلى لقيت : « وإذا لقوا الذين آمنوا » .

(ب) وبالشعر : « يانفس صبرا كل حى لاق ، أى لاق منيته وأجله .

(١) فلاقى ابن أثى يبتغى مثل ما ابتغى

من القوم مسنى السام حدايده

(٢) وكان وإياها كحراث لم يفق

عن الماء إذ لاقاه حتى تهدأ

٢٦ — ثم جره التحدث عن الفعلين : لقي ولاقى إلى التحدث عن مصدرهما المضاف مستشهداً بقوله تعالى : ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرة من لقائه .

٢٧ — وهل الإضافة في لقائه : ( أ ) من إضافة المصدر إلى المفعول ؟  
( ب ) ومن إضافة المصدر إلى الفاعل ؟

وجوز الأمرين :

٢٨ — وضرب أمثلة لإضافة المصدر إلى المفعول بقوله تعالى :  
« بسؤال نعجتك إلى نعاجه » ، « وهم من بعد غلبهم سيغلبون » ، لأن الضمير للروم وهم المغلوبون .

وفسر الإضافة إلى المفعول في قوله : « فلا تكن في مرة من لقائه » بفهم الرسول ما ورد في القرآن الكريم كأنه قيل نخذها بقوة أى يجد اجتهد أعلن أنه أخذ بما أمر به وتلقاه بالقبول فالمعنى من لقاء موسى الكتاب فأضيف المصدر إلى ضمير الكتاب .

ووجه ذلك بقوله : وفي ذلك مدح له على امتثاله ما أمر به ، وتنبيه على الأخذ بمثل هذا الفعل كقوله : « اتبع ما أوحى إليك من ربك » ، وإذا قرأناه فاتبع قرآنه . ويجوز أن يكون الضمير لموسى في قوله من لقائه ، ويكون الفاعل محذوفاً ، والمعنى من لقاءك موسى ، ويكون ذلك في الحشر ، والاجتماع للبعث ، أو في الجنة ، فيكون كقوله ، فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها .

وفسر الإضافة إلى الفاعل بتجوز أن يكون الضمير لموسى والمفعول بمحذوفه وضرب لذلك أمثلة :

( أ ) إن تدعوهم لا يسمعون دعاءهم . « فالدعاء مضاف إلى الفاعل والمفعولون محذوفون .

( ب ) لقيت الله أكبر من مقتكم .

٢٩ — ثم انتهى من ذلك كله إلى مقايضة الإضافة في قوله « فلا تكن في مرة من لقائه » ، في حال إضافة الضمير إلى موسى ، بقوله تعالى : فتلقى آدم من ربه كلمات ، لأن موسى هو اللاحق كما أن آدم هو الملتقى .

٣٠ — ثم فسر التلاقى فى قوله تعالى : لينذر يوم التلاقى بأن يكون يوم تلاقى الظالم والمظلوم ، والجائر والعاقل ، وتلاقى الأمم مع شهدائها كقوله : ونزعنا من كل أمة شهيداً .

وشبه التلقى هنا بالجمع فى قوله تعالى : « يوم يجمعكم ليوم الجمع » وفى قوله : « ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه » ونحو ذلك من الآى .

٣١ — ودفع التوهم الذى قد يسبق إلى الذهن بأن يوم القيامة فيه التفرق لا الجمع بأن ذكر أن التفرق فى قوله : « ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون » تفرق بعد الاجتماع ، والتلاقى الذى أضيف اليوم إليهما ، وذلك بعد الأخذ للظالم من الظالم ، وأيد ذلك بقوله تعالى :

« فريق فى الجنة وفريق فى السعير » .

٣٢ — ووفق بين الفرار فى قوله تعالى : « يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه » ويوم الجمع ويوم التلاقى بأن ليس المراد بالفرار المضاف إليه اليوم الشراد ولا النفار ، وأنت قد تقول لمن تكلم فررت مما لزمك ، لا تريد بذلك بعداً فى المحل . وشرح الفرار فى هذه الآية : « يوم يفر المرء من أخيه ... » يعنى : « يوم يفر المرء من موالاته أخيه ، أو من نصرته ، أو من مسالة أخيه » واستدل على كل بالقرآن الكريم .

(أ) فالفرار من الموالاته : يدل عليه قوله : « إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا »

(ب) والفرار من النصرة : على حد ما كانوا يتناصرون فى الدنيا فيدل عليه قوله . يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئاً إلا من رحم الله .

(ج) والفرار من المسالة : يدل عليه قوله : ولا يسأل حميم حمياً .

٣٣ — وإذ قد فسر الفرار بأنه ليس المراد به الشراد ولا النفار دفع قراءة من قرأ يوم التناد وكان القارىء اعتبر يوم يفر المرء من أخيه فجعل التناد تفاعلاً من ند البعير إذا شرد ونفر — بقوله : « وليس ذلك بالوجه » وعلل عدم وجاهة هذا رأى بقوله :

(أ) ألا ترى أنه لا يسهل نددت مما لزمك ، ولا ناددت منه كما تقول : فررت منه

(ب) ونرى سيويه يستعمل في هذا المعنى فر كثير ولا يستعمل ند .

(ح) التنادى الذى عليه الكثرة والجمهور يدل عليه قوله :

١ — يوم يدعو الداعى إلى شيء نكر ٢ — يوم ندعو كل أناس بإمامهم

٣ — يوم يدعوكم فتستجيون بحمده . فالتنادى أشبه بهذه الآى .

وعلى لهذه القضية فقال :

ألا ترى أن الدعاء والنداء يتقاربان . واستشهد بقوله تعالى :

١ — إذ نادى ربه نداء خفياً .

٢ — فنادته الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب .

فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر .

فقد استعمل كل واحد من النداء والدعاء في موضع الآخر ، وليس التناد والفرار كذلك .

٣٤ — وبعد أن انتهى من بحث لنى — وما استطرد إليه — خلس إلى

الحديث عن الكلمات في قوله تعالى : « فتلقى آدم من ربه كلمات ،

فذكر أنها جمع كلمة ، والكلمة اسم جنس لوقوعها على الكثير والقليل .

ومثل لوقوعها على الكثير :

قال امرؤ لقيس في كلمته أى قصيدته

وقال قيس في كلمته يعنون خطبته

وقال ابن الأعرابى . لفلان كلمة شاعرة أى قصيدة .

وأما وقوعها على القليل : فان سيويه أوقعها على الاسم المفرد ، والفعل المفرد ،

والحرف المفرد وناظر الكلمة بالليل ، واستشهد بالقرآن الكريم على وقف الليل

على الكثير بقوله تعالى : وجعلنا الليل لباساً ، ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار

لتسكنوا فيه ، ولتبتغوا من فضله ، .

ومن وقوع الليل على القليل وهو مادون ليلة قوله تعالى : وإنكم لترون عليهم

مصبحين وبالليل .

ثم ذكر استعمال سيويه للكلام ، ودلل عليه ، وذكر أنه على هذا الذى استعمله

سيويه جاء التنزيل . وذكر الدليل من القرآن الكريم :

٣٦ — ثم أخذ يفسر الكلمات المذكورة في قوله « فخلق آدم من ربه كلمات ، مستشهداً بما فسرهُ المفسرون ، وبأقوال بعض السلف من المسلمين .

٣٧ — ثم انتقل إلى بيان المراد من الكلمات في قوله تعالى « ولما ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمن ، وحمل على قوله تعالى : « صدقت بكلمات ربه ، أى ( بالشرائع فأخذت بها ) .

٣٨ — ثم بين أن من الكلم ما يجعل على أنه قول في قوله تعالى :

( ا ) إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلته يعنى بها قوله والله أعلم .  
( خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون )

( ب ) « وتمت كلمة ربك الحسن على بنى إسرائيل بما صبروا ، يعنى بها قوله والله أعلم :

« وزيد أن نن على الذين استضعفوا فى الارض ، .

( ح ) وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا هو كقوله : « ما يبدل القول كدى » .  
( و ) « ألزمهم كلمة التقوى أى شرائعه التى أمروا بالآخذ لها ، واتمسك بها .  
أو لا إله إلا الله .

٣٩ — ثم ساقه الحديث إلى إعراب ( من الذين هادوا ) فى قوله تعالى : والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه . وربط الإعراب بالمراد من التحريف فى قوله : يحرفون الكلم كأنه قال :

« سماعون محرفين الكلم ، أو المراد بالتحريف ما كانوا يقصدونه فى قولهم : راعنا من السب ، وخلاف ما يقصد المسلمون ، .

٤١ — ثم انتقل إلى استعمال الكلام فى موضع النطق واستشهد .

٤١ — وأخيراً — وبعد هذه الجولة الواسعة — انتقل إلى الاحتجاج على الرفع والنصب فى كلمات آدم وكلمات . ومضى فى احتجاجه على هذا النحو من الاستطراد ، وذكر أقوال الأئمة للتدليل والاستشهاد ، وترجيح بعض هذه الأقوال على بعض .

ذلكم نهج أبى على فى الحجة ، وهو نهج فيه ثقافة عربية عالية ، ومعرض لعقيلة

أبي على وشخصيته ، ولكنه معرض مرهق ، وميداني ، يجهد من يطوف به  
أو يسير فيه :

مرهق بذلك الاستطراد الذي يسلك من موضوع إلى موضوع حتى ليغيب  
عنك الموضوع الأصلي الذي عقد من أجله الحديث ، وقد كنت في أغلب الأحيان  
أود التعرف على حجة لقراءة من القراءات فلا يتيسر لي ذلك إلا بعد عناء ، ومرور  
بما قال في الآية من مسائل نحوية ، ولغوية ، وصرفية ، وكثير منها لا يتصل إلا اتصالاً  
خفياً من بعيد ، ولولا الاستطراد ماوردت هذه المسائل في مواضعها من الكتاب .

ويجهد بحشده الآراء المختلفة للنحاة الذين سبقوه ، ومناقشة كل رأى مناقشة  
تقوم على مزج مسائل النحو بمسائل المنطق في عسر ، وإرهاق ، وتعقيد في التعبير .  
والقارئ لحجة أبي على لابد أن يكون متأنياً وإعياً : لأن الشيخ يكتب بعقله ،  
يقيس وينظر ، ويعمل حتى يثقب الخردل ، ويدلل ، ويستطرد حتى لكانه يشقق  
الشعرة ولكل كلمة موضعها ، ولها ميزانها .

وتتخلل كتاب الحجة فلا تجد من كلام الشيخ إلا القليل ، والكثير نقول من كلام  
الله ، والشعراء ، ونصوص من كتب النحاة — وبخاصة - يوييه — وشواهد نظمها  
نظماً عجيباً ، وقرن بينها في ترابط وتداع ، واتغل كل أولئك فيما هو بصده من  
من حديث ، فبدت هذه النقول جميعاً — وحدة متماسكة يشد بعضها بعضاً ،  
أو يناظر بعضها بعضاً ، أو يتخالف بعضها مع بعض . وهي في تناظرها وتخالفها  
وتآلفها كالبنيان المرصوص .

فإذا أردت التعليل لزعة الاستطراد عند أبي على وجدت من أسبابها :

(أولاً) : ما شاع في كتب المشتغلين بالعلم في هذا الزمان الذي عاش فيه أبو على ،  
والذي سبقه من لدن الجاحظ ، وابن قتيبة ، إلى أبي حيان التوحيدي المعاصر لأبي على .  
وبما لا شك فيه أن كتب الجاحظ كانت شائعة متداولة زمن الفارسي ، ونجد ابن  
جنى في الخصائص يذكر الجاحظ<sup>(١)</sup> . وهذا عبد الله بن حمود أبو محمد الزبيدي

الاندلسى تلميذ الفارسي كان مغرى بكلام الجاحظ حتى أنه « رضى بكتبه في الجنة عوضاً عن نعيمها »<sup>(١)</sup> .

وكان الميدان الذي يعمل فيه أبو علي ميداناً جافاً : ميدان النحو والصرف ، والتوجيه الإعرابي ، والتدليل المنطقي ، فاذا أضيف إلى ذلك أسلوب أبي علي وطريقته في التدليل ، وإشارته التطويل ، كان العناء الذي يحسه القارئ لكتابه الحجة ، فتجاوز بذلك حاجة القراءة إلى ما يحفظ عنه كثير من العلماء<sup>(٢)</sup> . وحتى منع كثيراً ممن يدعى العربية — فضلاً على القراءة — منه ، وأجفاهم عنه<sup>(٣)</sup> .

ومن المهم أن أبين أن هذه النزعة بلغت أشدها في الأجزاء الأولى من الكتاب ثم أخذت تتناقص تدريجياً ، ولعل السبب في ذلك أنه كان يحيل إلى النظائر السابقة دون ميل إلى التكرار<sup>(٤)</sup> .

(ثانياً) : يبدو أن أبا علي — وقد جاء بعد أستاذه ابن السراج — أراد أن يفيض بما عنده من علم وثقافة في الاحتجاج ، حتى يظهر فرق ما بين الرجلين ، والمدى الشاسع بين النزعتين ، وتلك كانت سنة أبي علي مع المعاصرين<sup>(٥)</sup> .

(ثالثاً) الجو الذي ألف فيه أبو علي كتابه الحجة ؛ فهو كما استظهرت آنفاً ألفه بعد أن استقرت الحال بعصدة الدولة ، ومن هنا كان الدرس المتأنى المتقصى ، المستوعب ، الجامع لثقافة العصر .

هذا الأسلوب من الإغماض والإيهام ، وهذه النزعة من الإطالة والاستقصاء أغضبت القراء ، وأجفهم عن الحجة ، وإذا كان ابن الشجري يقرر أن أبا علي يفسر أحياناً فيزيد تفسيره إشكالا<sup>(٦)</sup> . وأنه أحياناً يلغز فيهم<sup>(٧)</sup> . فماذا يكون موقف القراء؟

(١) بنية الوعاة : ٢٨٢

(٢) المحتسب : ٢٨٨/١ ، وانظر المحتسب

(٣) المحتسب : ٦٠

أيضاً : ٤٠٠/١ - ٤٠١ ، ٢٢٦/٢ - ٢٦١

(٤) يشير أبو علي كثيراً إلى ما تقدم كقوله : « قد قلنا فيما تقدم في الذرية أن يكون واحداً وجمعاً : الحجة : ٥٧/٤ ، وكقوله في : تأنيهم اللاتسكة بالياء والتاء » وقد تقدم هذا التحوف غير موضع انظر الحجة : ١٣٣/٤ - وفي تحقيق الهمزتين يقول : وقد تقدم القول في أوائل هذا الكتاب : ٢٨٩/٤ وانظر الحجة : ٣٦، ٣٥/٦ ، ٤٥ ، ٧٩ ، ١٣١، ٩٦ . ن البلدة

(٥) انظر في ذلك الحديث عن الاغفال (٦) امالي ابن الشجري : ١٨٢/١

(٧) المصدر السابق : ٣١٧/١



وقد رمى ابن خالويه أبا علي بأنه لا يفهم أحد ما يقول<sup>(١)</sup> . ولم يشأ أبو علي أن يتنصل من هذه ، بل أقرها معترأ بها .

وجاء الحجة بهذا بعيداً عن الأسلوب العلبي بما شاع فيه من إبهام ، وما غشيه من تكلف واستطراد ، ويبدو أن أبا علي لم يرزق حظاً من البيان ، فكان أسلوبه مهمل النسيج ، ضعيف الأسر فاستمع إليه — مثلاً — حين يقول :

رأينا الحركات إنما تلتقي على الحروف التي تكون قبل الحروف التي تنقل منها ، ولا تنقل إلى ما بعد الحروف المنقولة منها الحركة<sup>(٢)</sup>  
أو يقول في شرح البيت :

فلك بالليط الذي تحت قشرها .

د فلک بالقشر الذي فوق القلب الذي تحت القشر ليصون القشر القلب فلا ينشق<sup>(٣)</sup> وقد أصلح ابن جني ما أفسد الشيخ ، لجعل المحتسب سمحاً مقرباً على أهل القرآن ليحفظوا به ولا ينأوا عن فهمه<sup>(٤)</sup> ، ولا يلفظ عنهم<sup>(٥)</sup> .

## تفسير أبي علي للقرآن الكريم في كتابه الحجة

رحل أبو علي من بلاد فارس إلى بغداد على ما استظهرته ، وما يرويه المترجمون سنة ٣٠٧ هـ<sup>(٦)</sup> . وإذا كان ابن جرير الطبري مات ببغداد سنة ٣١٦ هـ على ما يرويه ياقوت في رأى ، وسنة ٣١١ على ما يرويه في رأى آخر ، فقد أدرك أبو علي الطبري شيخ المفسرين مدة لا تقل عن أربع سنوات ، وقد تصل إلى تسع .

\* \* \*

ولم يعرف أن أبا علي تلمذ لابن جرير الطبري ، فلم يذكر واحد من المؤرخين ذلك ، ولكن كانت هناك محبة بين الطبري ، وأبي بكر بن مجاهد ، شيخ أبي علي في القراءات

(١) الحلبيات : ٣٨ ورقة ٥ نحو

(٢) الحجة : ٢٦٠/١ مراد ملا (٣) الحجة : ٨٢٦/١ مراد ملا والبيت لأوس

ابن حجر يصف قوساً ترك صانعها شيئاً من القصر على قلبها تماهاً به ويكنها لئلا يبدو قلب القوس فينشق .

(٤) المحتسب : ٦/١ (٥) المصدر السابق : ٢٨٨/١

(٦) وفيات الأعيان : ٣٦/١

وكان أبو بكر معجباً بالطبرى أخذ القراءات عنه وكان لا يجرى ذكره إلا فضله<sup>(١)</sup>، ويروى عنه<sup>(٢)</sup>، ويثنى على قراءته<sup>(٣)</sup> ويصحر معه للطعام والترويح<sup>(٤)</sup>. وقد أدرك أبو علي ابن مجاهد المتوفى سنة ٣٢٤ هـ، وروى عنه القراءة عرضاً<sup>(٥)</sup> وربما كانت هذه الصلة بابن مجاهد الذى كان ذا مودة مع ابن جرير الطبرى - بعض مادفع أبا علي إلى التحدث فى التفسير، وابن مجاهد هو الذى نقل عن الطبرى قوله :

« انى أعجب من قرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يلتذ بقراءته<sup>(٦)</sup> إلى جانب هذا الدافع دوافع أخرى دفعت أبا علي إلى التفسير فى كتابه الحجة أجمعها فيما يلي :

(١) أبو علي يتعرض فى كتابه الحجة الى الإعراب ، والإعراب فرع المعنى ، واذن كان لا بد أن يلم أبو علي بالتفسير معرباً حتى يوجه الإعراب مرتباً إياه على معنى الآية المعربة .

(ب) ثم أن أبا علي موجه للقراءات ، والتوجيه يتطلب التفسير ، ذلك لأن الاحتجاج للقراءات يعتمد فيما يعتمد على شرح الآيات ، وتفسير المراد من الالفاظ التى وقع فيها الاختلاف عند القراء .

(ج) إلى أن نزعة الاستطراد التى عرف بها أبو علي ، والتى جرت به إلى تناول مسائل مختلفة — دفعته إلى أن يتناول فيما تناول — التفسير .

(د) وقد تحدث القدامى وجوب معرفة النحوى علم الكتاب، والسنة، والإبقي فارغاً بطلا لهما<sup>(٧)</sup>

(هـ) وأبو علي بعد ذلك متبحر فى المواد التى بها يكون التفسير ، وقد عدها صاحب البحر المحيط فى تقديم كتابه<sup>(٨)</sup> .

\* \* \*

(١) معجم الأدباء : ١٨ / ٦٦

(٢) المصدر السابق : ٦٣ (٣) معجم الأدباء : ١٨ / ٦٦

(٤) المصدر السابق : ١٨ / ٩٠ (٥) طبقات القراء : ١ / ٢٠٧

(٦) معجم الأدباء : ١٨ / ٦٣

(٧) بيان زغل العلم والطلب لشمس الدين الذهبي : ١٩

(٨) انظر البحر المحيط لأبى حيان ١ ص ٥ وما بعدها

ولم أر لأبي على كتاباً بعينه في التفسير ، وإن كان صاحب كشف الظنون عند الكلام على التفسير - ذكر جماعة من المفسرين الأقدمين ثم قال :  
ثم انتصبت طبقة إلى تصنيف تفاسير مشحونة بالفوائد محذوفة الأسانيد مثل أبي إسحق الزجاج ، وأبي على الفارسي<sup>(١)</sup>

\* \* \*

ولم يذكر الداودي المالكي أبا على في طبقات المفسرين ، على أن الرضی قد مدح أبا على في تفسيره الموسوم بمحقات التأويل ، وتعصب له<sup>(٢)</sup> .  
والذي ذكره الوراقون المترجمون متصلاً بعمل أبي على في التفسير<sup>(٣)</sup> كتابان . أحدهما : كتاب التبع لكلام أبي على الجبائي في التفسير نحو مائة ورقة .  
والآخر : كتاب تفسير قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة<sup>(٤)</sup> » :  
ولا أعد كتاب الاغفال لأبي على - من كتب التفسير فهو خاص بمسائل أصلها على الزجاج في معاني النحو على ما استظهرته في مكان آخر<sup>(٥)</sup> .  
ولئن فاتني الاطلاع على ما كتب أبو على في التفسير مستقلاً - إن كتاب الحجة يعني في التعرف على منهجه في التفسير أيما غناء .  
والكلام على منهج أبي على في التفسير يتناول عنصرين :  
( أ ) طريقته في شرح غريب القرآن ومكاته في ذلك بين من سبقوه وبخاصة أبو عبيدة في مجاز القرآن ، وابن قتيبة في غريب القرآن ، وتأويل مشكله . وأبو بكر محمد بن عزيز السجستاني .  
( ب ) ثم طريقته في تناول « النص القرآني » ، بالتفسير .

---

(١) كشف الظنون باب التفسير (٢) أعيان الشيعة : ٢٩/٢١

(٣) هذا يرد كلام الشيخ منير العشي في كتابه جامع علوم الشريعة من أن أبا على الفارسي لم يؤلف تفسيراً ، ولا أحد ذكر له في ترجمته شيئاً في التفسير .

(٤) معجم الأدباء لياقوت : ٢٤١/٧ (٥) انظر البحث الخامس بكتاب الاغفال

## تفسير أبي على لغريب القرآن

في كتابه الحجة ومكاته من أبي عبيدة ، وابن قتيبة ، وأبي بكر السجستاني

وأبو على في ذلك يستعرض المادة التي هو بصدد شرحها في آياتها القرآنية ، وما يحفظه من الشعر ، وكلام العرب ، وما نقله أو رواه عن الأئمة السابقين ، ثم يحمل من كل أولئك وحدة يفسر بعضها بعضاً ، ويستعين ببعضها على بعض ، في استطراد يخرج فيه من قول إلى قول ، وربما مزج الحديث عن الغريب بالتعريف ، ويعقب على ذلك كله مؤيداً بعض الأئمة أو معارضاً ، مستغلاً مسائل المنطق وقضاياها في تفسير الغريب القرآني .

وهو يعتمد غالباً في التفسير اللغوي على سيبويه<sup>(١)</sup> ، وأبي زيد<sup>(٢)</sup> ، والاختش وأبي عبيدة<sup>(٣)</sup> ، وأحمد بن يحيى ثعلب<sup>(٤)</sup> .

فأين أبو على بعد ذلك من أبي عبيدة ، وابن قتيبة ، وأبي بكر السجستاني \* ؟  
أبو على يروي ما يقول أبو عبيدة ، وربما أورد ما يقول ابن قتيبة من غير أن يشير إليه — وهو بعد ذلك — يزيد برواية أقوال سيبويه ، وأبي زيد ، والاختش وغيرهم من الأئمة ، واستشهاده بأحمد بن يحيى كثيراً ، وحديثه في مسائل التصريف والنحو ، وبمزجه كل ذلك بالقياس : ثم هو لا يروي ما يقول أبو عبيدة ، أو ابن قتيبة حسب ؛ بل يناقش ، ويرد ما قال أبو عبيدة إلى الأصول التي استقى منها<sup>(٥)</sup>

---

(١) انظر الحجة (نسخة البلدية) : ١٦٩/١

(٢) المصدر السابق : ٢٠٣/١ (٣) نفس المصدر : ١٦٩/١

(٤) الحجة (نسخة البلدية) : ٢٣٠/١

\* حاشية : اخترت هؤلاء العلماء في الموازنة بين طريقتهم ، وطريقة أبي على لما يأتي : أنهم يلقون ضوءاً على تطور القاموس القرآني منذ القرن الثاني حتى القرن الرابع : فأبو عبيدة يمثل القرن الثاني ؛ إذ توفي سنة ٢١٠ وقد قارب المائة ، وألف كتابه سنة ١٨٨ هـ (انظر معجم الأدباء : ١٩٨/١) وابن قتيبة يمثل القرن الثالث إذ توفي سنة ٢٧٦ هـ والسجستاني يمثل أوائل القرن الرابع توفي سنة ٣٣٠ هـ (٥) الحجة مراد ملا : ٢٠٤/١

أبو عبيدة في شرحه للغريب يستشهد بالقرآن الكريم ، وبالحدِيث الشريف ، ثم يتبعهما بالشاهد الشعري القديم ، أو بكلام العرب الفصيح ، وهو في ذلك قصير النفس لا يبلغ مبلغ أبي علي ، ثم هو لا يلتزم ذلك في كل الالفاظ .

وابن قتيبة في الغريب أقصر من أبي عبيدة نفساً ، وأما أبو بكر السجستاني فهو يقتصر — في الأعم الأغلب — على شرح الالفاظ بمرادفها من غير أن يعنى بتأييد ما يقول بالشواهد .

ويطول بي الحديث لو استشهدت على هذه الخصائص من كلام هؤلاء الأعلام ، ولكنى أضرب مثلاً واحداً في شرح كل منهم لكلمة هدى للتقين ؛ فهو يكشف عن اتجاه كل ، ومنهجه ، ثم أتبعه بما أرى من تعليق .

قال أبو عبيدة : هدى للتقين      أى بياناً للتقين اه (١)

وقال ابن قتيبة : هدى للتقين      أى رشد لهم إلى الحق اه (٢)

وقال أبو بكر السجستاني : هدى      أى رشد اه (٣)

فإذا أورد أبو علي ؟ : أورد ما قال سيويه . « قلنا يكون ماضم أوله من المصدر منقوصاً ؛ لأن فَعَلَ لا تكاد (٤) مصدراً من بنات الياء والواو ا . هـ .

وقال أيضاً : « قد جاء في هذا الباب يعني باب اعتلال اللام — المصدر على فعل قالوا هديته هدى ، ولم يكن هذا في غير هدى ،

ثم برهن على ما قال سيويه مستشهداً ومعلقاً ، وانتهى إلى أن الهدى والسرى والتقى — وفي التنزيل إلا أن تتقوا منهم تقاة — يكون هذا النحو قد استغنى به عن المصدر كما قالوا : « هو يدعه تركاً شديداً ،

ثم أورد اعتراضاً هر : لم لا يجعل تقاه في الآية مثل رماه ، فيكون حالاً مؤكدة ؟ ورد هذا الاعتراض .

ثم استشهد بقول أبي عبيدة السابق في تفسيره هدى للتقين ، ثم أورد قول أبي الحسن في أن من العرب من يؤنت الهدى .

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢٩ (٢) غريب القرآن — القرطبي : ١١

(٣) غريب القرآن للسجستاني : ١٩٠ ط صبيح

(٤) كذا — ولعل تجيء ساقطة .

ثم بين أن الفعل من الهدى متعد إلى مفعولين — يتعدى إلى الثاني منهما بأحد حرفي جر : إلى واللام ، واستشهد من القرآن الكريم .

وقايس ذلك بالفعل أوحى ، واستشهد كذلك<sup>(١)</sup> . . .

وقد رأيت في التفسير اللغوي يعتمد على ما ذكر ابن عباس ، وابن مسعود ، وقتادة ، وعلى ما حدث به عن شيوخه<sup>(٢)</sup> ، ذلك فوق نزعه في التحليل والتشقيق .

فإذا كان من نعرف من سبق أبا علي من أمثال ابن عباس ، وأبي عبيدة ، وابن قتيبة . . . يمثلون مدرسة الرواية في اعتمادها على المأثور من الحديث والشعر فإن أبا علي — في شرحه اللفظ القرآني — يمثل مدرسة التحليل الدقيق العميق في شمول واستيعاب .

وأقصد بالتحليل الدقيق ما يقوم به من الحديث عن تصريف الكلمة ، وإعرابها بموازنة بين الأقوال المختلفة ، وترجيح بعضها على بعض ، وإيراد الاعتراضات وردّها وتقليب اللفظ القرآني على وجوهه في معانيه التي يحتملها والتوفيق بين معان نرى النظرة العابرة أنها متدافعة متضاربة .

وأود ألا يفهم من لفظ الاستيعاب والشمول أنه شرح جميع الغريب من الألفاظ القرآنية كما فعل أبو عبيدة ، وابن قتيبة ، والسجستاني ، فإن هذا المعنى لا يستقيم مع اقتصاره على الغريب من الآيات التي وردت فيها قراءات مختلفة . وإنما أقصد بالاستيعاب والشمول هذا النهج الواسع النطاق ، البعيد المدى ، المتعدد الجوانب على ما شرحت آنفاً .

(ب) ثم أنتقل بعد ذلك إلى بيان طريقة أبي علي في تفسيره النص القرآني في كتابه الحجة .

يسلك أبو علي بعض الطرق الآتية في تفسيره :

(١) تفسير القرآن بالقرآن : وملاك ذلك أن القرآن كالشيء الواحد<sup>(٤)</sup>

وأن مجازه مجاز سورة واحدة ، وكلام واحد ، فقد يحمى الشيء منه في سورة ويحمى

(١) الحجة : ١٢٠/١ (٢) انظر تفسيره طبقاً عن طبق — الحجة : ٢٥٧/٧

ن البلدية ، وانظر تفسيره لمو لحديث ١٢٦/٦

(٣) انظر في ذلك شرحه للكلمات الكفر : الحجة ١٦٦/١ مراد ملا وسواء ١٦٨/١

وختم : ٢٠٨/١ والنبأ : ٣٠٢/١ وآدم : ٣٠٨/١

(٤) الحروف للرماني: لوحة ١٤

جوابه في سورة أخرى كقوله : « وقالوا مجنون وازدجر ، فجاء جواب ذلك في سورة أخرى : فقال : « ما أنت بنعمة ربك بمجنون (١) ،

وقد جعل ابن تيمية أحسن طرق التفسير ، « أن يفسر القرآن بالقرآن (٢) ، وأبو علي يستغل ذلك الطريق بما يدل على يقظة بعيدة ، واستحضار سريع تنداعي عنده الأشباه والنظائر ، ويدفع ما يوهم التضاد والضرائر — في موالاة ، وحفظ جيد للقرآن الكريم :

قال في تفسير قوله تعالى : « يوم يفر المرء من أخيه » :  
يعنى يوم يفر المرء من موالاة أخيه ، أو من نصرته ، أو من مساملة أخيه  
( ١ ) فالفرار من الموالاة يدل عليه قوله : « إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا .

( ب ) والفرار من النصرة على حد ما كانوا يتناصرون في الدنيا فيدل عليه قوله :  
« لا يغنى مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون إلا من رحم الله ،  
( ج ) والفرار من المساملة يدل عليه قوله : « ولا يسأل حميم حميلاً (٣) ،  
وانظر تفسيره الرجاء في قوله تعالى : « لا يرجون لقاءنا (٤) ،

ومن تداعى الأشياء عنده إيراد الآيات القرآنية التي تتضمن مادة واحدة مثل  
الآيات المتضمنة مادة ( النبأ ) : « عم يتساءلون عن النبأ العظيم ، « ونبتهم  
عن ضيف إبراهيم ، « ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ، « أنبتوني بأسماء  
هؤلاء ، « يا آدم أنبتهم بأسمائهم (٥) ...

ومن دفعه ما يوهم التضاد قوله : « فأما جمع من جمع بين قوله تعالى « الذين آمنوا  
وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ، وبين الآية الأخرى  
وهي قوله : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وقوله انهما متدافعان ؛  
لأن الوجمل خلاف الطمأنينة — فجعل وزها ب عما عليه الآيتان وما أريد بهما ،  
وذلك أن الاطمئنان إنما يكون عن ثلج القلب ، وشرح الصدر بمعرفة التوحيد  
والعلم به ، وما يتبع ذلك من الدرجة الرفيعة ، والثواب الجزيل ، والوجل إنما يكون

(٢) مقدمة في أصول التفسير : ٢٥

(١) الشرايات : ١٤

(٤) الحجة : ١/٣١٨ . مراد ملا

(٣) الحجة : ٥٦/٢ ن البلدية

(٥) الحجة : ٣٠٢/١ مراد ملا

عند خوف الزئج ، والذهاب عن الهدى ، وما يستحق به الوعيد ، فتوجل القلوب لذلك فكل واحدة من الحالين غير صاحبتهما ، فليس هنا إذا تضاد ولا تدافع ، وهذان المعنيان المتفرقان في هاتين الآيتين قد اجتمعا في آية واحدة ؛ وهى قوله : « تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء » ؛ لأن هؤلاء قد سكنت نفوسهم إلى معتقدهم ، ووثقوا به فانتفى عنهم الشك والارتياب الذى يعرض لمن كان خلافهم بمن أظهر الإسلام تعودا فحصل له حكمه دون العلم الموجب لثلج الصدور ، وانتفاء الريب والشك<sup>(١)</sup>

وأراه بهذا التدليل النقلى ، والمنطقى يصدر عن نزعة الدافع عن كتاب الله ، ودفع ما يلحق به الكائدون من شبهة التدافع والتضاد ، وهى النزعة التى انتهت إلى أنه صدر عنها فى كتابه الحجة ، وكانت سببا دفعته إلى تأليفه .

وأقرأ حديثه كذلك فى تفسيره « يوم يجمعكم ليوم الجمع » — بيوم التلاقى ، ودفعه ما يوهم التضاد بين المعنى الذى ذكره فى هذه الآية وقوله تعالى : « يوم يفر المرء من أخيه<sup>(٢)</sup> » ،

هذه أمثلة لبيان هذه الطريقة التى سلكها أبو على فى تفسير القرآن بالقرآن ومظاهرها المختلفة وما يتصل بها :

(٢) تفسير القرآن بقراءة أخرى : وقد كان ابن عباس يفسر القرآن ويستدل بقراءة على قراءة ، قال فى قوله تعالى : « ننشرها ثم نكسوها لحماً<sup>(٣)</sup> » : « لإنشارها لإحيائها ، واحتج بقوله تعالى : « ثم إذا شاء أنشره » ، وقد سلك أبو على هذه السبيل حيث يقول : مثلاً —

فأما قوله : « هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق » ، فهو فى المعنى كقوله : « ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها » ، وقوله : « وكل شيء أحصيناه كتاباً » ، أى كل شيء من أعمالهم كما قال : « وكل شيء فعلوه فى الزبر » ، وكل صغير وكبير مستطر ، وقال : « أحصاه الله ونسوه » ، وقال : « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً » ، وقال : ( وهنا موضع الشاهد )

(١) المصدر السابق : ١٥٢/١

(٢) الحجة : ٢٥/٢ وما بعدها ن البلدية ٣٢٠/١ نسخة مراد ملا

(٣) معاني القرآن للقراء : ١٣٧



« هنالك تتلو كل نفس ما أسلفت ، من التلاوة وهي قراءة حمزة والكسائي<sup>(١)</sup> .  
وانظر في ذلك صلة من قرأ يوم التناد بتفسير قوله تعالى : « يوم يفر المرء  
من أخيه<sup>(٢)</sup> » .

(٣) تفسير القرآن بالحديث الشريف : قال ابن تيمية : « فإن أعياك تفسير  
القرآن بالقرآن فعليك بالسنة ؛ فإنها شارحة للقرآن ، وموضحة له ...<sup>(٣)</sup> » ، وأعان  
أبا علي في سلوكه هذا المسلك أنه محدث<sup>(٤)</sup> ومثال ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى :  
« أفمن شرح الله صدره للإسلام ...<sup>(٥)</sup> » ، ويتصل بذلك أنه

(٤) يفسر مسنداً : وهو بذلك ينحو منحى الطبري في تفسيره ، وذلك قول  
أبي علي : حدثنا يوسف بن يعقوب الأزرق بإسناد عن مجاهد كلة التقوى « لا إله  
إلا الله<sup>(٦)</sup> » ، وانظر شرحه لقوله تعالى : « مصداقاً لما بين يديه من الكتاب » ، فقد  
حدث عن أحمد بن محمد البصري : قال حدثنا المؤمل قال : حدثنا إسماعيل عن أبي رجاء  
عن الحسن . .<sup>(٧)</sup> ، ويبدو أنه يحدث عن أحمد بن محمد البصري كثيراً<sup>(٨)</sup> .

(٥) ويفسر القرآن بأقوال بعض السلف : وذلك قوله في تفسير الكلمات  
المذكورة في قوله تعالى « فلتلق آدم من ربه كلمات » ، سئل بعض السلف عما يقول  
المنذنب فقال : يقول ما قاله أبوه آدم ، « ربنا ظلمنا أنفسنا ... الآية<sup>(٩)</sup> » ، وأعانه  
على ذلك أنه عالم بطريق السلف المفسرين<sup>(١٠)</sup>

(٦) كما ينقل في تفسيره عن المتأولين ، وهو إذا نقل عنهم يضيف إلى نقوله  
أدلة تبرز كيانه ، وتحدث عن شخصيته ؛ قال في تفسير قوله تعالى : « الذين يؤمنون  
بالغيب » .

قال بعض المتأولين : أى يؤمنون إذا غابوا عنكم ولم يكونوا كالمنافقين الذين  
يقولون « إنا معكم إنما نحن مستهزئون » ، ثم قال : ويقوى ما ذهب إليه هذا المتأول  
قوله : « الذين يخشون ربهم بالغيب » ، وقوله « وخشى الرحمن بالغيب » ، وقال الهدلى :  
أخالد ! ماراعيت منى قرابة فتحفظنى بالغيب ، أو بعض ما تبدي

(١) القمى : ٢٨٣/٣ (٢) الحجة : ٣٢٢/١ مراد ملا

(٣) مقدمة في أصول التفسير : ٢٥

(٤) تاريخ بغداد ومعجم الأدباء : ١٥٥/٧

(٥) الحجة : ١٢٤/١ مراد ملا (٦) الحجة : ٣١/٢

(٧) الحجة : ١٥٦/١ مراد ملا (٨) انظر الحجة : ٣٥٠/١ مراد ملا

(٩) الحجة : ٣٢٤/١ مراد ملا (١٠) الحجة : ٤٦٨/١

فالجار والمجرور في موضع الحال أى تحفظني غائباً ، ويخشون ربهم غائبين عن مراعاة الناس ، لا يريدن بإيمانهم تصنعاً لأحد ولا تقرباً إليه رجاء لماله . ولكن يخلصون لله <sup>(١)</sup> .

وفي هذا النص السابق ما يشير إلى طريقة أخرى من طرائق تفسيره تلك .

(٧) تفسيره كلام الله بالشعر : ولست في حاجة إلى أكثر من ذلك النص لتأييد ما أقول ، فأبو على لا يفتأ يفسر القرآن بالشعر ، فإن تلبست الأسباب التي تدفعه إلى هذه الظاهرة وجدت تلاحق الأئمة : ابن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ، والحسن البصري ، وسعيد بن جبير ، وبجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والسدى <sup>(٢)</sup> واتفاقهم على قول ابن عباس « الشعر ديوان العرب » <sup>(٣)</sup> وقد كان ابن عباس يرجع إلى الشعر في تفسيره للألفاظ القرآنية <sup>(٤)</sup> وكان يقول : « إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر ؛ فإن الشعر عربي » <sup>(٥)</sup> ، وإلى جانب ذلك ترى أن أبا على نحوى يستشهد على مذهبه بما أنشد الشعراء ، وأنه لغوى اتصل بكتب أبي زيد ، وأطراف بما لغيره <sup>(٦)</sup> وأنه بعد ذلك متصل اتصال صداقة وعلم بأبي نصر محمد بن هبة الله <sup>(٧)</sup> الشيرازي <sup>(٨)</sup> أحد الذين رووا حديث نافع بن الأزرق وسؤاله ابن عباس عن طائفة من الألفاظ القرآنية طالباً من ابن عباس أن يستدل على معناها من الشعر العربي القديم <sup>(٩)</sup> . ويتصل باستشهاد أبي على بالشعر في تفسير النص القرآني .

(٨) تفسيره بأقوال اللغويين ، قال : « وما يقوى الرفع في آدم أن أبا عبيدة قال في تأويل قوله : « فخلق آدم من ربه كلمات ، أى قبلها ، ثم بينى على ذلك فيقول : فإذا كان آدم القابل فالكلمات مقبولة .. الخ » <sup>(١٠)</sup> وهو هنا كذلك يزيد بما يدل على شخصيته .

(٩) كما يفسر القرآن بالدليل العقلي فأبر على في كتاب الحجة منطقي قياسي ،

(١) الحجة : ١٥٦/١ ن مراد ملا

(٢) التسهيل في علوم التزويل لابن جزى السكلي ٩/١ ط مصطفى محمد ١٣٥٥ هـ

(٣) الاتقان : ١٤٩/١ (٤) طبقات ابن سعد : ٢/٢١٢

(٥) المعجم الكبير لطبراني : ١٢٩/٩٧

(٦) الامتاع : ١٣١/١ (٧) الشيرازيات : ٨٥ (٨) طبقات القراء : ٢/٢٧٤

(٩) الاتقان للسيوطي : النوع السادس والثلاثون : ١٤٩/١

(١٠) وقد تقدم النص في التمثيل لظاهرة الاستطراد عنده .

لا يستمسك بالآثر في تفسيره ؛ بل يضيف إلى ذلك المنطق والقياس ؛ فمن المعاني التي أوردها في شرح المؤمن المهيمن أن يكون معناه المصدق أى المصدق الموحدين له على توحيدهم لإياه . يدل على ذلك قوله :

« شهد الله أنه لا إله إلا هو ،

ألا ترى أن الشاهد مصدق لما يشهد به ؟ كما أنه مصدق من شهد له ؟ فإذا شهد سبحانه بالتوحيد فقد صدق الموحدين <sup>(١)</sup> .

وهذا تفسير كما ترون بالدليل المنطقي الذى يجوز أن يوضع في صورة قضايا تؤدى إلى نتيجة .

(١٠) وحينما يستهدى أبو على الحس الإنسانى في تفسيره ، قال : وأما قوله « وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ، فليس المعنى على ما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين عندك ؛ لأن الأنبياء لا تكذب الصادقين ، ولكن المعنى : « ما أنت واقفاً ولا غير خائف الكذب في قولنا ، ولو كنا على الحقيقة صادقين عندك ؛ لما خلونا من ظنة منك في تهمة لك بأما قد كذبتك لفرط محبتك ليوسف ، وإشفاقك عليه ، وهذا المعنى متعالٍ في استعمال الناس <sup>(٢)</sup> »

هذه هي طرائق أبي على في تناوله النص القرآنى بالتفسير ، ولست أدعى حصر هذه الطرائق ، ولكن ما ذكرته يتردد في كتابه الحجة في كثرة ظاهرة تدعو إلى لحظها وتسجيلها .

ومن أجل ما تعرض أبو على في كتابه الحجة إلى تفسير كتاب الله لفظاً ونصاً اعتمد كثير من المفسرين عليه ، وأوردوا أقواله معتدين بها وقد رأيت هذا - مثلاً - في البحر المحیط لأبى حيان في مواضع متقاربات <sup>(٣)</sup> كما اعتمد عليه ابن القيم في كتابه « التبيان في أقسام القرآن » <sup>(٤)</sup> ، كما رأيت نظام الدين الحسن بن محمد النيسابورى يستعين بأبى على <sup>(٥)</sup> .

(١) الحجة : ١٥٦/١ مراد ملا ، ٣٩/٢ البلدية

(٢) الحجة : ١٥٤/١ مراد ملا

(٣) انظر مثلاً من الصفحات التحسين الأولى من الجزء الأول : ١٧ و ٢٠ و ٢٢ و ٢٥

٣٨ و ٤٦ و ٤٧ و ٤٩

(٤) انظر مثلاً التبيان : ١٠١ ، ١٢٥ ، ١٥٢ ، مطبعة حجازى ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م

(٥) انظر تفسير النيسابورى - غرائب القرآن و رغائب الفرقان على هامش الطبرى :

١٧٦/٤ ، ١٢/٥٢ مثلاً

## أبو علي المحدث والاحتجاج

كان أبو علي يقول : « قد سمعت الكثير في أول الامر ، وكنت أستحي أن أقول : اثبتوا اسمي ، <sup>(١)</sup> . وإذن فلأبي علي أساتذة محدثون سمع منهم الحديث <sup>(٢)</sup> أو شيئاً منه <sup>(٣)</sup> . ، وله كذلك تلاميذ أخذوا عنه : سمع من علي بن الحسين بن معدان <sup>(٤)</sup> الفارسي عن اسحق بن راهويه ، كما اتصل أبو علي بمحدثي زمانه ، وكاتبهم وإن لم يعدوا من شيوخه الذين سمع منهم ، من هؤلاء الذين اتصل بهم محمد بن هبة الله <sup>(٥)</sup> . وهو شيرازي <sup>(٦)</sup> . وكان محمد بن هبة الله هذا محدثاً وأحد الذين رووا حديث نافع بن الأزرق وبسؤاله ابن عباس عن أمثلة من الالفاظ القرآنية ، وطلبة من ابن عباس أن يستدل على معناها من الشعر العربي القديم <sup>(٧)</sup> . وقد رأيت أبا علي يحدث عن أحمد بن محمد البصري <sup>(٨)</sup> كثيراً <sup>(٩)</sup> .

أما الذين رووا عن أبي علي فمنهم محمد بن عبد الواحد أبو الحسن <sup>(١٠)</sup> . ، ومحمد بن عبد الواحد أبو عبد الله ابن زوج الحرة <sup>(١١)</sup> . ، وهلال بن المحسن <sup>(١٢)</sup> . والقاضي أبو القاسم التنوخي ، والجوهري <sup>(١٣)</sup> ، والأزهري ، وعلي بن محمد بن الحسن المالكي <sup>(١٤)</sup> .

(١) معجم الأدباء : ٢٥٥/٧ (٢) النجوم الزاهرة : ١٩١/٤

(٣) عقد الجمان لليعني ، القسم : ٤٠٠

(٤) في طبقات النحاة واللغويين لابن شهية الأسدي ص ٢٩٥ سمدان بدل معدان والصحيح ما أثبتته

(٥) لسان الميزان : ١٩٥/١ (٦) انظر الشيرازيات : ٨٥

(٧) انظر طبقات القراء : ٢٧٤/٣ (٨) الاقن : ١٤٩/١

(٩) طبقات القراء : ١٢٦/١

(١٠) انظر مثلاً الحجة : ٢٥٠/١ ن مراد ملا ٣١٧/٤ ، ١٣٩/٦

(١١) تاريخ بغداد : ٣٦١/٢ (١٢) المصدر السابق : ٣٦٠/٢

(١٣) نفس المصدر : ٧٦/١٤ (١٤) لسان الميزان : ١٩٥/٢

(١٥) تاريخ بغداد : ٢٧٥/٧

هؤلاء أساتذة أبي علي وتلاميذه المحدثون ، وتلك اتصالاته بأهل التحديث في زمانه ، على قدر ما أعانتني عليه المصادر — فإذا كانت نتيجة هذه الدراسة في كتابه الحجة ؟

تجلك هذه الدراسة في الحجة — متخذة المظاهر الآتية :

أولاً : — روايته الأحاديث في كتبه بأسانيدھا .

ثانياً : — توثيقه متون الأحاديث أو تضعيفھا .

ثالثاً : — فهمه الأحاديث فهما يتفق مع ذلك التوثيق أو التضعيف ، وتصحيحه فهم غيره لها .

رابعاً : — احتجاجة بالحديث في اللغة ، والنحو ، والصرف .

وسأضرب لهذه الأحوال أمثلة كاشفة تختصر التفصيل والاستقصاء .

(١) مثال روايته الأحاديث في الحجة بأسانيدھا قوله : « حدثنا أحمد بن محمد البصري قال : « حدثنا المؤمل قال : حدثنا اسماعيل عن كعب عن مجاهد : « ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال سماعة الغناء (١) . » ، وقد أورد أبو علي في تفسير طائفة من قوله تعالى : « وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » الإسناد الآتي : « قال أبو علي : حدثنا أحمد بن محمد البصري قال : « حدثنا المؤمل بن هشام قال : حدثنا اسماعيل ابن علي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله سبحانه وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » قال . « أقله رجل ، وقال عطاء : أقله رجلان (٢) . » وقد أوردت في الحديث عن ثقافة أبي علي اسناده للحديث : « رحم الله رجلا أصلح من لسانه » فليراجع هناك (٣)

(ب) مثال توثيقه متون الأحاديث أو تضعيفھا تعليقه على ما روى من أن النبي (صلى الله عليه) قرأ سورة النجم ، فأتى على قوله : « أفرايم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى » ، ووصل به تلك الغرائقة العلى ، وإن شفاعتهن لترجيى — تعليقه بقوله :

(١) الحجة : ١٢٩/٦ (٢) الحجة : ٣١٧/٤ ن البلدية

(٣) وانظر الحجة : ٢٣٦/١ ن مراد ملا

« هذا حديث مروي من أخبار الآحاد التي لا توجب العلم ، وذهب عامة أهل النظر فيما علمت إلى إبطاله ورده ، وأن ذلك لا يجوز على رسول الله ( صلى الله عليه ) على وجه ما رووه ، ولو صح الحديث وثبت لم يكن في هذا الكلام ثناء على آلهة المشركين ، ولا مدح لها . ولكن يكون التقدير . . . وإن شفاعتهن لترتجى عندكم ، لأنها في الحقيقة كذلك . . . (١) ، وذلك أيضاً مثال فهمه الأحاديث فهما يتفق مع توثيقها أو تضعيفها .

ومثله فهمه الحديث : « يعذب المصورون يوم القيامة ، وفي بعض الحديث : « ويقال لهم أحيوا ما خلقتم » . وقال : « يعذب المصورون ، يكون على من صور الله تصوير الأجسام ، وأما الزيادة فن أخبار الآحاد التي لا توجب العلم ، فلا يقدح لذلك في الإجماع على ما ذكرنا (٢) .

وقد فسر أحمد بن يحيى التذكير فيما رواه ابن مسعود : « ذكروا القرآن ، بأنه خلاف التأنيث ، وناقشه أبو علي في ذلك ، وبرهن على أن المراد به الموعظة والدعاء عليه ، كما قال : « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ، إلا أنه حذف الجار على القياس الذي ينبغي أن يكون عليه (٣) . . .

( د ) ومثال احتجاجه بالحديث في اللغة قوله : « الكفر القرية سميت لاجتماع الناس فيها ، وما ستر فقد جمع ، ومنه الحديث « تخرجكم الروم منها كفراً كفراً (٤) . وانظر شرحه لكلمة : أمين ، واستدلالة بالحديث على معناها (٥) .

---

(١) الحجة : ٤٥٤/١ ن مراد ملا

(٢) الحجة : ٣٥٦/١ ن مراد ملا ، وقد تنبه بعض الباحثين في زماننا إلى رأى أبي علي واعتمد عليه في جواز تصوير الأحياء ، وأن الحظر مقصور على تصوير الله تعالى تصوير الأجسام ( انظر سر الزخرفة الإسلامية للدكتور بهر فارس تهمة ٣١ ~ ٣٤ مطبعة المهد العلمي الفرنسي للآثار العرقية بالقاهرة ١٩٥٢ ) وانظر مجلة الأزهر ، المجلد الثالث والمصورون جادى الأولى ١٣٧١ هـ مقال : المسلمون والتصوير : ٤٦٨ . ولم يتفق الأستاذ الشيخ حسن مأمون مفتي الجمهورية العربية المتحدة مع أبي علي في تفسير هذا الحديث ( انظر صحيفة الأخبار عدد ١٩٥٥/١٢/١٥ )

(٣) الحجة : ٥١/٢ ، ٥٣ ن البلدية

(٤) النخص : ٧٨/١ (٥) الحليات : ٧٣/٧٢

كذلك رأيت يمتنع بالحديث في النحو والصرف ، فقد جاء الاحاد في الإضافة  
الجميع كقوله تعالى : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، وفي الحديث : « منعت  
العراق درهمها وقفيها ، (١) .

وقال : الأدب من الجمال : الكثير وبر الوجه ، فأما قول النبي ( صلى الله عليه  
وسلم ) يخاطب نساءه ، « ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدب » ، تخرج فتنبجها  
كلاب الحوآب ، فانه ضعف الأدب بفك الادغام لينخرج على مثال الحوآب (٢) .

وأود هنا أن أعلق على ما ذكره « يوهان فك » ، في كتابه العربية ، إذ يقرر أن  
أول من اعتمد على الأحاديث من حيث هي حجة في أمور اللغة هو النحوي ابن  
خروف الأندلسي ... مات في حلب في أوائل القرن السابع الهجري ، وتبعه في ذلك  
أشهر نخاة القرن السابع ابن مالك (٣) .

ومن قبل يوهان فك قال أبو الحسن الضائع في شرح الجمل : « وابن خروف  
يستشهد بالحديث كثيراً (٤) » . وقد وفق صاحب الخزانة الكلام على الخلاف  
في جواز الاستشهاد بالحديث على مسائل اللغة والنحو في صدر الخزانة (٥) .  
ولم يتعرض إلى موقف أبي علي في ذلك ، ويكاد الباحثون من أهل العربية يجمعون  
على أن ابن خروف له فضل سبق في الاعتداد بالأحاديث والاستشهاد بها ، ويبدو  
أن يوهان فك تابعهم في ذلك على النحو الذي رأيناه ، ولست أزعم هنا أن صاحبي  
أول من اعتمد على الأحاديث في الاحتجاج للغوي ، والنحوي ، والصرفي — لست  
أزعم ذلك ؛ لأن هذه قضية عريضة تستلزم استقصاء آثار النخاة الذين سبقوا  
أبا علي ، وليكني أكتفي بتقرير أن أبا علي سبق ابن خروف في الاحتجاج بالحديث  
والاستشهاد به في مسائل اللغة والنحو والصرف .

وأرى أن ابن خروف قد تأثر بأبي علي ؛ إذ كان نسبة العلي موصولا به ؛ فقد  
تلى ابن خروف على الخدب ، وكان أجل من أخذ منه (٦) . والخدب

---

(١) الحجة : ١٠١/٧ ن البلدية (٢) المخصص : ٧٩/٧  
(٣) العربية : يوهان فك ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار : ٢٢٦  
(٤) خزانة الأدب للبغدادى : ٦/١ (٥) راجع ص ٦ وما بعدها  
(٦) بغية الوعاة : ٣٥٤

هذا هو ابن طاهر <sup>(١)</sup> . أبو بكر محمد بن أحمد <sup>(٢)</sup> . وكان للخدب عناية بإيضاح أبي علي ، فعلق عليه <sup>(٣)</sup> ، واهتمام الخدب بالإيضاح كاف لاتصاله بأبي علي ، وتفسير تأثيره ، وتأثر تلميذه ابن خروف معه بالشيخ الفارسي ، وانتقال بعض منهجه إلى ابن خروف ومنه الاحتجاج بالحديث ، وقد أشرت إلى استشهاد أبي علي بالحديث واحتجاجه به في حديثي عن كتاب الإيضاح .

وتعليل هذا الاتجاه عند أبي علي ميسور : فهو قد جمع إلى ثقافته في اللغة والنحو والصرف — التحديث ، وإذن فهو يدرى حرص المحدثين على رواية الأحاديث ونحوى النقل فيها ، وضبط ألفاظها ، ثم هل كان عند أبي علي الأعجمي ثقة في رواية الحديث وهم أعاجم ؟ على أية حال فالنتيجة التي أريد الانتهاء إليها هي إثبات سبق أبي علي نحاة القرنين الخامس والسادس في الاحتجاج بالحديث ، والاستشهاد في اللغة والنحو والصرف جميعاً على الوجه الذي سلف به البيان .

### ( تبويب شواهد الحججة من القرآن الكريم والشعر )

وأبو علي حاضر الذهن في إيراد الشواهد محتجاً بها ، يوردها مفسوقة وكأنه ينظمها في سلك ؛ ليستقيم أمامك الدليل لؤلؤاً فريداً ، ويظهر التدليل عقداً نضيداً . وأكثر ما يستشهد أبو علي بالقرآن الكريم ، والشعر العربي القديم .

وقسمت ما يستشهد به في هذين : القرآن والشعر — إلى الجوانب الآتية :

أولاً : في القراءات : ( ١ ) محتجاً لقراءة أو ( ب ) مقوياً جانب قراءة من القراءات .

ثانياً : في المعنى : ( ١ ) محتجاً لمعنى كلمة أو ( ب ) مقوياً معنى ذكره .

ثالثاً : في الاعراب ، والتصريف ، والنحو ، واللغة :

( ١ ) بغية الوعاة : ٤٢٩

( ٣ ) انظر بغية الوعاة : ١٢

( ٢ ) المصدر السابق : ٤٣٢



رابعاً : في التعبير: وذلك حين يأتي بالشاهد ؛ ليستدل به على صحة تعبير ، وعدم جواز غيره .

خامساً : في التدليل على قضية منطقية .

ولايكم الامثلة الكاشفة عن كل جانب من الجوانب السابقة بالتفصيل فيما هو خاص بشواهد القرآن الكريم ، وأشار بعد إلى هذه الجوانب — وغيرها — فيما هو خاص بالشعر لإشاراً للاختصار .

### أولاً — في القراءات

(١) وهو حين يستشهد بالقرآن محتجاً لقراءة يستعرض ما جاء في القرآن من الآيات المختلفة التي يستغلها في البرهنة على ما هو بسبيله من الاحتجاج للقراءات فتأتي هذه الآيات نصاً فيما يريد ، ولا تحتل سواه .

ففي الاحتجاج لإثبات الألف وإسقاطها من قوله جل وعز ( لسحر مبين ) قال أبو علي : يدل على قول من قال سحر قوله : « فلما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون » .

ويدل على سحر قوله تعالى : « وقال الكافرون هذا ساحر كذاب (١) » .

(ب) وحينما يستشهد بالقرآن مقوياً جانب قراءة من القراءات ، وفي هذه الحال لا يحتاج بالآية ابتداء ، وإنما يأتي بها مقوية لما ساقه من دليل قبل ذلك ، قال :

« وما يشهد لمن قرأ ( مالك ) (٢) من التنزيل قوله تعالى : « والامر يومئذ لله » ، فإن قوله « الامر له » وهو « مالك الامر » بمعنى : ألا ترى أن لام الجر معناها الملك والاستحقاق ؟ وكذلك قوله : « يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً » يقوى ذلك « والتقدير : « مالك يوم الدين من الأحكام ما لا تملكه نفس لنفس » ، ففي هذا دلالة وتقوية لقراءة من قرأ مالك (٣) .

---

(١) الحجة : ٣٥٩/٤

(٢) في توجيه قراءة مالك يوم الدين

(٣) الحجة : ١١/١ البلدية

## ثانياً - في المعنى

(١) محتجاً لمعنى ذكره : فالدين في قوله تعالى : « مالك يوم الدين » ، معناه الجزاء ، بدلالة قوله تعالى : « اليوم تجزى كل نفس بما كسبت » ، « واليوم تجزون ما كنتم تعملون »<sup>(١)</sup> ،

والسلام في قوله تعالى : « يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام » ، أى سبل دار السلام بدلالة قوله : « لهم دار السلام عند ربهم . . . » ، ولما أن يراد بالسلام جمع سلامة كأنه دار السلام التي لا يلقون في حلولها غناً ولا تعذيباً كما قال : « الذى أحلنا دار المقامة من فضله ، لا يمسنا فيها نصب ، ولا يمسنا فيها لغوب »<sup>(٢)</sup> .

(ب) أو مقوياً معنى ذكره ، وذلك كإشارته إلى أن الله خص الإنسان بالخلق في قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق » ، تنبيهاً على تأمل ما فيه من إتقان الصنعة ووجوه الحكمة كما قال : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » ،

## ثالثاً - في الإعراب ، والتصريف ، والنحو ، واللفظ

(١) في الإعراب : كما ذكر في إعراب ( الذى ) في قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » — وأنه وصف للبضاف إليه دون الأول المضاف ؛ لأنه كقوله : « هو الله الخالق البارئ »<sup>(٣)</sup> ،

(ب) وفي التصريف : — قولهم آمن زيد يحتمل غير وجه : يجوز أن يكون أمنتَه فأمن فجاء المطاوع على ( أفعل ) كقولك كببته فأكب ، وفي التنزيل « فكبت وجوههم في النار » ، وفيه « أفن يمشى مكباً على وجهه . . . »<sup>(٤)</sup> ،

(ج) وفي النحو : وأما الفعل من الهدى فيتعدى إلى مفعولين : يتعدى إلى الثانى منهما بأحد حرفى الجر : « إلى أو اللام » . فمن تعديده بإلى قوله : « فاهدوهم إلى صراط الجحيم » ، ومنه قوله : « واهدنا إلى سواء الصراط » ، ومن تعديده باللام قوله : « الحمد لله الذى هدانا لهذا » وقوله : « قل الله يهدى للحق »<sup>(٥)</sup> ،

(٢) الحجة : ١٧٢/١ - ١٧٣ ن مراد ملا

(١) الحجة : ٢٧/١

(٣) الحجة : ٨/١ ن مراد ملا (٤) الحجة : ٢٠٧/١

(٥) الحجة : ١٧١/١ ن مراد ملا

( د ) وفي اللغة : قال : « وأما الخطيئة فتقع على الصغير ، وعلى الكبير . فن وقوعه على الصغير قوله : « والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين » ومن وقوعه على الكبير قوله : « وأحاطت به خطيئته <sup>(١)</sup> » ، ويقال استوقد وأوقد ، قال تعالى : « كمثل الذي استوقد ناراً » ، « وكلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله <sup>(٢)</sup> » ،

### رابعاً — في التعبير

وهو جانب يتصل بالصنعة النحوية ؛ ليجرى التعبير على سنن صحيح من العربية قال : « فإن قلت : أيجوز أن توقع الجملة التي من الابتداء والخبر موقع التي من الفعل والفاعل في نحو : « سواء على أقمت أم قعدت » ، فنقول : سواء على أدرهم مالك أم دينار ، وما أبالي أقائم أنت أم قاعد ؟ » ،  
فالقول في ذلك : أن أبا الحسن يزعم أن ذلك لا يحسن ، قال : وكذلك لو قلت : « ما أبالي أقوم أم تقعد لم يحسن ؛ لأنه ليس معه الحرف الذي يجزم ( الذي يحوله إلى الماضي ) وهم يصححون ما وقع ماضياً ، وبما يدل على ما قال أن ما جاء في التنزيل من هذا النحو جاء مع المثال الماضي كقوله تعالى : « سواء علينا أجزعنا أم صبرنا » ،  
« سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم » ،  
« سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم <sup>(٣)</sup> » ،

### خامساً — في التبريل النظري المنطقي

قال : « مثل الانذار في أنه ضرب من العلم — قولهم « اليقين » ، فكل يقين علم ، وليس كل علم يقيناً ، وذلك أن اليقين كأنه علم يحصل بعد استدلال ونظر ؛ لغموض العلم المنظور فيه ، أو لإشكال ذلك على الناظر يقوى ذلك قوله ( عز وجل ) : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين » ،

ثم ذكر بعد ما كان من نظره واستدلالة ، ولذلك لم يجوز أن يوصف القديم سبحانه به <sup>(١)</sup> .

أما شواهد الشعر في كتاب الحجة فهي غزيرة متنوعة ، وكان من الطبيعي أن يستكثر أبو علي من الشواهد الشعرية في ذلك الكتاب الضخم الذي عقده للاحتجاج ، والشعر ركن مهم من أركان هذا الاحتجاج ، وقد أورد أبو علي في الحجة من الأشعار ما لو جمع لكان كتاباً ضخماً قائماً بذاته .

كما دفع الاستطراد أبا علي إلى تنويع المقاصد التي يورد من أجلها شواهد الشعرية ، فهو يورد الشاهد :

(١) محتجاً لقراءة : كاحتجاجة على حذف حرف اللين بعد الميم ، واختياره على وصلها بحرف اللين في ( عليهم ) بقول الشاعر :

لا يبعد الله أصحاباً تركتهم لم أدر بعد غداة الأمس ما صنع  
وقول الشاعر :

لو ساوفتنا بسوف من تحيتها سوف العيوف لراح الركب قد قنع  
وقول عنتره :

يا دار عبلة بالجواء تكلم

فكما حذفوها في هذه المواضع ، كذلك حذفوها في عليهم ونحوه <sup>(٢)</sup> .

(ب) أو يورد الشاهد الشعري موجهاً معنى ذكره ، ولأعراباً ارتضاه <sup>(٣)</sup>

(ج) أو متحدثاً في تصريف كلمة <sup>(٤)</sup> ، أو مسألة نحوية <sup>(٥)</sup> .

(د) أو مدلاً على صحة تعبير ، وعدم جواز غيره <sup>(٦)</sup> .

(هـ) أو مبرهنأ على أمر نظري <sup>(٧)</sup> .

(و) أو يورد الشاهد الشعري متصلاً بالحديث عن أمر في العقيدة <sup>(٨)</sup> .

(١) الحجة : ٢٣٩/١

(٢) الحجة : ٥٠/١ ن مراد ملا (٣) انظر الحجة : ١٥٦/١ ن البلدية

(٤) انظر الحجة : ٧٢/١ ن البلدية (٥) المصدر السابق : ٢٠٥/١

(٦) نفس المصدر : ٢٥٢/١ (٧) انظر : ٢٤٠/١

(٨) انظر مثلاً الحجة : ٢٤٣/١

(ز) وكثيراً ما يناظر شواهد سيويه بشواهد أخرى يأتي بها من عنده تعزز شواهد الكتاب<sup>(١)</sup>.

(ح) أو يستشهد على صحة كلام سيويه ، فإن قال سيويه — مثلاً : « يقال دريت الشيء ودريت به ، وتعديه بحرف الجر أكثر في كلامهم . . . . يقول أبو علي محتجاً لذلك ، ومدللاً عليه بما أنشد أبو زيد :

وأصبحت من أسماء قيس كقابض على الماء ، لا يدري بما هو قابض<sup>(٢)</sup> وقد يكون (ر ، ح) مما يختلف فيه استشهاده بالقرآن الكريم ، على أن هناك أمراً آخر بعد هذين ، ذلك التحدث في أمر عروضي ، فهو كثيراً ما يستشهد بالشعر له ، كاستشهاده على جعلهم الهاء المتحركة بمنزلة الألف الساكنة ، فقول الأعشى :

د رحلت سمية غدوة أجالها ،

اللام فيه حرف الروى ، والهاء وصل<sup>(٣)</sup> ، وكحديثه في تخفيف ياء النسب في الشعر .<sup>(٤)</sup> وهكذا استطاع أبو علي بتنويع المقاصد التي يستشهد لها بالشعر — أن يصدق قول ابن نباتة : « من فضل النظم أن الشواهد لا توجد إلا فيه ، والحجج لا تؤخذ إلا منه ، أعنى أن العلماء ، والحكام ، والفقهاء ، والنحويين ، واللغويين ، يقولون قال الشاعر ، وهذا كثير في الشعر ، ، والشعر قد أتى به ، فعلى هذا الشاعر هو صاحب الحجة ، والشعر هو الحجة<sup>(٥)</sup> .

\* \* \*

وهو حيناً ينسب الشواهد إلى قائلها من الشعراء ، أو يسندها إلى منشديها من العلماء ، وحيناً يتركها غفلاً من ذلك .

نسب لامرئ القيس<sup>(٦)</sup> ، والنابعة<sup>(٧)</sup> ، وزهير<sup>(٨)</sup> ، وعدى بن زيد<sup>(٩)</sup> ، وليد<sup>(١٠)</sup> ،

(١) انظر الحجة ن البلدية : ١٥٨/١ والكتاب : ٣٥٧/١

(٢) الحجة : ٢٤٢/١

(٣) الحجة : ٤٦/١ ن مراد ملا (٤) الحجة : ٥٤/١

(٥) الإمتاع والمؤانسة : ١٣٦/٢ (٦) الحجة : ١٨٥/٧ ن البلدية

(٧) ١١٦/٤ ، ٢٩/٧ (٨) ١١٦/٧

(٩) الحجة : ٣١٤/١ ، ١٢٢ ، ٢٨ مراد ملا (١٠) ٨٠/٤

وعنترة<sup>(١)</sup>، والأعشى<sup>(٢)</sup>، وأميمة<sup>(٣)</sup> — من الجاهليين كما أنشد لأبي طالب عم النبي<sup>(٤)</sup>.

ومن الأمويين نسب إلى الفرزدق<sup>(٥)</sup>، وجريـر<sup>(٦)</sup>، والعجاج<sup>(٧)</sup>، ورؤبة<sup>(٨)</sup>، والاحظـل<sup>(٩)</sup>، والراعي<sup>(١٠)</sup>، والكـيت<sup>(١١)</sup>.

وهو حين يغفل نسبة الشواهد إلى قائلها يبدو أنه على علم بهم، بدليل أن هناك عدداً من هذه الشواهد معروف قائلوها لمن له صلة ما بالثقافة العربية فكيف بأبي علي؟ من ذلك قوله: وما جاء بغير الجار — يريد الفعل يذكر — قولها: يذكرني طلوع الشمس صخرًا وأذكره لكل غروب شمس!

والمعروف أن ذلك للخنساء، وهو ظاهر في غنى عن الإشارة، ولكنه أغفل ذكرها، وإن كان قد أوماً إليها. بتأنيث الضمير في قولها. واستشهاده بقول الشاعر:

«وعيد أبي قابوس في غير كنهه»، فلك أبي قابوس أضحي وقد نجز<sup>(١٢)</sup> فذلك للتأبغة وهو معروف.

وأبو علي إن شك في نسبة الشاهد أعلن ذلك، حيث يقول مثلاً: ألا ترى الكيت أو غيره قال<sup>(١٣)</sup> أو يقول: وقال ساعدة أو غيره<sup>(١٤)</sup>.

وقد لاحظت أنه يستشهد كثيراً بشعر الأعشى<sup>(١٥)</sup> ولعل ذلك لأنه حفظ له أكثر من غيره. كما لاحظت أنه يكثر من الاستشهاد بـ رجز العجاج<sup>(١٦)</sup>، ورؤبة<sup>(١٧)</sup>، وهما الراجزان المشهوران، والذان ورد ذكرهما كثيراً في نواذر اللغة التي اعتمد عليها أبو علي.

(١) نفس المصدر: ١/١٧٤، ٢٣٢ (٢) الحجة: ٧/٣٥٧ ن البلدية

(٣) الحجة: ١/٤٢٦ ن مراد ملا (٤) الحجة: ٤/٦ ن البلدية

(٥) الحجة: ٧/٢٥٧ (٦) الحجة: ٤/٣٢٨، ٦/١٩٦، ٧/١٣٩ ن البلدية

(٧) ٤/٣٣٧ (٨) ٦/١٨٢، ٧/١١٥، ٢٠٠

(٩) ٤/٣٦ ن البلدية (١٠) الحجة: ١/٢٠٠، ٢١٢ ن مراد ملا

(١١) نفس المصدر: ١/٢٢٠

(١٢) الحجة: ٦/٥١ ن البلدية (١٣) الحجة: ١/٢٢٠ ن مراد ملا

(١٤) المصدر السابق: ١/٤١٤

(١٥) انظر مثلاً من الجزء الأول: ٤٦، ٩٤، ١٤٦، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٦، ٣٩٤

ومن الجزء الرابع: ١٩، ٤٣، ١١٦، ١٣٣، ١٣٦، ١٦٦، ٢٠٠، ٢٤١، ٣٢٣، ٣٢٤

(١٦) انظر مثلاً الجزء الأول: ١٧٨، ٢٩٢، ٣٤٢، ٣٦٢، ٤١٤، ٤٧٤

(١٧) انظر مثلاً ٦/١٨٢، ٧/١١٥، ٢٠٠

ورأيته كذلك يذكر الروايات المختلفة في البيت <sup>(١)</sup> وربما ذكر أقوال المحدثين من الشعراء <sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

وأبو علي ينصب في إيراد الشواهد حتى لينسيه ذلك جلال المقام الذي يتحدث فيه ، والمهم الذي نصب نفسه له ، وعقد كتابه عليه ، فيذكر - مثلاً - الأبيات المكشوفة للناطقة في وصف المتجردة <sup>(٣)</sup> ! .

\*\*\*

هذا مجمل الحديث عن شواهد أبي علي ، أما الرواة الذين يسند إليهم والأشياخ من العلماء المنشدين فهو غالباً ما يسميهم :

أنشد لأبي الأسود <sup>(٤)</sup> ، والخليل <sup>(٥)</sup> ، وأبي شمر <sup>(٦)</sup> ، وأبي عثمان <sup>(٧)</sup> ، ومحمد ابن السرى <sup>(٨)</sup> ، وأبي الحسن <sup>(٩)</sup> ، وعلي بن سليمان <sup>(١٠)</sup> ، وأبي عبيدة <sup>(١١)</sup> ، والطوسي عن ابن الأعرابي <sup>(١٢)</sup> ، والسكرى <sup>(١٣)</sup> ، والأصمعي <sup>(١٤)</sup> .

وقد لاحظت أن أكثر من ينشد لهم رجلان :

أما أحدهما فأبو زيد <sup>(١٥)</sup> ، وأما الآخر فأحمد بن يحيى <sup>(١٦)</sup> .

وأبو حيان في الإمتاع يكشف لنا عن سبب استشهاد أبي علي بأبي زيد بهذه الكثرة الغالبة ، وذلك حيث يقول عنه : إنه لم يتجاوز في اللغة كتب أبي زيد <sup>(١٧)</sup> .

(١) انظر مثلاً الحجة : ٥٠/١ مراد ملا

(٢) انظر مثلاً : ١٨٢/١ (٣) الحجة : ٣١٤/١

(٤) ١١/٤ ن البلدية (٥) ٤٤/١ ن مراد ملا

(٦) ١١٧/٦ ن البلدية (٧) ٣١٢ ، ٢٨١/٤

(٨) ٥٤/٦ ، ٣٥٣/٤ (٩) ٩٣/٨ ، ٢٥٧/٤

(١٠) ١١٠/١ (١١) ١٦٠/٦ ، ٤٥/٤

(١٢) ٢١٦/١ (١٣) ٣١٢/١

(١٤) ١٩٢/٧

(١٥) انظر مثلاً : ١٧٨/٧ ، ٩٤/٦ ، ٢٥٧/٢ ، ٣١٠/١ ، ١٦١/٤ ، ١٢٣/٤ ، ٦٠/٤ ، ٤٢/١

(١٦) انظر الحجة مثلاً : ٤٤/١ ، ٥٢ ، ١٧٦ ، ١٠/٤ ، ٥١ ، ١٩٠/٧

(١٧) الإمتاع : ١٣١/١

وأما تعليل كثرة استشهاد أبي على بأحمد بن يحيى فيسور ، وذلك أن أحمد بن يحيى ثعلباً كان راوية أولاً ثم كان خصماً لمحمد بن يزيد المبرد<sup>(١)</sup> ثانياً والمبرد خاصم سيوبه ونقض عليه ، وأبو على يقدر الشيخ ثعلباً ، ويأنس إلى الاستشهاد بما أنشد ، مع أنه لم يكن يعلم مذهب البصريين ، ولا مستخرجاً للقياس ، ولا مطالباً<sup>(٢)</sup> له ، وربما كان جمل ثعلب بمذاهب البصريين سبباً في ما أقشع أبي على له في بعض الأحيان<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

## المسائل البلاغية في الحجة

يلم أبو على بطائفة من المسائل البلاغية في الحجة<sup>(٤)</sup> فهو يتحدث عن الالتفات ، ولام الصيرورة ، والتفصيل بعد الاجمال : الاطناب بعد الإيجاز ، وخروج كل من الأمر والاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معنى بلاغي آخر ، كما يتحدث عن ذكر الخاص بعد العام ، كما يشير إلى أن تقديم الجار والمجرور من طرق التخصيص : القصر .

وهذه أمثلة كاشفة لهذه المسائل التي ألم بها :

(١) الالتفات : — قال : وأما قول الشاعر :

وتضحك مني شبيخة عبشمية كأن لم ترني قبل أسيراً يمانياً  
فإنه بنشد ترى وترأفن أنشده ترى بالياء كان مثل : إياك نعبد بعد الحمد لله ، وقد يكون هذا قول الاعشى : « حتى تلاقى محمداً بعد قوله : فأليت لا أرتى لها<sup>(٥)</sup> » .

(ب) لام الصيرورة : — قال : وأما قوله : فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الآليم فإن قوله فلا يؤمنوا ولم يعطوا الأموال ليضلوا ويكفروا ، ولكن لما اختاروا ذلك ، فصار إليه عاقبة أمرهم كان بمنزلة قوله : « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم

(١) طبقات الزبيدي : ١٦٠ .

(٢) طبقات الزبيدي : ١٥٥ ، ١٥٦ (٣) انظر مثلاً الحجة : ٣٤٠/١ ن مراد ملا

(٤) سأشير إلى أنه يعلم بعض هذه المسائل في كتبه الأخرى

(٥) الحجة : ٦٠/٢ ن مراد . لا وانظر ١١٩/٦ ن البلدية



عدوا وحزنأ ، لما أدى التقاطهم إياه إلى ذلك ، وإن كان الالتقاط لغيره <sup>(١)</sup> .

(ح) التفصيل والاحمال (الاطناب والايجاز) : — أورد أبو على قول المتأولين في قوله تعالى : « والذين يؤمنون بالغيب » وقواه ثم قال : ويجوز لها وجه آخر ، وهو أن هذه الآية كأنها إجمال ما فصل في قوله : « والمؤمنون كل آمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والموصوفون فيها خلاف من وصف في قوله : « ومن يكفر بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً ، فكفرهم بالملائكة دعاؤهم إياهم بنات كما وبخوا في قوله : « أم اتخذ مما يخلق بنات » ، وقوله : « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً » . وكفرهم بالكتب إنكارهم لها في قوله : « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء » ، وكفرهم بإرسال الرسل إنكارهم لإرسالهم بنحو قوله تعالى : « وإنن أطعتم بشراً مثلكم » : « أهذا الذى بعث الله رسولا . وكفرهم بالآخرة : قولهم : لا تأتينا الساعة . قل : بلى وربى <sup>(٢)</sup> . فكل هذه الأمور غيب قد أنكروه ودفعوه ، فلم يؤمنوا به ، ولم يستدلوا على صحته ، فقال تعالى : « الذين يؤمنون بالغيب ، أى بهذه الأشياء التى كفر بها هؤلاء الذين ذكر كفرهم بها عنهم .

(د) ذكر الخاص بعد العام : — وخصهم بالإيمان بالآخرة في قوله : وبالآخرة هم يوقنون ، وإن كان الإيمان بالغيب قد شملها ، ولما كان من كفر المشركين وجحدهم إياها في نحو ما حكى عنهم في قوله : « وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، فكان تخصيصهم بذلك مدح لهم <sup>(٣)</sup> . ونظير ذلك فى أنه خص بعد ما عم قوله : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، فعم بقوله خلق جميع مخلوقاته ثم خص فقال : خلق الإنسان من علق . فالذى وصف للبصاف إليه دون الاول المضاف ، لانه كقوله هو الله الخالق البارى ، ثم خص ذكر الانسان تنبيهاً على تأمل ما فيه من اتقان الصنعة ، ووجوه الحكمة كما قال : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون <sup>(٤)</sup> .

(١) الحجة : ١٥٤/١

(٢) المصدر السابق : ١٥٦/١ وما بعدها

(٣) المصدر السابق (٤) اظفر الحجة ٨/١ مهرا ملا

( هـ ) تقديم الجار والمجرور من طرق التخصيص ( القصر ) : — ويقرب من هذا قوله الرحمن الرحيم حيث أريد تخصيص المسلمين بالكرامة في قوله : « وكان بالمؤمنين رحيماً »<sup>(١)</sup> . وقد شرح ذلك في موضع آخر ؛ إذ يقول في قوله : « بسم الله الرحمن الرحيم ، الرحمن أبلغ من الرحيم بدلالة أنه لا يوصف به إلا الله سبحانه ، وذكر الرحيم بعده لتخصص المسلمين به في قوله : « وكان بالمؤمنين رحيماً » .

( و ) خروج كل من الامر والاستفهام عن معناها الحقيقي إلى معنى بلاغى آخر : — قال : المراد بالامر في اهدنا سؤال واستنجاز<sup>(٢)</sup> .

وقال في قوله تعالى : « سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم ، لفظه لفظ الاستفهام ، ومعناه الخبر<sup>(٣)</sup> .

وجعل الاستفهام في قوله : « أم اتخذ ما يخلق نبات ، لتوبيخ<sup>(٤)</sup> . ، وفي قوله تعالى : « أهذا الذى بعث الله رسولا ، للانكار<sup>(٥)</sup> .

وأحيانا تكون له خطوات ذهنية في تقويم الكلمة ومدى ما يكون لها من إشعاع وذلك قوله — مثلا — وكان قول الله ( عز وجل ) في الكفار : « ولكن لا يشعرون » ، أبلغ في الذم للبعث عن الفهم من وصفهم بأنهم لا يعلمون ، لأن الهميمة قد تشعر من حيث كانت تحس ، فكأنهم وصفوا بنهاية الذهاب عن الفهم وعلى هذا قوله سبحانه : « ولا تقولوا لمن قتل في سبيل الله أموات بل أحياء ، ولكن لا تشعرون » فقال : « ولكن لا تشعرون ولم يقل ولكن لا تعلمون ، لأن المؤمنين إذا أخبرهم الله ( عز وجل ) بأنهم أحياء علموا أنهم أحياء ، فلا يجوز أن ينفي الله ( عز وجل ) العلم عنهم بحياتهم ، إذ كانوا قد علموا ذلك بأخباره إياهم وتيقنوه ، ولكن يجوز أن يقال . ولكن لا تشعرون ، لأنهم ليس كل ما علموه يشعرونه ، كما أنه ليس كل ما علموه يحسونه بحواسهم ، فلما كانوا لا يعلمون بحواسهم حياتهم ،

(١) الحجة : ١٥٦/١ وما بعدها (٢) ٧٢/١ ن البلدية

(٣) الحجة : ٢٤٦/١ ن البلدية

(٤) انظر الحجة : ١٥٨/١ مراد ملا (٥) الحجة : ١٥٦/١ وما بعدها ن البلدية

وأن كانوا علموه بأخبار الله إياهم وجب أن يقال لا تشعرون ، ولم يحز أن يقال ولكن لا تعلمون على هذا الحد<sup>(١)</sup> .

هذا وقد ألم أبو على ببعض مسائل التشبيه<sup>(٢)</sup> ، والاستعارة<sup>(٣)</sup> . فإذا أردت التعليل للمسام أبي على بهذه المسائل البلاغية — وقد يكون بعضها من أولياته التي لم يسبق إليها — فيما أعلم — أقول إذا أردت تعليل ذلك كان الأمر ميسوراً ، فهو يرجع فيما أرى — إلى ثقافة أبي على ، وحفظه الواعي للقرآن الكريم ، والشواهد العربية ، وسرعة استحضاره الأشباه والنظائر ، والأضداد والضرائر . أقول هذا لأطبق عليه ما أورده في الالتفات ولام الصيرورة ، والتفصيل في موضع الإجمال في آخره فهذه أمور أتصل الكلام فيها — أكثرها أتصل — بالشواهد المتناظرة والمتضادة ، وأودأن نرجع إليها لنرى التناظر في الالتفات ، ولام الصيرورة ، والمضادة في التفصيل والإجمال ( الإطناب والإيجاز ) .

وكذلك حديثه عن العام والخاص يرجع فيما يبدو إلى ذلك السبب ، مضافاً إليه نزعة المنطقية ، واتجاهه العقلي فيما يتناوله من مسائل : فالخاص والعام اصطلاحان منطقيان ، وقد يمت حديثه في تقويم التعبير بقوله « لا يشعرون » بدلاً « لا يعلمون » ، إلى ذلك الفقه اللغوي لمعنى اللفظين ، وإلى ذلك النزوع العقلي المنطقي وهنا أعود إلى قوله : « ليس كل ما علموه يشعرونه » كما أن ليس كل ما علموه يحسونه ، فهاتان قضيتان حيلتان ، كل منهما سالبة جزئية<sup>(٤)</sup> .

ذلك — فيما أرى بعض ما هيا له أن يتناول هذه المسائل البلاغية بما تناول على النحو الذي مر بنا من قريب<sup>(٥)</sup> .

وليس من شك في أن الجرجاني تأثر بأبي على تأثراً ما ، ألم يكن ابن أخت الفارسي أستاذاً للجرجاني ؟ ألم يتوفر الجرجاني على شرح الإيضاح للفارسي ؟

---

(١) الحجة : ١٨٠/١ ن مراد ملا (٢) انظر ص ٢٠٤ مراد ملا

(٣) لوحة ٢٣٠ مراد ملا

(٤) انظر الاشارات والتنبيهات لابن سينا ١٦١ ، ١٦٢

(٥) اقرر ذلك معترفاً به بالتقدم في هذا الباب ، وإن كانت النظرة الحديثة لا تفرج مزج المسائل البلاغية بالنزعات المنطقية .

لم يستشهد الجرجاني بأبي على الفارسي في غير دفعة من كتابه دلائل الإعجاز<sup>(١)</sup> .  
على أنى استنتج صلة بين شخصية عبد القاهر في كتابه دلائل الإعجاز في المعاني  
وكتاب الشيخ أبي على الفارسي ، المسائل المصلحة فيما أغفله الزجاج من المعاني ،  
فبعد القاهر يهتف بفضل النحو ، ويدفع عنه ، ويبين مكانه في المعاني<sup>(٢)</sup> . وأبو على  
يتعقب الزجاج في المسائل المصلحة — وأكثر هذه المسائل يدور حول مسائل  
نحوية كان لها الأثر في المعاني<sup>(٣)</sup> .

### المنطق وظهوره في الحجة

يفسر أبو على لفظ المنطق بالفكر<sup>(٤)</sup> ، وهو بهذا يتصل بتعريف المناطق للإنسان  
بأنه حيوان ناطق ، وكان المنطق في كتاب الحجة أكثر ظهوراً منه في أى كتاب  
آخر من كتب أبي على — التي أطلعت عليها — ، وذلك أن الغرض من الحجة  
التدليل والتعليل ، ثم كان لا بد له أن يقيس أوجه القراءات المختلفة ، ويخرجها  
على ما يشبهها من الأصول المقررة ، أو المسموع من كلام العرب .

ومكن لأبي على في المنطق أنه حنفي ، ثم هو معتزلي ، والمعتزلي جدل<sup>(٥)</sup> ، ولعله  
اقتنى أثر شيخه أبي بكر بن السراج الذي درس المنطق<sup>(٦)</sup> ، إلى أن البيئة العامة  
كانت بيئة جدلية فلسفية يستعان فيها بالمنطق ومسائله على مقارعة الحجة ، وقد قرر  
ابن قتيبة من قبل أبي على أن « أرفع درجات لطيفنا أن يطالع شيئاً من تقويم  
الكواكب ، وينظر في شيء من القضاء ، وحَدُّ المنطق ، ثم يعترض على كتاب الله  
بالطعن ، وهو لا يعرف معناه<sup>(٧)</sup> .

ولئن كان الطاعون يتخذون المنطق وسيلة لأغراضهم إن أبا على اتخذها وسيلة

(١) انظر مثلاً دلائل الإعجاز : ٣٥٣ ، ٣٨٥

(٢) انظر مثلاً دلائل الإعجاز ص ٢٣ ، ٦

(٣) انظر بحث كتاب الاغفال في موضعه من هذه الرسالة

(٤) المخصص : ١١٤/٢ (٥) انظر يتيمة الدهر : ١٠٦/٣

(٦) الفهرست : ٩٢ (٧) مقدمة أدب الكاتب : ٣

لرد كيدهم في نحورهم ، فكان ذلك سببا من أسباب شيوع المنطق في كتاب  
الحجة بخاصة .

ولفظ الحجة ( اسم الكتاب ) موح بالمنطق ، فالشيء الموصل إلى التصديق  
المطلوب يسمى حجة<sup>(١)</sup> ، ويفسر هذا الجرجاني إذ يعرف الحجة بأنها ما دل به على  
صحة الدعوى ،<sup>(٢)</sup> .

وتكثر الالفاظ المنطقية في الحجة : كالاستدلال ، والنظر<sup>(٣)</sup> ، والأدلة والدلالة<sup>(٤)</sup> ،  
والوجه ، والحد ، والحجة ، والقسمة ، والغلط<sup>(٥)</sup> ، والقياس ، والعلة ، والشياع ،  
ومعنى الجنس ، وخلاف الخصوص وأشبه الوجوه<sup>(٦)</sup> . . . . . كما يتجلى  
المنطق كذلك في هذه الاعتراضات التي يوردها ثم يدفعها أدلة يقيس عليها ما رآه<sup>(٧)</sup>  
تتجلى المنطقية — أيضاً — في القسمة العقلية ، فتراه يورد الأوجه المحتملة ، ثم يصححها  
جميعاً<sup>(٨)</sup> ، أو يبطلها إلا واحدة يتعلق بها الحكم فيصححها<sup>(٩)</sup> . وأول ما عني به أبو علي  
من مسائل المنطق « القياس » ، وهو ما سأتناوله بالبيان فيما يأتي :

## أبو علي والقياس

القياس لغة تقدير شيء على مثال شيء آخر ، وتسويته به<sup>(١٠)</sup> ، وعند المناطق أن  
يحاول الحكم على شيء بحكم موجود في شبيهه ، والقياس قديم عند النحاة لأولين<sup>(١١)</sup> ،  
فهم يقولون عن عبد الله بن أبي اسحق أنه أول من بعج النحو ، ومد القياس<sup>(١٢)</sup>

(١) الاشارات والتنبيهات للرئيس ابن سينا القسم الأول : ٢٦

(٢) التعريفات للجرجاني : ٧٢ (٣) الحجة : ١٧٤/١ مراد ١٠

(٤) الحجة : ١٩٠/١ مراد ١٠ (٥) الحجة : ١١٠/١ البلدية

(٦) الحجة : ٣٧/١ بلدية (٧) انظر الحجة : ٢٥/١ وما بعدها البلدية

(٨) انظر الحجة : ٢٣١/١ البلدية

(٩) انظر مثلا الحجة : ١٦٠/١ ن مراد ١٠

(١٠) ارشاد الفحول للشوكاني : ١٨٤

(١١) الاشارات والتنبيهات لابن سينا القسم الأول : ٢٠٧

(١٢) طبقات الزبيدي : ٢٥

والعلل<sup>(١)</sup>، وكذلك كان كل من عيسى بن عمر بن العلاء<sup>(٢)</sup> وجاء الخليل ومكنته ثقافته وببنته أن يكون الغاية في تصحيح القياس، واستخراج مسائل النحو وتعليقه<sup>(٣)</sup>، واستنبط من ذلك ما لم يستنبطه أحد<sup>(٤)</sup>، وكان لابي زيد فضل معرفته بمقاييس النحو<sup>(٥)</sup>، وكذلك كان ليونس بن حبيب مذاهب وأقيسة تفرد بها<sup>(٦)</sup>.

أما إمام النحاة فكثيرا ما يشبه — في الكتاب — مثالا بمثال، ويجرى على أحدهما ما يجريه على الآخر، لاشتراكهما في العلة<sup>(٧)</sup> وأقرأ نصه الآتي، والحظ مقايسته بين رأى العلية، وأن وأخواتها لاشتراك كل في الدلالة على معنى، قال: « وإذا أردت رؤية العين لم يجز رأيتي، لأنها حينئذ بمنزلة ضربت، وإذا أردت التي بمنزلة علمت صارت بمنزلة أن وأخواتها، لأنهن لسن بأفعال، وإنما يجئن لمعنى، كذلك هذه الأفعال إنما جئن لعلم أو شك، ولم يرد فعلا سلف منه إلى إنسان يبتدئه<sup>(٨)</sup> ».

ويطول في الحديث إن ذهب أستقصى ما أورد سيبويه في الكتاب من أمثلة القياس، وحسبي ما ذكرت.

واستمر ظهور القياس عند النحاة — بعد سيبويه .. دليلا على براعتهم في النحو، ورسوخ قدمهم فيه، فسعيد بن مسعدة يغلب عليه النحو ومقاييسه<sup>(٩)</sup>، وكان يحيى ابن المبارك اليزيدي مبرز في النحو، والعلل، ومقاييسها<sup>(١٠)</sup>، وكذلك كان كل من المبرد ونفطويه<sup>(١١)</sup>.

(١) تهذيب اللغة للأزهري مصور بالجميع اللغوي رقم ٦٢٦ لغة

(٢) انظر طبقات الزيدى : ٣٦ في تأويل كل من الرجلين نصب (الطير) في قوله : إلى « يا حبال أوبي معه والطير »

(٣) نزعة الأنباء : ٢٩

(٤) انظر أمثلة من أقيسة الخليل في الكتاب لسبويه مثلا : ٢٧٥/١ ، ١١/٢

(٥) تهذيب اللغة : ه (٦) نزعة الأنباء : ٣٢

(٧) انظر مثلا : ( ١ / ٢١٣ ، ٤٣٠ ) . (٨) الكتاب : ٢٨٦/١

(٩) تهذيب اللغة : ه (١٠) المصدر السابق .

(١١) نفس المصدر : ١٣

وكذلك كان الكوفيون قائلين : فالكسائي هو الذى قال : « إنما النحو قياس يتبع ، <sup>(١)</sup> وكثيراً ما يردد القراء فى معانى القرآن عبارة : فأجر الكلام على هذا ، أو ابن الكلام على هذا <sup>(٢)</sup> . . . . ونحو ذلك . وإن كان هناك من فرق بين البصريين والكوفيين فهو فى أن البصريين كانوا يقيسون على الكثير الشائع ، أما الكوفيون فلا يرون بأساً من القياس على الشاذ الذى لا يجوز إلا فى الضرورة ويجعلونه أصلاً <sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

هذه نبذة عابرة فى تاريخ القياس ، ومكان كل من النحاة الأقدمين السابقين لأبى على الفارسي فيه ، قدمت هذه الكلمة بين يدى الحديث عن القياس عند أبى على حتى تبدو السلسلة متصلة الحلقات ، وحتى أتبين طابع صاحبه فى تناول القياس ، وطابع النحاة السابقين .

ويبدو من القياس عند السابقين وبخاصة الشيخان : الخليل وسيبويه — أنه قياس فطرى لا أثر فيه للتعق ، هو مجرد مشابة شئ بشئ ، أو اعتبار هذا بذاك ، من غير مزج لذلك بالقضايا المنطقية ، أو وصله بالمسائل العقلية البحتة ، ومن هنا قام قياس الأقدمين على الحس اللغوى ، وطبيعة الأساليب العربية ، وغلبت فيه الروح الفطرية على الصناعة الفلسفية أو المنطقية .

فإذا كان من أمر أبى على فى القياس ؟!

أبو على يعبر عن القياس بالتوفيق <sup>(٤)</sup> ، أو موافقة الاشباه <sup>(٥)</sup> ، ويسميه الأصل المستمر <sup>(٦)</sup> ، وهو عنده نوع من التشبيه <sup>(٧)</sup> ، وقد خطأ أبو على بالقياس — فى كتابه الحجة — خطوات واسعات أبعدته عن سنن الأقدمين ، فهو :

أولاً : نوع القياس ، وتوسع فيه .

(١) بغية الوعاة : ٣٣٧

(٢) معاني القرآن : ١٥ ، ١٨ ، ١٣ (٣) بغية الوعاة : ٣٣٦ .

(٤) الحجة : ٦٢ من البلدية . (٥) الحجة : ١ / ٢٧٤

(٦) الاغفال : ١١ رقم ٨٧٤ تفسير (٧) البصريات لوحة ٧٧

ثانياً : تعمق فيه حتى أصبح عقلياً يتمشى مع الصناعة المنطقية .

ثالثاً : حكم القياس فيما هو ثابت بالنقل والاثار .

تلكم مظاهر ثلاثة للقياس عند أبي علي ، فرقت بينه وبين الأقدمين ، وطلورت ظاهرة القياس على يديه — في تاريخ النحو والنحويين ، وسأتناول كل ظاهرة بما يكشف عنها بأمثلة يقاس عليها ، وينقاد على وتيرتها .

أما التنوع في القياس عند أبي علي فأراه في ضربين .

( ١ ) قياس الشبه . ( ٢ ) وقياس العلة .

وتحت كل ضرب من هذين أقسام وفروع .

( ١ ) ففي قياس الشبه يقيس أبو علي بعض الكلم على بعض إذا انعقد بينهما شبه ، وقد رأيت أقسامه وفروعه عند أبي علي فيما يأتي :

( ١ ) القياس الصوتي . ( ب ) القياس اللغوي . ( ح ) القياس العروضي .

( د ) القياس المعنوي . ( هـ ) القياس الاعرابي . ( و ) القياس الصرفي .

( ر ) القياس الشرعي . ( ح ) القياس التعليمي . ( ط ) قياس الحذف .

وأضرب لكل من هذه الأنواع مثالا يختصر ما أريد بيانه في إجمال :

( ١ ) فمثال القياس الصوتي قوله : حجة من قرأ بالصاد ( الصراط ) أن القراءة

بالسين مضارعة لما أجمعوا على رفضه من كلامهم ، ألا ترى أنهم تركوا امالة وافد ونحوه كراهة أن يصعدوا بالمستعلي بعد التسفل بالامالة ، فكذلك يكره على هذا أن يتسفل ثم يتصعد بالطاء في سراط<sup>(١)</sup>

( ب ) ومثال القياس اللغوي : قوله : « قالوا سي » ، بمعنى سواء ، كما قالوا التي

بمعنى قواء<sup>(٢)</sup> وقالوا سيان فتنوا كما قالوا مثلان<sup>(٣)</sup> .

( ح ) ومثال القياس العروضي : قال : « جعلوا الهاء المتحركة بمنزلة الالف

الساکنة ، ألا ترى أن قول الاعشى :

« رحلت سمية غدوة أجمالها ،

(١) الحجة : ٢٩/١ : بلدية .

(٢) التي : بالكسر ففر الأرض كالقواء بالكسر والمد .

(٣) الحجة : ٢٣٠/١ .



اللام فيه حرف الروى والهاء وصل ، فجعلت الهاء مع تحركها بمنزلة الواو والياء والهاء السواكن فى نحو :

عاذل والعتابا — ونحو حبيب ومنزلى — وإن لام لائموا ، والهاء فى نحو : وبكى النساء على حمزه (١) ..

( د ) ومثال القياس المعنوى قوله : « وعلى أبصارهم غشاوة » فى المعنى مثل « صم بكم عمى » وكذلك قوله تعالى : « صم وبكم فى الطلبات » ؛ لأن وصف البصير بالكون فى الطلبات بمنزلة الوصف بالعمى ، وكذلك وصفه بكون الغشاوة عليه ؛ لأنه فى هذه الأحوال كلها لا يصبح به أبصار (٢) .

وانظر إلى قياسه المعنوى فى قوله : « وقول موسى ( عليه السلام ) أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فى جواب ألتخذنا هزوا ، يدل على أن الهاء من الجاهلين (٣) .

( هـ ) القياس الاعرابى : قال : « وقد دخلت لازائدة فى مواضع كثيرة فى التنزيل وغيره .. قال تعالى : « ما منعك أن لا تسجد ( كذا ) وفى الأخرى ما منعك أن تسجد (٤) .

وربما ائتمى أبو على أثر أبى الحسن الأخفش فى شىء من ذلك ، فقد أجاز فى قوله : « وجزاء سيئة بمثلها » أن تكون الباء داخله على خبر المبتدأ ؛ لأنه قد جاء وجزاء سيئة سيئة مثلها (٥) ، وليس بغريب أن يكون من أبى على احتذاء للأخفش فى القياس : فقد ألف الأخفش فيما ألفه المقاييس فى النحو (٦) .

( و ) القياس الصرفى : قال : الغشاوة من الغشيان كالجباوة من جببت فى أن الواو كأنها بدل من الياء ، وإن لم يصرف منه فعل (٧) كما لم يصرف من الجباوة . وإن شئت قلت : إن غشى يغشى مثل رضى يرضى ، ولام الكلمة الواو ؛ بدلالة غشاوة وغشوة

(١) الحجة : ٦١/١ : ربما بعدها من البلدية (٢) الحجة : ٢٨٠/١ بلدية

(٣) الحجة : ١٥٠/١ بلدية . (٤) الحجة : ١٤٠/١ بلدية .

(٥) الحجة : ١٨٣ بلدية . (٦) الفهرست : ٧٨ وبنية الوعاء ٢٥٨ .

(٧) قال قبل ذلك : وأما الغشاوة فلم أسمع منه فعلا مصرفا بالواو .

ويكون الغشيان كعليان ودينيا ونحو ذلك (١).

( ر ) القياس الشرعى : قال : المؤمن والمسلم من أسماء المدح في الشرع ، وسوت الشريعة بين التسمية بالمؤمن والمسلم كقوله تعالى : « فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين » (٢) .

( ح ) وأما القياس التعليمى فقد رأيت به في كتابه الايضاح ، ولعل ذلك مرده إلى النزعة إلى صدره في تأليفه ذلك الكتاب على النحو الذى بينت في مكان آخر ، ومن أمثلة ذلك القياس قوله : ما كان من الأماكن مخصوصاً فإن الفعل الذى لا يتعدى لا يتعدى إليه : لا تقول : قمت ببغداد ، ولا قعدت السوق ، ولا قمت المسجد ، لأن هذه الأماكن مخصوصة كريد ، وعمرو ، وينفصل بعضها من بعض بصور وخلق ، فهى في ذلك كالإناس ، ولحومهم من الجثث المخصوصة ، فكما لا يتعدى الفعل الذى لا يتعدى إلى الإنسان كذلك لا يتعدى إلى ما كان من الأماكن بمعناها في الاختصاص (٣) .

( ط ) ومن أمثلة قياس الحذف : قوله : ليت شعرى أصلها : « ليت شعرتى كما قالوا : « ذهب بعذرهما ، أصلها ذهب بعذرتهما (٤) .

وأتقل بعد ذلك إلى بيان الضرب الثانى من أضرب القياس عند الشيخ ذلك هو : قياس العلة : والعلماء إذ يتحدثون عن قياس العلة يذكرون أن القياس فيه مبنى على اشتراك المقيس والمقيس عليه في العلة التى يقوم الحكم عليها . ويقسموه أنواعاً ثلاثة : —

( أ ) قياس الأولى : وفيه تكون العلة في الفرع أقوى منها في الأصل .

( ب ) قياس المساوى : وفيه تكون العلة في الفرع والأصل على سواء .

( ج ) قياس الأدنى : وفيه تكون العلة في الفرع أضعف منها في الأصل (٥)

وقد رأيت أبا على حين يبرهن على قضية من القضايا غالباً ما يتبع الخطوات الآتية : —

( أ ) يصدر أولاً تدليله بما يمكن أن أسميه ( البرهان المؤسس ) وهو أقرب ما يكون إلى القياس المساوى .

(١) الحجج : ٢٠٨ مراد ملا . (٢) الحجج : ٢٠٧/١ بلديه

(٣) الايضاح ص ٥٨/١٢٠ نحو . (٤) الحجج : ١٧٨/١ مراد ملا .

(٥) انظر القياس في اللغة العربية للأستاذ المرحوم محمد الخضر حسين ط ١٣٦٣ هـ / ٧٧ وما بعدها .

(ب) ثم يتبع ذلك البرهان المؤكد أو المقوى ، وقد يرقى فيه إلى القول بالاولى والأجدر وذلك هو قياس الاولى .

(ح) وربما أتى بالبرهان السلبي الذى يتجلى فى الاعتراض ورده ، وتشير هذه الخطوة إلى القياس الأدنى . وتبين خطوات أبى على هذه من المثال الآتى : قال :  
( ١ ) الحجة لقول من قال : أنذرهم فلم يجمع بين الهمزتين ، وخفف الثانية أن يقول : « إن العرب قد رفضت جمعهما فى مواضع من الكلام ؛ من ذلك أنهما لما اجتمعا فى آدم ، وأزر ، وآخر الزموا جميعاً الثانية البدل ، ولم يحققوا الثانية ، ولما كسروا وحقروا جعلوا هذه المبدلة بمنزلة مالا أصل له فى الهمز ، فقالوا أوأخر وأويخر ... ( وهذا هو الدليل المؤسس أو قياس المساوى ) .

(ب) ثم قال ومن ذلك أنا لم نجد كلمة عينها همزة ، ولأما كذلك . كما وجدنا ذلك فى سائر أخوات الهمزة الحلقية كقولهم ماه ، وفه ، ويدع اليتيم .. فإن لم يجمعوا بين الهمزتين فى الموضع الذى جمع فيه بين أخواتها وكررت دلالة على رفضهم لجمعها وإذا لم يتوال ذلك فى بنات الثلاثة فالأ يتوالى ذلك فى بنات الأربعة أولى ...  
( وذلك هو البرهان المقوى أو قياس الاولى ) .

(ح) ثم يأتى باعتراض ويرده فى قوله : فأما نحو قافاً ، وطاطأ ، وبأبأ الصبي أباه فقد حيز الحرف بينهما ، وإنما الذى ينكر ، تواليهما من غير أن يحيز بينهما شئ<sup>(١)</sup> .  
( وذلك هو ما سميت البرهان السلبي ، أو قياس الأدنى )

\* \* \*

وهكذا يتنوع القياس عند أبى على ، وأود أن أذكر أنى لم أقصد فى تعداد هذا النوع الحصر ، فهناك ضروب من القياس تدخل فى بعض الأنواع السابقة حيناً ، وتستقل عنها حيناً<sup>(٢)</sup> .

ولكنى أردت إعطاء صورة تؤيد هذه النزعة التى جرى عليها أبو على ، حتى يتبين فرق ما بينه وبين السابقين .  
وأنقل إلى بيان المظهر الآخر الذى يميز أباه على فى قياسه عن الأئمة السابقين :  
ذلكم التعمق فى القياس :

(١) الحجة : ١٨٨/١ وما بعدها مراد الملا .

(٢) راجع الاقتراح للسيوطى : ٣٩ وما بعدها (كتاب القياس)

أما تعمقه في القياس : فيلحاق في كثرة غامرة من كتابه الحجة ، وفي مظاهر متعددة ، فهو يقايس حتى لا يكاد يخلو احتجاج لآية من قياس — ويسلك في قياسه سبل المناطق في التدليل والتعليل ، وأكتفى بمظاهر ستة تشرح سلوكه في تعمق القياس :

أولاً : قضايا من الشكل الأول : — فتراه أحياناً يصوغ الدليل في صورة قضية منطقية ذات مقدمات ونتيجة ، وأقرأ معي ذلك الكلام تجده يسير فيه سيراً منطقياً يؤلف قضية من الشكل الأول : قال :

وأما قولنا في وصف القديم ( سبحانه ) المؤمن ، فإنه يحتمل تأويلين ، وبعد أن ذكر أحدهما قال : والآخر أن يكون معناه المصدق ، أى المصدق الموحدين له على توحيدهم إياه ، يدل على ذلك قوله « شهد الله أنه لا إله إلا هو » . ألا ترى أن الشاهد مصدق لما يشهد ، كما أنه مصدق من يشهد له ، فإذا شهد سبحانه بالتوحيد فقد صدق الموحدين <sup>(١)</sup> .

ويؤلف هذا الكلام قياساً من الشكل الأول يمكن وضعه على الصورة الآتية :  
صغرى ، وكبرى ، ونتيجة .  
الصغرى : الله شاهد بالتوحيد في قوله تعالى : « شهد الله أنه لا إله إلا هو » ،  
الكبرى : وكل شاهد مصدق لما يشهد به ( أى التوحيد ) كما أنه مصدق من يشهد له ( أى الموحدين ) .

النتيجة : فالله مصدق للتوحيد ، والموحدين .  
وأقرأ تدليله على « المشابهة المعتبرة بين الهاء والياء ، مشابتهما الألف تجده كذلك قياساً من الشكل الأول <sup>(٢)</sup> »

(١) الحجة : ٢١٥/١ — ٢١٦ البلدية .

(٢) الحجة : ١٢٢/١ البلدية .

ثانياً : القياس الاستثنائي الانفصالي : وأبو على مغرم بذلك القياس ، يقدمه للتدليل على كثير من المسائل ، فمثلاً العامل في حيث من قوله تعالى : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » لا يخلو من أن يكون أعلم هذه المذكورة أو غيرها ، وأن عمل أعلم فلا يخلو من أن يكون ظرفاً أو غير ظرف ، فلا يجوز أن يكون العامل فيه أعلم هذه ودلل ، ثم انتهى من ذلك إلى أن العامل في حيث فعل يدل عليه أعلم <sup>(١)</sup> .

ثالثاً : وهناك ما يشبه القياس الاقتراني المضمحل في ذلك قوله : وقول موسى ( عليه السلام ) أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين في جواب « أتتخذنا هزوا » يدل على أن الهازي جاهل <sup>(٢)</sup> .

وقوله : قوله تعالى : « وعلى أبصارهم غشاوة » في المعنى مثل : صم بكم عمى ، وكذلك قوله تعالى : صم وبكم في الظلمات ، لأن وصف البصر بالكون في الظلمات بمنزلة الوصف بالعمى ، وكذلك وصفه يكون الغشاوة عليه ، لأنه في هذه الأحوال كلها لا يصح له إِبصار <sup>(٣)</sup> .

رابعاً : وتراه يدفع الفارق في القياس حتى يصح : وليجرب حكماً واحداً على المتقايسين قال :

« فإن قلت : إن الألف التي شئت بها الهاء في عليهم ودارهم لا تكون إلا ساكنة ، وهذه الهاء متحركة فكيف وفقت بينهما مع اختلافهما من حيث ذكرنا ؟ قيل : إن هذا الذي ذكرت من الخلاف بينهما لا يوجب لهما اختلاف حكم بينهما وبين الألف فيما ذكرنا ؛ لأنهم قد جعلوا الهاء متحركة بمنزلة الألف الساكنة ، ثم أخذ يدل على هذه القضية الأخيرة <sup>(٤)</sup> .

خامساً : ومن أسباب الغلط في القياس تحريفه ، والجهل بقياسيته <sup>(٥)</sup> ، ومن هنا تراه لا يجعل علة ما ليس بعلة ؛ وذلك حيث يقول : « وليست الدلالة على أن ضمير الجمع المجرور أو المنصوب أصله الضم — انضمام الهاء في هم » <sup>(٦)</sup> .

(١) الحجة : ١٧/١

(٢) الحجة : ٣٨٤/١ مراد ملا . (٣) الحجة : ٣٠٨/١ مراد ملا .

(٤) انظر الحجة : ١٩٢، ٦١/١ — وانظر كذلك ٣٨٨/١ مراد ملا .

(٥) انظر الاشارات والتنبيهات لابن سينا : ٢٨٩ — ٢٩٢

(٦) الحجة : ١٢٠/١ — ١٢١ بلدية

سادساً : ويرد في كلام أبي علي ، العموم والخصوص الوجهي ، فكل موضع جاز فيه الكسر فالضم فيه جائز<sup>(١)</sup> ، وأما الانذار فاعلام معه تخويف ، فكل منذر معلم ، وليس كل معلم منذرا<sup>(٢)</sup> .

ومثل الانذار في أنه ضرب من العلم قولهم اليقين : فكل يقين علم ، وليس كل علم يقينا<sup>(٣)</sup> .

وأنتقل إلى الفارق الثالث بين أبي علي والسالفين — في القياس وذلك : تحكيم القياس فيما هو ثابت بالآثر : — وكتاب الحجة كله قائم على ذلك ، وقد حاول أبو علي أن يجري مقاييس العربية على القراءة ما وجد إلى ذلك سبيلا ، فهو يجري وراء القياس إلى أبعد الحدود ، ولا يقول بالآثر المنقول إلا إذا لم يكن منه بد ، كما فعل في تعليقه لإمالة حمزة ما كان منسوقا بالواو من فعل الإحياء<sup>(٤)</sup> ، وذلك حيث يقول : « ولعل حمزة اتبع في ذلك أثرا ، لأن القراءة ليست موقوفة على مقاييس العربية دون اتباع الآثر فيها » . ثم نراه — مع ذلك — يوجه ما ذهب إليه الكسائي من ترك الفصل بين الفعل الذي قبله واو أو فاء وبين ما ليس قبله من ذلك شيء ، وذلك حيث يقول : « وما ذهب إليه الكسائي . . . . هو الوجه في قياس العربية »<sup>(٥)</sup> ، بل أحيانا إذا أعوزه القياس لا يحتاج بالآثر ، فتراه يقول : « وليس له وجه »<sup>(٦)</sup> .

وقد لحظت أن ما كان من القراءات موافقا للقياس وصفه أبو علي بالحسن والجمال<sup>(٧)</sup> وما لم يكن موافقا وصفه بالقبح<sup>(٨)</sup> . ويقرر أن الحمل عليه والرد إليه ينبغي ألا يجوز ما وجد عنه مذروحة<sup>(٩)</sup> .

ولأنه ليلبغ الغاية في الاعتداد بالقياس حين يقرر أن الكتاب جاء عليه ؛ : أقرأ

(١) الحجة : ١٢٣/١ بلديه . (٢) الحجة ١٧٢/١٠٠ مراد ملا .

(٣) المصدر السابق ١٧٤/١ .

(٤) يذهب حمزة إلى عدم إمالة الفعل أحيا إذا كان منسوقا بالواو ، ويعمل ما كان منسوقا بالفاء ، ولا يفرق الكسائي فيميل المنسوق بالفاء والواو . انظر قرة العين في الفتح والامالة وبين اللغتين لابن القاصح سورة البقرة . (٥) الحجة : ٢٩٠ مراد ملا .

(٦) الحجة : ٣٨١/٧ البلديه .

(٧) انظر الحجة : ٣٦١/١ — ٣٨٢ البلديه .

(٨) انظر الحجة : ٢١٤/١ . (٩) الحجة : ٢٢٤/١ من البلديه .

قوله في وقف حمزة على جزء في الجر ، والرفع <sup>(١)</sup> — قال أبو علي : فان وقف بالجر والرفع أسكن الزاى في اللغة الشائعة فقال : « هذا جز ، ومررت بجز ، وإن كان ممن يقول هذا فرجاً فنقل لزمه أن ينقل الحرف الذى ألقى عليه حركة الهمزة ، فاذا عضد هذا القياس أن يكون الكتاب عليه جمع إليه موافقة الكتاب ، وإنما جاء الكتاب فيما نرى على هذا القياس <sup>(٢)</sup> .

أرأيتم كيف يجعل الكتاب تابعاً للقياس ؟ وأن القياس هو الأصل عنده وما ثبت بالنقل والاثار هو الفرع ؟ وذلك عندى غاية ما يعتد به في أمر القياس حتى يحكمه أبو علي على هذه الصورة في كتاب الله !

\* \* \*

وبعد فتنوع القياس عند أبي علي ، وتعمقه فيه ، وتحكيمة إياه فيما هو ثابت بالنقل والاثار كل ذلك يحقق ما روى ابن جنى عنه إذ يقول : « قال له أبو علي ( رحمه الله ) بجلب سنة ست وأربعين ، أخطىء في خمسين مسألة في اللغة ، ولا أخطىء في واحدة من القياس <sup>(٣)</sup> .

ولا يعتذر لأبي علي من نزعه في الاحتجاج ، وتحكيمة القياس على النحو الذى بينت إلا ما استظهرته آنفاً من أنه حكم القياس في القراءات ؛ دفاعاً ، وحماية للكتاب الكريم أمام هؤلاء المكابرين المعاندين الطاعنين <sup>(٤)</sup> .

ولموقف أبي علي من القياس أرى أنه كتب الحجة بروح النحوى لالبروح القارىء ، فإذا أضفت إلى ذلك موقفه من القراءات الصحيحة التى تخالف مذهبه النحوى <sup>(٥)</sup> ، وكثرة تعرضه للمسائل النحوية والصرفية ، والبرهنة على ما يراه من هذه المسائل برهاناً قائماً على التدليل المنطقي في تقص واستطراد <sup>(٦)</sup> — إذا أضيف ذلك عرفنا السبب في جفوة القراء عن حجته ، وبعدهم منه ، وصدودهم عنه ، حتى عدوه كتاب نحو بما فيه من تخريج ودراية ، لا كتاب قراءات يتبع فيه التلقى والرواية .

\* \* \*

(١) الرفع كما في قوله تعالى : لكل باب منهم جزء مقسوم « وأما جزء بالجر فلم ترد في القرآن الكريم . راجع مفتاح كنوز القرآن

(٢) الحجة : ٣٨٨/١ مراد ملا . (٣) الخصائص : ٤٨٣/١ .

(٤) انظر مطلع الحديث عن الحجة في هذا البحث . (٥) بينت ذلك في مكان آخر

(٦) ضربت أمثلة لاستطراده عند الكلام على نهجه في الحجة .

ويجدر بي — وأنا أتحدث هنا عن القياس — أن أذكر الرأي في أمر فهمه الأستاذ أحمد أمين على غير وجهه ، وقرره في بحث ألقاه على مؤتمر المجمع ، وناقش المؤتمر هذا الرأي دون أن يفتنوا إلى الحقيقة فيه ، وتناقل العلماء في كتبهم ما انتهى إليه الأستاذ أحمد أمين — خطأ — عن رأي أبي علي في القياس . والدراسة الفاحصة تقضي بالرجوع إلى كتب أبي علي ، والاتصال بنصوصه فيها ، حتى نظفر بنتائج صحيحة ، ويستقيم لنا الحكم على أبي علي ونظرة في القياس ، وتقويم الرأي فيه : فإذا قال الأستاذ أحمد أمين ؟

ألقى الأستاذ بحثاً بعنوان مدرسة القياس في اللغة ، في الجلسة التاسعة من جلسات مؤتمر المجمع في دررته الخامسة عشرة .

قسم الأستاذ المشتغلين بالعلم — ومنهم اللغويون والنحاة — إلى أحرار ، وهم الذين يقيسون ما لم يرد فيه نص على ما ورد فيه نص — ومحافظين يلتزمون ما ورد في اللغة ، ولا يخرج منه بحال من الأحوال <sup>(١)</sup> ، وقرر أن من اللغويين المحافظين الذين وقفوا عند ماورد — الأصمعي وابن الأعرابي ، وأبا زيد ، واستدل على محافظتهم بأنهم لم يكونوا يستبيحون لأنفسهم أن يقولوا كلمة ، أو يشتقوا اشتقاقاً إلا عن سماع ، وكذلك جعل منهم أصحاب المعاجم كالجوهرى ، والفيروزابادى ، وابن منظور ؛ لأنهم لم يقيسوا على ما رووا <sup>(٢)</sup> .

ثم جعل بجانب هؤلاء قلة من القياسيين ممثلة في أبي علي الفارسي ، وتلميذه ابن جني ، واستدل المرحوم أحمد أمين على قياسية أبي علي فنسب إليه العبارة الآتية : « ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب » <sup>(٣)</sup> ، وقوله : « لأن أخطى في خمسين مسألة بما به الرواية أحب إلى من أن أخطى في مسألة واحدة قياسية » ، وقول أحد تلاميذه : أحسب أن أبا علي قد خطر له ، وانتزع من علل هذا العلم ثلث ما وقع لجميع أصحابنا <sup>(٤)</sup> .

(١) انظر محضر الجلسة التاسعة من الدورة الخامسة عشرة ص (٢) .

(٢) انظر نهاية ص ٤ من المحضر المذكور .

(٣) قائل هذه العبارة أبو عثمان المازني « ت ٢٤٧ هـ » لا أبو علي انظر الخصائص : ١/ ٣٦٢ .

(٤) والاقتراح : ٢٦ .

(٤) يبدو واضحاً اعتماد الدكتور إبراهيم أنيس على هذه المحاضرة في كلامه عن القياس :

قابل ص ٢٠ من أسرار اللغة وس ٤ ، هـ من محاضرة الدكتور أحمد أمين . ومن هنا اكتفى

بمناقشة الدكتور أحمد أمين ؛ في ذلك غناء عن مناقشة من قبل عنه .



ونصوص أبي على كاشفة عن رأيه في القياس على غير ذلك الذى انتهى إليه  
الاستاذ أحمد أمين ، وفيها يبدو أبو على أقرب إلى المحافظين منه إلى المجددين ، واقروا  
نصه الذى قال في الحلييات : « ولو لم يعاضد القياس السماع حتى يجيء السمع بشيء  
خارج عن قياس لوجب اطراح القياس ، والمصير إلى ما أتى به السمع ، ألا ترى أن التعلق  
بالقياس من غير مراعاة السمع منه يؤدي إلى الخروج عن لغتهم والنطق بما هو خطأ  
في كلامهم ؟ فلو أعلنت استحوذ ، ولم تراع فيه السماع وقلت : « انه جاء معلا نحو  
استعاد ، واستفاد ، فكذلك أعل هذا المثال قياساً على الكثير الشائع ، لكنك ناطقاً بغير  
لغتهم ، ومدخلا فيها ما ليس منها ، فالقياس أبداً يترك للسمع ، وإنما يلجأ إليه إذا عدم  
في الشيء السمع ، فأما أن يترك السماع للقياس خطأ فاحش ، وعدول عن الصواب  
بين . ألا ترى أنه يجوز في القياس أشياء كثيرة ؛ نحو الجر في لدن غدوة ، والضم في لعمر ك  
في القسم ، واستعمال الماضي في يذرو يدع ، وإيقاع أسماء الفاعلين أخباراً لكاد ، وعسى  
ثم لا يجيء به السماع فيرفض ولا يؤخذ ، وي طرح ولا يستعمل ، ويكون المستعمل  
لذلك آخذاً بشيء رفضه أهل العربية كما رفضوا استعمال سائر اللغات التي ليست بلغة  
لهم ، وهذا طريق يؤدي سالكه إلى خلاف ما وضعت له العربية ؛ لأن هذه العلل  
لأنما تستخرج من المسموعات بعد اطرادها في الاستعمال ، لتوصل إلى النطق  
به على حسب ما نطق به أهل اللغة العربية ، وتسوى في الفصاحة بمن أدركها ، وبأمن  
بتمسكه بها الزينغ عن لغة الفصحاء العربيين إلى لغة من لم يكن على وصفهم ، فإذا أدى  
إلى خلاف ذلك وجب أن ينبذ وي طرح ؛ من حيث كان ضدّاً عما له وضعت هذه  
الصناعة ، واستخرج من أجله هذا العلم <sup>(١)</sup> .  
ولهذا النص دلالات :

أولها : ما يجوز في القياس ، ولا يجيء به السماع يرفض ، وي طرح ولا يستعمل  
أو كما يقولون : « يحفظ ولا يقاس عليه » .

ثانيها : القياس على الشاذ خطأ ، والاخذ به أخذ بشيء رفضه أهل العربية ،  
وادخال فيها لأجنبي عنها ليس منها  
ثالثها : يسوى أبو على الاخذ بالقياس على الشاذ باستعمال سائر اللغات  
الأجنبية عن لغة العرب .

رابعها : السماع مقدم على القياس ، وترك السماع للقياس خطأ فاحش ، ولا يلجأ إلى القياس إلا إذا عدم السماع .

خامسها : الغرض من القياس تمكين غير العربي من النطق بما ينطق به أهل العربية ، وتسويته في الفصاحة بأهلها ، وذلك لا يكون إلا بالقياس على المسموعات المطردة في الاستعمال .

وسادسها : أن أبا على يقف موقفاً وسطاً بين المحافظين والمجددين ، بل كان محافظاً في تجديده ، فالقياس في اللغة أمر دعت إليه الحاجة فيؤخذ به على مقدارها<sup>(١)</sup> ، ومن هنا توسط في القياس ، فرأى أن ما لم يسمع لا يقاس عليه حتى ولو كان المقيس عليه كثيراً شائعاً ، وهذه نظرة محافظة ، فالقياس عنده على المسموع الوارد ، لا على الذي لم يرد . ثم هو بعد ذلك يرى اللجوء إلى القياس إذا عدم السماع ، فإذا جاءت الرواية لم يرد بالقياس<sup>(٢)</sup> ، وهناك فريق أفسح طريق القياس ، ووسع ميدانه على وجه لم يقره أبو على ومن هؤلاء المبرد ، فقد رأى سيوياً أن أما في قول الشاعر :

أبا خراشة أما أنت ذا نفر ، لا يذكر بعدها الفعل المضمر ؛ لأنه من المضمر المتروك إظهاره حتى صار ساقطاً بمنزلة تركهم ذلك في النداء<sup>(٣)</sup> . وجوز أبو العباس المبرد في القياس وقوع الفعل بعد أن ، ولم ير ذلك ممتمناً ، وتعبه أبو على في البغداديات فقال :

« فأما ما ذكر أبو العباس في الرد من أنه لا يرى وقوع الفعل بعد أن هذه ممتمناً ، وأنه جائز عنده في القياس فكالمغالطة ، ألا ترى أنه قد يجوز في القياس أشياء كثيرة لا يحىء به الاستعمال .. وكذلك إظهار الفعل في هذا الموضع لا يجوز لشذوذه عن استعمال ، وإن أجازته القياس .... ثم كرر رأيه الذي ذكره في الحلييات من أن اللعل إنما تستخرج ، وتوضع بعد سماع الشيء واطرادته في الاستعمال ؛ ليوصل إلى النطق بالشيء على حسب ما ينطق به أهل اللغة ، فإذا أدى إلى خلافه ، وجب أن يشذو وي طرح ، فحكم السماع في أن يتقدم القياس ، فإذا لم يتقدمه فلا موضع للقياس .... وقرر بعد ذلك أنه لا يقاس على الشاذ في قوله :

(١) انظر القياس في اللغة للأستاذ محمد الخضر حسين (رحمه الله) : ٥٢ .

(٢) الحجة : ٣٦٣/١ مراد ملا . (٣) انظر الكتاب : ١٤٨ .

« فإذا لم يسمع الشيء إلا على بينه ، ولم يحفظ إلا على هيئة ، فلا معدل عنه إلى سواء ، ولا مجاوزة فيه إلى ما عداه ما لم يسمع منهم فلم يحفظ عنهم ، فعلى هذا مجرى القياس النحوي وحكمه <sup>(١)</sup> » ،

فهل يعد أبو على بعد هذه النصوص الصريحة — مجدداً ؟ وهل نعتبره من اللغويين الأحرار بعد هذه القيود التي وضعها للقياس ؟؟ والتي حرص على ترديدها في كتبه المختلفة ، في البغداديات ، وفي الحلييات ، وفي الحجة ، على أن رأيت في المسكريات <sup>(٢)</sup> يورد أقسام الشاذ ويجعلها ثلاثة :

(١) الشاذ عن الاستعمال المطرد في القياس . (ب) والمطرد الاستعمال الشاذ عن القياس .

(ح) الشاذ في الاستعمال وعن القياس ، ثم يرفض هذه الأقسام جميعاً ، ولا يأخذ إلا بالمطرد في القياس والاستعمال : (السماع) متفقاً في ذلك مع نظرية المحافظين <sup>(٣)</sup> .

وهكذا يكرر أبو على في كتبه رأيه في القياس ويصور لنا هذا الرأي أباعلى أقرب إلى المحافظين منه إلى المجددين ، وإذا كان الأمر كذلك فما تفسير قوله : « أخطيء في خمسين مسألة في اللغة ، ولا أخطيء في واحدة من القياس ؟ وكيف لا تجعله هذه القولة من الأحرار المجددين كما ذهب إليه الاستاذ أحمد أمين ؟ » ، تفسيرها ما انتهيت إليه في غضون هذا الفصل من أنه نوع القياس ، وتعمق فيه ، وحكمه فيما هو ثابت بالنقل والأثر ، فخرج القراءات ، واعتبرها بما ورد في اللغة — ، وما سمع منها ، وكانت براعته في القياس دليلاً على رسوخ قدمه في الصنعة فأحب إلى نفسه أن يخطيء في اللغة ، ولا يخطيء في القياس حتى أنه ليتجاوز عن خطئه في خمسين مسألة لغوية ، ثم يعدها كبيرة إن أخطأ في واحدة من القياس . وما كان الرجل خطأً في اللغة أو القياس ، ولكنه أخرج العبارة مخرج ما يعتبر الناس ،

وبعد ، فقد وصف الأستاذ أحمد أمين صاحبي بالحرية والتجديد ، وكنت أود

(١) البغداديات لوحة ٢٦، ٣٥ .

(٢) المسكريات لوحة ١٣٤ .

(٣) انظر من أسرار اللغة للدكتور إبراهيم أنيس ص ٢٠ وما بعدها .

أن يكون كذلك ، لولا أن سيدي هنا تصحيح الرأي ، وتقويم أبي على بما له وما عليه في انصاف بعيد عن التحيز ، ومن غير محاباة أو محاماة ، مستدلاً بالنصوص الواردة في كتب الشيخ ، وبأقواله الشاهدة على نزعته ، وما يتصل بهذا مسألة أخرى فهم فيها أبو على على غير رأيه ، ووصف فيها — كذلك بالتجديد — تلکم مارآه بعض الناس في زماننا حول ما أسموه مشكلة الاعراب ، وفيما يلي تناول رأي أبي على بالتحقيق :  
نجمت في أيامنا هذه دعوة إلى ترك الإعراب ، واستعان أصحاب هذه الدعوة بسيبويه وصاحب أبي على — يتكلم الداعون على نصوصهما في تأييد ما إليه يذهبون ، وقال هؤلاء :

« لأنه قد وردت آيات أسكنت فيها حركات الاعراب مثل قوله تعالى :  
« وبعلوثن أحق بردهن ، باسكان التاء . ومثل : « وما يعدم الشيطان ، ومثل :  
« ولإذ يعدمكم الله ، باسكان الدال فيهما ، ومثل « فتوبوا إلى بارئكم ، باسكان الهمز .  
قالوا : وقد تناولها علماء القراءات بالبحث فرجعوها إلى أصولها (١) . وأوردوا  
نص أبي على الذي يقول فيه : « أما حركة الإعراب فختلف في تجويز اسكانها ،  
فن الناس من ينكر فيقول : « إن اسكانها لا يجوز من حيث كانت علماً للاعراب ،  
وسيبويه يجوز ذلك في الشعر (٢) .

ومن الحق على — وموضوع بحثي أبو على ، — أن أتناول هذه الدعوة بالتحصيل والنقاش فأقول :

يسقط دعوى هؤلاء من أساسها أن سيبويه وأبا بكر بن مجاهد رويَا عن أبي عمرو في قوله تعالى : إلى بارئكم — اختلاس حركة الاعراب : ذلك الاختلاس الذي يسرع فيه القارئ باللفظ إسراعاً يبق على الحركة ويحذفها ، ولم يرويا الاسكان أصلاً ، ووافقهما أبو على محتجاً للاختلاس لا للاسكان في قوله تعالى : إلى بارئكم ، ويعلمهم الكتاب ، ويلعنهم الله (٣) .

وقد عقد سيبويه فصلاً في الكتاب سماه « باب الإشباع في الجر والرفع وغير الإشباع والحركة كما هي » قال فيه : « فأما الذين يشبعون فيمططون ، وعلامتها

(١) انظر الرسالة الجديدة : العدد الحادى عشر / ٨ .

(٢) انظر الهلال : فبراير ٥٥ مشكلة الإعراب .

(٣) انظر الحجة : ٣٦٦/١ مراد ملا .

واو وياه وهذا تحكمه لك المشافهة ، وذلك قولك : يضربها ومن مأمك وأما الذين لا يشبعون فيختلسون اختلاسا ، وذلك قولك يضربها ، ومن مأمك يسرعون اللفظ . ومن ثم قال أبو عمرو إلى بارئكم ، ويدلك على أنها متحركة قولهم : من مأمك فيبينون النون ، فلو كانت ساكنة لم تحقق النون (١) .

صحيح ورد في كتاب سيبويه تسكين المرفوع ، والمجرور في الشعر ، وقد جعله النحاة من أقبح الضرورات (٢) .

ومثل ما قال إمام النحاة روى شيخ القراء : ابن مجاهد فقال : اختلفوا في د بارئكم ، في كسر الهمزة ، واختلاس حركتها ، وذكر القراء الذين يكسرون ، والذين يقرءون باختلاس الحركة ، وأورد ما روى سيبويه عن أبي عمرو ، وما حدثه الشيوخ عن أبي عمرو أيضاً في قراءته ، ويعلمهم الكتاب ، ويلعنهم باشمام الميم والنون التي قبل الهاء الضم من غير اشباع ، وكذلك عن أسلحتكم وأمتعتكم ، ويزكيهم ويعلمكم ، ويوم يجمعكم ، وكذلك قراءته د يأمركم ويأمرهم وينشركم . . . وما أشبه ذلك من الحركات المتواليات . ثم أورد ابن مجاهد قول اليزيدي في ذلك كله أن أبا عمرو كان يسكن اللام من الفعل في جميعه . ولكنه رد ذلك بقوله : د والقول ما خبرتك من إيثار أبي عمرو التخفيف في قراءته كلها (٣) .

وجاء أبو علي من بعد سيبويه وأبي بكر — وقبل أن يحتاج لما ذكر أبو بكر من اختلافهم في بارئكم ، — تحدث في الساكن والمتحرك من حروف المعجم ، وضروب كل منهما ، وقسم الحركة إلى حركة اعراب ، وحركة بناء ، وذكر أن حركة البناء لا خلاف في تجويز إسكانها ، وأما حركة الاعراب فختلف في تجويز إسكانها ، قال : د وسيبويه يجوز ذلك ، ولا يفصل بين القبليين في الشعر ، وذكر — فيما ذكر — الشواهد الشعرية التي رواها سيبويه في الكتاب (٤) . ثم برهن على ما يرى سيبويه ، فجاء برهانه على جواز إسكان حركة الاعراب في الشعر ، لا في سعة الكلام (٥) .

(١) الكتاب : ٢٩٧/٢ .

(٢) انظر شرح الشواهد للشنترى : أسفل الكتاب : ٢٩٧/٢ .

(٣) انظر الحجة : ١ : ٣٦٠ وما بعدها . (٤) انظر : ٢٩٧/٢ .

(٥) انظر الحجة : ١/٣٦٤ مراد ملا

ثم خلاص من ذلك إلى الاحتجاج لقراءة أبي عمرو بالاختلاس ، واتفق مع سيبويه وابن مجاهد فقال : « لعل من رواها عن أبي عمرو بالإسكان سمعه يختلس بحسه لضعف الصوت به والختفاء إسكاناً ، وعلى هذا يكون قوله : « ويعلمهم الكتاب ويعلمهم الله ، وكذلك عن أسلحتكم ، وأمتعتكم ، ويزكيهم ويعلمهم ، ويوم يجمعكم ، ولا يأمركم . » هذا كله على الاختلاس مستقيم ، ومن روى عنه الإسكان — وقد جاء ذلك في الشعر — فلعله ظن الاختلاس إسكاناً » (١) .

وهذا أبو سعيد السيرافي يرى أن نحو « وقد بدا هنك من المنزر ، مرفوع تركت ضمته استتقالا » (٢) . وكذلك قرر ابن جني في الخصائص أن قراءة أبي عمرو إلى بارئكم بالإختلاس غير ممكن كسرة الهمزة ، « حتى دعا ذلك من لطف عليه تحصيل اللفظ إلى أن ادعى أن أبا عمرو كان يسكن الهمزة ، والذي رواه صاحب الكتاب اختلاس الحركة لا حذفها البتة ، وهو أضبط لهذا الأمر من غيره من القراء الذين رووه ساكناً ، ثم يعتذر ابن جني من موقف القراء ، ولعله يقصد اليزيدي فيقول : « ولم يؤت القوم في ذلك من ضعف أمانة ، لكن أتوا من ضعف دراية » (٣) .

أبعد هذه النصوص الصريحة يدعو الداعون إلى جواز إسكان حركة الاعراب ؟ إن سيبويه لم يرو الإسكان إلا في الشعر ، واحتج أبو على لهذا الذي روى سيبويه ، فهل تجعل الضرورة الخاصة قاعدة عامة يؤخذ بها في سعة الكلام ؟

إلى أن سيبويه ، وابن مجاهد ، وأبا على ، والسيرافي ، وابن جني — ويتفق معهم ابن خالويه (٤) — لا يقولون بالإسكان في إلى بارئكم ونحوه ، ويؤولون ماورد عن اليزيدي بما رأينا ، فكيف ينسب أصحاب هذه الدعوة إلى سيبويه ، وأبي على ، ومن لف لفهما — ما نسبوا ؟ وكيف يرتبون على ذلك القول بجواز ترك الإعراب ؟ ؟ وبعد : فكم كنت أود لو أن صاحبي قد سبق إلى روح التجديد — كما يقول أصحاب هذه الدعوة — وأن المجددين يجدون في نصوصه دليلاً يؤيدون به ما إليه يتجهون . ولكن النصوص كما رأينا — لاتعين على صحة ما يذهب إليه هؤلاء الداعون (٥) .

(١) الحجة : ٣٦٦/١ . (٢) شرح السيرافي على سيبويه : ٦٤٩/٣ ، ٦٥٠ .

(٣) الخصائص : ٧٥/١ . (٤) انظر الحجة لابن خالويه : ورقة ٩ وجه .

(٥) أردت أن أبين حقيقة موقف أبي على من هذه الدعوة غير مسترسل في التعرض إلى الدعوة ذاتها بالتفنيد ، أو التأيد ، فليس هنا لمىء من ذلك مجال .

## علل أبي على وتقويمها

بعض تعليلات أبي على مصطنع ، يجتهد فيه على حسب ما يحضره في الحال ، فيبدو عندئذ التمثل في التعليل والاستدلال ، من ذلك طلب عضد الدولة منه تعليل نصب الاسم الواقع بعد إلا في نحو « خرج القوم إلا زيدا » ، فيعلل الشيخ ، ويراجعه عضد الدولة ، فينطق أبو على بما يدل على أن تعليله من قبيل الاجتهاد في الناس العلة ، واصطناعها ، والتمثل فيها ، وذلك إذ يقول : « هذا جواب ميداني ، وإذا رجعت ذكرت لك الجواب الصحيح »<sup>(١)</sup> ، ويسجل أبو على نحواً من هذا على نفسه في مسألة أخرى ، وذلك ما يحكي ابن جني عنه « كان أبو على ( رحمه الله ) يقول في هيات : أنا أفتي مرة بكونها إسما سمي به الفعل كصه ومه ، وأفتي مرة أخرى بكونها ظرفاً على قدر ما يحضرن في الحال »<sup>(٢)</sup> .

وهذا التعليلات — على ما فيها من صناعة — تدل على ما عند أبي على من براعة ، حيث يستطع أن يفتي بأمرين متخالفين ، ويلتمس العلة لكل منهما مع تخالفهما ، وقد برهن في البغداديات على أن ما في قوله تعالى « وما رزقناهم ينفقون » — حرف<sup>(٣)</sup> ثم عاد في الشيرازيات ، وبرهن على أنها موصولة<sup>(٤)</sup> . وإذا كانت النظرة المجددة لا تلقى بالآلهة العلل النحوية المصطنعة<sup>(٥)</sup> ، وزرجو بحق أن يتخلى النحو عنها تخلياً تاماً<sup>(٦)</sup> — فإن التخريجات النظرية كانت دليلاً على رسوخ القدم في الصنعة ، في عصر تفلسفت العلوم فيه ، وشاع ذلك التفلسف في فروع العلم المختلفة وفيها النحو . وآية ذلك ما قال أبو على في الألف من يا في قول الشاعر :

غير نحن عند الناس منكم إذا الداعي المثوب قال : يا لا

---

(١) تزهة الألباء : ٢١٠ . والانصاف : ١٧٠/١ — وكان الشيخ يسير مع عضد الدولة في الميدان بشيراز .

(٢) الخصائص : ٢١٣ . (٣) البغداديات : لوحة ٢٢ .

(٤) الشيرازيات : لوحة ١٢٩ .

(٥) انظر الرد على النحاة لابن مضاء : وإحياء النحو لأبراهيم مصطفي .

(٦) انظر الاجتهاد في النحو العربي لأمين الخولي : ١٣ .

وذاهبه إلى أنها خلطت باللام بعدها ، ووقف عليها ، فصارت اللام كأنها جزء منها فصارت (يال) بمنزلة قال ، والالف في موضع العين وهي بمجولة فينبغي أن يحكم عليها بالانقلاب عن الواو !! — وما أثار هذا التعليل المصطنع من إعجاب ابن جنى حتى يقول فيه وفي الشيخ : « وهذا أجل ما قاله ، والله هو ! (وعليه رحمته) ! لما كان أقوى قياسه ! ، وأشد بهذا العلم اللطيف الشريف أنسه ! فكأنه إنما كان مخلوقا له ، وكيف لا يكون كذلك ، وقد أقام على هذه الطريقة مع جلة أصحابها ، وأعيان شيوخها سبعين سنة ، زائحة علله ، ساقطة عنه كلفه ، وجعله همه وسدمه (١) .

وابن جنى يشير في نصه هذا إلى أسباب أخرى لبراعة أبي علي في التعليل والقياس ، فهو قد تمرس به ، زمناً طويلاً ، واتجه بهيمته إليه ، وعكف فارغ البال عليه ، (حتى انتزع — كما يقول ابن جنى — من العلل ثلث ما وقع لجميع أصحابه !!) (٢)

وأرى أن يضاف إلى ما ذكر ابن جنى من الأسباب ثقافة أبي علي العربية الشاملة ، وإكبابه على الكتاب ، مع ذكاء ، وقوة حافظه ، وسرعة استحضار .

\* \* \*

بجانب هذه التعليقات المصنوعة — تعليقات أخرى يتهدى فيها الشيخ بالحس النفسى (٣) أو بالنظر البلاغى ، كقوله في إعراب صيبا من قوله تعالى : « كيف نكلم من كان في المهدي صيبا ؟ » أنه حال من نكلم أى كيف نكلمه صيبا ؟ وإن جعلته حالاً مما في المهدي كان الأول أحسن ؛ لأنه أدل على موضع المعجزة (٤) .

\* \* \*

ومن المهم أن أذكر — وأنا في صدد تقويم أبي علي في تعليله — أن الرجل فطن في بعض ما علل إلى ما يقوله الحدوثون من علماء اللغة والأصوات ، فقد أورد في معرض الاحتجاج لقراءة عليهم بالكسر ، وترجيحها هذا الاعتراض :

(١) الخصائص : ٢٨٤/١ — ٢٨٥

(٢) الخصائص : ٢١٥ ولست أرى لم قدر ابن جنى الثلث ولم يزد ولم يتقص : وعلى أى أساس قاس هذا التقدير ؟ .

(٣) انظر بحث التبرازيات وانظر لوحتي ٧٤، ٤٣ من هذه المسائل .

(٤) البصريات : ٨٥ .



فإن قال قائل : د إن الضمة هي الأصل في عليهم، وبهم، ونحو ذلك، بدلالة أن علامة المضمر المجرور كعلامة المضمر المنصوب المتصل، وأن ما جاز فيه الكسر جاز فيه الضم، نحو بُهو، وبدار فهو الأرض، وليس كل ما جاز فيه الضم يجوز فيه الكسر، تقول هذا له، وسكنت دار هو، ولا يجوز كسر الهاء في شيء من ذلك، وإذا كان استعمال الضم فيه أعم وكان الأصل، وجب أن يكون أوجه من الكسر، قيل : د إن كون الضم الأصل ليس مما يجب من أجله أن يختار على الكسر مع مجاورة الكسرة أو الياء؛ لأنه قد تحدث أشياء توجب تقديم غير الأصل على الأصل طلباً للتشاكل، وما يوجب الموافقة، ألا ترى أن الأصل الذي هو السين في الصراط الصاد أحسن منه ؟، وأن النون التي هي الأصل في شبناء قد رفضت وترك استعمالها<sup>(١)</sup>.

وأبو علي في هذا يلتقي مع نظرية للحدثين من علماء اللاهيات تارك ظاهرة التشاكل (Assimilation)<sup>(٢)</sup>، وفيها يتحول أحد الصوتين المتجاورين أو المتقاربين إلى صوت من نوع الصوت الآخر، وقد قسموا ظاهرة التشاكل هذه قسمين :  
(أ) فإذا تأثر الصوت الأول منهما بالآخر سمي ذلك التأثير رجعياً (REGRESSIVE)<sup>(٣)</sup>.

(ب) وإذا تأثر الصوت الآخر منهما بالصوت الأول سمي ذلك التأثير تقدماً (PROGRESSIVE).

وأرى أبا علي قد جمع في نصه السابق نوعي التأثير المذكورين، فكان التأثير في قراءة عليهم وبهم من النوع التقدمي، إذ تأثرت حركة الهاء بالياء في عليهم وبكسرة الباء في بهم، فحركات من أجل ذلك بالكسرة طلباً للبهالة.

وكان التأثير في الصراط بالصاد وشبناء بالميم من النوع الرجعي، حيث قلبت السين صاداً حتى تتشاكل مع الطاء؛ لأنهما من حروف الاستعلاء والاطباق<sup>(٤)</sup>، كذلك قلبت النون ميماً في شبناء؛ حتى تتشاكل مع الباء، وهما حرفان شفويان<sup>(٥)</sup>.

(١) الحجة : ٤٦/١ مراد ملا

(٢) انظر ص ٧٠ وتوابعها من DAWZAT LA VIE DU LANGAGE

(٣) انظر الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ١٠٦ وما بعدها واللهجات العربية : ٥١

(٤) ارتشاف الضرب : ٨ والنشر ٢٠٢/١ ، ٢٠٣

(٥) ارتشاف الضرب لأبي حيان : ٥ والنشر : ٢٠١/١

والتأثر الرجعي يدل على الاستعداد ، والتأهب للنطق قبل أن يلبس المتكلم النطق بالحرف وهو عندى نوع من النشاط الفكرى والنطقى معاً <sup>(١)</sup> ، وفى اللغة العربية كان التأثير الرجعى أكثر شيوعاً من التأثير التقدمى <sup>(٢)</sup> مما يدل على أنها لغة نشاط فكرى ونطقى ، لأنها لغة منطوقة قبل أن تكون مكتوبة ، وذلك شئ يتصل بما يتصف به العرب من فصاحة وبيان ، وقد لحظ ذلك أبو على ، وأشار إليه ، وإن لم يفصح به وذلك قوله : « قد تحدث أشياء توجب تقديم غير الأصل على الأصل ؛ طلباً للتشاكل <sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

وأمر آخر فطن إليه أبو على ، والتقى فيه مع المحدثين ، وأقره علماء الأصوات منهم ، ذلك قوله : « وأخر الآى موضع وقوف ، والوقوف رأيناه قد أوجب إعلالا فى الموقوف عليه ، وتغيراً عما عليه فى الوصل ، ويشرح ذلك فيقول : « ألا ترى أنهم قد أبدلوا من التاء الهاء فى نحو رحمة ؟ ومن الألف الياء أو الوار فى نحو أفعى وأفعوا ؟ وزادوا فيه فى نحو هذا فرج » ، وهو يحل ؟ ونقصوا منه فى نحو : « وبعض القوم يخلق ثم لا يفر » <sup>(٤)</sup> .

ذلكم كلام أبى على ، فماذا قال المحدثون ؟ قالوا : « إن موقع الصوت فى الكلمة يعرضه لكثير من صنوف التطور والانحراف ، وأكثر ما يكون ذلك فى الأصوات الواقعة فى أواخر الكلمات <sup>(٥)</sup> . وأتم ترون أن أبا على يلتقى مع المحدثين فى تقرير هذه القاعدة أولاً ، وفى ضرب الأمثلة لصنوف التطور — من إبدال أو زيادة أو نقص — ثانياً <sup>(٦)</sup> .

وتوفيق أبى على فى التعليل ، والتقاؤه مع المحدثين — ربما يرجع فى بعض منه

(١) القراءات واللهجات العربية — الامالة : ٢٢٢

(٢) انظر القراءات واللهجات العربية — الامالة : ٢٧٠ — ٢٧٢ .

(٣) الحجة : ٤٦/١ ، مراد ملا . (٤) الحجة : ٣٨١/١ وانظر ٣٥٧/٧ من البلدية .

(٥) انظر علم اللغة للدكتور على الواحد : ٢١٤ وقفه اللغة له أيضاً : ١٤٨ .

(٦) ألقى الدكتور عبد الوهاب عزام على مؤتمر المجتمع فى دورته الثانية والمشرى بتاريخ ١٩٥٦/١/١٢ بحثاً عن « أحكام القوافى فى الانشاد » تعرض فيه لما يمتدى القوافى من حذف أو زيادة ، وتبادل المؤتمرون من أعضاء المجتمع الرأى فى ذلك وتعليله . وكان يختصر لهم التعليل لهذه الظاهرة ما ذكره أبو على من أن الأواخر موضع وقوف ، والوقف يوجب تغييراً مما عليه فى الوصل .

إلى تأثره بما كان للهنود في الاصوات من دراسات ، وبما كان للقراء في فن التجويد من تفصيلات<sup>(١)</sup> .

## العروض في الحجة

لم يعرف عن أبي علي أنه ألف في العروض ، أو القوافي ، وإن كان تليذه ابن جني له في ذلك كتاب العروض والقوافي ، ومختصر القوافي<sup>(٢)</sup> ، وأبو علي مع ذلك له صلة وثيقة بالعروض ، ورجاله ، فقد التقى منذ صباه الباكر بأبي جعفر البصير الموصلي العروضي ، وكان إماما في استخراج المعنى والعروض ، وهو الذي قال له الزجاج يوما وقد سأله عن أشياء من العروض : يا أبا جعفر ! لو رأيك الخليل لفرح بك<sup>(٣)</sup>

وقبل أن ينظر أبو علي في العروض كان يدلل على مسأله بما يعرف من مسائل النحو كجوابه عن خرم متفاعلن<sup>(٤)</sup> . وتدل كتب أبي علي أنه اتصل بما ألف أبو الحسن الأخفش في القوافي<sup>(٥)</sup> ، كما أنه اتصل كذلك بما ألف أحمد بن محمد أبو الحسن العروضي ، وكان أماما في العروض<sup>(٦)</sup> ، وتطالعك معرفة أبي علي للعروض في حديثه هنا وهناك في كتاب الحجة : رأيته يسوق الشاهد الشعري للحدث في قياس عروضي<sup>(٧)</sup> أو لأمر يتعلق بالقافية ، تحدث عن الروى ، والتأسيس ، والردف<sup>(٨)</sup> وفي لزوم ما يلزم<sup>(٩)</sup> وفي الضرورات الشعرية<sup>(١٠)</sup> ويسوق تعليقات تتعلق بالعروض أو القافية : لم تعاقبت السين والقاء في مستفعلن التي هي عروض البيت الأول من المنسرح ؟<sup>(١١)</sup> ولم وقعت الواو والياء ردفا في قصيدة دون الألف<sup>(١٢)</sup> ؟ كما دلل على أن الهاء في وزن الشعر وإن كانت خفية تجرى

(١) التطور النحوي للغة العربية : برجستراسر (ص ٥)

(٢) أنظر فهرس المخطوطات المصورة : ٤١٥ وما بعدها .

(٣) معجم الأدباء : ٢٠٣/١٨ ، ٢٠٤ . (٤) انظر معجم الأدباء : ٢٣٥/٧ وما بعدها .

(٥) انظر الشيرازيات لوحة ١٨ ولأبي الحسن كتاب القوافي فهرس المخطوطات المصورة : ٤١٦ .

(٦) معجم الأدباء : ٢٣٢/٤ . (٧) الحجة : ٦١/١ البلدية .

(٨) المصدر السابق : ٦٢/١ (٩) نفس المصدر : ٦٣/١ .

(١٠) الحجة : ٧٣/١ . انظر المسكيات : ١٣٤ (١١) الحجة : ٧٠/١ وما بعدها .

(١٢) نفس المصدر : ٧٦/١

يجرى غيرها من الحروف التي لا خفاء فيها<sup>(١)</sup>، وعلى أن الهمزة المخففة في الوزن مثل المحققة<sup>(٢)</sup>، واستجاسة حذف الحركة في الزحاف<sup>(٣)</sup>، ولفظ وسط الساكن الأوسط يستعمل ظرفاً، فإذا اضطر الشاعر استعمله اسماً، واستشهد على ذلك بيت للفرزدق، وآخر للقتال الكلابي<sup>(٤)</sup> كما رأيت يشبه فواصل الآيات بالقوافي<sup>(٥)</sup> وقد فعل ذلك الرماني<sup>(٦)</sup>.

وكان لأبي على أثره عند المشتغلين بالعروض بعده : نقل تعليقه لتعاقب السين والفاء في مستفعلن — السابقة الذكر — الدمهوري في شرح متن الكافي<sup>(٧)</sup> كما نقل السيوطي في الأشباه والنظائر كلام أبي على لابن جني فيما يجوز من الضرورة في الشعر، وأورده الدمهوري في آخر حاشيته على متن الكافي<sup>(٨)</sup>.

وهكذا يضع أبو على لبنة في صرح العروض الذي ابتداء الخليل، وانتهى إلى أبي على، وتسليه تلاميذه من بعده.

### (موقف أبي على من القراءات التي تخالف مذهبه، وتقويمه)

أقدم بين يدي هذا الموضوع نصوصاً من كتب أبي على، ثم استنتج منها ما يدل على موقفه من القراءات التي تخالف مذهبه : لتكون الأحكام صادرة عن بيئة لا لبس فيها ولا غموض، ثم اتبع ذلك تقويم ما يذهب إليه أبو على.

(أ) أورد أبو على في قراءة حمزة : « وإتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، قوله : « وأما من جر الأرحام فإنه عطفه على الضمير المجرور بالباء وهذا ضعيف في القياس، وقليل في الاستعمال، وما كان كذلك فترك الأخذ به أحسن<sup>(٩)</sup> ».

ثم أخذ يدلل على ضعف هذه القراءة في القياس.

(ب) وقال : « وأما قول ابن عامر : « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم<sup>(١٠)</sup> ». فإن الفعل المبني للفعول به أسند إلى القتل، فأعمل المصدر

(١) الحجة : ١٩٩/١ . (٢) ٢٦٧ : ١ (٣) (١٦٣/١)

(٤) الحجة : ٢٣٣/١ - ٢٣٤ (٥) انظر الحجة : ٣٥٥/١ البلدية

(٦) انظر النكت في إعجاز القرآن مخطوط بالخزانة التيمورية رقم ٢٩٨ تفسير :

٣٦ - ٣٩ (٧) انظر ص ٦٠ (٨) انظر ص ١١٢ .

(٩) الحجة : ٢٢٩/٣ البلدية (١٠) الأنعام آية ١٣٣

عمل الفعل ، وأضافه إلى الفاعل . . . والمعنى : قتل شركائهم أولادهم ، ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به ، والمفعول به مفعول المصدر ، وهذا قبيح قليل في الاستعمال ، ولو عدل عنها إلى غيرها كان أولى <sup>(١)</sup> .

(ج) رأى أن إعراب تقاة في قوله : « إلا أن تتقوا منهم تقاة مصدر أوجه من إعرابها حالا مؤكدة : لأن القراءة الأخرى « إلا أن تتقوا منهم تقية » <sup>(٢)</sup> .

(د) وقال : « وما يجوز ذلك ويسوغه — يشير إلى تحقيق الهمزتين في أنذرتهن ، أن سيويوه زعم أن ابن أبي اسحق كان يحقق الهمزتين وأناس معه <sup>(٣)</sup> .

(هـ) ويقول في العسكريات : وأما قراءة : ومن وراء اسحق يعقوب <sup>(٤)</sup> بالفتح ، فلا يخلو من أن تعطفه على الباء المجرورة كأنه أراد أنها بشرت بهما ، أو تحمله على موضع الجار والمجرور على حد من قرأ « وحوار أعيناه بعد ، يظاف عليهم بكأس ، والوجه الأول ليس بالسهل : لأن الواو عاطفة على حرف جر ، وقد فصل بينهما وبين المعطوف بها بالظروف ، والآخر أيضاً كذلك ، وإن كان الأول أخش ، وهذا كما أعلمتك إنما نجده في الشعر <sup>(٥)</sup> .

والذي قرأ ( يعقوب بالفتح ) ابن عامر ، وحزمة من السبعة <sup>(٦)</sup> هذه النصوص لها الدلالات الآتية :

١ — أن أبا على أجرى مقاييس العربية على القراءات المروية ، وأصدر أحكام القبح والحسن على هذه القراءات بمقدار ما لها من جريان على القياس . فما اتفق من هذه القراءات مع تلك المقاييس كان حسناً ، وما لم يتفق كان رديئاً !!  
٢ — أنه يعتد بأقوال النحاة فيأخذ بها ، ولا يعتد بالقراء السبعة إذا خالفوا في قراءتهم مذهبه النحوى . ( انظر العلة في جواز أنذرتهما بالتحقيق ) .

٣ — أنه يأخذ بقراءة فوق السبعة مادامت دليلاً على ما هو بسبيله من قضية يبرهن عليها : فقارى « إلا أن تتقوا منهم تقية » هو يعقوب بن اسحق الحضرمي <sup>(٧)</sup> .

(١) الحجة : ١٠١/٤ ن البلدية  
(٢) الحجة : ١٧١/١ ن البلدية  
(٣) الحجة : ٢٥٦/١ ن البلدية  
(٤) سورة هود آية ٧١  
(٥) العسكريات لوحة : ١٣٥  
(٦) انظر البحر المحيط : ٢٤٤/٥  
(٧) انظر النشر : ٢٣٩/٢ وإتحاف فضلاء البشر : ١٧٢

٤ — أن مسلكته في ذلك مسلكت القياس والنظر لا مسلكت الرواية والاثار .

تقويم مذهب أبي علي : —

أحكام الحسن وأمثاله لا ضير فيها ، ولا حرج منها ، ففي النشر لابن الجزرى مثل هذه الأحكام ، فإذا توافق قياس العربية مع القراءة المروية كان ذلك حسناً<sup>(١)</sup>

ولا يدعى القراء أن كل ما في القراءات من الفصاحة على أرفع الدرجات<sup>(٢)</sup> لكن الأمر الذي لا يفهم ما يصدره أبو علي وغيره من البصريين ، ومن لف لفهم — من أحكام القبح على قراءة ثبتت بالرواية ، وصحت بالسند ، وأن قراءة من هذه القراءة لحن لا تحل القراءة بها<sup>(٣)</sup> ؛ لأنها لم توافق مذاهب النحاة . والوضع مقلوب بمسلك أبي علي ؛ فالقراءة يحتج بها على قواعد النحاة ومقاييسهم ، لا أن تجرى مقاييس اللغة على ما روى من القراءات . إذا سمع عن العربي أخذ بما قال ، وإذا قرأ القارئ بقراءة صحيحة متصلة بالسند بالرسول ردت لأنها لم تسمع عن العرب ؟ وهل استقصى الرواة كل ما نطق العرب به ؟ إن شيئاً من ذلك ما كان ! وقد كان الأئمة السابقون من متقدمي أهل العربية ينكرون على القارئ قراءته ويلحنونه ؛ لأنهم لم يعرفوا لها وجهاً من كلام العرب ، حتى إذا عرفوا وجهاً أقروها : حكى أبو زيد أنه سمع عمرو بن عبيد يقرأ لم يطمئن لأنس قبلهم ولا جان . قال أبو زيد : « نخلته وقد لحن حتى سمعت العرب بعد ذلك تقول دأبه وشأبه فعلت أن عمراً لم يلحن »<sup>(٤)</sup> .

وهذه الحكاية مع دلالتها على مذهب النحاة في تقديم ما يرويه العرب على ما يقرأ به القراء — تشير إلى أن كلام العرب لم يُتَقَصَّ كله كما تدل على صحة ما رواه القراء ، ومن المحال أن يصح في القراءات ما لا يسوغ في العربية<sup>(٥)</sup> . هذا إلى أن من لحن قراءتهم كانوا موثقين : فقد أطلق على حمزة جبر القرآن<sup>(٦)</sup> . وكان شعيب بن حرب يقول : « ألا تسألونني عن الدر . . . يعني قراءة حمزة »<sup>(٧)</sup> .

(١) النشر : ٤٣٢/١ (٢) انظر منجد القرئين : ٦٥

(٣) انظر إعراب القرآن للنحاس : ٣٦٠

(٤) البصريات لوحة : ٥٨ والشيرازيات : ١٥٣

(٥) النشر : ٤٢٩/١ (٦) طبقات القراء : ٢٦٣/١

(٧) معجم الأدباء : ٢٩٢/١٠

وقال سفيان الثوري عنه : « ما قرأ حرفاً من كتاب الله ألا بأثر <sup>(١)</sup> » وقد انصف المقدسي البشارى ابن عامر بما يجب له من التوثيق <sup>(٢)</sup> .

وما هو ذا ابن جنى كان أسلم موقفاً من شيخه ، ومن أبي العباس المبرد ، يتألفه كتاب المحتسب ، وتصحيحه قراءة حمزة : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » حيث قال : « ليست هذه القراءات عندنا من الأبعاد والفحش والشناعة والضعف على ما رآه فيها وذهب إليه أبو العباس ، بل الأمر فيها دون ذلك ، وأقرب وأخف ، وألطف ، ثم ذكر وجه ذلك <sup>(٣)</sup> » .

وقد كان الكوفيون فى هذا أسلم موقفاً من البصريين على وجه العموم ، وإنك لترى القراء لا يطقن فى القراءة ؛ بل يقول : « فى الوجه الذى يرجحه » ؛ ولأنه لأحب الوجهين إلى ، أو نحو ذلك <sup>(٤)</sup> .

وقيض الله للمذاهب القراءة من النحاة من يحتاج لها ، ويأخذ بها كبن يعيش <sup>(٥)</sup> . وابن مالك <sup>(٦)</sup> . فقد جوز الفصل بين المتضايين بغير الظرف والجار والمجرور ، وقال :

وحجى قراءة ابن عامر فكلم لها من عاضد وناصر  
ودل على ذلك بوجوه :

- (أ) أن الفصل فضله وهو لذلك صالح لعدم الاعتداد به .
- (ب) أنه غير أجنبى معنى لأنه معمول للضاف وهو المصدر .
- (ج) أن الفاصل مقدر التأخير ؛ لأن المضاف إليه مقدر التقديم ، لأنه فاعل فى المعنى <sup>(٧)</sup> .

والمسألة لا تحتاج إل هذه الصناعة فى التخرىج فيكفى — عندي — أن تروى عن إمام ، وأن يصح سندها عن الرسول (عليه السلام) .

وقد وقف مثل هذه الوقفة المنصفة أحمد بن منير الاسكندرى (ت ٦٨٣هـ) فى رده على الزمخشري <sup>(٨)</sup> . وكذلك فعل أبو حيان فى البحر المحيط <sup>(٩)</sup> . والنيسابورى

(١) النشر : ٢٣٠/١ (٢) انظر أحسن التقاسيم ١٤٢ الطبعة الثانية ط ليدن سنة ١٩٠٩

(٣) انظر الخصائص : ٢٩٤/١

(٤) انظر معانى القرآن للقراء : ٧٤ ، ٧٥

(٥) انظر شرح المفصل : ٧٨/٣ (٦) الاقتراح : ١٥

(٧) النشر : ٢٦٤/٢ وما بعدها

(٨) انظر تفسير الكشاف : ٤١/٢ (٩) البحر المحيط : ٢٢٩/٤

في غرائب القرآن <sup>(١)</sup> . والسيوطي في الاقتراح <sup>(٢)</sup> . ومن قبل تعجب الرازي من استشهاد النحاة بالشعر المجهول ، وتركهم الاستشهاد بقراءة في القرآن العظيم <sup>(٣)</sup> . وفي زماننا انبرى الأستاذ محمد الخضر حسين ( رحمه الله <sup>(٤)</sup> ) يدفع عن قراءة ابن عامر ، فلم يسلم أن الفصل في مثل هذا مخالف للفصاحة ، وبين أن في اللسان الألماني يفصلون بين أداة التعريف ، والمعرف بجمل كثيرة ، وربما كان الفعل مركباً من قطعتين فيضعون القطعة الأولى في صدر الكلام ، ويلقون الأخرى في نهايته ، فيتفق أن يكون بين القطعتين كلمات فوق العشر ، وتراهم يفصلون بين علامة الاستقبال والفعل بجمل متعددة ، ولا شبهة أن الارتباط بين هذه الأشياء لا يقل في شدته عن ارتباط المضاف بالمضاف إليه <sup>(٥)</sup> .

ولاشك أن الأستاذ ( رحمه الله ) أراد أن يقيم الدليل — مشكوراً — على صحة هذه القراءة وسوغها بالنظر إلى الأساليب المستعملة في اللغات الحديثة ، وإن كان الأمر يقطع القول فيه بأن هذه القراءات إلى الرسول مسندة ، ومن عند الله منزلة ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ، فلا يجوز أن يحكم القياس فيما ثبت بالنقل والرواية <sup>(٦)</sup> .

## رسم المصحف ، وموقف أبي علي من الاحتجاج به

ما المراد بالرسم هنا ؟ وأي مصحف يريدون ؟ يجيب أبو العباس القسطلاني هذين السؤالين فيقول : الرسم الأثر ، والمراد أثر الكتابة في اللفظ ، وهو تصوير الكلمة بحروف هجائها بتقرير الابتداء بها ، والوقوف عليها .

والمراد بالمصحف : المصاحف العثمانية التي أجمع عليها الصحابة <sup>(٧)</sup> .

وقد وقف القدامى من المحتجين للقراءات مواقف مختلفات بالنسبة لرسم المصحف ، فمنهم من ينظر إليه ، ويعتمد عليه ، ويمنحه فضل اهتمام في الاحتجاج

(١) انظر غرائب القرآن على هامش الطبري : ١٧٦/٤ ، ٣١/٨

(٢) انظر ص ١٧ (٣) انظر تفسير الرازي : ١٩٣/٣

(٤) توفي أثناء طبع هذه الرسالة ، وكان ( رحمه الله ) من العلماء العاملين في خلق متين ، وتدين قويم .

(٥) انظر القياس : ٣٠ ، ٣١ (٦) انظر مثلاً الشاطبية : ٧٨ ط ١٣٥١ هـ

(٧) انظر لطائف الاشارات في علم القراءات لشهاب الدين أبي العباس القسطلاني : ٢١١



والتعليل لمذاهب القراء ، ومن المحتجين من لا يعتمد على رسم المصحف ، سالكا سبيل أهل الرأي والنظر في التخريج والاحتجاج ، وقد رأينا قبل موقف سيويوه ( ١٨٠ هـ ) من رسم المصحف ، وأنه يحتج لأوجه القراءة بما هو مرسوم في بعض المصاحف — غير المصحف الإمام — مسمى أصحابها حينا ، وحيننا يغفل ذلك (١) . وسنرى موقف القراء ( ٢٠٧ هـ ) من رسم المصحف ، وأنه لا يخضع في كتابه معاني القرآن ، إلى نظرة ذات اتجاه معين أو مطرد ، والملاك العام عنده في ذلك — اتباع الرسم إذا وجد له وجهاً من كلام العرب — أحب إليه من خلافه (٢) .

وكان الزجاج ( ٣١١ هـ ) يلح في مواضع مختلفات من كتابه « معاني القرآن » ، بأن رسم المصحف لا يتخالف ، ووجدته يدافع عن كتبه المصاحف من الصحابة (٣) . كذلك كان ابن خالويه ( ٢٧٠ هـ ) يعتد بالرسم اعتداداً عظيماً حتى بلغ منه في ذلك أنه قال في احتجاجه لمن قرأ : « ثم اتخذتم ، بالإظهار : « أنه أتى بالكلمة على أصلها ، واغتم الثواب على كل حرف منها (٤) » .

رأيت على بن عيسى الرماني ( ٣٨٤ هـ ) في كتابه الحروف يعتد برسم المصحف ؛ حتى أنه قال في رد رواية ابن قبل عن ابن كثير « لا قسم ، على أن اللام لام القسم : وهذه القراءة فيها نظر من وجهين :

أحدهما : حذف الألف التي بعد لا ، وهي في الإمام ثابتة .

والثاني : حذف النون التي تصحب لام القسم (٥) .

أما مكي بن أبي طالب ( ٤٣٧ هـ ) في الكشف ، وأبو عمرو الداني ( ٤٤٤ هـ ) في الموضح فقد تردد اعتدادهما برسم المصحف في كتابيهما بكثرة ظاهرة ، حتى أشبهت عبارتهما التماذج التعبيرية تلقى هنا وهناك ، وهذا ظاهر عند الداني في الاحتجاج لمذاهب القراء في ذوات الباء من الأسماء والأفعال بما هو مرسوم في المصحف بالباء (٦) .

(١) انظر الكتاب : ١/ ٧٤ ، ٢٥٨ ، ٤٢٢ ، ٤٨١ ، وانظر البحث الخامس بسيويوه والاحتجاج في هذه الرسالة .

(٢) الصاحبي لابن فارس : ١١

(٣) وكان كل الشيخين الطبري وابن مجاهد يعتد برسم المصحف على النحو الذي سبق به البيان

(٤) الحجة لابن خالويه ظهر ورقة ٨ من المخطوطة

(٥) معاني الحروف للرماني لوحة رقم ١

(٦) راجع الموضح في هذا الباب

بينما يقف هؤلاء جميعاً هذا الموقف إذ أجد أبا علي الفارسي (٢٧٧ هـ) يقف في الجانب الآخر من الرأي ، فلا يكاد<sup>(١)</sup> يقول برسم المصحف فيما يسوقه من احتجاج ، فلم يقل برسم المصحف مثلاً في احتجاجه لا تفارق القراءة على قراءة لم يتسنه في الوصل بالهاء<sup>(٢)</sup> . ، واحتجاجه — تاركا القول برسم المصحف — لقراءة ، والذين اتخذوا مسجداً أضراً ، بالواو وغير الواو<sup>(٣)</sup> .

وقد وعدت في غصون الفصول المختلفة التي تعرضت فيها للعالم الكبرى لمنهج أولئك الذين سبقوا أبا علي في الاحتجاج ، أو خلفوا من بعده — وعدت ببيان الرأي الذي أذهب إليه ، وأراه صواباً ، وقد حان الآن وقت الوفاء فأقول : « الملاك العام عندى في هذا الأمر : أن القراءه سنه ، فما خالف منها ظاهر

الخط فلا سبيل إلا إلى القراءة به مرجحين جانب النقل والرواية ، وما وافق منها الرسم فذلك نور على نور<sup>(٤)</sup> » وذلك ما يشير إليه أبو شامة (٦٦٥ هـ) حيث يقول : « القراءة نقل ، فما وافق منها ظاهر الخط كان أقوى ، وليس اتباع الخط بمجردة ، واجبا مالم يعضده نقل ، فإن وافق فيها ونعمت<sup>(٥)</sup> .

ويؤكد ما ذكره الداني عن شيوخه عن عاصم الجحدري قال : في الإمام مصحف عثمان في الحجة<sup>(٦)</sup> . ولؤلؤاً بالآلف ، والتي في الملائك<sup>(٧)</sup> . ولؤلؤ خفض بغير ألف<sup>(٨)</sup> .

قال الشيخ السخاوى : « وهذا الموضع أول دليل على اتباع النقل في القراءة ؛ لأنهم لو اتبعوا الخط ، وكانت القراءة إنما هي مستندة إليه لقروها أى في سورة الحجج بالـف : « يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير ،

(١) اخترت ذلك التعبير لأنى وجدت أبا علي مرة يقول : وجه قول من أثبت في الوصل الألف — من قوله الظنوننا — الرسولا — السبيل — أنها في المصحف كذلك ، ومى رأس آية . وروى الآى تشبه القواصل من حيث كانت مقاطيع كما كانت القوافي مقاطع الحجة : ١٤٧/٦

(٢) الحجة : ١٥/٣ — ٢٠ ن البلدية وانظر ٤٧١/١ ن مراد ملا

(٣) الحجة : ٣٤٧/٤

(٤) ناقشت الداني في الاحتجاج برسم المصحف في رسالة الماجستير : القراءات واللهجات العربية — الإمالة : فليراجع الفصل الخامس بذلك هناك .

(٦) س ٢٦ آية ٢٢

(٥) إبراز المعانى : ٤٠٦

(٨) المقنع ٤٢ وانظر مورد الظمان : ٢٢

(٧) س ٢٥ آية ٣٣

وفي فاطر بالخفض وجنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ،<sup>(١)</sup>. قال أبو عبيد: «لولا الكراهه لخلاف الناس لكان اتباع الخط أحب إلى، فيكون في الحج بالنصب، وفي فاخر بالخفض، فإنه رسم بالآلف في الحج خاصة دون فاخر<sup>(٢)</sup>» يقول ذلك أبو عبيدة، ولكنه لم يقرأ به متبعا للنقل لا الرسم. فالنقل لا الرسم هو الذي يحتاج به في هذه الكلمات التي تتصل برسم المصحف، وإذا أردت تهويم آراء القدامى في مواقفهم المختلفة من الرسم أقول.

«أما سيويه فقد كان على حق دلالة احتج بمصحف ابن مسعود<sup>(٣)</sup>، ومصحف أبي مثلاً<sup>(٤)</sup>». لأنه احتج بما هو جائز في العربية، موثق بالأسانيد، وإن خالف رسم المصحف الإمام، ويكفي لتجوز إعراب<sup>٥</sup> ما أن تستشهد بما في مرسوم المصاحف التي كانت قبل المصحف الإمام، إذ كانت كما قلت موثقة بالأسناد، لكن لا يقرأ بها لمخالفتها المصحف المجمع عليه.

ومسلك سيويه يبدو طبعيا؛ إذ كانت صفته الأولى والباقية على الدهر أنه نحوي ينظر إلى المصاحف على عمومها، محتجا بما جاء في مرسومها، غير مقيد بمصحف الإمام ما دامت المصاحف الأخرى كافية في الاحتجاج على المذاهب العربية في فنون الكلام.

وصحيح من القراء، والزجاج، والطبري أن يرفض كل مخالفة لرسم المصحف فيما يتصل بنقص<sup>(٥)</sup> أو تبديل<sup>(٦)</sup> ما هو مرسوم بالمصحف الإمام، فهذه المخالفة المردودة عند القراء بعد الاستقرار على المصحف الإمام، أما القراءات التي يحتملها الرسم العثماني وكانت ترجع في أساسها الأولى إلى النقل على النحو الذي فصلت في قول الزجاج بالآثر فلا داعي لإقحام الاحتجاج برسم المصحف فيها، فالنص على ذلك أمر لا ضرورة له، وأرجو أن ترجعوا إلى تفسير ذلكم في مكانه من هذا البحث<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر عقيلة اتراب العقائد وشرحها تلخيص الفوائد : ٤٤ ، ٤٥

(٢) ابراز المعاني : ٤٠٦ (٣) الكتاب : ٢٥٨/١

(٤) الكتاب : ٤٨١/١ (٥) كقراءة فاذا لا يؤتوا الناس تقيرا

(٦) كقراءة فاذا اطلبنا نتم ، كقراءة وإن كاد مكرهم لتزول منه الجبال

(٧) وتوضيح ذلك — أني لا أرى إقحام الاحتجاج بالرسم مثلا — لقراءة من قرأ بالإمالة ذوات الباء من الأسماء والأفعال ، لأنها رسمت في المصحف بالياء . فاحتجاج بالنقل وحده هو الممثلة في ذلك عند أهل الأثر ، ومن هنا يجتمع في بعض الحروف من أسباب الإمالة =

وأقول لابن خالويه من حيث مسلكه في الاحتجاج مثل ما قلت للزجاج ،  
وأزيد : أن ابن خالويه بالغ في أن جعل ثواب الله أكبر بقراءة الإظهار في قوله  
تعالى : « ثم اتخذتم ، فان كرم الله لن يضيق بثوابه على التالين لكتابه ، والمتعبدین  
بما به ، ولن يكون ضيقاً حرجاً بالإدغام ، وواسعاً عفواً بالإظهار ! فتواب التلاوة  
ثابت في كلتا الحالين بقدر ما تخشع القلوب ، وتلين الجلود !!

وقد بدا لي أن أبا علي جانب الأثر في احتجاجه وأراد أن يحتج للقراءات  
بطريق النظر ؛ فقد دعت الاتجاهات العامة في عصره أن يرد على الملحدین المجادلین  
في آيات الله ، وهم لا يعتدون بالأثر ، ولا يقتنعون إلا بالرأى القائم على الحجة  
والدليل المنطقي ، فأجرى مقاييس العربية على القراءات ، هذا داع من الدواعي  
الدافعة لأبي علي أن يسلك مسلكه ، وشيء آخر : لقد كان معاصراً لابن مقسم  
( ١٥٤ هـ ) الذي قرأ — خاطئاً — بكل ما يحتمله رسم المصحف فأبعد كل هذا  
أبا علي — فيما أرى — عن الاحتجاج بالرسم ، ووثق القراءات الصحيحة السبعة  
بجريانها على ركن هام من أركانها ذلك هو قياس العربية ، بجانب الآثار العربية .  
فإذا لم يستطع أبو علي أن يجرى مقاييس العربية على قراءة من القراءات سلم مضطراً  
بأن القراءة سنة ، ثم هو : لا يخلّي تسليمه عندئذ من الإشارة إلى أن القراءة بما  
يوافق القياس أحسن وأولى .

ولإذا أردت تقويم اتجاهه وجدته خيراً وأحسن تأيلاً من سلوك مسالك الأثر  
في عصر اشتعلت فيه نيران الجدل ، وتفشته مظاهر الخلاف ، واختلقت فيه النحل ،  
وتفرقت فيه الأحزاب طرائق قدداً ، ثم اجتمعوا على الكيد للإسلام فكان لا بد  
من اصطناع البراهين التي يصطنعون ، واتخاذ الوسائل التي يسلكون ، وإن كان أبو علي  
قد غالى في ذلك حتى لا يكاد يقول برسم المصحف ، وتجاوزته إلى قياس القراءة على  
العروض والقوافي . ويشفع له في ذلك أنه كان عن كتاب الله منافعاً ، ومن هنا لم يكن  
غريباً أن ينال تقدير صادق الحكومة أبي العلاء في رسالة الغفران ، فأخلاه من لوم  
اللائمين ؛ لأنه يُمسك إلى الله بكتابة الحجة وهو سبب متين <sup>(١)</sup> .

وأرجو أن يكون مفهوماً — وهذه عقيدة الفارسي — أن ليس معنى انصرافه

== مالا يجتمع في حروف أخرى من جنسها فيبيل بعض القراء ما كان سبب الامالة فيه ضعفاً  
ويترك ما كان السبب فيه قوياً ( انظر الامالة لمكي ورقة ١٤ والموضع للداني ص : ٢٤٧ .

(١) رسالة الغفران : ١٥٤

عن الاحتجاج برسم الامام أنه لا يقول به ركناً من أركان القراء الصحيحة <sup>(١)</sup> . ولكنه ترك جانب الأثر إلى غيره من الجوانب التي دعت إليها دواعي العصر الذي كان يعيش فيه .

## مادة الاحتجاج عند أبي علي

في دراساتي السابقة أملت بما يحتج به أبو علي ، وأجمع هنا في إيجاز ما تفرق في غضون هذه الدراسات .

يورد أبو علي شواهد من القرآن الكريم ، والشعر العربي القديم محتجاً للقراءات المختلفة ، أو مقوياً جانب قراءة من هذه القراءات ، أو مفسراً ، أو معرباً ، أو مصرفاً ، أو متحدثاً في مسائل النحو اللغة ، أو مستدلاً على صحة تعبير وعدم جواز غيره ، أو مبرهنأ على القضايا المنطقية

وقد عرضت قبل موقفه — في الاحتجاج — من القراءات التي تخالف مذهبه النحوي ، وقومت اتجاهه عند ذاك ، ومكانه بين السابقين في هذا الموضوع .

أما رسم الصحف فلا يكاد أبو علي يحتج به ، وقد علقت لذلك ، وقومته ، ووازنت بين موقفه هذا وموقف السالفين والذين خلفوه من النحاة والقراء .

ثم بينت أنه سبق المدرسة الأندلسية ممثلة في ابن خروف ، وابن مالك — في الاحتجاج بالحديث الشريف ، واعتداده به ، وعلقت لموقفه هذا .

ورأيت أبا علي يأخذ باللهاجات المختلفة ، ويسميا اللغات ، ويحتج بها في توجيه القراءات <sup>(٢)</sup> .

كما رأيته يعتد بالكثرة ، ويحتج بها ، ويعدها من أسباب قوة القراءة ، ويختصر الدليل على هذه النزعة عنده قوله : « حزنه أكثر من أحزنته ، وفي ترك قول الأكثر ضرب من الاستيحاء » <sup>(٣)</sup> . ويروي قول أبي الحسن : « في خرقوا وخرقوا — الخفيفة أعجب إلى لأنها أكثر ، وبها أقرأ » <sup>(٤)</sup> . وقوله : « شهاب قبس الاضافة أكثر وأجود في القراءة » <sup>(٥)</sup> .

(١) — معروف بالضرورة بـ لأنه يقول برسم المصحف نادراً وفي هذا اعتراف به صمياً

(٢) انظر مثلاً الحجة : ٧٨/١ ن مراد ملا .

(٣) الحجة ٥/٤ ن البلدية (٤) ٧٣/٤ ن البلدية وانظر ٢٨/٢ في الاحتجاج

(٥) الحجة : ٥٢/٦

لقراءة فتلى آدم من ربه كلمات

وعرفت أبا على يقدم السماع والرواية على القياس، ثم يحاول أن يجري مقاييس العربية على القراءات المروية فيخرجها بما يتفق مع الصناعة النحوية، وأنه ليلعب الذروة في ذلك حيث يقول: «ولأنما جاء الكتاب فيما نرى على هذا القياس<sup>(١)</sup>». وحيث يقول: «ولإذا جاءت الرواية عن العرب<sup>(٢)</sup>». لم ترد بالقياس،<sup>(٣)</sup>.

هذا وكانت عبارة سيبويه في الكتاب بله الشواهد — مادة لاحتجاج أبي على، ولأنه ليرقى في ذلك حتى ينص على أن التنزيل جاء على الذي استعمله سيبويه<sup>(٤)</sup>.

فالقرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر العربي القديم، ولهجات العرب المختلفة، والاعتداد بالكثرة، وتقديم السماع والرواية عن العرب على القياس، وتطبيق القياس على ما نقله القراء، وعبارة سيبويه في الكتاب، كل أولئك كان مادة الاحتجاج عند أبي على في كتابه الحجة.

ولا أزعج أني حصرت كل ما كان منه في ذلك، ولكني كدت أو قاربت بقدر ما أعاني الجهد والتثبت في الاستقصاء، ومع ذلك فهذه هي الظواهر الكبرى في الاحتجاج تتردد في كثرة تدعو إلى التقييد والتسجيل.

قيمة الحجة:

ألف أبو على كتاب الحجة للقراءات السبع التي ذكرها ابن بهاهد في كتابه القراءات، ثم قدمه إلى عضد الدولة<sup>(٥)</sup>. أشهر آل بويه، فوضع الكتاب إذا جليل، والمهدى إليه له مكاتته وسلطانه، والمؤلف له أمامته العلمية في زمانه، وعلى هدى من موضوع الكتاب، ومكانة عضد الدولة، وإمامة أبي على سار ذكر الحجة إلى أن الكتاب يعد معلة تفتح أفقا جديدة في فروع الثقافة الإسلامية المختلفة، وقد استظهرت من قبل أن أبا على ألفه في فترة من الاستقرار والاطمئنان في أخرة من زمانه، وبعد جملة صالحة عن كتبه، فجاء الكتاب مرآة لضلالة أبي على وبراعته وتبحره وتمكنه من الثقافة الإسلامية، ودرايته، بأساليب العرب، وسنن العربية فهو يجد فيها مادة الدليل، وعنصر التدليل، فهذا قارىء يميل. وآخر لا يميل، وهذا يهزم، وآخر يخفف، وهذا يقرأ الآية بالرفع مثلا، وآخر يقرؤها بالنصب وهكذا

(١) الحجة: ٣٤٨/١ ن مراد ملا (٢) ما بين الشرطين زيادة مني للتوضيح

(٣) الحجة: ٣٦٢/١ ن مراد ملا. (٤) انظر الحجة: ٣٢٢/١ من مراد ملا.

(٥) انظر مقدمة الحجة: ١

وهكذا ... فيحتاج لكل ويستشهد ، ويورد أقوال القدامى ، ويعلق ، ويناقش ، ويعقب بما يدل على فقهه العربية ، ويتابع أدلته دليلاً بعد دليل ، كما قد نظم ذلك كله في سلك يعينه وفرة محفوظة ، وقوة ذاكراته ، وقدرته على جميع الاشباه والنظائر بعضها إلى بعض ، مستعيناً بالقرآن ، والحديث ، وأحكام الشرع ، وأقوال الأئمة جميعاً<sup>(١)</sup> . فجاء الحجة موسوعة جامعة لكتب مختلفة في القراءات ، والتفسير . واللغة ، والنحو ، والصرف ، ومسائل الخلاف ، والاحتجاج لها ، والعروض ، والشواهد العربية القديمة ، مع تفسيرها وشرح لمتها<sup>(٢)</sup> . ، ولهجات القبائل : فضحاء الدين ، وقيس<sup>(٣)</sup> . وطيه<sup>(٤)</sup> . وأهل الحجاز عامة<sup>(٥)</sup> . وأهل مكة خاصة<sup>(٦)</sup> . ومن هنا كان الحجة معتمد القراء ، والمفسرين ، واللغويين ، والنحويين ، كما أسلفت بذلك البيان . وإذ كنا نحرص على تراثنا القديم ، ونعمل جاهدين على تتبعه في مظانه من مكاتب العالم ، وتحقيقه ، وإخراجه إلى النور — فإن كتاب الحجة لأبي علي من أنفع ما خلف أسلافنا في الثقافة العربية الإسلامية ، ثم هو يشتمل — فيما يشتمل — على كتاب القراءات السبع للامام الحافظ أبي بكر بن مجاهد<sup>(٧)</sup> . ولئن عصفت الأحداث بكثير عما للإسلام من تراث ، وطوت فيما طوته كتاب أبي بكر بن مجاهد هذا — إن كتاب الحجة يهدي إليه ، ومن أراد كتاب ابن مجاهد مستقلاً فليجرده ، متبهماً له في أجزاء الحجة المختلفة ، وبذلك نظفر من تراثنا القديم بأثر يعدُّ أمّا في أصالته ، وتفرد ، وأسبقيته ، وتوثيقه لقراءات السبعة من أهل الأمصار بالحجاز ، والعراق ، والشام .

وما كاد اللغوي النحوي محمد بن عثمان بن بلبل ( ت ٤١٠ هـ ) يذيع الحجة ويرويه<sup>(٨)</sup> . حتى شغل به الناس قادرين منزلته ، فسمعه منه ابن بشران النحوي<sup>(٩)</sup> . وعنى به الأندلسيون عناية ظاهرة : اختصره مكى بن أبي طالب حموش القيسي ( ت ٤٣٧ )<sup>(١٠)</sup> . في كتاب سماه فيما أورده ياقوت : منتخب الحجة في القراءات

(١) انظر مثلاً الحجة ١/١٥٦ ن مراد ملا ، ١/٥٦ ن البلدة

(٢) انظر الحجة : ١/٢٧٦ ، ١٧٧ ن البلدية (٣) الحجة : ١/٤٨

(٤) المصدر السابق : ١/٢٤

(٥) انظر الحجة : ١/٥٦ ، ٧٤ ، ١٧٥ ، ٣٤٣٢

(٦) الحجة : ١/٤٤ (٧) كشف الظنون : ٢/٢١٤ .

(٨) انظر معجم الأدباء : ١٨/٢٤٩ (٩) انظر بنية الوعاة : ٢٢

(١٠) كشف الظنون : ٢/٢٤٤

وجعله في ثلاثين جزءاً<sup>(١)</sup>. كما اختصره أبو طاهر اسماعيل بن خلف الأندلسي (ت ٤٥٥ هـ)<sup>(٢)</sup>. ومحمد بن شريح الرعي (ت ٤٧٦ هـ)<sup>(٣)</sup>. وبحاشية أحد المصاحف بالخزانة التيمورية مختصر الحجة لم يعلم اسم مختصره<sup>(٤)</sup>. وتدارس الحجة عدد من مشهورى القراء، والمفسرين، والنحاة، واللغويين<sup>(٥)</sup>. وانتقلت العناية بالحجة من الأندلسيين إلى أهل الشام؛ حتى كانوا يقرءونه ويحفظونه في القرن السابع الهجرى<sup>(٦)</sup>. وكان كتاب الحجة من المصادر التي اعتمد عليها البغدادى في خزانته<sup>(٧)</sup>.

#### ثناء القدماء على الحجة : —

أثنى القدماء على الحجة وأجلّوه، سواء في ذلك المؤرخون، والأدباء، والنحويون، واللغويون، والقراء، فأقوالهم تدل على أكبارهم له وإعجابهم به. قال في ذيل تجاب الأمم : « صنف في أيام عند الدولة المصنفات الرائعة في أجناس العلوم المتفرقة، فنها كتاب الحجة في القراءات السبع، وهو كتاب ليس له نظير في جلالة قدر، واشتهار ذكر<sup>(٨)</sup> ».

ويرى أبو العلاء المعرى أن أبا على بكتاب الحجة حقيق أن يؤخذ بالرفق في الأمر كله، لأنه عمل مالم يعمل مثله الآخرون، وذلك لإذيقول في رسالة الغفران — وقد امترس قوم بأبى على يطالبونه : « يا قوم ! ... لا تعتصوا هذا الشيخ؛ فإنه يمت بكتابه في القرآن المعروف بكتاب الحجة<sup>(٩)</sup> ».

وفي طبقات النحاة واللغويين : « كتاب الحجة في تخريج القراءات السبعة من أحسن الكتب وأعظمها<sup>(١٠)</sup> ». وقال في طبقات القراء : « وألف أبو على كتاب

(١) معجم الأدباء : ١٦٩/١٩

(٢) كشف الظنون : ١٩٤/٢ وطبقات القراء : ١٦٤/١ وبغية الوعاة : ١٩٥ وانظر تحفة الاخوان لابن الجزرى : ٧ مخطوطه رقم ٣٠٦ تفسير بالخزانة التيمورية .

(٣) انظر الصلة لابن بشكوال : ٢١٥ مخطوطه رقم ٣٦٢

(٤) انظر المصحف ٢٦٤ قراءات وفهرست الخزانة التيمورية ٢٨٩/١ تفسير

(٥) انظر التلميذات والسماعات التي على نسخة مراد ملا الجزء الأول .

(٦) انظر النجوم الزاهرة : ٢٦٧/٦

(٧) انظر لإقليد الخزانة ٤٢٥ (٨) ذيل تجارب الأمم : ١٨٣ .

(٩) رسالة الغفران : ١٥٢ — ١٥٤

(١٠) طبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة الأسدى : ٢٩٥ .



الحجة شرح سبعة ابن مجاهد فأجاد وأفاد<sup>(١)</sup> ، وتقدم في شهادة القدماء وأقوالهم في أبي على ثناؤهم على مؤلفاته بصفة عامة<sup>(٢)</sup> . هذه نظرة القدماى إلى كتاب الحجة ، وذلك مبلغ انتفاعهم ، وحرصهم عليه ، وأما عبارة ابن جنى التى تشير إلى أن القراء رفضوا كتاب الحجة ، ولم يقبلوا عليه<sup>(٣)</sup> . فإنها لا تدل على انتقاص الحجة وسوء الرأى فيه . فابن جنى أبعد الناس من أن يرى هذا الرأى فى أبى على . وعبارة ابن جنى — فيما أرى تدل على أن الحجة موضوع لخاصة المثقفين من أهل العربية دون عامتهم ، ذلكم ما يفهم من قول ابن جنى : « وقد كان شيخنا أبو على عمل كتاب الحجة فأغضه ، وأطاله حتى منع كثير آمن يدعى العربية — فضلا على القراء — منه وأجفاهم عنه<sup>(٤)</sup> . وجفوة هؤلاء ممن يدعى العربية والقراءة عن كتب الحجة لا يضع مكاتته ، وأحسب أنه على العكس — يرفع من درجته ، ويعلى من قيمته .

وبعد: فلعل الجهود تتضافر لإخراج هذا الكتاب وتحقيقه ، ونشره ، إذا لافادت الثقافة الإسلامية العربية ، وانتفع طلاب العلم به أيما انتفاع .

ولا يزال الرأى حسنا فى كتاب الحجة وصاحبه حتى هذا الزمان ذكر الأستاذ أحمد تيمور نسخة الحجة المودعة خزانة البلدية بالإسكندرية ، وأنها تنقص جزءاً ثم قال : « وقد قرأتها كلها ، واستخرجت منها فوائد عزيزة<sup>(٥)</sup> . وقراءة تيمور للحجة دليل على تفتنه لهذا الكتاب ، واستخراج ما استخرج من فوائد وصفها بأنها عزيزة ، ينبه الباحثين إلى ما فى الحجة من ذخائر العربية لا تظفر بها من سواه . وجاء فى صحيفة الأهرام ما نصه :

« ألقى الدكتور بشر فارس فى قاعة المجمع العلمى المصرى محاضرة ضمنها نصاً عربياً قديماً فى كتاب مخطوط ألفه أبو على الفارسى من أئمة العربية المسلمين فى القرن الرابع الهجرى ، خصصه لبحث مسألة التصوير فى الإسلام ، مصرحاً بأنه جائز بإجماع لا يقدر فيه اعتراض الآحاد ، والحظر فيه مقصور على تصوير الله ( سبحانه وتعالى ) تصوير الأجسام ، فأما غير ذلك من أنواع التصوير للأحياء فليس محظوراً .

(١) طبقات القراء : ٢٠٧/١ (٢) راجع المتظم : ١٣٨/٧

(٣) راجع المحتسب : ٢٣٦/١ (٤) المحتسب : ٢٨٨/١

(٥) مجلة الهلال سنة ٢٨/٥٠ .

وقد طلب كثير من الادباء المستمعين طبع هذه المحاضرة إذاعة لذلك النص  
تفريدا المفيد ، وتعميرا للنهضة الفنية في الشرق الحديث ، فوعدوا بإجابة طلبهم<sup>(١)</sup> .  
وقد يكون الباعث على ذلك توجيه الناس إلى نص من نصوص أبي على يحسم  
الخلافا في جواز التصوير ، وربما كانت الغاية منه تنبيه الأذهان إلى جهد المحاضر  
في البحث ، وتعمقه في التنقيب والتنقيب ، وأيا ما كان الباعث على ذلك المقال فإن  
فيه تسجيلا لفضل أبي على في كل حال .

وقد ذكر المحاضر في كتابه « سر الزخرفة في الإسلام » ، أنه قدم النص<sup>(٢)</sup>  
بالفرنسية إلى مجلة الجمعية الآسيوية بباريس في ١٠/١١/١٩٥٠ ، ثم بين ما للنص  
من شأن ، وما لصاحبه من فحولة بين علماء الإسلام<sup>(٣)</sup> .  
نسخ الحجة وأما كتبها :

أقدم نسخ الحجة التي أعلم نسخة كتبت في حياة أبي على سنة ٢٧٤ هـ بخط  
كبير جداً كتبها العباس بن أحمد بن أبي مواس ، والذي سلم على الدهر منها مجلدتان :  
تحتوي المجلدة الأولى على الأجزاء ( ٢١ — ٣٢ ) وتبتدىء من قوله تعالى :  
« أو المنافقين في الدك الأسفل من النار »<sup>(٤)</sup> وتنتهى إلى قوله : « بل لله  
الأمر جميعاً »<sup>(٥)</sup> وجاءت هذه المجلدة في ثلاثمائة وستين ورقة كبيرة الحجم .  
ويحتوي المجلدة الأخرى على الأجزاء ( ٣٣ — ٤٤ ) مبتدئة من قوله تعالى :  
« إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح » سورة النساء : آية ١٦٣ ، ومنتهية بأوائل  
سورة الزخرف . وبلغ عدد أوراق هذه المجلدة ثلاثمائة وثمانين ورقة  
كبيرة الحجم .

وكلنا المجلدتين بشييد على رقم ٢٦ ، ٢٧ .  
تلى هذه النسخة في القدم نسخة كتبت سنة ٣١٠ هـ بخط شرقي جميل تقع في ستة

---

(١) صحيفة الأهرام : ١٠/٣/١٩٥١

(٢) النص يقع في الحجة : ٦٧/٢ — ٦٩ ن البلدية ، وقد تعرضت لذلك النص عند الحديث  
من أبي على المحدث

(٣) انظر نص الزخرفة في الإسلام تمهيد ٣١ — ٣٤ . ويذكر كاتب مقال ( المسلمون  
والتصوير ) في ( مجلة الأزهر جادى الأولى ١٣٧١ هـ المجلد الثالث والعشرون السبق في نشر  
نص أبي على في جواز التصوير لأول مرة واست هنا في مقام تحقيق هذه الدعوى وإن كانت  
تفرد إلى تنازع الناس فضل كتاب الحجة ، والاعتراف بمجدوى الاتصال به على الباحثين  
في الدراسات الإسلامية جماء

(٤) النساء : آية ١٤٥ (٥) الرعد آية ٣١

مجلدات ينقصها الخامس بمكتبة بلدية الاسكندرية برقم ٣٥٧٠ ع، وبتدار الكتب مصورة منها تحت رقم ٤٦٢ قراءات وقام بجمع اللغة العربية بتصوير نسخة منها وأودعها خزائنه .

وفي مكتبة مراد ملا باستانبول رقم ( ٦ - ٩ ) نسخة كاملة تقع في أربعة أجزاء بخط طاهر بن غلبون النحوى المقرئ<sup>(١)</sup> . كتب الاجزاء الثلاثة الاولى سنة ٤٢٧ وكتب الجزء الرابع سنة ٤٢٨ . ويبدأ الجزء الاول من أول سورة البقرة إلى قوله : كن فيكون من سورة البقرة أيضاً<sup>(٢)</sup> . في تسع وثلاثين ومائتي ورقة . وبدأ الجزء الثاني ببقية سورة البقرة وينتهي بآخر سورة الأنعام في ست وثلاثين ومائتي ورقة . ويتتبع الجزء الثالث بسورة الأعراف وينتهي بآخر سورة الانبياء في خمسين ومائتي ورقة . أما الجزء الرابع فيبتدىء بسورة الحج ، وينتهي بآخر القرآن في أربع وخمسين ومائتي ورقة .

وعلى الجزء الاول من هذه النسخة تملكات وساعات لرجال من أهل العلم ترجم لهم المؤرخون ، من هؤلاء الذين ملكوا أحمد بن مكتوم ( ت ٧٤٩ ) تليد أبي حيان<sup>(٣)</sup> . ويرى توقيعه على هذه النسخة بخطه ، ومن الذين سمعوا الحجة وأقرروها زيد بن الحسن بن زيد الكندى أبو الين النحوى ، اللغوى ، المقرئ ، المحدث ، الحافظ<sup>(٤)</sup> . قال أبو الين في ظاهرة هذه النسخة : وكتاب الحجة أحد مقروماتى على شيخى الامام أبي محمد المعزى النحوى ، عن أبي طاهر المعزى النحوى ، عن أبي عبد الله الآمدى ، عن الربيعى النحوى ، عن أبي على الفارسى ، وكتب زيد بن الحسن بن زيد الكندى أبو الين فى ذى الحجة من سنة ست وستائة . وفى آخر هذه النسخة سماعات عن أبي الين الكندى هذا من خلق كثير منهم : علم الدين السخاوى المقرئ المفسر النحوى اللغوى شيخ مشايخ الاقراء بدمشق ت ٦٤٣ هـ<sup>(٥)</sup> — وأحمد بن تميم بن هشام اللبلى كاتب المسائل المشككة ، والبصريات ، والمنشورة ، والعسكريات لأبى على وأقر هذه السماعات أبو الين الكندى بقوله : هذا صحيح وكتب أبو الين الكندى بخطه<sup>(٦)</sup> .

(١) ترجمة فى طبقات القراء : ٣٣٩/١ (٢) آية : ١١٢

(٣) ترجمته فى طبقات القراء : ٧٠/١ ، وبغية الوعاة : ١٤٠ وما بعدها

(٤) ٥٢٠ - ٦١٣ هـ ترجمة فى طبقات القراء : ٢٩٧/١ وبغية الوعاة : ٣٤٩

(٥) ترجمته فى طبقات القراء : ٦٩/١ وما بعدها وبغية الوعاة : ٣٤٩

(٦) انظر الحجة : ٤٧٧/١ مراد ملا

وهذه النسخ الثلاث من المخطوطات المصورة بالأمانة العامة للجامعة العربية (معهد لإحياء المخطوطات) <sup>(١)</sup>.

هذا ورأيت بمكتبة جامعة القاهرة مجلدات أربعة من كتاب الحجة مصورة رقم ٢٤٠١٢ وتنتهى المجلدة الأولى إلى قوله تعالى «كن فيكون» <sup>(٢)</sup> وتبتدىء المجلدة الثانية من قوله تعالى : «ولا تسأل عن أصحاب الجحيم» <sup>(٣)</sup>. وتنتهى بقوله تعالى : «لما أتيتكم من كتاب وحكمة» <sup>(٤)</sup> وتبتدىء المجلدة الثالثة بقوله تعالى «ولإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم» <sup>(٥)</sup>. وآخرها «فأرسل معنا أخانا نكتل وإناله لحافظون» <sup>(٦)</sup> أما المجلدة الرابعة فتبتدىء من قوله تعالى : «وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى» <sup>(٧)</sup>. وتنتهى بقوله تعالى : «ثم ليقتضوا نقضهم» <sup>(٨)</sup>.

وهذه المجلدة الأخيرة مكتوبة بخط نسخ واضح جميل ، وكاتبها غير كاتب المجلدات الثلاث الأولى .

ومن كتاب الحجة جزءان عتيقان كتب في القرن الخامس بخط عادى فى مكتبة بانسكى بور <sup>(٩)</sup> ، ولعل هذين الجزئين بعض المجلدات الثلاث التى صورها معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية من مكتبة بانسكى بور المذكورة رقم ١١٤ <sup>(١٠)</sup> . وبعد : فالأمل معقود على المحققين والباحثين لتحقيق الحجة وإخراجه ونشره ، وعسى أن تتاح لى الفرصة الاسهام فى هذا العمل الجليل الذى أعرف قدره والمدى البعيد لجدواه <sup>(١١)</sup> .

( ١ ) انظر فهرس المخطوطات المصورة : ٨/١

( ٢ ) سورة البقرة : ١١٧ ( ٣ ) سورة البقرة : ١١٩

( ٤ ) آل عمران : ٨١ ( ٥ ) سورة الاعراف : ١٧٢

( ٦ ) سورة يوسف : ٦٣ ( ٧ ) سورة يوسف : ١٠٩

( ٨ ) سورة الحجة : ٣٩ ( ٩ ) إقليد الخزانة : هامش ٤٢

(١٠) أخبرنى الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب أن بالأمانة العامة للجامعة العربية (معهد لإحياء المخطوطات) مجلدات ثلاثا مصورة من مكتبة بانسكى بور رقم ١١٤ . قام سيادته بتصويرها فى بعثته إلى الهند سنة ١٩٥٢ مندوبا عن المعهد .

(١١) وقد حقق الله رجائى ؟ فكلفت رسمياً تحقيق كتاب الحجة بالاشتراك مع الأستاذين الجليلين : على النجدي ناصف ، والدكتور عبد الحليم النجار . والله الموفق لخدمة اللغة العربية لغة الكتاب الكريم .

# الباب الثالث

## دراسات مقارنة

### الفصل الأول

#### بين الفراء والفارسي في الاحتجاج

اشتغل أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (يرحمه الله) بالبحوث القرآنية، فكان له غير معاني القرآن — المصادر في القرآن، والجمع والتثنية في القرآن<sup>(١)</sup>، واختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف<sup>(٢)</sup>.

وكان إلى جانب ذلك يروى الحروف، ويجلس للإقراء، وتروى القراءة عنه: روى الحروف عن أبي بكر بن عياش راوى عاصم أحد القراء السبعة<sup>(٣)</sup>، كما روى عن علي بن حمزة الكسائي<sup>(٤)</sup>، ومن تلاميذه الذين رووا عنه: سلبة بن عاصم، ومحمد بن الجهم<sup>(٥)</sup>. ومحمد بن الجهم هذا هو الذي روى كتاب معاني القرآن<sup>(٦)</sup>.

ولعل من الأسباب التي دعت إلى اشتغال الفراء بهذه الدراسات القرآنية أنه كان مولى لبني أسد<sup>(٧)</sup> من أهل الكوفة<sup>(٨)</sup>، وبني أسد، وأهل الكوفة لهم سبق مذكور في القراءة والاقراء، ومن مشهورهم: زربن حُبَيْش الأسدي الكوفي (ت ٨٢ هـ)، وأبو عمرو الشيباني الأسدي الكوفي (ت ٩٦ هـ)<sup>(٩)</sup>، وهما شيخان لعاصم الأسدي مولاهم الكوفي (ت ١٢٧ هـ)<sup>(١٠)</sup>. ثم كان بالكوفة حمزة (١٥٦ هـ)<sup>(١١)</sup>، وتلميذه الكسائي الأسدي مولاهم الكوفي (١٨٩ هـ)<sup>(١٢)</sup>، وكل هؤلاء إمام في القراءة والاقراء.

- 
- |                              |                                       |
|------------------------------|---------------------------------------|
| (١) الفهرست : ١٠٠            | (٢) معجم الأدباء : ١٣/٢٠              |
| (٣) طبقات القراء : ٣٢٧/١     | (٤) طبقات القراء : ٣٧١/١              |
| (٥) المصدر السابق            | (٦) انظر معاني القرآن ص ١ ط دار الكتب |
| (٧) معجم الأدباء : ٩/٢٠ ، ١٠ | (٨) نزهة الألباء : ٦٦                 |
| (٩) طبقات القراء : ٢٩٤/١     | (١٠) ٣٤٢/١                            |
| (١١) طبقات القراء : ٢٨١/١    | (١٢) طبقات : ٥٤٥-٥٣٥/١                |

وكان القراء يعقد مجالس للاملاء أول النهار من أيام الثلاثاوات والجمع في شهر رمضان ، وقد أُملي على الناس كتابه « معاني القرآن » في هذه المجالس من شهور سنة اثنتين ، وفي شهور سنة ثلاث ، وشهور من سنة أربع ومائتين <sup>(١)</sup> .  
 وذهب القراء حاجا سنة ٢٠٦ <sup>(٢)</sup> ، وتوفي بطريق مكة <sup>(٣)</sup> سنة سبع ومائتين <sup>(٤)</sup> ، بعد دخول المأمون العراق بثلاث سنوات <sup>(٥)</sup> ، توفي القراء وعمره ثلاث وستون <sup>(٦)</sup> ، ومعنى هذا أن كتاب المعاني أُملي على الناس والقراء يدرج نحو الستين : أى بعد استقراره الذهني والمذهبي ، وإذن فهذا الكتاب : كتاب معاني القرآن يمثل المرحلة التي انتهت إليها علم القراء في الثقافة العربية على وجه عام . ولهذا الاستنتاج أهميته في تقويم الآراء التي صدرت عنه : ما كان منها متصلا باتجاهاته اللغوية والنحوية ، وما كان متصلا بالبحوث القرآنية ، وهو ما سأعرض له في هذا الفصل بالبيان

ومعاني القرآن كتاب للقراء يكشف عن مذاهب القراء من الكوفيين في الاحتجاج في تلك الحقبة التي سبقت عصر ابن مجاهد أولا — الى جانب ما يكشف عنه — ثانياً — من خصائص نحاتهم ، والسمات العامة لمنهجهم . وكلا الأمرين يتصل بهذا البحث الاتصال الوثيق . ثم هو بعد يمثل حلقة من الحلقات المتتابعة في الدراسات القرآنية — سبقت أبا على الفارسي بما يقرب من قرن ونصف من الزمان .  
 على أن لكل من الرجلين موقفاً يخالف موقف الآخر نحو القراءات التي لم تتواتر ونحو الاحتجاج بها ، وبرسم المصحف والاعتداد به — أى في الاحتجاج — ، وهو ما يبيحه لي الحديث عن معاني القرآن وتناول هذه النواحي منه بالبيان . هذا إلى جعل أسلوب الشيخين في الكتابين موضعاً للوازنة والتعليل . على أن أبا على قد قرأ كتاب المعاني على ابن مجاهد :

قال ابن جنى : أخبرنا — أى أبو على — بما في كتاب المعاني عن أبي اسحق إبراهيم بن السري الزجاج سماعاً منه ، وبمعاني القراء عن ابن مجاهد عن القراء <sup>(٧)</sup> :

- 
- (١) معاني القرآن ١ ط دار الكتب (٢) طبقات القراء : ٣٦١/٢  
 (٣) فهرست : ١٠٠ (٤) وردت سنة الوفاة خطأ في كتاب طبقات  
 الزبيدي المطبوع أخيراً (سبع ومائتين ومائة) ولم ينته إليه المحقق .  
 (٥) نزها الألباء : ٧٠ (٦) معجم الأدباء : ١٣/٢٠  
 (٧) المحتسب : ١٠/١

فاذا أضيف إلى ذلك كله مكانة كل من الرجلين في التاريخ النحوى ، وما قرره المؤرخون من أن الفراء كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائى <sup>(١)</sup> ، وأنه ما كان بين سيويه وأبى على أفضل منه <sup>(٢)</sup> — إذا كان كذلك علمنا أهمية دراستى لمعانى القرآن بجانب دراستى لآثار الفارسي .

والفراء لم يقصد فى كتابه « معانى القرآن » ، إلى الاحتجاج للقراءات ، حقيقة هو محتج لكثير من القراءات التى وردت فى القرآن الكريم ، ولكن احتجاجة هذا جاء تبعاً للغرض الأول الذى من أجله ألف الكتاب ، والذى بسببه أسماه : « تفسير مشكل لإعراب القرآن ومعانيه » ، فان كان فى الآية مشكل إعرابى أو معنوى ، وكان توضيحه يدعو إلى توجيه القراءات فيه تعرض للاحتجاج ، ومن هنا نراه لا يلتزم الموالاة فى عرض كتاب الله ، يتحدث عن تفسير كلمة أو جملة من آية ، ثم يتخطى بعض أحرف بعدها ، ليعود إلى التحدث بعد ذلك فى تفسير مشكل أو إعرابه ، وقد تكون بالحروف التى تخطاها قراءات ، واختلف فيها الأئمة القراء ، ولكنه يتركها ، لأنها لا تتصل بالغرض الذى إليه قصد من تأليف الكتاب ، والذى ندبه إليه « عمر بن بكير » <sup>(٣)</sup> ، فهو يتحدث عن قوله تعالى : « الحمد لله » <sup>(٤)</sup> ، وينتقل بعدها إلى الحديث عن قوله : عليهم <sup>(٥)</sup> ؛ تاركاً الحديث عن القراءات فى : مالك <sup>(٦)</sup> والصراط ، مع أن فيهما قراءات <sup>(٧)</sup> .

كما يتحدث عن قراءتى الرفع والنصب فى ( فيضاعفه ) من قوله تعالى فى سورة البقرة : « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له » <sup>(٨)</sup> ، وينتقل بعدها إلى قوله تعالى : « ابعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله » ، ويترك الحديث عن القراءات المختلفة فى ( فيضاعفه ) من حيث حذف الألف ، وتشديد العين ، ثم لا يذكر شيئاً عن القراءات فى قوله تعالى : يبسط <sup>(٩)</sup> . مع أن ابن مجاهد روى أنها بالسين فيما حدث به الفراء نفسه عن الكسائى <sup>(١٠)</sup> .

وآية أنه لم يقصد إلى الاحتجاج — أيضاً — أنه يشير إلى القراء — أحياناً —

- |                                |                                |
|--------------------------------|--------------------------------|
| (١) بنية الوعاة : ٤١١          | (٢) نزهة الألبا : ٢٠٩          |
| (٣) الفهرست . ٩٩               | (٤) سورة الفاتحة : ٣           |
| (٥) ص : ٥                      | (٦) الحجّة : ٤/١ مراد ملا      |
| (٧) انظر الحجّة : ٣٠/١ مراد ٨٠ | (٨) ص : ١٥٧                    |
| (٩) انظر النشر : ٢٢٨/٢         | (١٠) انظر طبقات القراء : ٣٧٢/٢ |

إشارة غير معينة ؛ فتراه يأتي بها بحملة من غير ذكر للأسماء ، وذلك إذ يقول — مثلاً — والقراء تقرأ<sup>(١)</sup> ، وبعضهم يقرأ كذا<sup>(٢)</sup> ، أو يقول : وبعض من قراء أهل المدينة<sup>(٣)</sup> الخ . . .

ويظهر أنه كانت له قراءة ، فتراه يقول مثلاً : وفي قراءتنا<sup>(٤)</sup> ، وقد روى محمد بن الجهم عنه ما يعزز ذلك<sup>(٥)</sup> . ويبدو كذلك أن مذهبه في القراءات لم يكتب له الاختيار من أبي بكر بن مجاهد كما كتب لأستاذه : حمزة والكسائي<sup>(٦)</sup> . والقراء إلى جانب ذلك مذكور بين علماء الكوفيين<sup>(٧)</sup> ، بل هو رأس الطبقة الثالثة من نجاحهم<sup>(٨)</sup> ، حتى لقب في النحو بأمير المؤمنين<sup>(٩)</sup> .

وكان لهذه الدراسات الكوفية أثرها ومظهرها في معاني القرآن للقراء :

(١) فهو يصطنع اصطلاحات الكوفيين التي اشتهروا بها . وأخذت عنهم .

ومن هذه الاصطلاحات : مردود<sup>(١٠)</sup> أى معطوف ، وينصب ويخفض<sup>(١١)</sup> فيما يقابل يفتح ويكسر ، ويذكر القطع ويريد به الحال ، والصفة ويريد بها حرف الجر<sup>(١٢)</sup> ، والجارى (للمصرف) ، وغير الجارى (للمنوع من الصرف)<sup>(١٣)</sup> ، والعماد لضمير الفصل عند البصريين<sup>(١٤)</sup> ، والتبيان ويريد به الاظهار عند البصريين<sup>(١٥)</sup> ، وواو الصرف . وهي التي في نحو قول الشاعر : لا تنه عن خلق وتأني مثله<sup>(١٦)</sup> .

(٢) وقد وردت في معاني القرآن كلمة مبيوع بدل مبيع<sup>(١٧)</sup> .

(٣) ويقيس على الشواهد الفردية من كلام العرب ، ويبنى على هذه الشواهد قواعده سواء كانت هذه الشواهد شعراً أم نثراً ، فتراه يحتج بالبيت الذي لا يعرف قائله : كأن يقول : أنشدني بعض العرب<sup>(١٨)</sup> ، وأنشدني آخر<sup>(١٩)</sup> ، وأنشدني بعضهم ، من غير تعيين القائل ولا قبيلته . وأحياناً يعين القبيلة دون تعيين القائل منها ، فيقول — مثلاً — أنشدني بعض ربيعة<sup>(٢٠)</sup> وبعض

(١) ص : ٧٧ (٢) ص : ٢٠٧

(٣) انظر مثلاً ١٧ ، ١٩ ، ٢٨ ، ٨٢

(٤) معاني القرآن : ٢٨ (٥) انظر طبقات القراء : ٢ / ٣٨١

(٦) انظر اراز المعاني ص ٥ (٧) الفهرست لابن النديم : ٩٨

(٨) طبقات الزبيدي : ١٤٣ (٩) أخبار النحويين للسيوطي : ١٢٦

(١٠) معاني القرآن : ١٧ (١١) ١٧-٩٨ (١٢) ٣١

(١٣) ٤٢ (١٤) ٥١ (١٥) ١٨ (١٦) ٣٤

(١٧) ٣٠ (١٨) ٣٢ ، ٤٤ ، ٧٢ ، ٢١٢ (١٩) ٣٢ (٢٠) ٥٦



بنى عقيل <sup>(١)</sup> ، وبعض بنى أسد <sup>(٢)</sup> ، وعكس <sup>(٣)</sup> .  
وأحياناً يسمى من أنشده : كلقام بن معن <sup>(٤)</sup> ، وسليمان بن عيينه <sup>(٥)</sup> ،  
وأبو ثروان <sup>(٦)</sup> ، والمفضل <sup>(٧)</sup> ، كما ينشده يونس بن حبيب <sup>(٨)</sup> ، والكسائي <sup>(٩)</sup> .  
وبعض هذه الشواهد أوردها للدلالة على أن موضع الشاهد فيها كثير في كلام  
العرب <sup>(١٠)</sup> . ومن أمثلة الشواهد النثرية ما أورد من أنه سمع بعض بنى الحارث  
يقول : « كان به جرب فنشر . أى عاد وحجى <sup>(١١)</sup> . ويرد البصريون الشواهد الفردية  
أو الشواهد غير المعروف قائلها ، فلا يقيسون بها ، ولا يبنون قواعدهم عليها <sup>(١٢)</sup> .  
(٤) وهناك ظاهرة استرعت نظرى ، ذلك أنى رأيت يشير فى كثرة إلى قراءة  
عبدالله <sup>(١٣)</sup> ويشير إلى قراءة أبى أقل من إشارته إلى عبدالله ، ولكنها كثيرة بالنسبة  
إلى ابن عباس <sup>(١٤)</sup> ، والحسن البصرى <sup>(١٥)</sup> ، وحزمة الزيات <sup>(١٦)</sup> ، ويحيى بن وثاب <sup>(١٧)</sup> ،  
والمفضل عن عاصم أبى النجود <sup>(١٨)</sup> ، وزهير الفرقي <sup>(١٩)</sup> ، وأبى حمفر محمد بن على  
ابن الحسين <sup>(٢٠)</sup> ، وعمر بن الخطاب <sup>(٢١)</sup> ، ومجاهد <sup>(٢٢)</sup> ، فالإشارة إلى هؤلاء قليلة  
نادرة ، ومن الملاحظ أن أغلبهم كوفيون ، ولهذا أهميته ؛ ذلك لأننا نستطيع بهذا  
أن نتعرف على اتجاهات قراء الكوفة ، بعد أن عرفنا اتجاهات نحاتها ، وقد رأينا  
من قبل كيف أن سيديوه يشير إلى تجويد قراءات أغلب أصحابها بصريون ،  
وقد دعوت إلى اختبار هذه القراءات ودراستها ، وهنا أدعو إلى مثل هذه الدعوة  
بجانب شيخ النحاة الكوفيين ، كما دعوت إليها بجانب إمام النحاة أجمعين .

هذا وتعليل الإشارة الكثيرة إلى عبد الله — وهو عبد الله بن مسعود — أمر  
ميسور ؛ ذلك لأنه إليه تنتهى قراءة عاصم ، وحزمة ، والكسائي <sup>(٢٣)</sup> ، الكوفيين .  
وقد عرفت بمكانة هؤلاء وأثرهم فى الشيخ الفراء . هذه واحدة ، والأخرى أنه لم يكن  
أحد من أهل الكوفة يرغب عن قراءة ابن مسعود <sup>(٢٤)</sup> فيما يقول حذيفة بن اليمان ،

١٣٦، ٦٨ (٤)	١٨٢ (٣)	٦٨ (٢)	٦٧ (١)
١٢٧ (٨)	٦١ (٧)	٥٦ (٦)	٢٢٢ (٥)
١٢٦ (١٠) انظر مثلاً ص		١٠٣، ٩١، ٨٠ (٩)	
١٧٣ (١١) وانظر ص ٥١ (١٢) راجع الانصاف في مسائل الخلاف ١/ ٢٥١، ٢/ ٣٤٦،			
٢٨٠ مثلاً (١٣) انظر مثلاً ص			
٧٨ (١٧)	٧٠ (١٦)	٩٦، ٧٠ (١٥)	٧٥ (١٤)
١٨٨ (٢٢)	١٥٠ (٢١)	٧٥، ٨٥ (٢٠)	٤٢ (١٩)
٣٥ (٢٤) انظر المصاحف للسجستاني :		٤٥٩/١ (٢٣) طبقات الفراء :	

فاذا اجتمع إلى ذلك أن له كتاب ، اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف <sup>(١)</sup> فهمنا السر في الإشارة إلى قراءة عبد الله بن مسعود هذه الإشارة الظاهرة ، وأكثر هذه القراءات التي أشار إليها الفراء قراءات شاذة ، وقد احتج بها ، وعلى سبيل المثال لم ترد قراءة عبد الله : «لأن تخافوا ألا يقيها حدود الله» <sup>(٢)</sup> بين القراءات العشر <sup>(٣)</sup> . وكذلك لم ترد «وإن كان ذا عسرة» <sup>(٤)</sup> . وهذه القراءة لعبد الله . كما له أيضاً قراءة : «وأولوا العلم القائم بالقسط» <sup>(٥)</sup> ، ولم ترد في العشر أيضاً <sup>(٦)</sup> .

\*\*\*

وهذه أمثلة توضح منهج الفراء في الاحتجاج بالقراءات الشاذة — وهو منهج سليم <sup>(٧)</sup> — ثم هو يتفق مع منهج الكوفيين في الاحتجاج بالمثال الواحد ، والبيت الذي لا يعرف قائله ، فاذا كان هذا شأنهم مع الشواهد التي قالها العرب فما بالك بقراءة مذنوبة إلى قارئها ، مشهور بين الناس أمرها ، متصلة بالرسول في سندها ، موافقة للعربية على وجه من وجوها ؟

ومن هنا أيضاً رأيت الفراء يجوز القراءات التي تميزها الصنعة الاعرابية ، واللغوية ، فتراه يقول — في كثرة ظاهرة — ولو قرأ قارئ بكذا — كان صواباً . . كما ذكر في قوله تعالى : «قد كان لكم آية في فتنتين التقاتل» <sup>(٨)</sup> ، قرئت بالرفع وهو وجه الكلام على معنى : إحداهما تقاتل في سبيل الله <sup>(٩)</sup> (وأخرى كافرة) على الاستئناف كما قال الشاعر :

فكنت كذى رجلين رجل صحيحة      ورجل رى فيها الزمان فشلت  
ولو خففت لكان جيداً : ترده على الخفض الأول كأنك قلت : كذى رجلين :  
كذى رجل صحيحة ورجل سليمة . وكذلك يجوز خفض الفتنة والأخرى  
على أول الكلام .

- 
- (١) معجم الادباء : ١٣/٢٠  
معاني القرآن .  
(٢) سورة البقرة : ٢٢٩ وانظر ١٤٥  
(٣) انظر النسر : ٢٣٨/٢  
(٤) معاني القرآن ١٨٦ وانظر النسر : ٢٣٦/٢  
(٥) معاني القرآن : ٢٠٠  
(٦) انظر النسر : ٢٣٨/٢  
(٧) سأزيد ذلك بياناً في موضع آخر  
(٨) سورة آل عمران : ١٣  
(٩) معاني القرآن ص ١٩٢

ولو قلت : فئة ، تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة ، كان صواباً على قولك :  
التقنا مختلفتين <sup>(١)</sup> . . . وكما قال عند قوله تعالى : « هب لي من لدنك ذرية طيبة »  
الذرية جمع ، وقد تكون في معنى واحد ، فهذا من ذلك ، لأنه قد قال : « هب لي من لدنك  
ولياً ، ولم يقل أولياء وإنما قيل ذرية طيبة ، ولم يقل طيباً ، لأن الطيبة أخرجت  
على لفظ الذرية فأثبت لتأنيها ، ولو قيل ذرية طيباً كان صواباً <sup>(٢)</sup> .

ولإذن فالملك العام عنده — الاعتداد بالشاذ ، وتصويب القراءة ما دامت  
موافقة لوجه من وجوه العربية — كما رأيت — ومن هنا نراه يحتج لقراءة صحيحة  
بقراءة شذذت — فيما بعد — كاحتجاجة لرفع الحق ، من قوله تعالى : « ذلك عيسى  
بن مريم قول الحق » ، قال : رفعه حمزة والكسائي ، وجعلوا الحق هو الله تبارك  
وتعالى ( لأنها في حرف عبد الله ، « ذلك عيسى ابن مريم قال الله ، كقولك : كلمة  
الله ، فيجعلون » قال ، بمنزلة القول ، كما قالوا : العاب والعيب <sup>(٣)</sup> .

وبعد أن أورد قول الله تعالى : « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل  
من الغمام والملائكة » <sup>(٤)</sup> قال : رفع — أي الملائكة — مردود على ( الله )  
تبارك وتعالى ، وقد خففها بعض أهل المدينة <sup>(٥)</sup> ، « يريد في ظلل من الغمام  
وفي الملائكة » ، والرفع أجود ؛ لأنها في قراءة عبد الله : « هل ينظرون إلا أن يأتيهم  
الله والملائكة في ظلل من الغمام » <sup>(٦)</sup> .

وقد أعطانا الفراء هذا الملك العام في قوله : « والكتاب أعرب وأقوى في الحجة  
من الشعر » <sup>(٧)</sup> كما نراه يقف من القراءات التي لا توافق مذهبه موقفاً سليماً لا يهاجم  
فيه — بل يعترف به في لطف كأن يقول : « وأنه لأحب الوجهين إلى <sup>(٨)</sup> » ، أو يقول :  
« والرفع أحب إلى من الجزم في قراءة من قرأ : « لا يحزنهم الفزع الأكبر » ،  
ومن قرأ : « أنزلهموها وأنتم لها كارهون » <sup>(٩)</sup> . فأنت ترى أن كلا من الوجهين

(١) ص ١٩٢

(٢) معاني القرآن : ٢٠٨ ، وانظر في مثل ذلك من معاني القرآن ص ٢١٣ ، ٢١٤ ،

٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ (٣) معاني القرآن ص ١٠٥ (٤) سورة البقرة : ٢١٠

(٥) هو أبو جعفر يزيد بن القمقاع انظر البحر : ٢/٣٢٥

(٦) معاني القرآن : ١٢٤ (٧) معاني القرآن : ١٤٠

(٨) معاني القرآن : ٧٥ (٩) معاني القرآن : ٨٨

حبيب إليه ، ولكن أحدهما أحب إليه من الآخر . ومبعث هذا عنده ما يراه في صحة القراءات جمعا ، وذلك قوله في سلامة من العقيدة : « ولم يجتمع في قراءتنا وفي قراءة أبي لإعلى صواب والله أعلم »<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

وغاية ما يبدو منه إذا لم يسترح إلى قراءة أن يقول : « ولست أشتهى ذلك »<sup>(٢)</sup> أو يقول : « ولا يعجبني ذلك »<sup>(٣)</sup> ، وهنا نراه ينفي حبه وإعجابه ، ولكن ليس في قسوة البصريين الذين قالوا في قراءة لعبد الله بن عامر : « هي واهية ، والقارىء بها واهم »<sup>(٤)</sup> ؟ وقد رأينا مواقف أبي على الفارسي نحو القراءات التي تخالف مذهبه ، وهو يتجه في ستمته العامة اتجاه البصريين<sup>(٥)</sup> .

\* \* \*

(٥) والفراء يستفتى في — معاني القرآن — روح العربية — فهذا وجه من الأوجه كثير الدوران في الكلام ، خفيف على اللسنة . ولذلك نطق به ، ويجعل الخفة ، وكثرة الدوران سبباً من أسباب الاحتجاج ، أو وسيلة إلى توجيه قراءة من القراءات<sup>(٦)</sup> .

\* \* \*

(٦) أما القياس واستغلاله في الاحتجاج ، فواضح في كتاب معاني القرآن ، تراه مثلاً يقيس خفض الدال من قوله : الحمد لله على اجتماع الكسرتين في إِبِل<sup>(٧)</sup> ، ويقيس رفع الدال في قراءة من قرأ : الحمد لله على المثال الأكثر من أسماء العرب الذي يجتمع فيه الضمتان مثل : الحُمُّ والعُقْب . وانظر قياسه كسر الصاد في صاد على خفض النون من «رجلان» ، وفتح النون في «نون» و «القلم» على «المسلمون»<sup>(٨)</sup> .

(٢) معاني القرآن : ١٢٥

(٤) الانصاف : ٢٥٢/١

(٦) معاني القرآن انظر ص .

(١) معاني القرآن : ١٠٦

(٣) معاني القرآن : ١٤٥

(٥) انظر الفصل الخامس بذلك

(٧) معاني القرآن : ٣

(٧) معاني القرآن : ١٠

وأحياناً يعطى قاعدة عامة تنتظم مسائل كثيرة متشابهة ثم يقول : فأجر الكلام على هذا (١) ، أو يقول : فابن على هذا (٢) .

وواضح من هذا أنه يدعو إلى القياس على الكثير الشائع ، ومعلوم من مذهب الكوفيين أنهم يقيسون أيضاً — على القليل النادر ، ولكن القراء يعلن أنه لا يستحب القياس عليه ، وذلك ما توحى به عبارته التي ذكرها في الجمع بين صيغة الأفعال والباء — في قراءة من قرأ : « يكاد سنا برقه يذهب بالابصار » (٣) ، حيث قال : ولست أستحب ذلك لقلته ، (٤) ،

\* \* \*

(٧) أما موقفه من النحاة السابقين فانا نراه يثنى على شيخ الكوفيين : أبي حمفر الرؤاسي — حيث يقول : « وقد قرأها — ألم الله — رجل من النحويين وهو أبو جعفر الرؤاسي — وكان رجلاً صالحاً » (٥) .  
وليس معنى ذلك أنه جرى على هذا الثناء لشيوخته ، فقد رأيت يتبع أستاذه الكسائي ، يعرض آراءه ، ويردها حيناً (٦) ، كما رأيت يعرضها ويدلل عليها (٧) .

\* \* \*

ولا ينظر إلى البصريين ، ولا يستشهد بسببويه إلا في الأقل الأندر ، وأبو عبيدة — وهو بصرى — غير موثق عنده — فقد أورد في معاني القرآن قوله : قال بعض من لا يعرف العربية إن معنى غير في الحمد ( سورة الفاتحة ) معنى سوى ، وأن ولا، صلة في الكلام ، واحتج بقول الشاعر :  
في بئر لا حور سرى وما شعر (٨)  
ومن لا يعرف العربية هنا هو أبو عبيدة (٩) .

\* \* \*

(١) معاني القرآن : ١٥

(٢) المصدر السابق وانظر مثلاً ص ٨١ ، ٩٣

(٣) سورة النور : ٤٣ (٤) معاني القرآن ص ١٩

(٥) معاني القرآن ٩ (٦) انظر معاني القرآن : ٣٢

(٧) انظر : ٥٨ ، ٥٦ (٨) معاني القرآن : ٨

(٩) انظر اللسان (غير)

ويظهر أن أبا عبيدة قد تناولته ألسنة كثيرة بعدم التوثيق<sup>(١)</sup>، فربما كان الدافع للفراء ما في الرجل من شخصيته، لا مذهبه في بصريته.

وقد اتخذ موقف الفراء من رسم المصحف، والاعتداد عليه في الاحتجاج مظاهر مختلفة ألخص معالمها الكبرى في النقاط الآتية :

- (١) فهو حينما يعلل لرسم كتاب المصاحف « بسم الله الرحمن الرحيم » من غير ألف، ورسمهم : فسبح باسم ربك العظيم بألف<sup>(٢)</sup>.
- (ب) وقد تكون القراءة صحيحة خالفت رسم المصحف — المخالفة الجائزة على النحو الذى بينته في فصل سابق — فيحتاج لها الفراء<sup>(٣)</sup>.
- (ج) وقد يرتضى القراءة الشاذة التى تجوزها العربية وإن كانت مخالفة للرسم<sup>(٤)</sup>.
- (د) وقد ينفي شهوره (كذا) قراءة صحيحة ؛ لأنها مخالفة للرسم<sup>(٥)</sup>.
- (هـ) ويحتاج لرجوع الكسائى عن قراءة إلى أخرى بموافقتها قراءة العامة، والكتاب<sup>(٦)</sup>.

\* \* \*

وهو — كما ترى — اتجاه لا يخضع لنظام معين، أو نظرة مطردة، إذ هو حينما يرتضى ما يخالف الرسم، وأحياناً يشير إلى موافقة الكتاب فيحتاج برسمه. على أن الاتجاه — فى أغلبه — يدل على أنه معتد بالرسم إذا وجد له وجهاً من كلام العرب<sup>(٧)</sup> وذلك يجعله بين أهل الأثر، ويبعده عن أصحاب القياس والنظر.

\* \* \*

هذا والمترجمون للفراء يقولون : « أنه كان يتفلسف فى تصانيفه »<sup>(٨)</sup>، ولعل صحبته لتأمة بن الأشرس أثرت فى ذلك<sup>(٩)</sup>، وقد ألف الفراء كتاب الحدود، ولا أستطيع أن أحكم على أسلوبه فيه لآنى لم أطلع عليه، إلا أن اسمه يوحى بمنطق،

- |                              |                        |
|------------------------------|------------------------|
| (١) طبقات انظر الزبيدى : ١٩٢ | (٢) ص ٢                |
| (٣) معاني القرآن : ٨٨        | (٤) معاني القرآن : ٩٦  |
| (٥) معاني القرآن : ١٢٥       | (٦) معاني القرآن : ٢٠٢ |
| (٧) الصاوى : ١١              | (٨) بنية الوعاة : ٤١١  |
| (٩) نزعة الألباء : ٦٨        |                        |

وقد أورد ابن التديم مسائل هذا الكتاب ، وهي تعاريف لأبواب العربية والنحو ، فعمله كان في هذه التعاريف جامعاً مانعاً كما يقول المنطقيون .

على أنى — فيما قرأت — من معانى القرآن للفراء لم أجد نصاً يشير إلى هذا التفلسف ، وربما كان ذلك — إن صح — في كتبه الأخرى ، وربما كان السبب في بعده عن التفلسف في معانى القرآن — ميله إلى الايضاح الذى دعت إليه دواع أفصلها فيما يلي (١) :

يبدو أن الفراء آثر — في كتابه معانى القرآن — البيان والايضاح في أسلوبه متأثراً بما يصطنعه المؤدبون ، فقد حدثنا المترجمون أنه كان مؤدباً لولدى المأمون (٢) ، إلى أن كتابه معنون بتفسير المشكل .... وما أخرج مثل ذلك إلى الأسلوب السهل حتى يزيل من إشكاله ، ويفتح المغاليق من أقفاله ، وسبب ثالث أراه دعا الفراء إلى أن يسلك أوضح المسالك ، ذلك أنه ألف الكتاب بملياً على خلائق كثير من الناس ، وقد هم أبو بريدة الوضاحى أن يعدهم فلم يضبط عددهم (٣) ، وموقف الاملاء على مثل هؤلاء وأكثر الناس — من العامة — يدعو إلى التبسط في المقال ؛ مراعاة لمقتضى الحال .

وكان في طبيعة الفراء سماحة د كان أكثر مقامه في بغداد ، فاذا كان آخر السنة أتى الكوفة ، فأقام بها أربعين يوماً يفرق في أهله ما جمعه (٤) ، كما كان في خلق الفراء إسباح ، وذلك ما تحدثني به عبارة د أبو بريدة ، عندما خزن الوراقون كتاب المعانى عن الناس ليتكسبوا به ، وأغلوا نسخه حتى جعلوه درهما عن كل خمسة أوراق ، وشكا الناس إلى الفراء فدعا الوراقين وكلهم في ذلك ، وقال عبارته التى أستنتج منها سمجحته د قاربوا الناس تنفعوا ، وتنفعوا (٥) ، ورجل هذه نزعة في الخير ، وذلك حبه لمقاربة الناس — خليق بأن يزيل عنهم فيما يمليه الغموض والالباس ، تقرأ ذلك أيضاً في عبارته التى يهدد بها الوراقين عندما أبوا عليه دعوته في مقاربة الناس : إني أريد أن أملى كتاب معانى أتم شرحاً ، وأبسط قولاً من الذى أمليت قلاً (٦) .

(١) الفهرست : ١٠٠

(٢) نزعة الألباء : ٦٧

(٣) معجم الأدباء : ١٢/٢٠

(٤) بنية الوعاة : ٤١١

(٥) معجم الأدباء : ١٢/٢

(٦) معجم الأدباء : ١٣/٢٠

ولوقوفه موقف المعلم الموضح نراه يحيل الكلام على صورة حوار .  
قال — في قوله تعالى « فلم تقتلون أنبياء الله من قبل » ، (١) — يقول القائل  
« إنما تقتلون » ، للمستقبل فكيف قال . من قبل ؟ ... ثم أخذ يجيب بضرب الأمثلة  
الموضحة من القرآن الكريم والشعر (٢) ، وربما قال في نهاية حديثه عن « مشكل ... :  
وفي هذا بيان (٣) » .

ومن أجل ذلك وردت قواعد عامة في كلام الفراء ، كأنه يريد بهذه القواعد  
تيسير الأمر على الناس بضم أشتات العلم في قواعد وتطبيق على مسائل متعددة كأن  
يقول « وإن جاءك تشبيه جمع الرجال موحداً فأجزه (٤) » ، أو يقول . وإن العرب  
لتجمع بين الحرفين وإنهما لواحد إذا اختلف لفظهما كما قال عدى بن زيد .

وقدمت الأديم لراهشيه (٥) وألني قولها كذباً وميناً

وقولهم . بعدا وسحقا ، والبعد والسحق واحد .

وكان يقول ..... وقد تجعل العرب « ما » في بعض الكلام للناس ،  
وليس بالكثير (٦) .

وبعد ، فكثير من الباحثين ينسبون إلى ابن السراج أنه أول من وضع أصول  
العربية والنحو في كتابه الأصول ، وقد ذكر شيئاً من ذلك محققو كتاب « سر صناعة  
الاعراب » ، في مقدمته (٧) ولا بد هنا أن نعترف « ليحيى بن زياد الفراء » ، في هذا  
الميدان ، وأنه سبق ابن السراج في وضع أصول العربية بنحو قرن من الزمان ،  
ولعل هذه القواعد العامة — وأمثالها كثير ، في كتاب معاني القرآن . بعض هذه  
الأصول التي قررها الفراء . على أن المؤرخين من الوراقين يذكرون أن لأبي زكريا  
يحيى بن زياد الفراء كتاباً في « أصول النحو » . قال . أبو بريدة الوضاحي أمر أمير  
المؤمنين الفراء أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العرب (٨) . ومن هنا

(١) سورة البقرة : ٩١

(٢) معاني القرآن ص ٦٠

(٣) معاني القرآن ص ٣٦

(٤) معاني القرآن : ١٥

(٥) معاني القرآن ص ٣٧

(٦) معاني القرآن ١٠٢ وانظر في هذه القواعد العامة ص ١٤ ، ٢٢ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ١٠٣ .

١٤٢ مثلاً .

(٧) معجم الأدباء : ١٢/٢٠

(٨) ص ٦



قال أحمد بن يحيى ثعلب « لولا الفراء لما كانت اللغة ؛ لأنه حصلها وضبطها .. ولولا الفراء لسقطت العربية (١) » .

ويقولون مثل هذه العبارة في الأصول لابن السراج (٢) .  
فهذه نماذج من أصول العربية للفراء في كتابه معاني القرآن ، وإذا كان علم ابن السراج في الأصول قد بسطه ابن جنى في كتابه « الخصائص » ، ولخصه السيوطى في كتابه الاقتراح فإن دراسة هذه الكتب تفتح لنا آفاقاً جديدة في التعرف على مذاهب الكوفيين ممثلة في ( شيخ النحاة الفراء ) ، ومذاهب البصريين ممثلة في ابن جنى .

\* \* \*

وبعد فهذا عرض سريع لكتاب معاني القرآن للفراء بعامة وفي الاحتجاج للقراءات بخاصة ، أضعه حلقة في سلسلة تاريخ الاحتجاج ، ومعلمه الكبرى ، كما أعده كاشفاً عن منهج الكوفيين في هذا السبيل ، كما عادت « الكتاب » ، كاشفاً عن منهج البصريين ، وعلى ضوء هذين نستطيع أن ندرس ما سميته من قبل .  
« نحو القراءات » ، وهو ما أرجو أن يتجه إليه الباحثون .

(٢) انظر نزعة الألباء : ١٦٩

(١) نزعة الألباء : ٦٦

## الفصل الثاني

### بين الزجاج في معاني القرآن وتليذه أبي علي في الاحتجاج

هناك أسباب كثيرة تدعوني إلى إقامة الدرس حول معاني القرآن لأبي اسحق ابراهيم بن السري بن سهل الملقب بالزجاج (ت ٣١١ هـ)، فالزجاج شيخ لأبي علي الفارسي، وقد سمع الفارسي من شيخه كتاب المعاني<sup>(١)</sup>، فلا بد أن يكون هناك تفاعل بين الرجلين، هذا إلى أن معاني القرآن للزجاج يمثل حلقة من هذه الحلقات المتتابعة في الدراسات القرآنية، ونحو القراءات، وهو أمر يتصل بموضوع هذا البحث اتصالاً وثيقاً، وقد عرضت من قبل لهذا الجانب من نحو القراءات مثلاً في دراستي لكتاب سيوبه، ثم تكلمت عن اتجاه القراء الكوفي في معاني القرآن، ووجدت هناك طابعاً خاصاً تناولته بالبيان، ودعوت وأنا أصحب سيوبه في الكتاب، والقراء في المعاني إلى اختبار هذا النحو القرآني: والآن أضيف حلقة جديدة إلى هذه الحلقات فتمتد سلسلة الدراسات إلى الزجاج فأتعرف هذه الناحية عنده، كما سيكون كتاب الموضح للداني حلقة أخرى تمثل نظرة القراء إلى النحو والنحاة، وأرجو بعد ذلك كله الدعوة إلى النظر في هذا التراث: فهو لاء شيوخي، وتلك مدارسه، فلعلنا نظفر بنحو موثق مدعوم الأسانيد من القراءات الصحيحة.

والمطل على ثبوت الكتب التي أضافها الزجاج إلى المكتبة العربية يرى أنها متصلة في الأعم الأغلب باللغة، والنحو، والصرف، والأدب، والعروض، والقوافي جميعاً<sup>(٢)</sup>. ولم يترك أثراً متصلاً بالدراسات القرآنية إلا كتابه «معاني القرآن»، على ما علمت من كتب التراجم. وعلى الرغم من ذلك، يظهر أن الزجاج اشتهر به دون غيره من كتبه الأخرى، حتى إن أبا بكر الخطيب البغدادي في تاريخه لا يعرفه إلا به: فيقول: «إبراهيم بن السري بن سهل ... صاحب كتاب معاني القرآن<sup>(٣)</sup>»، ويأتي بذكر كتبه الأخرى في إشارة مجملة حيث يقول: «وله مصنّفات حسان في الأدب»، ولا يزيد

(٢) تاريخ بغداد: ٩٢/٦

(١) المحتسب: ١٠/١

(٤) تاريخ بغداد: ٨٩/٦

(٣) الفهرست لابن النديم: ٩١

(٥) المصدر السابق: ٩٠/٦

وقد أورد ياقوت في معجمه قوله : « قرأت على ظهر كتاب المعاني : ابتداءً أبو اسحق باملاء كتابه الموسوم بمعاني القرآن في صفر سنة خمس وثمانين ومائتين ، وأتمه في شهر ربيع الأول سنة إحدى وثمانمائة <sup>(١)</sup> ، وأود أن أسوق النصوص الآتية وهي كاشفة عن حلقات التأليف في معاني القرآن وكيف ألف الزجاج في المعاني مندفعاً ببعض شيوخه في ذلك .

(١) قال صاحب طبقات المفسرين <sup>(٢)</sup> : ومن تأليف اسماعيل بن اسحق <sup>(٣)</sup> ... كتاب معاني القرآن وإعرابه خمسة وعشرون جزءاً ، و ... ، وكتاب المعاني المذكور كان ابتداءً أبو عبيد القاسم بن سلام ، بلغ فيه إلى الحج ، والانباء ، ثم تركه فلم يكمله . وذلك أن الامام أحمد بن حنبل كتب إليه يقول : « بلغني أنك تؤلف كتاباً في القراءات أقمت فيه الفراء ، وأباعبيدة ، أئمة يحتاج بهم في معاني القرآن فلا تفعل ، فأخذه إسماعيل ، وزاد فيه زيادة وانتهى إلى حيث انتهى أبو عبيده ، وتوفي فجأة ... سنة ٢٨٢ هـ .

(ب) وأود كذلك أن أضيف إلى هذا النص ما يأتي :  
أولاً — كانت هناك صلة مودة وتعاطف بين المبرد شيخ الزجاج وإسماعيل ابن اسحاق <sup>(٤)</sup> .

ثانياً — يشير أبو اسحق الزجاج إلى اسماعيل بن اسحق هذا مثلاً عند الاحتجاج لقراءة « واتقوا الله الذي تساملون به والأرحام » .  
ثالثاً — آخر ما سمع من الزجاج قوله : « اللهم احشرنى على مذهب أحمد ابن حنبل <sup>(٥)</sup> »

رابعاً — يخطئ الزجاج الفراء في معاني القرآن ، ويهاجم أبا عبدة على النحو الذى سأشرحه بعد في هذا الفصل .  
وأظننى بعد تلك القرائن أستطيع أن أستنتج السبب الذى من أجله ألف الزجاج معاني القرآن مبتدئاً فيه بعيداً الوقت الذى توفى فيه اسماعيل بن اسحق ، محققاً توجهيات ابن حنبل لابن عبيد القاسم بن سلام .

(١) معجم الادباء : ١٥١/١

(٣) فاضى بغداد ٢٧٢ هـ (المصدر السابق)

(٢) ورقة : ٤٥

(٥) معجم الأدباء : ١٣٠/١

(٤) معجم الأدباء : ١٣٥/٦

هذا وكتاب معاني القرآن للزجاج مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١١١ م تفسير ، وما في الدار منه إلا جزء واحد من سورة النساء إلى آخر هود .  
وفي الأمانة العامة للجامعة العربية ( معهد المخطوطات ) أفلام لأجزاء مختلفة من معاني القرآن للزجاج<sup>(١)</sup> . وأمضى بعد ذلك إلى بيان خصائص هذا الكتاب ، ومقدار ما بين الزجاج وأبي علي من تخالف أو اتفاق

## خصائص معاني القرآن للزجاج

أولا — في تفسير اللفظ القرآني ، وقد رأيت أبا إسحق يسلك طرقا مختلفات في تفسير اللفظ القرآني ، وأن أبا علي يشترك معه في بعض منها ، متأثرا بشيخه فيها ، غير مطئي\* ، ذلك شخصية أبي علي ، فهو وإن كان قفي قفو أستاذه — محتفظ بما له من سمات ، تبدو في تناوله هذه اللغويات ، كما تبدو فيما تراه من إضافات وتعقيبات .

وفي بعض آخر ينفرد أبو إسحق ، ولا يجرى أبو علي في سننه ، مما يجعل ذلك طابعا خاصا للزجاج ، يدل عليه ، ويشير إليه ، ويميزه عن عداه . وابدأ ببيان السمة المميزة لأبي إسحق فأقول :

### الاشتقاق

وأبو إسحق مولع ولما شديدا بالاشتقاق : يجعل للفظ معنى أصيلا تؤخذ منه وتدور حوله معاني الألفاظ التي تمت له باتفاقها معه في بعض الحروف ، ومتصرفه منه ، وهكذا يأخذ أصلا من الأصول يجمع بين معانيه ، وإن اختلفت صيغته ومبانيه ، وهو ما سماه ابن جنى الاشتقاق الصغير<sup>(٢)</sup> .

فإذا ما تعرض الزجاج مثلا لشرح « فريضة » من قوله تعالى : « ... فريضة من الله ، إن الله كان عليا حكيما »<sup>(٣)</sup> قال : أصل الفرض في اللغة القطع ، الفريضة : الثلة تكون في النهر ، والفرض : الحز الذي يكون في المسواك يشد فيه الخيط ،

(١) انظر فهرس المخطوطات المصورة : ٤٥

(٢) الخصائص : ٥٦٢/١ (٣) سورة ٤ آية ١١

والفرض في القوس : الحز الذي تشد فيه الوتر ، والفريضة في سائر ما افترض ما أمر الله به العباد فجعله أمراً حتماً عليهم قاطعاً ، وكذلك قوله : « وقد فرضتم لمن فريضة ، أى جعلتم لمن قطعة من المال .

وإذا ما شرح لفظ كفل في قوله تعالى : « ومن يشفع شفاعته سيئة يكن له كفل منها » <sup>(١)</sup> . قال : الكفل في اللغة النصيب ، وأخذ من قولهم : « أكفلت البعير ، إذا أدرت على سنامه ، أو على موضع من ظهره كساء ، وركبت عليه ، وإنما قيل له كفل ، واكفل البعير ؛ لأنه لم يستعمل الظهر كله ، وإنما استعمل نصيب من الظهر ، ولم يستعمل كله .

والزجاج يشير إلى طريقته في الاشتقاق من أنه يأخذ أصلاً من الأصول يجمع بين معانيه وذلك إذ يقول : « قد استعز المرض على المريض إذا اشتد وجعه وكذلك قول الناس : يعز على أن تفعل : أى يشتد ، فأما قولهم : قد عز الشيء إذا لم يوجد ، فتأويله : قد اشتد وجوده أى صعب أن يوجد ، والمآب واحد . »

وألحق بالك معنى إلى قوله : « والمآب واحد » ترفيه إشارة إلى نزعه في الاشتقاق ، وتأصيل الأصول لمعاني الكلمات .

وقد رمى به ولعه بالاشتقاق على هذا النحو إلى ترجيح جانبه على ما عدها من التأويلات ، فإذا كانت هناك عدة تأويلات ، وكان بعضها يرجع في معناها إلى أصل من أصول الاشتقاق رجح هذا الجانب ، ونبه عليه : « وأورد في قوله تعالى : « وكان الله على كل شيء مقبلاً » <sup>(٢)</sup> .

قال بعضهم : المقبى : القدير . وقال بعضهم : « المقبى : الحفيظ ، ثم يختار هذا التأويل بدليل قوله : « وهو عندي — والله أعلم — بالحفيظ أشبه ، ثم بين سبب الاختيار بقوله : هو بالحفيظ أشبه ؛ لأنه من القوت مشتق : يقال قت الرجل أقوته قوتاً إذا حفظت عليه نفسه بما يقوته . والقوت اسم ذلك الشيء الذي يحفظ نفسه ، ولا فضل فيه على قوت الحفظ . فعنى المقبى — والله أعلم — الحفيظ الذي يعطى الشيء قدر الحاجة من الحفظ . قال الشاعر :

ألى الفضل أم على إذا حو سبت لى على الحساب مقبى

(١) سورة ٤ آية ٥٨

(٢) سورة النساء آية (٨٥)

وهكذا كان ولع الزجاج بالاشتقاق ، وقد وجه حمزة بن الحسن الأصهباني في كتابه الموازنة — نقداً لا ذعاً إلى أبي اسحق حيث قال : « كان الزجاج يزعم أن كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف وإن نقص حروف إحداهما عن حروف الأخرى فإن إحداهما مشتقة من الأخرى <sup>(١)</sup> » ، فيقول : « الرجل مشتق من الرجل ، والثور إنما يسمى ثوراً لأنه يثير الأرض ، والثوب إنما يسمى ثوباً لأنه ثاب لباساً بعد أن كان غزلاً (حسيبه <sup>(٢)</sup> الله ا ) » ، ثم أورد حمزة سؤال يحيى بن علي بن يحيى المنجم — الزجاج عن الاشتقاق للجرجير ... ولم سمي الجبل جريراً ، وتعليل تسمية الجرة والجرة ، والجرجور .... وقد ناقشة يحيى بن علي في تعليله تسمية الفصيل المجر الذي يشق طرف لسانه لثلاً يرتضع أمه بقوله — أى الزجاج — « لأنهم جروا لسانه حتى قطعوه » ، فقال يحيى ينقض عليه : « فان جروا أذنيه فقطعوهما تسميه مجراً ؟ قال الزجاج : لا يجوز ذلك ! قال يحيى بعد أن رمى الزجاج بمناقضة العلة التي أتى بها : « ومن لم يدر أن هذا مناقضة فلا حس له <sup>(٣)</sup> » ، وهكذا رمى الزجاج بهذه التكرار .

ويظهر أن الزجاج قد اشتهر بهذا المذهب شهرة تجعله يجادل فيه ، ويسأل عنه ، ثم يكون موضع المفاكة والتندر : حكى ابن العلاف الشاعر : « ... يلزمه أن يقول .. والدب مشتق من الدب ، والعذب من الشراب مشتق من العذاب ، والخريف من الخروف ... والختفساء من ... والختنى من الأثنى ... والخنث من المؤنث ... ( شرط ابليلس على ذا من أدب <sup>(٤)</sup> ١١ )

والحق أن خصوم الزجاج غالوا في مهاجمته على النحو الذى ترى ، وعندى أن الزجاج على صحة من المذهب فى بعض ما رأى ، لكن لا على أن يمعن ويتعمل ،

(١) المراد من الاشتقاق هنا مجرد الأخذ كما نص على ذلك المحقق لمعجم الأدباء

(٢) معجم الأدباء : ١٤٤/١

(٣) معجم الادباء : ١٤٦/٢ (٤) معجم الادباء : ١٤٧/١

حاشية : وقد بقيت أثارة من هذا التندر فى أهل زماننا هذا ، سمعت بعض المشتغلين بالعلم يقول : « ان كادر الموظفين مشتق من الكدر » وما أبعد ما اشتقوا : لفظاً أعجمياً من آخر عربى ، ويظهر أن شيئاً من ذلك كان عند الأقدمين ، فقد نبه ابن السراج فى رسالته عليه ، وحذر إياه حيث يقول : « مما ينبغي أن يحذر كل الحذر أن يشتق من لغة العجم ، فيكون بمنزلة من ادعى أن الطير ولد الحوت » ( المزهر للسيوطى : ١/٢٠٥ ط صبيح )

ويتلصص العلاقة البعيدة في اشتقاق كلمة ، وارتباط معنى بمعنى ، فهذا يرمى به إلى جانب من التكلف يؤدي به إلى خطأ وانتقاض كانا موضع التعقب والتندر والتهجم من الخصوم .

\* \* \*

وإذ قد قومت مذهب الزجاج في الاشتقاق ، وذكرت موقف القدامى منه ، وقلت كلمة الإنصاف في هؤلاء وهؤلاء ، أود أن أذكر الأسباب التي أراها دعت الزجاج إلى انفراده بما انفرد من الامعان في الاشتقاق ، والتكلم فيه على هذه الصورة الواسعة :

ربما كان الباعث على هذا المذهب عند الزجاج أنه كان ضعيف العلم باللغة <sup>(١)</sup> فأراد أن يستر ضعفه ، وأن يستوعب معانيها على هذا الوجه المقرب ، بإيجاد هذه العلاقات والترابط بين الألفاظ والمعاني ، وهو أسلوب يأخذ به طلاب العلم أنفسهم لحفظ ما يحصلون ، ويصطنعها بعض المعلمين لتقريب ما يلقون إلى من يعلون ، وقد كان الزجاج معلماً لأولاد بني ما رقة <sup>(٢)</sup> ثم ولد عبيد الله بن سليمان <sup>(٣)</sup> .

على أن شيئاً من ذلك يتصل — فيما بدا في — بصناعته الأولى ، حيث كان يخرط الزجاج <sup>(٤)</sup> ، وما يلزم هذه الصناعة من أخذ شيء من شيء ، واشتقاق فروع يشكلها من أصول ، والمرء مشدود إلى بيثته يشير إليها ، وتدل عليه ، وتعمل عملها في حديثه وتصرفه حتى لا فكك له من ذلك ، لاسيما إذا علمنا أن الزجاج جمع بين خراطة الزجاج ، وتلقى العلم في وقت واحد ، يأخذ من الأولى ؛ ليرد على أستاذه المبرد ما وعده به أن يعطيه كل يوم درهما <sup>(٥)</sup> .

ولا يدفع بعض هذه التعليقات ما كان من مؤلفات في الاشتقاق للأئمة السابقين كالأخفش <sup>(٦)</sup> ، والأصمعي <sup>(٧)</sup> ، وأحمد بن حاتم <sup>(٨)</sup> ، والمبرد شيخ الزجاج <sup>(٩)</sup> ،

(٢) معجم الادباء : ١٣١/١

(١) الفهرست : ٩٠

(٣) الفهرست : ٩٠

(٤) وفيات الأعيان : ٣٢/١

(٥) تاريخ بغداد : ٩٠/٦ ، نزهة الألباء : ١٦٦ ، ومعجم الادباء : ١/١

(٧) المصدر السابق : ٨١

(٦) الفهرست : ٧٨

(٩) الفهرست : ٨٨

(٨) ٨٣

كما كان لابن دريد <sup>(١)</sup> ، وابن اسراج <sup>(٢)</sup> وللرمانى الاشتقاق الصغير ، والاشتقاق الكبير <sup>(٣)</sup> . كما أفرد النحاس وابن خالويه الاشتقاق <sup>(٤)</sup> بالتأليف أقول : « لا يدفع ما علقت — شيء من ذلك ؛ لأن تعرض الناس للزجاج بما تعرضوا — وقد سقت طرفاً منه — يجعل للزجاج طابعاً خاصاً — وقد أشرت إليه — فى تناوله الاشتقاق ، يميزاً له عن غيره من الأئمة اللغويين ، متصلاً فيما يتصل بالحياة التى اضطرب فيها الزجاج ، والظروف التى أحاطت به ، ووجهته ، وأثرت فيه .

(٢) الفهرست : ٩٣

(١) الفهرست : ٩٢

(٤) الزهر : ٢٠٤ / ١ ط صبيح

(٣) الفهرست : ٩٥

(\*) وهذه المناسبة أقول : « إن الباحثين من المحدثين المحققين يذكرون لابن دريد أنه بدأ النجاح الكبير لفكرة الاشتقاق بتأليف كتاب الاشتقاق ، وأن ابن فارس قد نأسى به . ( انظر مقدمة كتاب مقاييس اللغة تحقيق الاستاذ عبد السلام هرون ٢٣ ) ويفهم من هذه العبارة أن المؤلفين القدامى — قبل ابن دريد — كانت لهم بحوث فى الاشتقاق ، ولكنها لم تبلغ الدرجة العليا من النجاح وذلك الكلام يحتاج إلى تعقيب ، فطبيعة الاشياء ندعونا إلى الاعتداد بالتطور التاريخى لهذا الامر ، وبناء الخافين على أصول السالفين من اللغويين ، فأبو عمرو ابن العلاء ( ١٥٤ هـ ) ، يسأل أعرابياً عن اشتقاق الخيل — وسؤاله دليل على مشغلة الناس فى ذلك الوقت بالاشتقاق — فيجيب الاعرابى أنه استفاد الاسم من فعل السير ، ويفسر أبو عمرو ذلك بأنه مشتق من الخيلاء والعجب ، ويقول : ألا تراها تعمى العرصة خيلاء وتسكبرا ( طبقات الزبيدي ٢٩ ) .

وأبو زيد الانصارى ( ٢١٤ هـ ) يقول : سميت « منى » منى لما معنى فيها من الدماء ( الزهر ٢٠٥ / ١ ) والاختش ( ٢١٥ هـ ) « طبقات الزبيدي ٧٦ » يسمعه أبو عتبان يقول : « اشتقاق الدكان من الدكدك ، وهى أرض فيها غلظ وانبساط ، ومنه اشتقاق ناقة دكاء ، إذا كانت مفترشة السنام فى ظهرها أو محبوبته ( الزهر ٢٠٥ / ١ )

ومنذ الاختش يتجه العلماء إلى التأليف فى الاشتقاق وأفراده بالبحوث ، وقد قرر الاستاذ « عبد السلام هرون » أن الكلام فى الاشتقاق قديم ، فقد أشار إلى المؤلفين القدامى فيه ، ( مقدمة مقاييس اللغة انظر ص ٢٣ ج ١ ) ولكنه يغفل ما أردت الإشارة إليه هنا فى هذا الفصل وهو مشاركة أبى اسحق الزجاج فى هذا الباب على هذه الصورة التى تستحق التسجيل ، والتى عرضت أمثلة لها فى تفسيره اللفظ القرآنى ، وأرجو بعد ذلك ألا ينسب إلى ابن دريد أنه بدأ النجاح الكبير فى الاشتقاق ، وينسب أبو اسحق الزجاج ( ت ٣١١ ) وهو معاصر ابن دريد ( ٣٢٤ هـ ) . وبذكره للمؤرخون فى كتب الطبقات سابقا عليه

وربما كان الأستاذ مدفوعاً إلى ما رأى بأن الكتب المؤلفة فى الاشتقاق طواها الزمن ، وامتدت إليها يد الضياع ، خلا كتاب ابن دريد فى الاشتقاق المعروف فى أيدى الناس ( الكتاب مطبوع فى جوتجن سنة ١٨٥٤ م ) فهل تلتبس المذرة بعد أن أورد الزجاج هذه =



أما أبو علي فلم يحفل بهذا الاشتقاق في تفسير الالفاظ القرآنية التي عرض لها في كتابه الحجة ، وإنما كان يعتاده ، ولا يعول عليه ، حتى لاستطيع من ذلك أن أخلص إلى النتيجة التي أريد تسجيلها وهي : « أن تفسير اللفظ القرآني بطريق الاشتقاق طابع خاص يتميز به الزجاج ، وفصل عنه تلبذه الفارسي ، ولم يشأ أبو علي أن يحدو حدو شيخه فيه . »

وربما كان السبب في ذلك أن أبا علي تأثر أكثر ما تأثر في اللغة بكتب أبي زيد الأنصاري<sup>(١)</sup> ولم يكن الاشتقاق — على ما يبدو — قد ظهر في صورة واضحة المعالم في ذلك العهد عهد أبي زيد ، وإنما كان الكلام فيه تتقأ تروى ولم تبلغ درجة الرشد والاكتمال . وأمضى في بيان بقية خصائص كتاب معاني القرآن للزجاج .

ثانياً : تفسير اللفظ القرآني أولاً بالقرآن : وهذه ذات شعبتين :

١ — فيما أن يكون اللفظ المفسر لاحقاً للفظ المفسر في آية واحدة ، فيستدل بذلك على هذا بطريق الاستنتاج كما في قوله تعالى : « يريدون أن يتحاكوا إلى الطاغوت ، وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً<sup>(٢)</sup> . قال: الطاغوت : الشيطان بدليل قوله تعالى : ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً . وفي قوله تعالى : « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ، قال : ادعوني : أعبدوني والدليل أن الذين يستكبرون عن عبادتي . »

== الطائفة الصالحة من الاشتقاق في كتابه معاني القرآن ؟! وأى الشيخين المتعاصرين بدأ النجاح الكبير في نظرية الاشتقاق إذا سلمت جدلاً ، بعدم الاعتداد بمجهود السابقين ؟! صحيح أن بعض العلماء — وربما دفعهم التحاليل — لم يرضوا عن منهج الزجاج في الاشتقاق — كما أشرت إلى ذلك من قبل — ولكن هذا لا يدعو إلى عدم الاعتداد به ، وإغفاله حتى لا يشار إليه ، مع أنه يمثل مرحلة كبرى من المراحل التي خطاها السابقون في هذه السبيل ، وبما يزيد في أهمية هذه المرحلة — عند الزجاج — أنه يكاد يلتزمها في تفسير اللفظ القرآني ، في كتابه المعاني . هذا وقد عرضت في مكان آخر أبي بكر محمد بن السري الملقب بابن السراج — وهو معاصر كذلك لابن دريد — وبينت تأسي ابن فارس به ، ودعمت ما رأيت بالنصوص ، وانتهيت إلى أن ابن السراج هو الأصل في الحديث عن الاشتقاق على صورة رضى عنها العلماء المشهورون بالادق ( كآبن جني في خصائصه ٥٢٦/١ ) راجع ص ٢٩٣ وما بعدها من هذا البحث .

وفي هذا النوع يبدو المنطق ، ولكنه لا يكون في شكل قصية كما يفعل أبو على الفارسي .

٢ — ولما أن يكون اللفظ المفسر في سورة ، واللفظ المفسر في أخرى ، وذلك هو الأكثر ، كما في قوله تعالى :

(١) بث فيها رجالا كثيرا ونساء : معنى بث : نشر . يقال : بث الله الخلق ، وقال ( عز وجل ) كالفراش المبثوث ، فهذا يدل على بث .

(ب) الدليل على أن المحسنات هن العقائف قوله : ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها ، أى أعفت فرجها <sup>(١)</sup> .

والأصل في هذين القسمين ما ذكره أبو اسحق . من أن القرآن كله كالسورة الواحدة ، ألا ترى أن جواب الشيء فيه يقع وبينهما سور ، كما قال ( جل وعز ) جواباً لقوله : وقالوا : يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ، فقال : نون والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون .

ومما يجدر ذكره أن أبا على تأثر بشيخه أبي اسحق الزجاج في مسلكه هذا تأثراً واضحاً على الفرق بين الرجلين في ظهور مسحة المنطق عند أبي على <sup>(٢)</sup> ، وخفوتها عند الزجاج ، ولكن أبا على متأثر بشيخه في هذا على أية حال .

كما يفسر اللفظ القرآني ثانياً بالشعر العربي ، وأقوال الأئمة اللغويين من شيوخه أو من تأسوا بهم من السابقين ، وذلك قوله : والكلالة سوى الولد والوالد ، والدليل على أن الأب ليس بكلالة قول الشاعر :

فإن أبا المرء أحى له ومولى الكلالة لا يفضب

وقد يمزج في الشرح بين الاشتقاق ، وأقوال الأئمة ، والاستشهاد الشعري كما في قوله العزة ، المنعة وشدة الغلبة ، وهو مأخوذ من قولهم : أرض عزاز ، قال الأصمعي العزاز التفل من الأرض الصلب الحجارة الذي يسرع منه جرى الماء والسيل ، فتأويل العزة الغلبة والشدة التي لا يتعلق بها إذلال ، قالت الخنساء .

كأن لم يـكـونوا حمى يتقى إذ الناس إذ ذاك من عز براء  
أى من قوى غلب وسلب .

وهكذا تراه يبنى على قول الأصمعي ، ويرجع المعنى في العزة إلى ما ذكره وهو

(١) كتاب معاني القرآن : سورة النساء (٢) راجع فصل المنطق عند الفارسي

في إيراد الشواهد قصير الباع ، ضيق النفس ، فلا يورد في الكثير الغالب إلا الشاهد الواحد ، على العكس من أبي على تليذه الذي يطول نفسه في ذلك إلى أمد بعيد .

ثم ترى أبا على يناقش هذه الشواهد ، ويعقب عليها ، بما يظهر من شخصيته ، ثم يضيف هو إلى ماروي الأقدمون — شواهد من محفوظه تنثال على لسانه اثنيلا يدل على حافظة قوية وذاكرة حاضرة ، ودقة نادرة في استحضار الشواهد المتعددة في الموضوع الذي يتحدث فيه .

ثالثاً : وقد رأيت الزجاج مستهماً بأقوال اللغويين ، يحكمهم ، ويرضى حكومتهم في :

( ا ) اختيار القراءات .

( ب ) وفي التفسير القرآني .

( ج ) وفي مسائل الفقه .

( د ) ويعد مذاهب اللغويين أقوى في الرد على الملحدين .

( هـ ) وأنهم منزهون عن الوهم الكتابي في رسم المصحف .

وأضرب لكل واحدة من هذه مثالا يختصر ذكر نظائره ، ويعفى عن الحصر والتفصيل .

( ا ) قال محمداً اللغة في اختيار القراءات : ( زبوراً ) القراءة فيه بفتح الزاي وضماً ، وأكثر القراء على فتح الزاي ، وقد قرأت جماعة زبوراً منهم الأعمش وحمة . فن قرأ زبوراً بفتح الزاي فعناه كتاباً وهذا الوجه عند أهل اللغة ، لأن الآمار كذا جاءت زبور داود ، كما جاء تورااة موسى ، وإنجيل عيسى .

( ب ) وقال في الأخذ بأقوال اللغويين في التفسير القرآني :

وقال بعضهم : إلا ليؤمن به أي سيؤمن بعيسى إذا نزل لقتل الدجال ، وهذا بعيد في اللغة ، لأنه قال : « وإن منهم إلا ليؤمن به » ، المعنى ما أحد منهم إلا سيؤمن به قبل موته ، والذين يقولون إلى ذلك الوقت إنما هم شرذمة منهم ، ولكنه يحتمل أنهم كلهم يقولون : « إن عيسى الذي ينزل لقتل الدجال نحن نؤمن به فيجوز على هذا ، والله أعلم بحقيقته .

( ج ) وقال في اختياره مذاهب اللغويين في مسائل الفقه :

« يجوز أن يكون أو في قوله تعالى : « هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك <sup>(١)</sup> صياماً » — وهو الأجود في اللغة — للتخير ، فإن شاء أهدي ، وإن شاء أمسك الهدى ، وأطعم بدله ، أو جعل مثل ذلك صياماً ، لأن أول التخير . وقال بعضهم : كأنه إن لم يقدر على الأبل والغنم فينبغي أن يطعم أو يصوم ، والذي يوجب اللفظ التخير . وأهل الفقه أعلم بالسنة في ذلك إلا أني أختار على مذهب اللغة أنه مخير .

( د ) وعنده أن العلم باللغة يمكن منه الرد على الملحدن :

قال أبو اسحق : « وهذا موضع أعنى تعلم ما في نفسي ، ولا أعلم ما في نفسك ، يلبس به أهل الاتحاد على من ضعف عنه باللغة ، ولا يعلم حقيقة هذا إلا من اللغة :

قال أهل اللغة : « النفس في كلام العرب تجرى على ضربين : أحدهما قولك : « خرجت نفس فلان ، وفي نفس فلان أن يفعل كذا وكذا .

والضرب الآخر : معنى النفس فيه جملة الشيء ، ومعنى حقيقة الشيء ، تقول « قتل فلان نفسه » ، وأهلك فلان نفسه ، فليس معناه أن الاهلاك وقع ببعضه ، إنما الاهلاك وقع بذاته كلها ، ووقع بحقيقته . ومعنى تعلم ما في نفسي . أى تعلم ما أضمره ، ولا أعلم ما في نفسك : لا أعلم ما في حقيقتك ، وما عندى عليه . فالتأويل : « أنك تعلم ما أعلم ، ولا أعلم ما تعلم ويدلك عليه إنك أنت علام الغيوم . فانما هو راجع إلى الفائدة في المعلوم ، والتوكيد أن الغيب لا يعلمه إلا الله ( جل ثناؤه ) .

ه — في تنزيه أهل اللغة الأولين عن الوهم في الكتابة :

قال بعضهم : المقيم عطف على الماء والميم : المعنى لكن الرايخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة يؤمنون بما أنزل إليك . وهذا عند النحويين ردى ، لأنه لا يعطف بالظاهر المجرور على المضمر المجرور إلا في الشعر ، وذهب بعضهم إلى أن هذا وهم من الكاتب ، وقال بعضهم في كتاب الله أشياء ستصلحها العرب بالسنتها ، وهذا القول عند أهل اللغة بعيد جداً ؛ لأن الذين جمعوا القرآن أصحاب

رسول الله ، وهم أهل اللغة ، وهم القدوة ، وهم قريبا العهد بالاسلام ، فكيف يتركون في كتاب الله شيئا يصلحه غيرهم ؟ وهم الذين أخذوه عن رسول الله وجمعه ؟ وهذا ساقط من لا يعلم بعدهم ، وساقط عن من يعلم لأنهم يقتدى بهم ، فهذا مما ينبغي أن ينسب إليهم ( راحة الله عليهم ) . والقرآن محكم لا لحن فيه ، ولا فيه شيء تتكلم العرب بأجود منه في الاعراب ؛ كما قال الله ( جل وعز ) : « تنزيل من حكيم حميد » . وقال : « بلسان عربي مبين » .

وقد لحظت في أكثر هذه النقاط أنه يعترف بالآثر إلى جانب اعتداده باللغويين كان يقول :

في ( ١ ) الآثار جاءت في الزبور .

وفي ( ج ) أهل الفقه أعلم بالسنة .

وفي ( هـ ) والصحابة هداية وقدوة ، والقرآن محكم .

على أنه إلى القول بالآثر على النحو الذي ترى إلى الجانب اللغوي أميل ، فإذا حكى أهل اللغة في اللفظ وجهين ، وافق على أحدهما أصحاب الآثر — كان المرجع عنده — حينئذ — في الاختيار الآثر من اجتماع المحدثين : قال : القراءة الدرك بفتح الراء ، والدرك بتسكين الراء . . . واللغتان حكاهما جميعاً أهل اللغة ، إلا أن الاختيار فتح الراء لاجتماع المدنيين والبصريين عليها ، وإن أحداً من المحدثين مارواها إلا الدرك بفتح الراء ، فذلك اخترنا الدرك .

ويبعد أبو على كثيراً عن منهج شيخه أبي اسحق في ذلك ، فهو لا يستقيم بأقوال اللغويين على النحو الذي يبدو عند الزجاج ، ولا يخلط القول بالآثر مع أقوال اللغويين في الاحتجاج . ولعل ذلك فيما يبدو — أثر من آثار شخصية كل من الشيخين ، فالزجاج ينطوي تحت الأئمة اللغويين السابقين ؛ لأنه كان ضعيف العلم باللغة كما يقرر ابن النديم <sup>(١)</sup> . فهو مغلوب على أمره بجانبهم ، والمغلوبون مولعون بالجرى وراء الغالبين ، سنة الله في خلقه أفراداً وجماعات من السابقين ، واللاحقين <sup>(٢)</sup> .

هذا إلى أن الزجاج كان مشهوراً بحسن الاعتقاد وجميل المذهب <sup>(٣)</sup> ، وأنه كان

(٢) انظر مقدمة ابن خلدون

(١) الفهرست : ٩٠

(٣) تاريخ بغداد : ٨٩/٦

من أهل الدين المتين <sup>(١)</sup> ، والقول بالآثر يتصل إلى حد ما بمثانة الدين ، وحسن اليقين .

على أن القول بالآثر عند الزجاج له مظاهر أخرى أتناولها فيما يرد من حديث ؛ إذ تعد سمة من سماته ، وخصيصة من خصائصه في كتاب معاني القرآن .

رابعاً : قول الزجاج بالآثر : ويتجلى ذلك في شعبتين

(١) القراءة سنة .

(ب) ورسم المصحف لا يخالف .

وأبدأ بالمظهر الأول ، حيث كان كذلك في حقيقة الواقع ، وأضرب أمثلة في نواح ثلاث : في اللغويات ، والاعراب ، والصرفيات ، أعرضها في اختصار يحمل التفصيل :

القراءة سنة في اللغويات :

قوله (عز وجل) : «وآتوا النساء صدقاتهن نحلة» : يقال : «صدّاق المرأة ، وصدقة المرأة ، وصدقة المرأة ، وصدّاق المرأة مفتوح أولها . والذي في القرآن جمع صدقة . ومن قال : صدقة قال صدقاتهن ، كما يقول غرفة وغرفات ، ويجوز صدقاتهن ، وصدقاتهن بضم الصاد وفتح الدال ، ويجوز صدقاتهن .

وبعد أن أورد اللغات الجائزة في هذه الكلمة نبه على ما ورد منها في سنة القراءة ، وصحيح الرواية ، حيث يقول : ولا يقرأ من هذا إلا بما قد قرئ به ، لأن القراءة سنة ، لا ينبغي أن يقرأ فيها بكل ما يحيزه النحويون ، وأن تتبع ، فإن الذي روى من المشهور في القراءة أجود عند النحويين ، فيجتمع في القراءة بما قد روى الاتباع وإيثار ما هو أقوى حجة إن شاء الله .

وبعد أن أورد أنه يجوز في عبد الطاغوت : عبد الطاغوت ، وعبد الطاغوت قال : « ولا تقرأن بهذين الوجهين ، وإن كانا جائزين ؛ لأن القراءة لا تبتدع على وجه يجوز ، وإنما سبيل القراءة اتباع من تقدم ، .

\* \* \*

القراءة سنة في الإعراب :

بعد أن وجه الرفع والنصب في « غير ، من قوله تعالى : لا يستوى القاعدون

من المؤمنين غير أولى الضرر . . . قال : ، ويجوز جر غير على الصفة للمؤمنين  
أى لا يستوى القاعدون من المؤمنين الأصحاء والمجاهدون ، فالرفع والنصب القراءة  
بهما كثير ، والجرح جيد إلا أن أهل الأمصار لم يقرءوا به ، وإن كان وجهاً  
جيداً ؛ لأن القراءة سنة متبعة .

في قوله تعالى : لكن الله يشهد بما أنزل إليك ، قال : القراءة الرفع مع تخفيف  
لكن ، والنصب جائز . . . إلا أنه لا يقرأ بما يجوز في العربية إلا أن ثبت به رواية  
عن الصحابة أو قراء الأمصار .

\* \* \*

القراءة سنة : في الصرفيات :

قال بعد أن ذكر القراءات في هزوا : وفيها وجه آخر لا يجوز القراءة به ،  
لأنه لم يقرأ به وهو : هُزأ مثل هدى .  
وانظر قوله : في أن يمسسكم ، ولو قرئتم أن يمسكم قرح كان صواباً ، ولكن  
لا تقرأ به لمخالفة الصحف ، ولأن القراءة سنة .

\* \* \*

(ب) رسم المصحف لا يخالف :

وهو يقول برسم المصحف ، ويتخذ حجة في تحذيره القارىء قراءة من القراءات  
تخالفه ، وإليك ثلاثة من الأمثلة يفنى إيرادها عن الحصر والتفصيل :  
رسم المصحف في اللذويات :

قال : فإذا اطمأنتم : أى سكنت قلوبكم ، ويقال اطمأن الشيء إذا سكن ، وطمأنته  
إذا سكنته ، وقد روى أطبان بالباء ، ولكن لا تقرأ بها ؛ لأن المصحف  
لا يخالف البتة .

رسم المصحف في الاعراب :

قال : وأما رفع يؤتون في قوله تعالى : وإذا لا يؤتون الناس نقيرا ، فعلى فلا يؤتون  
الناس نقيرا إذا . ومن نصب فقال فإذا لا يؤتوا الناس جاز ذلك في غير القراءة  
فأما المصحف فلا يخالف .

تعليق : قرأ بها ابن مسعود (١) !

### رسم المصحف في الصريفات :

قال : « وأما من يرتدد فهو الأصل ؛ لأن التضعيف إذا سكن الثاني من المضاعفين ظهر التضعيف نحو قوله : « إن يمسك قرح ، ولو قرئت أن يمسك قرح كان صواباً ، ولكن لا تقرأن به لخالفه المصحف . ولأن القراءة سنة .

\* \* \*

ويبدو أنه ضرب صفحاً عن الاعتداد بمصحف أهل الشام ذلك قوله في الآية : « ما فعلوه إلا قليل منهم ، رفع قليل على البدل من الواو : المعنى : ما فعله إلا قليل منهم . والنصب جائز في غير القرآن ، يذهب إلى أن النصب لا يجوز في القراءة لما في ذلك من مخالفة رسم المصحف ، مع أن ابن مجاهد نص على أن قراءة النصب لابن عامر ؛ لأنها كذلك في مصاحف أهل الشام <sup>(١)</sup> .

وعندي : أن رسم المصحف راجع في حقيقة الواقع إلى سنة القراءة ، وصحة الرواية ، فهو يندمج فيها ، ويدخل تحتها ، وقد تنبه هو نفسه إلى ذلك حيث يقول : قوله تعالى : « ولا يجدون عنها محيصاً ، أى لا يجدون عنها معدلاً ولا ملجأ . يقال : حصت عن الرجل أحيص ، ورووا : حصت عنه أحيض بالجيم والضاد المعجمة بمعنى حصت ، ولا يجوز ذلك في القرآن ، وإن كان المعنى واحداً والخط غير مخالف ، لأن القرآن سنة متبعة لا تخالف فيه الرواية عن النبي ( صلى الله عليه وسلم وأصحابه ) ، والسلف ، وقراء الأمصار ، بما يجوز في النحو واللغة ، وما فيه أفصح بما يجوز ، فلا اتباع فيه أولى .

وأرجو أن أرجع بكم إلى ما كان من الفراء في معاني القرآن ، فقد جوز في غير قيد ولا تحذير — القراءة بما يتفق هو والأوجه الاعرابية ، واللغوية ، والصرفية ؛ وقد رأينا أن ذلك قد ورد في كتابه في كثرة غامرة <sup>(٢)</sup> .

ونرى هنا الزجاج يجوز ذلك في العربية ، ويحذر القارىء إياه في القرآن ، فلعل ذلك الموقف من أبي اسحق البصرى يجبه به الفراء الكوفي فيما جوز واختار ، ويحقق

---

(١) كتاب القراءات لابن مجاهد . الحجة ٣ واظهر المقنن للداني ١١٠ والنشر ٢٥٠/٢ والاعلان بتكملة مورد الظمان لابن عاشر ٣٨  
(٢) راجع ذلك في هذا البحث



إشارة ابن حنبل التي بها أشار<sup>(١)</sup>، ثم هو دليل على الصرامة التي نوهت بها، وأشرت إليها، واشتهر بها البصريون، إذ لا يجوزون كثيراً بما يجوز الكوفيون. كما أود أيضاً أن أشير إلى أن أبا علي لا يقول بالرسم، ولا يتخذ سبباً من الأسباب التي يحتج بها<sup>(٢)</sup>، ثم هو كذلك لا يقول بأن القراءة سنة إلا إذا ضاقت عليه سبل التعليل، ولم يستطع أن يخرج القراءة على وجه من وجوه القياس، وعند ذلك يلقي هذه العبارة مضطراً، ومع ذلك يشير إلى أن القراءة بما يجرى على سنة القياس أجدر وأولى<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

#### خامساً : المذهب البصرى والزجاج :

والمذهب البصرى غالب على أمره يجوده، ويعتد به، ويدفع عنه، ويحتج له، ويهجم القراء المخالفين، فيضعف قراءتهم بالخطأ في العربية، بل بالخطأ العظيم في الدين، ويسم مذاهبهم بالرداءة، ويرميهم بالقبح والنكير، وذاك تناقض ظاهر مع قوله بالآثر، وبعد عنه كبير.

وأود أن تقرأ قوله في تخريج قراءة حمزة: والأرحام في قوله تعالى: واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام: قال: القراءة الجيدة نصب الأرحام: المعنى، واتقوا الأرحام أن تقطعوها. وأما الجرفى الأرحام خطأ في العربية<sup>(٤)</sup> لا يجوز إلا في اضطرار شعر، وخطأ أيضاً في أمر الدين عظيم. ثم أخذ يذكر العلة، ويوجه الخطأ في العربية، والخطأ في الدين.

ثم أقرأ كلامه في تأويل قراءة وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم،: وقد رويت شركائهم بالياء في بعض المصاحف، ولكن لا يجوز إلا على: زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم فيكون: شركائهم من نعت أولادهم، لأن أولادهم شركائهم في أموالهم.

ويجوز شركائهم، لأنها إنما رويت أنها وجدت في بعض المصاحف بالياء، فيكون في موضع رفع، وتبدل من الهمزة الياء كما روى بعضهم في رداً رداً بان ١١ وهذا ردى جداً، ومخالف للمصحف المجتمع عليه، فلا تقرأ به، ولا تلتفت إليه.

(١) راجع صدر هذا الفصل (٢) انظر ذلك في فصل ابن خالويه وأبى على (٣) راجع مثلاً الحجة: ١٠٩/٤ نالبلدية (٤) الكوفيون يجوزون ذلك انظر الانصاف

وهكذا يغفل الإشارة إلى قراءة ابن عامر جملة ، وفي قراءة تتفق مع مذهب النحاة الكوفيين<sup>(١)</sup> ويذهب في تجويز شركائهم برسم المصحف ، ثم يشير إلى رداء هذه القراءة بهذه الإشارة التي يتبعها بالنهي عن القراءة بها ، والالتفات إليها ١١ وقال في قراءة يهدى من قوله تعالى : « أم من لا يهدى : قرأ بعضهم بإسكان الهاء والدال ، وهذه القراءة مروية إلا أن اللفظ بها ممتنع ، فلست أدري كيف قرئ بها وهي شاذة ١٩ وقد حكى سيبويه أن مثلها قد يتكلم به .

وأقول : « أما بعضهم الذي أشار إليه بأنه قرأ بها ، فهم أهل المدينة إلا ورشا<sup>(٢)</sup> ، فكيف يشذها مع أنها مروية ؟ ثم ما باله يعجب فلا يدري ١٩ والعجب منه هو : يردد دائماً القراءة سنة متبعة أو نحواً من ذلك بما في معناه كما سبق ، ويتخذ ذلك سبيلاً إلى التحذير من قراءة جازت في العربية ، ومذاهب البصرية ، ولم يرد بها أثر . فهل تراه يعد نحاة البصرة هم النحاة ، وقراءهم هم القراء ، ولا شيء غير هؤلاء وهؤلاء ١٩ .

ذلك أثر من آثار بصريته ، ومظهر من مظاهر عصبيته ، ومن هنا وقف من القراء الكوفيين موقف التجهم والتضعيف ، وهو معهم يشدد النكير على غير موقفه من القراء المدنيين ؛ فقد رأيناه من قبل يتعجب من قراءتهم ( لا يهدى ) بإسكان الهاء والدال على شذوذها في رأيه هو ، ويتلصص لهم وجهاً من كلام سيبويه ، ولا يزيد . أما الكوفيون فإذا أورد قراءتهم يهدى بكسر الهاء والياء وهي قراءة لعاصم قال : وهي رديئة لثقل الكسرة في الياء .

وتسأل نفسك : أي القراءتين أثقل في النطق : القراءات المدنية وفيها التقاء الساكنين ؟ أم القراءة الكوفية ومبعث الثقل فيها الكسرة في الياء ؟ لا شك أن قراءة المدنيين أثقل وأصعب ، فكيف يرى القراءة الكوفية — مع سهولتها موازنة بالمدنية — بالرداءة ١٩ هي العصبية تعمى البصائر ، وتعصب الأنظار ١١ ( ألا قاتلها الله ) .

وقد دفعت بصريته المتعصبة إلى أن يتجاهل قراءة كوفي مثل الكسائي — وربما جهلها — وذلك قوله : والعين بالعين . بعد أن وجه الرفع فيها قال : ولا أعلم أحداً قرأ بها ١١ ولا يقرآن بها إلا أن ثبت بها رواية صحيحة .

(١) يجوز الكوفيون الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف والجار والمجرور

(٢) انظر البحر المحيط : ١٥٦/٥

في سعة الكلام

وقد قرأ بها الكسائي<sup>(١)</sup>، فهل جهله الزجاج أو تجاهله؟ إن هذه القراءات كانت شائعة في عصره، فابن مجاهد سبع السبعة، وألف كتابه حوالي عام ٣٠٠هـ<sup>(٢)</sup>، والزجاج حتى يرزق، سم ما قوله ولا يقرآن بها إلا أن ثبت بها رواية صحيحة؟ ألا يصح عنده ما يروى الكسائي؟ أم لأنه كوفي يتجاهله، ويتجاهل قراءته؟ ثم اقرأ معي قول الزجاج: «ون تلووا أو تعرضوا، قرأ أبو عاصم، وأبو عمرو بن العلاء، وأهل المدينة تلووا بواوين، وقرأ يحيى بن وثاب، والأعشى وحزمة بواو واحدة تلووا. والاشبه على ما جاء في التفسير مذهب أهل المدينة وأبي عمرو لأنه جاء في التفسير: إن لوى الحاكم أو أعرض... ثلاثة بعددهم: عاصم، وأبو عمرو، وأهل المدينة، فإذا ما حكم بالجودة عز عليه أن يذكر عاصماً فيقتصر على ذكر أهل المدينة، وأبي عمرو، ويسكت عن عاصم ١١ والنص أمامكم أود أن تراجعوه.

لا شيء عليه أن يختار قراءة البصريين، كاختياره مثلاً قراءة والدرك الأسفل، بالفتح على الدرك بالسكون وهي قراءة الكوفيين<sup>(٣)</sup>، أما أن يسكت عن الإشارة بجودة قراءة الكوفيين فلا تعرف إلا استنتاجاً، وأما أن يصفها بالرداءة حيناً، والبعد عن الدين حيناً... فشئ من ذلك لا أوافق عليه! بل يجب أن يوجه من أجله اللوم إليه، أما أبو علي وموقفه من القراءات التي تتخالف هي ومذهبه النحوي، فقد اشترت إليه آنفاً في موضعه المقسوم.

\*\*\*

سادساً — تعرض الزجاج للنحاة الكوفيين:

رأينا تعرض الزجاج للقراء الكوفيين، ورأينا كيف شدد عليهم النكير، وإذا كان ذلك موقفه من قرائتهم الذين رووا القراءة بالسند المتصل عن رسول الله فلا شك أن موقفه من نحاتهم يكون أشد وأنكى:

١ — تراه يخطئ القراء في حكايته «أن لام الأمر قد فتحها بعض العرب في نحو قولك ليجلس، فقالوا: ليجلس ففتحوا، وهذا خطأ لا يجوز فتح لام الأمر ثلاً تشبه لام التوكيد. ثم يعتذر من شذوذ حكاية بعض البصريين، وأنهم عنده صادقون في الرواية، إلا أن الذي سمع منهم هو الذي أخطأ ١١ قال:

(٢) الحضارة الإسلامية لقر: ٣٢١/١

(١) البحر المحيط: ٤٩٤/٣

(٣) النمر: ٢٠٣/٢

« وقد حكى بعض البصريين فتح لام الجر نحو قولك المال لزيد . . . وهذه الحكاية في الشذوذ كالأولى ، لأن الإجماع والروايات الصحيحة كسر لام الجر والأمر ، ولا يلتفت إلى الشذوذ خاصة إذا لم يروه النحويون القدماء الذين هم أصل الرواية . وجميع من ذكرنا من الذين رووا هذا الشاذ عندنا صادقون في الرواية إلا أن الذى سمع منهى مخطئ » .

(ب) كما يخطئ الكسائى فى قوله : والصابئون نسق على ما فى هادوا<sup>(١)</sup> . . . فى قوله تعالى : « إن الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والصابئين ، والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر ، وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون » . كما يخطئه فى قوله : ان أشياء أشبه آخرها آخر حمراء ، ووزنها عنده أفعال ، وكثر استعمالهم فلم تصرف قال : « وقد أجمعوا على أن قول الكسائى خطأ فى هذا ، وألزموه ألا يُعرف أبناء ، وأسماء .

(ج) ويرى الفراء ، والكسائى معاً بالتقصير فى التعليل فى اعراب خيراً من قوله تعالى « فآمنوا خيراً لكم<sup>(٢)</sup> » ، من قوله تعالى : يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم وان تكفروا فإن الله ما فى السموات والأرض وكان الله عليهما حكيماً .

(د) ويهاجم الكوفيين جملة ، وذلك عند قوله (تعالى) : « ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، قال : « ذلك » : الكاف فيه للمخاطبة واللام زائدة كسرت لالتقاء الساكنين ، ولم يذكر الكوفيون كسر هذه اللام فى شيء من كتبهم ، ولا عرفوه ، وهذه من الأشياء التى كان ينبغى أن يتكلموا فيها ؛ إذ كان ذلك إشارة إلى كل متراخ عنك — إلا أن تركهم الكلام أعوذُ عليهم من تكلمهم ، إذ كان أول ما نطقوا به فى فعل (كذا) قد نقض سائر العربية ، ثم قال : وقد بينا ذلك قديماً .

وكان بودى أن أعرف بيانه ! فأنى لى ذلك ١٩

\*\*\*

سابعاً — استغلاله العروض فى التعليل :

ويبدو ذلك فى قوله : فأما د والليل إذا يسر ، لحذفت الياء ؛ لأنها رأس آية ،

ورموس الآى الحذف جائز فيها ، كما يجوز فى أواخر الآيات (١) .  
وقد كان الزجاج على علم بالعروض ، وصاحب اختيار فيه (٢) ، ألف فيها ألف  
كتاب القوافى ، وكتاب العروض (٣) ، ومن هنا رأيت يتعرض للرجز مستطرداً ،  
نحدث عن أصله فى اللغة ، وأورد رأى الخليل فيه ، وأدلت على ما رأى ، وتعقيب  
الآخفش على رأى الخليل ، وذلك حيث يقول :

أصل الرجز فى اللغة تتابع الحركات فن ذلك قولهم : ناقة رجزاء ، إذا كانت ترتعد  
قوائمها عند قيامها ، ومن هذا رجز الشعر ؛ لأنه أقصر آيات الشعر ، والانتقال من  
بيت إلى بيت سريع نحو قوله :

يا ليتنى فيها جذع أخب فيها وأضع  
ونحو قولهم . « صبرا بنى عبد الدار ، ونحو قولهم : « ما هاج أحراناً وشجوا  
قد شجوا » .

\* \* \*

وزعم الخليل أن الرجز ليس بشعر ، وإنما هو أنصاف أبيات وأثلاث ، ودليل  
الخليل فى ذلك : ما روى عن النبى ( صلى الله عليه وسلم ) :  
ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتىك من لم تزود بالأخبار  
قال الخليل : لو كان نصف البيت شعراً ما جرى على لسان النبى ( صلى الله عليه وسلم )  
« ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً » . وجاء النصف الثانى على غير تأليف للشعر ؛  
لأن نصف البيت لا يقال له شعر ، ولا بيت ، ولوجاز أن يقال لنصف البيت شعر  
لقليل لجزء منه شعر ، وجرى على لسانه فيما روى :

أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب  
قال بعضهم إنما هو ( لا كذب ) . أنا ابن عبد المطلب بفتح الباء على الوصل .  
قال الخليل : فلو كان شعراً لم يجر على لسان النبى ( صلى الله عليه وسلم ) قال الله :  
« وما علنناه الشعر وما ينبغي له » أى وما يتسهل له .  
قال الآخفش : كان قول الخليل إن هذه الأشياء شعر ، قال : وأنا أقول : إنما  
ليست بشعر . وذكر أنه ألزم الخليل ما ذكرناه أن الخليل اعتقده . . .

(١) أنظر تفسير قوله تعالى : ( وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً ) من مائى القرآن للزجاج .

(٢) الفهرست : ٩١

(٣) نزهة الألباء : ١٦٦

وتناول الزجاج للعروض على كل حال في معاني القرآن — يبدو قليلا ، فلم يتوسع فيه .

أما أبو على فقد ذهب في ذلك إلى مدى بعيد تناولته بالبيان في موضعه .  
والزجاج يعتمد اعتماداً ظاهراً على سيبويه ، ولا غرو في ذلك ، فقد كان للكتاب أهلا .

قال ابن كيسان عندما قصده أبو بكر مبرمان ليقرأ عليه كتاب : « اذهب إلى أهله » ، يشير بذلك إلى الزجاج <sup>(١)</sup> .

ويظهر من عبارة الزجاج التي يقول فيها : « إذا تأملت الأمثلة من كتاب سيبويه تبين أن أعلم الناس باللغة » <sup>(٢)</sup> . يظهر من عبارته تلك أنه كان يقرأ ، ويتفحص ويمحص ، ويستخرج .

(ب) ويثنى على المازني ، ويقف منه موقف التقدير اذ يقول : « وقد فسر المازني هذا تفسيراً مقنعاً » ، يشير إلى عطف الظاهر على المضمحل في حال الجر ، وكونه لا يجوز إلا بظهار الجار .

(ح) كما يأخذ بقوال الخليل ، والأصمعي ، والاختف

(د) ويشير إلى أبي اسحق اسماعيل بن اسحق حيث يقول : في بيان خطأ قراءة والأرحام في أمر الدين : « ورأيت أبا اسحق اسماعيل بن اسحق يذهب إلى أن الحلف بغير الله أمر عظيم ، وأن ذلك خاص لله ( عز وجل ) على ما أتت به الرواية » .  
وأبو اسحق هذا هو الأزدي ، اسماعيل بن اسحق بن اسماعيل بن حماد ( ٢٠٠ — ٢٨٢ <sup>(١)</sup> هـ ) والذي أدركه الزجاج ، ولعله نظر إليه في التأليف في معاني القرآن ، فله فيه كتاب <sup>(٢)</sup> ، وكان من أعلام القضاة ببغداد <sup>(٣)</sup> ، وأنت تلاحظ أنه ينقل عنه في النص السابق ما يتصل بالحلف والإيمان ، وهو ما يأخذ به القضاة الخصوم في صدر المقاضاة ، على أن له صلة الحكاية عن المبرد <sup>(٤)</sup> ، واذ كان المبرد أخص شيوخ زجاج صلة به ، فمن حقه أن يعطى فضل بيان : اذ كانت هذه الصلة سببا في مهاجمة أبي على الزجاج فيما أرى :

(٢) المصدر السابق : ٧٣

(٣) انظر طبقات المفسرين ورقة ٤٥

(٤) طبقات الزبيدي : ١٠٨

(١) طبقات الزبيدي : ١٧١

(١) المذكور في أول هذا الفصل

(٣) المرقبة العليا : ٣٢

(١) فقول المبرد على مذهب العربية حسن في رأى الزجاج ، وذلك قوله : ميمن في معنى مؤتمن ، إلا أن الهاء بدل من الهمزة ، والأصل مؤتمنا عليه كما قالوا : هزقت الماء وأزقت الماء ، وكما قالوا : إياك وهياك .

(ب) والمبرد من أهل النظر : وذلك حيث يقول الزجاج : « اختلف أهل النظر في تفسير قول عيسى : « وإن تغفر لهم ، فقال بعضهم : « إن تغفر لهم كذبهم على ، وقالوا : عيسى لا يجوز أن يقول : إن الله يجوز أن يغفر الكفر ، وكأنه على هذا القول إن تغفر لهم الحكاية فقط هذا قول أبي العباس محمد بن يزيد ، ولا أدرى أسمى سمعه ، أم استخرجه ؟ .

فانظر قوله أولاً اختلف أهل النظر ، ثم قوله أخيراً هذا قول أبي العباس . .

(ج) وبذكر أدلته ، ويصوبها بأدلة أخرى <sup>(١)</sup> .

(د) وفي الأقل الأندر يغلطه : قال أبو العباس محمد بن يزيد في إعراب كان من قوله تعالى « إنه كان فاحشة ومقتاً ، جائز أن تكون كان زائدة ، فالمعنى على هذا إنه فاحشة ومقت ، وأنشد في ذلك قول الشاعر :

فكيف إذا حلت بدار قوم وجيران لنا كانوا كرام

قال أبو اسحق : هذا غلط من أبي العباس ؛ لأن كان لو كانت زائدة لم تنصب خبرها ، والدليل على هذا البيت الذي أنشدوه « وجيران لنا كانوا كرام ، ولم يقل كانوا كراما .

وموقفه منه على هذه الانحاء صورة من مواقفه منه في حياته العامة : فالزجاج أقدم أصحاب المبرد قراءة عليه ، وكان من يريد أن يقرأ على المبرد يعرض عليه أولاً ما يريد أن يقرأه <sup>(٢)</sup> ، وكان الزجاج يخدم المبرد في أموره <sup>(٣)</sup> ، وكان لا يخليه من التفقد ، والمبرد هو الذي أمسى الزجاج لبنى مارقة معلباً لآولادهم بالصراة ، ويرد عنه في غيبته <sup>(٤)</sup> ، ويرد على ثعلب في الفصيح <sup>(٥)</sup> و ثعلب خصيم المبرد <sup>(٦)</sup> ، وقد ظل وفيأ له إلى أن مات <sup>(٧)</sup> ، وبعد المات ، أما تغليطه في الأقل الأندر فقد كان كذلك

(١) انظر في معاني القرآن إعراب المبرد الآتي في قوله تعالى : « من نساءكم الآتي دخلتم بهن »

سورة النساء آية ٢٢ .

(٢) بنية الوعاة : ١٧٩ وما بعدها

(٣) الفهرست : ٩٠

(٤) تذهة الألباء : ١٧٦

(٥) معجم الأدباء : ١٣٧/١

(٦) تاريخ بغداد : ٩٠/٦

(٧) طبقات الزبيدي : ١١٣

صورة من علاقته به ، فقد مرت بالزجاج فتيرة انقطع فيها عن بر أستاذه ، وعن إجراءاته عليه ما كان تعود منه <sup>(١)</sup> .

وشخصية الزجاج ظاهرة كل الظهور في كلامه عن الاشتقاق ، وتناوله تفسير الكلمات على هذا النمط الذي أشرت إليه من قبل ، حتى أصبح المتصل دراسة بالزجاج يستطيع أن يميزه بذلك ، اذ كان مما يطالع القارىء في كتابه كثيراً .

وهو أحياناً يسرد الأقوال من غير تعليق ، تراه يورد أقوال الشيوخ السابقين في تفسير قوله تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » . فيذكر قول مجاهد ، ثم يقول : وقال غيره ثم يقول : وقال بعض المفسرين قولاً ثالثاً ، وقال أهل البصر من أهل العربية ... فهو يكثر من النقول لكثراً يخفى شخصيته الباحثة أو المعقبة <sup>(٢)</sup> . وحيناً يعلق ، ولكنه مع ذلك لا تبرز له شخصية واضحة <sup>(٣)</sup> .

وأحياناً يعطى حكماً من غير تحليل ، فيورد الأقوال في تفسير قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا آمنا وآب الله ورسوله ، والكتاب الذي نزل على رسوله » ، ثم يقول : « والتأويل الأول أشبه ، ولكنه لا يبين لم كان كذلك ؟ »

وأحياناً ينبض كلامه بشيء من الذاتية . ولكنه لا يكون دافقاً ولا قويا ؛ كأن يورد الأوجه الاعرابية في موضع من في قوله تعالى : « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم » ، ثم يقول : « وفيها وجه آخر لا أعلم النحويين ذكره » ، وانظر كلامه في توجيه المعنى من قوله تعالى : « هل يستطيع ربك » ، « وهل يستطيع ربك » ، وهو كلام قريب لا يدل على غور بعيد .

هذا وللزجاج اختيار في بعض مسائل النحو <sup>(٤)</sup> ، ولكن ذلك ليس بالكثير . وقد وقف من أبي عبيدة موقفاً يشبه موقف الفراء منه في معاني القرآن يغلظه <sup>(٥)</sup> ، ويجهله ، فيروى عنه أنه لا يعرف عدد أجزاء الجزور في قسمة الجزور ، ويرى غير ما يراه ، فقد قال أبو عبيدة المائدة في معنى مفعولة ، ولفظها فاعلة ، وقال الزجاج :

(١) طبقات الزبيدي : ١٣٣

(٢) وانظر قوله في تفسير قوله تعالى : فتردها على أعقابها

(٣) انظر رأيه في تبديل الجلود في قوله تعالى : كلما نضجت جلودهم

(٤) انظر الانصاف ص ١٩ ، ١٥٥ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ، ٤٠٦

(٥) انظر الكلام على ومن يرتد



والأصل عندى فى مائدة أنها فاعلة من ماد يمد إذا تحرك فكأنما تميد بما عليها ،<sup>(١)</sup> .  
وقد علكت موقف القراء من أبى عبيدة ، وكذلك يكون هنا ذلك التعليل ،  
وأضيف إليه : أن أبأ عبيدة لم يكن بارعاً فى الاشتقاق الذى برع فيه الزجاج ،  
حتى رووا عنه أنه قال عندما سئل عن اشتقاق كلمة « منى » : قال فى سخرية : لم أكن  
مع آدم حين علمه الله الاسماء فأسأله عن اشتقاق الاسماء<sup>(٢)</sup> ، ولعلمكم معى أن القول  
بما قال أبو عبيدة يهدم نظرية الزجاج فى الاشتقاق . ثم إشارة ابن حنبل إلى أبى عبيدة  
وعدم توثيقه له .

هذا وقد وجدت للزجاج أصولاً فى العربية ، ولكنها لا تكثر كثرتها عند القراء  
من قبل ، وهى تعد بذرة لهذه الأصول التى ملأ بها تليذه الزجاجى كتابه الجمل  
فما أرى . مثل هذه الأصول .

١ — الموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن المؤنث .

٢ — لا ينوب الواحد عن الجماعة إلا أن يكون من أسماء الفاعلين ، فلو كان  
حسن القوم رجلاً لم يجز عنده .

٣ — كلام العرب موضوع على الإيجاز والتخفيف ، لاعلى التثقيب ، ولهذا خطأ  
قول من قال : إن أصل سدس : سدس .

٤ — الحال يستقبل بها .

وبعد فهل أستطيع بعد الذى ذكرت أن أجمع أوجه التخالف بين أبى على الفارسى

وشيوخه الزجاج فى كتابه معانى القرآن فيما هو خاص بالاحتجاج ؟

الزجاج يحتج لقراءات غير القراءات السبعة التى ذكرها ابن مجاهد فى كتابه  
المترجم بقراءات الأمصار ، ويدخل فى الاحتجاج الأثر ، ويقول برسم المصحف ،  
ولا يوثق قراءته ؛ فتراه يقول قرأ بعضهم كذا ... على حين أن الفارسى يلتزم فى الأعم  
الأغلب تخريجها على وجوه القياس ، كما يسند كل قراءة يحتج لها إلى الإمام  
القارى بها :

(١) فى قوله تعالى : هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء

(٢) الزهر : ٢٠٥/١ ط صبيح

والزجاج لا يستطرد؛ بل هو معتدل في إيراد الاحتجاج على خلاف مع الفارسي في ذلك، وقد رأينا أن الزجاج يورد الشواهد على قلة، وكان فيها قصير الباع، وأنه يحكم الاشتقاق، ويأخذ به، كما أن مسائل المنطق وقضاياها خافتة عند الزجاج، ومن هنا كان أسلوبه سمحاً سهلاً لا أثر للتعقيد فيه ولا الالتواء، وربما كان سبب ذلك أيضاً اتصاله بالمبرد الأديب، وروايته الأخبار والأشعار على أبي نواس، والعباس بن الأحنف، وابن المعتز، وقد كانت صلة الزجاج بالمبرد قوية على النحو الذي بينت، والمبرد قد نقض على سيبويه الكتاب، فكان أن تعصب أبو على الفارسي لسيبويه، ورد على المبرد في كتبه، وأنصف منه إمام النحاة، وأصاب الزجاج شرر من هذه الخصومة. فكان كتاب الاغفال للفارسي ألفه فيما أغفله الزجاج من معاني القرآن

## الفصل الثالث

### بين أبي بكر بن السراج، وأبي علي في الاحتجاج

في الصدر الأول من كتاب الحجة لأبي علي الفارسي يطالع القارىء العبارة الآتية :  
 « وقد كان أبو بكر محمد بن السرى شرع في تفسير صدر من ذلك — يشير إلى  
 الاحتجاج لوجوه القراءات — في كتاب كان ابتداءً بإملائه ، وارتفع منه بعض  
 (كذا) ما في سورة البقرة من وجوه الاختلاف<sup>(١)</sup> ، فمن محمد بن السرى هذا الذى  
 سبق الفارسي في الاحتجاج ، وبني عليه أبو علي ؟ محمد بن السرى هذا هو أبو بكر محمد  
 ابن السرى بن السراج<sup>(٢)</sup> ، وهو أحد الأسياف الذين أخذ عنهم أبو علي<sup>(٣)</sup> ، ودرس  
 له فيما درس كتاب الجمل ، وكتاب الموجز<sup>(٤)</sup> ، وسمع منه الكتاب<sup>(٥)</sup> ، وابن السراج  
 معدود من مشهورى النحاة<sup>(٦)</sup> ، مذكور بكتابه في « أصول النحو » الذى ظفر بثناء  
 العلماء عليه حتى زماننا هذا<sup>(٧)</sup> ، حتى قال الزبيدي في طبقاته : « هو غاية من الشرف  
 والفائدة<sup>(٨)</sup> » ، وقالوا : « ما زال النحو يحنوناً حتى عقله ابن السراج بأصوله<sup>(٩)</sup> » ،  
 ولم يتعرض ابن الجوزي لمحمد بن السرى في طبقات القراء حتى أتمكن من معرفة  
 مكانة الرجل بين القراء.. نعم ! ورد في طبقات القراء من اسمه ابن السراج ، ولكنه  
 المتوفى سنة تسع وأربعين وسبعمائة<sup>(١٠)</sup> ، وبدهى أن ابن السراج الذى عناه أبو علي  
 لا بد أن يكون متقدماً عليه ، وهناك آخرون بين القراء عرفا بالسراج أحدهما<sup>(١١)</sup>  
 أحمد بن مسعود أبو العباس<sup>(١٢)</sup> ، والآخر محمد بن اسحق بن ابراهيم بن مهران  
 ابن عبد الله ، وليس فيهما من اشتهر بأبي بكر ، أو من كان اسمه محمد بن السرى .

(١) الحجة لفارسي : ١/١

(٢) تاريخ بغداد : ٣١٩/٥ في ذكر من اسمه محمد واسم أبيه السرى .

(٣) نزعة الألباء : ١٦٩ (٤) معجم الأدباء : ٢٣٩/٧

(٥) بنية الوعاة : ٤٤ (٦) نزعة الألباء : ١٦٩

(٧) انظر مقدمة سر صناعة الاعراب (٨) طبقات الزبيدي : ١٢٢

(٩) معجم الأدباء : ١٩٨/١٨ (١٠) طبقات القراء : ٢٥٦/٢

(١١) طبقات القراء : ٩٧/٢ (١٢) طبقات القراء : ١٣٨/١

محمد بن السرى السراج غير معدود في طبقات القراء ومع ذلك فله فيما يقول المؤرخون من الوراقين — كتاب احتجاج القراءة<sup>(١)</sup>، ويسميه ياقوت: احتجاج القراء<sup>(٢)</sup>، ويشير أبو علي إلى أن لابن السراج كتاباً في القراءات، وأنه اطلع عليه<sup>(٣)</sup> ولإذن فللرجل مشاركة فيما هو متصل بالقراءات، وإن كان غير معدود في القراء، ويظهر أن انتهار الزجاج إياه حتى هم بضربه لخطئه في مسألة نحوية<sup>(٤)</sup> جعله يشغل بالنحو، ويعكف عليه دون ما سواه، كما عكف سيبويه لأجل ذلك من قبل على الدراسات النحوية، بعد أن كان يطلب الحديث في حلقة حماد بن سلة<sup>(٥)</sup>.

ولإذا كان ابن السراج قد توفي سنة ست عشرة وثلاثمائة<sup>(٦)</sup>، وكانت وفاته في سن مبكرة<sup>(٧)</sup>، وإذا علمنا أن أبا علي انتقل من بلاده إلى بغداد سنة ٣٠٧ هـ<sup>(٨)</sup>، وأنه سمع الكتاب على ابن السراج<sup>(٩)</sup>، فغنى هذا أن اتصال أبي علي بابن السراج كان اتصالاً مبكراً في صدر الشباب من أبي علي<sup>(١٠)</sup>، منذ أوائل نزوله بالعراق.

ويشهد بما كان عليه ابن السراج من الذكاء — ما تركه من كتب أثنى عليها العلماء واتصلت مع ذلك بفنون مختلفة: في القراءة، والنحو، واللغة، والآداب، والخط<sup>(١١)</sup> مع أنه لم يعمر طويلاً، فلم تطل مدته، ومات شاباً<sup>(١٢)</sup>.

وكان الشيخ أبو بكر عظيم الثقة بتليذه أبي علي، وآية ذلك أن الشيخ يتقدم للتليذ راغباً إليه بإتمام الموجز بعد أن عمل نصفه — بما ينقله من كلام في الأصول والجل<sup>(١٣)</sup>. ولإذن فقد تأثر أبو علي بابن السراج في دراساته النحوية منذ باكورة الشباب، يقرأ عليه الكتاب، وينقل من كتاب ابن السراج في الأصول ليم كتاب الموجز، ثم يجلس أبو علي للدرس ليقراً عليه الناس كتاب الجمل، وكتاب الموجز لشيخه ابن السراج<sup>(١٤)</sup>، وكان من هؤلاء الذين يقرءون على أبي علي هذين الكتابين على بن عيسى الرمانى<sup>(١٥)</sup>، كما يتأثر أبو علي بابن السراج في الدراسات القرآنية،

(١) الفهرست : ٩٣ (٢) معجم الأدباء : ٢٠٠/١٨

(٣) انظر كتاب الحجة : ٣٣٦/١ (٤) الفهرست : ٩٢

(٥) طبقات القراء : ٦٦ (٦) قرة الألباء : ١٦٩

(٧) بنية الوعاة : ٤٤ (٨) وفيات الأعيان : ٣٦١

(٩) معجم الأدباء : ٢٠١/١٨ (١٠) ولد أبو علي سنة ٢٨٨

(١١) انظر معجم الأدباء : ١٩٨/١٨ (١٢) بنية الوعاة : ٤٤

(١٣) رسالة الففران : ٣٠٨ تحقيق ابنه الشاطيء

(١٤) معجم الأدباء : ٢٣٩/٧ (١٥) المصدر السابق

إذ يطلع على كتابه في القراءات<sup>(١)</sup>، ويقفو أثره في الاحتجاج للقراء<sup>(٢)</sup>، ولعله تأثر به في الناحية الأدبية كذلك، فقد كان ينفذ ما يرويه أستاذه على ما أورد ياقوت<sup>(٣)</sup>. وسنراه واضح الشخصية فيما يعرض لابن السراج في الاحتجاج معقبا، أو شارحا، أو ناقدا مفندا.

ومهما يكن من أمر في كون ابن السراج غير معدود في طبقات القراء، فإن القدر الذي تركه لنا في الاحتجاج — على ضآلته — يتيح لنا فرصة التعرض لمنهجه بالحديث عنه — وأقول على ضآلته، لأن الرجل (رحمه الله) احتج باختلاف القراء في أم الكتاب، ثم انتقل منها إلى سورة البقرة، ووصل فيها إلى آخر قوله تعالى: «ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين»، ثم أمسك.

ولقد أراد أبو علي الفارسي أن يطلع الناس على منهجه في الاحتجاج، وما أوتي من قدرة عليه، وتمكن فيه، إلى جانب احتجاج ابن السراج، فاللزم في القدر الذي ترك ابن السراج — أن يسند إليه ما فسر من ذلك في كتابه<sup>(٤)</sup>، ثم يشير إلى أن الحكاية انتهت عن أبي بكر، ثم يبدأ هو بالاحتجاج بقوله: قال أبو علي... وبذلك أتاح أبو علي للدارسين بما أسند إلى ابن السراج، وأورد من كلامه في الاحتجاج أتاح لهم التعرف على خطة ابن السراج، واختبار منهجه وموازنته بمنهج أبي علي، وعقد دراسة مقارنة بينهما، توضح خطة الرجلين، ومقدار ما بينهما من تشابه، أو اختلاف في القدر الذي اشتركا فيه من الاحتجاج، ولهذه المقارنات مكاتبتها في الدراسات القرآنية بعامة، وما هو متصل منها بالاحتجاج للقراء على وجه خاص، وهو ما أنا في سبيل إليه الآن.

ولست بحاجة إلى بيان الأسباب الداعية إلى تأليف ابن السراج في الاحتجاج، فقد تعرضت لشيء من ذلك — على وجه عام — في الفصول السابقة، وذكرت أني سأفرد للكلام عن منهج ابن السراج فصلا خاصا أتعرف فيه عليه، إلا أنه مما يستحق الذكر في مقامى هذا أن أذكر أن المبرد (٢٨٥ هـ) شيخ أبي السراج<sup>(٥)</sup> ألف في احتجاج القراء<sup>(٦)</sup>، وقد كان اتصال ابن السراج بالمبرد، وصحبته له

(١) الحجة : ٣٣٦/١ نسخة البلدية  
(٢) الحجة : ١/١ نسخة مراد ملا  
(٣) انظر معجم الادباء : ١٧/١٩٧  
(٤) انظر الحجة : ١/١  
(٥) انظر تاريخ بغداد : ٣١٩/٥  
(٦) الفهرست : ٨٨

مبكرة كذلك ؛ إذ يحكون أن ابن السراج كان أحدث أصحاب المبرد سناً<sup>(١)</sup> ، فتأثر الشاب الناشئ بأستاذه الشيخ ، فكان احتجاجه للقراءة كما احتج أستاذه ، وإلى جانب ذلك كانت هناك حجة بين أبي بكر بن السراج ، وشيخ القراءة والإقراء ببغداد . وهو ابن مجاهد ( ٣٢٤ هـ ) الذي سبغ السبعة ، وأطلق عليه شيخ الصنعة<sup>(٢)</sup> ، وقد أشار إلى هذه الصحبة التي انعقدت بين الشيخين — ابن الأنباري في نزعة الالباء ، في حكاية طريفة عند ترجمته لابن السراج<sup>(٣)</sup> . كما أن لابي حاتم السجستاني وكثيراً ما ينقل عنه ابن السراج — كتاباً في القراءات<sup>(٤)</sup> ، وللزجاج أستاذ ابن السراج مشاركته كذلك في التأليف القرآنية إذ له : معاني القرآن<sup>(٥)</sup> ، ويسميه ابن الأنباري « المعاني في القرآن »<sup>(٦)</sup> ، فهذه أسباب خاصة دافعة لابن السراج إلى أن يؤلف في الاحتجاج بجانب هذه الأسباب العامة التي فصلتها في مكانها تفصيلاً<sup>(٧)</sup> .

وأبو بكر بن السراج يستهدي الحس في الاحتجاج ، فتراه يستريح إلى القراءة الخفيفة على اللسان الحسنة في السمع والأكثر دوراناً على الألسنة ، وذلك اختياره القراءة بالصاد في « الصراط » حيث يقول :

« للقارىء بالسین أن يقول هو أصل الكلمة ، ولو لزم لغة من يجعلها صاداً مع الطاء لم يعلم ما أصلها ، ، ويقول من يقرأ بالصاد : « لأنها أخف على اللسان ، لأن الصاد حرف مطبق كالطاء يتقاربان ؛ ويحسنان في السمع » ، وبعد أن أورد الحجة لمن قرأ بالزاي ، والحجة لمن قرأ بالمضارعة التي بين الصاد والزاي قال : « والاختيار عندي الصاد للخفة والحسن في السمع ، وهو غير ملتبس . . . ومع ذلك فهي قراءة الأكثر ، ألا ترى لمن من رويت عنه القراءة بالسین منهم قد رويت عنه بالصاد ؟ ثم قال : « وأما القراءة بالمضارعة التي بين الصاد والزاي فعدلت عن القراءة بها ؛ لأنه تكلف حرف بين حرفين وذاك أصعب على اللسان »<sup>(٨)</sup> . . . . .

وقال في موضع آخر بعد أن أورد القراءات المختلفة في ( عليهم ) ، واحتج للقارئین بها : « والاختيار عليهم بالكسر ، لأنها أخف على اللسان ، وهي قراءة

(٢) طبقة القراء : ١٣٩/١

(٤) الفهرست : ٨٧

(٦) نزعة الالباء : ١٦٦

(٨) الحجة : ٣٠ نسخة مراد ملا

(١) بنية الوعاة : ٤٤

(٣) نزعة الالباء : ١٦٩

(٥) الفهرست : ٩١

(٧) انظر الفصل الخامس بذلك

الأكثر<sup>(١)</sup> — وقال في موضع آخر : من أثبت الباء في ( فيه هدى ) لا يجوز له أن يدغم ، لأنه لم يلتق حرفان ، ومع ذلك فهي من الحروف التي يكره إدغام بعضها في بعض لثقل ذلك<sup>(٢)</sup> .

هذه النظرية الفنية من ابن السراج في حاجة إلى تعليل ، حقيقة ، تنبه سيويه من قبل إلى أن العرب جرت على ألسنتهم لهجات بعينها دعاهم إليها التماس الخفة في الانسجام الصوتي<sup>(٣)</sup> . ومن قبل سيويه ، كان لشيخه الخليل تجولات في هذا الباب<sup>(٤)</sup> .

ولكن أليس من تعليل لهذا الاتجاه عند الخليل ، واختيار ابن السراج من القراءات ما خف على اللسان ، وارتاحت إليه الآذان ؟

وهذا ابن جني يقرر أن الخذاق المتقنين من التحويين يحيلون في علمهم — على الحس ، ويحتجون فيه بثقل الحال ، وخفتها على النفس<sup>(٥)</sup> ، ثم يكرر هذا المعنى في صفحات متتابعة من الباب الذي عقده لعل العربية أكلامية لي أم فقهية<sup>(٦)</sup> ؟ ولكن لم كان ذلك الاختيار من ابن السراج ، والتعليل من الخليل ؟ السبب عندى أن كلا منهما قد اشتغل بالموسيقى ؛ فالخليل له معرفة بالإيقاع والنغم<sup>(٧)</sup> ، وألف فيه كتاب الإيقاع والنغم<sup>(٨)</sup> ، كما أن ابن السراج كان يشتغل بالموسيقى<sup>(٩)</sup> ، فليس بعيد إذن أن يستريح إلى القراءة التي يكون لها وقع موسيقى على الآذان بما فيها من خفة على اللسان . وأن ينبه إلى ذلك في احتجاجه بوضوح وبيان .

\*\*\*

وإذا كان لابن السراج جهد مذكور في دراسة كتاب سيويه ، واستخراج مسائله ، وعقد أصوله<sup>(١٠)</sup> ، فلا غرابة أن رأيناه في احتجاجه — وتلك صلته بالكتاب — ينظر إلى سيويه ، ويستمد منه التعليل ، وذلك حيث يقول — مثلاً — في حجة من قرأ عليهم فكسر الهاء ووصل الميم بواو — وهو قول ابن كثير ونافع

(١) الحجة : ٣٨/١ نسخة مراد ملا

(٢) الحجة نسخة مراد ملا : ١١٨ (٣) انظر مثلاً الكتاب لسيويه ٢/٢٠٩٢ وماحواليها

(٤) انظر اللسان : ٣/٢٢٠ و ٩/٣٤٩ (٥) ص ٤٦/٦ الخصائص

(٦) المصدر السابق انظر : ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٧٠

(٧) بنية الوعاة : ٢٤٤ (٨) المصدر السابق : ٢٤٥ والفهرست : ٦٥

(٩) الفهرست : ٩٢ (١٠) انظر تزمة الالباء : ١٦٩

في أحد قوليهِ — قال سيويهِ : « قال بعضهم : عليهم أتبِع الياء ما أشبهها وترك ما لا يشبه الياء ولا الالف على الأصل <sup>(١)</sup> .

\* \* \*

ولذا كان ابن السراج قد درس المنطق <sup>(٢)</sup> ، فإننا نرى ملاحح هذه الدراسة فيما آورد من احتجاج ، فهو يذكر بعض اصطلاحات المناطقة كالجنس <sup>(٣)</sup> ، والعموم ، والخصوص ، قال : الوصف بالملك أعم من الوصف بالملك ... ثم قال مبيناً أن فيها عموماً وخصوصاً مطلقاً ... فكل ملك مالك ، وليس كل مالك ملكاً .

\* \* \*

ولذا كان ياقوت قد آورد قوله عن ابن السراج : أنه عول على مسائل الاخفش والكوفيين <sup>(٤)</sup> فإننا نراه يروى عن الاخفش كثيراً ، ويعتمد عليه في الاحتجاج <sup>(٥)</sup> . كما رأيت ابن السراج يعتمد كثيراً على ما يحكيه أبو حاتم <sup>(٦)</sup> ، وأبو حاتم هذا هو أبو حاتم السجستاني ( ت ٢٥٥ هـ ) إمام البصرة في النحو ، والقراءة ، واللغة والعروض ، قال ابن الجوزي : وأحسبه أول من صنف في القراءات <sup>(٧)</sup> ، فلعل ابن السراج اعتمد على ما كتب في هذا الشأن .

وهو وإن كان يعتمد على ما اتصل بهم دراسة ، فيحكي عنهم ، وينظر اليهم ، ويروى نقولهم ، نراه يقف من هؤلاء موقف الناقد المفند ، كأن يقول : « رواية من روى عن أبي عمرو وغيره أنه كان يشم ويدغم في قوله تعالى : فيه هدى : <sup>(٨)</sup> هذا محال ، لا يمكن الادغام مع شيء من هذا ، وذلك أنه لا فصل بين الحرفين إذا ادغما بحال من الأحوال لا بقطع ولا حركة ، ولا ضرب من الضروب ، وإنما يصيران كالحرف الواحد للزوم اللسان لموضع واحد ، وإنما كان أبو عمرو يحتلس ويخني فيظن به الادغام ، وكيف يكون متحرك مدغم ؟ فيجب أن يكون متحرراً ساكناً ، <sup>(٩)</sup> .

(١) الحجة : ٣٦ نسخة مراد ملا (٢) الفهرست : ٩٢

(٣) الحجة نسخة مراد ملا ٤/١ (٤) معجم الادباء : ١٩٨/١٨

(٥) نسخة مراد ملا اظن ورقة ١٢٠

(٦) اظن مثلاً ورقة ٣٠ و ٣٨ و ١٢٨ و ١٢٠ (٧) طبقات القراء : ١/٣٢٠

(٨) سورة البقرة آية ٢ (٩) الحجة ١ ورقة ١٢٠ نسخة مراد ملا



ونلاحظ هنا أيضاً تدليله المنطقي ، وذلك يتصل بدراساته المنطقية التي أشرت إليها قبل .

هذا ويذكر المترجمون لأبي بكر بن السراج أنه عول على مسائل ... الكوفيين وخالف أصول البصريين في مسائل كثيرة <sup>(١)</sup> ، وقد ظهر أثر ذلك في اعتداده برسم المصحف ، وتلك نظرة كوفية رأيناها عند الفراء في معاني القرآن <sup>(٢)</sup> ، كما يعتد بكثرة الدور على الألسنة ، وهذه أيضاً يعتد بها الأئمة الكوفيون <sup>(٣)</sup> ، وإن أردت الدليل على اتجاه ابن السراج الكوفي فاقراً قوله : « الاختيار في فيه الكسر بغير ياء ولا إدغام ، وحكى عن أبي حاتم أن ذلك قراءة العامة ، قال أبو بكر : « وهو الأخف ، وخط المصحف بغير ياء ، قال : وأكره الإدغام ، لأن من كسر فالياء يريد ، ومن أثبت الياء لم يحز له أن يدغم ، لأنه لم يلتق حرفان ، ومع ذلك فهي من الحروف التي يكره ادغام بعضها في بعض لثقل ذلك » <sup>(٤)</sup> .

ومع أنه يختار بعض القراءات ، ويكره البعض الآخر فهو معترف بها جميعاً محتج لها كذلك ، « ولولا ذلك ما جازت القراءة به ، ولا بد للعاين من أن تتقارب » <sup>(٥)</sup> . ثم الحظ اختياره للقراءة لأنها كثيرة الدور على ألسنة أكثر العرب في قوله : والاختيار عندى الصاد (في الصراط) للخفة ، والحسن في السمع ... ومع ذلك فهي قراءة الأكثر ، ألا ترى أن من رويت عنه القراءة بالسین منهم قد رويت عنه بالصاد <sup>(٦)</sup> ؟

ذلك أثر دراساته الكوفية ، وأخذه بآراء الكوفيين ، واتجاهات مدرستهم في البحوث القرآنية ، ورسم المصحف لا يقول به أبو علي كما بينت ذلك في فصل آخر . ومن أثر اختلاط الدراسات الكوفية بنحوه البصري استعماله منجزة ( بدل ساكنة <sup>(٧)</sup> ) ، وذلك اصطلاح كوفي <sup>(٨)</sup> . ثم هو إلى جانب ذلك يورد أقوالاً لأحمد

(١) مجمع الایاء : ١٨ / ١٩٨ (٢) انظر معاني القرآن ص ٢ و ١٤

(٣) انظر مثلاً معاني القرآن ٤ وه

(٤) الحجة : ١ / ١١٨ نسخة مراد ملا (٥) نسخة مراد ملا ورقة ٦

(٦) الحجة : ١ / ٣٠ نسخة مراد ملا (٧) ٤٦ / ١

(٨) انظر معاني القرآن للفراء ص ٢٢٣

ابن يحيى ثعلب يحتج فيها للكسائي ، وهذا الى جانب دلالة على نزعة الكوفية — يدل على أن الخلاف بين المدرستين لم يكن في المسائل النحوية حسبة ؛ بل تعداه الى احتجاج كل مدرسة لشيوخها في القراءات ، وأورد ابن السراج في الاحتجاج لقراءة الكسائي مالك بألف : « وقال أحمد بن يحيى : من حجة الكسائي أنه يقال : ملك الناس ، مثل سيد الناس ، ورب الناس ، ومالك يوم الدين ، ولا يقال سيد يوم الدين ، فاذا كان مع الناس <sup>(١)</sup> ما يفضل عليهم كان ملك ، وإذا كان مع غير الناس كان مالك <sup>(٢)</sup> .

وأودعنا أن أنصف ابن السراج ، وأرد اليه فضل السبق في التحدث عن الاشتقاق الصغير ، ذلك لأن الأستاذ أحمد أمين ( رحمه الله ) قال في ظهر الاسلام ما نصه : « ومن خير ما ألف في اللغة أيضاً <sup>(٣)</sup> في ذلك العصر كتاب مقاييس اللغة لابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥ ، وقد نحا فيه نحواً جديداً ، وقد استخلص من معاني الكلمة المختلفة معنى واحداً ، أو معنيين جعله أساساً للكلمة ، ونقص عليه ، وبين أن الاشتقاقات المختلفة تدور حوله . مثال ذلك « وجب ، قال الواو والجيم والباء أصل واحد يدل على سقوط الشيء ووقوعه ، ثم يتفرع ، يقال وجب البيع وجوباً — حق ووقع ، ووجب الميت سقط ، والقتيل واجب ، وفي الحديث : « إذا وجب فلا تبكين باكية ، أى إذا سقط . وقال الله في النسل « فاذا وجبت جنوبها » قال قيس :

أطاعت بنو عوف أميراً نهاهم  
عن السلم حتى كان أول واجب  
ووجب الحائط سقط <sup>(٤)</sup> .

فأنت ترى أن الأستاذ أحمد أمين وصف ابن فارس في كتابه مقاييس اللغة بأنه « نحا نحواً جديداً فيه » ، ثم بين ذلك النحو الجديد بأن يؤول المعاني كلها الى معنى واحد ، أو كما قال : يريد أن يصب الكلام المتشعب في « برشامة » واحدة <sup>(٥)</sup> وأرى أن ابن فارس ( ٣٩٥ هـ ) لم يكن مبتدعاً ذلك ابتداءً ، فقد سبقه فيه ابن السراج ، والزجاج ، ولكن ابن السراج ينفرد بأنه ألف كتاباً في الاشتقاق

(١) في نسخة مراد ملا وما يفضل لهم والتصحيح عن نسخة البلدية : ٤/١

(٢) نسخة مراد ملا ٤/١ (٣) في الكتاب (غير) والصحيح ما أثبتته

(٤) ظهر الإسلام ٩٣/٢

(٥) مؤتمر الجمع القوي الدورة الخامسة عشرة ، من الجلسة التاسعة ص ١٦ ( ١٩٤٨ )

كما يقول ابن جنى (ت ٣١٦ هـ) ، واقرأ معى كلام أبى بكر فيما أورد من الاحتجاج لقراءة من قرأ ملك يوم الدين ، وأنه يختار هذه القراءة قال : « الاختيار عندى ملك يوم الدين ، والحجة فى ذلك أن الملك والملك يجمعهما معنى واحد ، ويرجعان إلى أصل : وهو الربط والشد ، كما قالوا : ملكت العجين أى شددته ، وقال الشاعر :

ملكك بها كنى فأنهزت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها

يصف طعنة ، يقول : « شددت بها كنى » ، والاملاك من هذا : انما هو رباط الرجل بالمرأة ، وكلام العرب بعضه مأخوذ من بعض ، فقد يكون الأصل واحداً ثم يخالف بالابنية ، فيلزم كل بناء ضرباً من ذلك الجنس ، مثال ذلك : العدل يشقى منه العدل ، والعديل ، فالعدل ما كان متاعاً ، والعديل الانسان ، والأصل انما هو العدل ، فكذلك مالك وملك ، فالملك الذى يملك الكثير من الاشياء ، وشارك غيره من الناس بأن يشاركه فى ملكه بالحكم عليه فيه ، وأنه لا يتصرف فيه إلا بما يطلقه له الملك ، ويسوسه <sup>(١)</sup> به الخ ...

وقد أورد ابن فارس فى كتابه مقاييس اللغة كلاماً فى مادة ملك ينظر فيه إلى قول ابن السراج <sup>(٢)</sup> . فهأتى أولاء ترون سبق ابن السراج فى هذا الباب ؟ وكيف ساق الأمثلة من كلام العرب وقد ساقها بعد ابن فارس ؟ وكيف أورد شواهد الشعر كما أورد ؟ أيجوز بعد ذلك أن نطمئن إلى ما يقول الأستاذ أحمد أمين : « ان ابن فارس نحا نحواً جديداً فى كتابه مقاييس اللغة » <sup>(٣)</sup> ؟ على أننى وجدت ابن قتيبة — وهو سابق لابن السراج — يرجع المعانى المختلفة للفظ الواحد إلى أصل واحد نشأت منه وتفرعت عنه ، فقد ذكر — مثلاً — كلمة القضاء وبين معانيها المختلفة التى تصير إليها ثم ختم بحثه بقوله : وهذه كلها فروع ترجع إلى أصل واحد <sup>(٤)</sup> . فلعل الأستاذ أحمد أمين ( رحمه الله ) يرى أن ابن فارس أول من ألف كتاباً نحا فيه هذا النحو الجديد ، ولكن هذا مردود أيضاً لأن ابن السراج « قد قدم رسالته فيه ، ، ، ، ، ولم يأل فيه — كما يقول ابن جنى — نصحاً ، وإحكاماً ، وصنعة ، وتأنيساً <sup>(٥)</sup> » إلى أن الكلام فى الاشتقاق قديم يرجع العهد به إلى زمان الاصمعى ، وقطرب

(٢) انظر مقاييس اللغة ٦/١

(٤) الشكل : ٣٤٣

(١) الحجة نسخة مراد ملا : ٤/١

(٣) ظهر الإسلام : ٩٣/٢

(٥) الخصائص لابن جنى : ٥٢٦/١

وأبى الحسن الاخفش وكلهم قد ألف في هذا الفن<sup>(١)</sup> . ولم يقننه رجال مجمع اللغة العربية إلى سبق ابن السراج وإحكامه وصنعه ، ذلك أنه لم يناقش أحد منهم — فيما أعلم — السيد محمد رضا الشيباني في تقريره أن ابن فارس في مقدمة أئمة مدرسة القياس بما ألف من كتاب المقاييس في اللغة<sup>(٢)</sup> .

ومن تمام الحديث أعرض لخطئة كل من الرجلين : ابن السراج ، وأبى علي ؛ ليتجلى الفرق واضحاً بين المنهجين .

فابن السراج يبدأ ببيان أوجه القراءة في اللفظ الذي وقع فيه الاختلاف بين القراء ، ثم يعين قراءة كل قارئ من القراء السبعة في ذلك اللفظ ، ثم يحتاج لكل فريق من القراء اتفاق على قراءة في الحرف المختلف عليه ، ويعتمد في احتجاجه على :

( ١ ) دليل نقلى ويشمل :

١ — النقول التي سمعها من شيوخه ، وقد تصل هذه النقول إلى قارئ من القراء السبعة بطريق السند .

٢ — ما اتفقوا على قراءته فيما يشبه هذا الحرف المختلف عليه فيحتاج لقراءة ملك يوم الدين لأن الله قال : « ملك الناس ، والملك القدوس » ، ويحتاج لقراء مالك يوم الدين بأن الله قال : « قل اللهم مالك الملك » .

( ب ) دليل يمكن أن نسميه دليلاً عقلياً — أو معنوياً — وهنا يعرض للبنى الذي عليه الآية مقرومة بالوجه الذي يحتاج له .

( ج ) — ثم يذكر ما يختار من القراءة ، ويحتاج لاختياره احتجاجاً يكشف عن شخصيته هو .

( د ) ثم يذكر رأى الفريق الآخر ويذكر احتجاجه معترفاً بحسن ما ذهب إليه ، إذ لولا ذلك ما جازت القراءة .

( هـ ) ثم يقوى جانب ما اختار ، ويضعف الجانب الذي ترك .

وبدهى أن الخطوات التي قبل الاحتجاج — وهي أوجه القراءة في اللفظ الذي وقع فيه الاختلاف ، وتعيين قراءة كل قارئ من الأئمة السبعة — هذه الخطوات من عمل ابن مجاهد ، بل هي دكتابه في القراءات<sup>(٣)</sup> ، وقد سار أبو علي هذا النهج

(١) المزهر : ٣٥١/

(٢) الدورة الخامسة عشرة للمجمع القنوي س ١١ من الجلسة التاسعة .

(٣) الفهرست : ٤٧

الذى سار عليه ابن السراج فيما هو خاص بعرض قراءات القراء واختلافهم في فرش الحروف <sup>(١)</sup>.

وتبدو خطوات ابن السراج السابقة من هذا المثال :  
اختلفوا في إثبات الألف وإسقاطها من قوله عز وجل : «مالك يوم الدين» <sup>(٢)</sup>،  
فقرأ عاصم والكسائي مالك بألف ، وقرأ الباقر ملك بغير ألف ، ولم يمل أحد  
الألف في مالك .

(١) قال أبو بكر محمد بن السرى : « قال أبو عمرو فيما أخذه عن يزيد بن :  
أن « ملك ، يجمع « مالكا ، أى ملك ذلك اليوم بما فيه ، ومالك إما يكون للشيء  
وحده ، تقول « مالك هذا الشيء ، وقال الله عز وجل : « قل اللهم مالك الملك » <sup>(٣)</sup>،  
للشيء بعينه ، فملك يجمع مالكا ، ومالك لا يجمع ملكا ، وقال الله عز وجل :  
« ملك الناس » <sup>(٤)</sup> و « الملك القدوس » <sup>(٥)</sup> .

قال : وحكى أن عاصم الجحدري قرأها ملك بغير ألف ، فقال محتجاً على من قرأ  
مالك بالألف يلزمه أن يقرأ : « قل أعوذ برب الناس » : قال هرون : قد ذكرت  
ذلك لأبي عمرو ، فقال : نعم ! أفلا يقرءون « فتعالى الله المالك الحق » <sup>(٦)</sup> ، قال :  
وقال بعض من اختار القراءة بملك أن الله قد وصف نفسه بأنه مالك كل شيء بقوله :  
« رب العالمين » ، فلا فائدة في تكريره ذكر ما قد مضى ذكره من غير فصل بينهما  
بذكره معنى غيره قال : وقال : « وإن الخبر عن رسول الله ( صلى الله عليه وسلم )  
بقراءته ملك يوم الدين أصح إسناداً من الخبر بقراءته مالك ، وأن وصفه بالملك  
أبلغ في المدح قال : وهى قراءة أبي جعفر ، والأعرج ، وشيبة بن نصار ، وقال أحمد  
ابن يحيى : « من حجة الكسائي أنه يقال : ملك الناس ، مثل سيد الناس ، ورب الناس ،  
ومالك يوم الدين . ولا يقال سيد يوم الدين ، فإذا كان مع الناس وما يفضل عليهم  
كان ملك ، وإذا كان مع غير الناس كان مالك » .

(١) تعبير لقراء يقصد به الألفاظ التي وقع الاختلاف في قراءتها في القرآن الكريم. انظر  
النشر : ٣٠٦/٢

(٢) سورة آل عمران

(٢) سورة الفاتحة

(٥) سورة المعفر

(٤) سورة الناس

(٦) سورة طه

قال : وقال من احتج بالملك ، وكره ملك : أن أول من قرأ ملك : مروان بن الحكم ، وأنه قد يدخل في الملك ما لا يجوز ولا يصح دخوله في الملك ، قالوا : وذلك أنه صحيح في الكلام أن يقال : ، فلان مالك الدراهم والطير ، وغير صحيح أن يقال فلان ملك ( الدراهم والدنانير ) .

( ب ) قالوا : فالوصف بالملك أعم من الوصف بالملك ، والله مالك كل شيء ، قالوا : والمعنى أنه يملك الحكم يوم الدين بين خلقه دون سائر الخلق الذين كانوا يحكمون بينهم في الدنيا . قالوا : ، وقد وصف الله ( عز وجل ) نفسه بأنه مالك الملك ، فقال : ، قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ، ولا يقال « هو ملك » الملك ، ، قالوا : فوصفه بالملك أبلغ في الثناء وأعم في المدح من وصفه بالملك .

وقرأ ( مالك ) من متقدمي القراء قتادة ، والأعشى . وقال أبو عبيدة في قوله : ملك يوم الدين ، معناه الملك يومئذ ليس ملك غير ، ومن قرأ مالك أراد به أنه يملك الدين والحساب لا يليه سواه قال : وكذلك يروى عن عمر .

( ج ) قال أبو بكر : الاختيار عندى « ملك يوم الدين » ، والحجة في ذلك أن الملك والمالك يجمعان معنى واحد ، ويرجعان إلى أصل ، وهو الربط والشد ، كما قالوا : ملكك العجين أى شدته . وقال الشاعر :

ملكك بها كفى فأنهت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها

يصف طعنة يقول : شددت بها كفى ، والاملاك من هذا إنما هو رباط الرجل بالمرأة . وكلام العرب بعضه مأخوذ من بعض ، فقد يكون الأصل واحداً ثم يخالف بالابنية ، فيلزم كل بناء ضرباً من ذلك الجنس ، مثال ذلك العدل ، يشتق منه العدل ، والعديل ، فالعدل ما كان متاعاً ، والعديل الانسان ، والأصل إنما هو العدل ، فكذلك مالك وملك ، فالملك الذى يملك الكثير من الأشياء ، ويشارك غيره من الناس بأن يشاركه فى ملكه بالحكم عليه فيه ، وأنه لا يتصرف فيه إلا بما يطلقه له الملك ويسوسه به ، ويجتمع مع ذلك أن الملك يملك على الناس أمورهم فى أنفسهم وجميع متصرفاتهم ( ١١١ ) ، فلا يستحق اسم الملك حتى يجمع له ملك هذا كله ، فكل ملك مالك ، وليس كل مالك ملكاً . وأما قوله ( عز وجل ) مالك الملك « فان الله ( عز وجل ) يملك ملوك الدنيا ، وما ملوكها ، وإنما تأويل ذلك أنه يملك ملك الدنيا ، فيؤتى الملك من يشاء ، فأما يوم الدين فليس إلا ملكه ، وهو ملك الملوك

(جل وعز) يملكهم كلهم ، وقد يستعمل هذا في الناس ، فيقال : فلان ملك الملوك وأمير الأمراء ، يراد بذلك أن من دونه ملوكا وأمراء ، فيقال ملك الملوك ، وأمير الأمراء ولا يقال ملك الملك ، ولا أمير الإمارة ، لأن أميراً وملكاً صفة غير جارية على فعل ، ولا معنى لاضافتها إلى المصدر . وأما إضافة ملك إلى الزمان فكما يقال : ملك عام كذا ، وملك سنة كذا ، وملك الدهر الأول ، وملك زمانه ، وسيد زمانه ، وهو في المدح أبلغ ، والآية إنما نزلت بالثناء والمدح لله تعالى ، والصفة له ، ألا ترى قوله تعالى : « الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، فالربوبية والملك متشابهان .

(د) قال : وللمختار لملك أن يقول : قرأت مالك لأن المعنى يملك يوم الدين وهو يوم الجزاء ، ولا يملك ذلك اليوم أن يأتي به ، ولا سائر الأيام غير الله . وهذا ما لا يشاركه فيه مخلوق في لفظ ولا معنى ، فيقال : هذا الذي قلت حسن ، ولولا هذا المعنى وما يؤيده ما جازت القراءة به ، ولا بد للبعاني من أن تتقارب ، والملك في ذلك اليوم أيضاً لا يكون إلا لله ، فهو متفرد بهذا الوصف ، ويقوى ذلك قوله لمن الملك اليوم ؟ لله ١١ (١) ، وقوله « والأمر يومئذ لله » .

(هـ) فإن احتج المختار لملك بما روى من أن أول من قرأ ملك مروان بن الحكم ، احتج عليه من الأخبار بما يبطل ذلك ، ولعل القائل لذلك أراد أن أول من قرأ في ذلك العصر ، أو من ضربه ، لأن القراءة بذلك أعرض وأوسع من ذلك بحسب ما انتهى إلينا . انتهت الحكاية عن أبي بكر . (٢)

وهكذا نرى ابن السراج يمزج في احتجاجه بين الأدلة المنقولة عن شيوخ القراءة واللغة ، والأدلة العقلية التي يناقش بها هذه النقول النقلية ، ثم تظهر شخصيته واضحة فيما يختار من الأوجه المختلفة ، وما يدل به على ذلك الاختيار ، وهو بعد ذلك منظم في عرض الفكرة ، معتدل بين الإيجاز والاطناب ، ثم إن إطنابه لا يسلك إلى نوع من الاستطراد الذي يبعد بك عن النقطة الأصلية التي توجه بالاحتجاج لها والتحدث فيها .

فأين هذا من خطة أبي علي التي ترمى بك إلى ناحية من الاستطراد والاحتجاج الذي يخطئه أو يقدم له ، ويمشوه ، ويفرع فيه ، ويدحوه ، بذكر مسائل في النحو والصرف ، والعروض ، واللغة ، والأعراب ، حتى يبلغ المال منك مبلغاً يضيع معه الاحتجاج الذي وسم كتابه به ، وآية الفرق ما بين الخطئين أنك إذا قرأت كلام

(٢) الحجة نسخة مراد ملا ورقة ٣ وما بعدها

(١) سورة المؤمن

أبي بكر بن السراج أدركت من أول وهلة الموضوع الذى يتحدث فيه ، والحرف المختلف عليه ، والذى يحتاج له دون أن يكذك أو يجهدك . على حين أنك لو قرأت كلام أبي على الفارسي لا تصل في سرعة ويسر إلى إدراك القراءة التى يحتاج لها ، والموضع المختلف عليه الذى يتحدث فيه ، وقد ضربت مثالا لاستطراده في موضع آخر من هذا البحث ، ولكن من الموضح أن أشير إلى ما تبعه في الاحتجاج لاختلاف القراءة في ملك ومالك ، حتى يبدو الفرق بينه وبين ابن السراج واضحاً .

بدأ أبو على الاحتجاج لمن قرأ بإسقاط الألف أو اثباتها في مالك يوم الدين ببحث لغوى في معنى أملاك المرأة ، ومعنى الملك للشيء فيذكر أنه اختصاص من المالك به ، وخروجه عن أن يكون مباحاً لغيره ، ثم يستطرد فيذكر معنى الإباحة ، ويقرن ذلك بقولهم : باح السر ، وباحت الدار ، ويستدل على أن التملك معناه التشديد بقول أوس بن حجر :

فلك بالليط الذى تحت قشرها كغرقه بيض كنه القيض من عل

ثم يأخذ في إعراب الذى ، وأنه في موضع نصب بأنه مفعول به لملك ، ولا يكون في موضع جر على أنه وصف لليط ، ويذكر السبب في ذلك التوجيه و . . . . . وتسال نفسك : ما علاقة الاحتجاج لاختلاف القراءة في إسقاط الألف من مالك أو اثباتها بالحديث عن موضع الذى من الاعراب في قوله : فلك بالليط الذى تحت قشرها ؟ ، وبالحديث <sup>(١)</sup> عن الاضافة إلى يوم الدين في كلتا القراءتين ؟ وبانتصاب أياما في قوله : دأياما الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم اعلمكم تتقون أياما — على أنه مفعول به على الاتساع ، وكان في الأصل ظرفاً ؟ ، وبتقدير المحذوف في قوله : دلحج أشهر معلومات <sup>(٢)</sup> ، ودومعدكم يوم الزينة <sup>(٣)</sup> ، ؟ ، وبالعامل في قوله : دللله يعلم حيث يجعل رسالته <sup>(٤)</sup> ، ، وباعراب يوم في قوله تعالى : دوأبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة <sup>(٥)</sup> ، ، وفي قول الشاعر :

حيث عليه الدرع حتى وجهه من حرها يوم الكريمة أسفع <sup>(٦)</sup> .

(١) نسخة البلدية ٩/١  
(٢) ١٥/١  
(٣) ١٧/١  
(٤) ٢١/١  
(٥) ١٩/١  
(٦) ١٤/١



وفي قوله تعالى : ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون <sup>(١)</sup> . ويتعلق الياء في قولهم بامامهم من قول الله : يوم يدعو كل أناس بامامهم <sup>(٢)</sup> ، وبالعامل في إذا من قوله تعالى : فاذا نقر في الناقور <sup>(٣)</sup> ، وباعراب الشهر في قوله تعالى : دفن شهد منكم الشهر فليصمه <sup>(٤)</sup> ، وبالحديث عن حذف ما يعلم <sup>(٥)</sup> ؟ ، وبالعامل في الصفة <sup>(٦)</sup> ، وبالحكم الشرعي في قول من قال : المرأة التي أتزوجها فهي طالق <sup>(٧)</sup> وما صلة هذا كله — وهو بعض ما أورد — بالاحتجاج لاختلاف القراء في إسقاط الألف أو إثباتها من مالك ؟ ولكنها خطة أبي علي في الاستطراد ، وسأحدث عن هذا ، وعن دلالاته ، وآثاره في مكان آخر .

ولم يشأ أبو علي أن تمنح شخصيته بجانب شخصية ابن السراج ، وقد كان هذا الجولان الواسع المدى كافياً وحده على شخصيته — ولكنه إلى ذلك نراه ، يعقب ، أو يكمل ، أو يشرح كلام ابن السراج ، فيضيف أدلة جديدة من القرآن والشعر تفسر انجازه ، وتؤيد ما ذهب إليه ، فاذا قال ابن السراج : أن الله ( سبحانه ) وصف نفسه بأنه مالك كل شيء بقوله : رب العالمين ، فلا فائدة في تكرير ذكر ما قد مضى — عقب الفارسي على ذلك <sup>(٨)</sup> ، ثم نراه — كذلك — يقوى قراءة رأها ابن السراج ضعيفة <sup>(٩)</sup> ، وإذا قال ابن السراج : لم يمل أحد الألف من مالك <sup>(١٠)</sup> ، قال أبو علي : الامالة في مالك لا تمتنع في القياس <sup>(١١)</sup> ، وأحياناً يعنف أبو علي حتى ليقول على رأى شيخه ابن السراج : إنه ليس بمستقيم <sup>(١٢)</sup> .

\* \* \*

وقد وصل ابن السراج إلى آخر قوله تعالى : ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للبتقين ، ولم ينبه أبو علي إلى ذلك ، ولم ترد إشارة إلى انتهاء ابن السراج ، ولكن القارئ <sup>(١٣)</sup> يدرك أن روح ابن السراج قد اختفت بما فيها من وضوح المحجة ، وإيراد المحجة ، والاعتدال في سوق الكلام ، يدرك هذا دون حاجة إلى الإشارة إليه ؛ ليستقل أبو علي بالاحتجاج ، وليخلص له وحده الميدان <sup>(١٤)</sup> .

٢٢/١ (١)	٢٢/١ (٢)	٢٤/١ (٣)	٢٥/١ (٤)
٢٥/١ (٥)	٢٨/١ (٦)	٣٥/١ (٧)	
(٨) نسخة البلدية : ١٠/١	(٩) البلدية : ١١/١	(١١) نسخة البلدية : ٢٨/١	
(١٢) انظر المحجة : ١٢٠/١ و ١٢٢ و ١٢٤ وانظر : ٢٠٠			
(١٣) المتصل بكتاب المحجة	(١٤) نسخة البلدية ابتداء من ٢٠٥		

## الفصل الرابع

بين أبي على الفارسي، وأبي عبد الله بن خالويه في الاحتجاج

تلمذ أبو على الفارسي لأحمد بن موسى بن مجاهد، كما تلمذ أبو عبد الله بن خالويه له أيضاً<sup>(١)</sup>، وكل من الفارسي وابن خالويه يؤخذ عنه القراءة، ويكون له تلاميذ من القراء: فأبو على يروي عنه عرضا عبد الملك بن بكران النهرواني<sup>(٢)</sup>، كما يروي عن ابن خالويه عرضا أبو على الحسين بن علي الراهمي<sup>(٣)</sup>، وكان لكل تأليف في الدراسات القرآنية، والذي يهمني منها في هذا البحث — الآن — كتاباهما المسميان باسم «الحجة».

وقد كانت الدوافع إلى الاحتجاج للقراءات كثيرة: عامة وخاصة كما ذكرت من قبل، ومن هذه الدوافع أستطيع أن أفسر تأليف كل من أبي على الفارسي، وابن خالويه — ومعهما ابن السراج — في الاحتجاج، وأخص من هذه الدوافع — العامة والخاصة — أن كلا من الفارسي وابن خالويه عاشا في عصر واحد؛ إذ توفي الفارسي (٣٧٧ هـ)، وتوفي ابن خالويه (٣٧٠ هـ)<sup>(٤)</sup>، وإذن فقد تأثرا بهذه العوامل التي دفعت العلماء إلى الاحتجاج في هذا العصر، إلى أن كلا منهما قرأ على ابن مجاهد الذي سبغ السبعة كما يقولون<sup>(٥)</sup>، ومعنى هذا أن طريق الاحتجاج لقراء الأمصار قد مهد بعمل شيخهما الجليل ابن مجاهد (رحمه الله).

وكان بين أبي على الفارسي وابن خالويه منافسة في بلاط سيف الدولة بحلب<sup>(٦)</sup>، كما كانت هذه المنافسة كذلك في بلاط عضد الدولة، فكلاهما يقدم له كتبه: ابن خالويه يؤلف له كتابه «المجدول في القراءات على ما يذكر ابن الجزري<sup>(٧)</sup>»، والفارسي يذكر اسم عضد الدولة في صدر كتابه الحجة، ويدعو له بالعزيزة والبسطة والنصر والتمكين<sup>(٨)</sup>.

وعلى الرغم من هذه المنافسة فأنا لا أملك من الأقوال ما يجعلني أفسر تأليف

(١) طبقات القراء: ٢٣٧/١ (٢) طبقات القراء: ٢٠٧/١

(٣) المصدر السابق: ٢٣٧/١ (٤) معجم الأدباء: ٢٠٤/٩

(٥) إبراز المعاني: ٥ (٦) انظر المسائل الحلييات ورقة ٣٣ مخطوط «نحوش

(٧) النسر: ٢٣٧/١ (٨) الحجة: ١/١

كل من ابن خالويه وأبي علي في الاحتجاج — بالمنافسة التي كانت بينهما ، لسبب قريب : هو أني لست أعرف على التحديد أى الرجلين سبق بالتأليف في الاحتجاج ولو كنت أعرف ، شيئاً من ذلك لكان من المرجح عندى أن المتأخر منهما — في الاحتجاج — نافس المتقدم ، ولكن هذا غير مستبين ، فالقول به ضرب من إرسال الكلام لإرسالاً لا يقوم على بينة ، ولا يهض به دليل .

على أن هناك خيطاً دقيقاً أستطيع أن أمسك به ، للاهتمام في هذه المسألة ، فابن جنى في كتابه المحتسب يقرر أن أبا علي لم يكن واضح العبارة في كتابه الحجة ، وأن ذلك كان سبباً في بعد القراء عنه ، وعدم الفهم له ، وأن ابن جنى — من أجل ذلك — قد تخفف في عبارته تخففاً يجعل كتابه قريباً من أفهام القراء ، حبيباً إلى منهمم الذي ألفوه : أسلوباً ، واختصاراً ، ووضوحاً<sup>(١)</sup> .

وابن خالويه في مقدمة كتابه الحجة — يومئذ إيماء خفياً إلى هذا الذي ذكره ابن جنى ، فيؤلف ابن خالويه كتابه : قاصد قصد الابانة في اقتصار من غير إطالة ، ولا إكثار ، محتذياً لمن تقدم في مقالهم ، مترجماً عن ألفاظهم واعتلاهم ، جامعاً ذلك بلفظ جزل ، ومقام واضح سهل ، ليقرب على مريده ، ويسهل على مستفيده<sup>(٢)</sup> .

فابن خالويه بهذه السهولة التي تحاشاها أبو علي في كتابه الحجة يحقق لليريدين الفوائد ، ويسهل على المستفيدين المراد .

ذلك هو الخيط الدقيق الذي أشرت إليه من قبل ، وهو على أية حال — لا يدل دلالة صريحة على أن ابن خالويه قد نافس أبا علي في الاحتجاج . نعم ! وهو يشير إلى ذلك في خفاء .

\* \* \*

هذا ومن المهم أن أشير إلى أن كتب التراجم لا تذكر لابن خالويه كتاباً باسم الحجة ، والذي ذكره ابن الأنباري في نزهة الألباء من كتب القرآن والقراءات : كتاب البديع في القراءات ، وكتاباً في إعراب سور من القرآن ، وكتاب البديع معروف أخرجه المستشرق ( ج . برجستراسر ) ، وهو في شواذ القراءات . وكتاب الاعراب يسميه يا قوت : إعراب ثلاثين سورة<sup>(٣)</sup> ، على أن كتاب الحجة لابن خالويه مخطوط تحت رقم ( ١٩٥٢٣ ب ) دار الكتب ، وهذه النسخة هي التي اعتمدت

(١) انظر المحتسب لابن جنى

(٢) الحجة لابن خالويه ٣ (٣) معجم الأدباء : ٢٠٤/٩

عليها في هذا البحث . ولابن خالويه كتاب القراءات مخطوط نسخة كتبت سنة ٦٠٠ هـ يقول في أوله : هذا كتاب شرحت فيه قراءات أهل الأمصار ، ولم يعد ذلك إلى ما يتصل بالاعراب من تفسير مشكل ، أو غريب حروف القراءة الشاذة<sup>(١)</sup> . ولعله كتابه الموسوم بالحجة ١ .

\* \* \*

ومهما يكن من أمر فإن الذي يعينني هذه الدراسة المقارنة التي أتعرف فيها منهج كل من أبي علي الفارسي وابن خالويه في الاحتجاج ، وما كان بينهما من توافق في ذلك المنهج ، وما كان بينهما من خلاف .

والملك العام الذي التزمه ابن خالويه بينه في مقدمه كتابه إذ يقول : « وبعد : فاني تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة<sup>(٢)</sup> المعروفين بصحة النقل واتقان الحفظ ، المأمونين على تأدية الرواية واللفظ — فرأيت كلا منهم قد ذهب في إعراب ما انفرد به من حرفه مذهبا من مذاهب العربية لا يدفع ، وقصد من القياس وجها لا يمنع ، فوافق باللفظ والحكاية طريق النقل والرواية ، غير مؤثر للاختيار على واجب الآثار ، وأنا بعون الله ذاكر في كتابي هذا ما احتج به أهل صناعة النحو لهم في معاني اختلافهم ، وتارك ذكر اجتماعهم واتلافهم فيه ، معتمد على ذكر القراءة المشهورة ، ومنكب على الروايات الشاذة المنكورة<sup>(٣)</sup> .

وهو بهذا التقديم يشير إلى منهجه في تناول هذه القراءات ، والاحتجاج لها ، بعد ثنائه على أصحابها اتقان حفظ ، وأمانة رواية ، وأستطيع أن أحدد منهجه في النقاط الآتية :

فهو أولا — سيسلك مسلك النحاة في الاحتجاج للقراءة .

ثم هو ثانياً — سيحتج للقراءات المشهورة ، ويقصد بهذه قراءات الأئمة السبعة : « نافع ، وابن كثير ، وعاصم ، وحزمة ، والكسائي ، وأبي عمرو ، وابن عامر<sup>(٤)</sup> ، وهم الذين وثقهم ابن محاهد ، وإن كان ابن خالويه لم يشر إليه في هذا التقديم .

(١) مراد ملا ٨٥ ، ٣٢٥ ق ، ١٤ × ١٠ سم ١٢ فهرس المخطوطات المصورة .

(٢) يقصد مكة والمدينة والبصرة والكوفة ودمشق (٣) الحجة لابن خالويه : ١

(٤) انظر إبراز الماني : ٥

ثم هو ثالثاً — ينكر قراءة غير السبعة ، فلا يتعرض لشيء منها ، ويعدها شاذة منكورة . « وسرى أن ابن جنى ، وقف من هذه القراءات موقفاً آخر سأوضحه عند الكلام على منهجه في الاحتجاج للقراءة الشاذة في كتابه « المحتسب ، فهل تراه التزم هذا المنهج ؟ أما من حيث سلوكه مسلك النحاة فلم يكن ذلك منه على اطراد ، فقد تردد بين مسلكتهم حيناً ، ومسلكت القراء حيناً آخر . سنراه يهاجم القراء في القراءات التي تخالف مذاهب النحاة . وذلك مسلك نحوى <sup>(١)</sup> ، وزاه مثلاً - يحتاج برسم المصحف <sup>(٢)</sup> ، وذلك مذهب أهل الآثار الذي يخالف مذاهب النحاة أهل القياس ، والنظر ، وقد كان مضطراً إلى أن يسلك مسلك غير النحاة ، لأن تخالف القراءات لا يرجع إلى الأوجه الإعرابية حسب ، بل إلى أسباب أخرى تعرضت لها في صدر الكلام على الاحتجاج للقراءات <sup>(٣)</sup> .

وهو بعد وثى بما ذكره من حيث الاحتجاج لقراءات الأئمة السبعة ، وإن كنت قد وجدت بينه وبين أبي على بعض التخالف اليسير في الحروف التي احتج لها ، وسأشير إلى ذلك قريباً <sup>(٤)</sup> .

على أنه وإن شذ ما تجاوز السبع من القراءات ، زاه ينكر بعض ما ورد من القراءات التي رواها الأئمة القراء الثقات ، شأنه في ذلك شأن أهل الصنعة من النحاة . وأنتقل بعد ذلك إلى عرض نصوص أستنبط منها أوجه التخالف ، وأوجه التوافق بين الإمامين في الكتابين :

#### أولاً : رسم المصحف :

( ١ ) قال ابن خالويه : قوله تعالى : « إن الله على كل شيء قدير » <sup>(٥)</sup> ، قرأه حمزة باشباع فتح الشين ووقفه على الياء قبل الهمزة ، وكذلك يفعل بكل حرف سكن قبل الهمزة . والحجة له في ذلك أنه أراد صحة اللفظ بالهمزة وتحقيقها على أصلها ، فجعلها كالمبتدأ ، وسهل ذلك عليه أنها في حرف عبد الله مكتوبة في السواد شأى بألف . . . <sup>(٦)</sup> ، وصحيح ما قال ابن خالويه :

(١) سأسوق أمثلة لذلك في جنبه إن شاء الله

(٢) سأعرض لذلك بما يوضحه في هذا الفصل بعد قليل

(٣) انظر الفصل الخامس بذلك (٤) انظر ص ٣٢٤ من هذا الكتاب

(٥) آية سورة البقرة

(٦) وجه ورقه (٦) الهجاء لابن خالويه

جاء في المقنع للداني ما نصه : قال محمد بن عيسى : رأيت في المصاحف كلها شيء بغير ألف ما خلا الذي في الكهف (س ١٨ آ ٢٣) يعني قوله : ولا نقولن لشأى ، قال وفي مصحف عبد الله رأيت كلها بالألف (شأى<sup>(١)</sup>)

(ب) وقال في الاحتجاج لمن قرأ اتخذتم بالإظهار ثم أتى بالكلمة على أصلها واغتتم الثواب على كل حرف منها !!<sup>(٢)</sup> ،

(ج) وقال في موضع آخر : لم اتفقت القراء على قوله خطاياكم هنا (البقرة) واختلفوا في الأعراف ، وسورة نوح ؟ فقل : لأن هذه كتبت بالألف في المصحف فأدى اللفظ ما تضمنه السواد ، وتينك كتبنا بالتاء من غير ألف<sup>(٣)</sup> ،

(د) وقال : قوله تعالى : «أتخذنا هزوا» ، تقرأ هزوا وكفوا بالضم والهمز وجزءا بإسكان الزاي والهمز ، والحجة في ذلك اتباع الخط ، لأن هزوا وكفوا في المصحف مكتوبان بالواو ، وجزءا بغير واو ، فاتبعوا في القراءة تأدية الخط<sup>(٤)</sup> .

(هـ) وقال ابن خالويه : قوله تعالى : «لم يتسنه» ، يقرأ وما شاكله (ما أغنى عنى ماله ، سلطانيه ، وما أدراك ما هيه<sup>(٥)</sup>) باثبات الهاء ، وطرحها في الإدراج . فالحجة لمن أثبت أنها أتبع الخط ، فأدى ما تضمنه السواد . والحجة لمن طرحها

أنه إنما أثبت لتبين بها حركة ما قبلها في الوقف ، فلما اتصل الكلام صار عوضاً منها ، وميزانها في آخر الكلام كألف الوصل في أوله ، وكان بعض القراء يعتمد الوقوف على الهاء ، ليجمع بذلك موافقة الخط ، وتأدية اللفظ . وبعضهم يثبت بعضاً ، وي طرح بعضاً بغير ما علة . . .<sup>(٦)</sup> ،

وقال أبو علي الفارسي<sup>(٧)</sup> : فأما قراءة ابن كثير ، ونافع ، وأبي عمرو ، وعاصم ، وابن عامر هذه الحروف كلها باثبات الهاء في الوصل فإن ذلك مستقيم في قياس العربية في يتسنه ، وذلك أنهم يجعلون اللام في يتسنه الهاء ، فإذا وقفوا وقفوا على اللام ، وإذا وصلوا كان بمنزلة لم يتقه زيد ، ولم يجبه عمر . . . ثم قال أبو علي :

(١) المقنع : ٤٥

(٢) المخطوطة ظهر ورقه (٨)

(٣) المخطوطة ظهر ورقه (٩)

(٤) الحجة لابن خالويه ظهر ورقة (١٠)

(٥) نسخة البلدية انظر الحجة لفارسي : ١٧/٣

(٦) الحجة لابن خالويه وجه ورقة ٣٠ (٧) نسخة البلدية الحجة : ١٥/٣

قال أحمد بن موسى « ولم يختلفوا في كتابيه ، وحسابيه أنها بالهاء في الوصل ، فاتفقهم في هذا دلالة على تشبيههم ذلك بالقوافي ، وذلك أنه لا يخلو من أن يكون لهذا التشبيه ، أو لأنهم راعوا لإثباتها في المصحف ، فلا يجوز أن يكون لهذا الوجه ، ألا ترى أن تاءات التأنيك أو عامتها قد أثبتت في المصحف هاءات ، لأن الكتابة على أن كل حرف منفصل من الآخر ، وموقوف عليه ، فلو كان ذلك للخط لوجب أن يجعل تاءات التأنيك في الدرج هاءات لكتابتهم إياها هاءات ، ولوجب في نحو قوله : « إخواناً على سرر متقابلين <sup>(١)</sup> » ، أن يكون في الدرج بالآلف ؛ لأن الكتابة بالآلف ، فإذا لم يجز هذا علمت أن الكتابة ليست معتبرة في الوقف على هذه الهاءات ، وإذا لم تكن معتبرة علمت أنه للتشبيه بالقوافي .

ولإثبات هذه الهاءات في الوصل وجيه في القياس ، وذلك أن سيبويه حكى في العدد أنهم يقولون ثلاثه أربعة ، وقد أجروا الوصل في هذا مجرى الوقف على التاء التي للتأنيك . . . وترك القياس على هذا أولى من القياس عليه ؟ اقله ذلك وخروجه مع قلته على القياس ، وإذا جاء الشيء خارجاً عن قياس الجمهور والكثرة في جنس لم ينبغ أن تجاوز به ذلك الجنس <sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

من هذه النصوص أستطيع أن أستنتج أن ابن خالويه <sup>(٣)</sup> مولع بالاحتجاج برسم المصحف ، وهذا أمر يقربه من مسلك أهل الأثر ، والتعبد بما رسم الكتاتيب في السواد — على حد تعبيره — والدليل على أنه يسلك طريق أهل الأثر — كذلك — ما قاله في موضع الاحتجاج لمن قرأ ثم اتخذتم بالآظهار :

أنه أتى بالكلمة على أصلها ، واغتنم الثواب على كل حرف منها <sup>(٤)</sup>

ونرى أبا علي الفارسي في نصه الذي عرضت ينفي أن يكون لإثبات الهاء في المصحف من قوله تعالى : « كتابيه وحسابيه . . . » سبباً في اتفاق القراء على قراءتها

(١) آية ٤٧ سورة الحجر

(٢) الحجة للفارسي نسخة البلدية ١٥/٣ - ٢٠

(٣) الحجة لابن خالويه وجه ورقة (٣) ووجه ورقة (١١)

(٤) الحجة لابن خالويه ظهر ورقة (٨)

بالهاء في الوصل ، ثم يبرهن بهذا القياس الذي أورد على ما اتجه إليه ورآه من أنهم أثبتوها في الوصل تشبيهاً لها بالقوا في ...

إلى أن لإثبات الهاء في هذه الأحرف — وجيباً من القياس ... (١)

ثانياً : المنطق والقياس ومدى ظهوره عند كل :

قال أبو علي : اختلفوا في قوله تعالى : « فأزلهما الشيطان عنها ، فقرأ حمزة فأزلهما بألف خفيفة ، وقرأ الباقون : « فأزلهما ، مشدداً بغير ألف . قال أبو بكر أحمد : « وروى أبو عبيد أن حمزة قرأ فأزلهما بالإمالة وهذا غلط ، وحجة حمزة في قراءته « فأزلهما الشيطان عنها ، أن قوله عز وجل : « ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها ، تأويله أثبتا فثبتا ، فأزلهما الشيطان ، فقابل الثبات بالزوال الذي هو خلافه ، ومثل ذلك قوله ( عز وجل ) « وأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر فانفلق (٢) ، تأويله فضرب فانفلق ، ومثله : « فن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية (٣) ، أى خلق فعلية فدية ، ونسب الفعل إلى الشيطان ، لأن زوالهما عنها إنما كان بتزيينه ، ووسوسته ، وتسويله ، فلما كان ذلك منه سبب زوالهما عنها أسند الفعل إليه ، ومثل هذا قوله عز وجل : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ، فالرّمى كان للنبي عليه السلام حيث رمى فقال : « شأته الوجوه ، إلا أنه لما كان بقوة الله وإرادته نسب إليه ، وبما يقوى قراءته قوله فأخرجهما مما كانا فيه ، فقوله فأخرجهما في المعنى قريب من ازالهما ، ألا ترى أن إخراجهما إياهما إزالة منه لهما عما كانا فيه . فان قال قائل : « ما تنكر أن يكون فاعل أخرجهما لا يكون ضمير الشيطان ، ولكن المصدر الذي ذكر فعله كقولهم : « من كذب كان شراً له ، — فالدلالة على فاعل أخرجهما ضمير الشيطان قوله في الأخرى : « يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ، ففاعل أخرجهما الشيطان كما بين ذلك في هذه الآية . ويقوى قراءته أيضاً تأويل من تأول أن أزلهما من زل الذي هو عثر ؛ ألا ترى أن ذلك قريب من الازالة في المعنى ؟ فان قال قائل : فانه إذا قرأ فأزلهما كان قوله بعد : فأخرجهما تكريراً ، فالقراءة الأخرى أرجح ، لأنها لا تكون على التكرير ، قيل : إن قوله عز وجل : أخرجهما

(١) نسخة البلدية . انظر الحجة للقارسي : ١٥/٣ - ٢٠

(٢) سورة البقرة آية ١٩٦

(٣) سورة الشعراء آية ٦٣



ليس بتكرير لافائدة فيه ، ألا ترى أنه قد يجوز أن يزيلها عن مواضعها ، ولا يخرجها مما كانا فيه من الدعة والرافاهية ، فإذا كان كذلك لم يكن تكريراً غير مفيد ، وعلى أن التكرير في مثل هذا الموضع لتفخيم القصة ، وتعظيمها بألفاظ مختلفة ليس بمكروه ولا مجتنب ؛ بل هو مستحب مستعمل كقول القائل : أزلت نعمته ، وأخرجته من ملكه ، وغلظت عقوبته ، وقالوا : د زال عن موضعه وأزلته ، ، وفي التنزيل : د إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، وفيه : د وإن كان مكرم لتزول منه الجبال ، .

حجة من قرأ فأزلها الشيطان د أن أزلها يحتمل تأويلين : أحدهما : كسبها الزلة ، والآخر أن يكون : أزل من زل الذي يراد به عثر . والدلالة على الوجه الأول ما جاء في التنزيل من تزيينه لها تناول ما حظر عليهما جنسه بقوله : د مانها كما ربكا عن هذه الشجرة ، إلى قوله : د لمن الناصحين ، وقوله عز وجل : د فوسوس لها الشيطان ليبدى لها ما وورى عنها من سوءاتهما ، وقد نسب كسب الانسان الزلة إلى الشيطان في قوله عز وجل : د إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ، واستزل وأزل كقولهم استجاب وأجاب ، واستخلف لأهله وأخلف ، فكما أن استزلهم من الزلة المعنى فيه كسبهم الشيطان الزلة ، كذلك قوله : فأزلها الشيطان والوجه الآخر أن يكون فأزلها من زل عن المكان إذا عثر فلم يثبت عليه ، ويدل على هذا قوله عز وجل : د فأخرجها مما كانا فيه ، كما أن خروجه عن الموضع الذي هو فيه انتقال عنه إلى غيره ، كذلك عثاره فيه وزلته ، <sup>(١)</sup> .

فما الذي قاله ابن خالويه في الاحتجاج لاختلاف القراء في هذا الحرف ؟ كل ما كان منه أن قال : قوله تعالى : فأزلها يقرأ بأثبات الالف والتخفيف ، وبطرحها والتشديد . فالحجة لمن أثبت الالف أن يجعله من الزوال والانتقال عن الجنة . والحجة لمن طرحها أن يجعله من الزلل <sup>(٢)</sup> . ثم مضى بعد ذلك إلى الاحتجاج لما اختلف فيه القراء بعد ذلك .

ولكننا إذا أردنا أن نضع أيدينا على القياس عند أبي علي في احتجاجه لاختلاف القراء في أزلها . د رأينا يقابل مقايماً قوله تعالى : ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها — أى أثبتنا فثبتنا فأزلها الشيطان — يقابل ذلك بقوله تعالى :

(١) الحجة نسخة مرهاد ملا ورقة ٣١٠ وما بعدها (٢) الحجة لابن خالويه ظهر ورقة ٧

وأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانقلب ، أى فاضرب فانقلب ، ، وبقوله تعالى : « فن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية أى خلق ففدية . . » ، ورأيناه كذلك يعقد القياس بين اسناد الفعل إلى الشيطان ؛ لأن وسوسته كانت سبباً في زوال آدم وحواء عن الجنة — ولإسناد الرمي إلى الله تعالى ؛ لأنه كان بقوة الله وإرادته <sup>(١)</sup> . ونراه أيضاً — يقايس — مبرهنا — على أن فاعل أخرجهما ضمير الشيطان في قوله تعالى : فأخرجهما عما كانا فيه . بقوله تعالى : يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة .

ثم نراه يعتبر التكرير في قوله تعالى « فأزالهما الشيطان عنها فأخرجهما » — بالتكرير في قول القائل : « أزلت نعمته » ، وأخرجته من ملكه ، وغلظت عقوبته .  
ثم انظر كيف يبرهن — على القراءة الأخرى : فأزالهما — إذ يتأول هذا الحرف على أنه من زل عن المكان إذا عثر فلم يثبت عليه ، ويقيس الخروج في قوله تعالى : « فأخرجهما عما كانا فيه » ، على العثار من حيث أن الخروج عن الوضع انتقال عنه إلى غيره كالعثار <sup>(٢)</sup> .

وبعد فالقياس شائع عند أبي علي ، وقد عقدت فصلاً تحدثت فيه عن القياس عنده بالتفصيل <sup>(٣)</sup> ، ولكني أردت بعرض هذين المثالين أن أبين اختلاف المنهجين بين الامامين في حرف ؛ لتكون الموازنة أوضح ، ولتبين طريقة كل منهما في جلاء . ومن المهم أن أقول : « إن هذا المنهج هو السمة العامة لكل ، ومن الحق أيضاً أن أقرر ، أن ابن خالويه تبدو عنده في القياس لمحات خافتات ، تعد فلتات نادرات <sup>(٤)</sup> ، ثم هي لا تكون في مثل ذلك الاستطراد الذي رأيناه عند الفارسي ، حيث يسلك القياس إلى قياس ، وهذه الفلتات لندرته لا تبنى عليها الأحكام .

ثالثاً — العروض واستغلاله في الاحتجاج :

ومن الظواهر البادية عند أبي علي الفارسي استغلاله العروض ومسائله في الاحتجاج ، ولا أثر لذلك في كتاب الحجة عند ابن خالويه ، فالفارسي يقيس على العروض <sup>(٥)</sup> ، ويتحدث عن الروى ، والتأسيس ، والردف <sup>(٦)</sup> ، وفي لزوم

(١) الحجة نسخة مهاد ملا ورقة ٣١٠

(٢) الحجة للفارسي نسخة مراد ملا ورقة ٣١٢

(٣) راجع الفصل الخامس بذلك (٤) انظر مثلاً وجه ورقة ٣٠

(٥) الحجة نسخة البلدية : ٦١/١ (٦) الحجة : ٦٢/١

مالا يلزم<sup>(١)</sup>، ولم تعاقبت السين والفاء في مستغلقن التي هي عروض البيت الأول من المنسرح<sup>(٢)</sup>، ويسوق الشواهد على الضرورات الشعرية<sup>(٣)</sup>، واستجازه حذف الحركة في الزحاف<sup>(٤)</sup>. وقد عقدت فصلاً تحدثت فيه عن كل ذلك وغيره في تفصيل، ثم قومت منهج الفارسي في استغلاله العروض<sup>(٥)</sup>.

رابعاً — الاصطلاحات وتعددتها عند الفارسي :

وعلى سبيل المثال أذكر أن ابن خالويه يلتزم في حديثه عن الأحرف التي وقعت الإمالة فيها من القراء — يلتزم قوله : يقرأ بالإمالة والتفخيم<sup>(٦)</sup>، ولكن أبا على يتحدث عن الإمالة : أسمائها ودرجاتها، كالكسر<sup>(٧)</sup>، والإجناح<sup>(٨)</sup>، والبطح<sup>(٩)</sup>، والإضجاع<sup>(١٠)</sup>، والإمالة<sup>(١١)</sup> الشديدة، وأشباع الإمالة<sup>(١٢)</sup>، والقاريء لا يفتح ولا يكسر<sup>(١٣)</sup> وبين الفتح والكسر، وبين الكسر والتفخيم<sup>(١٤)</sup>، وبين الإمالة والتفخيم<sup>(١٥)</sup>، ويسمى عدم الإمالة فتحاً<sup>(١٦)</sup>، ونصباً<sup>(١٧)</sup>، وتفخياً<sup>(١٨)</sup> وهكذا يراوح أبو على في تعبيره بين الاصطلاحات المختلفة، وقد تعرضت لهذه الاصطلاحات عند كلامه على مذهبه النحوي.

خامساً تدفق أبي على في إيراد الشواهد، ولا شيء من ذلك عند ابن خالويه : وربما كان السبب في مثل هذا ونحوه من ابن خالويه أنه أخذ على نفسه الاختصار، والتزام الاختصار من غير إطالة ولا إكثار<sup>(١٩)</sup>؛ وبمثل هذا أعلل. سادساً — نسبة القراءات المختلفة إلى أئمتها عند الفارسي كما يذكر أسانيدها، وتجاوز ابن خالويه عن ذلك.

فأبو على يروي عن القصبي<sup>(٢٠)</sup> بإسناده عن عبد الوارث عن أبي عمرو واليزيدي<sup>(٢١)</sup>، ويحكى عن أبي هشام بإسناده عن سليم عن حمزة...، ويحدث

- 
- (١) ٦٣/١ (٢) ص ٧٠ وما بعدها (٣) ٧٣ (٤) ٢٦٣/١ (٥) راجع الفصل الخامس بذلك (٦) انظر ورقات ٧، ٦، ٥، ٣ من كتاب الحجة لابن خالويه ص ١٥ من بحثي القراءات واللهجات العربية : الإمالة (٧) ٣٧٣/١ (٨) ١٤٦/٢ (٩) ٣٨٣/٧ (١٠) ٢٨٢ (١١) ٣٧٣/١ (١٢) ٣٧٣/١ (١٣) ٣٤٨/١ (١٤) ٣٧٦/١ (١٥) ٣٤٨/١ (١٦) ٥٤٨/٢ (١٧) ٣٥٤/١ (١٨) ٣٦١/١ و ١٥٣/٢ (١٩) ظهر ورقة ١ (٢٠) لم أجده القصبي متقدماً على الفارسي والقصبي الذي وجدته متأخراً توفي سنة ٥٤٠. انظر طبقات القراء ٦٦/١ (٢١) الحجة : ٣٨٠/١

عن أبي بكر بن مجاهد بسنده عن وهيب بن عبد الله ... ، عن الحسن بن المبارك عن عمرو بن الصباح عن حفص عن عاصم ... ، ويحدث عن وهيب <sup>(١)</sup> بن عبد الله المروذي عن الحسن بن المبارك عن أبي حفص ... كما يحدثه سهل أبو عمرو عن أبي عمرو عن عاصم ... ويخبره محمد بن الفرّج عن محمد بن إسحق عن أبيه نافع ... ويحدثه أبو سعيد البصري الحارثي عن الأصمعي عن نافع <sup>(٢)</sup> ... وهكذا ، ولكن ابن خالويه يروي القراءات ، ويحتج لها ، دون أن يذكر أسانيدها ، ولمنهج أبي علي قيمة : هي توثيق هذه القراءات ، بذكر أسانيد المتصلة بالقراء السبعة الذين اتصل سندهم برسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) وفي ذلك — ضمناً — دفاع عن هذه القراءات ، وأنها تنزيل من حكيم حميد .

#### سابعا — اللغويات عند كل من الإمامين :

وهذه تذكر على نحو واسع متقص في الحجة لأبي علي ، وعلى الرغم من أن المترجمين يذكرون ابن خالويه بأنه لغوي <sup>(٣)</sup> ومن كبار أهل اللغة <sup>(٤)</sup> ، ووصفه الداني بأنه حافظ للغة <sup>(٥)</sup> - على الرغم من ذلك فإن خالويه لا يتعرض للغويات على صورة واسعة شاملة <sup>(٦)</sup> ، وتعرض أبي علي الفارسي للفردات اللغوية وشرحها ، والاستشهاد لها من كتاب الله ، والشعر ، وكلام العرب ، وما نقل الأئمة وما رويوا - من أمثال سيويوه ، وأبي زيد ، وأبي عبيدة ، أقول تعرضه على هذه الصورة له قيمة في تفسير القاموس القرآني ، وفي تاريخ تطوره منذ أبي عبيدة في مجازه حتى الراغب الأصفهاني في مفرداته ، وتعليه ، وقد خصصت فصلا لذلك وفي تقويمه ، وتعليه ، ولعل ابن خالويه لم يتعرض لشيء منه مع شهرته اللغوية ؛ لأنه التزم كما قلت الاختصار ... ويتصل بذلك أنك تجد أبا علي .

ثامناً — يهتم بتفسير القرآن الكريم : ذلك لأن أبا علي أراد أن يوجه إعراب الكلمات التي وقع الاختلاف فيها ، وغيرها مما هو متصل بها ، ويدعو الاستطراد إلى التعرض لها - كما وجه معنى كل قراءة احتج لها ، فأسله ذلك إلى

(١) الموجود في طبقات القراء وهب ٣٦١/٢ (٢) انظر الحجة نسخة مرادملا ١ ورقة ٣٨٢

(٣) طبقات القراء : ٢٣٧/١ (٤) نزعة الألباء : ٢٠٧

(٥) معجم الأدباء : ٢٠٢/٩

(٦) انظر تعرضه للجزء لهماز النيشين والصابئين الحجة ظهر ورقة ١٠ وانظر وجه ورقة

التفسير ، ومن هنا كان الفارسي يمثل حلقة من السلسلة المتتابعة في هذا الميدان ، وهو ما ذكر بالتفصيل في الفصل المعقود لذلك : منهجه ؟ وكيف استقى من المفسرين قبله ؟ وكيف تأثر به من بعده ؟ وما يستحق التسجيل أن محمد بن علي أحمد الداودي المالكي لم يذكر الفارسي في طبقات المفسرين<sup>(١)</sup> مع أنه ذكر ابن خالويه ويتفرع على ذلك .

تاسعاً : تقرير أن أبا علي يستخدم القرآن استخداماً يدعو إلى الدهشة ويدل على اليقظة الذهنية الدقيقة في توجيه الإعراب ، والاحتجاج ، انظر مثلاً قوله : فأما النون والياء في قوله « نكفر ويكفر عنكم من سيئاتكم ويدخلكم<sup>(٢)</sup> » ، فمن قال : ويكفر فلان ما بعده على لفظ الافراد ، فيكفر أشبه بما بعده من الافراد منه بالجمع . وأما من قال : نكفر على لفظ الجمع « فإنه أتى بلفظ الجمع ، ثم أفرد كما أتى بلفظ الافراد ، ثم جمع في قوله تعالى : « سبحانه الذي أسرى بعبده » ، ثم قال : « وآتينا موسى الكتاب<sup>(٣)</sup> » . وهذا قليل من كثير ما أورد في هذا الباب ، وقد نجد شيئاً من ذلك عند ابن خالويه ، ولكنه يأتي في قلة نادرة ، تطالعك فتحس كأنها جاءت إليك بعد غيبة طويلة ، فتجد لها في نفسك غربة ؛ لأنها وردت عليك بعد انقطاع عنك ، على حين تأتي عند أبي علي في كثرة غامرة أولاً ، ثم هي تدل على عمق ويقظة ذهنية ثانياً ، ولا شيء من ذلك تحسه عند ابن خالويه ، وأكتفي بما ذكرت في فصل « الشواهد » ، عند أبي علي دالاً على منهجه وطابعه في إيراد الآيات القرآنية ، وإليك بعض أمثلة لابن خالويه في هذا الباب تحدثك عن طابعه من السطحية في الاحتجاج بآيات الكتاب ، والضعف - كذلك - قال : قوله تعالى « قل فيها لإثم كبير ، قرء كبير ، بدليل قوله : وإثمهما أكبر ولم يقل أكثر ، و « كثير ، بدليل قوله : ولا أدنى من ذلك ولا أكثر<sup>(٤)</sup> » .

وقال : قوله تعالى : من موصٍ بالتشديد من وصى بدليل قوله : « وما وصينا به إبراهيم ، و « من موصٍ ، بالتخفيف من أوصى ، ودليله قوله « يوصيكم الله<sup>(٥)</sup> » ، ومثال الضعف عند ابن خالويه احتجاجه لقوله تعالى : « فأمتعته قليلاً ، أمتعته

(٢) كذا عبارته وجه ورقة ١٤

(١) ظهر ورقة ١٦

(٣) مخطوط بدار الكتب رقم ١٦٨ تاريخ (٤) سورة النساء آية ٣١

(٥) نسخة البلدية : ٤٢/٣

يقرأ بالتشديد التاء وتخفيفها . فالحجة لمن شدد تكرير الفعل ومداومته ، ودليله قوله :  
« ومتعناهم إلى حين » ، والحجة لمن خفف أن تكرير الفعل لا يكون معه « فليلا » ،  
فلما جاء معه بقليل كان أمتع أولى به من متع ، على أن أفعل وفعل يأتيان في الكلام  
بمعنى واحد كقولك أكرمت وكرمت ، ويأتيان والمعنى مختلف كقولك : أفرطت  
وفرطت ، وتأتي فعلت لما لا تأتي له أفعلت كقولك كلمت زيدا ، ولا يقال أكلت ،  
وأجسست زيدا ، ولا يقال جلست .

فأنت ترى أنه ذكر وجهين للاحتجاج آخرهما لا يستقيم مع الاحتجاج<sup>(١)</sup>  
الأول بل هو يسقطه ، والأولى أن يقتصر على قوله : أن أفعل وفعل يأتيان  
في الكلام بمعنى واحد .

وقال : قوله تعالى : « أن ينزل الله » : يقرأ بالتشديد والتخفيف . حجة  
من شدد أنه أخذه من نزل ينزل ، وحجة من خفف أنه أخذه من أنزل ينزل  
والحجة لها ( أى للكسائي وحمة ) في ترك التشديد في قوله : « وينزل الغيث » ،  
في لقمان ، وهو الذي ينزل الغيث ، في عسق قوله « وأنزلنا من السماء ماء طهورا » ،  
فصارع أنزل ينزل بالتخفيف فاعرفه<sup>(٢)</sup> ١١ ،

وأراه في هذا يفسر الماء بالماء ١١ وأية دقة في أن مضارع أنزل هو : ينزل حتى  
يدعوا إلى معرفتها ١١ وانظر استدلاله بالقراءة على قراءة أخرى كلامه في قوله تعالى :  
« ولا تسأل<sup>(٣)</sup> » . ومثل ذلك استدلال كل بالحديث الشريف<sup>(٤)</sup>

#### عاشراً — شخصية كل :

وأبو على ظاهر الشخصية بما يعلق أو يعقب<sup>(٥)</sup> ، أو يفشيء من الأدلة لإنشاء ،  
وما يورد من الشواهد بعد شواهد الشيوخ<sup>(٦)</sup> ، أو بما يتفهم من نصوص الأئمة  
السابقين ، فهو - كما يقول المحدثون - يفهم ما بين السطور ، ويضع النقط على  
الحروف . وتعليقاته وتعليقاته تدل على عمق فهم ، وبعد غور<sup>(٧)</sup> ، وقد تعرضت  
لذلك في تفصيل في البحث الذي عقدته عن شيوخي فليراجع . ولم يكن ذلك من

(١) الحجة لابن خالويه وجه ١٨ (٢) وجه ورقة ١٣ (٣) ظهر ورقة ١٣

(٤) انظر لابن خالويه الحجة ظهر ورقة ١٥ ولأبي على الفارسي : ١٢٠/٢ نسخة البلدية

(٥) الحجة نسخة البلدية : ٢٢/٣ (٦) نسخة البلدية : ٤٤، ١٥/٣

(٧) الحجة نسخة البلدية : ٢٢/٣

ابن خالويه بالضرورة ؛ لأنه لم يتعرض لأقوال الأئمة الذين سبقوه أو عاصروه حتى تتاح له فرصة التعقيب أو التعليق أو النقد . . . وأكبر الظن أنه لو تعرض لأقوالهم ما استطاع أن يقف منها موقف الفارسي ، أقول ذلك مستنتجاً لإياه من المواطن الأخرى التي تعرض فيها الرجلان إلى الحديث عنها ، واختلفا في المنهج عمقاً عند الفارسي ، وسطحية عند ابن خالويه .

وقد وجدت : حادى عشر : أن ابن خالويه يتعرض لمذاهب القراء من حيث الأداء ، فهو يتعرض للبد ومقداره ، والتنوين بغنة وبغيرها ، والوقف في حروف لم يتعرض لها أبو علي ، قال ابن خالويه : قوله تعالى : « يا بني إسرائيل ، كان ابن كثير يمد إسرائيل أكثر من مد بني ، والحجة له في ذلك أن مد بني لأجل استقبال الهمة فهي مد حرف لحرف ، والمد في إسرائيل من أصل بنية الكلمة لأجل غيرها ، وسوى الباقي بين مدتيهما ؛ لأنهما في اللفظ سيان <sup>(١)</sup> .

ولم يذكر أبو علي شيئاً من اختلاف القراء في ذلك

وقال ابن خالويه : قوله تعالى : « من يقول ، يقرأ مدغماً بغنة ، وبغير غنة ؛ لأن النون والتنوين يدغمان عند ستة أحرف يجمعها قولك . يرملون ، ، ويظهران عند ستة أحرف ، وهي الهمة ، والهاء ، والعين ، والحاء ، والغين ، والحاء ، ويخفيان عند سائر الحروف فالنون الساكنة ، والتنوين يدغمان في اللام ، والراء بغير غنة ، وفي الواو كذلك في قراءة حمزة ، ويدغمان في الميم والنون بغنة لا غير <sup>(٢)</sup> ، فالحجة لمن أدغم في اللام ، والراء ، والياء ، والواو ، بغير غنة أو اللام ، والراء حرفان شديدان ، والغنة من الأنف فبعدت منهما ، والياء ، والراء ، رخوتان فجزتا مع النون والتنوين في غنة الخياشيم . واتفقوا على إدغام النون ، والتنوين عند الميم بغنة لا غير ؛ لمشاركة الميم لها في الخروج من الخياشيم ، واستدلوا على ذلك بأن المتكلم بالميم والنون الساكنة لو أمسك بأنفه لأخل ذلك بلفظهما <sup>(٣)</sup> ، ولم أر أباً على تعرض لهذا الإدغام ، وفصل الكلام فيه على النحو الذي فعل ابن خالويه ، بل إنه لم يذكر هذا الاختلاف في ذلك الحرف من حيث الغنة أو عدمها . ثم انظر تعليل ابن خالويه لوقف حمزة بالثناء على مرضات ، وهيئات هيئات ، ولات ، واللات ، والتورات ويا أبت <sup>(٤)</sup> ، على حين أن أباً على لم يتعرض لشيء من ذلك ، إذ بعد أن أتم

(١) الحجة لابن خالويه ظهر ورقة ٨ (٢) الحجة لابن خالويه ٤

(٣) الحجة وجه ورقة ٤ (٤) ظهر ورقة ١٧

احتجاجة لاختلاف القراء في قوله تعالى : « لا رفث ولا فسوق ولا جدال ، انتقل إلى اختلافهم في السلم <sup>(١)</sup> »

هذا وهناك ناحية اختلاف بين المنهجين في الشكل ، أذكرها ؛ إتماماً لسمات الاختلاف بين كل : ذلك أن أبا علي الفارسي ينتقل من حرف إلى حرف بقوله : « اختلفوا ، ثم يذكر قراءات الائمة واختلافهم في هذا الحرف بالتفصيل ، يذكر الاسانيد المختلفة لتوثيق هذا الاختلاف ، أما دلالة الانتقال من حرف إلى حرف عند ابن خالويه هو لفظ : قوله تعالى « ومن النادر أن يعين القارئ وقراءته في الحرف المختلف فيه »

\* \* \*

أما عن النواحي التي اتفق فيها الإمامان فهي أولاً : في أن كلا منهما يحتاج للقراء السبعة ، وثانياً : أن كليهما يتعرض للقراءات التي تخالف مذهب النحوى بالتوهين والتضعيف . وربما بدا ابن خالويه في ذلك أعنف من أبي علي ، وتعليل ذلك عندي - أن أبا علي واسع الأفق ، ماهر في القياس ، قوى في الاحتجاج ، عالم بمذاهب العرب ، دارس لكتاب سيبويه في اتقان . قد أكب عليه ، وتفرد به كما يقول أبو حيان <sup>(٢)</sup> ، فقام على ما فيه ، وقد مكنته ذلك كله من الاعتراف بصحة القراءات - في الأعم الأغلب - التي تخالف مذهب ، وإن كان يتبع ذلك بأحكام الجودة أو الحسن ، أو التنبيه على موافقة القياس للقراءات التي تتفق وما يذهب إليه . وقد تعرضت في تفصيل إلى بيان ذلك الموقف من أبي علي في فصل خاص عقدته له فلتراجع الاستشهادات هناك ، وأسوق هنا بعض الأمثلة لكل للتدليل على ما أقول . قال ابن خالويه : « وأدغم أبو عمرو وحده الراء في اللام من « يغفر لكم » وما شاكله في القرآن ، وهو ضعيف عند البصريين <sup>(٣)</sup> » .

وقال : أما ماروى عن أبي عمرو من إمالة قوله : « فلما رأى القمر » وما شاكله فنلظ عليه ؛ لأن الإمالة من أجل الياء ؛ فلما سقطت الياء سقطت الإمالة ... .. فإن كانت هذه الرواية صحيحة عنه ، فإنما أراد أن يعلم أنه كذلك يقف ، وفي هذا بعض الوهن ، ولكنه عذر له ، والمشهور عنه في ذلك الفتح <sup>(٤)</sup> .

(١) نسخة اللامية ١/٢ انظر ورقة ٣١٩ (٢) الامتاع / ١٣١

(٣) المجة لابن خالويه وجه ورقة ١٠ (٤) آخر وجه ورقة ؟



وجاء في كتاب الحجة لأبي علي : فإذا سقطت الياء في الوصل لساكن لقيها لم يعمل الراء كقوله : « حتى نرى الله جهرة » ، « والنصارى المسيح » ، « ويرى الذين » ، قال أبو علي : هذا الذي ذهب إليه أبو عمرو مذهب ، والعرب في هذا مذهبان : أحدهما : ألا يميلوا بالفتحة نحو الكسرة ؛ لأن إمالتها إنما كانت لتبيل الألف نحو الياء ، فلما سقطت الألف لالتقاء الساكنين صحح الفتحة ، ولم يملها لسقوط الألف التي كانت الفتحة تمال لتبيلها ، قال سيويوه : « قالوا لم يضربها الذي تعلم <sup>(١)</sup> » ، فلم يميلوا لأن الألف قد ذهبت . والآخرة أن يميل الفتحة نحو الكسرة ، وإن كانت الألف قد سقطت ، لأن الألف كما كان حذفها لالتقاء الساكنين والتقاء الساكنين غير لازم صارت الألف كأنها في اللفظ . وقد روى أحمد بن موسى هذا الوجه الثاني أيضاً عن أبي عمرو فقال : « روى عبد الوارث وعباس بن الفضل عن أبي عمرو أمالة ذلك كله استقبله ساكن أو لم يستقبله » ، قال أحمد : المعروف عن أبي عمرو ترك الإمالة في مثل « نرى الله جهره » ، وقد حكى هذا الوجه أبو الحسن ، وحكى الأول الذي حكيناه من سيويوه فقال : إن شئت تركت الإمالة على حالها ، قال ، وذلك نحو « فلما رأى القمر » ، « وفي القتلى الحر » ، « وهدى للمتقين » .

وهكذا تبدو رحابة صدر أبي علي ، التي اعتمدت على سعة علمه بأقوال النحاة والقراء على السواء . وقد فقد ذلك ابن خالويه — على ما يبدو في كتابه وإن كنت في شك مما قررت قافراً كيف يعنف ابن خالويه بمخالفة القراء للقياس ويضيق صدره بما يقولون ، ثم انظر كيف يقف أبو علي منهم محتجاً لمذاهبهم فيما يتلون : قال ابن خالويه <sup>(٢)</sup> : فأما إمالة الكسائي ( رحمه الله ) قوله ( تعالى ) في آذانهم من الصواعق <sup>(٣)</sup> ، فإن كان أماله سماعاً من العرب فالسؤال عنه وبطل ( كذا ) ، وإن كان أماله قياساً فقد وهم ؛ لأن ألف الجمع في أمثال هذا لا تمال ، ويلزمه على قياسه أن يميل قوله تعالى : « أنبئهم بأسمائهم <sup>(٤)</sup> » ، « يعطاف عليهم بآنية <sup>(٥)</sup> » ، وإمالة هذا محال .

أما ما جاء في كتاب الحجة لأبي علي فقد قال : اختلفوا في قوله ( عز وجل )

(٢) الحجة لابن خالويه ظهر ورقة •

(٤) سورة البقرة آية : ٣٣

(١) الكتاب ٢/

(٣) سورة البقرة آية : ٩٩

(٥) سورة الانسان آية : ١٥

« في طغيانهم وفي آذانهم<sup>(١)</sup> » قال أبو عمر العدوى ، ونصير بن يوسف النحوى : كان الكسائى يميل الألف فى طغيانهم ، وآذانهم ، وقال غيرهما : كان يفتح ، وقال أبو الحرث الليث بن خالد ، وغيره : كان الكسائى لا يميل هذا وأشباهه ، والباقون يفتحون . . . . . وبعد أن احتج لإمالة طغيانهم قال : وأما « فى آذانهم » فجازت فيها الإمالة ، كما جازت فى قوله مررت ببابه<sup>(٢)</sup> ، لمكان كسرة الإعراب ، وهى فيه حسنة جائزة ، والإمالة فى طغيانهم أحسن<sup>(٣)</sup>

وقد بينت الرأى الذى إليه انتهيت فى موقف النحاة من القراءات التى تخالف مذهبهم فى مكان مستقل<sup>(٤)</sup> ، مؤرخاً لنظرتهم تلك ، ذاكراً ما رأيت وجه الحق فيها إليه يذهبون .

\* \* \*

وبعد ، فكتاب الحجة لابن خالويه لا يخلو من ميزة ، لأنه يوفى بحاجة المتخلفين من الراغبين فى التعرف على مذاهب القراء والاحتجاج لها فى سرعة وسهولة ، ثم يقنعهم هذا المنهج المتخفف الذى لا يكلفهم عنثاً ولا إرهاقاً ، ولا يكلفهم من أنفسهم مشقة ولا عسراً ، أما أولئك الذين يستريحون للتقصى الذى ينقع الغلة ، وأولئك الذين يتعمقون ويستريحون لهذا النوع من الاستيعاب ، وماأخذهم ، أبو على على نفسه من نواحى منهجه التى أشرت إليها فى إجمال هنا ، وتفصيل هناك — فلا يمدلون بكتاب الحجة بديلاً ، ويجدون فيه خيراً مقاماً ، وأحسن تأويلاً .

على أن لكتاب الحجة للفارسي هنات ، وعليه مأخذ ، وفيه سقطات ، وقد تحدثت عن هذه منذ حين .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٥ ، ١٦ (٢) الكتاب لـديبوية : ٢٦١/٢  
(٣) الحجة لأبى على نسخة مراد ملا ٢٥٦/١ (٤) انظر ص ٢٤٠ من هذا الكتاب .

# الباب الرابع

## أثر أبي علي في الاحتجاج للفراءات

### الفصل الأول

#### تأثر ابن جني في المحتسب بأبي علي

في الموصل ذلك البلد الجليل ، الطيب الهواء ، الصحيح الماء <sup>(١)</sup> يولد أبو الفتح عثمان بن جني سنة ثلاثين وثلثمائة بعد الهجرة <sup>(٢)</sup> وبه ينشأ ، وإليه ينسب <sup>(٣)</sup> ، وينزع في با كورة صباه إلى العلم ، يغترف من مناهله ، وسدد هذه النزعة عنده ذلك الجو العلمي الذي اتسمت به الموصل ، فهو كما يقول المقدسي : « كثير المشايخ ، لا يعلو من إسناده عال ، وفقهه مذكور <sup>(٤)</sup> » . ومن النماذج الصالحة لهؤلاء المشايخ جعفر ابن محمد الموصل الذي كان له ببلده دار علم جعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم ، وفتح أبوابها لطلاب العلم ، ويسر للغرباء والمعسرين امر أرتياد هذه الخزانة والالتفاف بها ، وكان جعفر هذا أدبياً ظريفاً عالماً ، فقيهاً <sup>(٥)</sup> ، ويدفع الطموح أبا الفتح - ولماً تفضح ملكاته - فيتصدر للتدريس في مسجد الموصل سنة ( ٤١٠ هـ ) ، ويمر بالصبي الرومي شيخ فارسي في نحو الستين من عمره ، فيترامى إلى أذن الشيخ كلمات تنصل بالنحو الذي وقف عمره عليه ، ويخطيء الصبي ، ويراجعه الشيخ في مسألة صرفية ، فيقول عنه قولته المشهورة : « تربيت قبل أن تتحصرم ا » . ويلزم الصبي الشيخ . وتستمر الصحبة ما يقرب من ستة وثلاثين عاماً ، ويجد الشيخ في الفتى مخايل النبوغ ، والفطنة ، فيصطنعه على عينه ، ويصحبه في تنقلاته ، ويتلقف ابن جني

(١) أحسن التقاسيم ١٣٨ ابن خلكان : ١٢/٢

(٢) معجم الأدباء : ١٢ / نزعة الألباء : ٢٢٠

(٣) أحسن التقاسيم : ١٣٨ (٤) أقطر معجم الأدباء : ١٩٣/٧

(٥) أقطر معجم الأدباء : ١٩٣/٧

الشيخ معتزاً به ، حريصاً عليه ، ويحسد الشيخ في ابن جني غلاماً يتخذه كما كان يصطنع الشيخ من الأدباء والنحاة ، فكان أبو عمر الزاهد غلاماً لثعلب<sup>(١)</sup> ، وأبو جعفر محمد ابن رستم الطبري غلاماً للمازني<sup>(٢)</sup> ، ثم تكون بين الرجلين صحبة ، كما كان بين ابن السراج ، وابن الرومي من قبل .

وقد تعرض محققو كتاب سر الصناعة لأسباب طول الصحبة بين التلميذ ابن جني وشيخه أبي علي ، وأرى أن هناك ما يصح أن يضاف في تفسير هذه الصحبة الطويلة :

فأولاً : كان أبو علي في نحو الستين من عمره ، لم يكن له عقب ، فكان كما يقول ابن جني : خالياً من الأهل والولد<sup>(٣)</sup> ، وكان ابن جني في صباه حين بدأ اتصاله بأبي علي ، ورأى الشيخ من الصبي تعلقاً به ، كما يرى فيه ذكاء وفطنة ، ورغبة في ملازمته ، فكان عطف من الشيخ في هذه السن على ابن جني ، يشبه عطف الأب على ابنه .

وثانياً : كان أبو علي في غنى ويسر ، على حين كان ابن جني فيما يبدو يعاني من الضيق والعسر يدل على ذلك قوله :

« ولعل الخطرة الواحدة تخرق بفكرى أقصى الحجب المتراخية عني في جمع الشتات من أمري ، ودمل العوارض الجائحة لأحوالي ، وأشكر الله ولا أشكره ، وأسأله توفيقاً لما يرضيه<sup>(٤)</sup> » .

ويبدو أن برأبي علي لتلميذه لم ينقطع بموته ، فقد أوصى بثلاث ماله انحلة بغداد<sup>(٥)</sup> ، ومن يمثل نحلة بغداد ويتجه القصد إليه في هذا المقام إلا صاحب ابن جني خليفة الشيخ في مجلس درسه<sup>(٦)</sup> ؟

ثالثاً : لم يحسد أبو علي في ابن جني ما يؤخذ عليه ، فلم يصرفه كما صرف علي ابن عيسى الربيعي بعد صحبة عشرين عاماً . أو الاندلسي بعد ما اتصل به وأخذ عنه ، فقد كان في الربيعي لومة ، وكان مبتلى يقتل الكلاب ، ويحكى من سيره وتصرفاته ما طبه أحسن من نشره<sup>(٧)</sup> . وأما الاندلسي فقد كان فيه حرص بارد على العلم<sup>(٨)</sup> .

(١) نزحه الألباء ١٨٦ (٢) إيضاح علل النحو للزجاجي .

(٣) انظر الخصائص لابن جني ٢٨٤/١ : ٢٨

(٤) مقدمة المحتسب ٧ (٥) طبقات القراء : ١/٢٠٧

(٦) نزحه الألباء ١ (٧) نزحه الألباء ٢٢٦ .

(٨) إنباه الرواة : ١٩/٢

ومهما يكن من أمر فإن طول ملازمة ابن جنى للفارسي كان لها آثارها العامة ومظاهرها التي لا تنكر :

(أ) فقد درس ابن جنى أبا على دراسة دقيقة حتى عرف خطرات نفسه .

(ب) وحفظ عليه وأذاعه في كتبه .

(ج) وسلك مسلكه في الاحتجاج للقراءات على اختلاف بين الرجلين .

كانت كتب ابن جنى امتداداً لكتب أبي على الفارسي ، وابن جنى يحس ذلك فلا يفرق بين كتبه وكتب الشيخ فنراه يقول : بعد أن أورد آياتاً في الخصائص — وهذه الآيات قد شرحها أبو على ( رحمه الله ) في البغداديات فلا وجه لاعادة ذلك هنا ، فإذا آثرت معرفة ما فيها فالتمس منها <sup>(١)</sup> . . وهكذا نرى ابن جنى يشير إلى ما كتب الشيخ ، وكأنه يشير إلى مؤلف له من المؤلفات السابقة .

\* \* \*

وبعد : فما الذي دعا ابن جنى إلى تأليف كتاب المحتسب في الاحتجاج للشواذ ١٩ :

شهد القرن الرابع لهجرى حركة غايتها توثيق بعض القراءات ، وتشذيب بعضها الآخر ذلك إلى جانب الأسباب العامة التي دفعت أبا على إلى الاحتجاج على وجه العموم ، وكان قائد هذه الحركة أبو بكر بن مجاهد ( ت ٣٢٤ هـ ) أول من سبع السبعة كما يقولون <sup>(٢)</sup> ، وشذذ ما عداها ، وقد عرفنا من رجال هذا العصر رجلين من القراء فقرأ بروايات أخرى من التي شذذها ابن مجاهد ، أحدهما : ابن شنبوذ ، والآخر : أبو بكر محمد بن الحسن بن مقسم العطار . وقد حل ابن مجاهد على ابن شنبوذ ، وعقد له مجلساً بحضرة الوزير ابن مقله ، وكتب عليه محضراً ، واستقنيت عما كان يقرأ به من الشاذ <sup>(٣)</sup> وكذلك فعل بابن مقسم من بعده <sup>(٤)</sup> .

أما الرأي العام فينقسم فريقين أمام هذه الحركة المتحررة التي سبق إليها كلا الرجلين كما تدل عليه عبارات كتب التراجم : فكان ابن الجزري يمثل المؤيدين لها حين يقول في ابن شنبوذ : « أنه كان ثقة في نفسه ، صالحاً ، ديناً ، متبحراً في هذا الشأن » <sup>(٥)</sup> . . وحين ينقل عبارة أبي عمرو الداني فيه : « تحمل الناس الرواية عنه ، والعرض

(١) إراز الماني (٢)

(٤) طبقات القراء : ٢/٢٤

(١) الخصائص ١/٣٢٦

(٣) طبقات القراء ٢/٤٤

(٥) المصدر السابق : ٢/٤٤

عليه ، لموضع من العلم ، ومكانه من الضبط <sup>(١)</sup> .  
ويمثل المعارضين ابن النديم حيث يقول في الفهرست : « كان ابن شنبوذ يناوىء  
أبا بكر ، ولا يفسده ، وكان ديناً فيه سلامة وحق » ، وينقل عن الشيخ أبي محمد يوسف  
بن الحسن السيرافي عن أبيه أنه كان كثير اللحن ، قليل العلم <sup>(٢)</sup> .  
كذلك كان الحال تجاه ابن مقسم : فهو عند بعض : « مشهور بالضبط والاتقان ،  
عالم بالعربية ، حافظ للغة » ، حسن التصنيف في علوم القرآن .

وعند بعض آخر : يبتدع بدعة ضل بها عن قصد السبيل ... <sup>(٣)</sup> ويراه أبو أحمد  
القرظي في النوم ، وقد ولي ظهره للقبلة ، وهو يصلي يستدبرها ، فيتأول ذلك بمخالفة  
الآئمة فيما اختاره لنفسه <sup>(٤)</sup> .

ويبدو أن ابن جنى كان من أنصار هذه النظرة المتحررة ، ولا سيما وقد اتصل  
بإبن شنبوذ حين تلذذ على شيخه أبي جعفر محمد بن علي بن الحجاج <sup>(٥)</sup> ، كما اتصل بابن  
مقسم ، وتلذذ عليه ، وروى عنه ، وتأثر به <sup>(٦)</sup> .

ولعل ذلك هو أول ما دفع ابن جنى إلى الاحتجاج للشواذ ، وتأليف كتابه  
المحتسب : حسبة ، ودفاعاً عنها : إذ كانت من عند الله منزلة ، وعن رسوله مروية <sup>(٧)</sup> .  
وأمر ثان أنه رأى من سبقه من أصحابه لم يفرده هذه الشواذ كتاباً في الاحتجاج <sup>(٨)</sup> ،  
فأراد أن يعمل عملاً يقصره عليها ، ويظل مذكوراً بالانتصار لها ، وتوضيح أسرارها  
وعلاها ذلك ما يدل عليه قوله : « ... وإذا كان من مضى من أصحابنا لم يضعوا  
للحجاج كتاباً فيه ، ولا أولوه طرفاً من القول عليه ، وإنما ذكروه مروباً مسلماً ،  
بمجموعاً أو متفرقاً ، وربما اعتزموا الحرف منه ، فقالوا القول المقتنع فيه ، فأما أن يفردوا

(١) طبقات القراء ٥٦/٢

(٢) الفهرست ٤٧ (٣) طبقات القراء : ١٢٤/٢

(٤) طبقات القراء : ١٢٥/٢ (٥) المحتسب ٢٧٩/١

(٦) انظر المحتسب : ١/٣٧ ، ٢/٢٨٥ ، ٢٣٦ مثلاً

(٧) مقدمة المحتسب ٦

(٨) وجدت إشارات خافتة للاحتجاج للشاذ في كتاب مختصر شواذ القرآن من كتاب  
البدیع لابن خالويه المطبعة الرحمانية مصر ١٩٣٤ . انظر للاحتجاج بالهجات « مالكم  
من إله غيره » بالنصب ص ٤٤ ، والاحتجاج للنوى ص ١٧١ « يخرج من بين الصلب »  
والإعرابي : قال فاللقى والحق ١٣٠ والنوى : من حيث أفاض الناس (س ١٩٩٢)

له كتاباً مقصوراً عليه ، أو يتجردوا للاتصاف له ، ويوضحوا أسرارهم وعلمهم فلا تعلمه .  
وأمر ثالث أفضى به في مقدمة المحتسب إذ يقرر أن التشاغل <sup>(١)</sup> بالاحتجاج للشواذ وحى من أستاذه أبي علي ، ذلك أن الشيخ كانت قد هجست خواطره به ، وحدث نفسه بعمله ، وهم أن يضع يده فيه ، ويبدأ به ، ولكن خواج هذا الدهر اعترضت دونه <sup>(٢)</sup> . فكان حسناً من ابن جني أن يمتضى فيما فكر فيه أستاذه ، وأن ينفذ ما اعترم عليه من ذلك

هذه أسباب قريبة دفعت — فيما أرى — ابن جني إلى الاحتجاج للشواذ ، وإلى جانب ذلك ما كان لابن جني من قدم راسخة ، فهو عالم باللغة ، محيط بأسرارها ، حافظ لأشعارها ، ملم بأصولها ، إلى ماله من قريحة وقادة ، وذكاة نافذ ، ونظرة عميقة ، واستخراج موفق ، كل ذلك يسر له كثيراً الاحتجاج للشواذ دون عناء كبير .

ثم : ألم يشرح ابن جني لأبي الطيب المتنبي أبياته الغامضة ؟ والتي كان إذا سئل عنها المتنبي نفسه أحال السائل إلى ابن جني حتى يستوضحه ، وبين له الوجه فيما قال <sup>(٣)</sup> ؟ ثم ألم يتناول مشكل أبيات الحماسة بالبيان ؟ ولا شك أن ميدان العدل في الاحتجاج للقراءات الشاذة ضرب من هذا القليل ، إلى ما فيه من التماس للثواب الجميل ، واحتساب الأجر الجزيل .

وفي كتاب المحتسب لابن جني إشارات تدل على أنه ألفه بعد جملة صالحة من كتبه المعروفة ، إذ يشير إلى كتابه المحاسن <sup>(٤)</sup> ، والمنصف <sup>(٥)</sup> ، وشرح ديوان المتنبي <sup>(٦)</sup> ، وسر الصناعة <sup>(٧)</sup> ، والتنبيه وهو تفسير مشكل أبيات الحماسة <sup>(٨)</sup> ، والخطيب ، وهو شرح المذكر والمؤثر لابن السكيت <sup>(٩)</sup> ، كما يشير إلى كتابه الخصائص المشهور بين الناس <sup>(١٠)</sup> . ومعلوم من كتب التراجم أن كتاب الخصائص مؤلف لبهاء الدولة <sup>(١١)</sup> ، الذي ملك سنة ( ٣٧٩ هـ ) <sup>(١٢)</sup> . فكتاب المحتسب إذن مؤلف بعد هذا

(١) مقدمة المحتسب : ٦ (٢) مقدمة المحتسب : ٧

(٣) الصبح النبوي (٤) المحتسب : ٢٤٦/١

(٥) ٤٦/١ و ٨٩ و ٣٥٠ مثلاً (٦) ١١٧/١

(٧) ٤٦/١ (٨) ٢٣٠/١

(٩) ٢٧٤/٢ (١٠) ٢٧٩ و ٨٧/١

(١١) الخصائص ٢/١ (١٢) انظر الكامل لابن الأثير ٢٧٩ وذي

تجارب الأمم ١٥٣/٣ وتاريخ المسلمين للشيخ جرجس بن العبيد ط ١٩٢٥ ص ٢٤١

التاريخ ، بل إن هناك دليلاً على أنه مؤلف بعد سنة (٣٨٤ هـ) وفي جمادى الآخرة من تلك السنة على التحديد ، ذلك أن أبا الفتح عثمان بن جنى كتب أجازة للشيخ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر أن يروى عن مصنفاته وكتبه (١) ، ولم يرد المحتسب في هذه الأجازة ، وبما أن هذه الأجازة بتاريخ جمادى الآخرة سنة ٣٨٤ هـ فعنى هذا أن كتاب المحتسب مؤلف بعد تاريخ الأجازة ، وإذ كان ابن جنى قد توفى سنة ٣٩٢ هـ عن اثنين وستين عاماً ، فاذن قد أُلّف كتاب المحتسب وهو باخرة من زمانه متقدماً في سنه نحو الخامسة والخمسين . وإذ قد ثبت أن كتاب المحتسب مؤلف بعد الخصائص فهو مؤلف كذلك بعد النوادر الممتعة الذى يشير إليه ابن جنى في كتاب الخصائص (٢) .

ويبدو من مقدمة الكتاب أنه أُلّف وقد أحس دنو منيته ، وذلك قوله : . . . « وإن قصرت أفعالنا عن مفروضاتك ، وصلتها برأفتك بنا ، وتلافيتنا من سيئات أنفسنا ما امتدت أسباب الحياة لنا ، فاذا انقضت علائق مددنا ، واستوفى ما فى الصحف المحفوظة لديك من عدد أنفاسنا ، واستوفت أحوال الدار الآخرة بنا فاقبلنا إلى ظل جنتك التى لم تخلقها إلا لمن وسع ظل رحمتك (٣) » ،

فالتفكير فى انقضاء علائق الحياة ، واستيفاء الأنفاس ، واستئناف أحوال الدار الآخرة ، والتطلع إلى ما فيها من ظلال النعيم — كل ذلك ظواهر تختلج على ألسنة الذين أدبرت أعمارهم ، وولت حياتهم ، وشعروا بدنو آجالهم .

الذى أريد أن أرتبه على ذلك كله أن أبا الفتح قد اجتمعت له — فى تأليف المحتسب — تجارب طويلة ممتدة ، وخبرات نافعة متعددة ، هى تجارب العمر كله التى انتهت به إلى الاستقرار الذهنى ، ونضج ثمرة التحصيل المبكر ، والدرس المستمر ، والصحة الجدية لاستاذة أبي علي . إلى ما ركب الله فيه من صفاء القريحة ، وتوقد الذهن ، والقدرة البالغة على الاستخراج ، والبراعة الفائقة فى فهم اللغة ، والتفقه فى خصائصها ، والتعرف على أصولها ، والغوص البعيد فى أعماقها ، والسعى المديد

(١) معجم الأدباء : ١٠٩/١٢ (٢) انظر مثلاً ٣٣٦ و ٣٨٨

(٣) مقدمة المحتسب وقرأت بعد ذلك فى حقائق التأويل للرضى مانصه : كان شيخنا أمير الفتح النحوى عمل فى آخر عمره لتأليف يشتمل على الاحتجاج بقراءة الشواذ . . .  
(حقائق التأويل : ٣٣١/٥)



في آفاقها ... ومن ثبت الكتب التي تركها ابن جنى استنتج أنه لم يشغل بالدراسات القرآنية على صورة واسعة ، فلم يعقب في هذه الدراسات إلا كتاب المحقّب في شرح ما شذ من القراءات ، على الرغم من أن له في الدراسات الأدبية والنحوية ما يقرب من ستة وثلاثين كتاباً ، جاء بعضها في إجازته لأبي عبد الله الحسين بن نصر ، ونص على البقية الباقية منها يا قوت الحموى في معجم الأدباء <sup>(١)</sup> .

ولم يترك ذلك — لم ترد لابن جنى ترجمة في كتاب غاية النهاية لابن الجزرى ، مع أن شيخه أبا علي بن روى القراءة <sup>(٢)</sup> : روى القراءة عرضاً على أبي بكر بن مجاهد ، كما روى عن أبي علي عرضاً عبد الملك بن بكران النهروانى . وإذا كان ابن جنى قد ولد قبل سنة ٢٣٠ هـ <sup>(٣)</sup> فإن اتصاله بأبي علي كان بعد فراغه أى — أبى علي — من التلق عن ابن مجاهد المتوفى ( ٣٢٤ هـ ) <sup>(٤)</sup> .

قد يقال : وما الذى يمنع ابن جنى ( ت ٣٩٢ هـ ) أن يشترك مع عبد الملك ابن بكران النهروانى ( ت ٤٠٤ هـ ) في أخذ القراءة عن أبي علي الفارسي مع أن النهروانى عاش بعد وفاة ابن جنى ما يزيد عن عشر سنوات كما ترى ١٩

فالجواب ما يبدو من أن النهروانى اتصل مبكراً بأبي علي ، وقبل أن يتصل ابن جنى به ، فالنهرواني — وإن لم يرد ميلاده في كتب التراجم — قد عمر دهرأ كما أورد ابن الجزرى <sup>(٥)</sup> . ومفهوم ما أورد ابن الجزرى بضميمة جلوسه للأخذ عن أبي علي في السن — التى يؤخذ فيها عادة يرجع أنه اتصل بأبي علي قبل أن يولد ابن جنى :

وشيء آخر أراه صرف ابن جنى من الاشتغال برواية القراءة ، ذلك ما كان من سبب اتصاله بأبي علي — في مسألة صرفية ، فاعتنى منذ ذلك الحين بالتصرف ولزم شيخه ، فما أحد أعلم منه به ، ولا أقوم بأصوله وفروعه <sup>(٦)</sup> . فلعل اتصاله — وهو حصرم — بأبي علي من أجل مسألة صرفية — صرفه عن رواية القراءة ، إلى دراسة الصرف بخاصة ، والعربية بعامة ، ومن قبل انصرف لإمام النحاة عن دراسة

(٢) انظر غاية النهاية ٢٠٧/١

(٤) الفهرست ٤٧

(١) ١٠٩/١٢ — ١١٣

(٣) معجم الأدباء ٨٣/١٢ .

(٥) طبقات القراء ٤٦٨/١

(٦) معجم الأدباء ٩١/١٢

الآثار والفقه إلى طلب النحو بسبب تلحين حماد بن سبله له<sup>(١)</sup>  
هذا إلى أن شيخه أبا علي الذي لازمه أربعين سنة كان من المقلين في الإقراء  
فلم يقرأ عليه ، إلا عبد الملك بن بكران النهرواني — كما يحدثنا بذلك ابن الجزري<sup>(٢)</sup>  
وليس معنى انصراف ابن جنى عن الدراسات القرآنية أنه تركها جملة ، لا : بل  
أريد أن أقول : ، إنه لم يحتشد لها ، ولم يحتفل بها ، كما فعل في النحو واللغة مثلاً .  
فالشواذ التي وردت في كتاب المحتسب عرفها من اطلاعه على كتاب أبي بكر  
ابن مجاهد في الشواذ<sup>(٣)</sup> ، وكتاب كل من أبي حاتم السجستاني ، وقطرب ، وبعض  
هذه الكتب أخبره فيها شيخه أبو علي الفارسي<sup>(٤)</sup> ، على أن كتاب المحتسب  
في مجموعه كتاب تخرج للقراءات الشاذة من الناحية اللغوية ، والإعرابية ، والصرفية .

\* \* \*

وقد صدر ابن جنى كتاب المحتسب بمقدمة ، بدأها بحمد الله ودعائه ، ثم أثنى  
على نبيه ، وضمن ذلك ثناء على القرآن الكريم ، وأشار إلى اعجازه الذي كد بهمله شد  
المجدين ، واستولى بأوله على آخر غاي الناطقين ، سواء في ذلك ما اجتمع عليه قراء  
الأمصار ، وما تعدى ذلك بما سماه أهل زمانه شاذاً .

ثم خلاص من ذلك إلى بيان آرائه في الشواذ ، والفرق بينه وبين قراءات  
القراء السبع . ومقدار ما للشاذ من وثاقة ، ثم ذكر الأسباب الموجبة إلى التشاغل  
بالاحتجاج للشاذ ، وبين ما يلتزمه من الأسلوب في ذلك الكتاب ، وما يدعو ذلك  
من الأسباب . ثم وثق كتابه : فذكر المصادر التي استقى منها القراءات الشاذة ،  
راوياً ، طرفاً ، وطرفاً مروياً له ، ومخبراً به ، كما أنه أشار إلى التزامه الدقة والأمانة  
في عرض ما يورد من روايات وقراءات .

وهكذا بين ابن جنى في هذه المقدمة آراءه في الشاذ ، وما يدور حوله من مسائل  
في توثيقه ، وما يشير إليه من فصاحة ، وما يكون في الاحتجاج له من لطف  
في الصناعة ، وذلك ما أعرضه فيما يأتي من حديث في هذا الفصل ، مبيناً مقدار  
ما تلاقى بأبي علي ، وما بعد فيه عنه .

(١) نزعة الألباء ٣٨

(٢) طبقات القراء : ٢٠٧/١ (٣) انظر المحتسب ٣٧٩/١

(٤) انظر ٩ ، ١٠ من كتاب المحتسب

فسر ابن جنى الشاذ بأنه خارج عما أجمع عليه أكثر قراء الأمصار ، ولكنه مع خروجه عن قراءات القراء السبع نازع بالثقة إلى قرائه ، مخوف بالرواية من أمامه وورائه <sup>(١)</sup> ، بل ارتقى ابن جنى بالشاذ فقال : «لعله أو كثيراً منه مساو في الفصاحة للمجتمع عليه <sup>(٢)</sup>» . بل ذهب إلى أبعد من ذلك ، فقرر أنه ربما كان في الشاذ ما تلطف صنعته ، وتعنف بغيره فصاحته <sup>(٣)</sup> ، وابن جنى بذلك لا يخالف القراء المجتمع في أهل الأمصار على قراءتهم ، ولا يعدل عما أثرته الثقات عنهم . غاية الأمر أنه يرى قوة ما يسمي في عهده شاذاً ، ولا ينبغي أن يغض منه أو يتهم ، ثم عاد فدلل على ما يرى في الشاذ بما يأتي :

( أ ) أن له سنداً من صحة الرواية .

( ب ) وأن له وجهاً من سميت العربية .

وإذا كانت الرواية تنميه إلى رسول الله — فنحن مأمورون بتقبله ، والاخذ به ، والعمل به ، وجبه ، ويستدل على ذلك بقوله تعالى : «وما آتاكم الرسول فخذوه <sup>(٤)</sup>» . وإذن فكل من القراءات السبع ، والشاذ مروى مسند إلى السلف ، وإذا كان المجتمع عليه أقوى إعراباً ، وأنهض قياساً ، فإن ذلك لا يقدر في الشاذ ، ولا يمنع من الأخذ به ، لأن ضعف الإعراب لا يمنع من صحة الشاذ . ولو كان ضعف الإعراب في قراءة قادحاً فيها ، مانعاً من الأخذ بها — ما أخذنا بقراءة ابن كثير ضياء بهزتين ، وقراءة ابن عامر : « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم » <sup>(٥)</sup> .

ثم وضع ابن جنى ملاكاً عاماً للقارىء الذى يجب الأخذ بقراءته ، وذلك إذ يقول : « ولعمري أن القارىء به من شاعت قراءته ، واعتبر الأخذ عنه ، فأما من يتوقف من الأخذ به لأن غيره أقوى إعراباً منه فلا <sup>(٦)</sup> » .

وأرى ابن جنى بعد ذلك على حق فيما ذهب إليه ، فما دامت القراءة عن رسول الله مسندة — سواء أ كانت من المجتمع عليه أم عما هو خارج عنه — وما دام لها وجه من العربية ، فلا معنى لردّها ، وعدم الأخذ بها ، وليس ضعف العربية

(١) المحتسب ٣/١

(٢) ٤/١

(٣) ٤/١

(٤) سورة ٧٢٥٩

(٥) سورة الأنعام

(٦) المحتسب : ٥/١ - ٦

كذلك مما يقدح ، لأن القراءات سنة متبعة ، وليس القياس مدخل فيها هو معتمد على محض الرواية ، وخالص الآثار (١) . .

وبعد أن وثق ابن جنى الشاذ على هذا النحو ، ووطد الميدان الذى سيعمل فيه خالص لبيان السبب فى اتجاهه لتأليف كتاب فى الاحتجاج للشواذ ، ذلك أن من سبقه ذكروا الشاذ مروياً مسلماً مجموعاً أو متفرقاً دون أن يحتجوا له ، وربما احتجوا لحرف منه ، ولكنهم لم يفرّدوا له كتاباً مقصوراً عليه (٢) ، ومن هنا حسن بل وجب التشاغل بعمل يسد فراغاً ، ويكمل نقصاً ، وبين ابن جنى أن عمله فى الشواذ إبراز لما هجس به خاطر أستاذه أبى على ، إذ كان وقتاً حدث نفسه بعمله ، وهم أن يضع يده فيه ، ويبدأ به ، فاعترت خواج هذا الدهر دونه ، وحالت هنواته بينه وبينه (٣) . ومن أجل ذلك كان لكتاب المحتسب موضعه الظاهر فى آثار أبى على الفارسى ،

وذكر ابن جنى أن كتابه ليس موضوعاً على جميع كافة القراءات الشاذة من قراءة السبعة ، وإنما الغرض فيه إبانة ما لظفت صنعته ، وأغربت طريقه . أما ما كان عارياً منها ، وليس فيه إلا ما يتناوله الظاهر فلا وجه للتشاغل به (٤) .

ثم بين أنه سيتناول ذلك بأسلوب سمح ، ويورده بألفاظ قريبة على أهل القرآن ليحفظوا به ، ولا ينأوا عن فهمه . وأراه بذلك قد تجنب ما كان من أبى على فى كتاب الحجة ؛ إذ تجاوز فيه قدر حاجة القراء إلى ما يجلو عنه كثير من العلماء . ثم بين المصادر التى استقى منها القراءات الشاذة على الشرط الذى اشترطه فيها — ما كان غامضاً منها وأذهب فى طريق الصنعة الصريحة — ، وجعل هذه المصادر فيما يأتى :

أولاً — ما رواه هو .

ثانياً — ما صح عنده من طريق رواية غيره . واعتمد من ذلك على :

(١) كتاب أبى بكر بن مجاهد ( رحمه الله ) الذى وضعه لذكر الشواذ من القراءة (٥) وقد وثق ابن جنى أباً بكر لإدجمل كتابه أثبت فى النفس من كثير من

(١) انظر من الشاطيه ٧٨

(٢) ٦/١

(٣) المصدر السابق

(٤) ٧/١

(٥) لم يرد فيها ذكر ابن النديم لابن مجاهد كتاب بهذا الاسم انظر/ ٤٧ وقد ذكر له كتابين : القراءات الكبير والقراءات الصغير ، فلعل كتاب الشواذ هو الصغير نهما انظر/ ٥٣

الشواذ المحكية عن ليست له روايته ، ولا توفيقه ، ولا هدايته  
(ب) وكتاب أبي حاتم السجستاني ، وقد أخبره به أبو اسحق ابراهيم  
ابن أحمد القرميسيني .

(ج) وكتاب أبي علي بن المستنير قطرب روى منه صدراً كبير . غير أن كتاب  
أبي حاتم أجمع من كتاب قطرب من حيث كان مقصوداً على ذكر القراءات عارياً  
من الإسهاب في التعليل والاستشهادات التي انحط قطرب فيها وتناهى إلى متباعد  
غاياتها . ثم وثق كتاب قطرب بأن ذكر أسناد من أخبره به <sup>(١)</sup> ، ومن المصادر التي  
اعتمد عليها ابن جنى .

(د) كتاب المعاني للزجاج .

(هـ) وكتاب المعاني للقراء ، وقد أخبره بكليهما أبو علي : الاول سمعه من  
الزجاج ، والآخر سمعه من ابن مجاهد <sup>(٢)</sup> .

وقد بين أنه التزم في كل ذلك ما رواه ، وما صح عنده من طريق رواية غيره  
له — الدقة . وتحرى الأمانة في الرواية . ذلك ما يشير إليه قوله : « لا نألو فيه  
ما تقتضيه حال مثله من تأدية أمانته ، وتحرى الصحة في روايته » <sup>(٣)</sup> .

وعلى هذه الأسس من المنهج ، والتوثيق ، والوسيلة ، والغاية ، يمضى  
ابن جنى في كتابه مبتدئاً من أول القرآن الكريم في موالاة بين سوره حتى ينتهى إلى  
سورة الناس : يذكر الأحرف التي وقع فيها الشذوذ مرتبة في سورها ، مصدراً  
الحديث عن كل حرف بقوله : « ومن ذلك ، ثم يوثق ما يورد بذكر سند  
القراءة بإيراد القراء الذين قرءوا بها — وهذا من قبل الاحتجاج بالرواية — ثم  
يورد التوجيه الذي يراه في هذا الحرف الشاذ ووجهه من العربية — وهذا من  
الاحتجاج بالصنعة والدراية .

وبعد : فهل وفي ابن جنى بما ذكر في خطبة المحتسب ؟

يجيب عن ذلك ما ساورده حول هذا الكتاب من دراسات ، وهو ما أنا في  
سبيل إليه إن شاء الله : سأتناول الخصائص البارزة في كتاب المحتسب لابن جنى .  
ثم أجمع الفروق التي بدت لي بين أبي علي وتلميذه في الاحتجاج ، ذاكراً مدى تأثر  
ابن جنى به في هذا السبيل .

## موقف ابن جنى من القراءات التى عدّها غيره شاذّة

رأينا ابن جنى ينصب الموازين لتقويم القراءات التى عدّها غيره شاذّة : فما كان منها جاريا على سنن من العربية ، فاشيا فى اللغة والشعر وفصيح الكلام ، نازعا — كما يقولون — بالثقة إلى قرائه . مخفّوفا بالرواية من أمامه وورائه — ما كان كذلك قبله ولم يردّه ، وصح الاحتجاج به كالماتر<sup>(١)</sup> ، ويرى — وهو على حق فيما يرى — أنه من الخطأ بعد ذلك تسميته شاذّا .

تم يختلف تقديره للشواذ وموقفه منها بقدر ما اشتملت عليه من هذه الأسس التى بنى عليها التقويم ، فلم يكن ابن جنى فى كتابه المحتسب متحيّزاً إلى القراءات الشاذّة يرجحها على الإطلاق ، بل وقف منها موقف الحكم العدل ، ولم يجرمه احتجاجه للشواذ ، وأنه عقد كتابه المحتسب من أجلها — على ألا يعدل فى تقدير القراءات . ومن هنا رأيت يقف من القراءات الشاذّة مواقف مختلفات :

أولاً — فهو حيناً يرجح القراءة الشاذّة على قراءة الكافة .

ثانياً — وحيناً يفسر قراءات الكافة بقراءة شاذّة ، ويحتج بهذه لتلك مفسراً أو معرباً . وهو فى هاتين الحالين لا يشذ ما يراه غيره شاذّاً ، بل هو راجع على القراءة السبعة ، أو على الأقل فى درجتها .

ثالثاً — وحيناً تراه يهاجم القراءة الشاذّة ، فينكر لها ، ويتعجب من القراءة بها . وفى هذه الحالة يتفق هو والكافة فى تشذيبها .

والملك العام عنده — حسن الظن بالمنكر من القراءات — يرى أن أويله خير من الحكم عليه بالفساد ، اعتداداً بمن رواها من الأئمة القراء . وقد دعت هذه النزعة إلى إخراج القراءة من دائرة القليل النادر ، أو أنها لا تجوز إلا فى الشعر ، إلى أنها كثيرة فى الشعر ، وواردة فى النثر ، وأورد فى قراءة طلحة بن سليمان أن يحبى الموتى سا كنة ، قوله معنى قول ابن مجاهد أنه قرأه على سكون الياء من يحبى على لغة من قال : يا دار هند عفت إلا أنا فيها ، فأسكن الياء فى موضع النصب ، لا أن الياء فى قوله : ويحبى الموتى ، سا كنة ، وذلك أنه لا ياء هناك فى اللفظ أصلاً ، لا سا كنة ولا متحركة : لأنها حذفت لسكونها وسكون اللام من الموتى .

قال أبو العباس : هذه الياء فى موضع النصب من أحسن الضرورات ، حتى أنه لو جاء به جاء فى النثر لكان جائزاً ، وشاهد ذلك فى الشعر أكثر من أن يؤتى بها ،

وبما جاء منه في النثر قولهم : لا أكلّمك حيرى دهر ، فأسكن الياء من حيرى وهى في موضع نصب <sup>(١)</sup> .

وانظر لإيراده قول أبي العباس من أن هذه الياء في موضع النصب من أحسن الضرورات ، وأنها جائزة لو جاءت في النثر . ذلك لأنه يحاول أن يخرج القراءة الشاذة من حكم الشذوذ الذي لا يقاس عليه إلى الشيوخ والجواز والاتساع <sup>(٢)</sup> .

وسأسوق الشواهد الكاشفة عن مواقفه تلك فيما يأتي من حديث :

أولا — ترجيح القراءة الشاذة على قراءة الكافة :

وتتجلى هذه الظاهرة فيما يأتي من الأحوال :

١ — القراءة الشاذة أعرب : وقد حكم بذلك على قراءة الأعرج : لمّا أتيناكم بفتح اللام وتشديد الميم ، وأتيناكم بألف قبل الكاف <sup>(٣)</sup> .

٢ — تخريج القراءة الشاذة على الكثير الشائع في الشعر وفصيح الكلام :

وذلك قراءة بما حفظ الله <sup>(٤)</sup> — إذ قال : « هو على حذف مضاف أى بما حفظ دين الله ، وشرعية الله ، وعهود الله ، ومثله « إن تنصروا الله ينصركم ، أى دين الله ، ثم قال : « وحذف المضاف في الشعر وفصيح الكلام في عدد الرمل سعة <sup>(٥)</sup> » .

٣ — استدلاله بقراءة شاذة على مذهب البصريين : ومن ذلك ما رواه ابن مجاهد عن عباس في مصحف ابن مسعود : « ولأذيرفع إبراهيم القواعد من البيت ، وإسماعيل ويقولان ربنا <sup>(٦)</sup> ... » وفيه : « والذين اتخذوا من دونه أولياء قالوا ما نعبدهم <sup>(٧)</sup> » . وفيه : « والملائكة باسطو أيديهم يقولون أخرجوا <sup>(٨)</sup> » .

قال أبو الفتح : وهذا دليل على صحة ما يذهب إليه أصحابنا من أن القول مراد مقدر في نحو هذه الأشياء ، وأنه ليس كما يذهب إليه الكوفيون من أن الكلام محمول على معناه دون أن يكون القول مقدرأ معه ، وذلك كقول الشاعر :

رجلان من ضبة أخبرانا أنا رأينا رجلا عرياناً

فهو عندنا نحن على : قالوا . وعلى قولهم لا إضمار قول هناك ، لكنه لما كان أخبرانا في معنى قالوا لنا صار كأنه قال : « قالوا لنا ، فأما على إضمار قالوا والحقيقة فلا . وقد رأيت إلى قراءة ابن مسعود كيف ظهر فيها ما يقدره من القول فصار

(١) ٤١١/٢ — ٤١٢ واضطر ٤٠١/١ — ٤٠٢ (٢) وانظر في مثل ذلك ١١٧/١

(٣) ١٩٣/١ (٤) سورة النساء ٣٤ آ (٥) ٢٢٣/١

(٦) سورة البقرة آ ١٢٧ (٧) سورة الزمر آ ٣ (٨) سورة الأحكام ٩٣ آ

قاطعاً على أنه مراد فيما يجرى مجراه . وكذلك : « يدعون عنتر والرماح كأنها ، فيمن ضم الراء من عنتر أى يقولون يا عنتر ، وكذلك من فتح الراء وهو يريد يا عنتر . وكذلك والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم <sup>(١)</sup> أى يقولون . وقد كثر حذف القول من الكلام جداً <sup>(٢)</sup> .

٤ — ويستدل على جواز تقديم خبر كان عليها بقراءة شاذة :

قال : « ومن ذلك — أى من انقراءات الشاذة — قراءة أبي وابن مسعود : « وباطلا ما كانوا يعملون » ، قال أبو الفتح : « باطلا منصوب يعملون ، ومازائدة للتوكيد فكأنه قال : « وباطلا كانوا يعملون » ثم قال : « ومن بعد فني هذه القراءة دلالة على جواز تقديم خبر كان عليها كقولك : « قائماً كان زيد ... ووجه الدلالة من ذلك أنه إنما يجوز وقوع المعمول بحيث يجوز وقوع العامل . وباطلا منصوب يعملون . والموضع إذا لسيعلون لوقوع معموله متقدماً عليه . فكأنه قال ويعملون باطلا كانوا <sup>(٣)</sup> . وانظر استدلاله بقراءة شاذة على إعراب في قراءة سبعية <sup>(٤)</sup> : « وكأين من نبى قتل معه ربيون كثير » .

٥ — القراءة الشاذة راجحة في معناها على قراءة الجماعة :

قال : « ومن ذلك قراءة الحسن ( رضى الله عنه ) « اهدانا صراطاً مستقيماً » . قال أبو الفتح ينبغي أن يكون أرادوا — والله أعلم — التذلل لله ( سبحانه ) ، وإظهار الطاعة له : أى قد رضيانا منك يا ربنا بما يقال له : صراط مستقيم ، ولسنا نريد المبالغة في قول من قرأ الصراط المستقيم ، أى الصراط الذى قد شاعت استقامته ، وتعملت في ذلك حاله وطريقته ، فان قليل هذا منك لنا زاك عندنا ، وكثير من نعمتك علينا ، ونحن له مطيعون ، وإلى ما نأمر به ، ونهى فيه صائرون . وزاد في حسن التنكير هنا ما دخله من المعنى ، وذلك أن تقديره آدم هدايتك لنا ، فانك إذا فعلت ذلك بنا فقد هديتنا إلى صراط مستقيم ، فجرى حينئذ مجرى قولك : « لئن لقيت رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) لتلقين منه رجلاً متناهياً في الخير ، ورسولاً جامعاً لسبل الفضل ، فقد آلت به الحال إلى معنى التجريد كقول الأختل :

بنزوة لص بعد ما مر مصعب بأشعث ، لا يفلى ، ولا هو يقبل

ومصعب نفسه هو الأشعث . وعليه قول طرفه :



جازت القوم إلى أرحلنا آخر الليل بيعفور خدر  
وهي نفسها عنده اليعفور . أنشدنا أبو علي :  
أقامت بنو مروان ظلماً دماناً وفي الله إن لم يحكموا حكم عدل  
وهو سبحانه أعرف المعارف ، وقد سماه الشاعر حكماً عدلاً ، فأخرج اللفظ  
مخرج التنكير ، فقد ترى كيف آل الكلام من لفظ التنكير إلى معنى التعريف ،  
وفيه مع ذلك لفظ الرضا باليسير ، <sup>(١)</sup> .  
وهكذا يرقى ابن جنى بالقراءة التي عدها غيره شاذة ، فيرجحها على قراءة الكافة  
على النحو الذي رأيت .  
٦ — رده معنى القراءة الشاذة إلى القراءة الصحيحة بما هو متعارف شائع كثير

عند العرب في القديم والمولد .

من ذلك ما حكى — ابن مجاهد عن ابن عباس أنه قال لا تقرأ ، فإن آمنوا بمثل  
ما آمنتم به ، فإن الله ليس له مثل ، ولكن اقرأ بما آمنتم به ، قال : وروى عنه أيضاً  
أنه يقرأ بالذي آمنتم به ، قال : وقال عباس في مصحف أنس ، وأبي صالح ، وابن مسعود :  
«فإن آمنوا بما آمنتم به» ، قال أبو الفتح : هذا الذي ذهب إليه ابن عباس حسن ، لكن  
ليس لأن القراءة المشهورة مردودة ، وصحة ذلك أنه إنما يراد فإن آمنوا بما آمنتم به  
كما أراد ابن عباس وغيره أن العرب قد تأتي بمثل في نحو هذا تؤكداً وتسديداً يقول  
الرجل إذ أناني عن نفسه القبيح : مثلي لا يفعل هذا ، أي أنا لا أفعله ، ومثلك إذا سئل  
أعطى ، أي أنت كذلك قال : «مثلي لا يحسن قولاً ففع ، أي أنا لا أحسنه . وفي حديث  
سيف ذي يزن : أيها الملك مثلك من سر ، وبر ، أي أنت كذلك ، وهو كثير في الشعر القديم  
والمولد جميعاً <sup>(٢)</sup> .

٧ — ورب قراءة — عدها غيره شاذة — فيها بلاغة <sup>(٣)</sup> ، وسأعود إلى تفصيل  
ذلك عند الحديث عن استهزاء ابن جنى الروح البلاغية في التعليل والاحتجاج ،  
وهو إذ يقف هذا الموقف من القراءات الشاذة فيرقى بها إلى درجة فوق قراءة الكافة  
أحياناً — يعتمد في نظره تلك على الأسس الآتية :

- (١) الرواية . (ب) القياس على ما ورد في آية أخرى أو في كلام العرب .  
(ج) ما هو فاش في اللغة . (د) الحسن اللغوي .

(١) المحتسب ١٧/١ — ١٨

(٣) المحتسب ٢٨٨/١

(٢) ١١٨/١

وقد ترى تلك الأسس مفرقة في توثيقه للشاذ ، وقد يجتمع منها اثنان ، أو أكثر — أحدهما الرواية — ولكنني وجدت مثالا جامعاً لها كلها في قوله <sup>(١)</sup> :

(١) ومن ذلك قراءة أبي عبد الرحمن في رواية عطاء عنه ، وقراءة عاصم الجحدري أيضاً : وملائكته وكتابه على التوحيد <sup>(٢)</sup> ، قال أبو الفتح : اللفظ لفظ الواحد والمعنى معنى الجنس أى وكتبه .

(ب) ومثله قوله سبحانه هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق .

(ج) ووقوع الواحد موقع الجماعة فاش في اللغة ... ألا ترى إلى قوله تعالى : وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه . وقال تعالى : اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم ... فلكل إنسان كتاب فهي جماعة كما ترى . وقد قال : هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ... ، وقال الله تعالى : نخرجكم طفلاً أى أطفالاً .

(د) وحسن لفظ الواحد هنا شيء آخر أيضاً ؛ وذلك أنه موضع إضعاف للعباد ، وإقلال لهم فكان لفظ الواحد لقلته أشبه بالموضع من لفظ الجماعة ، لأن الجماعة على كل حال أقوى من الواحد فاعرف ذلك <sup>(٣)</sup> .

وتراه وهو يوثق القراءة بما هو شائع في اللغة يقول مثلاً : حكاية الحال فاشية في اللغة <sup>(٤)</sup> ، أو حذف المضاف والشعر وفصيح الكلام في عدد الرمل سعة <sup>(٥)</sup> ، أو يقول « أفشى من الشمس » <sup>(٦)</sup> ، والنظا ترفيه كثيرة جداً <sup>(٧)</sup> ، أو قد كثر حذف القول من الكلام جداً <sup>(٨)</sup> إلى غير ذلك من التعبيرات الدالة على أنه في تخريجها القراءة التي يعدها غيره شاذة — يعتمد على الكثرة والذوبوع ، فيخرجها بذلك من دائرة الشاذ إلى الصحة والقياس .

ثانياً : تفسير قراءة الكافة بقراءة شاذة ، ويحتج بهذه لتلك مفسراً أو معرباً

وتتجلى هذه الظاهرة فيما يأتي من الأحوال :

١ — تقويته وجهاً لإعرابياً في قراءة صحيحة بما ورد في قراءة شاذة ، قال

ومن ذلك قراءة ابن محيصن ، وبلال بن أبي بردة ، ويعقوب : أن الحمد لله : قال أبو الفتح : هذه القراءة تدل على أن قراءة الجماعة أن الحمد لله على أن مخففة من أن بمنزلة قول الأعشى :

(١) الحروف أ ب و ج و د فيها يأتي تنبيه إلى الأسس السابقة على الترتيب

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٥ (٣) المحتسب ٢٤٢/١ — ٢٤٣

(٤) ٣٨٠/١ (٥) ٢٢٣/١ (٦) ٢٣٠/١

(٧) ٢٣٠/١ (٨) ١١٣/١

في فتية كسيوف الهند قد علوا أن هالك كل من يحني ويفتعل  
أى أنه هالك ، فكأنه على هذا ، وآخر دعواهم أنه الحمد لله <sup>(١)</sup> .  
٢ — استثناسه لمعنى تحتمله قراءة الكافة بما ورد في قراءة شاذة :

ومن ذلك قراءة أبي عبد الرحمن : قد أجيبت دعواتكم . قال أبو الفتح هذه  
جمع دعوة ، وهذه القراءة تعلم أن قراءة الجماعة : قد أجيبت دعوتكم ، يراد فيها بالواحد  
معنى الكثرة ، وساغ ذلك لأن المصدر جنس ... والأجناس يقع قليلها موقع كثيرها ،  
وكثيرها موقع قليلها <sup>(٢)</sup> .

٣ — تقريره أن القراءة الشاذة يؤول معناها إلى قراءة الجماعة :

كما جاء في احتجاجه لقراءة ابن مسعود : « إني أراي أعصر عبا » قال أبو الفتح :  
هذه القراءة هي مراد قراءة الجماعة : « إني أراي أعصر خمرأ ، وذلك أن المعصور  
العنب فسماه خمرأ ؛ لما يصير إليه من بعد حكاية لحاله المستأنفة كقول الآخر :  
إذا مات ميت من تميم فسرك أن يعيش ، فجئ بزاد  
أراد إذا مات حي ، فصار ميتاً كان كذا أو فليكن كذا ، وعليه قول الفرزدق :  
قتلت قتيلاً لم ير الناس مثله ... » <sup>(٣)</sup>

٤ — استدلاله على إعراب في قراءة الجماعة بقراءة شاذة :

كاحتجاجه لقراءة قتادة : « وكأين من نبى قتل معه ربيون كثير ، مشددة . قال :  
في هذه القراءة دلالة على أن من قرأ من السبعة قتل أو قاتل معه ربيون ، فإن  
( ربيون ) مرفوع في قراءته بقتل أو قاتل ، ولبس مرفوعاً بالابتداء ، ولا بالظرف  
الذى هو معه كقوله مررت برجل يقرأ عليه سلاح <sup>(٤)</sup>  
ثالثاً : مهاجمته القراءة الشاذة وتنكره لها ، وتعجبه من القراءة بها ، ويتجلى هذا

المسلوك في الأحوال الآتية :

١ — قراءة الكافة أقوى معنى من قراءة شاذة : وذلك عندما احتج لقراءة  
ابن مسعود « وكان عبد الله وجهاً » قال : قراءة الكافة أقوى معنى من هذه القراءة ،  
وذلك أن هذه إنما يفهم منها أنه عبد الله ، ولا يفهم منها وجاهته عند من هي ؟ أعند  
الله أم عند الناس ؟ وأما قراءة الجماعة فإنها تفيد وجاهته عند الله ، وهذا أشرف  
من القول الأول ؛ لاسناد وجاهته إلى الله تعالى ، وحسبه هذا شرفاً <sup>(٥)</sup> . وتراه هنا  
يفضل القراءة السبعية ، ولكنه معترف بالشاذة ، ومجومه عليها يكاد يكون هجومياً

ضمناً<sup>(١)</sup>. وانظر كلامه في الاحتجاج لقراءة: لا يقضى عليهم فيموتون، وتقريره أن قراءة العامة أوضح وأشرح وتعليله ذلك<sup>(٢)</sup>.

٢ — القراءة الشاذة لغة مرذولة: قرر ذلك عند احتجاجة لقراءة ابن محيصن ثم أطره بادغام الضاد في الطاء، قال أبو الفتح: « هذه لغة مرذولة أعنى لإدغام الضاد في الطاء؛ وذلك لما فيها من الامتداد والقشو، فانها من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها، ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي: الشين، والضاد، والراء، والفاء، والميم، ويجمعها في اللفظ قولهم: ضم شفر، وقد أخرج بعضهم الضاد من ذلك، وجمعها في قولهم: مشفر، قال: لأنه قد حكي إدغام الضاد في الطاء في قولهم: في اضطجع اطجع وأنشدوا قوله: يا رب أباز من العفر صدع      تقبض الظل إليه، واجتمع لما رأى أن لا دعه، ولا شبع      مال إلى أرطاة حقف واطجع ويروى واضطجع، وهو الأكثر والأقيس، ويروى أيضاً فالطجع تبدل أيضاً اللام من الضاد.

٣ — القراءة الشاذة لا تعرف في اللغة: ومن ذلك ابن شبيب قال: سمعت يحيى ابن الحارث يقرأ: «نظر كيف تعملون» نون واحدة قال: فقلت له: ما سمعت أحداً يقرأها قال: هكذا رأيتها في المصحف الامام مصحف عثمان. أيوب عن يحيى عن ابن عامر: «نظر» بنون واحدة مثله. قال أبو الفتح: ظاهر هذا أنه أدغم نون نظر في الظاء، وهذا لا يعرف في اللغة، ويشبه أن تكون مخفاة، فظنها القراء مدغمة على عادتهم في تحصيل كثير من الاخفاء إلى أن يظنوه مدغماً وذلك أن النون لا تدغم إلا في ستة أحرف؛ يجمعها قولك: يرملون<sup>(٣)</sup>.

٤ — القراءة الشاذة ضعيفة جداً: قرر ذلك في قراءة أبي جعفر: «للالاكة» اسجدوا. قال أبو الفتح: هذا ضعيف عندنا جداً؛ وذلك أن اللالاكة في موضع جر والتاء إذا مكسورة، ويجب أن تسقط ضمة الهمزة من اسجدوا لسقوط الهمزة أصلاً إذا كانت وصلاً، وهذا إنما يجوز ونحوه إذا كان ما قبل الهمزة حرف ساكن صحيح نحو قوله عز وجل: وقالت ادخل واخرج... فضم لالتقاء الساكنين ليخرج من ضمة إلى ضمة... فأما ما قبل همزته هذه متحركة، ولا سيما حركة إعراب، فلا وجه لأن تحذف حركته، ويحرك بالضم، ألا تراك لا تقول قل للرجل ادخل، ولا قل للمرأة ادخلي، لأن حركة الاعراب لا تستهلك لحركة الاتباع إلا على لغية ضعيفة،

(١) ومثل ذلك قراءة ومكراسيئاً في سبأ ٢٠٣/٢ (٢) المختب ٢٠٢/٢ (٣) ٣٨٤/١

وهي قراءة بعض البادية المحذرة بكسر الدال ، ونحو منه ما حكاه لي أبو علي أن أبا عبيدة حكاه من قول بعضهم: دعه في حرِّه لئلا يفسد كسرة راء حر، وألقى عليها ضمة همزة أمه، وهذا عندنا على شذوذه أعذر من قوله للبلاغة السجودا ... ثم دلل على ذلك الحكم<sup>(١)</sup>

\* \* \*

وعلى هذا النحو يقف ابن جني من الشواذ ، يحكم حكماً عادلاً غير متحيز إلى فئة ، ويوفي بذلك ما ذكره في المقدمة بما وعد به ، ونوه عنه ، غير أنه بعد ذلك حسن الظن بالشاذ لغة ؛ ثقة بمن رواه ، وأسوق للتدليل على نظراته تلك مثالين يختصران هذه للزعة ، ويغنيان عن التفصيل :

(١) ومن ذلك قراءة أبي عمرو في رواية هارون بن حاتم عن حسين عنه (بقته) قال أبو الفتح : فاعلمه مثال لم يأت في المصادر ، ولا في الصفات أيضاً ، وإنما هو مختص بالاسم منه الشرقة اسم موضع : أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن ، عن أبي عباس أحمد ابن يحيى يقول عبد الله بن الحجاج التغلبي لعبد الملك بن مروان في خبر له معه :

ارحم أصيبيتي الذين كأنهم حجلتي تدرج بالشرقة وقم

ومنه الجرقة الجماعة ، واستشهد لذلك .

وجاء بلاتاء في الاسم أيضاً وهو معد ، وهي ، وهو الصبي الصغير . ثم يقول هذه العبارة التي بها يقرر نزعتي من حيث حسن الظن بالمرؤى ثقة بمن رواه : « ولا بد من حسن الظن بأبي عمرو ، ولا سيما وهو القرآن ، وما أبعدته عن الزيغ والبهتان<sup>(٢)</sup> » . وكذلك أحسن الظن بابن عباس في قراءته ، وأيقن أنه الفراق ،<sup>(٣)</sup> .

(ب) روى الأعمش قال : سمعت أنسا يقرأ : لولوا إليه وهم يجمزون . قيل له وما يجمزون ؟ إنما يجمحون ! قال : يجمحون ، ويجمزون ، ويشدون واحد . قال أبو الفتح : ظاهر هذا أن السلف كانوا يقرءون الحرف مكان نظيره من غير أن تتقدم للقراءة بذلك ، لكن لموافقة صاحبه في المعنى ، وهذا موضع يجد الطاعن به إذا كان هكذا على القراءة مطعناً فيقول : ليست هذه الحروف كلها عن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) ، ولو كانت عنه لما ساغ إبدال لفظ مكان لفظ : إذ لم يثبت التعبير في ذلك عنه ، ولما أنكر أيضاً عليه يجمزون . إلا أن حسن الظن بأنس يدعو إلى اعتقاد تقدم للقراءة بهذه الأحرف الثلاثة التي هي يجمحون ، يجمزون ، يشدون ، فيقول : اقرأ بأبيها شئت ، فجميعها قراءة مسموعة عن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) لقوله عليه

السلام : . نزل القرآن بسبعة أحرف كلها شاف كاف ، ، فان قيل : لو كانت هذه الأحرف مقروءاً بجميعها لكان النقل بذلك قد وصل إلينا ، قيل أولاً يكفيك أنس موصلاً إلينا ؟ فان قيل أن أنساً لم يحكمها قراءة ، وإنما جمع بينها في المعنى ، واعتل في جواز القراءة بذلك لا بأنه رواها قراءة متقدمة .

قيل : قد سبق من ذكر حسن الظن به ما هو جواب عن هذا

وبعد أن ساق نحواً من ذلك في كلام العرب شعرائهم ومنشديهم ، قال : « وهذا لعمرى سائغ : لأنه شعر ، وتحريفه جائز ؛ لأنه ليس ديناً ولا عملاً مسنوناً » (١) . أ رأيت كيف بلغ به حسن الظن بالرواة حتى أنه لم يجد جواباً مقنعاً — وقد قلب الأمور على أوجهها المختلفة — إلا أن يقول : بحسن الظن بأنس ؟ !

ثم أ رأيت كيف لا يسلم بهذا التحريف في القرآن محسناً الظن ، ولا يسلم باختلاف الرواية في الشعر ، وتحريف الحكم فيه عن مواضعه ، لأنه ليس ديناً ولا عملاً مسنوناً ؟ ! وبعد فها نحن أولاء نرى ابن جنى يتلصص الأسباب ، ويسلك سبيل الدفاع عن القراءات ، على حين رأينا من قبل أباعلى وقد هاجم حمزة في جره الأرحام من قوله تعالى : « واتقوا الله الذى تسامون به والأرحام » ، وحكم بأن هذا ضعيف في القياس وقليل في الاستعمال ، وما كان كذلك فترك الأخذ به أحسن (٢) ، وبمثل ذلك هجم قراءة لابن عامر ، ووصفها بالقبیح ، والقلة في الاستعمال ، ولو عدل عنها إلى غيرها كان أولى (٣) . وموقف أبى على يتفق مع خطته في تحكيم القياس والنظر ، والبعد عن التعليل بالآثر ، أما ابن جنى فإن موقفه يتفق مع خطته التى أعلنها في صدر كتابه « المحتسب » من الاعتداد بما سموه شاذاً ، لأنه محفوف بالرواية من أمامه وورائه ، ومن هنا كان ابن جنى أرحب صدرأ ، وأقرب إلى مذاهب القراء رحماً ، إذ كان بموقفه هذا يقترب من أهل الأثر ، حيث يحسن الظن بالرواة من القراء على النحو الذى عرضته منذ قليل ( انظر حسن ظنه بابن عباس في قراءته ، وأيقن أنه القراق (٤) ، وحسن ظنه بأنس في قراءته ، ولولا إلية وهم يجمزون (٥) ، ، ويوثق ما رووه بما يعرفه من أوجه القياس ، انظر المحتسب في توثيق ابن مجاهد ، وأبى بكر محمد بن مقسم ، واعتداده بما رواه ، ثم تعليل ذلك بالقياس (٦) . وكذلك فعل في الاحتجاج لقراءة حمزة « واتقوا الله الذى تسامون به والأرحام » ، وهى مردودة عند جبهة البصريين (٧) .

(١) ٣٧٠/١ (٢) الحجة ٢٢٩/٣ (٣) الحجة ١٠٩/٤ (٤) ٤١١/٢

(٥) ٢٧٠/١ (٦) ٢٧٩/١ (٧) راجع كتاب الخصائص ٢٩٤/١

## مدى تأثر ابن جنى بأبي على فى المحتسب

وابن جنى أمين جداً فيما ينقله عن أبى على ، تراه يدل على القدر الذى استعان به فيه ، وينبى عليه ، ثم يزيد هو من عنده معقبا ، أو معلقا ، أو خارجا ، فالمسائل والأصول لأبى على فيها النصيب الوفور ، ولكن ابن جنى يضعها فى بوقفة من فكره وتعليقه ، فيخرجها بعد ذلك أوضح أسلوبا ، وأسد نظرا ، وأشد تحقيقا ، وأوثق صلة بروح العربية وخصائصها .

تراه مثلاً يقول : « وحدثنى أبو على بكذا وكذا ، ثم ينبى على ما انتهى إليه حديث الشيخ بقوله مثلاً : « هذا آخر الحكاية عن أبى على — ويزيد على ذلك ما قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد <sup>(١)</sup> . أو يقول مثلاً : « وروينا عن أبى زيد فيما أخذناه عن أبى على ، وعن غير أبى زيد كذا وكذا <sup>(٢)</sup> ... » وقرأ قوله : « ورأيت أبا على ( رحمه الله ) يذهب إلى استحسان مذهب الكسانى فى قوله :

إذا رضيت على بنو قشير لعمر الله أعجبني رضاها

لأنه قال : « عدى رضيت بعلى كما تعدى تقيضتها وهى سخطت به ، وكان قياسه رضيت عنى ، وإذا جاز أن يجرى الشيء بجرى تقيضه فإجراؤه بجرى نظيره أسوخ وإلى هنا ينتهى الأصل الذى قرره أبو على ، ثم يزيد ابن جنى عليه بقوله : « وفيه غيره وذلك إذا رضى عنه فقد أقبل عليه ، فكأنه قال : « إذا أقبلت على بنو قشير ، وهو غور من أنحاء العربية طريف ، ولطيف ، ومصون ، وبطين <sup>(٣)</sup> .

ويعتمد فى التدليل أحيانا على ما أنشده أبو على : قال فى الاحتجاج لقراءة الأعمش على الجودى « تخفيف يامى الإضافة قليل إلا فى الشعر . أنشدنا أبو على :

بكى بعينك واكف القطر ابن الحواري العالى الذكر <sup>(٤)</sup>

يريد الحواري ، وروى عنهم لا أكلك حيرى الدهر يريد حيرى الدهر ، وهنا فى النثر ، فعليه قراءة الأعمش جودى خفيفا <sup>(٥)</sup> .

(١) انظر المحتسب ٥٣/١ (٢) أنظر ٥٩/١ ، ٦٠ (٣) ٣٢/١

(٤) كل مبالغ فى نصرة آخر (حوارى) وخمس بعضهم به أنصار الأنبياء ( عليهم السلام ) وقوله وأنشده ابن دريد . إنما أراد ابن الحواري يعنى بالحواري الزبير ، وعنى بابنه عبد الله ابن الزبير ... (٥) ٤٠٠/١

وتراه يستغل الأصل الذى قاله أبو على وسمعه منه ، وهو أن العرب إذا نطقت بالاجمعى خلطت فيه ، كما يستغل ما أنشده أبو على لرؤبة وغيره ثم يرقى من ذلك إلى التدليل على قراءة إسرائيل بلا همز <sup>(١)</sup> .

ولأنك لتراه يعتمد عليه فى التفسير اللغوى ؛ أورد فى تفسير قول الله تعالى : « سول لهم وأملى لهم » <sup>(٢)</sup> ، ... معنى سول لهم أى دلائهم ، وهو من السول وهو استرخاء البطن ، رجل أسول وامرأة سولاء إذا كان مسترخى البطن قال الهذلى :

كألسحل البيض جلا لونها سح نجاء الحمل الأسول

أى السحاب المسترخى الأسافل لثقله ، وغزر مائه فهذا إذا كقول الله سبحانه : فدلها بما بغرور وهذا اشتقاق حسن أخذناه عن أبى على <sup>(٣)</sup> .

وتردد مظاهر هذا التأثير فى مواضع مختلفات من المحتسب ، ولكنى أعطيت الأمثلة الدالة من غير حصر أو استقصاء لأن ذلك أمر يطول .

وابن جنى فى مبتكراته التى يستغل فيها عن أستاذه — وما أكثرها كذلك — يشير إليها كأن يقول مثلاً : « ينبغى أن يعلم ما أذكره » <sup>(٤)</sup> ، أو : « وفيه عندى شئ » لم يذكره أبو على ولا غيره من أصحابنا <sup>(٥)</sup> ، أو أن يقول : « ووجه ذلك » <sup>(٦)</sup> عندى ما أذكره <sup>(٧)</sup> ، أو نحو ذلك مما يرد فى كثير من صفحات الكتاب <sup>(٨)</sup> .

## استغلال ابن جنى للعروض والقافية فى الاحتجاج

وابن جنى يستغل — كأستاذه — « العروض ، فى التدليل والاحتجاج ، ولكنك تلحظ القلة فى ذلك ، هذا مع دماثة أسلوب التليذ ، وبعده عن الجفوة والجفاف والتكلف والإفحام الذى تراه عند الشيوخ .

قال فى قراءة ابن عباس : « فأمته قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار » <sup>(٩)</sup> ، يحتمل أمرين : أحدهما وهو الظاهر أن يكون الفاعل فى قال ضمير إبراهيم عليه السلام أى قال إبراهيم : ومن كفر فأمته يا رب ثم أضطره يا رب . وحسن على هذا إعادة

(١) ٧١/١ (٢) سورة محمد آية ٢٥ (٣) المحتسب ٣٣٧/٢ (٤) ٤٩/١

(٥) ٤١١/٢ — ٤١٢ (٦) يشير إلى قراءة يحسره على المباد بالهاء ساكنة .

(٧) ٢٦١/٢ (٨) انظر مثلاً ١٥٣٩/١ و ١٩٦/١ و ٤٥/٢

(٩) س (١) آية ١٢٦ .



قال لامرين . أحدهما : طول الكلام ، فلما تباعد آخره من أوله أعيدت ، قال : لبعدها كما قد يجوز مع طول الكلام ما لا يجوز مع قصره . والآخر أنه انتقل من الدعاء لقوم إلى الدعاء على آخرين ، فكان ذلك أخذاً في كلام آخر ، فاستؤنف معه لفظ القول فجرى ذلك مجرى استئناف التصريح في القصيدة إذا خرج من معنى إلى معنى ، ولهذا ما يقول الشاعر في نحو ذلك :

ألا ناد في آثارهن الفوانيس      سقين سما ما ۱۱ ما لهن وما ليا ؟  
كان التصريح مع الانتقال من حال إلى حال أخرى بالجواز ، فهذا أحد الوجهين <sup>(١)</sup> . . .

وجاء في الاحتجاج لقراءة : « يحسره على العباد ، ... مبيئاً أثر إطالة الصوت ، وعلى هذا قال سيويه : إنهم يقولون سير عليه ليل يريدون ليل طويل ، وهذا إنما يفهم عنه بتطويل الياء فيقولون سير عليه ليل فقامت المدة مقام الصفة ، ومن ذلك ما تستعمله العرب من إشباع مدات التأسيس ، والردف ، والوصل ، والخروج عناية بالقافية ؛ إذ كانت للشعر نظاماً ، وللبيت اختتاماً <sup>(٢)</sup> . . . » وانظر مهاجمة الفراء في تأويله قراءة أهل المدينة يخطف بسكون الخاء والطاء والتشديد فيجمع بين ساكنين <sup>(٣)</sup> .

## المنطق وظهوره عند ابن جنى في الاحتجاج

وهو ذو منطق خفيف يأتي به في التدليل سمحاً سهلاً ، لا يمعن فيه كما يمعن أستاذه أبو علي فيه ، ومن هنا لم يشق ابن جنى على القارئ ، ولم يعنف به كما لا يطيل ، فذكر الأوجه ، والتفريعات ، والاحتمالات قليلاً ما يرد عند ابن جنى <sup>(٤)</sup> . وإنك لتراه يأتي بالمقدمات التي تسلم إلى النتيجة في غير عسر ، كما تراه يقايس ، أو يقول بالأولى والأجدر في هوادة ولين ، وسأضرب أمثلة ثلاثة أعقب ، كل مثال بالإشارة إلى ما يدل على اعتماده على المنطق ، وإلى ما فيه من مسائله في الاحتجاج والتدليل .  
المثال الأول :

أنكر ابن مجاهد رواية الحلواني عن قالون عن شيبه ، أو آوى إلى ركن شديد <sup>(٥)</sup> .  
فدلل ابن جنى على أن ما أنكره ابن مجاهد سائغ جائز ؛ وهو أن تعطف آوى على قوة

(١) ٤٢/١

(٢) ٢٦١/٢

(٣) ١٠٨/١

(٤) سورة هود آ ٨٨

(٥) انظر مثلاً ص ١٠٨

فكأنه قال : لو أن لي بكم قوة ، أو أوريا إلى ركن شديد ، فإذا صرت إلى اعتقاد المصدر فقد وجب اضمار أن ونصب الفعل بها ، ومثله قول ميسون بنت بحدل السكبية :

لللبس عباءة وتقرعني أحب إلى من لبس الشفوف  
فكأنها قالت : لللبس عباءة وأن تقرعني ، أى لأن اللبس عباءة وتقرعني أحب إلى من كذا ، وعليه بيت الكتاب أيضاً :

فلولا رجال من رزام أعزة وآل سبيع أو أسوءك علقما  
أى أو أن أسوءك فكأنه قال : أو مسامنى إياك . فكذلك هذه القراءة لو أن لي بكم قوة أو أوريا أى أو أن آوى إلى ركن شديد وهذا واضح <sup>(١)</sup> .

فانظر إلى ذلك القياس الذى عقده بين هذه الآية وقول ميسون : لللبس عباءة . وبيت الكتاب : فلولا رجال . . . ثم انظر إلى ما يشبه النتيجة لهذا القياس فى قوله : فكذلك هذه القراءة . . . ثم انظر بعد ذلك إلى قوله : وهذا واضح ، وهو قول يشبه العبارة التى يسجلها المشتغلون بالنظريات الهندسية فى أعقاب البراهين .  
المثال الثانى :

دلل على أن ، أيبك ، فى قوله تعالى : « وإله أيبك » <sup>(٢)</sup> جمع لا مفرد بما يأتى — وفيه يرد على ابن بجاهد فى أن أيبك مفرد هنا — قال أبو الفتح : « قول ابن بجاهد ، بالتوحيد لا وجه له ، وذلك أن أكثر القراءة ، وإله آبائك جمعاً كما ترى ، فإذا كان أيبك واحداً كان مخالفاً لقراءة الجماعة فنحتاج حينئذ إلى أن يكون أيبك هنا واحداً فى معنى الجماعة ، فإذا أمكن أن يكون جمعاً كان كقراءة الجماعة ، ولم يحتج فيه إلى التأول لوقوع الواحد موقع الجماعة ، وطريق ذلك أن يكون أيبك جمع « أب ، على الصحة على فو لك للجماعة هؤلاء أبون أحرار ، أى آباء أحرار ، وقد اتسع ذلك منهم ، ومن أبيات الكتاب :

فلما تبين أصواتنا بكين ، وفديننا بالآيينا

وقال أبو طالب :

ألم تر أنى بعد همهممته لفرقة حرمن أبين كرام ؟

وقال الآخر : « فهو يفدى بالآبين والحال . . »

وقد أشبعنا هذا الموضوع فى شرح ديوان المتنبي . ويؤكد أن المراد به الجماعة

ما جاء بعده من قوله : « إبراهيم وإسماعيل وإسحق ، فأبدل الجماعة من أهلك ، فهو جماعة لا محالة ، لاستحالة إبدال الأكثر من الأقل . فيصير قوله تعالى « وإله أهلك » كقوله « وإله ذورك » ، هذا هو الوجه ، وعليه فيمكن العمل <sup>(١)</sup> .

وفي هذا المثال نرى أكثر من دليل على استعانته بالمنطق في التدليل :

( أ ) فني قوله : « وذلك أن أكثر القراءة وإله آبائك جمعاً كما ترى ... الخ تعليل لقوله « لا وجه له » .

( ب ) وفي استشهاده بأبيات الكتاب ، وأبي طالب وغيرهما استعمال للدليل المؤسس .

( ج ) وفي قوله : « ويؤكد أن المراد به الجماعة اتباع الدليل المؤسس بالدليل المؤكد .

( د ) وفي قوله : فيصير قوله تعالى وإله أهلك ... قياس وتنظير .

( هـ ) وقوله في خاتمة هذا الدليل : « هذا هو الوجه ، وعليه فيمكن العمل ، — كالنتيجة التي يسلم إليها البرهان .

المثال الثالث : خطأ ابن جني ابن مجاهد في قوله : آيدتك على فاعلتك من قوله تعالى : « إذ آيدتك بروح القدس » <sup>(٢)</sup> قال أبو الفتح : « هذا الذي توهمه ابن مجاهد أن آيدتك على فاعلتك لا وجه له . وإنما آيدتك أفعلتك من الأيد وهو القوة . وقال أبو علي : « إنما أكثر فيه آيدتك فاعلتك ؛ لما يعرض في آيدتك من تصحيح العين مخافة توالى اعلالين في آيدتك ، وأنشدنا قوله :

ينبي تجاليدى واقتادها ثاو كراس القدن المؤيد

فهذا من آيدته أى قوته لأنه مفعول ككرم ... ولو كان آيدتك كما ظن ابن مجاهد فاعلتك لكان اسم المفعول منه مؤايد كقاتل ومضارب ، ولكن قراءة من قرأ آيتناها فاعلنا ، ولو كان أفعلنا لما احتاج إلى حرف الجر ، لأنه إنما يقال آيتت زيداً بكذا ، وآيتته كقولك أعطيته ، فكذلك لو كان آيتنا أفعلنا لكان آيتناها كقولك أعطيتها ، وأنت لا تقول آيتته بكذا كما لا تقول أعطيته بكذا . فقوله في تلك القراءة آيتناها كقولك حاضرنا بها ، وشاهدنا بها وهذا واضح .

ومعنى قول أبي علي : لو جاء آيدتك على ما يجب في مثله من إعلال عين أفعلت إذا كانت حرف علة كآقت زيداً ، وأبعته أى عرضته للبيع لتتابع فيه اعلالان ، لأن أصل آيدت آيدت ؛ كما أن أصل أمر أمر ، فانقلبت الهمزة الثانية ألفاً لاجتماع

المهمزتين في كلمة واحدة، والأولى منهما مفتوحة، والثانية ساكنة فهي في الأسماء نحو آدم وآدار، فكان يجب أيضاً أن تلقى حركة العين على الفاء وتحذف العين، فكان يجب على هذا أن تقلب الفاء هنا واواً؛ لأنها قد تحركت وانفتحت ما قبلها ولا بد من بدلها لوقوع همزة الأولى قبلها كما قلت في تكسير آدم أو ادم فكان يلزم على هذا أودته؛ كآفته، وأدرته فتحذف العين كما ترى، وتقلب الفاء التي هي في الأصل همزة واواً فتعقل الفاء والعين جميعاً، وإذا أدى القياس إلى هذا رفض وكثر فيه فقلت آيدت؛ ليؤمن ذلك الاعتلالان، فلما استعمل شيء منه جاء قليلاً شاذاً أعنى آيدت. وإذا كانوا قد أخرجوا عين أفعلت وهي حرف علة على الصحة نحو قوله: صددت فأطولت الصدود، وقولهم: «أغيلت المرأة، وأغيمت السماء، وأخوص الرمث، وأعوز القوم، وأليث الشجر» — ولو خرج على منهنج إعلال مثله لم يخف فيه توالي اعلالين كان خروج آيدت على الصحة لما كان يعقب اعلال عينه من اجتماع اعلالها مع اعلال الفاء قبلها أولى وأجدر. فقد ثبت أن قراءة مجاهد إذ آيدتك إنما هو أفعلتك لا فاعلتك كما ظن ابن مجاهد<sup>(١)</sup>.

وفي هذا المثال غير دليل على تأثر ابن جني بأبي علي في التدليل:

فهو — أولاً — يستشهد به في التدليل:

(أ) فيورد تعليله الذي يمت إلى الدراية والصنعة وذلك قوله: «إنما كثر فيه آيدتك،

(ب) ثم ينشد قوله: ينبي تجاليدى وأفتادها...

وذلك أشبه بالدليل النقلي.

وهو — ثانياً — يتبع هذا الاستشهاد النقلي بشرح كلام أبي علي وإيضاحه

وهو — ثالثاً — يستعمل القياس المضمر في قوله: ولو كان آيدتك كما ظن

ابن مجاهد... الخ

ثم هو — رابعاً — ينبه إلى قياس خاطيء ربما قاس ابن مجاهد عليه في قوله:

«ولكن قراءة من قرأ آتيناهما فاعلنا...»

وهو — خامساً — يعود إلى شرح قول أبي علي مفسراً مبهمات، عارضاً

فكرته في أسلوب أوضح من أسلوبه، ضارباً الأمثلة المقربة<sup>(٢)</sup>

وهو — سادساً — يقول بالاولى والاجدر في خروج آيدت على الصحة حيث قد أخرجوا عين أفعلت ، وهي حرف علة على الصحة .

وأخيراً — سابغاً — هذه العبارة التي ذيل بها رده على ابن مجاهد ، والتي تشبه النتيجة التي يصل إليها المبرهن بعد المقدمات والحيثيات وهي قوله : « فقد ثبت » . ومن آثار أبي على الظاهرة عند ابن جني :

الاستشهاد بقراءة على قراءة : كما في الاحتجاج ، لقراءة مجاهد ، وسعيد بن جبير ، إن هذا لساحر مبين ، <sup>(١)</sup> قال أبو الفتح : « هذا على قراءة الجماعة لسحر مبين إشارة إلى الفعل الواقع هناك من قلب العصا حية ونحوه ، وهذا على من قرأ لساحر إشارة إلى موسى (عليه السلام) . كما أن هذا من قول الله تعالى : « هذا يوم لا ينطقون ، إشارة إلى اليوم ، وهذا على قراءة من قرأ « هذا يوم لا ينطقون ، بالنصب إشارة إلى الفعل الواقع في ذلك اليوم <sup>(٢)</sup> وكذلك فعل في الاحتجاج لقراءة « وعلم آدم الاسماء » <sup>(٣)</sup> .

البلاغة ومماثلها في المحتسب : رأينا أبا على يلم ببعض مسائل البلاغة ، وهنا نرى ابن جني يلم ببعض المسائل الأخرى على نحو آخر يختلف عن أبي على ، ذلك لأن ابن جني قد اقتدى في تناوله هذه المسائل بالحس اللغوي ، والنزوع النفسي ، والطبع الانساني ، في ألحوب نقي من شوائب التعقيد . وسأعرض أمثلة لذلك كله ، وأعقب عليها مثالا مما لا بما يبدو من ملاحظات :

(١) قراءة ابن مسعود : « إني أراي أعصر عنبا » <sup>(٤)</sup> قال أبو الفتح : « هذه القراءة هي مراد قراءة الجماعة . « إني أراي أعصر حمرا » ، ذلك أن المعصور حينئذ هو العنب فسماه حمرا لما يصير إليه من بعد حكايته لحاله المستأنفة كقول الآخر :

إذا ما مات ميت من تميم فسرك أن يعيش فجى بزاز

أراد إذا مات حي فصار ميتاً كان كذا أو فليكن كذا ، وعليه قول الفرزدق : « قتلت قتيلاً لم ير الناس مثله <sup>(٥)</sup> .

وغنى عن التعليق هذا المثال ، وما يشير إليه من مسائل المعاني ، فهنا مسألة من مسائل المجاز باعتبار ما يصير إليه أو ما سيكون .

(١) سورة يونس آ ٧٦ (٢) ٣٩٤/١ (٣) أنظر ٤٩/١ — ٥٣ وأنظر احتجاجه بقراءة بتوتون ١٣٦/١ (٤) سورة يوسف آ ٣٦ (٥) المحتسب ٢٢٧/١

(ب) ومن القراءات التي احتج لها قراءة يزيد البربري: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» قال أبو الفتح: «ينبغي أن يعلم ما أذكره، وذلك أن أصل وضع المفعول أن يكون فضلة بعد الفاعل كضرب زيد عمراً، وإذا عناهم ذكر المفعول قدموه على الفاعل، فمألو: «ضرب عمرا زيد»، فإذا ازدادت عنايتهم به قدموه على الفعل الناصبه فمألو: «عمرا ضرب زيد»، فإن تظاهرت العناية به عقوده على أنه رب الجملة، وتجاوزوا به حد كونه فضلة، فمألو: «عمرو ضربه زيد» فجاءوا به مجيئاً يتأني كونه فضلة، ثم زادوه على هذه الرتبة فمألو: «عمرو ضرب زيد» فخذفوا ضميره، ونووه ولم ينصبوه على ظاهر أمره رغبة به عن صورة، الفضلة، وتحامياً لنصبه الدال على كون غيره صاحب الجملة، ثم أنهم لم يرضوا له بهذه المنزلة حتى صاغوا الفعل له، وبنوه على أنه مخصوص به، وألفوا ذكر الفاعل مظهراً أو مضمرأ فمألو «ضرب عمر»، فاطرح ذكر الفاعل البتة، نعم. وأسندوا بعض الأفعال إلى المفعول دون الفاعل ألبتة، وهو قولهم أولعت بالشئ ولا يقول «أولعتي به كذا»، ومألو: «ثُلج فؤاد الرجل»، ولم يقولوا «ثُلجته كذا»، وامتنعوا به ولم يقولوا: «امتعمه كذا»، ولهذا نظائر فرض الفاعل هنا البتة، واعتماد المفعول به البتة دليل على ما قلناه فاعرفه وأظني سمعت أو لعني به كذا، وإن كان كذلك فما أقله أيضاً وهذا كله يدل على شدة عنايتهم بالفضلة، وإنما كانت كذلك لأنها تخلو الجملة، وتجعلها تابعة المعنى لها، ألا ترى أنك إذا قلت: «رغبت في زيد»، أفيد منه إيثارك له، وعنايتك به، وإذا قلت: «رغبت عن زيد»، أفيد منه اطراحك له، وإعراضك عنه، ورغبت في الموضوعين بلفظ واحد، والمعنى ما تراه من استحالة معنى رغبت إلى معنى زهدت. وهذا الذي دعاهم إلى تقديم الفضلات في نحو قول الله سبحانه «ولم يكن له كفواً أحد»، وإنما موضع اللام التأخير، ولذلك سيبويه (كذا) إن الجفافة من لا يعلم كيف هي في المصحف يقرؤها «ولم يكن كفواً له أحد».

فان قلت: «فقد قالوا زيدا ضربته فنصبوه»، وإن كانوا قد أعادوا عليه ضميراً يشغل الفعل بعده حتى أضمرُوا له فعلاً ينصبه، ومع هذا فالرفع أقوى وأعرب، وهذا ضد ما ذكرته من جعلهم إياه رب الجملة ومبتدأها في قولهم: «زيد ضربته».

قيل : هذا وإن كان على ما ذكرته فإن فيه غرضاً من موضع آخر ، وذلك أنه إذا نصب على ما ذكرت فإنه لا يعدم دليل العناية به وهو تقديمه في اللفظ منصوباً ، وهذه صورة انتصاب الفضلة مقدّمة ؛ لتدل على قوة العناية به ، لاسيما والفعل الناصب له لا يظهر أبداً مع تفسيره فصار كأن هذا الفعل الظاهر هو الذى نصبه وكذلك يقول الكوفيون أيضاً ، فاذا ثبت بهذا كله قوة عنايتهم الفضلة حتى ألفوا حديث الفاعل معها ، وبنوا الفعل لمفعوله فقال : « ضرب زيد ، حسن قوله تعالى » ، وعلم آدم الأسماء كلها ، لما كان الغرض فيه أنه قد عرفها وعليها وأنس أيضاً عنه المخاطبين بأن الله سبحانه هو الذى علمه إياها بقراءة من قرأه وعلم آدم الأسماء كلها ، ونحوه قوله تعالى : « إن الإنسان خلق هلوعاً وقوله تعالى ، « وخلق الإنسان عجولاً ، هذا مع قوله : « خلق الإنسان من علق ، وقال سبحانه ، « خلق الإنسان عليه البيان ، وقال تبارك اسمه : « خلق الإنسان من صلصال كالفخار ، فقد علم أن الغرض بذلك في جميعه أن الإنسان مخلوق ومضعوف ، وكذلك قولهم : ضرب زيد ، إنما الغرض منه أن يعلم أنه قد ضرب ، وليس الغرض أن يعلم من الذى ضربه ، فإن أريد ذلك ولم يدل عليه فلا بد أن يذكر الفاعل فيقال : « ضرب فلان زيدا ، فإن لم يفعل كلف علم الغيب <sup>(١)</sup> ، ١١

وقد قصدت قصداً إلى نقل ذلك النص بتمامه — كما قصدت إلى نقل نصوص أخرى في هذا الفصل — ؛ ليتضح أسلوب ابن جني في تناوله المسائل العلمية ، ثم لا يفتنى في هذا النص جزء من جزء ، ففهمه والتعليق عليه يدعوان إلى قراءته جملة واحدة دون بتر أو اكتفاء ، ويبدو من هذا النص :

أولاً — ما أشرت إليه منذ حين إلى أن ابن جني إذا ما أحس أنه سيتناول فكرة مبتكرة يستقل بها عن شيوخه : نبه إليها بمثل قوله هنا : « ينبغي أن يعلم ما أذكره ، أو نحو ذلك .

ثانياً — هذا الأسلوب القوي الأسرى مسألة من مسائل النحو ، ويكنى أن ترجع إلى قوله مثلاً : « فإن ظاهرت العناية به عقدوة على أنه رب الجملة . . . » ، أو قوله : « ولم يرضوا له بهذه المئزلة حتى صاغوا الفعل له وبنوه على أنه مخصوص به ، ثم هذه المقابلة في تفسير التعبيرين : « رغبت في زيد ، و « رغبت عنه ، فالأول يفيد

إيثارك له ، وعنايتك به ، والآخريفيد اطراحك له ، وإعراضك عنه الخ...  
ثالثاً — هذا المنطق الخفيف الذى أذابه التدليل السمع فى هوادهولن لا يرهق  
القارى ، ولا يكذب ذهن السامع .

رابعاً — هذا المنهج التعليمى الذى يقدم النظائر المفهومة ليقرب بها ، وقيس  
عليها نظائر أخرى من أشباهها . ذلك قوله :

فاذا ثبت بهذا كله قوة عنايتهم بالفضلة .. حسن قوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء » .

خامساً — ذلك التذوق اللغوى وفهم روح العربية وأسرارها .

سادساً — تحدته فى نظرية النظم التى وضع أساسها لعبد القاهر الجرجانى

من بعده .

سابعاً — أنى لا أجد فرقاً بين ما يقوله ابن جنى هنا وما يقرره المحدثون  
من النقاد والباحثين فى علوم البلاغة والنقد من أن « الفكرة والصورة فى الأسلوب  
كل لا يتجزأ ، ووحدة لا تتعدد ، وليس أدل على اتحادهما من أنك إذا غيرت  
فى الصورة تغيرت الفكرة ، وإذا غيرت فى الفكرة تغيرت الصورة فتقولك « أعنيك » ،  
« غير قولك » ، إياك أعنى ، وقولك ، كل ذلك لم يكن غير قولك : « لم يكن كل ذلك » ،  
وقولك « ما شاعر إلا فلان غير قولك » ، ما فلان إلا شاعر ، فترتيب الالفاظ  
فى النطق لا يكون إلا بترتيب المعانى فى الذهن (١) » .

( ح ) فى احتجاجة لقراءة « فبذلك فلتفرحوا » (٢) برهن على أن هذه القراءة  
خارجة عن أصلها لاستغنائهم ب « اضرب عن لتضرب ونحوه ... » ثم قال : « وكان  
الذى حسن التاء هنا أنه أمرهم بالفرح فخطبوا بالتاء ؛ لأنها أذهب فى قوة الخطاب  
فأعرفه . ولا تقل قياساً على ذلك فلتحزنوا ، لأن الحزن لا تقبله النفس قبول الفرح  
إلا أن تريد لإصغارهم وإزغامهم فتؤكد ذلك بالتاء (٣) » .

أرأيت كيف لام بين التعبيرات المختلفة وطبيعة النفس الانسانية ؟ فالفرح  
مقبول ، والحزن غير مقبول ، ومن هنا حسن فلتفرحوا ، ولم يحسن فلتحزنوا ،  
مستغلاً فى ذلك الاصل النحوى : من أن التاء أذهب فى قوة الخطاب ؟

(١) دفاع عن البلاغة للزيات : ٦٠ (٢) سورة يونس آ ٨١

(٣) المحتسب ١/٣٩٠



ثم ألا تراه قد نبه إلى خروج الأمر عن معناه الحقيقي إلى التهديد والارغام بما يبرر المخاطبة بالحزن بعد أن نهاك، عنه، وحذرك إياه !

ثم ألا تراه — بعد ذلك — كيف استغل الميول الانسانية في الاحتجاج لقراءة مروية ١٩ ثم اقرأ في نحو ذلك حديثه عن قوله تعالى : « نخرجكم طفلاً ، أى أطفالاً ، فبعد أن قرر أصلاً لغوياً هو أن وقوع الواحد موقع الجماعة فاش في اللغة » قال : « وحسن لفظ الواحد هنا شيء آخر أيضاً وذلك أنه موضع إضعاف للعباد ، وإقلال لهم ، فكان لفظ الواحد لقلة أشبه بالموضع من لفظ الجماعة ، لأن الجماعة على كل حال أقوى من الواحد فاعرف ذلك (١) » .

وهكذا يمزج ابن جى في الاحتجاج بين الأصل اللغوى المقرر ، والادراك الفنى المحرر .

(د) ثم إليك هذا النص الذى أنقله — على طوله — لأن فيه امتاعاً ، وابتكاراً ، واستهداء بالحس النفسى ، واعتماداً على الذوق الأدبى ، واتكاه فى التعليل على طبيعة العربى فى التعبير ، وفيه إلى جانب ذلك دمامة ورقة واشباع (٢) ! قال فى الاحتجاج لقراءة يا حسرة على العباد ، يا حسرة العباد :

أما يا حسرة على العباد بالهاء ساكنة ففيه النظر ، وذلك أن قوله على العباد متعلق بها أو صفة لها ، وكلاهما لا يحسن الوقوف عليهما دون وجه ذلك عندى ما أذكره ، ذلك أن العرب إذا أخبرت عن الشيء غير معتمده ولا معتمدة عليه أسرعت فيه ، ولم تتأن على اللفظ المعبر به عنه ، وذلك كقوله « قلنا لها قنى لنا قالت قاف ، معناه وقفت ، فاقصرت من جملة الكلمة على حرف منها تهاوناً بالحال ، وثاقلاً عن الاجابة ، واعتماد المقال ، ويكنى فى ذلك قول الله سبحانه : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » قالوا فى تفسيره هو كقولك لا والله ، بلى والله ! فأين سرعة اللفظ بذكر اسم الله تعالى هنا من التثبت فيه ، والاشباع له ، والمماثلة عليه من قول الهذلى :

فوالله لا أنسى قبلاً رزيتك بجانب قوسى (٣) — ما مشيت على الأرض  
أفلا ترى إلى تطعمك هذه اللفظة فى النطق هنا بها ، وتطعيمك لاشباع معنى القسم عليها ؟

(١) ٢٤٢/١ — ٢٤٣

(٢) هذه هى السمات الظاهرة فى ذلك النص وهناك سمات أخرى يشترك فيها مع نصوص تحدثت عنها فى مناسبات مختلفة من هذا الفصل .  
(٣) اسم موضع أظهر معجم البلدان لياقوت .

وكذلك أيضاً قد ترى إطالة الصوت بقوله من بعده :

بلى إنما تعفو الكلوم وإنما توكل بالآدنى. وإن جل ما يمضى  
أفلا تراه لما أ كذب نفسه، وتدارك ما كان أفرط فيه لفظه أطال الإقامة  
على قوله بلى؛ رجوعاً إلى الحق عنده، وانتكاثاً عما كان عقد عليه يمينه، فأين قوله هنا  
« فوالله ، وقوله « بلى » منهما في قوله : لا والله ، وبلى الله ؟ وعليه قوله تعالى :  
« ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان » ، أى وكدتموها وحققتموها ، وإذا أوليت  
هذا أدنى تأمل عرفت منه وبه ما نحن بسبيله ، وعلى سمته ، وعلى هذا قال سيبويه  
لأنهم يقولون سير عليه ليل يريدون « ليل طویل » وهذا إنما يفهم عنهم بتطويل  
الياء فيقولون : سير عليه ليل ، فقامت المدة مقام الصفة ، ومن ذلك ما تستعمله  
العرب من اشباع مدات التأسيس ، والردف ، والوصل ، والخروج ، عناية بالقافية ؛ إذ كانت  
للشعر نظاماً ، والبيت اختتاماً ، أخبرنا أبو أحمد الطبراني عن شيخ له ذكره عن البحترى  
قال : سمعت ابن الاعرابي يقول : استجيدوا القوافي ؛ فانها حوافر الشعر ، وقال له  
الشجرى في بعض كلامه : « القافية رأس البيت » ، وهذا ليس نقضاً للأول ، وإنما  
غرضه فيه أنها أشرف ما فيه ، كما أن حوافر الفرس هي أوثق ما فيه ، وبها نهوضه ،  
وعليها اعتماده ، ولقد تغنى يوماً خفير لنا بشعر مؤسس نحو قوله : « ألا علاني قبل  
يوم العواذل ، فلعمدى به وهو يطل الآلف حتى يخطو به فرسه الخطوة والعشرين .  
ولولا ظاهر ما في القول لقلت الآكثر . فاذا تجاوز الآلف أسرع عند الدخيل  
فاختلس الذال والروى بعدها ، وكان أيضاً يمدّه بتقبل صدى صوته مع تماديه واغتراق  
أقصى النفس فيه ما كان يعطيه إياه نقل الفرس به ، فان ذلك كان من الآلف ويصنعها  
ويزيل تحيرها والسادجية المملولة عنها . . وإذا كان جميع ما أوردناه ونحوه  
بما استطناء الخذفاه يدل على الأصوات تابعة للعاني فتى قويت قويت ، ومتى ضعفت  
ضعفت . . . علمت أن قراءة من قرأ يا حسرة على العباد بالهاء ساكنة إنما هو لتقوية  
المعنى في النفس ، وذلك أنه موضع وعظ وتنبية ، وإيقاظ وتحذير ، فطال الوقوف  
على الهاء كما يفعله المستعظم للأمر المتعجب منه ، الدال على أنه قد بهره ، وملك عليه  
لفظه وخاطره ، ثم قال من بعد على العباد عاذراً نفسه في الوقوف على الموصول  
دون صلة لما كان فيه ، ودالا للسامع على أنه إنما تجشم ذلك على حاجة الموصول  
إلى صلته ، وضعف الاعراب وتحجره على جملة ؛ ليفيد السامع منه ذهاب الصورة

بالناطق . ولا ينفذ ذلك عليك على ما به من ظاهر انتقاض صنعة ، فان العرب قد تحمل على الفاظها لمعانها حتى تفسد الاعراب لصحة المعنى <sup>(١)</sup>

وهو في مثل هذه الابتكارات يسمح لنفسه بأن يطيل ، ويستطرد من مثال إلى مثال غير خارج عن الموضوع الذى يتحدث فيه ، ويحتاج له .

( هـ ) ثم أقرأ حديثه عن «التضمين» بما يدل على تفهمه لروح العربية ، وغوصه البعيد عن أسرارها ، قال في قراءة : « وما يُخَدِّعون إلا أنفسهم » <sup>(٢)</sup> بضم الياء وفتح الدال : « هذا على قولك ، خدعت زيدا نفسه » ومعناه عن نفسه ، فان شئت قلت على هذا حذف حرف الجر فوصل الفعل ، كقوله عز اسمه واختار موسى قومه سبعين رجلا ، أى من قومه وقوله : « أمرتك الخير » ، أى « بالخير » . وإن شئت قلت : حمل على المعنى فأضمر له ما ينصبه ، وذلك ان قولك خدعت زيدا عن نفسه يدخله معنى انتقصته نفسه ، وملكك عليه نفسه ، وهذا من أسد وأدمت مذاهب العربية ، وذلك أنه موضع يملك فيه المعنى عنان الكلام فيأخذه اليه ، ويصرفه بحسب ما يؤثره عليه ، وجملته أنه متى كان فعل من الأفعال فى معنى فعل آخر فكثيراً ما يجرى أحدهما بجرى صاحبه ، فيعدل فى الاستعمال به اليه ، ويحتذى فى تصرفه حذو صاحبه ، وإن كان طريق الاستعمال والعرف ضد مأخذه ، ألا ترى إلى قول الله ( جل اسمه ) « هل لك إلى أن تزكى » <sup>(٣)</sup> ، وأنت تقول : هل لك فى كذا ؟ لكنه لما دخله معنى أجذبك إلى كذا وأدعوك اليه قال : هل لك أن تزكى ، وعليه قول الفرزدق :

كيف ترائى قالباً بجنى قد قتل الله زياداً عنى

واستعمل عن ها هنا لما دخله من معنى قد صرفه الله عنى ؛ لأنه إذا قتله فقد صرف عنه وعليه قوله تعالى : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم » <sup>(٤)</sup> ، وأنت لا تقول رفثت الى المرأة ؛ وإنما رفثت بها ومعها ، ولما كان الرفث بمعنى الافضاء ، عدى بالى كما يعدى أفضيت بالى ، نحو قولك أفضيت الى المرأة . وهو باب واسع منقاد . . . . فكذلك قوله عز وجل : « وما يُخَدِّعون إلا أنفسهم » جاء على خدعته نفسه لما كان معناه معنى انتقصته نفسه <sup>(٥)</sup> .

(١) ٢٦١/٢

(٢) سورة البقرة آية ٩ (٣) سورة النازعات آية ١٨ (٤) سورة البقرة آية ١٨٧

(٥) ٣١/١

ويبدو في هذا النص أيضاً «المنطق الخفيف» الذى يستقرى الأمثلة، ويستعرض المقدمات : ليستنبط منها النتائج . . . فى غير جفاف ، ولا إرهاق ، ولا تعمل .

( و ) وهو فى نص آخر يتحدث عن « التجريد » حديث الأديب العالم فى تدين وخضوع ، ويتناوله بروح النافذ الموازن المستعرض للنظائر من الشعر القديم ، وشعر المولدين ، فى منطق لا يجفو عن القراء ، ولا ينبو على الأسماع ، ويخرج القراءة الشاذة تخريجاً متضمنة البلاغة فى التعبير ، ويرجحها بذلك على القراءة السبعية :

« ومن ذلك قراءة الحسن ( رضى الله عنه ) : « اهدنا صراط المستقيم » ، قال أبو الفتح : ينبغى أن يكون أراد - والله أعلم - : التذلل لله سبحانه ، وإظهار الطاعة له ، أى قد رضينا منك يا ربنا بما يقال له صراط مستقيم « ولسنا نريد المبالغة فى قول من قرأ : الصراط المستقيم ، أى الصراط الذى قد شاعت استقامته ، وتعملت فى ذلك حاله وطريقته ، فإن قليل هذا منك لنا زاك عندنا ، وكثير من نعمتك علينا ، ونحن له مطيعون ، وإلى ما تأمر به ، وتنهى فيه صائرون . وزاد فى حسن التفكير هنا ما دخله من المعنى ، وذلك أن تقديره : « أدم هدايتك لنا » ، فأنك إذا فعلت ذلك بنا فقد هديتنا إلى صراط مستقيم فخرى حينئذ يجرى قولك : لئن لقيت رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) لتلقين منه رجلاً متناهياً فى الخير ، ورسولاً جامعاً لكل الفضل ، فقد آلت به الحال إلى معنى التجريد كقول الأخطل :

بزوة لص بعد ما مر مصعب بأشعث لا يفلى ، ولا هو يقمل  
ومصعب نفسه هو الأشعث ، وعليه قول طرفة :

جازت القوم إلى أرحلنا آخر الليل يبعفور خدر

وهى نفسها عنده البعفور أنشدنا أبو على :

أقامت بنو مروان ظلماً دماناً وفى الله ان لم يحكوا - حكم عدل

وهو سبحانه أعرف المعارف ، وقد سماه الشاعر حكماً عدلاً ، فأخرج اللفظ مخرج التنكير ، فقد ترى كيف آل الكلام من لفظ التنكير إلى معنى التعريف ، وفيه مع ذلك لفظ الرضا باليسير .

وإذا جاز أن يرضى الإنسان من مخلوق مثله بما رضى به الشاعر من محبوه بما دل عليه قوله : ( أنشده ابن الأعرابي ) :

ولنى لأرضى منك يا ليل بالذى لو ابصره الواشى لقرت بلبله  
بلا ، وبألا أستطيع ، وبالمنى وبالوعد حتى يسأم الوعد آمله  
وبالنظرة العجلى ، وبالحول ينقضى وأخيره لا نلتقى وأوائله

وأنشدني بعض أصحابنا لبعض المولدين :

عَدِينَا ، وَأَكْذِبُنَا ، وَامْطَلِينَا      فَقَدْ أَوَمْتَ مِنْ سُوءِ الْعِقَابِ  
فَلَسْنَا مِنْ وَعِيدِكَ فِي ارْتِيَابٍ      وَلَا مِنْ صَدَقِ وَعْدِكَ فِي اقْتِرَابِ  
وَلَكِنَّا لَشَوْمُ الْجَدِّ مِنَّا      نَفَرْنَا مِنَ الْعَذَابِ إِلَى الْعَذَابِ  
وَعَلَيْهِ قَوْلُ الْآخِرِ :

عَلَّيْنِي بِمَوْعِدٍ      وَامْطَلِي مَا حَيَّيْتُ بِهِ  
وَدَعِينِي أَعِيشَ مِنْكَ      بِنَجْوَى تَطْلُبُهُ

\* \* \*

ونظائرُه كثيرة قديمة ومولدة — كان العبد البر، والزاهد المجتهد، أحرى أن يسأل خالقَه (جل وعز) ومقتضداً في سؤاله ، وضامنا من نفسه السمع والطاعة على ذلك من يأمره .

ويؤكد عندك مذهب ما أنشدته آنفاً ما حدثنا به أبو علي قال : لما قال كثير :  
« ولست براض من خليلي بنائل قليل ، ولا أرضى له بقليل ،  
قال له ابن أبي عتيق :

هذا كلام مكافئ . هلا قلت كما قال ابن الرقيات :

رُقِيَ بِعَمْرٍ كَمَا لَا تَهْجُرُنَا      وَمَنِينَا الْمَنَى ، ثُمَّ امْطَلِينَا  
وأنشدني بعض أصحابنا :

وعلَّيْنِي بِوَعْدِ مَنْكَ آمَلُهُ      إِنْ أَسْرَ — وَإِنْ أَخْلَفْتَ — أَنْ تَعْدَى  
وعليه قول الله عز اسمه : « ولهديناهم صراطا مستقيما ، أى هديناهم من نعمتنا عليهم ، ونظرنا لهم صراطاً مستقيماً .  
وقال كثير :

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى صِرَاطٍ      إِذَا اعْوَجَّ الْمَعَادُ — مُسْتَقِيمٌ  
وهذا كقولك « أمير المؤمنين على الصراط المستقيم ، لا فرق بينهما ؛ وذلك أن مفاد نكرة الجنس مفاد معرفته من حيث كان في كل جزء منه معنى ما في جملة ألا ترى إلى قوله :

وأعلم أن تسليها وتركها      للامتشابهان ، ولا سواء

فهذا في المعنى كقوله : « إن التسليم والترك لا متشابهان ، ولا سواء » (١) .

\* \* \*

وبعد : فقد عقدت هذا البحث من ذلك الفصل للمسائل البلاغية عند ابن جني ،  
وها نحن أولاء نرى كيف تناول من هذه المسائل على هدى من الحس النفسى ،  
والذوق الادبى ، والطبع الانسانى — وهو ما يدعو إليه المجددون من الباحثين  
في هذا الزمان — في تحليل وبراعة ، وغوص على المعانى الدقيقة في يسر وإيجاج .  
ومن الانصاف أن أذكر أن أصول هذه المسائل كان بعضها من مبتكرات ابن جني ،  
وبعضها الآخر أشار إلى أثر شيخه أبي على فيها ، لكنه صبغها بمنهجه في البحث  
والتعليل ، وطبعها بشخصيته في التناول والتعليل ، فجاءت من بعد دالة عليه ،  
مشيرة إليه .

وطريقة ابن جني في الاحتجاج لبعض القراءات التي تتصل بمسائل بلاغية — لها  
دلائلها الكثيرة في أن النحويين القدماء لم يكونوا يعنون بالالفاظ فقط كما اتهمهم  
بذلك المناطق (٢) ، بل إلى جانب ذلك عنوا بالمعاني ، وقدروها حق قدرها ، ويكفي  
أن تقرأ كلمة ابن جني في ذلك إذ يقول : « إن العرب قد تحمل على ألفاظها لمعانيها  
حتى تفسد الاعراب لصحة المعنى » (٣) ، وهذا القول شبيه بما قاله في الخصائص :  
« فان أمكنك أن يكون تقدير الاعراب على سمت تفسير المعنى فهو ما لا غاية ووراءه ،  
وان كان تقدير الاعراب مخالفاً لتفسير المعنى تركت تفسير المعنى على ما هو عليه ،  
وصححت طريق تقدير الإعراب » (٤) .

وقد تناولت هنا مدى تأثير ابن جني بأبي على في المسائل البلاغية ، وحديثه  
عن المعاني فيها ، ومن المهم أن أذكر أن هذا الأثر سار في امتداده حتى شيخ البلغاء :  
« عبد القاهر الجرجاني » الذي يعده الباحثون صاحب « علم المعاني » ، وقد اعتمد  
في أغلبه على مسائل النحو ، وردد في غير دفعة من كتابه « دلائل الإعجاز » ،  
أن هذه التسمية أتته من معاني النحو .

أما كيف امتد هذا الأثر ، وكيف اتصل عبد القاهر الجرجاني بمدرسة أبي على

(١) ١٧/١ - ٢٠

(٢) راجع القابسات لابن حيّان (٣) المحتسب ٢٦١/٢ (٤) الخصائص ٢٩٢/١

في معاني النحو ، فوضعه في القابل من البحث إن شاء الله<sup>(١)</sup> .  
ومن آثار أبي على التي يمكن أن أسميها « آثاراً سلبية » — أن ابن جنى تحامى  
ما وقع فيه أبو على من الاطالة ، والغموض في كتابه الحجة ، قال ابن جنى : « وقد  
كان شيخنا أبو على عمل كتاب الحجة في قراءة السبعة فأغضه ، وأطاله ، حتى منع  
كثيراً من يدعى العربية — فضلاً على القراءة — منه ، وأجفاهم عنه<sup>(٢)</sup> » ويكرر ابن جنى  
ما لاحظته على شيخه في كتاب الحجة من الاطالة ، وأن ذلك قد هاج جفوة القراء  
له ، وأبعد كثيراً من علماء العربية عنه : فبعد أن بين ابن جنى وجوه الاحتجاج  
لقراءة : ثم يدرك الموت قال : « وفيه أكثر من هذا ، إلا أنا نكره ورتحامى الاطالة  
لا سيما في الدقيق ؛ لأنه مما يحفو على أهل القرآن . وقد كان شيخنا أبو على عمل كتاب  
الحجة وظاهر أمره أنه لأصحاب القراءة ، وفيه أشياء كثيرة قلباً ينصف فيها كثير  
من يدعى هذا العلم ، حتى أنه يحفو عند القراء لما ذكرناه ، »<sup>(٣)</sup> .

ومن هنا أراد ابن جنى تقريب كتاب المحتسب على القراء ؛ ليحظوا به ،  
ولا ينأوا عن فهمه ، ولتحقيق هذه الغاية اتخذ الوسائل الآتية :

١ — صاغه بالالفاظ السهلة ، والأسلوب الدمش ، ولا أغفل هنا في تعليل  
ذلك أيضاً — أن ابن جنى أديب : شاعر يقرض الشعر : ونائر تروى له الخطب<sup>(٤)</sup> ،  
فكانت هذه الهبة الطبيعية عوناً له على أن يتخفف من أسلوبه ، ويسره  
على القراء والقارئين .

٢ — اختصر كتابه ، وقلل من ذكر الشواهد ، وابتعد عن الاسهاب  
في الاستشهاد ، والتأدى في الاستطراد ، حتى أنه قال في الاحتجاج لقراءة « لا تنفع  
نفساً إيمانها ، على معنى طاعتها : مثل فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها على معنى  
صحيفة ثم قال : والشواهد على ذلك كثيرة ، لكن الطريق التي نحن عليها مختصرة ،  
قليلة ، قصيرة ومن هنا فضل كتاب أبي حاتم السجستاني في الشواهد<sup>(٥)</sup> عن كتاب قطرب  
من حيث كان كتاب أبي حاتم مقصوراً على ذكر القراءات ، عارياً من الاسهاب  
في التعليل والاستشهادات التي انحط قطرب فيها ، وتناهى إلى متباعد غاياتها<sup>(٦)</sup> .

(١) على الباحثين في تاريخ البلاغة أن يعرفوا بأثر أبي على ومكاته في ذلك التاريخ ، وهو  
ما لم يتنبه إليه أحد منهم — فيما أعلم .

(٢) المحتسب ٢٨٨/١ (٣) ٢٣٦/١ (٤) معجم الأدباء ٩٣/١٢

(٥) المقدمة : ٩ (٦) مقدمة المحتسب : ٩

وذكر مثل ذلك في الاحتجاج لقراءة : « يوم يأتي بعض آيات ربك ، » (١) .  
 ٣ — ترك الخوض في المسائل الدقيقة من أسرار اللغة ، وخصائص العربية في المحتسب ، على حين كان في كتاب الخصائص — مثلاً — متعمقاً ، غواصاً ، مستخرجاً للعاني الدقيقة ، متوسعاً في الحديث عن أسرار العربية ، وكذلك كان في سر الصناعة . . . وآية ذلك أنه عند الاحتجاج لقراءة « فأكثر جدلنا ، تحدث عن طرف من الاشتقاق ، وما تدلى عليه مادة ( ج دل ) ، ثم قال : « ولولا أن القراء لا يفسطون في هذه الطريق لنهت على كثير منه ، بل إذا كان منتحلو هذا العلم ، والمترسمون به قلباً تطوع طباعهم لهذا الضرب منه ، وإن اضطروا إلى فهم شيء من جلته أظهروا التجاهل به ، ولم يشكروا الله ( عز وجل ) على ما لاح لهم ، وأعرض من طريقه ؛ جرياً على عادة مستوخمة ، وإخلاداً إلى خليقة كريمة ، حسدا يريهم ، ونفلا ينجوهم ، وما أقلهم مع ذلك عدداً ، وكذلك هم يحمد الله ولو ضوعفوا مدداً ، فما ظنك بالقراء لو جشموا النظر فيه والتقرى لعزوه ومطاوليه ، ؟ » (٢) .  
 وبينما يقول ذلك في المحتسب ويقتصر على مثال واحد ولا يزيد ، إذ به يورد أمثلة متعددة في كتابه الخصائص في الحديث عن تصاقب المعنى لتصاقب الحروف (٣) ، ويقول : فهذه الطرائق التي نحن فيها حزنة المذاهب ، والنورد لها وعر المسالك ، ولا يجب مع هذا أن تستنكر ، ولا تستبعد (٤) .

وما رأيت يظيل ، أو يذكر ما فيه صنعة إلا إذا أخذ سبيل الاحتجاج لقراءة غريبة ، ظاهرها يدعو إلى التناكر لها ، والتعجب منها . عند ذلك يظيل ، ويتصنع ، ولعل في ذلك ارضاء للقراء ؛ لأنه يحتاج لما رووه وقرءوا به : مثال ذلك في احتجاجة لقراءة ابن عباس وابن سيرين : « ولا أدرا تكم به ، » قال : « هذه قراءة قديمة التناكر لها ، والتعجب منها ، ولعمري أنها في بادئ أمرها على ذلك ، غير أن لها وجهاً وان كان فيه صنعة واطالة وطريقة . . . . ثم ختم احتجاجة بقوله :  
 « وهذا وإن طالت الصنعة فيه — أمثل من أن تعطي اليد بفساده ، وترك النظر في أمره ، » (٥) ، وانظر احتجاجة لقراءة « ثم يدرك الموت ، » (٦) .

(١) المحتسب ١/ ٢٨٨

(٢) ١/ ٤٠٠ — ٤٠١ والعزور : السبي الخلق (٣) ص ٣٧ وما بعدها

(٤) الخصائص ١٠ (٥) ١/ ٣٨٤ (٦) ١/ ٢٣٣



## رسم المصحف ومدى اعتماد ابن جنى عليه في الاحتجاج

وابن جنى يستشهد برسم المصحف ، ويعتمد عليه إذا أيد الرسم ما يذهب إليه ، ولذا كان رسم المصحف متفقاً هو وسنن العربية ، ولا يخالف أصلاً من أصولها ، وذلك مارواه ابن مجاهد عن ابن عباس في مصحف ابن مسعود ، « ولما يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل ويقولان ربنا <sup>(١)</sup> » ، وفيه « والذين اتخذوا من دونه أولياء قالوا ما نعبدكم <sup>(٢)</sup> » وفيه « والملائكة باسطوا أيديهم يقولون أخرجوا <sup>(٣)</sup> » قال أبو الفتح : « في هذا دليل على صحة ما يذهب إليه أصحابنا من أن القول مراد مقدر في نحو هذه الأشياء ، وأنه ليس كما يذهب إليه الكوفيون من أن الكلام محمول على معناه دون أن يكون القول مقدراً معه ، وذلك كقول الشاعر :

رجلان من ضبة أخبرانا أما رأينا رجلا عريانا  
فهو عندنا نحن على قالا ، وعلى قولهم : « لا إضمار قول هناك ؛ لكنه لما كان أخبرانا في معنى قالا لنا صار كأنه قال : « قالا لنا ، فأما على إضمار قالا في الحقيقة فلا وقد رأيت إلى قراءة ابن مسعود كيف ظهر فيها ما يقدره من القول ، فصار قاطعاً على أنه مراد فيما يجرى مجراه <sup>(٤)</sup> .

ونراه هنا يخرج القراءة على ما يذهب إليه البصريون من تقدير القول في نحو هذه الآيات ، ويجعل دليلاً في تخريجه وتأيد مذهبه النحوي مارواه ابن مجاهد في مصحف ابن مسعود .

كذلك استعان ابن جنى في الاحتجاج لقراءة « فلما تبينت الأنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا حولاً في العذاب المهين <sup>(٥)</sup> » ، وأولها معتمداً على ما جاء في مصحف عبد الله <sup>(٦)</sup> .

ثم نراه لا يلتفت إلى الدليل الذي استشهد به يحيى بن الحارث في قراءته ، ولنظر كيف فعلون ، بنون واحدة . قال ابن شعيب : فقلت له : « ما سمعت أحداً يقرؤها ، قال يحيى : « هكذا رأيتها في الإمام مصحف عثمان . قال أبو الفتح : ظاهر هذا أنه أدغم نون تنظر في الظاء ، وهذا لا يعرف في اللغة ، ويشبه أن تكون مخففة ، فظنها القراء مدغمة على عادتهم في تحصيل كثير من الاختفاء إلى أن يظنوه مدغماً <sup>(٧)</sup> .

(١) س ١ آية ٨٣ انظر المصاحف المسجستاني : ٥٧

(٢) س ٣٩ آية ٣١ انظر SURA XXXIX P. 81 من مادة وتاريخ المصاحف: JEFERY

(٣) س ٦ آية ٩٣ س ٤١ من المصدر السابق (٤) ١١٢/١ - ١١٣

(٥) س سبأ آية ١٤ (٦) ٢٣٥/٢ وما بعدها (٧) ٣٨٤/١

## ابن جنى وسيبويه

وعما يتفق فيه مع شيخه أنه استعان بشواهد سيبويه في توثيق القراءات التي احتج لها في كتابه المحتسب ، وجاءت استعانتها بهذه الشواهد دليلاً على تفهم الكتاب وما يدل عليه شواهد ، ومقايضة هذه الشواهد بما ورد في القراءات من أوجه إعرابية ، واعتبار هذه بتلك ، وتفصيله الكلام في هذه الشواهد بما يعد شرحاً لها وتعليقاً عليها .  
اقرأ مثلاً احتجاجه لقراءة « أخكم الجاهلية ييغون » ، بالياء ورفع الميم <sup>(٢)</sup> ، وقد خطأ هذه القراءة ابن مجاهد ، وأنكرها الأعرج جملة <sup>(٣)</sup> .

وعلق ابن جنى على تخطئة ابن مجاهد بما مضمونه : هذه القراءة وجه ، غيره أقوى منه ، وهو جائز في الشعر قال أبو النجم :

قد أصبحت أم الخيار تدعى على ذنباً ، كله لم أصنع  
أى لم أصنعه ، لحذف الهاء ثم ، ولو نصب فقال كله لم ينكر الوزن ، فهذا يؤنسك بأنه ليس للضرورة مطابقة بل لأن له رجحاً من القياس ، وهو تشبيه عائد الخبر بعائد الحال أو الصفة ؛ وهو إلى الحال أقرب ؛ لأنه ضرب من الخبر ، فالصفة كقولهم : الناس رجلان : رجل أكرمت ، ورجل أهنت ، أى أكرمته وأهنته . والحال كقولهم : مررت بهند يضرب زيد ، أى يضربها زيد لحذف عائد الخبر ، وهو في الصفة أمثل لشبه الصفة بالصلة في نحو قولهم : « أكرمت الذى أهنت أى أهنته » ، ومررت بالتي لقيت أى لقيتها ، فغير بعيد أن يكون قوله : « أخكم الجاهلية ييغون » ، يراد به ييغونه ثم يحذف الضمير ، وهذا وإن كانت فيه صفة فإنه ليس بخطأ <sup>(٤)</sup> .

واعتبر ما قاله ابن جنى هنا بما ذكره سيبويه في الكتاب <sup>(٥)</sup> — تر أن ابن جنى أضفى على عبارة سيبويه وضوحاً ، وزادها بياناً ، وذيلها تعليقا ، وقايس ما أورد سيبويه بما قرأ يحيى ، وإبراهيم السلى ، « أخكم الجاهلية ييغون » <sup>(٥)</sup> ، واحتج لهذا الوجه من القراءة بما يدل على حضور الذهن ، وإفادة من الكتاب ، واتكأ عليه ، واعتداده <sup>(٦)</sup> .

ثم اقرأ النص الآتى نجد طرفاً آخر لابن جنى في موقفه من سيبويه :

(١) ٢٥٣/١ (٢) انظر المصدر السابق

(٣) المحتسب ٢٥٣/١ (٤) ٤٤/١ وما بعدها (٥) المحتسب ٢٥٣/١

(٦) وانظر مثلاً آخر لذلك في احتجاجه لرواية الخولان عن قالون عن شيبه أو آوى إلى

رصكن شديد ( المحتسب ٤٠٦/١ - ٤٠٧ )

جاء في المحتسب : ومن ذلك — ما حكاه ابن سلام قال : قال سيويه : « كان عيسى بن عمر يقرأ : « على تقوى من الله ، قلت : « على أى شيء نون ؟ قال : « لا أدري ولا أعرفه ، قلت فهل نون أحد غيره ؟ قال : « لا ، .

قال أبو الفتح : « أخبرنا بهذه الحكاية أبو جعفر محمد بن علي بن الججاج عن أبي خليفة الفضل بن حباب عن محمد بن سلام ، وأما التنوين فإنه — وإن كان غير مسموع إلا في هذه القراءة — فإن قياسه أن تكون ألفة للحاق لا للتأنيث كمتري فيمن نوّن وجعلها ملحقة بجعفر وكان الأشبه بقدر سيويه ألا يقف في قياس ذلك وألا يقول : « لا أدري ، ولولا أن هذه الحكاية رواها ابن مجاهد ، ورويناها عن شيخنا أبي بكر لتوقفت فيها ، فأما أن يقول سيويه : « لم يقرأ بها أحد لجائز يعني فيما سمعه ، لكن لا عذر له في أن يقول : « لا أدري ، لأن قياس ذلك أخف وأسهل على ما شرحنا من كون ألفة للحاق (١) .

وهذا النص فوق أنه يشير إلى أن أوجه القراءات كانت موضع نقاش بين النحاة القدامى ، وإلى اعتداد ابن جني بالرواية — يدل على الحقائق الآتية خاصة بابن جني وسيويه :

(١) وقوف ابن جني أمام عبارات سيويه يتفهمها . ويحللها ، ويقومها . وآية ذلك أنه لا يرى وجها لقول سيويه : لا أدري ! على حين يفسر قوله : « لم يقرأ بها أحد على وجه مما من التعليق .

(ب) تقديره سيويه . وذلك قوله : « وكان الأشبه بقدر سيويه ... الخ (ج) اللطف في تصحيح رأى سيويه والاعتراض عليه ، والصيرورة لما ذهب إليه اعتداداً به — إن كانت هناك مندوحة — وذلك قوله : « ولولا أن هذه الحكاية رواها ابن مجاهد ورويناها ... لتوقفت فيها ، .

(د) الاعتذار لسيويه ما وجد إلى الاعتذار سيلاً : فهو يفسر قوله : « لم يقرأ بها أحد بما يشبه الاعتذار لا التجهيل .

وانك لتلح تردد ابن جني — بين تصحيح القراءة المروية مرة ، والاعتداد بما ذهب إليه سيويه وتفسيره له من انكار عليه — تلح ذلك في احتجاجه لقراءة محمد بن مروان ، وعيسى الثقفي ، وابن أبي اسحق هن أطهر لكم . قال أبو الفتح : ذكر سيويه هذه القراءة ، وضعفها وقال فيها : « احتج ابن مروان في الحنّه ، ،

ولما قبح ذلك عنده لأنه ذهب إلى أنه جعل من فصلا ، وليست بين الجزءين اللذين هما مبتدأ وخبر ونحو ذلك كقولك : « ظننت زيدا هو خيرا منك » ، « وكان زيدا هو القائم » . وأنا من بعد أرى أن لهذه القراءة وجهاً صحيحاً ، وهو أن تجعل من أحد جزئى الجملة ، وتجعلها خبراً لبناتى كقولك زيد أخوك هو ، وتجعل أظهر حالا من من ومن بناتى ، والعامل فيه معنى الإشارة كقولك : « هذا زيد هو قائماً أو جالسا أو نحو ذلك فعلى هذا مجازه ، فأما على ما ذهب إليه سيويه ففساد كما قال <sup>(١)</sup> .

فاذا اتفق قول سيويه مع ما يراه من توجيه للقراءة المروية فقد اكتملت عنده أسباب الاحتجاج ، وعندئذ تراه يهاجم فى صراحة ، وعنف من يخالف سيويه ، ويدفع عنه فى حماسة من يعترض عليه :

أورد فى الاحتجاج لقراءة : « ويعلمهم الكتاب » <sup>(٢)</sup> بسكون الميم بيت الكتاب :

فاليوم أشرب غير مستحقب لئماً من الله ، ولا واغل

ثم قال : « وأما اعتراض أبى العباس هنا على الكتاب فانما هو على العرب لا على صاحب الكتاب لأنه حكاه كما سمعه ، ولا يمكن فى الوزن أيضاً غيره ، وقول أبى العباس : إنما الرواية فاليوم أشرب ، فكأنه قال لسيويه : « كذبت على العرب ، ولم تسمع ما حكيتهم عنهم » ، وإذا بلغ الأمر هذا الحد من السرف فقد سقطت كلفة القول معه . وكذلك انكاره عليه أيضاً قول الشاعر : « وقد بدا هنك من المنزر ، فقال إنما الرواية : « وقد بدا ذاك من المنزر » ، وكذا الاعتراض عليه فى إنشاده قوله :

لا بارك الله فى الغوانى هل يصحبن إلا لمن مطلب

ثم قال : « ولو كان إلى الناس تخير ما يحتمله الموضع والسبب اليه لكان الرجل أقوم من الجماعة عنه ، وهكذا يقف ابن جنى من سيويه مدافعاً وموقراً على هذه الصورة البالغة من الدفاع والتوقير ، والبادية فيما قال عنه بأخرة هذا النص ، حيث جعله أقوم من الجماعة بالتخير ، وأوصل الى المراد منه ، وأنى للشغب عنه .

وحاماة ابن جنى عن سيويه على هذا النحو ، ورد الاعتراض عليه من أبى العباس المبرد هو طريق أبى على فى مجابهة أبى العباس ، لا يختلف التليذ عن الشيخ فى شيء من ذلك . وقد مر بك من قبل البيان .

وابن جنى فى سبيل الاحتجاج للقراءات يستفتى كل شيخ يعين ، ويأتس بكل رأى يؤيد ، ويستشهد بلهجات القبائل يعتمد عليها فى تقرير ما هو بسبيله من احتجاج ، ومن أجل ذلك تراه يتخلى عن العصبية المذهبية ، أو الآراء الطائفية ، ما دام ذلك يحقق له ملاك هدفه فى كتابه المحتسب ؛ وهو توثيق القراءات التى عدما غيره شواذ : فرجال البصرة ورجال الكوفة البغداديون كل أولئك عنده سواء ، يستشهد بسيوييه ، كما يستشهد بالكسائى وتعلب فى غير موالاة أو معاداة ، ويثنى على الكسائى ، كما يثنى على إمام النحاة ، ويقرر الحقيقة غير متحيز إلى فئة :

احتج لقراءة : « وما يُخَدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ » ، بأنها جاءت على خدعته لما كان معناه معنى انتقصته نفسه . ثم قال : ورأيت أبا على ( رحمه الله ) بذهب إلى استحسان مذهب الكسائى فى قوله :

إذا رضيت على بنو قشير      لعمر الله أعجبنى رضاها  
لأنه قال : عدى رضيت بعلى كما تعدى نقيضتها وهى سخطت به ، وكان قياسه رضيت عنى . وإذا جاز أن يجرى الشئ بجرى نقيضه فاجراؤه بجرى نظيره أسوغ ، فهذا مذهب الكسائى وما أحسنه (١) ١١

وانظر بعد ذلك استشهاد الكسائى فى توجيه قراءة : « وهذا بعلى شيخ » ، (٢) وهو فى هذا ونحوه يعتد بالكسائى حتى أنه ليروى قول الكنانى يمدح الكسائى :  
أبى النعمان أخلاق الكسائى وانتهى      به المجد أخلاق الأبى السوابق (٣)  
ولكنه يتخلى عن هذه النزعة ، ويلبس ثوب بصريته ، ويهاجم الكسائى لازعاً ، وذلك حيث يقول الكسائى فى قول عنزة :

ولقد شنى نفسى وأبرأ سقمها      قيل الفوارس ويليك عنتر! أقدم  
أراد ويليك ثم حذف اللام . فلا يقبل ابن جنى تأويل الكسائى أو تعليله ، فنقول : « وهذا يحتاج إلى خبر نبى ليقبل » ، (١) ١١

## ابن جنى والفراء

اتصل ابن جنى بالفراء عن طريق شيخه أبى على الذى روى له كتاب المعانى عن ابن مجاهد عن الفراء (١).

على أن خطة ابن جنى فى كتابه المحتسب من حيث اعتداده بالشواذ تقرب من خطة الفراء ، وقد قلت فى تقديم معانى القرآن للفراء : « إن الملاك العام عنده الاعتداد بالشاذ وتصويب القراءة به ، ما دامت موافقة لوجه من وجوه العربية ، وقدمت على هذه القضية الأدلة المدعومة بالاستشهادات من نصوص الفراء فى كتابه معانى القرآن . وإن كان هناك من فرق بين الرجلين فهو أن ابن جنى يوثق القراءة المشددة بالرواية بجانب موافقتها وجهاً من وجوه العربية ، وبذلك تزداد عنده درجة التوثيق على هذا النحو ؛ لأن الفراء يكتفى بأن توافق ، القراءة وجهاً من وجوه الصنعة الاعرابية واللغوية من غير نظر إلى الطرق المروية إلا فى القليل .

فاذا تحدث الفراء عن مذهبه الكوفى ، وخالفه فى ذلك ابن جنى بما له من مبول بصرية — بدا ابن جنى وقد شدد الهجوم فى غير هوادة أو لين :

ومن ذلك ما حكاه الفراء عن بعض القراء ، وفيما ذكر ابن مجاهد : يَخْطَفُ بنصب الياء والخاء والتشديد .

قال ابن مجاهد : وحكى الفراء « أن بعض أهل المدينة يسكن الخاء والطاء ، ويشدد فيجمع بين ساكنين . » قال ابن مجاهد : « ولا نعلم أن هذه القراءة رويت عن أهل المدينة ، .

قال أبو الفتح : « هذا الذى يميزه الفراء من اجتماع ساكنين فى نحو هذا لا يثبت أصحابنا ، وإنما هو اختلاس وإخفاء بلطف عليهم ، فيرون أنه إدغام ، وإنما هو إخفاء للحركة ، وإضعاف الصوت ، وهذا كما يروى فى قوله :  
« ومسحه مر عقاب كاسر ،

« صدر البيت : كأنها بعد كلال الزاجر (٢) .

إن الخاء مدغمة فى الهاء . وبأيت شعرى كيف يجوز لذى نظر أو من يخلد إلى أدنى فكر أن يدعى أن هنا ادغاما ، وأن تجمع بين ساكنين ، وقد قابل به جزء التفعيل ، وإذا وقع النحاحم إلى بديهة الحس فقد سقطت كلفة اتعاب النفس ، ألا ترى

أن وزن قوله « ومسحبي » <sup>(٢)</sup> مفاعلن فالخاء مقابل بها علن على والعين أول الوند .  
وهي كما ترى وتعلم محركه أيقابل في الوزن الساكن بالمتحرك ؟ وإذا أفضى الأمر  
في السفور الى هاهنا حسر شبهة اللبس والعناء ، <sup>(٣)</sup> .

ثم نراه يستشهد بأحمد بن يحيى ثعلب — خدم مثلاً لذلك احتجاجه لقراءة « فضحكت » <sup>(٤)</sup>  
فتحاً <sup>(٥)</sup> ، ويرجع استشهاده بأحمد بن يحيى — فوق السبب الذي كرت الى أن شيخه أبا بكر  
محمد بن الحسن <sup>(٦)</sup> قرأ على أحمد بن يحيى وسمعه ونقل عنه <sup>(٧)</sup> ، ثم أن ثعلباً خصم لمحمد بن الحسن  
هاجم سيئويه ، وحسبك هذا سبباً يجعل ابن جني يعتقد بأحمد بن يحيى وينقل عنه .  
وابن جني يدل على بغيته للحق ، ونصرته له في احتجاجه لقراءة محمد بن السميع  
« قرح » <sup>(٨)</sup> بفتح القاف والراء وذلك حيث يقول : « ظاهر هذا الأمر أن يكون فيه  
لغتان : قرح ، وقرح كالحلب والحلب . . . وفيه أيضاً قرح على فعل يقرأ بها  
جميعاً ثم لا أبعد من بعد أن تكون الخاء لكونها حرفاً حلقياً يفتح ما قبلها كما تفتح  
نفسها فيما كان ساكناً من حروف الحلق نحو قوله في الصخر الصخر . . . ولعمري  
إن هذا عند أصحابنا ليس أمراً راجعاً الى حرف الحلق لكها لغات ، وأما أرى  
في هذا رأى البغداديين في أن حرف الحلق يؤثر هنا من الفتح أثراً معتمداً معتمداً ،  
فلقد رأيت كثيراً من عقيل لا أحصيهم يحرك من ذلك ما لا يتحرك أبداً لو حرف  
الحلق وهو قول بعضهم : نحوه يريد نحوه وهكذا ما لا توقف في أنه أمر راجع  
إلى حرف الحلق لأن الكلمة بنيت عليه ألته . . . وبعد أن دلت على ذلك ، وذكر  
ما سمعه من الشجرى اعتداداً بقول البغداديين قال : « ولا قرابة بيني وبين البصريين  
لكنها بيني وبين الحق والحمد لله » .

وتلك غاية ما يسمو اليه منصف فيما يقرر من رأى ، وفيما يصدر من أحكام .  
ذلك كان شأن ابن حنن في المحتسب ، لأن هدفه الأول الاحتجاج للقراءة التي شذت ،  
فاستعان بالمذاهب الأخرى ، ووجد فيها مقعماً ومحتجاً . وهذا يفسر لنا مهاجمته  
في الخصائص — مذهب البغداديين — الذي قال به أنفاً — وذلك قوله : « وسمعت  
الشجرى أبا عبد الله غير دفعة يفتح الحرف الحلق في نحو : « يعدو وهو محموم »  
ولم أسمعا من غيره من عقيل ، فقد كان يرد علينا منهم من يؤنس به ، ولا يبعد

(١) في النسخة : ومرحى (٢) المحتسب : ٤٢/١ (٣) سورة هود آية ٧١  
(٤) ٤٠٣/١ — ٤٠٤ (٥) المحتسب : ٢٣٦/٢ (٦) طبقات انقراء : ١٢٣/٢  
(٧) سورة آل عمران آية ١٤٠

عن الأخذ بلفته ، وما أظن الشجرى إلا استهواه كثرة ما جاء عنهم من تحريك حرف  
الحلق بالفتح إذا انفتح ما قبله في الاسم على مذهب البغداديين نحو قول كثير :

له لَعَل لا تطبي الكلب ريحها وإن جعلت وسط المجالس شمت  
وقال أبو النجم :

وجبلا طال معداً فاشمخر أشم لا يستطيعه الناس الدهر

وهذا قد قاسه الكوفيون ، وإن كنا نحن لا نراه قياساً ، لكن مثله يعدو وهو  
محموم لم يرو عنهم فيما علت . فإياك أن تخلد إلى كل ما تسمعه ، بل تأمل حال  
مورده ، وكيف موقعه من الفصاحة فاحكم عليه وله <sup>(١)</sup> .

موقفان مختلفان لابن جني يحذر في الخصائص أن نخلد إلى تحريك حرف الحلق  
بالفتح إذا انفتح ما قبله في الاسم على مذهب البغداديين ، ويرى أن ذلك لا يقاس  
عليه ، فإذا احتج في المحتسب ، لقراءة وقرح ، رأى ما يرى البغداديون من أن حرف  
الحلق يؤثر في الفتح أثراً معتمداً معتمداً <sup>(٢)</sup> . ثم يقرر أن الذي يراه من رأى البغداديين  
هو الحق الذي يقرب وحده بينه وبين النحويين : بصريين كانوا أو بغداديين .  
ولا أرى سبباً في تفسير هذين الموقفين إلا اتئناسه بالآراء الموثقة للشواذ  
من القراءات وربما كان لاستقراره الذهني أثر في رحابة صدره نحو المذاهب النحوية  
واللغوية المختلفة . قد يكون ذلك ، ولكنني إلى السبب الأول أميل ، وبه أقول .  
ولم يكن ذلك التناقض غريباً من ابن جني ؛ فاستفتاؤه الشيوخ ، وتخليه عن العصبية  
الطائفية ، والتماس وجه الحق وحده أمر يمليه عليه عمله في الاحتجاج لقراءات  
تمت بصلة قوية إلى آراء النحاة من هؤلاء وهؤلاء . ومن أجل ذلك أيضاً احتج  
بلهجات القبائل المختلفة ، ونظر إليها معتمداً عليها في توثيق الشاذ من القراءات  
إذ كان صورة من هذه اللهجات ، وكانت استعانتها باللهجات في كثرة ظاهرة دفعت  
الاستاذ أحمد تيمور ( رحمه الله ) إلى أفراد ثبت خاص لهذه اللهجات في صدر  
كل جزء من جزأى المخطوطة في خزائنه . والنظر في هذه اللهجات يفيد كثيراً في تحليل  
القراءات ورجعها إلى أصولها من لهجات القبائل : ما كان منها راجعاً إلى الضبط الحركي ،  
أو اختلاف المعنى مع اتحاد الحروف ، أو اختلاف الحروف مع اتحاد المعنى .  
واليك بعض أمثلة من ذلك :



الضبط الحركي	اختلاف المعنى مع اتحاد الحروف	اختلاف الحروف مع اتحاد المعنى
صُنَوَان (تميم) صِنَوَان (الحجاز) القِطْرَان (تميم) كَلِمَةٌ <sup>(٣)</sup> اسكان العين من فُعل يقولون في رُسُل رُسُل لغة تميم والتثقيب لغة الحجاز <sup>(٥)</sup> بَحَرٍ وشَعَرٍ (عقيل) <sup>(٦)</sup> نَحْوَهُ في نَحْوِهِ <sup>(٧)</sup> وانظر <sup>(٨)</sup>	يُئِسَّ بمعنى علم (هيبيل نفذ من النخم <sup>(١)</sup> )	الجذف (تميم) ، الجذث (الحجاز) <sup>(٢)</sup> صَوَاغ (تميم) صَبَاغ (الحجاز) <sup>(٤)</sup> أعطأتك في أعطيتك (عقيل) هُدًى قلب الألف من آخر المقصورياء وهي لغة فاشية في هذيل وغيرهم <sup>(٩)</sup>

هذه أمثلة لأنواع من اللهجات قسمتها على هذا النحو ، وقد لاحظت أن ابن جني  
يكثر من الاستشهاد بعقيل ، وإنك لتجد ذلك متردداً غير دفعة من كتابه المحتسب ،  
فتراه في الاحتجاج لقراءة « من قتل نفساً بغير نفس أو فساداً في الأرض »<sup>(١٠)</sup>  
بنصب فساداً — يقول : ينبغي أن يكون ذلك على فعل محذوف يدل عليه أول  
الكلام ، وسمعت غلاماً حدثاً من عقيل ومعه سيف في يده فقال له بعض الحاضرين  
وكنا مصحرين : يا أعرابي سيفك هذا يقطع البطيخ فقال : أى والله وغوارب  
الرجال ! ، فنصب الغوارب على ذلك . أى ويقطع غوارب الرجال<sup>(١١)</sup> .  
أو تراه يقول مثلاً : « ورأيت كثيراً من عقيل لا أحصيهم يحرك مالا يتحرك  
أبدأ لو حرف الحلق<sup>(١٢)</sup> » ... ، وفي الخصائص يقرر أنهم كانوا يردون عليه<sup>(١٣)</sup> ...  
وقد دعاني هذا إلى التعرف على مساكن بني عقيل ، وأين هي من الأماكن التي تنقل  
فيها ابن جني ، فاستشرت القلقشندي في صبح الأعشى فعرفت أن بني عقيل قد تغلب

(١) ١٢/٢ (٢) ١٠٠/٢ (٣) ٢٥/٢ و ٢٦ (٤) ١٧٥/١

(٥) ٢٤٥/١ (٦) ٧٧/١ (٧) ١٩٧/١ (٨) ٢٨٥/١ (٩) ٦٧/١

(١٠) سورة المائدة آية ٣٢ (١١) ٢٥٢/١ (١٢) ١٧١/١

عليهم بنو تغلب فطردوهم من البحرين فساروا إلى العراق ، وملكوا الكوفة والبلاد الفراتية ، وتغلبوا على الجزيرة والموصل ، وملكوا تلك البلاد ، وكان منهم المقلد وقرواش وقريش وابنه مسلم ملوك الموصل ، وبقيت بأيديهم حتى غلبهم عليها ملوك بني ساجوق<sup>(٤)</sup> والعراق ، والبلاد الفراتية ، والجزيرة ، والموصل كلها شهدت ابن جنى متنفلاً فيها بل إن الموصل موطنه ومسقط رأسه واليها ينسب<sup>(٥)</sup>.

ولإذن فقد أراد ابن جنى أن يستمع إلى الفصحاء ويشافهمهم ، ويسلك سنة الأئمة الأولين كالخليل بن أحمد ، ومن لف لفه في الأخذ عن الأعراب في البوادي ، يحدث غلبانهم ، ويطاول شيوخهم . وهذا ما تراه بادياً في مثل قوله : ، ورأيت كثيراً من عقيل لا أحصيهم<sup>(٦)</sup> . « أو يقول : ، حضرتي قديماً بالموصل أعرابي عقيلي مجوشى تيمى يقال له محمد بن العساف الشجرى ، وقلنا رأيت بدوياً أفصح منه ، فقلت له يوماً شغفاً بفصاحته ، والتذاذاً بمطاولته ، وجرياً على العادة معه في إيقاظ طبعه ، واقتداح زند فطنته<sup>(٧)</sup> . « والحق بالك إلى وصف ابن العساف بالفصاحة ، ثم إلى ما يقرره ابن جنى من تلذذه بمطاولته ، وأن ذلك عادة جرى عليها معه ، . . . ويتنفع ابن جنى بذلك في تقرير خصائص العربية ، والاحتجاج للقراءات المروية ، وكثيراً ما كان يذهب إلى هؤلاء الأعراب في بوادهم ، يرصد أحاديثهم ، ذلك قوله : سمعت غلاماً حدثاً من عقيل وكنا مصحرين<sup>(٨)</sup> . أو سألت غلاماً من آل الميها فصيحاً<sup>(٩)</sup> وقد كثر سماعه<sup>(١٠)</sup> ، ومسألته<sup>(١١)</sup> للشجرى أبى عبد الله ، ومحمد بن العساف<sup>(١٢)</sup> .

\*\*\*

وبعد ، فقد كانت استعانة ابن جنى باللهجات العربية المختلفة في الاحتجاج للقراءات الشاذة أكثر من استعانة شيخه أبى على في احتجاجه لقراءات السبعة . ويبدو ذلك أمراً طبيعياً يسير التعليل ، ذلك أن القراءات الشاذة كانت صورة للهجات مفرقة في قبائل متعددة ولم يرزق كثير من هذه القبائل حظاً من الشهرة بين العرب ، فشذذت القراءات التي تصور لهجات هذه القبائل ، وكان عمل ابن جنى تصحيح النظر إلى هذه القراءات لجأ حديثه عن لهجات القبائل على صورة أوسع من حديث شيخه أبى على الذي احتج لقراءات تتصل باللهجات قبائل مشهورة فأغناه ذلك عن الإشارة إليها ، أو ذكر أسمائها .

(١) انظر الخصائص : ١٠ / ٤٠٩ (٢) صبح الأعشى : ١ / ٣٤٢ (٣) تركة الألباء : ٢٢٠

(٤) المحتسب : ١ / ١٩٧ (٥) معجم الأدباء : ١٢ / ١٠٥ (٦) الخصائص : ١ / ٨٠

(٧) الخصائص : ٨٠ ، ٤٠٩ والمحتسب : ١ / ١٩٧ (٨) الخصائص : ١ / ٣٤٢

(٩) معجم الأدباء : ٢ / ١٠٥ والخصائص : ٧٨ (١٠) المحتسب : ١ / ٢٥٢

## ابن جنى وأبو بكر بن مجاهد\*

تعقب ابن جنى أبا بكر ابن مجاهد فى كثير من المواضع ، وكان من الطبيعى ذلك التعقب ، ذلك أن ابن جنى فى كتابه المحتسب يمتنع للشواذ من القراءات ويوثقها ، ويرجعها إلى سند من الرواية وأصل من أصول العربية . وهى بذلك الاعتبار موثقة

\* حاشية — استقصيت احتجاج ابن جنى للقراءات التى عذب من أجلها ابن شذوذ فوجدت منها

(١) فامضوا إلى ذكر الله . قال أبو الفتح فى هذه القراءات تفسير للقراءة العامة فامضوا إلى أى فاقصدوا وتوجهوا وليس فيه دليل على الاسراع وإننا الفرض المضى إليها (المحتسب ٢/٣٨٩)  
(٢) وتكملون شكركم أنكم تكذبون (س ٥٦ آية ٧٩) . قال أبو الفتح هو على حذف

مضاف أى تفعلون بدل شكركم ومكان شكركم تكذبون ، ومثله قول العجاج :

رئيتنه حتى إذا تمعددا  
كان جزأى بالمعا أن أجددا  
أى كان مكان جزأى الجلد بالمعا (المحتسب : ٢/٢٧٨) .

(٣) كل سفينة صالحة غصبا . لم ترد فيما احتج له من الشواذ (١).

(٤) كالصوف المنقوش . (سورة القارعة لاشئ فيها) (٢) .

(٥) قال يوم تنجيك بيدك وردت .

(٦) ثبت يدا أبى لهب وقد تب . لم يورد هذه القراءة (٣).

(٧) فلما خر تبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا حولاً فى العذاب المهين .

قراءة ابن عباس والضحاك وأبى عبد الله وعلى بن حسين تبينت الانس ، قال أبو الفتح أى تبينت الانس أن الجن لو علموا بذلك مالبثوا فى العذاب يدل على صحة هذا التأويل مارواه معين عن قتادة قال فى مصحف عبد الله . تبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا (٤) .

(٨) والذكر والأنتى (س ٩٢/٣) بغير ما . النبى (صلى الله عليه وسلم) وعلى بن أبى طالب

وابن مسعود وأبو الدرداء وابن عباس (رضى الله عنهم) قال أبو الفتح فى هذه القراءة شاهد بما أخبرنا به أبو بكر محمد بن الحسن عن أبى العباس أحمد بن يحيى من قراءة بعضهم وما خلق الفكر والأنتى . وذلك أنه جره لسكونه بدلاً من ما فقرأه النبى صلى الله عليه وسلم شاهد بذلك (٥) .

(٩) فقد كذب الكافرون فسوف يكون لزاماً س ٧٧/١٢٥ . قراءة ابن عباس وابن

الزبير فقد كذب الكافرون قال أبو الفتح : وهذا مما ترك فيه لفظ الحضور إلى الغيبة ألا ترى قبله قل ما يعابى بك ربى لولا دعاؤكم فقد كذب الكافرون (٦) .

(١٠) ويهنون عن المنكر ويستغيثون الله على ما أصابهم وأولئك هم المفلحون (٧) .

(١١) وفساد عريض (٨) .

(١) انظر المحتسب : ٥٩/٢ (٢) ٣٩/٢ (٣) انظر ٤٤٥/٢

(٤) انظر ٢٣٥/٢ وما بعدها (٥) انظر ٤٣٣/٢ (٦) انظر ١٦٨/٢

(٧) س ١٠٤/٣ لم ترد (٨) س ٨ آية ٧٣ لم ترد

عند علماء اللغة والنحو ، ولا يجوز أن تنسم بالشذوذ . هذا فيما يرى ابن جنى — وهو على حق فيما ذهب اليه — أما ابن مجاهد فقد قال بشذوذ ماخرج عن قراءات الأئمة السبعة في الأمصار ، بل وقعت العداوة بينه وبين إمام من أئمة عصره هو محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ <sup>(١)</sup> ، الذى كان يقرأ فى اعتبار ابن مجاهد بالشذوذ ، وقد عذب فى حضرة ابن مجاهد ، عذبه الوزير أبو على ابن مقلة <sup>(٢)</sup> ، واستكتبه محضراً بأن يرجع عن الشاذ من قراءته واستتب عنه بعد اعترافه به <sup>(٣)</sup> . ومن هنا كان تعقب ابن جنى لأبي بكر بن مجاهد أمراً يحتمه الدفاع عن القراءات التى عدها ابن مجاهد شاذة . ويدعو اليه اتجاه كل من الرجلين بالنسبة لهذه القراءات . وجاء احتجاجه فى المحتسب لبعض القراءات التى شذها ابن مجاهد دليلاً على انتصاره — إلى حد ما — لهذه النظرة المتحررة التى حمل لواءها ابن شنبوذ . وشيء آخر كان سبباً فى تعقب ابن جنى لابن مجاهد . ذلك ما يبدو من أن أبا بكر كانت له تعليقات على القراءات الشاذة من حيث الميزان الصرفى والتوجيه الاعرابى أو التفسير اللغوى ، أو غير ذلك مما يتصل بالصناعة الصرفية والنحوية واللغوية . ولما كانت قدم ابن مجاهد فى ذلك غير راسخة رسوخها عند ابن جنى <sup>(٤)</sup> ، فقد وقف . واقف كانت باعثة لابن جنى على التعقيب والتعليق . والذى يقرأ كتاب المحتسب يجد أن ابن جنى قد اعترف لابن مجاهد فى ناحية تخصصه ، فابن جنى يوثق ابن مجاهد ، ويأخذ بقوله ، ويعتد به ، ويعتمد عليه فيما هو متصل بالرواية ، ويعترف بتفوقه وهدايته فى ذلك <sup>(٥)</sup> . أما فيما هو خاص بالتفسير اللغوى ، أو البحث الصرفى ، أو فقه العربية فكثيراً ما ينبه على خطأ ابن مجاهد فيه ، أو بعده ، عن الصواب ، أو قوله بغير الأولى أو نحو ذلك مما استشهد له ، وأدل عليه عما قريب :

فشاهد اعتداد ابن جنى بابن مجاهد فى الرواية قوله فى قراءة عيسى بن عمر :

(١) طبقات القراء : ٥٦-٥٢/٢ (٢) الفهرست : ٤٧

(٣) انظر طبقات القراء : ٥٤/١

(٤) انظر الفهرست لابن التديم : ص ٥٢ . فيها كتاب معاني القرآن وتفسيره ومشكله لأبي الحسن على بن عيسى بن داود بن الجراح الوزير — أمانه على عمله أبو بكر بن مجاهد وأبو الحسن الخزاز النحوى . ويبدو أن ابن مجاهد قام بما هو خاص بالقراءات على حين قام الخزاز بالنواحي النحوية والاعرابية .

(٥) انظر المقدمة : ٨

« على تقوى من الله ، ولولا أن هذه الحكاية رواها ابن مجاهد ، ورويناها عن شيخنا أبي بكر لتوقفت فيها <sup>(١)</sup> .

وهكذا يمتنع ابن جنى عن التوقف في قراءة من القراءة؛ لأن ابن مجاهد رواها وذلك عندي غاية الاعتداد به في هذا المجال .

ويقابل اعتداده بابن مجاهد فيما هو خاص بالنقل والرواية ، مخالفته له فيما هو متصل بالصنعة والتأويل والدراية ، وذلك إذا ما تعرض ابن مجاهد لشيء من اللغة أو النحو أو الصرف أو الإعراب . . . عند ذاك يتعقبه ابن جنى في عنف حيناً ، وفي اعتذار من خطئه حيناً . وأسوق أمثلة تشير في اجمال لكل جانب من هذه الجوانب :

(١) يتعقب ابن مجاهد في اللغة : « في قراءة محمد بن زياد الإعرابي فضحك فتحاً » .

قال أبو الفتح : « روى ابن مجاهد قال : قال أبو عبد الله ابن الاعرابي : الضحك هو الحيض وأنشد :

ضحك الارانب فوق الصفا مثل دم الجوف يوم القا  
قال وأنشد :

المزج : العسل .

لجاءت بمزج لم ير الناس مثله هو الضحك إلا أنه عمل النحل وبعد : فليس في اللغة ضحك أي حاضت . قال احمد بن يحيى : « والضحك الشهد وهو الثلج ، وهو الطلع قال محمد بن الحسن : « قلت لأبي حاتم في قوله : « تضحك الضبع بقتلى هذيل ، قال : « ومن أين لهم أن الضبع تبيض وقال يابني : « وإنما تكسر للقتلى إذا رأتهم . . . » ويقال في تضحك الضبع لقتلى هذيل أي تسبش لقتلهم لتأكلهم فيبر بعضها على بعض لجعله ضحكا . وترى الذئب لها يستهل أي يعوى فيستدعي الذئب فرحاً بذلك <sup>(٢)</sup> .

(٢) ويتعقبه في ميزان صرفي : روى ابن مجاهد عن أبي عمرو قراءة : وآيدناه . قال ابن مجاهد على فاعلناه بمدودة الالف ، خفيفة الياء ، وقد روى عن

مجاهد في قوله ، إذ آيدتك آيدتك قال ابن مجاهد على فاعلتك ، . قال أبو الفتح : هذا الذى توهمه ابن مجاهد أن آيدتك فاعلتك لا وجه له ، وإنما آيدتك أفعلتك من الأيد وهو القوة ، ثم برهن على ما رأه وسلك سبيل المناطقة — وختم برهانه بقوله : « فقد ثبت أن قراءة مجاهد إذ آيدتك إنما هو أفعلتك لا فاعلتك كما ظن ابن مجاهد <sup>(١)</sup> .

### ( ٣ ) ويتعقبه في الإعراب :

١ — في قراءة يحيى وإبراهيم والسلى أحكم الجاهلية يبنون بالياء ورفع الميم قال ابن مجاهد وهو خطأ . وقال الأعرج : لا أعرف في العربية أحكم وقرأ أحكم نصباً . . . قال أبو الفتح : « قول ابن مجاهد إنه خطأ فيه سرف ، لكنه وجه غيره أقوى منه . وهو جائز في الشعر . . . ثم استشهد ودلل <sup>(٢)</sup> .

ب — في رواية الحلواني عن قالون عن شيبه أو آوى بفتح الياء . . . قال ابن مجاهد « ولا يجوز تحريك الياء هنا .

قال أبو الفتح : « هذا الذى أنكره ابن مجاهد عندى سائع جائز ثم دلت على جوازه <sup>(٣)</sup> . . .

### ( ٤ ) ويتعقبه في التعبير :

١ — يصححه له في قراءة « أينما تكونوا يدرككم الموت » برفع الكافين قال ابن مجاهد وهذا مردود في العربية ، قال أبو الفتح هو لعمري ضعيف في العربية وبابه الشعر والضرورة ؛ لأنه ليس بمردود في العربية ، لأنه قد جاء عنهم ، ولو قال : مردود في القرآن لكان أصح معنى . . . ثم دلت على ذلك <sup>(٤)</sup> .

ب — ويصوبه : قال ابن مجاهد : يتوفون منكم لا يقرأ بها قال أبو الفتح الذى أنكره مستقيم جائز على حذف المفعول أى والذين يتوفون أيامهم وأعمارهم أو آجالهم <sup>(٥)</sup> . . . وانظر قول ابن جنى : قول ابن مجاهد بالتوحيد في قراءة وإله أليك — لاوجه له <sup>(٦)</sup> .

(١) المحتسب : ٩٣/١

(٢) المحتسب : ٢٥٣/١ (٣) ٤٠٧-٤٠٦/١

(٤) ٢٣٠/١ (٥) ١٢٧-١٢٦/١ (٦) ١١٧/١

(٥) يتعقبه بما هو أصل من أصول العربية « الساكن ليس بحاجز حصين ، قراءة الحسن ( رحمه الله ) أنهم بوزن أعطهم . وروى عن ابن عامر أنهم بهمز وكسر الهاء ، قال ابن مجاهد وهذا لا يجوز . رد ذلك أبو الفتح فقال : طريق قراءة ابن عامر أن هذه الهمزة ساكنة والساكن ليس بحاجز حصين عندهم فكأنه لا همزة هناك أصلاً ، وكأن كسرة الباء على هذا مجاورة للباء ( كذا ) فلذلك كسرت فكأنه على هذا قال أنهم . وروينا عن أبي زيد فيما أخذناه عن أبي علي وعن غير أبي زيد منهم ومنه ، ومنكم ، وبكم ، أجرى كاف المضمر مجرى هائه .. فقد علت بذلك أن قول ابن مجاهد هذا لا يجوز لا وجه له لما شرحناه من حالهم .

ثم اعتذر ابن جنى من خطأ ابن مجاهد بما يعد ملاكاً لتعليل موقفه منه فيما هو متصل بالصناعة النحوية أو الصرفية أو اللغوية ، وذلك إذ يقول أبو الفتح : « ورحم الله أبا بكر فإنه لم يأل فيما عليه نصحاً ، ولا يلزمه أن يرى غيره ما لم يره الله تعالى إياه ، وسبحان قاسم الأرزاق بين عباده ، وإياه نسأل عصمة وتوفيقاً وسداداً بفضله (١) .

وهذا النص الأخير يلخص ابن جنى موقفه من ابن مجاهد ، ويعترف بما له من فضل ويعتذر بما كان منه من مجانبة للصواب ، ويقرر في شكر يشبه الزهو — نعمة الله عليه بفقهِه للعربية ، وبصره بأسرارها .

وبعد : فماذا كان موقف أبي علي من ابن مجاهد ؟ في الحقيقة أن أبا علي لم تتح له الفرصة يتعقب فيها ابن مجاهد — في احتجاجة لقراءات السبعة ؛ ذلك لأن مهمة أبي علي كانت محصورة في الاحتجاج بالصناعة النحوية واللغوية والصرفية . الخ . لما أورده ابن مجاهد من روايات نقلية ، لم يتعرض فيها لهذه البحوث التي تعرض لها في القراءات الشاذة ، والتي فتحت الباب أمام ابن جنى ليلجحه متعقباً أبا بكر على النحو الذي تناولته بالبيان والتفصيل .

## قواعد عامة

وقد كان ابن جني يتقري اللغة ، ويدعو إليها <sup>(١)</sup> ، ويتعرف خصائصها ، وينتهى في أحكامه على القراءات المختلفة ، واحتجاجه لها ، وبيان درجتها من حيث القوة أو الضعف والذويوع والشدوذ — بالاستقراء ، وقد أعانه على ذلك ملاحظة دقيقة ، وبصر نافذ ، وفطنة واعية في عمق ، وقد سبق أن نظر في خصائص اللغة وأصولها في كتابه الموسوم بالخصائص ، وانتهى إلى قواعد عامة قررها ، فاستغل هذه وغيرها في الاحتجاج للقراءات وتقويمها في كتابه المحتسب ، وبني على الأسس التي هداه إليها شيخه ، وقد جمعت مثلاً — لبعض هذه القواعد وقسمتها على النحو الآتي :

### ١ — أصول عامة مقررة :

( ١ ) القرآن يتخير ولا يتخير عليه <sup>(٢)</sup> . ( ٢ ) اختصار المختصر إجحاف به <sup>(٣)</sup> . ( ٣ ) العرب إذا نطقت بالأجمل خلطت فيه <sup>(٤)</sup> . ( ٤ ) الأصوات تابعة للبعاني فتي قوية قوية ، ومتى ضعفت ضعفت ، ويكفيك من ذلك قولهم قطع وقطع ، وكسر وكسر ، زادوا الصوت لزيادة المعنى ، واقتصدوا فيه لاقتصادهم فيه <sup>(٥)</sup> . ( ٥ ) يجوز مع طول الكلام ما لا يجوز مع قصره <sup>(٦)</sup> . ( ٦ ) إذا نفي الأصل كان الفرع أشد انتفاء <sup>(٧)</sup> .

### ب — لغويات :

( ١ ) الأجناس يقع قليلها موقع كثيرها ، وكثيرها موقع قليلها <sup>(٨)</sup> . ( ٢ ) وقال في الاحتجاج لقراءة في قلوبهم مرض بالتسكين : لا يجوز أن يكون مرض مخففاً من مَرَض لأن المفتوح لا يخفف ، وإنما ذلك في المكسور والمضموم كابل ونفذ وطنب وعضد وما جاء عنهم من ذلك في المفتوح فشاذا لا يقاس عليه <sup>(٩)</sup> .

( ٣ ) وقوع الواحد موقع الجماعة فاش في اللغة <sup>(١٠)</sup> .

( ٤ ) الفتح والسكون يتقاودان <sup>(١١)</sup> .

( ٥ ) إذا جاز أن يجرى الشيء مجرى نقيضه فأجراؤه مجرى نظيره أسوغ <sup>(١٢)</sup>

(١) المحتسب ٤٠٠-٤٠١ (٢) ٢٣/١ (٣) اظر الصناعة ٢٧١/١ ٣١/١

(٤) ٧١/١ (٥) ٢٦١/٢ (٦) ١٠٨/١ (٧) ٢٥٢/٢ (٨) ٣٩٤/١

(٩) ٣٣/١ (١٠) ٢٤٢-٢٤٣ (١١) ٢٣/١ (١٢) ٣٢/١



(٦) حركة الاتباع تجري مجرى الصدر الذى لا اعتداد به ، ولا هو عندهم بما يعقد على مثله <sup>(١)</sup> .

(٧) فى الاحتجاج لقراءة « واستوت على الجودى » قال : « تخفيف يامى الاضافة قليل إلا فى الشعر <sup>(٢)</sup> » .

(٨) العرب قد تأتى بالمصدر من غير صيغة الفعل كقوله : « ونقرتها بيديك كل منقَرٍ <sup>(٣)</sup> » .

(٩) ما سمع فى شيء فُعل إلا وسمع فيه فُعل وعليه قول طرفه : « ورَادَ وشَقَرٌ » يريد شَقَرًا <sup>(٤)</sup> .

(١٠) الذَّل بالكسر فى الدابة ضد الصعوبة ، والذَّل بالضم للانسان ضد العز وكأنهم اختاروا الضمة للإنسان والكسرة للدابة للفصل بينهما ، لأن ما يلحق الانسان أكبر قدراً مما يلحق الدابة ، واختاروا الضمة لقوتها للإنسان والكسرة لضعفها <sup>(٥)</sup> .

#### ج — نحويات :

(١) قال فى الاحتجاج لقراءة بما حفظ الله : « حذف المضاف فى الشعر وفصح الكلام فى عدد الرمل سعة <sup>(٦)</sup> » .

(٢) بين الشرط والابتداء مشابهات <sup>(٧)</sup> .

(٣) الصلة أذهب فى باب التخصص من الصفة لابهام الموصول، ثم رتب درجات الابهام على النحو الآتى : الصلة ثم الصفة ثم الحال ثم الخبر وقال : كذا ينبغى أن يرتب هذا الباب من تنزيله ، ولا ينبغى أن يؤخذ باباً سرداً وطرحاً واحداً <sup>(٨)</sup> .

(٤) الحال المستأنفة تحكى كما تحكى الحال السالفة <sup>(٩)</sup> .

(٥) الخطاب بالتاء أذهب فى قوة الخطاب <sup>(١٠)</sup> .

(٦) المستقبل أسبق رتبة فى النفس من الماضى <sup>(١١)</sup> .

(٧) يجمى اللفظ على حكم لفظ آخر؛ لأنه فى معناه وإن عرى هذا من موجب اللفظ فى ذلك نحو تصحيح عور وحول؛ لأنهما فى معنى ما لا بد من صحته وهو أعور وأحول <sup>(١٢)</sup> .

(١) ٦١/١ (٢) ٤٠١-٤٠٢ ٧٢/١ (٣) ١٩٠/١ (٤) ٤٥/٢ (٥) ٢٢٣/١ (٦) ٢٣٣/١ وما بعدها (٧) ٢٢٥/٢ (٨) ٣٨٨/١ (٩) ٢٥٢/٢ (١٠) ٣٨١-٣٨٠/١ واظر ص ٤٢٧ من هذا الجزء (١١) ٤٣١-٤١٢/٢ (١٢)

د — إعرابيات :

( ١ ) حركة الإعراب لا تستهلك لحركة الاتباع إلا على لنية ضعيفة وهي قراءة بعض البادية الحمد لله <sup>(١)</sup>.

( ٢ ) العرب قد تحمل على ألفاظها لمعانيها حتى تفسد الإعراب لصحة المعنى <sup>(٢)</sup>

( ٣ ) لو انصرف عن اللفظ إلى المعنى لا يحسن العود من بعد إلى اللفظ <sup>(٣)</sup> .

( ٤ ) وقال في تقدير المحذوف من قوله تعالى : « ولكن البر من اتقى » .

ا — ولكن البر من اتقى . ب — ولكن ذا البر من اتقى .

والتقدير الأول أجود عندنا ، وذلك أن تقديره حذف المضاف من الخبر أعنى

بر من اتقى والخبر أولى بذلك من المبتدأ ، وذلك أن حذف المضاف ضرب من التوسع ،

والتوسع آخر الكلام أولى به من أوله — كما أن الحذف والبدل كلما تأخر كان

أمثل من حيث كانت الصدور أولى من الأعجاز <sup>(٤)</sup> .

( ٥ ) يجوز وفوع المعمول بحيث يجوز وفوع العامل <sup>(٥)</sup> .

ه — عروضيات :

( ١ ) الأمثال تجري مجرى المنظوم في تحمل الضرورة ، قال أبو علي . « لأن

الغرض في الأمثال إنما هو التيسير كما أن الشعر كذلك ، فجرى المثل مجرى الضرورة

في تجوز الضرورة فيه <sup>(٦)</sup> .

( ٢ ) ويروى عن البحترى قوله « القوافي حوافر الشعر ، وعن الشجرى قوله

« والقافية رأس البيت » <sup>(٧)</sup> .

( ٣ ) إذا جاز أن يصرع وهو في أثناء المعنى الواحد نحو قوله .

ألا ناد في آثارهن الغوانيا سقين سماما ، ماهن وماليا ؟

كان التصريح من الانتقال من حال إلى حال أخرى بالجواز <sup>(٨)</sup> .

( ٤ ) تشبع العرب مدات التأسيس ، والردف ، والوصل ، والخروج عناية

بالقافية ؛ إذ كانت للشعر نظاما ، وللبيت اختتاماً <sup>(٩)</sup> .

\* \* \*

( ١ ) ٤١٠-٤١٣ / ٢ ( ١ ) ٦٥ / ٢ ( ٢ ) ٢٣٣ / ١ ( ٣ )

( ٤ ) ٢٧٣ / ٢ ( ٥ ) ٣٩٩ / ١ ( ٦ ) الحنطب ١٠٥ / ٢ ( ٧ ) ٢٦١ / ٢ ( ٨ )

( ٩ ) ١٠٨ / ١ انظر النص كاملا في استغلال ابن جني للعروض ٢٦١ / ٢ ( ٩ )

ومن الحق أن أشير إلى أن بعض هذه الأصول من مبتكرات ابن جني ، واستنباطاته وبعضها الآخر بنى على كلام شيخه الفارسي ، وأقيم عليه ، فهو يروى مثلاً — عن أبي علي استحسانه لمذهب الكسائي في قوله .

إذا رضيت علي بنو قشير لعمر الله أعجبنى رضاها  
ويورد كلامه في أنه عدى رضى بعلي كما تعدى نقيضتها وهي سخطت به ثم يخلص من ذلك إلى تأصيل أصل هو ، إذا جاز أن يجرى الشيء مجرى نقيضه فاجراؤه مجرى نظيره أسوغ ، ثم يبنى على ذلك الأصل قوله . وفيه غيره على سمت ما كنا بصده ، وذلك أنه إذا رضى عنه فقد أقبل عليه فكأنه قال . إذا أقبلت على بنو قشير ، وهو غور من أنحاء العربية ظريف ولطيف ومصون وبطين <sup>(١)</sup> .

وبعد : فهذا ابن جني في كتاب المحتسب ، وذلك مبلغ تأثره بأبي علي سلباً وإيجاباً ، ويعد الكتاب في جملته — وعلى نحو ما — أثراً من آثار أبي علي ، وسيراً في طريق الاحتجاج الذي سار فيه الشيخ من قبل في كتابه الحجة ، بل إن ابن جني كان مدفوعاً — كما بينت في صدر هذا الفصل — إلى التأليف فيه بما خطر لأبي علي في نفسه ، ومحسبه خاطره ، وقد رأينا أوجه التخالف البعيدة بينه وبين شيخه ، وما تخالف فيه هو والشيخ بمقدار ، كما عرضت لأوجه التشابه بينهما .

وإن كان لا بد — في خاتمة هذا الفصل — من كلمة بمجملتها تختصر ما بين الرجلين من توافق وتخالف في الاحتجاج فاليلك هذا الحديث : <sup>(٢)</sup> .

واضح أن ابن جني يحتج للشواذ ، أما أبو علي فإنه يحتج لقراءات الأئمة السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد . وقد تكفل أبو بكر بن مجاهد في كتاب القراءات بإيراد أوجه الاختلاف مسندة إلى أصحابها ، أما ابن جني فإنه بحث هذه الأوجه وساقها هو دليلاً على جهده .

وقد رأينا ابن جني لا تنتال عليه الشواهد كما تنتال على أستاذه ولعل لطبعة الباحثين أثراً في ذلك ، ثم إن لهجات القبائل ظهرت في كتاب المحتسب على صورة أوسع من ظهورها في كتاب الحجة ، ويقابل هذا أن المتن اللغوي عند أبي علي ظهر واضحاً في احتجاجه ، دعاه إليه — فيما دعاه — حبه للاستطراد .

(١) ٣٢/١

(٢) كل ظاهرة من هذه الظواهر — من توافق أو تخالف — عالت لها من قبل والقام : هنا مقام جمع لما مضى من غير تعليل أو تدليل .

وقد رأينا كيف كان ابن جنى يستهدى الروح البلاغى فى التأويل ، ويتجه إلى المعانى النفسية فى الاحتجاج ، كما كان يستهدى الحس اللغوى وبهذا شاعت الروح الأدبية فى كتاب المحتسب ، وإنك لتلقى فيه دماثة الأسلوب ووضوح العبارة ، وتحامى الغموض والإملاى ، والتخفف من المنطق ، والبعد عن الاستطراد ، والإطالة والتشعب . وتجنأ الامعان فى التعليل ، والاسهاب فى الاستشهاد ، بما يحمل كل أولئك شواهد مميزة لابن جنى تخالف فيها مع أستاذه أبى على .

وقد رأينا قبل كيف كان ابن جنى بهاجم ابن مجاهد فى أغلب ما شذذ من القراءات ، على غير موقف الشيخ فى ذلك .

كما تعرضت لموقفه من رسم المصحف والاستشهاد به ، وشيء آخر يظهر عند ابن جنى ذلك هو الاستشهاد بشعر المولدين فى المعانى <sup>(١)</sup> ، وظهور مسائل الخلاف بين النحاة البصريين والكوفيين على صورة باهتة ، لا كما تظهر فى كتاب الحجة .

ومرد أغلب هذه الفروق أن ابن جنى لحظ تجانأ القراء عن الحجة بما فيه من إملاى واستطراد وتعمق ، وإمعان فى النظر . . . فأراد أن يتحامى ذلك كله ، وأن يتخفف فيما لا بد منه . . . فجاء كتابه على هذه الصورة التى تقر به إلى النفوس .

وغنى عن البيان — إذا ما أردت التحدث فى التوافق الذى كان بين الشيخين — أن أقول :

إن ابن جنى استعان بكثير من أصول شيخه ومسائله ، ثم زاد هو عليها بالتعليق والصياغة والتحقيق : يحدث عنه ، ويعتمد عليه فى التدليل ، كما يعتمد عليه فى التفسير اللغوى ، ويسلك مسلكه فى تقديره سيبويه ، والدفاع عنه فى إيمان ، ومهاجته القراء فى عنف وامعان ، ويستغل العروض كأستاذه فى التدليل والاحتجاج على فرق بين الرجلين كما سبق به البيان .

وجزى الله الرجلين كل خير ، فقد احتجا — للسبعة أو الشواذ — دفاعا عن القرآن الكريم وحفاظا ، عليه ، واحتساباً للأجر الجزيل ، والثواب العظيم . . .

## الفصل الثاني

( مكي بن أبي طالب ٣٣٥ - ٤٣٧ هـ )

( ومدى تأثيره بأبي علي في الاحتجاج )

ولد أبو محمد مكي بن أبي طالب بن حموش القيسي بالقيروان سنة ٣٣٥ هـ (١) وارتحل في طلب العلم إلى مصر فعرض على عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون المصري (٢) . سنة ٣٧٨ هـ (٣) . وألف مكي - بعد وفاة أبي علي - كتاباً في القراءات السبع سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ، ألفه وهو بالمشرق ، وسماه كتاب التبصرة فيما اختلف فيه القراء السبعة المشهورون (٤) واعتمد في أكثره على ما قرأ به على شيخه ابن غلبون (٥) . وأضرب فيه عن الحجج والعلل ومقاييس النحو (٦) . ووعده في صدره أنه سيؤلف كتاباً يذكر فيه كشف وجوه القراءات واختيار العلماء ... وأقاول النحويين وأهل اللغة (٧) ، وكان أن وفي أبو محمد بما وعد ، فألف في أخريات عمره كتاب الكشف عن علل القراءات وحججها سنة أربع وعشرين وأربعمائة (٨) . وفرغ منه سنة خمس وثلاثين (٩) . قبل أن يتوفاه الله بعامين . واختصر مكي الحجة (١٠) . في كتاب سماه منتخب الحجة في القراءات (١١) .

وقد قصدت قصداً إلى اقتباس هذه الحقائق من حياة مكي وعيت بتاريخ هذا الجانب من نشاطه العلمي والنص عليه ؛ لأنه يمت إلى موضوع البحث بسبب وثيق .

فأولاً - لأن مكيّاً بتأليفه التبصرة قام بعمل يناظر فيه عمل ابن مجاهد في كتابه المترجم بقراءات أهل الأمصار .

وثانياً - أن كتاب الكشف في جملته أمانة من علم أبي علي ، قفى فيه مكي قفو

- 
- |                              |                                    |
|------------------------------|------------------------------------|
| (١) طبقات القراء : ٣٠١ / ٢   | (٢) طبقات القراء : ٤٧١ / ١         |
| (٣) التبصرة لوحة (٢)         | (٤) الكشف ٢ / ١ (٥) التبصرة لوحة ٣ |
| (٦) الكشف : ٢ / ١            | (٧) التبصرة : ٢ (٨) الكشف : ٢      |
| (٩) انظر الكشف : ٤٩٣ / ٢     | (١٠) كشف الظنون : ١ / ٢١٤          |
| (١١) معجم الأدباء : ١١٩ / ١٩ |                                    |

الشيخ ، فهو يكشف فيه عن علل القراءات وحججها ، تلك القراءات التي أوردتها في التبصرة مضارعا بذلك الحجة لأبي على الذي شرح فيه سبعة ابن مجاهد . وقد قال في صدر كتابه الكشف : « هذا كتاب فهم وعلم ودراية ، وكتاب التبصرة كتاب نقل ورواية (١) . تماماً على الذي كان في سبعة ابن مجاهد وحجة أبي على .

وثالثاً — إن عمل مكى في التبصرة والكشف مظهر من مظاهر التنافس العلمي بين المشاركة والمغاربة في ذلك الزمان ، فاقامة الدرس حول الكشف بخاصة تتيح للباحث التعرف على أثر الحجة لأبي على ومداه ، كما يستطيع بهذه الدراسة أن يتعرف على نزعة مكى في الاحتجاج : أمن مدرسة الأثر هو؟ أم من مدرسة القياس والنظر؟ فيثبت بذلك قولة مكى عن كتاب الكشف أو ينفياها أو يقرها بمقدار .

ورابعاً — إن اختصار مكى كتاب الحجة يشير إلى تأثره بأبي على على نحو من الانحياز .

وقد ذكر مكى نهجة في كتاب الكشف فقال : « وما أنذا حين أبداً بذلك أذكر علل ما في أبواب الأصول دون أن أعيد ذكر ما في كل باب من الاختلاف ، إذ ذاك منصوص في الكتاب الذي هذا شرحه ، وأرتب الكلام في علل الأصول على السؤال والجواب . ثم إذا صرنا إلى فرش الحروف ذكرنا كل حرف ومن قرأ به ، وعلّة وحجة كل فريق ، ثم أذكر اختياري في كل حرف ، وأنبه على علّة اختياري لذلك ، كما فعل من تقدمنا من أئمة المقرئين (٢) .

وأرى مكياً قد وفى بهذا المنهج ، عقد أبواباً لعلل الاستعاذه (٣) . وعلل البسملة (٤) ، ثم عقد باباً لسورة الحمد (٥) . وهاء الكناية (٦) . والمد وعلله وأصوله (٧) . واختلاف القراء في الهمز (٨) . وتحدث عن الوقف وعلله (٩) . والروم والإشمام (١٠) . وأصول الإدغام والإظهار (١١) . كما عقد باباً في جملة من مخارج الحروف (١٢) . وعلل الفتح والامالة (١٣) . وأحكام الرامات وعللها (١٤) كل ذلك على طريق السؤال والجواب : كان يقول : قال أبو محمد فإن سأل سائل

(١) الكشف لوحة رقم ٢... (٢) لوحة رقم ٢ (٣) لوحة ٢ (٤) لوحة ٤

(٥) ٨ (٦) ١٤ (٧) ١٦ (٨) ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٤٤ (٩) ٤٠ — ٥٤ (١٠) ٥٦ (١١) ٦٢ (١٢) ٦٤

(١٣) ١٠ — ١١ (١٤) ١٠٢

عن كذا ... فالجواب كذا ... وأراه فصل بين هذه الأبواب وهي في علل الأصول — بالباب الذي عقده في سورة الحمد <sup>(١)</sup> فذكر القراءات المختلفة فيها ، وكان من حق هذا الباب أن يبدأ به حين يتحدث عن فرش الحروف الذي رتب الكلام فيه على سور القرآن <sup>(٢)</sup>.

وهذه الأصول التي تحدث فيها ، ذكراً عللها بعض ما يفرق فيه عن أبي على ونصه على أنه سيذكر اختياره في كل حرف ... أمر يتخالف فيه مع أبي على ، فلم ينص الشيخ في الحجة على اختياره ، وأرى مكياً قد تأثر في ذلك بالطبري ، ولعله هو المشار إليه في قول مكى : كما فعل من تقدمنا من أئمة المقرئين ... ، وفيما عدا ذلك يتأثر مكى بأبي على تأثراً ظاهراً ، ويلتصق هذا التأثير لقاء مبكراً يلتصق حين يحتاج للقراءات المختلفة في سورة الحمد بصدر كتابه الكشف :

ألقى مكى — بعد أن احتج للقراءتين مالك ومالك يوم الدين — السؤال الآتي : فإن قيل : فما اختيارك في ذلك ؟ فالجواب أن القراءتين صحيحتان حسنتان ، غير أن القراءة بغير ألف أقوى في نفسى لما ذكرته من الحجج في ذلك ، ولما فيه من العموم ، تقول : كل ملك مالك ، ولا تقل : كل مالك ملك ، وإنما هو ذو ملك لا غير فلك أعم في المدح ، وأيضاً : فإن أكثر القراء على ، ملك ، ومالك أيضاً حسن قوى في الرواية وقد روى أبو هريرة أن النبي (ﷺ) كان يقرأ مالك يوم الدين بألف ، وكذلك روت أم سلبة : ولما روى الزهري عن أنس أن النبي وأبا بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل ، كانوا يقرأون مالك بألف . وكذلك روى أبو هريرة والحسن وابن مسعود وعلقمة والاسود وابن جبير وأبو رجاء والثقفى وابن سيرين وأبو عبد الرحمن السلمي ويحيى بن يعمر وغيرهم . وأيضاً فإن مالكا بالالف هو اختيار أبي حاتم وأبي الطاهر وغيرهما . ومالك بغير ألف أقوى في نفسى لما ذكرت لك <sup>(٣)</sup>.

وذلك النص بعيد إلى الذهن ما حكاه أبو علي في الحجة عن ابن السراج من غير كبير اختلاف :

(١) فكي يرجح قراءة ملك كما رجحها ابن السراج من قبل فيما حكاه أبو علي عنه .

(ب) وقول مكي : « تقول كل ملك مالك ، ولا تقل كل مالك ملك ، قالها قبله ابن السراج .

(ج) وقول : « أكثر قراءة العامة على ملك ، يقابل حكاية أبي علي : « القراءة بملك أعرض وأوسع ، .

(د) وقول مكي : « مالك حسن قوى في الرواية ، مأخوذ من قول ابن السراج معلقاً على المختار لمالك :

« هذا الذي قلت حسن ، ولو لا هذا المعنى وما يؤيده ، ما جازت القراءة به (١) ، .

أما ما زاده مكي فهو تلك الروايات المستندة إلى النبي ، والتي قرأ بها أئمة القراء وأود ألا يفهم من تردد اسم ابن السراج في النص السابق أن مكياً بعد عن التأثير بأبي علي بنظره إلى ما قال ابن السراج . فكي متأثر في الجملة بأبي علي كما بينت ذلك من قبل ، ثم أن الذي حكى ما قال أبو بكر . هو أبو علي ، فصنيعه هذا هو الذي مكن مكياً من تأثر ما ورد في الحجة لابن السراج . على أن لمكي نصوصاً صريحة تهدى المقابلة بينها وبين نصوص أبي علي إلى أن مكياً متأثر بالشيخ واعتمد عليه . فإذا قال أبو علي ؟ وماذا قال مكي ؟ .

قال أبو علي : « حجة من صرف سلاسل وقوارير (٢) ، . في الوصل والوقف أمران :

أحدهما : أن أبا الحسن قال : « قد سمعنا من العرب من يصرف هذا ، ويصرف جميع ما لا ينصرف ، وقال هذا لغة الشعراء ، لأنهم اضطروا إليه في الشعر فصرفوه ، فحرت ألسنتهم على ذلك ، واحتملوا ذلك في الشعر ، لأنه يحتمل الزيادة كما يحتمل النقص فاحتملوا زيادة التنوين ، فلما دخل التنوين دخل الصرف .

(١) انظر الحجة ، ٤١١ من مراد ملا . (٢) سورة الدهر آية ٤٥ ، ١٥ .



والأمر الآخر : أن هذه الجموع أشبهت الآحاد ، لأنهم قد قالوا صواحبات يوصف  
فيما حكاه أبو الحسن وأبو عثمان ، فلما جمعه جمع الآحاد المنصرفه جعلوه في حكمها  
فصرفوها . قال أبو الحسن : « وكثير من العرب يقولون مواليات يريد الموالى ،  
وأنشد الفرزدق :

ولإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم      خضع الرقاب نواكسى الأبصار  
فهذا كأنه جمع نواكس (١) .

هذا ما قاله أبو علي « فانظروا قول مكى : قوله « سلا سلا » قرأه نافع وأبو بكر  
وهشام والكسائى بالتونين ، وقرأ الباقون بغير تنوين . . . وحجة من نونه حمله  
على لغة لبعض العرب ، حكى الكسائى أن بعض العرب يصرفون كل ما لا ينصرف ،  
قال أبو محمد : وأكثر ما ينصرف هذا وشبهه في الشعر ، فأما في الكلام فهو قليل  
ومن صرفه في الكلام فحجته أنه لما رأى هذه الجموع تشبه الآحاد ، لأنها تجمع  
الآحاد قالوا : هؤلاء صواحبات يوسف ، حكاه الاخفش والمازنى ، وجاء ذلك  
في لفظ النبي (ﷺ) وفي حديثه وحكى الاخفش : مواليات يريدون جمع الموالى  
وأنشد الفرزدق :

ولإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم      خضع الرقاب نواكسى الأبصار  
يريد نواكس فجمع بالياء والتونين ، وحذف التون للاضافة ، فلما أن  
جمعوا هذا الجمع كما يجمع الواحد أجروه بجرى الواحد في الصرف والتنوين ،  
وقوى ذلك ثبات الألف فيه في الخط ، ولأن الصرف والتنوين هو الأصل  
في جميع الأسماء (٢) .

وهذا النص صريح في اعتماد مكى على أبي علي ، ونقله عنه لا يحتاج إلى دليل  
ويبدو أن مكياً أراد أن يكون له شيء من الجهد ، فلم يشأ أن ينقل من غير أن  
يتصرف فجاء تصرفه في ذكر الاخفش والمازنى بلفظيهما ، على حين أن أبا علي  
ذكرهما بكنتيهما ١١ ، وفي اعتاده في الاحتجاج على رسم المصحف ، وفي الإشارة إلى  
الكسائى ، وفي هذه الشروح التي علق بها على « نواكسى » في بيت الفرزدق .  
وكل ذلك تصرف ساذج ، لا يزال مكى — على الرغم منه — مطوياً يمين

الشيخ أبي علي ومن الغريب أن أبا علي يلتزم إسناد الأقوال إلى أصحابها ، ويحىء مكي فيغفل ذلك ، بل ينسب بعض كلام الأئمة إليه هو فقله قال أبو محمد : وأكثر ما ينصرف هذا وشبهه في الشعر ، كلام أبي الحسن لا كلام أبي محمد ١١

بعد هذا التأثير الواضح الذي هدتني إليه المقابلة — رأيت مكيًا يومئذ إيماء خفيًا يوحي أنه متأثر بأبي علي تأثرًا سلبياً ، بجانب هذا التأثير الإيجابي ، فيتجنب ما كان من الشيخ من الإطالة والإملال والنقص ، وذلك حيث يقول في غاتمة الكشف قد أتينا على شرطنا ، واختصرنا الكلام في العلل غاية ما قدرنا من غير أن نكون قد أخللنا بعله ، أو تركنا حجة مشهورة ، وأوجزنا العلل خوف التطويل ، واختصرنا ذكر قراءة التابعين ومن وافقهم لمن ذكرنا من القراء ، لئلا يطول الكتاب فيعجز عن نسخه ، ويحدث الملل في قراءته (١) .

وموقف مكي هنا يشبه موقف ابن جني في المحتسب الذي اختصره متحامياً لغماض الشيخ في كتابه الحجة واطالته (٢) .

هذا ورأيت مكيًا ينزع منزع الكوفيين في : (١) الاحتجاج برسم الصحف في كثرة ظاهرة (٣) . وفي (ب) ترجيح القراءات التي تتفق مع مذهبهم ، رجح قراءة حاش الله بحذف الألف لأنها فعل ، وأيضاً لأن خط المصحف كذلك (٤) . والكوفيون يقولون بفعلية حاشي (٥) .

واستناد مكي على الاسناد في الاحتجاج (٦) وقوله برسم المصحف يجعله مع السلفيين أهل النقل والأثر ولكنه يجنح أحياناً إلى تحكيم القياس النحوي ، كتضعيفه وقراءة ابن عامر ، وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم (٧) وذكر أن العطف في قراءة حمزة والأرحام ، قبيح قليل في الاستعمال بعيد في القياس (٨) . ومن عجب أن يقف مكي هذا الموقف ، ولا يدفع عن حمزة ، مع أنه يصفه بأن إمامته ظاهرة وثيقة مشهورة وسنده مستقيم (٩) . وليس من تفسير لذلك إلا أنه أراد أن

(١) الكشف : ٤٩٣/٢ (٢) انظر المحتسب : ٢٣٦/١ ، ٢٨٨ .

(٣) انظر مثلاً من الكشف اللوحات : ١٠ ، ٥٠ ، ٦٢ ، ٣٨٥ ، ٤٧٢ .

(٤) الكشف لوحة : ٣٠٤ .

(٥) انظر الانصاف السألة : ٣٧ والموفى على النحو الكوفي : ٧٤-٧٥ وشرح الأثوني

وحاشية الصبان : ٣١٤/٢ .

(٦) انظر احتجاجه لقراءة مالك بالف . (٧) الكشف : ٢٥٤/١ .

(٨) انظر الكشف : ٢٠٦/١ . (٩) التبصرة : ١١ .

يجعل الكشف كتاب فهم ودراية فجرى بذلك - إلى حد ما - وراء مقاييس  
النحاة كأبي علي ومن لف لفه من أهل الرأي والقياس .  
وبعد : فيجمل بي أن الخص مدى تأثير مكي بأبي علي :

كان مكي بتأليفه الكشف متأثراً في الجملة بصنيع أبي علي في الحجة ، ثم رأينا  
مكياً يسلك مسلك أبي علي في الاحتجاج ، ويستغل ما حكاه الشيخ عن ابن السراج  
ويذكر تعليله ، وينقل نصوصه ، ورأيناه بعد ذلك يتحامي ما كان من الشيخ من  
الاطالة والاعراض ، ويجري وراءه بقدر - في تحكيم القياس .  
كانت نزعة مكي السلفية فابعدته عن صاحبي ، على أن مكياً في بعده يلبس ثوباً  
يشف ، ينبئك أن الكف أثاره من علم المشرق الشيخ أبي علي .  
ولئن بدا أثر أبي علي عند مكي على هذا النحو إنه ل يبدو جلياً عند رجل آخر  
من رجالات أهل المغرب ، ذلكم أبو عمرو الداني (٤٤٤هـ) موضع الحديث فيما يأتي  
في توضيح وتفصيل .

## الفصل الثالث

تأثر الداني<sup>(١)</sup> (٣٧١ هـ - ٤٤٤ هـ) في الموضح بابي على

(٢٨٦ هـ - ٣٧٧ هـ)

توفي أبو علي الفارسي وعثمان بن سعيد الداني لم يتجاوز السادسة من عمره ، ولكن الله يشاء أن يرث الداني بعض ما وهب أبو علي ، فيتأثر به ، وينهج نهجه ، ثم تكون له طريقته في تناول الدراسات القرآنية ، ويمثل مدرسة يقدرها القراء حق قدرها من الإجلال والتبجيل .

ولست أريد أن أتحدث عن شيوخ الداني الذين تأثر بهم بصفة عامة ، وما منهم إلا له مقام معلوم في التأليف والتمكن في العربية وعلوم القرآن<sup>(٢)</sup> ، وفيهم خاله الذي ربطته به رحم العلم والقراءة المتقن العارف محمد بن يوسف مقرئ الناس بقرطبة ، والذي كان معه لصيب وافر من علم العربية وعلم الفرائض والحساب<sup>(٣)</sup> . لست أريد أن أتحدث عن هؤلاء الذين أورووا الداني ذلك العلم الباقي أثره ما حفظ الله القرآن على مر الزمان ، فذلك أمر ليس في الحساب الآن ، وإنما حسابه في ترجمة مفصلة للداني يتعرف فيها على بيئته التي تقلب فيها ، وشيوخه الذين أخذ عنهم ، وأثر ذلك وغيره في علم الداني واتجاهه ، وإنما أريد أن أتعرض لهؤلاء الشيوخ بما كان لهم من أثر عند الداني في نقطة واحدة ، هي موضوعي الذي أتناوله بالبحث والبيان : هل هناك صلة بين هؤلاء الشيوخ واتجاه أبي عمرو إلى التأليف في مذاهب القراء واختلافهم في الفتح والامالة ، والاحتجاج لهم ، وهو ما تناوله كتابه المترجم « بالموضح » ؟

الجواب عن ذلك السؤال ميسور إذا عرفنا مذهب شيوخ الداني الذين أخذ عنهم وتلقى منهم : فطاهر بن عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون بن المبارك أبو الحسن الحلبي كان شيخاً للداني ، وروى عنه الداني القراءات عرضاً وسماعاً<sup>(٤)</sup> ، وقد صنف

(١) ذكر خطأ تاريخ الوفاة في دائرة المعارف الإسلامية مادة ( الداني ) ٣١٨ هـ

(٢) طبقات القراء ١ : أظهر ص ٢١٥ ، ٢٧١ ، ٢ : ١٩٣ و ١٩٨

(٣) طبقات قراء ٢ / ٢٨٧ (٤) طبقات القراء ١ / ٣٢٩

ابن غلبون فيما يقول أبو شامة مجلدة قصرها على حكم الامالة <sup>(١)</sup> ، كذلك كان شيوخ الداني و خلف بن ابراهيم بن خاقان ، وعليه اعتمد الداني في قراءة ورش ، وقال عنه : كان ضابطاً لقراءة ورش متقناً لها <sup>(٢)</sup> .

ومن شيوخ الداني أيضا محمد بن عبد الواحد بن علي بن ابراهيم أبو الحسن البغدادي ، وقد روى فيما يقول ابن الجزري حرف نافع <sup>(٣)</sup> ، وقد كان ورش أحد رواته ، وله مذهب في الامالة ينفرده ، بل إن من الشيوخ الذين روى عنهم الداني الحسن بن سليمان بن الخير أبا على الانطاكي النافعي <sup>(٤)</sup> ، ولعل النسبة في « النافعي » إلى نافع أحد القراء السبعة والذي روى عنه ورش ، « الانطاكي على كل حال عرض على « أبي بكر الأذفوي » ، وقد كان الأذفوي منفرداً بالامالة في دهره في قراءة نافع رواية ورش <sup>(٥)</sup> ، والذي غلط مكيًا في كتاب الامالة ، فكتب مكي <sup>(٦)</sup> كتابه المسمى : « الانتصاف في الرد على الأذفوي فيما زعم من تغليطه في كتاب الامالة ، وجعله في ثلاثة أجزاء <sup>(٧)</sup> .

أولئك شيوخ الداني ، وكلهم ضابط لقراءة نافع رواية ورش ، وبعضهم ألف في الامالة وتصدى لكبار القراء في عصره بالتغليط والتفنيد . فليس عجيباً إذن أن ينهج الداني نهج أساتذته في الاهتمام بالامالة على وجه عام ، وليس عجيباً أيضا أن نقرأ عن الداني أنه ألف فيما ألف كتباً تتصل من قريب بهذا الموضوع . فله « ايجاز البيان في قراءة ورش » ، وكتاب التلخيص في قراءة ورش ، وكتاب التمهيد لاختلاف قراءة نافع ، وكتاب الامالات ، وكتاب الرامات لورش ، وكتاب الامالة <sup>(٨)</sup> ، وكتاب التعريف في القراءات الشواذ ، وهي رسالة في مختلف القراءات التي اختلف فيها تلاميذ نافع : اسحق بن محمد ، واسماعيل بن جعفر ، وعيسى بن موسى ، وعثمان بن سعيد المعروف بورش <sup>(٩)</sup> .

هذا مبلغ العلم بما ألف الداني فيما يتصل نصا بالامالة أو يتعلق بها تعلقاً قريباً ،

(١) ابراز الماني لأبي شامة ١٥٢ (٢) طبقات القراء ١ / ٢٧١  
(٣) طبقات القراء ١٩٣ / ٢ (٤) المصدر السابق ٢١٥ / ١ (٥) طبقات القراء ١٩٨ / ٢  
(٦) هو مكي بن أبي طالب حموش القيسيت ٤٣٧ (صاحب الكشف عن علل القراءات وحججها والتبصرة والابانة وغيرها . (٧) معجم الأدباء ١٩ / ١٧٠ (٨) طبقات القراء ١ / ٥٠٠  
(٩) دائرة المعارف الاسلامية مادة الداني

ولإذ كان قد أحصى ما ينيف على مائة تصنيف له في أرجوزة من نظمه <sup>(١)</sup> وأنه كما يقول المقرئ له مائة وعشرون مصنفًا <sup>(٢)</sup> ، ولم نعرف إلا بعضًا منها ، فمن المحتمل جداً وقد عرفنا اهتمامه بقراءة ورش — سمي — أن يكون بعض هذا المجهول من كتبه كان في الامالة من قريب أو بعيد ، وإن كنت لا أقطع في ذلك بوجه من اليقين .

ولم يذكر ابن الجزرى فيما ذكر من كتب الداني ، الموضع لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والامالة <sup>(٣)</sup> ، وإنما الذى ذكر كتاب الامالات . فهل هذه كتب ثلاثة للداني في الامالة : الموضع ، - موضوع الحديث - والامالة ، والامالات ؟ أو أنها كتاب واحد أخذ هذه الأسماء ، لكن ينفي الاحتمال الآخر أن ابن الجزرى ذكر الكتابين فقال : له الامالات في مجلد ، ثم ذكر الكتاب الآخر بقوله : والامالة في مجلد ، وليس بين النص على الكتاب الأول والكتاب الآخر إلا سطر واحد فقط ، وذلك ينفي جانب السهو والنسيان بالسكرار عند ابن الجزرى ، كما يقوى أن كلا منهما : الامالة والامالات كتاب مستقل عن الآخر ، أنا أرجح أن أحدهما تعرض للامالة على صورته مختصرة خالية من العلل والاحتجاج ، وجاء الآخر شارحاً للأول ذاكرة للعلل والأسباب والاحتجاج لمذاهب القراء ، أقول بذلك ، لأن هذا جرى عليه بعض العلماء القراء الذين عاصرهم الداني : فهذا مكى بؤلف التبصرة ، وقد أخلاها كما يقول — من كثرة العلل ، وجعله مجرداً من الحجة <sup>(٤)</sup> ، ثم ألف كتاب الكشف عن وجوه ما ذكره في كتاب التبصرة من القراءات والأصول <sup>(٥)</sup> .

ولعل الكتاب الذى تعرض للامالات في صورة مفصلة هو الموضع الذى بين أيدينا الآن ، ومن الغريب عدم ذكر ابن الجزرى له — كما بينت — مع أنه قد اعتمد عليه في مواضع متعددة في كتابه ، والنشر في القراءات العشر <sup>(٦)</sup> . وقد قابلت

(١) المصدر السابق

(٢) نفع الطيب ١ / ٣٨٦

(٣) انظر طبقات القراء ١ / ٥٠٥ (٤) التبصرة مصور بدار الكتب ص ٣

(٥) المصدر السابق ص ٣٠١ والكتاب رقم ٢٠١٠٣ (٦) انظر مثلاً النشر ٢ / ٣٠ و ٣٥

بين نصين أوردهما ابن الجزرى فى النشر أحدهما ذكر أنه مأخوذ من الموضح ، والآخر مأخوذ من كتاب الامالة للدانى ، فوجدت أن النص الاول <sup>(١)</sup> يتفق مع ما هو موجود فى الموضح <sup>(٢)</sup> الذى بين أيدينا فى لفظه ومعناه وترتيبه والنص الآخر <sup>(٣)</sup> المأخوذ من الامالة لا يتفق هو وما ورد فى الموضح <sup>(٤)</sup> إلا فى المعنى فقط ومع غير ترتيب .

وبما يرجح ما اتجهت اليه من تأويل : أن للدانى كتابا اسماء جامع البيان ، عقد به فصلا للامالة ، سار فيه على نهج كتاب الموضح ، وأخلاه من الاحتجاج وذكر العلل والأسباب ، وفى مواضع قليلة يذكر الاسناد <sup>(٥)</sup> — والاسناد ظاهرة فاشية فى الموضح كما سيرد بعد حين — وأحيانا يذكر المروى من غير اسناد <sup>(٦)</sup> كما فى امالة ما زكى ، فقد قال : وقد رويت امالته عن أبى ( كذا ) عن عاصم ، والصحيح عن أبى بكر عن عاصم ، وآخر الكلام على مذاهبهم فى فوائخ السور إلى مواضعها <sup>(٧)</sup> ، تماما على الذى سار عليه فى كتاب الموضح على خلوه من الاحتجاج والاسناد .

وقد رسم أبو عمرو الدانى منهجه فى كتاب الموضح <sup>(٨)</sup> فى مطلعته حيث يقول : هذا كتاب أذكر فيه إن شاء الله تعالى مذاهب القراء السبعة ( رحمهم الله ) فى الفتح والامالة فى الاسماء والأفعال وغيرهما مما جاء الاختلاف فيه عنهم من الطرق المعروفة عند العلماء ، والروايات المشهورة عند أهل الأداء ، وأبين ذلك بمعانيه ، وأشرحه بوجوهه ، وأدل على جليته ، وأنه على خفيه ، أرسمه أبوابا ، وأرتبه فصولا ، وأحصر جميع الوارد فى كتاب الله تعالى من كل باب وفصل ، وآتى به مفرقا حرفا حرفا ، وأصل ذلك بالاختلاف فيه ، مع تلخيص ما ينطوى عليه من المعانى والوجوه والعلل والأسباب من قول الأكابر من القراء والمقرئين ، والرؤساء من أهل اللغة والنحويين ، من غير استغراق ولا إطناب ، ولا اطالة ولا اكثار ، لى يعم نفعه الطالبين ، ويقرب فائدته على الملتزمين <sup>(٩)</sup> .

- |                     |  |
|---------------------|--|
| (١) ينظر النمر ٣٠/٢ | (٢) ينظر الموضح ص ٣                                  |
| (٣) انظر النشر ٨٩/٢ | (٤) انظر الموضح ٣٢٩                                  |
| (٥) ورقة ١٤٠ ب      | (٦) انظر ورقة ١٣١                                    |
| (٧) ورقة ١٤٤        | (٨) للكتاب نسختان فى المكتبة الازهرية رقم ١٠٣ رقم ٥٤ |
| ٥٩٨٠                | (٩) ص ٢ وما بعدها                                    |

هذا هو المنهج الذى رسم ، وسأعرض هذا المنهج عرضاً سريعاً ، ذاكراً  
الخطوط العريضة ورموس المسائل ، حتى ألم بالكتاب إلماماً خاطفاً ، وأعرض  
لما بينه وبين أبى على من فروق بالتفصيل معللاً لموقف كل من الشيخين فى كل تخالف .  
وأسارع فأذكر أن الدانى وفى بما رسم ، فقد ذكر بعد الافتتاح القول فى الفتح  
والامالة ، وتحدث عن الأسباب الجالبة لها ، وبين ما يمال وما لا يمال بأصوله  
وفروعه ، ثم ذكر ما أمالته القراء من الأفعال الثلاثية التى من ذوات الواو ، ثم  
بواب الألفاظ الممالة أبواباً ، وجعلها أسماء وأفعالا وحروفاً ، وجعل لكل من هذه  
الأبواب أقساماً . ولكل قسم وزنه الصرفى ، وأحصى فيه جميع ما ورد من القرآن  
الكريم من هذا الوزن وعده عدداً . وبدأ بالأسماء فذكر جميع ما اختلفت القراء فيه  
بالفتح والامالة منها بكل ما يحتاج اليه من العلل والمعانى ، وذكر تحت هذا ما جاء  
الاختلاف فيه من الأسماء التى الرأ فى آخرها مجرورة وقبلها ألف زائدة أو مبدلة  
وجعل ذلك عشرة أقسام :

القسم الأول : ما ورد فى كتاب الله تعالى من الأسماء التى الرأ فى آخرها مجرورة  
وقبلها ألف . وهذا القسم على وزن أفعال ، وجميع الوارد من ذلك ٤٤ موضعاً  
فى القرآن الكريم ، عينا ، وسمى السور الواردة فيها .

وبمثل هذا ينتقل إلى القسم الثانى ، والأقسام التى تليه : ما ورد فى كتاب الله  
تعالى على وزن فَعَال ويحصىه ، وكذلك فَعَال ، وفُعَال ، وفَعَل ، وفَعَّال ،  
وفعلال ، ومفعال ، وأفعال تراه يذكر فى كل قسم من هذه الأقسام ألفاظه  
الواردة فى كتاب الله وسورها واختلاف القراء فى فتحها وفى أمالتها ، وعلة من فتح ،  
وعلة من أمال ، موثقاً هذه المذاهب المختلفة بالاسانيد المتصلة من شيوخه .

ثم يعقد باباً آخر يذكر فيه الأسماء التى تلى الكسرات ألقاثن ، وقد قسم هذا  
الباب اثنى عشر قسماً ، وينتقل إلى باب الأسماء التى الألفات فى أواخرها علامات  
لتأنيثها وجعله خمسة أقسام . ثم باب الأسماء التى الألفات فيها منقلبات عن ياء أو واو  
وقسمه أحد عشر قسماً . ثم عقد فصلاً مستقلاً ذكر فيه اختلاف القراء فى «ياويلتى»  
( فى المائدة وهود والفرقان ) ويا حسرتى فى الزمر ، ويا أسنى فى يوسف (١) .



وهنا ينتقل إلى ما اختلفت القراء فيه بالفتح والامالة من الأفعال فيبدأ أولاً يذكر الأفعال الماضية، وقدم منها ما اعتلت عينه وصحت لامه، ثم ما اعتلت لامه وصحت عينه، وجعل جميع ذلك أحد عشر قسماً، ذكر كل قسم بوزنه ومثاله في باب مفرد مع ذكر اختلافه وشرح علله. ثم انتقل إلى ذكر ما ورد في كتاب الله تعالى من الأفعال المستقبلية التي في أوائلها الزوائد الأربع د الياء والتاء والنون والهمزة، وقسمه عشرة أقسام، وعقد باباً لما جاء من الأفعال المستقبلية على وزن : د يفاعلون، و نفاعل، و فاعلوا د بالياء والنون وضمهما وكسر العين وهى راه . وبعد أن استوفى الكلام عن هذه الأقسام قال : فهذا جميع المختلف فيه بالفتح والامالة من الأفعال الماضية والمستقبلية، قد ذكرناه بعلمه ووجوهه على طريق الاختصار، وليخف مأخذه، ويسهل حفظه، وأنا متبع ذلك ما بقى من أبواب الامالة، فيكون كتابنا جامعاً لهذا الباب، ومفرداً بهذا الفن، محيطاً بجملته ومشهوره، محتويّاً على خفيه ونادره، فلا يحتاج لغيره من كتب القراء والمقرئين، وأهل اللغة والنحويين إن شاء الله تعالى (١).

وهكذا نراه يرسم المنهج في ذلك الجزء الباقي من الكتاب، وهو منهج يختلف في جوهره وفيما تناول من مسائل عن منهج أبي على، تلك المسائل التي تناولها بعد أبواب الأفعال حيث انتقل إلى الحروف، فذكر ما اختلفت القراء فيه بالفتح والامالة في حروف التهجى الواقعة في فواتح السور، وقد أفاض في ذلك افاضة كافية (٢). وفي أعقاب ذلك جمع مفردات بعض الرواة عن القراء وأهل الأداء، وجعل لكل راو باباً خاصاً، وذلك قوله : د وقد بقى من الامالة أصول مطردة وحروف متفرقة، انفرد بها بعض الرواة عن القراء وأهل الأداء بغيرها، وأنا أفرد لكل راو باباً أجمع فيه ما انفرد بروايته من ذلك عن الامام الذى روى عنه على حسب روايتي وقراءتي إن شاء الله (٣). وقد جعل هذا في الأبواب الآتية :

ا — ما روى الأعشى عن أبي بكر عن عاصم من الامالة سوى ما تقدم في تضاعيف الأبواب السابقة (٤).

ب — ما روى نصير عن الكسائي (٥).

(٢) (من ص ٢٤٨ — ٢٦٥) (٣) ص ٢٦٥

(٥) ٢٦٩

(١) ص ٢٤٨

(٤) ص ٢٦٥

- ج — ما رواه قتيبة بن مهران عن الكسائي من الامالة فيما انفرد به عنه <sup>(١)</sup> .  
 د — مذاهب القراء في الوقف على المال <sup>(٢)</sup> .  
 هـ — مذاهبهم في الوقف على ماء التأنيث <sup>(٣)</sup> .  
 و — حكم الوقف على الرأى المتطرفة <sup>(٤)</sup> .

وقد استوعب في كل قسم من الأقسام التي أوردتها تحت الأبواب المختلفة الاسماء والأفعال والحروف — البيان عما التزمه من العناصر المختلفة : وزنا ، واحصاء ، وتوثيقا ، وتعليلًا ، وتعيينًا لقراءته ، ولم أره تخلى عن الاحصاء إلا في موضعين اثنين : ما جاء من لفظ الكافرين وكافرين بألف ولام وبغيرهما إذا كانا في موضع نصب أو خفض <sup>(٥)</sup> ، وإلا فيما جاء من لفظ الناس مجروراً <sup>(٦)</sup> وقد نبه هو على ذلك بقوله : « وهو كثير الدور ، ومعرفته لا تشكل ، فلذلك تركنا احصاء جميع الوارد منه .

كما أراه فرق الكلام على ما اختلفت القراء فيه بالفتح والامالة من الأفعال ، فحشر ما أمالته القراء من الأفعال الثلاثية التي من ذوات الواو في غير موضعه من الترتيب الذي التزمه .

وغير خاف أن استقلال أبي عمرو الداني تأليف كتاب في الامالة ، وما اجتمع لديه من روايات مختلفة لمذاهب القراء ، وما اشتهر به من تعرف على الاسانيد ، ورفعها إلى القراء الأئمة الأولين — كل ذلك بعض ما جعله ينهج هذا المنهج الذي عرضت ، وما كان الفارسي متجها إلى شيء من ذلك في كتاب الحجة ، فطبيعة العمل الذي تولاه كل من الشيخين هي التي أبرزت الاختلاف بين النهجين .

وقد كنت أتمنى أن لو كان الداني بوب كتابه تبويبا ييسر التعرف على حكم الكلمات في سورة من سور القرآن الكريم من حيث الفتح والامالة ومن أمالها ومن القراء ، فما أشبه الموضح في تبويبه بتاريخ الطبرى في ترتيبه ، فلو أننا أردنا التعرف على تاريخ خليفة من الخلفاء من تاريخ الطبرى لاستلزم ذلك قراءة سنوات متعددة نظفز في كل سنة بنجر ، كذلك الشأن مع الموضح : لو أردنا التعرف

على المال مثلاً في كلمات السورة الشريفة « والشمس وضحاها ، ومذاهب القراء في فتحها وإمالتها ، والحجج التي أوردوها الداني في ذلك لتوزع الجهد في أبواب متعددة من الكتاب . ويظهر أن ابن القاصح ( ٨٠١ هـ ) برم بهذا المنهج فكتب « قرة العين في الفتح والامالة وبين اللفظين ، ورتب الكلام في ذلك على حسب السور وترتيبها في القرآن الكريم ، وجعله كما يقول : لاختوانه المشتغلين بعلم القراءات ليستمينوا بمطالعها على نقل الروايات (١) .

وشيء آخر يلحظ على منهج الداني : هو أن إدارة الكتاب على الأوزان جعله يدخل كلمات في غير أوزانها مثال ذلك :

( هار ) فقد وضعها تحت ما ورد في كتاب الله تعالى على وزن فعل ، واضطر إلى أن ينبه عليها بعد الانتهاء من ذلك القسم (٢) .  
وانتقل بعد التعريف بكتاب الموضح الآن إلى الحديث عن مظاهر تأثر الداني بأبي على :

\* \* \*

## مظاهر تأثر أبي عمرو الداني بأبي على الفارسي

يبحث على القول بتأثر الداني بأبي على الفارسي أمور : فالرحلات كانت متبادلة بين المشاركة والمغاربة طالين للعلم ، ومتجرين ، وحجاجاً إلى بيت الله الحرام ، وملتسمين الشفاعة بزيارة قبر الرسول ( عليه الصلاة والسلام ) ، وقد عقد صاحب نفح الطيب باباً عرف فيه ببعض من رحل من الأندلسيين إلى بلاد المشرق ، عد منهم محمد بن خيرون (٣) ، وهو أستاذ الداني (٤) ، كما كان منهم الداني نفسه (٥) .

هذا إلى ما كان من التنافس العلمي بين هؤلاء وهؤلاء ، على ما هو معروف متعالم بين العلماء والأدباء ، وشيء آخر يؤكد هذا التأثير ذلك أستاذ الداني « طاهر بن غلبون المصرى النحوى (٦) » ، الذى كتب الحجة لأبي على الفارسي ( ٣٧٧ هـ )

(١) مخطوط برقم ٧٧ دار الكتب

(٢) نفح الطيب ٣٥٣/١

(٣) نفح الطيب ٣٨٦/١

(٤) ص ٤٦ وما بعدها

(٥) طبقات القراء ٢١٧/٢

(٦) طبقات القراء ٣٣٩/١

بخطه ، فقد وجدت بظاهر نسخة ( مراد ملا ) ما نصه : « هذا الكتاب وهو الحجة لأبي على الفارسي في أربعة أجزاء بخط طاهر بن غلبون المصري النحوي ، وكان هذا الرجل خبيراً بالقراءات والعربية ، ويدري ما يكتبه <sup>(١)</sup> » ، وقد قرأ ابن غلبون بالبصرة <sup>(٢)</sup> ، قريباً من مقام أبي على ، ولابن غلبون تعليقات على هوامش النسخة المذكورة في صورة عناوين جانبية تدل على أنه كان يدري ما يكتبه حقاً <sup>(٣)</sup> ، بل له كذلك تصويبات يصحح بها ما أود الفارسي عن ابن مجاهد <sup>(٤)</sup> .

وقد تعرض الفارسي لاختلاف القراء في الامالة جملة ، واحتج لهم في موضعين من الجزء الأول <sup>(٥)</sup> ، ففعل ذلك وجه نظر ابن غلبون إلى التأليف في الامالة ، فقد صنف فيما يقول أبو شامة مجلدة قصرها على حكم الامالة <sup>(٦)</sup> ، ثم تلا عمل ابن غلبون احتجاج الداني للامالة في كتابه الموضع متأثراً بشيخه ودراساته التي اتصل فيها بأبي على الفارسي ، هذه أدلة عامة لتأثر الداني بأبي على ، وللتعرف على أوجه تأثره تأثراً خاصاً أسوق ما يأتي من مقارنات :

أولاً — قال أبو عمرو في الاحتجاج لامالة الكسائي «حتى» <sup>(٧)</sup> :

فأما قوله «حتى» في جميع القرآن فلأن قرأته في مذهبه بالامالة — يقصد رواية نصير على شيخه أبي الفتح — وكذلك رويته عنه ، ونص عليه ، و..... — بالامالة في كتابه الذي جمع فيه حروف الكسائي ، وله في امالته حجتان : احدهما أن الألف فيها لما وقعت رابعة وهو موضع يختص بالياء أمالها . ألا ترى أن كل ألف وقعت رابعة فصاعداً من أى جنس كانت فإن الامالة تجوز فيها ، وتكتب بالياء ، فلذلك أمالها على التشبيه بما قد أميلت ألفه الواقعة في هذا الموضوع من الاسماء والأفعال ، ومن أجل ذلك كتبت بالياء أيضاً .

والحجة الثانية . أنه شبهها بألف شتى ، من حيث كانت آخر الكلمة ، ولم تكن بدلا من ياء فلذلك أميلت ، وكتبت بالياء كما أميلت ألف شتى ، وكتبت بالياء على

(١) انظر ظاهر النسخة ص ١ (٢) طبقات القراء ٢٨٩/١

(٣) أنظر مثلا هذه العناوين في ص ١١٠ ، ١١٢ ، ١٤٢ مراد ملا

(٤) أنظر الحجة نسخة مراد ملا ١١٨/١ (٥) ص ٢٦٢ — ٢٧٦ و ٢٨٤ — ٢٩٠

(٦) ابراز المعاني ١٥٢ (٨) ص ٢٧٤ — ٢٧٨

التشبيه بألف هذا الاسم المقصور؛ ألا ترى أن من كلامهم أن يحملوا الشيء على حكم الشيء إذا أشبه في بعض معانيه ووجوهه ؟

ولعلك تلاحظ معي كيف ظهر روح القياس عند الداني متأثراً بطريقة أبي على في الاحتجاج : فأميلت حتى على التشبيه بما قد أميلت ألفه الواقعة رابعة ؟ وكتبت بالياء كما كتبت هذا الجنس أيضاً .

ثانياً - وشبهت حتى بألف شتى من حيث كانت آخر الكلمة ولم تكن بدلا من ياء ... ثم اقرأ الاعتراض وردده فيما يأتي ، وفيه دليل على تأثره بأبي على من حيث فهمه أسلوب سيبويه في الكتاب كما رأينا من أبي على قبل <sup>(١)</sup> .

فإن قال قائل : إن سيبويه قد منع من إمالتها : أى حتى : وحكى الفتح فيها فقال : « وما يميلون <sup>(٢)</sup> ألفه حتى ، وإما ، وإلا ، فرقوا بينهما وبين ألفات الأسماء نحو حبل وعطشى . قيل هذا لا يلزم من ثلاثة أوجه :

أحدهما : أن الكسائي قد ثبتت إمامته ، واشتهرت عدالته ، وقد حكى الامالة فيها كما رواه نصير عنه ، وهو من الثقة والضبط بمنزلة لا يحملها أحد من علماء النقل للقراءة وغيرهم ، وكذا سيبويه قد اشتهرت عدالته وانتشرت إمامته في علم صناعته . وإذا كان كذلك صح أن الذى رواه جميعاً فيها صحيح ، وكذلك قرأهما الكسائي ، وجمعهما في حرفه أعنى الفتح والامالة للدلالة على صحتهما .

والثاني : أن قول سيبويه هذا يحتمل التأويل ، وجائز أن يكون أراد بقوله وما لا يميلون ألفه حتى أى في حال الكثرة ، لأنه قد يستعمل مثل هذا في كتابه كثيراً ، من ذلك قوله : « ولا يميلون فراشاً ، يريد لا يميله إلا أكثر منهم ، لأنه قد ذكر بعد ذلك أمالته فقال : وقالوا : « هذا فراش ... » ، يعنى بمألاً من أجل كسر أوله .

وكذا قال في باب الهمزة : « وليس من كلام العرب أن تلتقى همزتان فيكون فيهما جميعاً التحقيق » يعنى في حال الكثرة ، لأنه قد ذكر بعد ذلك عند ذكره مذهب ابن أبي اسحق في الجمع بين الهمزتين فقال : « وقد تكلم ببعض ذلك العرب » .

---

(١) انظر الفصل المعقود لذلك . (٢) (كذا) والتصحيح وما لا يميلون بدليل السياق وما ورد في الكتاب انظر ج ٢

ولإذا حتمل كلامه ما ذكرناه لم يجوز أن يعترض به على رواية الكسائي وسماعه ، إذ قوله لا يخالف ذلك على ما بيناه .

تعليق : ومن هذا الأسلوب في التدليل والاحتجاج أشم ربح المنطق عند الداني ، سالكا في ذلك مسلك أبي علي ، إلى ما يدل عليه أنه يفهم أسلوب سيبويه في تعبيراته التي أورد في الكتاب إلى جانب تقديره لسيبويه التقدير العظيم ، وذلك من المظاهر البادية عند أبي علي .

والثالث : وفي هذا الوجه يقول بالاولى والأجدر كما يقول أبو علي :

أنه يجوز أن سيبويه لم تصل إليه الإمالة في « حتى » ولم يسمعها ، فلذلك لم يذكرها إذ لا يجوز له أن يذكر عنهم إلا ما قد سمعه منهم أو وصل إليه من الثقات عنهم ، ووصل ذلك إلى الكسائي وسمعه ممن تقوم عنده الحجة به من القراء والعرب فلذلك قرأ به . وإذا كان ذلك كانت الحجة بقول الكسائي دون قول سيبويه ، وذلك أن الكسائي مثبت للإمالة ، لأنه عليها وسمعا ، وسيبويه لم يعلها ، ولم يسمعها ، على أن سيبويه قد صار إلى نحو ما احتججنا به للكسائي في إمالة « حتى » ، وذلك أنه قال : « وقد قال قوم فأمالوا أشياء ليست فيها علة بما ذكرنا فيما مضى ، وذلك قليل : سمعنا بعضهم يقول : « طلبنا ، وطلبنا زيد كأنه شبه هذه الآلف بألف جحلي حيث كانت آخر الكلام ولم يكن بدلا من ياء » . قال أبو عمرو : « فإذا كانوا قد أمالوا ألف طلبنا وطلبنا زيد لما ذكره من شبهها بألف جحلي من حيث وقعت طرفا كشتي لا غير ، وليس طلبنا ولا طلبنا على وزن جحلي ، ولا مائلا لها في الحركة والسكون — كانت أمالهم ألف « حى » ، للتشبيه بألف شتى أولى وأحق ، لأن حتى على وزن شتى ومائلة لها في الحركة والسكون فدل على صحة ما قلناه . » وبالله التوفيق (١) .

وأراه فوق القول بالاولى واللاحق — كما يقول أبو علي (٢) — — ينهج نهجه في التدليل بالمنطق (٣) . الذي تسلك المقدمات فيه إلى نتائج تنبئ عليها الأحكام .

(١) الموضح ص ٢٧٨

(٢) يرتقى أبو علي في التعليل إلى القول بالاولى إذا أراد أن يحتج بالإمالة أو عدمها : فقد يعيل العرب كلمة لم تجتمع فيها من أسباب الإمالة ما اجتمع في الكلمة التي يتعرض أبو علي لتعليل أمالتها ، ثم يرقى من ذلك إلى أن الإمالة أولى في اللفظ القرآني الذي هو بصدد التعليل لآلته . . . وكذلك يفعل في التعليل لعدم الإمالة . . . .

(٣) انظر الحجة ١/٣٥١ ، ٣٦١ نسخة البلدية

ثالثاً — أورد أبو علي : اختلفوا في قوله ( عز وجل ) « في طغيانهم ، وفي آذانهم » : قال أبو عمر الدوري ونصير بن يوسف النحوي : « كان الكسائي يميل الألف في طغيانهم وآذانهم ، وقال غيرهما : « كان يفتح » ، وقال أبو الحارث الليث بن خالد وغيره : كان الكسائي لا يميل هذا وأشباهه ، والباقون يفتحون . قال أبو علي : ( الطغيان مصدر طغا كالكفران والعدوان والرضوان ، قال أبو علي : « وحكى أبو الحسن طغا يطغو ، وقالوا يطغا ( كذا ) في المضارع وفي التنزيل : « ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي »<sup>(١)</sup> ، فألف طغا تكون منقلبة من الياء فن قال طغيت ، وعن الواو فيمن قال طغوت وقالوا تطغا ( كذا ) كما قالوا صفوت تصنى ، ومحوت تمحافتحت العين في المضارع للحلق ، وحكى بعضهم : « طغيت تطغا ، فتطغا على هذا مثل تفرق لأمثل تصغى ويجوز على هذا أن تكسر حرف المضارعة منه فتقول تطغا ، وإن جعلته مضارع طغوت أو طغيت لم يحز ذلك فيه . فأما قوله « فأهلكوا بالطاغية فيحتمل ضربين :

أحدهما : أن يكون مصدراً كالعافية والعاقبة أى بطغيانهم .

والآخر : أن يكون صفة كأنه بالريح الطاغية .

وقوله : كذبت ثمود بطغواها فالواو مبدولة من الياء ، لأنه اسم مثل التقوى والدعوى والبغوى لأن اللغة التنزيل ( كذا ) — وأحسبها لغة التنزيل — الياء بدلالة الطغيان المذكور فيه في مواضع فأما لا تطغوا فلا دلالة فيها على الياء والواو .

وإن جعلت طغوى من لغة من قال طغوت كان الواو فيها من نفس الكلمة كالدعوى والعدوى ، وحجة من أمال الطغيان هى أن الألف قد اكتنفها شيان كل واحد منهما يجلب الامالة وهما الياء التى قبلها ، والكسرة التى بعدها ، فإذا كان كل واحد منهما على انفراده يوجب الامالة فى نحو السيل والضياح ومررت ببابه وبادره فإذا اجتمعا كانا أوجب للامالة .

فان قلت : « إن أول الكلمة حرف مستعل مضموم ، وكل واحد من المستعل والضم يمنع الإمالة فهلا منعها هنا أيضاً ؟

فالقول : أن المستعل لما جاءت الياء بعده ، وتراخى عن الألف بحرفين لم يمنع الامالة . ألا ترى أن قوماً أمالوا نحو المناشيط لتراخى المستعل عن الألف مع أن المستعل بعد الألف ، فإذا تراخى فى طغيان عنها بحرفين من أنه قبل الألف

كان أجدر بالامالة ، ألا ترى أنهم قد أمالوا نحو ضعاف وقباب ، ولم يميلوا نحو  
مراض وقراض لما كان المستعلى متأخراً عن الألف ؟ وقالوا : بقادر وبطاردا لما  
تقدم المستعلى الألف ، ولم يميلوا فارق وفارض .

وأما في آذانهم فجازت فيها الامالة كما جازت في قوله مررت ببابه لمكان كسرة  
الاعراب ، وهي فيه حسنة جائزة ، والامالة في طغيانهم أحسن <sup>(١)</sup> .

هذا ما قال أبو علي في امالة « في طغيانهم » ، وفي آذانهم ، فهل نظر إليه الداني  
حين احتج في الموضع لهذين الحرفين ؟ وهل تأثر به فظهرت سمات احتجاج أبي علي  
عنده ؟ إليك نص أبي عمرو في ذلك ، ل ترى مدى التوافق والتخالف بين الشيخين :  
قال : باب ذكر القسم الثاني : وهو ما ورد في كتاب الله تعالى على وزن فعلان ،

بضم الفاء ولام الفعل نون أيضا : اعلم أن جميع الوارد من ذلك خمسة مواضع وهي  
بلفظ واحد في البقرة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس ، والمؤمنين ، في طغيانهم قرأ  
هذه المواضع بالامالة الكسائي أيضا في غير رواية أبي الحرث وأبي موسى وأخلص  
الباقون فتحها : فأما قوله طغيانا فكأهم أخلص فتحه لكونه منصوبا إلا مارواه  
أحمد بن جبير عن الكسائي أنه أماله لأجل الياء ، لم يرو ذلك عنه أحد غيره ،  
ولا عمل على ما رواه ولا أحد بما أداه .

فعلة من أمالها : أن الطغيان مصدر طغى يغطي الذي هو من الياء بدليل ظهوره  
في قولهم طغيت جاء فعلان كالغفران والكفران ، ومعناه العتو والتكبر ، ومنه  
قوله تعالى : « إنا طغى الماء » أى علا .

وأما ما كانت الألف فيه زائدة فيها ، وقد اكتنفه من قبلها ومن بعدها أمران  
كل واحد منهما يجلب الإمالة ويحسنها وهما الياء التي قبلها والكسرة التي بعدها ،  
ألا ترى أنهم يقولون هذا شيان وغيلان والسيال والضياح فيميلون الألف للياء  
التي قبلها ، ويقولون مررت ببابه وبذاره فيميلون الألف للكسرة التي بعدها حكى  
ذلك سيبويه عنهم . فإذا كان كل واحد من هذين يجلب الإمالة ويحسنها على  
الانفراد كانا إذا اجتمعتا لا شك أولى . فلهذا أمال ذلك الكسائي ، ولم يراع  
الحرفين اللذين قبلهما وهما الطاء والغين وإن كان الأول منهما مضموما لأميرين :  
أحدهما : بعدهما عن الألف لجىء الياء بينها وبينها .



والآخر: أنه منحدر عن المستعلى بالإمالة ، والانحدار بعد الإصعاد لا يثقل كما قدمناه بل يخف .

ألا ترى أن سيبويه حكى عن قوم العرب أنهم أمالوا المناشط ، لبعد الطاء عن الألف ، فإذا جازت الإمالة هنا مع كون المستعلى متأخرا وهو متصعد إليه بعد الانحدار بالإمالة ، والتصعد بعد الانحدار ثقيل كان جوازها في طغيانهم أخرى ، لأن المستعلى فيه متقدم ، وهو منحدر عنه بالإمالة ، والانحدار بعد التصعد خفيف (١) .

... وعلة من أمال في آذاننا ... أنه نحا بالألف نحو الياء من أهل الكسرة التي بعدها ، ليتجانس الصوت بهما في السمع ، ويخف على النطق ، لكونه من وجه واحد (٢) .

أرأيت كيف قدم الداني الأصل اللغوي في الاحتجاج لمن أمال د في طغيانهم ، كما قدم أبو علي د ثم أرأيت كيف قايس كما قايس أبو علي بين الطغيان والغفران والكفران مستعملا ألفاظه ؟ ثم أرأيت كيف سلك مسلكه في التعليل جملة ، ثم كيف قال بالأولى كما قال أبو علي ؟ ثم أرأيته كيف أورد الاعتراض ورد . وأجاب عنه في قوله : فلهذا أمال الكسائي ولم يراع الحرفين اللذين قبلهما ... كما فعل أبو علي ومستغلا الداني كلام الفارسي في قوله : فان قلت ... فالقول ... ؟

واقراراً للحق ، وانصافاً لسيبويه أقول أن أبا علي ينظر في احتجاجه إلى ما أورد سيبويه في باب الإمالة من كتابه ، ولكن أبا علي صادف بعض النقط هي بصناعة القراء أشبه وبمذاهبهم أشد وألصق ، فلم يتعرض من أجل ذلك — لها ولما يشبهها سيبويه في الكتاب ، مثل : درجات الإمالة ما بين متوسطة وشديدة . وتفصيل القراء ومذاهبهم في الممال من مثل .

( ١ ) قراءة أبي عمرو رموس الآي بين الكسر والفتح من سورة طه ، والنجم ، وعبس ، والضحى ، والليل والشمس .

( ٢ ) إمالة عاصم في رواية أبي بكر الراء والهمزة في رأى ، وفتح الهمزة وإماله الراء إذا سقطت الألف لساكن .

(١) حذف هنا الأسانيد والاحصاء الوارد في كتاب الله تعالى والأوزان .

(٢) ص ٥٦ وما بعدها من الموضح .

فاستقل أبو علي بالاحتجاج لهذا وأشباهه<sup>(١)</sup> من مذاهب القراء غير ناظر إلى سيئويه إلا مقاييساً على ما أورد في مهارة عجيبة ، وجاء الدني فجري وراء أبو علي وسلك مسلكه في التعليل ، ووجد الطريق معبدة أمامه . عيدها أبو علي باحتجائه لما هو الصق بمذاهب القراء ، ولما هو أشبه بصناعتهم ، فكان من أجل ذلك متأثراً به إلى مدى بعيد . . .

فن مسائل الإمامة التي كانت بصناعة القراء أشبه — ولم يتعرض لها سيئويه في الكتاب<sup>(٢)</sup> — وتعرض لها أبو علي وتبعه الداني : التعليل لدرجات الإمامة :

قال أبو علي : في إمامة بين بين . . وأما قصده — أي نافع — في الإمامة بها نحو الياء وتوسطه في ذلك ، فلأنه كره أن يبالغ في الانتحاء نحو الياء ، فيصير كأنه عائد إلى الياء التي كرهوها حتى أبدلوا منها الألف ، وهكذا ينبغي أن تكون الألف في الإمامة<sup>(٣)</sup> .

وقال أبو عمرو الداني : علة من قرأ التوراة بين اللفظين أنهم توسطوا في الإمامة كراهة أن يبالغوا في الانتحاء بها نحو الياء فيصيروا كالمؤمنين إلى الياء التي كرهوها حتى أبدلوا منها الألف ، وقد وجدوا من ذلك مندوحة مع الدلالة على الأصل<sup>(١)</sup> . واستعانته أبي عمرو بأبي علي في هذا النص ، وسلوكه مسلكه في التعليل — كل ذلك ظاهر لا يحتاج إلى إشارة أو تدليل .  
وأمضى بعد ذلك في تجلية مظاهر التأثير .

\* \* \*

(رابعاً) في الاحتجاج لأبي عمرو ومذهبه في رموس الآي :  
أورد أبو علي قول ابن مجاهد : د وأما أبو عمرو فكان يقرأ من ذلك ما كان من رموس الآي بين الكسر والفتح مثل آيات سورة طه ، والنجم ، وعبس ، والضحي ، والليل ، والشمس وضحاها ، ودحاها ، وطحاها ، فاذا لم تكن رأس آية فتح .

(١) وإن كان قد أورد الأصل الذي بنى عليه أبو علي احتجائه .

(٢) الحجة ٣٥١/١ نسخة البلدية وانظر ٢٦٣/٢ أيضاً .

(٣) ص ١٥٦ وما بعدها من الموضح .

قال أبو علي : إنما أمال الألفات في رموس الآي ، لأن الفواصل بمنزلة القوافي ، في أنها مواضع وقوف ، كما أن أواخر البيوت كذلك ، وقد فصلوا بين الوصل والوقف فأمالوا إذا وقفوا ، ولم يملوا إذا وصلوا ، ذلك قولهم في الوقف يريد أن يضربها ، ومنا ، ومنها ، وبنا ، ونحو ذلك ، فإذا وصلوا نصبوا فقالوا : « يريد أن يضربها زيد ، وأن يضربا زيدا ، ومنا زيد ، وإنما حملهم على هذا الفصل بين الوقف والوصل أنهم أرادوا في الوقف تبين الألف ، فكما يبنونها بأن قلبوا من الألف الياء في نحو هذه أفعى يا . كذلك يبنونها بأن نحوا بها نحو الياء . فإذا وصل ترك الإمامة كما يترك إبدال الياء منها ، فيقول : « هذه أفعى فاعلم . لأن الألف في الوصل أبين منها في الوقف ، فعلى هذا فصل أبو عمرو بين رموس الآي وغيرها فأما تسويته بين ضحاها وطحاها فليشأ كل بينها في اللفظ ، لأن الفواصل كالقوافي فاستحب الملاءمة بين بعض الفواصل وبعض كما استحبوا ذلك في القوافي (١) ... ويقول في موضع آخر ، أواخر الآي موضع وقوف والوقف رأينا ... قد أوجب إعلالا في الموقوف عليه ، وتغيرا عما عليه في الوصل ألا ترى أنهم قد :

ا — أبدلوا من التاء الهاء في نحو رحمه ؟

ب — ومن الألف الياء أو الواو في نحو أفعى وأفعو ؟

ج — وزادوا فيه في نحو هذا فرج ، وهو يجعل ؟

د — ونقصوا منه في نحو . وبعض القوم يخلق ثم لا يفر ، ؟

فكما غير مواضع الوقف بهذا النحو من التغيير كذلك غيرت الألف بأن نحى بها نحو الياء ، وكان ذلك حسناً ، إذ أبدلوا من الألف الياء في الوقف في نحو قوله أفعى ، فكذلك قرّبوا الألف منها (٢) ... إهـ

فهل جاء لأبي عمرو الداني نحو هذا الكلام ؟ اقرأ قوله :

« اختلقوا في قوله : دحاها في : والنازعات . وتلاها وضحاها في : والشمس . وسجا في : والضحى . فقرأها الكسائي بالإمالة الخالصة . فعلة الكسائي في إمالتها أنها لما كانت رموس آيات ، وقد أميلت الألف فيما قبلها وما بعدها من الفواصل ليستوى اللفظ بالإمالة في جميعه فيخف في النطق ويحسن في السمع . ويقوى مذهبه

(١) ورقة ٣٢ و ٤٣ من الموضح النسخة القديمة .

(٢) الحجة ٢٦٨/١ نسخة مراد ملا .

أن رموس الآيات كالقوافي من حيث كانت كلها فواصل فكما أن التسوية بين القوافي في اللفظ مراعى ومستحب كذلك ينبغي أن يكون في رموس الآيات فكذلك أmaalها ليشاكل بينها في اللفظ وبين ما قبلها وما بعدها من رموس الآيات الممالاة<sup>(١)</sup>.

وهكذا يسلك سبيل أبي على في التدليل بمسائل القافية . . ثم انظر كيف ينقل تدليله السابق في أن الوقف موضع تغيير ؟ وإن كان قد اختلف مع الفارسي في التثيل بعضه لا كله .

قال أبو عمرو :

قرأ — يريد أبا عمرو وورش — رموس الآيات بين اللفظين ، لأن رموس الآيات موضع وقوف . والتغيير في الوقوف أكثر ، ألا ترى أنهم قد ألزموا الموقف عليه تغييراً عما هو عليه في الوصل ؟ من ذلك :

١ — أنهم أبدلوا من التثوين الذي يصحب المصوب ألفاً في الوقف نحو قوله :  
وكان ربك قديراً . .

ب — وأبدلوا من النون الساكنة التي تصحب الفعل ألفاً في الوقف أيضاً نحو  
وليكونا ولنسفعاً .

ج — وأبدلوا فيه من التاء هاء في نحو نعمه، ورحمه، وحبه، وشبهه (نص مثال أبي على) .

د — وزادوا فيه الهاء في نحو كتابه .

وحكى سيبويه عنهم أنهم يقولون في الوقف هذه أفعى ، فيبدلون من ألف أفعال ياء فيه للبيان . . فكما غير الوقف بهذا النجو من التغيير كذلك غير أبو عمرو وورش من هذه الألف بأن نحوأها نحو الياء قليلاً . . ثم ذكر الداني كلام أبي على في أن الألف في الأصل أبين منها في الوقف<sup>(٢)</sup> .

ونرى الداني في تعليقه لمذهب أبي عمرو في إمالة رموس الاى لم يصرح كما صرح أبو على بأن الفواصل بمنزلة القوافي في أنها موضع وقوف ، كما أن أواخر البيوت كذلك<sup>(٤)</sup> ولكن ربط أبو على بين الفواصل والقوافي مكن الداني - على ما يبدو - من استغلاله في موضع آخر في التعليل لعدم إمالة حمزة ذوات الواو في :

(١) الحجة ٢٨٨/١ نسخة مراد ملا . (٢) الموضع ورقة ٢٧ النسخة القديمة .

(٣) الموضع ورقة ٤٨ من النسخة القديمة . (٤) ينظر نص أبي على في ذلك .

سجا وطحاها وتلاها — إذ يقول الداني في ذلك : « ويؤيد حمزة أن رموس الآيات لما كانت كحرف الروى وهى التى يبني عليها القصيدة من حيث كانت كلها فواصل ، وكانوا قد خالفوا بين حركات حرف الروى ، فرفعوه وجروه فى القصيدة الواحدة ، كقول النابغة :

زعم البوارج أن رحلتنا غداً وبذاك خبرنا الغراب الأسود  
لا مرحباً بـغد ولا أهلاً به إن كان ترحال الاحبة فى غدٍ

فرفع الدال فى البيت ، وجرها فى الثانى فى نظائر لذلك جاءت فى أشعار المتقدمين من الفصحاء . وقال الاخفش : « ما من شاعر فحل إلا وقد أقوى ، يعنى أنه جمع الرفع والجر ، وبين غيرهما فى القصيدة الواحدة ، وكثر ذلك فى أشعارهم ، كذلك يجوز أيضاً أن يخالف بين لفظ الالفاظ فى رموس الآيات فى السورة الواحدة فيقال بعضها . فدل ذلك على صحة ما ذهب إليه حمزة فى ذلك .

وهذا كلام غريب من أبى عمرو الداني — أن يجعل رموس الآيات كحرف الروى ويبني على ذلك احتجاجه لحمزة فى مذهبه فى التخالف بين لفظ الالفاظ فى رموس الآيات فى السورة الواحدة ، وإن كان مقبولاً من أبى على النحوى فلا يقبل من المقرئ الداني ، فاتباع الأثر والنقل عن الأئمة هنا أظهر من القياس على حروف الروى ، وكان يجب أن يقتصر الداني عليه ولا يزيد ، ولكنه فى ذلك يجرى وراء أبى على إلى أبعد الحدود .

\* \* \*

( خامساً ) وذلك عندى أقوى الأدلة على تأثر الداني بأبى على وإليك البيان . قال أبو على : « فى إمالة عاصم فى رواية أبى بكر الراى والهمزة فى رأى ؛ وفتح الهمزة الراى إذا سقطت الألف لساكن لقيها ، ( وتلك المسائل التى كانت بصناعة القراء الصق ) قال : « ولما فصله عاصم من إمالة فتحة الراى مع تفخيمه فتحة الهمزة وجه ظاهره ، وقياس صحيح وذلك أنهم قالوا : « رحمته الله ، فكسروا الراى لكسرة حرف الحلق الذى هو العين ، ثم أسكنوا الحاء فبقيت الكسرة على حالها فى الراى ولم يردوها إلى الفتحة التى كانت الأصل فى فعل ، فكذلك بقى فى رأى إمالة فتحة الهمزة . وبما يثبت ذلك قوله : « وإن شهد أجدى فضله وجداوله ،

وما يقوى ذلك قولهم صق ، ثم نسبوا إليه فقالوا : « صق ، فقدروا كسرة الصاد » وإن كانت كسرة العين التي لها كسرة الصاد قد زالت<sup>(١)</sup> ، فإذا قال الداني ؟ اسمع ما يكاد يكون بحروف الفارسي :

قال : « وما يؤيد مذهب من أمال فتحة الراء دون فتحة الهمزة قولهم : نعم الرجل ، ورحمه الله ، فكسروا النون والراء لكسرة حرف الحلق الذي هو العين والحاء ثم سكنوا العين والحاء ، فقالوا نعم الرجل ورحمه الله ، فبقوا النون والراء على كسرتهما ، ولم يردوها إلى الفتح التي كانت الأصل في فعل قال الشاعر :

« وإن شهد أجدى فضله ونوافله ،

فبقى كسرة الشين مع تسكينه الهاء التي من أجل كسرتها كان كسر الشين فكذلك من أمال فتحة الراء وغنم فتحة الهمزة وإن كان أمالها من أجلها فبقى لإمالتها مع ذهاب إمالة فتحة الهمزة كما فعل أولئك سواء ، ويؤيد ذلك أيضاً قولهم : « صق ، ثم نسبوه فقالوا : « صق ، فأقروا كسرة الصاد ، وإن كانت كسرة العين التي لها كسرة الصاد قد زالت<sup>(٢)</sup> .

أريت كيف ينقل من أبي على نصه ، ولا يزيد إلا زيادة لا تعد — بما يشرح أو يمثل — كما في نعم — أو بما يورد من رواية أخرى في شاهد أبي على ؟ ولعلك قد اقتنعت معي بتأثير الداني بأبي على إلى مدى بعيد . وأود هنا أن أنبه إلى أن هذا التأثير بدأ وانحأ — بكتاب الحجة — بدليل أن أبا على قد أورد احتجاجاً آخر لإمالة الراء في رأى القمر في المسائل الحليبات<sup>(٣)</sup> ، ولكن بالفاظ وأسلوب يختلف عن أسلوبه في الحجة ، مما قدم على أن الداني تأثر بالحجة ولم يتأثر بالمسائل الحليبات ، لما بينت في صدر هذا الفصل ، وملاك الأمر في ذلك جريه وراء أستاذه ابن غلبون على النحو الذي فصلت .

وشيء آخر أود أن أشير إليه وأعلل له : ذلك أن الداني كان أميناً في إيراد الأقوال ، وروايته عن الأئمة السابقين في دقه وصدق ، فلم لم ينسب ما نقل من أبي على إليه ، ويعترف له بالفضل عليه ؟ لقد نسب الداني إلى الخليل كما نسب إلى سيبويه<sup>(٤)</sup> وهما يفوقان أبا على شهرة وفوقاً وسبقاً ، كما نسب إلى أبي عبيد القاسم

(١) الحجة ورقة ٢٧٢ نسخة مراد ملا . (٢) الموضع ١٩٠

(٣) ورقة ٩ مخطوط ٥ نحو ش (٤) الموضع ٢١٠

ابن سلام ، بل كان هذا الطابع العام للداني فيما أورد من نقول : فكيف أغفل ذكر أبي علي وهذا اعتماده الظاهر عليه في الاحتجاج قد فصلته تفصيلاً ١٩ تجمع لدى من الأسباب ما تمكنت به من الاجابة عن هذا الاتجاه من الداني نحو الفارسي .

فأولاً : أبو علي يهاجم<sup>(١)</sup> رسم المصحف مهاجمة بدت في كثير ما أورد ، ورسم المصحف العثماني أثير عند الداني عزيز عليه<sup>(٢)</sup> ، ذلكم بعض ما نأى بالداني عن الفارسي .

ثانياً : أبو علي لا يقول بالآثر إلا إذا ضاقت عليه السبل ، واستغلق القياس عليه<sup>(٣)</sup> ومن هنا قال أبو علي : ذكره ابن عامر الامالة في نحو هدى<sup>(٤)</sup> . . . الخ كأن الامالة هوى من أهواء النفس تحب فتوتى ، وتكره قستبعد ١١ أو يقول معناً في الجرى وراء القياس والبعد عن الاحتجاج بالرواية والقل . . . ويجوز أن يكون رأى القراء ببعض ذلك ثم انتقل عنه إلى وجه آخر<sup>(٥)</sup> ، كأن القراءة بالرأى والنظر لا بالرواية والآثر . أو يقول : وما ذهب إليه الكسائي من ترك الفصل بين الفعل الذى قبله واو أو فاء وبين ما ليس قبله من ذلك شئ هو الوجه في قياس العربية<sup>(٦)</sup> ، ويصف القراءة الموافقة للقياس بأنها حسنة وجيلة<sup>(٧)</sup> . وقد عرض الداني بطريقة أنى على حيث يقول : لم يمل الكسائي العذاب حيث وقع ، والمحال في الرعد ، ومشارب في يس ، فتح هذه الالامة على الاصل ، ولما صح عنده من الرواية فيها عن أئمتها ، فلذلك أتبعها ، وترك القياس للدلالة على أن القراءة بالآثر المتبع ، لا بالقياس المختار<sup>(٨)</sup> ،

وثالثاً : أبو علي وتلميذه ابن جنى ، ومن قبلهما المازنى يهاجون نافعاً لإمام أهل المدينة ، وأحد القراء السبعة : قال أبو عثمان المازنى : وفأما قراءة من قرأ من أهل المدينة معائش ، بالهمزة فهى خطأ ، فلا يلتفت إليها ، وإنما أخذت عن نافع ابن أبي نعيم ، ولم يكن يدري ما العربية ، وله أحرف يقرأها لحنأ نحو آمن هذا<sup>(٩)</sup> .

---

(١) يراد بالمهاجمة هنا البعد عن الأخذ به سبباً من أسباب الاحتجاج - انظر « فصل ابن خالوية والفارسي » . (٢) سأعرض لذلك بالتفصيل . (٣) الحجة ٢٨٦/١ مراد ملا . (٤) الحجة ٣٥٣/١ نسخة البلدية . (٥) نسخة البلدية ٣٦٠/١ (٦) الحجة ٢٩٠/١ مراد ملا . (٧) الحجة ٣٨٢، ٣٦١/١ . (٨) الموضح ٢٨٤ . (٩) النصف ٣٠٧

وقد يقال : « وما لأبي عمرو الداني ونافع المدني حتى يغضب من أجله ؟ » .  
فأقول : « أن نافعاً إمام ورش وأستاذه ، وقد عرفت بمكانة ورش عند  
الداني والمغاربة أجمعين (١) » .

ورابعاً : أبو علي حنفي معتزلي شيعي وأهل الأندلس كما يقول المقدسي (٢)  
لا يعرفون إلا كتاب الله وموطأ مالك فإن ظهروا على حنفي أو شافعي نفوه ، وإن  
عثروا على معتزلي أو شيعي ونحوهما ربما قتلوه . فهل ترى الداني يشير إلى  
الفارسي بعد ذلك ١١٩

هذه بعض الأسباب التي أراها وقفت بالداني من أبي علي حيث وقف ، فلا يذكر  
اسمه في كتابه ، ولا يسند إليه ما نقل عنه ، وما كان لأبي عمرو الداني مندوحة  
في ترك النقل عن أبي علي جملة ، ذلك لأنه قد اضطر إلى ذلك اضطراراً وبخاصة  
في الاحتجاج لهذه المسائل التي كانت بمذاهب القراء أشبه ، وبصناعتهم ألصق ، فلم  
يجد الداني ما يعتمد عليه عند سيبويه ، فولى وجهه كارها على ما يبدو نحو أبي علي ،  
وكان ذلك عزيزاً عليه !

\* \* \*

على أن جرى الداني وراء أبي علي كان من أثره أن :  
( أ ) أبعد الداني إلى حد ما عن القول بالآثر الذي يعتز به وينتمي إليه .  
( ب ) وأنه نقل تعليل النحاة في بعض ما أمال القراء ، وبعض هذه التعليلات  
لاتصلح علة عند تطبيقها على مذاهب أهل الأداء (٣) .  
وبعد فهذه النصوص المقارنة كلام الشيخين يتبين مدى تأثير الداني بأبي علي ،  
والخص ذلك فيما يأتي :

أولاً : أن الداني ينزع منزع أبي علي في القياس .

ثانياً : وأنه يتشبه بأبي علي في فهمه وأسلوب سيبويه وتعبيراته .

ثالثاً : وفي القول بالاولى والأجدر . وسلوكه مسلك أبي علي في التعليل .

رابعاً : وفي استخدام العروض والقوافي في التدليل .

---

(١) انظر صدر الكلام في هذا الفصل (٢) أحسن التقاسيم ٢٣٦ (٣) تفصيل ذلك  
في الفصل الثامن من بحثي « القراءات واللهجات العربية - الإمالة ص ١٦٦ وما بعدها .



خامساً : وأخيراً يورد نصوصاً تكاد تكون نصوص أبي على في ألفاظها واستشهاداتها .

ومن المهم أن أنبه إلى أن الداني حين يتأثر بأبي على ويجرى في سننه لا يخلع عنه ثوب التمسك بالآثر وهو ما سأعرض لشرحه فيما بعد ، ثم هو الطابع الذي أمتاز به الداني ، والذي يفرد به شخصيته ، فهو يضيف ذلك إلى ما يتأثر به من أبي على في التدليل والاحتجاج والتعليل .

وأود أن أنبه كذلك إلى أن هذه النواحي التي تأثر بها الداني لا تظهر عنده مجتمعة في كل نص من نصوصه ، بل يظهر بعض هذه التأثيرات حيناً في نص ، ثم يظهر بعضها مع أخرى أو تستقل تلك بالظهور في نص آخر ، وهي على أى حال دليل على ما أذهب إليه من الرأى في تأثر الداني بأبي على .

\*\*\*

ثم أمضى بعد ذلك في بيان ما كان بين الشيخين من تخالف ، وهل جرى الداني كتابه الموضح وراء الفارسي في الحجة لا يحدد عن سبيله ، أو كانت هناك دلائل على شخصيته في البحث ، جعلت له طابعاً يشير إليه ، ويدل عليه ؟ ذلك ما أئنه فيما يأتي من فروق بين الرجلين ليتضح مدى تأثر الداني بأبي على وإلى أى حد أثر الفارسي فيه :

فأولاً : توثيق القراءة بذكر السند المتصل بالائمة القراء :

وهي ظاهرة تطالعك في كثرة غامرة من صفحات الموضح ، وقد جرى الداني في ذلك على طريقة المحدثين ، يرفع القراءة التي قرأ بها على شيوخه إلى صاحبها من الائمة السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد ، هذا المنهج الذي اصطنعه المحدثون لتوثيق النقل عن الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) — اصطنعه الداني خاصة — في كتاب الموضح — لتوثيق قراءته ورفعها بالسند المتصل إلى رسول الله ( صلوات الله عليه وسلامه ) .

حقيقة ظهر هذا الاسناد عند السابقين للداني ، وكان منهم أبو على الفارسي نفسه<sup>(١)</sup> وقد كان هذا بعض ما يفترق به عن ابن خالويه ، وأشارت إليه موازنا

(١) انظر مثلاً الحجة ١/ ٣٨٠ ، و ٣٨٢ نسخة مرادملا

بينهما<sup>(١)</sup>، ولكن الداني حين يلتقي بأبي علي في هذا المنهج من حيث مبدأ الاسناد من جهة يفارقه فيه من جهة أخرى، ذلك أن أبا علي الفارسي أخذ عن ابن مجاهد أخذاً مباشراً، وابن مجاهد قد أورد السند عن القراء السبعة في كتابه المترجم بالقراءات، والذي احتج له الفارسي في كتابه الحجة<sup>(٢)</sup>، وذلك سند قريب، بل يكنى أبا علي لتصحيح السند وتوثيق القراءة أن يقتصر على ابن مجاهد ولا يتعداه، وكذلك فعل في كثير من الأحيان<sup>(٣)</sup>، ففي ذلك توثيق لما يذهب إليه، وما يحتاج له على أنه حيناً يسوق سنداً لا يتصل بأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد، كأن يحدثه سهل أبو عمرو عن أبي عمرو عن عاصم... أو يخبره محمد بن الفرّج عن محمد بن اسحق عن أبيه عن نافع... أو يخبره القاضي عن قالون عن نافع<sup>(٤)</sup>، أما أبو عمرو الداني فقد طالعت سلسلته في الإسناد، وتعددت طرقه، كما تعددت رواياته، بحكم ما بين الرجلين من زمن تعدد فيه المشتغلون بالقراءات والإقراء والتأليف في الأمصار الإسلامية المختلفة التي أخذ فيها أبو عمرو الداني عن ثيوخا، أو عرض عليهم. ومن هنا كان ذكر هذه الاسناد — في اللفظ الواحد المختلف عليه — برواياتها المختلفة، وطرقها المتعددة مظهراً من مظاهر ما يفترق فيه الداني عن الفارسي ونهوضاً بعيب ضخم، وإداء لآمانته التوثيق، وحفاظاً على القرآن في دقة تأخذ بعجبك وإعجابك جميعاً، وتروع المطلع على كتابه الموضح وتبهره. وقد تفشت هذه الظاهرة في هذا الكتاب تفشياً تفرق بينه كذلك وبين أبي علي ويطول حبل الكلام لو أردت الاستقصاء، وأرجع القارئ إلى الكتاب بعامته — لا إلى صفحات منه خاصة — لتطالعه مثل أخرى في غزاره فاشية :

\*\*\*

ولو ذهبت أتلس العلة التي من أجلها سلك الداني هذا المسلك حتى عده ابن الجزري أفضل من تعاطى ذلك. وحققه، وقيد شوارده ومطلقه<sup>(٥)</sup> — لا عتمدت من الأسباب اشتغال الرجل بالحديث، فقد كان له معرفة بالحديث<sup>(٦)</sup>، وطرقه

(١) انظر الفصل الخامس بذلك (٢) الحجة ص ٢ ونسخة مراد

(٣) انظر مثلاً ٢٨٤/١ - ٢٩٠ وقد تحريت أن تكون هذه الصفحات من التي تكلم

فيها أبو علي في الأمانة (٤) المصدر السابق ٣٨٢/١

(٥) النشر ١٩٣/١ (٦) طبقات القراء ١/٤٠٤

وإعرابه ، وأسماء رجاله (١) ، ونقلته (٢) ، وقد ظهر أثر ذلك في إسناده الحديث الشريف : « نزل القرآن بالتفخيم » ، حيث قال : « وهو ما حدثنا محمد بن أحمد بن علي قال : حدثنا محمد بن القاسم قال : حدثنا بشر بن موسى قال : حدثنا محمد بن مقاتل قال : حدثنا عمار بن عبد الملك قال : حدثنا محمد بن عبد العزيز القرشي قاضي المدينة قال : حدثنا أبو الزناد عن خارجة بن زيد ، عن زيد بن ثابت أن رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) قال : « نزل القرآن بالتفخيم » (٣) ،

وهذا الإسناد الدقيق بعض ما يمتاز به الداني في الموضح ، وبعض ما يسمه بطابع يميزه عن غيره من الكتب التي أعلم أنها تعرضت للإمالة بخاصة . ويظهر أن الداني كان مولعاً بهذه الدقة في التحديد حتى فيما يروى عن نفسه من تنقلات في مختلف الأقطار ، فقد حدث عن نفسه قائلاً : بدأت ألتقي العلم سنة ٢٨٥ هـ في الرابعة عشر من عمري ، ورحلت إلى المشرق في يوم الأحد الثاني من المحرم سنة ٣٩٧ هـ وأنفقت في مدينة القيروان أربعة أشهر ، ودخلت مدينة القاهرة في شوال من السنة نفسها — ومكثت بها سنة (٤) — ورحلت من مصر عام (٥٢٩٨) إلى مكة والمدينة للقيام بفريضة الحج ، وقد أمضيت الجانب الأكبر من هاتين السنتين في الدرس والتحصيل ، ثم عدت إلى قرطبة في ذى القعدة من عام (٥٣٩٩) (٥) .

فرجل يروى هذه التنقلات في هذه الدقة البادية في تحديد اليوم بالاسم ، وذكر تاريخه من الشهر ، وموضع الشهر من السنة حتى كاد يصل في ذلك إلى مستوى المذكرات اليومية التي يصطنعها الناس في هذا الزمان ، بل أن هذه المذكرات لاتزيد عما فعل الداني شيئاً — رجل هذا شأنه ليس غريباً منه إن ترى له هذه الدقة واضحة فيما يتناوله من موضوعات ، وما يتبعه من إسناد وبخاصة في أمر يتصل بالقرآن الكريم حيث يعدون السند الصحيح ركناً من أركان القراءة (٦) ، ولا يزال القراء يحرصون على هذا الإسناد ، يأخذون طلابهم به ، ويسجلونه فيما يمنحون من إجازات للقراءة حتى الآن (٧) .

(١) فتح الطيب ٣٨٦/١ (٢) طبقات القراء ٥٠٤/١

(٣) الموضح ورقة ٣٢ النسخة القديمة (٤) فتح الطيب ٣٨٦/١

(٥) دائرة المعارف الإسلامية مادة الداني وطبقات القراء ٥٠٥/١ وانظر فتح الطيب ٣٨٦/١

(٦) النشر ٩/١ (٧) انظر سند الشيخ الضباع شيخ المفاري المصرية حالاً في صدر النسر

ويظهر أن الرجل قد وهب الله له حافظه واعية ، وضبطا متقنا حتى عد من أهل الحفظ والتحقيق ، وكان يقول : « ما رأيت شيئا إلا كتبته ، ولا كتبت إلا حفظته ، ولا حفظته فنفسيته <sup>(١)</sup> » ، وكان يسأل عن المسألة عما يتعلق بالآثار وكلام السلف فيردها بجميع ما فيها مسنده من شيوخه إلى قائمها <sup>(٢)</sup> ، وقد كان علو السند من الأمور التي يتهاقت عليها المحدثون ، وكان شيخ الداني محمد بن علي عالي السند <sup>(٣)</sup> ، فتحقق الداني بذلك ما تمناه يحيى بن معين ( رحمه الله ) وهو على فراش الموت : قيل له : « ما تشتهي ؟ » فقال بيت خال ، وإسناد عال ، وقال أحمد بن حنبل : « الإسناد العالي سنة عن سلف » .

وأمر آخر يتعلق بالسند وشغف أبي عمرو بذكر الروايات المتعددة به : ذلك أنه يورد روايات متضاربة عن القارئ الواحد ولست أدري ، من حسنات الكتاب ذلك الاتجاه أم بما يواخذ الداني عليه ؟ هو حسن من حيث أنه يكشف لنا كيف كان الإمام من الأئمة السبعة يراوح في قراءته بين الفتح مرة ، والإمالة أخرى ، وقد يمكنني من ذلك التعقيب على الدكتور إبراهيم أنيس حيث قال في كتابه اللهجات العربية <sup>(٤)</sup> بعد أن انتهى إلى أن القراء المميّزين كوفيون .

« ... قد يبدو من الغريب أن نرى بين علماء الكوفة أمثال عاصم الذي توفي سنة ١٢٧هـ والذي أخذ عنه حفص تلك القراءة المشهورة الآن بالبلاد العربية <sup>(٥)</sup> ؟ والتي تكاد تخلو من الإمالة » ،

حقيقة أن المشهور عن عاصم من كتب القراءات أنه مقل في الإمالة <sup>(٦)</sup> ، ولكن التبع الدقيق لقراءة عاصم ، وأسانيد راويه عنه على حسب ما أورد الداني يهدينا إلى شيء لم يشتهر به عاصم ولكنه روى عنه . يهدينا إلى أنه كان من المكثرين كثرة غامرة . فلم تقتصر إمالاته فقط على « مجربها » في رواية حفص عنه ، ولا على رمى الأنفال ، وأعمى في موضعي سبحان في رواية أبي بكر كما جاء في التيسير للداني ، والشاطبية للشاطبي <sup>(٧)</sup> ، بل المروى غير ذلك ، فقد روى الشموني عن الأعمش عن أبي بكر عن عاصم إمالات أخرى تتبعها في كتاب الموضح للداني وحصرتها <sup>(٨)</sup> ، فخرجت منها بنتيجة تخالف

(١) نفح الطيب ٣٨٦/١ (٢) طبقات القراء ٥٠٤/١ (٣) طبقات ٧٢/٢

(٤) ص ٤٢ (٥) هذا الاطلاق فيه نظر (٦) انظر ص ٢ من قرة العين

وورة ١٢٠ من شرح الجعبري للحرز (٧) انظر الإمالة في التيسير والشاطبية (٨) من الموضح انظر ص ٣٥ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٦٧

٧٠ ، ٧٢ ، ٣١٥ ، ٩٣ ، ١٤٣ ، ١٥٤ ، ١٢٦ ... الخ

المشهور عن عاصم في كتب القراء ، ولكن هذه النتيجة على كل حال تفسر لنا التساؤل ، وتزيل الغرابة التي بدت للدكتور ، أنيس وتصحيح اطراد ماهو معروف من أن الكوفيين يملون (١) .

فالروايات المتخالفة لها وجه الحسن لما ذكرت ، وهي من ناحية أخرى تركنا في حيرة . من غير تعرف رأى واضح محدود : انظر التخالف الذي رواه الداني في باب ما ورد في كتاب الله تعالى من الاسماء التي الرأ في آخرها مجرورة وقبلها ألف (٢) .

( ١ ) حدثنا الفاسي عن شيوخه عن الأعشى عن أبي بكر عن عاصم أنه أمال الباب كله .

( ٢ ) وروى محمد بن خلف التيمي عن الأعشى الباب كله بين التفخيم والكسر

( ٣ ) وكذلك روى ضرار عن يحيى عن أبي بكر .

( ٤ ) وكذلك حدثنا ابن طالب عن شيوخه . . . عن الأعشى عن أبي بكر عن عاصم .

( ٥ ) وحدثنا أبو الحسن شيخنا عن شيوخه . . . عن الأعشى عن أبي بكر عن عاصم أنه لا يكسر شيئا .

( ٦ ) وررى لنا أبو الحسن شيخنا عن أصحابه عن الأعشى عن أبي بكر عن عاصم الإمالة في الباب كله إلا ما كان فيه صاد .

ثم قال معينا قراءته : « والذي قرأت به في رواية الأعشى من طريق محمد ابن حبيب الشموني ومحمد بن غالب الصيرفي عنه عن أبي بكر بإخلاص الفتح .

\* \* \*

ولو أن الداني استبعد الروايات الضعيفة أو نبه على رواية يرتضيها لكان قد فعل خيرا ، ومن أقدر منه على ذلك وهو كما يقول ابن الجزري له معرفه بالحديث وطرقه وأسما رجاله ونقله . . . ولم يكن أحد يضاهيه في عصره ولا بعد عصره بمدد في حفظه وتحقيقه (٣) .

وإن كان في قوله : « والذي قرأت به . . . الخ ما يحدد بعض التحديد هذا الموقف المضطرب عن عاصم وتردده بين الفتح مرة ، والكسرة أخرى ، ويظهر

أن الداني قد تجنب هذا الاضطرب في كتاب التيسير ، فاستقر على رأى بعينه ، وبه أخذ القراء ، وأذاعه الشاطبي حين نظمه في حرز الاماني ، ولا يزال عليه الناس حتى الآن .

على أنه أحيانا يعتمد على من اشتهروا بضعف الرواية ، من هؤلاء هرون الذي ذكره في الموضح<sup>(١)</sup> ، وهو هرون بن حاتم كما جاء في طبقات القراء<sup>(٢)</sup> ، وقال عنه ابن الجوزي في ترجمته : « مقرأ مشهور ضعفه ... وشمل عنه أبو حاتم فقال : « أسأل الله السلامة !! » وكنت انتظر من الداني وهو العليم برجال الإسناد ، وألف في طبقات القراء — أن ينبه على ذلك أو يترك الرواية عنه . وبما يتصل بذلك الفرق

ثانيا : تعيين قراءته التي قرأ بها على شيوخه :

١ — في صراحة مفصلة كأن يقول « أقرأني ابن غلبون لورش ما كان ، على وزن فُعْلِي براء : بشرى : أو وقع رأس آية ، ولم يتصل بها ضمير المؤنث بين اللفظين ، وما عدا ذلك بإخلاص الفتح<sup>(٣)</sup> ،  
ب — بجملة : كأن يقول يقول : « ... وأنا أفرد لكل راو بابا أجمع فيه ما انفرد بروايته من ذلك الإمام الذي روى عنه على حسب روايتي وقراءتي<sup>(٤)</sup> » .  
ج — أو في إشارة دالة : كأن يقول : فأما قولهم : « طغيانا » فكلهم أخلص فتحه لكونه منصوبا إلا ما رواه أحمد بن جبير عن الكسائي أنه أماله لأجل الياء . لم يرو ذلك عنه أحد غيره ، ولا عمل على ما رواه<sup>(٥)</sup> .

ثم رأيت يتبع قراءته بالتعليل لها والاحتجاج .

وقد رأينا أبا علي الفارسي لا يفصح عن قراءته ، ولا يدل على الإمام الذي سلك سبيله . على أنني استنتجت ذلك استنتاجا<sup>(٦)</sup> بالقدر الذي أعانتي عليه النصوص ، وأسعفتني به الاشارات التي جمعتها من هنا وهناك في نقص شديد ، وعسر جهيد .

وكان مسلك الشيخين في تعيين قراءته أو عدم تعيينها طبيعيا ، فأبو عمرو الداني يروى عن شيوخه الذين أقرءوه ، وأخذ عنهم ، وعرض عليهم بجانب الحديث عن

(٤) ٣٠٥

(٢) الموضح ٣٠

(٢) ٣٤٥/٢

(١) ص ٣٠

(٦) راجع الفصل الخاص بذلك

(٥) ص ٥٧

مذهب القراء والاحتجاج لهم . أما أبو علي فكانت مهمته الأولى في الاحتجاج للقراء الذين وردت قراءتهم في كتاب ابن مجاهد ، وإذن لم تكن المهمة في أساسها بيان ما تلقى هو أو عرض كما كان ذلك شأن الداني في كتاب الموضح .

وقد وقف كل من الرجلين موقفاً يخالف موقف الآخر من القراءات التي تتخالف هي ومذهبه قارئاً أو نحوياً : فالداني معترف بها . لا يمنع من صحتها ، لصحة الرواية بها ، وثقة من نقلها<sup>(١)</sup> . على حين رأينا من قبل موقف أبي علي من القراءات التي تتفق ومذهبه النحوى فيصفها بأنها قبيحة<sup>(٢)</sup> أو أنها<sup>(٣)</sup> ضعيفة على النحو الذي تعرضت له في تفصيل مقدرا مذهب فيه في ذلك ، ومذهب من لف لفه من النحاة البصريين .

ومن التخالف بين الرجلين .

ثالثاً : اهتمام الداني بمذهب ورش والتعليل له :

وبما يتصل بالحديث عن تعيين الداني لمذهبه والاحتجاج له عنايته بمذهب ورش ، وذلك يبدو في ميله إلى آرائه ، وترجيح مذهب على مذهب غيره من الأئمة القراء ، فمن المعروف عند أهل الأداء أن أصل حمزة والكسائي الإمامة الكبرى ، وأصل ورش الصغرى وأن أبا عمرو متردد بين الأصلين<sup>(٤)</sup> . ومن هنا نرى الداني في كتابه الموضح يحكى هذه الأوجه الثلاثة الفتح المتوسط ، والإمامة المتوسطة ، والإمامة المحضة ، ثم يناقش أى هذه الثلاثة أوجه من طريق النظر ، وأولى من جهة القياس ، فيروى آراء العلماء من قبله ، وأن منهم من يختار الفتح ، ويذكر سبب هذا الاختيار ، ومنهم من يختار الإمامة الخالصة ويعلل له ، ومنهم من يختار الإمامة الصغرى — الإمامة المتوسطة التي هي بين بين ، وذلك مذهب ورش أستاذه ، ثم يفصل هذه الأخيرة ، ويدلل عليها

ومن المهم أن أذكر أن أبا علي الفارسي قد ألم بهذه المسألة إماماً عابراً ، وذكر رأيه فيها ولكن دون حساسة ظاهرة كالتى كانت عند الداني . كل ما قاله أبو علي :  
« أما قصده في الإمامة نحو الياء وتوسطه في ذلك فلائنه كره أن يبالغ في

(١) ص ٢٦٩ (٢) المجلة ٤/ ١٠٩ (٣) المجلة ٣/ ٢٢٩

(٤) ورقة ١٢٠ شرح حرز الأمانى للجمهرى مخطوط دار الكتب برقم ٦١٢ قراءات

الاتجاه نحو الياء فيصير كأنه عائد إلى الياء التي كرهوها حتى أبدلوا منها الالف ،  
ثم أعلن الفارسي عن رأيه فقال : « وهكذا ينبغي أن تكون الالف في الإمالة <sup>(١)</sup> » .

\*\*\*

والداني ماهر أشد المهارة في الاحتجاج لورش في الفرش من الحروف ، يقول :  
« وأقرأتني أبو الحسن لورش الذي في النجم — يقصد المنتهى في النجم في قوله  
تعالى إلى ربك المنتهى <sup>(٢)</sup> ، بين اللفظين ، والذي في النازعات — إلى ربك منهاها —  
بإخلاص الفتح » ثم يحتج لورش من قراءته على أبي الحسن بين قوله : المنتهى في  
الموضعين احتجاجاً يدل على تمكن منه في مذهب ورش ، واقناع في الاحتجاج  
له ، واقناع به <sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

وهو يحس أنه متمكن من مذهب ورش تمكناً جعله يقول في كتابه الموضح :  
« وسنفرد لمذهبه — أي مذهب ورش ، في الرأى باباً نبين ذلك فيه بياناً بليغاً  
إن شاء الله <sup>(٤)</sup> » .

وحقاً : لقد أوفى في وعده « ببلاغة البيان » وفاء يدل على شمول إحاطته بهذا  
المذهب بما يحوى كثيراً من الدقائق والتفاصيل <sup>(٥)</sup> :

أ — فقد تحدث عن مذهب ورش عن نافع في إمالة الرأى ، وفي إخلاص  
فتحهن وأفرد لذلك باباً <sup>(٦)</sup> وجعل تحته فصولاً .

ب — وانتقل منها إلى باب ذكر فيه حكم الوقف على الرأى المتطرفات <sup>(٧)</sup> ،  
ثم عقد باباً لمذهب ورش عن نافع في ترفيق اللامات وتغليظهن وتحت ذلك فصول .  
ولم تظهر عناية الداني بمذهب ورش في كتاب الموضح فقط ، بل له إلى جانب  
ذلك تأليف أشرت إليها في صدر هذا الفصل .

ذلكم مبلغ اهتمام الداني بمذهب ورش ، فإذا حاولت التعليل لهذه النزعة وجدت  
السبيل واضحة بتتبع الشيوخ الثراء الذين نشروا مذهب ورش في بلاد المغرب —  
موطن الداني — والشيوخ الذين أخذ عنهم ، ثم أولئك الذين تلقى عليهم الداني :

(١) الحجة ١/٣٥١ (٢) سورة النجم (٣) ينظر الاحتجاج في ورقة ٣٩  
نسخة قديمة وس ١٢٨ نسخة جديدة (٤) ورقة ٣٤ نسخة قديمة أو ص ٨٢ من  
النسخة الجديدة (٥) الموضح ص ٣٣٨ (٦) ٣٣٨ (٧) ٣٥٩



ويحدثنا المقرئ في نفح الطيب أن ابن خيرون أبا عبد الله محمد بن محمد (وقيل محمد ابن عمر) الأندلسي (ت ٣٥٦ هـ) رحل إلى المشرق وأخذ القراءات بمصر عن محمد بن سعيد الأنماطي<sup>(١)</sup>، ومصر موطن ورش<sup>(٢)</sup>، والذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه<sup>(٣)</sup>، وعاد ابن خيرون إلى القيروان وسمع بها وبقرطبة<sup>(٤)</sup>، ويقول المقدسي في أحسن التقاسيم في كلامه على مذاهب المسلمين في مختلف الاقطار الإسلامية: «أما في الأندلس فذهب مالك، وقراءة نافع<sup>(٥)</sup>». والذي قدم بقراءة نافع على أهل أفريقية هو ابن خيرون السابق الذكر، وكان الغالب على قراءتهم حرف حمزة، ولم يكن يقرأ بحرف نافع إلا الخواص حتى قدم بها فاجتمع إليه الناس ورحل إليه أهل القيروان من الآفاق، وكان يأخذ أخذاً شديداً على مذهب المشيخة من أصحاب ورش<sup>(٦)</sup>، وإذن فقد وضعت يدي بهذا النص على سبب ذبوع مذهب ورش في بلاد المغرب، ويكون من تلاميذ ابن خيرون: عبد الحكم بن إبراهيم<sup>(٧)</sup>، الذي روى رواية ورش عن أستاذه، وكان كما يقول الداني إماماً في رواية ورش<sup>(٨)</sup>.

وقد ألمت في صدر هذا الباب بشيوخ الداني، وعرفنا منهم ومن تواليفهم اهتمامهم بمذهب ورش وتلذذهم عليه: وهكذا ترى شيوخ الداني يحتفلون بورش، يؤلفون في قراءته<sup>(٩)</sup> ويساجل بعضهم بعضاً في مذهبه بالتغليط والرد<sup>(١٠)</sup>، ولأفراداً بالتأليف في كتبه الأخرى على ما بينت. وغنى عن الذكر أن أبا علي الفارسي لم تتح له هذه الظروف التي جذبت الداني إلى ورش بما جذبت، والتي كان من نتائجها انفراد الداني عن أبي علي فيما انفرد، وما كان لذلك من أثر في الظواهر والسيات.

#### رابعاً: الاحتجاج برسم الصحف:

وقد لحظت أن الأدلة التي يوردها الداني في الاحتجاج لوجهة نظره تتضمن في الأعم الأغلب أدلة تتصل برسم المصحف، فالأدلة التي ذكرها في أصالة الفتح وفرعية الإمامة منها أدلة ثلاث تتعلق بالرسم وهي الدليل الثالث والرابع والخامس<sup>(١١)</sup>،

- |                     |   |
|---------------------|---|
| (١) نفح الطيب ٣٥٣/١ | (٢) انظر حسن المحاضرة للسيوطي                 |
| (٣) طبقات ٥٠٢/١     | (٤) نفح الطيب ٣٥٣/١ (٥) أحسن التقاسيم ٢٣٦     |
| (٦) نفح الطيب ٣٥٣/١ | (٧) طبقات القراء ٢١٧/٢ (٨) طبقات القراء ٣٦٠/١ |
| (٩) النشر ١٩٨/٢     | (١٠) معجم الأدباء ١٧٠/١٩ (١١) الموضح ٤        |

والأدلة التي ذكرها لإخلاص أبي عمرو فتح ، يا بشرى « متصلة برسم المصحف <sup>(١)</sup> وكذلك ما استدل به على فتح حمزة ، الحوايا <sup>(٢)</sup> وهداى <sup>(٣)</sup> ، وحياى وحياهم <sup>(٤)</sup> ومثواى وغير ذلك مما يشيع فى احتجاجة لمذاهب القراء فاتحين أو عميلين ، حتى برهنته على المسائل النحوية ، يقحم رسم المصحف دليلا على ما يذهب إليه ، فالأدلة التي أوردها للرد على النحويين فى قولهم : أن أصل مهما « ماما » من بينها دليل يتعلق بالرسم وهو الدليل الأول <sup>(٥)</sup> ، والدليلان اللذان يرجح بهما أن المحذوف هو الألف المبذلة من التنوين فى الأسماء المقصورة الموقوف عليها فى حال النصب من مثل قوله تعالى : « منا ولا أذى » — الدليل الأول منهما خاص بالرسم <sup>(٦)</sup> . وأنا فى غنى عن التمثيل لذلك الاتجاه ، لأنه شائع فى الموضع <sup>(٧)</sup> . وقد رأينا أبا على الفارسي من قبل لا يكاد يقول برسم المصحف ، ولا يتخذ دليلا يحتج به للأئمة القراء <sup>(٨)</sup> . كان ذلك موقف أبي على من القراءات بعامة ، وكذلك كان موقفه من الألفاظ المألة بخاصة ، فلم يحتج برسم المصحف بقراءة قارىء من الأئمة السبعة فاتحا أو ميلا .

ولو أردت التعليل لموقف الداني من الرسم لكان ذلك ميسورا ، فالرجل صفته الأولى أنه قارىء ، وهى صفة تصله بالمصحف وصلا قويا . إلى أنه ألف كتابه المقنع فى رسم مصاحف الأمصار وكتاب النقط <sup>(٩)</sup> . كما أشار فى المقنع — إلى أن له كتابا كبيرا فى الرسم <sup>(١٠)</sup> . إلى أن المتصفح لكتاب المقنع يجد ما يدل على أن الداني قلب النظر فى مصاحف الأمصار ، واستخلص منها ما ورد فى كتابه خاصا بالرسم ، تراه يقول مثلا : وكذلك حذفت الألف بعد الهمزة فى قوله « قرءنا » فى مكانين فى يوسف <sup>(١١)</sup> . « إنا أنزلناه قرءنا عربيا ، وفى الزخرف <sup>(١٢)</sup> « إنا جعلناه قرءنا عربيا . » ثم يقول : ورأيت أنا هذين الموضعين فى مصاحف أهل العراق وغيرها بالألف <sup>(١٣)</sup> .

(١) نسخة جديدة / ورقة ٣٦ ص ٩٥ (٢) ص ١١١ (٣) ص ١٣٠

(٤) ص ١٣٤ (٥) قد ذكرت هذه الأدلة قبل (٦) الموضع ص ٣٠٥

(٧) انظر ص ١١٥ و ١٢٦ و ١٢٩ والصفحات السابقة

(٨) انظر فصل بين ابن خالويه والفارسي

(٩) طبع الكتابان باستانبول ١٩٣٢ باعتناء اتوبرتزل أحد أعضاء جمعية المستشرقين الألمانية

(١٠) المقنم ٣١ (١١) ص ١٢ آية ٢ (١٢) ص ٣ آية ٤ (١٣) المقنم ٢٠

أو يقول : « رأيت المصاحف تختلف في أربعة منها : يريد حذف الألف من الاسماء الأعجمية ، — وهى : « هاروت ، وماروت ، وهامان ، وقارون » ، ففي بعضها بالألف وفي بعضها بغير ألف . . . ووجدت في مصاحف أهل العراق « هامن » ، بألف بعد الهاء ، وفي كلها بغير ألف بعد الميم . . . وكذلك « إسرائيل » رسم بالألف أيضا في أكثر المصاحف ، وقد وجدت ذلك في بعض المصاحف المدنية والعراقية العتق القديمة بغير ألف وإثباتها أكثر <sup>(١)</sup> .

ثم تقرأ عنه نصوصا تشير في صراحة إلى أنه كان « يتبع مصاحف أهل العراق . . » ، وينعم النظر في مصاحفهم الأصلية <sup>(٢)</sup> ، إلى غير ذلك من الأمثلة التي تكاد تطالعك في صفحات متقاربة <sup>(٣)</sup> .

وربما جاء الاهتمام برسم المصحف من شيوخه ، فكثيراً ما يحدث أخبارهم بأنهم رأوا في مصاحف أهل العراق كذا ، ومصاحف أهل المدينة والحجاز كذا <sup>(٤)</sup> كما يطلع على ما كتب الغازي بن قيس في الهجاء <sup>(٥)</sup> .

على أن رسم المصحف يتصل بناحية يستمسك بها أهل الأثر والداني منهم . وإنك لتجد الداني مشدوداً إلى الأثرين متمثلاً ذلك في القول برسم المصحف — شداً قوياً <sup>(٦)</sup> ، إن احتج بكلام النحويين — فسرعان ما يتجه إلى رسم المصحف أخذاً به معللاً ، ومعتدداً عليه دليلاً ، احتج لإمالة الأفعال الجوف بأن سيويه قال : « وهى لغة لبعض أهل الحجاز » ، ثم قال الداني : « وقال عاصم الحجدري : « رأيت في مصحف عثمان بن عفان ( رحمه الله ) ما طاب لكم طيب .

وقال الكسائي : « رأيت في مصحف أبي بن كعب جاءتهم رسلهم ، جاء بهم ، وجاء أمر ربك : جيئتهم . . . الخ <sup>(٧)</sup> .

وأبو على من أهل القياس والنظر ، فهو يبعد بذلك عن الداني ومنهجه في القول برسم المصحف ، وهناك ما هو أهم من ذلك ، فلا بُد على رأى يقول به ويحتج له في رسم سعى وشبهه <sup>(٨)</sup> . فكيف وهذا رأى يقول برسم المصحف ، وهذا الفعل

(١) ٢٣ (٢) ٢٤ (٣) انظر مثلاً ٢٧ ، ٢٩ ، ٥٩ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١

(٤) انظر ص ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ مثلاً وهى كما ترى صفحات متوالية (٥) ٢٣ ، ٥٠ ، ٦٨

(٦) من دلائل أتباع الداني للأثر قوله بعد الاحتجاج — وبالله التوفيق . أو ما يشبه هذه العبارة وقد تكرر ذلك في الموضح والقنم في صورة ظاهرة انظر المقنع ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٤

(٧) الموضح ١٦٦ (٨) انظر المسائل الحلبية ص ٢١

نفسه: فعل «سعى» مرسوم بالياء فيه وقد اتفقت على ذلك جميع المصاحف ١٤ (١) ، ويعمل الداني ذلك الاتفاق بأنه على مراد الامالة (٢) كما يعمل رسم «تراء» بالالف ، «والصلوة والزكاة والحياة» والربوا . . . بالواو على مراد التفخيم (٣) . وهكذا يربط الداني بين الاماله والتفخيم والرسم ، ويعمل هذين عند القراء بذلك ، ويعمل الرسم بهذين .

هذا ومناقشة الداني فيما اتجه إليه من ربط الامالة بالرسم ، وتقويم رأيه في ذلك ، وما ذهب إليه أبو على من عدم الاعتداد به في الاحتجاج للامالة والفتح وغيرها من مذاهب القراء — موضح هذا في الفصل المعقود لرسم المصحف فليراجع هناك .

وأضئ بعد ذلك في بيان ما بقي من تخالف بين الداني والفارسي :

خامساً : موقف الداني من النحاة الكوفيين :

وقف النحاة البصريون من القراءات موقفاً عرضت له من قبل ، على حين اعتد الكوفيون بالقراءات غير مشذذين ولا منكرين ، وقد رأينا من قبل موقفهم ممثلاً في شيخهم القراء أمير النحويين ، وموقف البصريين ممثلاً في أبي عثمان المازني — من قراءة نافع الذي تنتهي إليه قراءة الداني في الامالة عن ورش ، طعن المازني نافعاً وجهله ، ولحنه (٤) ، فلا جرم أن يبادل القراء الكوفيين اعتداداً باعتداد ، وتوثيقاً بتوثيق . وهذا ما يبدو جلياً في كتاب الموضح ، فهو يميل إلى النحاة الكوفيين ، ويجعل مذاهبهم الفاشية عند القراء الذين روى عنهم ، وغنى عن الإشارة أن أقرر تخالف أبي على مع الداني في هذا الأمر ، فشئ من ذلك لا يحتاج إلى توضيح أو تعليل . ولكنني أذكر موقف الداني ، لأنه اتجاه جدير — فيما أرى — بالذكر والتسجيل .

وأرجو أن أنبه هنا إلى أن القراء لم يكونوا في تأييدهم للكوفيين متجافين سندهم في التلقي أو بطريقتهم في الأخذ والرواية ، لذلك أرجو ألا يفسر تأييدهم للكوفيين على أنهم كانوا مدفوعين بدافع من العصبية المذهبية ، فانا نعلم أن بين النحاة الكوفيين الكسائي والقراء ، وهما كذلك علما من الاعلام الأئمة في القراءة والاقراء ، ومن

(١) الغنم ص ٦٧ وما بعدها (٢) المصدر السابق

(٣) النصف ٣٠٧

(٤) ص ٥٧

قبل هذين كان النحاة القراء ، وكان لهم جميعاً اختيار فيما يتصل بالأداء ، فقلت هذه الاختيارات إلى القراءات واعتدبها القراء ، مؤثرين ما نقلوه عن آراء البصريين .

ولإليك بعض الأمثلة التي بها أستشهد على موقف الداني من نحو الكوفيين :  
علل الداني إمالة حمزة والكسائي « بلى » ، مستنداً الى قول الكوفيين في تعليل إمالتها بقولهم : « إنما أميلت بلى ، لأن الألف التي في آخرها لا أنيث بمنزلتها في جمل وسكرى ، ولذلك كتابنا ياء ، والأصل بل زيدت عليها الألف دلالة على أن السكوت عليها ممكن ، وأنها لا يعطف ما بعدها على ما قبلها كما تعطف بل . ويمكن عندهم دخول علامة التأنيث عليها كما يمكن دخولها على نظائرها من الحروف نحو رب ، وثم قيل ربت ثمث . . . فأدخل عليها التأنيث دلالة على تأنيثها .

حدثنا بمعنى هذا محمد بن أحمد عن ابن الأنباري عن أصحابه الكوفيين <sup>(١)</sup> .  
ثم نراه في حديثه عن وزن خطايا بعد أن يبين الأساسيد المختلفة ، ويذكر الذي قرأ رواية عن شيوخه — يذكر اختلاف النحويين في كيفية أصل ذلك ، فيروى قول الخليل وسيبويه من أن وزنها فعائل <sup>(٢)</sup> ، ويروى قول يحيى بن زياد القراء والكسائي من أن وزنها فعالي <sup>(٣)</sup> ، ثم يرجح قول الكوفيين كما ذهب إليه القراء.

وكذلك « كلنا » ، يورد خلاف الكوفيين والبصريين ثم يقول : « وعلى قول الكوفيين عامة القراء وأهل الأداء <sup>(٤)</sup> ومن هنا نراه يرد عن القراء ، ولا ينسب إليه غلطاً ، وإنما كان الغلط بمن نقل عنه ، وذلك : « حدثنا محمد بن أحمد قال : حدثنا محمد بن القسم قال : قال القراء : حذف واو الجمع في قوله : « نسوا الله » <sup>(٥)</sup> ، قال أبو عمرو الداني : « ولا نعلم أن ذلك كذلك في شيء من مصاحف أهل الأمصار ، والذي حكى عن القراء غلط من الناقل <sup>(٦)</sup> : وبمثل ذلك يقف من الكسائي ويوثقه ويجعله قرين سيبويه في النقل عن العرب والاعتداد بما نقل .

وبعد : فما هو ذا الداني في كتابه الموضح ، وما هو ذا مكانه البعيد في الدراسات

(١) الموضح ٢٢٥ (٢) ١١٣ (٣) ١١٤ (٤) الموضح ٣١٠ (٥) س ٩ آية ٦٧ ، وس ٩ آية ١٩ (٦) المقنن ٣٨

القرآنية ، وذلك أثره المديد في أجيال الخالفين ، ومدى ما ظهرت شخصيته أمام شيوخه والأئمة السالفين ، وتلك هي اتجاهاته موافقاً أبا على الفارسي حيث ينزع منزعه في القياس ، ويتشبه به في فهم أسلوب سيبويه وتعبيراته في الكتاب ، واصطناع البرهان المنطقي في استدلالاته ، وفي استخدام العروض والقوافي في تعليقاته ، وفي اقتفائه قفوه في الاستشهاد بنصوصه ، ثم ذلك هو الداني في تخالفه هو وأبو علي ، موثقاً القراءة بذكر اسنادها متأثراً متأثراً بـ أبى بورش راوية نافع الإمام الذي ينتهي إليه سند الاستاذ ابن غلبون ، ومدى اعتداده برسم المصحف محتجا ومستشهداً ، وأخيراً ذلك موقف الداني من توثيقه القراءات المتصلة بنحو الكوفيين .

ثم أما بعد : فقد دعوت في مكان آخر إلى لخص ، نحو القراءات عند البصريين ، ثم دعوت كذلك إلى اختبار نحو القراءات عند الكوفيين في الحديث عن أمير النحاة القراء في كتابه معاني القرآن ، والآن وأنا مع أبي عمرو الداني شيخ القراء ، وصاحب الأثر البعيد المدى عند المقرئين — الآن أدعو الباحثين إلى الاتجاه بجهودهم ودراساتهم لاستخلاص مسائل النحو الواردة في غضون القراءات ، وتوثيق هذه المسائل بما ورد عن الأئمة القراء ، واستخراج نحو جديد يقوم على سند صحيح في الرواية ، وضبط واع في النقل ، ودقة محيطة في الأداء ، واست أشك في أنهم سيظفرون بطائفة صالحة نبذها النحاة ، واعتد بها القراء ، وهؤلاء هم أولى بالاعتداد في هذا الجانب وقراءتهم أحق وأجدر بالاستشهاد . — هذه دعوتي إلى الباحثين والدراسين ، فهل يستجيبون ١٩ .

## تعقيب

بتقسيم المحتجين للقراءات إلى مدرسة الأثر ومدرسة القياس

\* \* \*

الآن وقد فرغت من عرض مذاهب المحتجين للقراءات منذ سيويه حتى أبي عمرو الداني وبينت في الدراسات المقارنة مقدار ما تخالف المحتجون أو توافقوا مع أبي علي ، ومدى ما تأثر بالسابقين ، وما أثر في الخالفين من المحتجين — الآن تتميز أمامي مدرستان : مدرسة الأثر ، ومدرسة القياس ، ولكل نزعة تخالف نزعة الأخرى ، فمدرسة الأثر تنزع إلى ما يأتي :

١ — التحديث عن الأشياخ ، ونقل أقوال السلف من الصحابة والأئمة ، والخلف والتابعين وعلماؤهم .

ب — الاحتجاج بما روى أو نقل عن هؤلاء الأشياخ .

ج — الاعتماد على رسم المصحف في الاحتجاج .

د — تغليب ما لم يرو من القراءات وإن كان جائزاً في العربية .

أما مدرسة القياس فكان من مقاييسها ما يلي :

١ — عدم الاعتماد — في الاحتجاج — على ما حدث به الأشياخ وما نقل الأئمة .

ب — عدم الاحتجاج برسم المصحف .

ج — تغليب القراءات المروية إذا لم تكن موافقة مع ما ترى من مقاييس العربية ويقابل ذلك .

د — تصحيح ما لم يرو من القراءات إن كان جائزاً في العربية .

ورأينا بين المحتجين من يقول بالأثر ، ومنهم من يقول بالقياس ، ومنهم من يقترب من هذين أو يبتعد عنهما بمقدار ، ويقف أبو علي شامخاً يمثل مدرسة القياس البحث بما لها من طابع تحكيم مقاييس العربية في القراءات المروية (١) وتصحيح قراءات غير مروية إذا كان لها وجه من القياس .

(١) انظر موقف أبي علي من القراءات التي تخالف مذهبه

فإذا نقل ابن مجاهد — مثلاً — أن قراءة لا يحطمنكم<sup>(١)</sup> ساكنه النون غلط ، قال أبو علي : قوله : وهو غلط يريد أنه غلط من طريق الرواية لا أنه لا يتجه في العربية ، ووجه النون الخفيفة والشديدة هاهنا حسنان<sup>(٢)</sup> وإذا صحح ابن مجاهد عن نافع همز معائش<sup>(٣)</sup> قال أبو علي : همز معائش غلط<sup>(٤)</sup> .

وقد رأينا كيف تأثر المغاربة بأبي علي — يمثلين في أشهر قرائهم مكي بن أبي طالب وأبي عمرو الداني — ينقلون نصوصه ، ويرون رأيه ، وينهجون نهجه فيما قال ، ثم كان منهم تحديث عن أئمتهم ، واحتجاج بالرواية عنهم ، واعتماد على رسم المصحف ، وبذلك مزجوا في الاحتجاج بين معايير المدرستين ، ولكنهم كانوا أقرب إلى مدرسة النقل والاثار .

وقد خُصص الاحتجاج للقراءات من مظاهر القياس عند أبي الحسن علم الدين علي بن محمد السخاوي (توفي ٦٤٣) الذي يمثل مدرسة النقل والاثار خالصة ، وإنكم لترونه يقول بعد أن بين أسباب الإمالة عند النحاة : « وأما القراء فما قرأ أحد منهم بالإمالة لما ذكر من الأسباب وإنما قرأ لما رواه ونقله » وقد جعل رسم المصحف مقويا للنقل حيث يقول : « أئمة القراءة لم تمل ما كان من ذوات الياء للرسم فقط بل إن إمالاته من حيث صحت الرواية بإمالاته عندهم عن رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) ثم دلت على حسنها وجوازها وتوكدها وقوتها برسم تلك الحروف بالياء<sup>(٥)</sup> .

وفي الجدول الآتي الأعلام من رجال المدرستين ، وتلخيص نزعاتهم<sup>(٦)</sup> ، وتطور هذه النزعات على مر العصور حتى القرن العاشر ، ومكان أبي علي بين السالفين والخالفين .

(١) سورة النمل آية ١٨ (٢) الحجة ٥٦/٦

(٣) سورة الحجر آية ٦٠ (٤) الحجة ١٣٩/٤

(٥) جمال القراء لعلم الدين السخاوي والكتاب مخطوط غير مرقوم الصفحات دار الكتب ٩ قراءات

(٦) اعتبرت في هذا التقديم الصفة الغالبة على كل إذ أن بعضهم يمزج معايير المدرستين بمقدار .



رقم	الإمام	نحوه	نحوه	نحوه	نزعته في الاحتجاج	مؤلفه الذي ظهرت فيه هذه النزعة
١	سيبويه	١٨٠ هـ	نحوى	بصرى	قياسى	الكتاب
٢	الفراء	٢٠٦ هـ	د	كوفى	أثرى غالباً	معانى القرآن
٣	الطبرى	٣١٠ هـ	قارىء	د	د	جامع البيان: تفسيره المشهور
٤	الزجاج	٣١١ هـ	نحوى	بصرى	د	معانى القرآن
٥	ابن السراج	٣١٦ هـ	د	د	د	الاحتجاج للقراءات
٦	ابن مجاهد	٣٢٤ هـ	قارىء	—	أثرى صرف	القراءات
٧	ابن خالويه	٣٧٠ هـ	نحوى	بصرى	أثرى غالباً	الحجة
٨	أبو على الفارسى	٣٧٧ هـ	د	د	قياسى صرف	الحجة
٩	ابن جنى	٣٩٢ هـ	د	د	أثرى	المختضب
١٠	مكى بن أبى طالب	٤٣٧ هـ	د	د	أثرى غالباً	الكشف
			قارىء	يميل إلى نحو الكوفة		
١١	الدانى	٤٤٤ هـ	د	أندلسى يميل إلى مذهب أهل الكوفة	أثرى	الموضح
١٢	سبط الخياط	٥٤١ هـ	د	—	د	المبهم
١٣	علم الدين السخاوى	٦٤٣ هـ	د	—	أثرى بحت	جمال القراء
١٤	أبو حيان	٧٥٤ هـ	نحوى	قارىء } أندلسى يميل إلى الكوفة	أثرى	البحر المحيط
١٥	ابن الجزرى	٨٣٢ هـ	قارىء	—	أثرى	النشر

نتائج وملاحظات :

١ — المدرسة النحوية الكوفية تظهر عليها النزعة الاثرية في الاحتجاج للقراءات .

ب — وكذلك تظهر هذه النزعة في المدرسة الاندلسية .

ج — من رجال المدرسة البصرية من نزح منزع الاثر كالزجاج وابن السراج وابن جنى .

د — يبلغ القول بالاثـر ذروته عند ابن مجاهد من المتقدمين ( ٣٢٤ هـ ) .  
وعند علم الدين السخاوى من المتأخرين ( ٦٤٣ هـ ) ، وبعدها يتتابع التسك بالاثـر وتصحيح القراءات المروية عند القراء والمفسرين والنحاة جميعاً .  
هـ — يبلغ القول بالقياس ذروته عند أبى على الفارسى .  
و — كان من أثر أبى على الفارسى عدم نزوع المحتجين بعده كابن جنى ومكى والدانى منزع الاثر البحت بل استغل كل منهم القياس بمقدار .

\* \* \*

ولما قد انتهت الى هذا الحد مبيناً أثر أبى على — مفصلاً وبجملًا في الاحتجاج ، أرجو أن أتبين ما كان للرجل من آثار في الميدان النحوى ، وذلكم موضوع ما يأتى من حديث .

# الباب الخامس

## أبو علي والنحو

### الفصل الأول

١ — نشأة البحث النحوي وتطوره

يبرز اسم أبي الاسود الدؤلي الكنتاني عند النظر في نشأة البحث النحوي ، وقد اختلف الناس من علماء هذا الزمان فيمن وضع النحو ، فالمرحوم صادق الرافعي في كتابه أدب العرب يرى أن تاريخ وضع النحو لا سبيل إلى تحقيقه البتة (١) ، ويتابع الاستاذ ابراهيم مصطفى المرحوم أحمد أمين ، فيرى أن الذي وضع النحو هو عبد الله بن أبي اسحق ، ويستدل على ذلك بأدلة قوامها أن سيبويه في الكتاب لم يرو لأبي الاسود ، على حين قد روى لابن اسحق ، فهو أقدم عالم نسبت إليه مسألة نحوية (٢) ، ويتعقبه الاستاذ عبد الوهاب حموده ، ويرى أن واضع النحو هو أبو الاسود الدؤلي (٣) ، ويزيد على هؤلاء أستاذنا على النجدي فيرجح — في كتابه سيبويه امام النحاة — رأى الاستاذ حموده ، ويؤكد بهما يضيف إليه من أدلة جديدة (٤) ، ومهما يكن من اختلاف حول وضع النحو فهم متفقون جميعاً — القدامى والمعاصرون على أن أبا الاسود هو الذي أعرب القرآن ، وأقول : إن ذلك معناه عندي أنه هو الذي وضع النحو مستدلاً على ذلك بأن طبيعة أبي الاسود ، وطبيعة

---

(١) من محاضرة للأستاذ ابراهيم مصطفى في أصول النحو — مؤتمر المجمع الدورة السادسة عشرة : ص ٢

(٢) المصدر السابق : يورد الأستاذ ابراهيم مصطفى لإحصائية عن المرات التي نسب فيها سيبويه إلى شيوخه (ص ٤) وبموازاة هذه الاحصائية بالاحصائية التي أوردها أستاذنا في كتابه سيبويه امام النحاة ص ٩٨ . ندرك خلافاً في الاحصاء عند كل .

(٣) فصلة من مجلة كلية الآداب ١٣٢ ج: ١ (٤) انظر سيبويه امام النحاة ص ١٣٢-١٣٧

عمله الذى تولاه تؤديان بنا إلى التسليم بأنه هو الذى أسس العربية ، وفتح بابها ،  
وأنهج سبيلها ، ووضع قياسها <sup>(١)</sup> .

أما فيما يتعلق بطبيعة أبى الاسود ، فقد حكى عنه أنه كان بخيلاً <sup>(٢)</sup> ، والبخل  
يدعو إلى التزام الدقة والتحرى والضبط ، ثم هو قاض محكم <sup>(٣)</sup> ، والقاضى بحكم عمله  
يقيس الاشياء والنظائر ، ويبدو لى أنه لم يحكم من الناس ، ولم يرشح للقضاء إلا لانه  
مأنوس منه دقة النظرة ، وصدق الحكومة .

ومن دليل تحريه ، والتزامه الدقة فيما يأتيه أن طلب من زياد أن يبعث إليه  
ثلاثين رجلاً ، فأحضرهم زياد ، فاختار منهم أبو الاسود عشرة ، ثم ما زال ينخلهم  
حتى اختار منهم رجلاً من عبد القيس <sup>(٤)</sup> ، فانظر معى كيف يظل يمتحن هؤلاء  
الرجال الثلاثين ، فيصطفى منهم عشرة بادية الرأى ، ثم يمعن فى التصفية حتى يستقر  
على رجل واحد يضع فيه ثقته ، ويتوسم منه لقائه ؟ وهكذا حقق ما كان يبغيه  
فى الرجل الذى يعاونه إذ قال لزياد : « فليغنى الامير كاتباً لقنا يفعل ما أقول <sup>(٥)</sup> » ، ا  
وقد روى أبو الفرج عن شيوخه ما يدل على بخله ، ونزعة المنطقية معاً . قالوا :

« كان بين بنى الدئل وبين بنى ليث منازعة ، فقتلت بنو الدئل منهم رجلاً ، ثم  
اصطلحوا بعد ذلك على أن يؤدوا ديتهم ، فاجتمعوا إلى أبى الاسود يسألونه المعاونة  
على أدائها ، وألح عليه غلام منهم ذو بيان وعارضة ، فقال له « يا أبا الاسود ! أنت  
شيخ العشيرة وسيدهم ، وما يمنعك من معاونتهم قلة ذات يد ولا سودد ، ... ،  
فلما أكثر أقبل عليه أبو الاسود ثم قال له : « لقد أكثرت يابن أخى : فاسمع منى :  
إن الرجل والله ما يعطى ماله إلا لاحدى ثلاث خللات : إما رجل أعطى ماله رجاء  
مكافأة ممن يعطيه ، أو رجل خاف على نفسه فوقها بما له ، أو رجل أراد وجه الله  
وما عنده فى الآخرة ، أو رجل أحق خدع عن ماله ، والله ما أنتم أحد هذه الطبقات ،  
ولا جئتم فى شيء من هذا ، ولا عمك الرجل العاجز فينخدع لهؤلاء ، ولما أفدتك  
إياه فى عقلك خير لك من مال أبى الاسود لو وصل إلى بنى الدئل ، قوموا إذا شئتم ا ،  
فقاموا يبادرون السباب <sup>(٦)</sup> .

(١) مقدمه طبقات الشعراء لابن سلام (٢) الأغاني ١٠٤/١١ ط الساسى

(٣) المصدر السابق ص ١٠٥

(٥) الفهرست ص ٦٠

(٤) نزوه الألباء ص ٦

(٦) الأغاني : ١٠٣/١١

فانظر معى إلى ذلك التقسيم ، وما فيه لآبى الاسود من عقل رجيج ، ثم تدبر  
تعبيره آخر الامر : ، ولما أفتدتك إياه فى عقلك خير لك من مال أبى الاسود ،  
فهو بهذا يدل على أن كلامه كلام حكيم يقوم الفطن ، ويشقف العقول ، وفيما روى  
لنا من شعر أبى الاسود يدل على نزعته التى إليها أشرت ؛ اقرأ قوله .

إذا كنت مظلوما فلا تلف راضيا      عن القوم حتى تأخذ النصف واغضب  
وإن كنت أنت الظالم القوم فاطرح      مقاتلهم ، واشغب بهم كل مشغب  
وقارب بذى جهل ، وباعد بعالم      جلوب عليك الحق من كل مجلب  
فاحدو بافامعس ، وإن هم تفاعسوا      ليستمكنوا بما وراك فاحدب  
ولا تدعنى للجور ، واصبر على التى      بها كنت أقضى للبعيد على أبى  
فانى امرؤ أخشى إلهى ، وأتقى      معادى ، وقد جربت مالم تجرب (١)

ففى هذا النص ما يدل على صائب النطق ، وصدق الحكم ، والتجربة التى تبعث  
الحكمة ، وهى معان سأعتمد عليها فى التدليل على ما أذهب إليه من رأى .

أما طبيعة عمله فهو لا شك يحس جلال العمل الذى ندب إليه ، أنه عمل يتعلق  
بكتاب الله ، وهو أمر خطير يدعو إلى زيادة اليقظة ، وعميق الملاحظة ، وفضل  
التأمل . . إنه سيعرب القرآن بنقطه ، وسيقوم بذلك فى جميع القرآن فابتدأ  
بالمصحف حتى أتى على آخره (٢) وإذن مر بكثير من المرفوعات ، وبعدد  
ضخم من المجزورات ، وبمثل ذلك من المنصوبات والمجزومات ، أفلا يهديه الحس  
اللغوى ، والمنطق الفطرى إلى جمع الاشباه والنظائر تحت حكم عام ، ووضعها  
فى قاعدة واحدة ، قاعدة بدائية ؟! وأبو الاسود الذى استطاع أن يعقد قياسا —  
بالملاحظ الطارىء العابر بين قوله :

فان يك حبهم رشدا أصبه      ولست بمخطئ إن كان غيا  
وقوله تعالى : ، ولما أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ، (٣) ، ألا يستطيع —  
مع فضل التأمل ، واستجاع دواعى التثبت ، وتعدد الاشباه والنظائر ، وخطر العمل  
الذى ينهض به أن يلحظ عمل الحروف جارة ، وناصبة ، وجازمة . . فيما يتوارد عليه  
من القرآن الكريم ١٩ ولأنك لتقرأ الربع الأول من سورة البقرة . . الربع الأول  
فقط . . فتجد من حروف الجر الذى يقتضى وضع نقطة تحت الحرف ما يأتى :

(٢) نزهة الألباء ٦

(١) الأغاني : ١١ / ١٠٤

(٣) سيويه امام النحاة ص ١٣٥

(الباء)	(من)	(على)	(في)	(الكاف)
بالغيب	من قبلك	على قلوبهم	في قلوبهم	كصيب
بالآخرة	من الناس	على سمعهم	في طغيانهم	
باليوم	من السماء ( مرتين )	على أبصارهم	في ظلمات	
بؤمنين	من الصواعق	على كل	في آذانهم	
بنورهم	من قبلكم	على عبدنا	في ريب	
بالكافرين	من الثرات - من مثله	على		
بسمعهم	من دون - من تحتها			
بسورة	من ثمة			

ألا يستطيع أبو الأسود — وقد رزق دقة النظر، ولحظ النظير — أن يستنبط قاعدة من تكرار هذه الأحرف وغيرها من حرف النصب والجزم بما يهdy إليه الاستقراء في كتاب الله الكريم كله ١٩ وليس بعيدا عندي أن يستعمل بعض الاصطلاحات كالجزم، والنصب، والرفع؛ فقد لحظ ابن جني أن غلاما من أهل المهيا ذكر النصب بهذا اللفظ وعجب ابن جني منه (١).

على أن القائلين بأن عبد الله بن أبي اسحق — قد وضع النحو لم يلتفتوا إلى عبارة ابن سلام — وهو موثق عندهم (٢) — بأنه — أي ابن اسحق — أول من بعج النحو، ومد القياس والعلل بعد قوله في أبي الأسود: «أنه وضع قياس العربية»، ومعنى هذا أن نحو أبي الأسود كان مجتمعا فبعجه ابن أبي اسحق، وقياسه كان بدائيا فذّاه، ومعنى هذا. فيما أفهم. أنه كان هناك عند أبي الأسود نحو وكان هناك قياس على أية حال:

وهم يختلفون فيما وضعه أبو الأسود النولي، فهو فيما يذكر ابن سلام: «باب الفاعل، والمفعول، والمضاف، وحرف الجر، والرفع، والنصب، والجزم» (٣) ولا يختلف الزبيدي في طبقاته عن ابن سلام في شيء من ذلك في قول، ويقتصر على باب الفاعل والمفعول فيما حدث به علي بن محمد الهاشمي (٤) وهو فيما يذكر

(١) انظر الحصائص: ٨٠/١ وانظر عبارة الزبيدي في طبقاته ص ٤٤١

(٢) محاضرة الأستاذ إبراهيم مصطفى ص ١ مؤتمر الجمع د ١٦

(٣) مقدمة طبقات ابن سلام (٤) انظر طبقات الزبيدي ١٣ و ١٥

عبد الرحمن بن الأنباري : باب العطف ، والنعت ، والتعجب والاستفهام ، وإن ، وأخواتها ما عدا لكن<sup>(١)</sup> .

وفيما يذكر السيوطي في الاقتراح : « باب إن ، وباب الإضافة ، وباب الإمالة ثم باب العطف ، والنعت ، ثم باب التعجب ، والاستفهام »<sup>(٢)</sup> .

وليس بين السيوطي وابن الأنباري كبير فرق ، وعلى فرض صحة البدء في وضع هذه الأبواب التي ذكرت ، فإن حروف النصب تتكرر في القرآن بكثرة غامرة ، وعلى صورة ظاهرة ، وبمراجعة القرآن تتضح كثرة تكرار أن وأخواتها ما عدا لكن .

أما التعجب والاستفهام فيبدو لي أن هذين البابين التفت إليهما أبو الأسود من قول ابنته : « ما أحسن السماء » فقال لها : « نجومها » فقالت : « إنني لم أرد هذا وإنما تعجبت من حسنائها » فقال لها : « إذن فقولي : ما أحسن السماء »<sup>(٣)</sup> ، فكان التعجب وكان الاستفهام .

أما الإمالة فيرجح عندي — إن صح أنها من أول ما وضع — أن ذلك كان نتيجة لأن الكاتب الذي اختاره أبو الأسود من عبد القيس ، وعبد القيس من أسد<sup>(٤)</sup> ، وأسد من القبائل المميلة<sup>(٥)</sup> ، ولا شك أن الكاتب مشترك مع أبي الأسود في تصحيح الضبط ، وتدقيق النقط ، فلعله وهو من أسد المميلة كان يراجع أبا الأسود في الكلمات الإمالة وضبطها ، ولعل ذلك وجه أبا الأسود إلى وضع هذا الباب .

وعمل أبي الأسود في النحو بدائي يكفيه ما ندب إليه من مهمة ، وما قام به من شكل المصحف عن طريق الضبط ، ولا داعي للاستقراء الشامل للغة ومفرداتها ، والاستيعاب العام لنصوصها وتراكيبها وأساليبها حتى يمكن حصر المفردات في أي جرئية نحوية من الجزئيات التي تعرض لها . وأنا أخالف الدكتور حسن عون<sup>(٦)</sup> في ذلك ، فطبيعة عمل أبي الأسود وما ركب الله فيه من صدق الحكم ، وسديد النظر ، تدعوه إلى استقراء كتاب الله واستقراء القرآن الكريم كاف للظفر بنتيجة عامة

(١) نزهة الألباء ص ٤

(٢) الاقتراح للسيوطي ص ٨٤

(٣) نزهة الألباء ص ٧

(٤) جهرة أنساب العرب ص ٢٨٠ و ٢٨٢

(٥) انظر ص ١٥٢ ابراز المعاني ٩/٥٤ شرح المفصل لابن يعيش ٢/٣٠ النشر ٤/٤٣٨

شرح الأشموني ٢/٣٥٠ التصريح على التوضيح ١١٤ الاقناع للسيوطي .

(٦) انظر اللغة والنحو للدكتور حسن عون ص ٢٤١

صحيحة لا تكاد تتخلف في أى جزئية من جزئيات النحو ، بله هذه الجزئيات القليلة التي يروى أن أبا الأسود قد تعرض لها .

وأود ألا يفهم من وضع هذه الأبواب أن يكون على الصورة التي انتهت إلينا في الكتاب ، فإذ ذلك بخاطر على الذهن ، ولكنني أقصد من ذلك أن تكون هذه الأبواب كما يقول أستاذنا : « نظرات في اللغة قريبة ، وملاحظات على الأساليب يسيرة ، يهdy إليها الطبع ويقضى فيها الذوق »<sup>(١)</sup> . . . . فأبو الأسود لم يبلغ عمله في النحو — كما يقول أستاذنا أيضاً — البتة مبلغ الرأي المتميز ، أو الضابط المستوعب<sup>(٢)</sup> .

وأرجو بعد ذلك أن تكون قد اطمأنتت معي — بعد الذي قدمت — إلى أن أبا الأسود كان الأصل في بناء النحو ، وعقد أصوله ، بحكم فطرته التي فطر الله عليها ، وبحكم طبيعة مهمته التي ندب إليها<sup>(٣)</sup>

هذا ، ويتعرض الباحثون المحدثون عند حديثهم عن شكل أبي الأسود للمصنف بطريق النقط — يتعرضون إلى الإجابة عن السؤال الآتي : هل كان أبو الأسود مبتكراً لهذه العلامات أو أخذها عن السريان ؟

أما الأستاذ عبد الحميد حسن في كتابه « القواعد النحوية »<sup>(٤)</sup> ، فيقرر أن علامات الشكل عند السريان كانت نقطاً فوق الحرف أو تحته أو في وسطه ، وأنهم هم الذين ابتدعوا هذه العلامات ابتداء ، وانتقلت منهم إلى سائر الساميين ، ولكن بعد ذلك يستفهم ولا يجيب ، ويعرض المشكلة ولا يأتي لها بحل ، ويتوقف فلا يثبت أو ينفي ، وذلك حيث يقول : « فهل من صلة بين هذا وبين ما عمله أبو الأسود الدؤلي في اللغة العربية ؟ ثم يمضى بعد ذلك في الحديث دون إجابة ، مقدراً هذه الخطوة في تاريخ الخط العربي وضبط الكتابة . . .

على أن في حديثه عن ابتداء السريان لهذه العلامات ، وانتقال هذا الابتكار إلى سائر الساميين — ما يدل بطريق الاستنتاج على أنه يميل إلى أن أبا الأسود نظر إلى السريان عندما قام بضبط المصحف .

(١) سيويه امام النحاة ص ١٣٤ (٢) المصدر السابق ١٣٥

(٣) بعيد ما ذكره ابن فارس في الصحاحي من أن النحو كان قديماً وأنت عليه الأيام وقل في أيدي الناس ثم جدده أبو الأسود ( انظر الصحاحي ١٠ )

(٤) ص ٧٨



وتوقف الأستاذ عبد الحميد حسن على هذا النحو يقابله رأى للدكتور حسن عون في كتابه « اللغة والنحو » يقرر فيه بصراحة أن الشكل بالنقط استمده أبو الأسود من النحاة السريانيين ، ثم نفى الضير عن النحو العربي <sup>(١)</sup> ، وقدر مجهود أبي الأسود في صنيعة اللغة والنحو ، وأن استماتته بالنحاة السريانيين لا غضاضة فيه ، وبرهن على ما قرره بأن أبا الأسود قد سكن العراق المغزو باللغة السريانية قبل الفتح العربي وبعده ، والآهل بالعلماء السريان ، وأن أبا الأسود — كذلك — تولى مناصب الولاية ، وكان له في العراق الزعامة الدينية واللغوية ، وأن السريان من قبل أبي الأسود — خافوا على كتابهم المقدس أن يمتد إليه اللحن ، ففكروا في وضع ضوابط ، ولم تكن هذه الضوابط سوى طريقة النقط التي استعملها أبو الأسود في ضبط شكل القرآن ، وخلص من ذلك إلى بيان التشابه بين عمل أبي الأسود في ضبط المصحف ، وعمل السريان من قبل في ضبط الكتاب المقدس ، معتمداً على أن المقدمات متشابهة . والظروف متشابهة . والنتائج متشابهة . ثم أخذ يوضح كيفية اتصال أبي الأسود باللغة السريانية وبعلمائها ، فاستنتج أنه لابد وأن يكون قد اتصل بالسريان وهم الفئة المثقفة الممارسة للنشاط الفكري في البيئة العراقية ، إذ لا ينبغي مطلقاً لعالم ديني لغوي ، وحاكم إداري كأبي الأسود أن يجهل وجود هذه الطبقة . وذكر أنه أدعى لأن يتعلم أبو الأسود اللغة السريانية ، لكي يأخذ طريقة الشكل بالنقط عن السريان ، ففي الترجمة غناء . على أنه عاد فقرر معرفة أبي الأسود للسريانية ، وبدأ بالظن في ذلك أولاً ، ثم ارتقى من الظن إلى الترجيح ، وذلك حيث يقول : « على أننا نظن بل نرجح أن أبا الأسود كان يعرف اللغة السريانية . . . . . وعلل ذلك بإقامته الطويلة في العراق ، واهتمامه بالابحاث اللغوية والدينية ، وأن الرسول وأصحابه حثوا على تعلم اللغات الأجنبية . . . . . واستشهد بأن علي بن أبي طالب كان ينطق في أحاديثه أحياناً بالفاظ أجنبية <sup>(٢)</sup> .

وكلام الدكتور عون لا ينبغي أن يترك من غير مناقشة ، ذلك لأن مثل هذه المباحث لا يؤخذ فيها بالظنون ، ولا يعتمد فيها على الفروض ، ولا تلقى فيها

(١) أنا اتفق مع الدكتور عون في نفى الضير عن النحو العربي ، وعن واضعه أبي الأسود ، ولقد أردت بمناقشته الآتيه بعد حين تقرير الحقيقة ذاتها دون نظر إلى مازعه من ضير في استماتة أبي الأسود بالسريان ، بل أن أحداً لا ينكر الفائدة المحققة من تلاقي العقول ، وتراود الآراء .

(٢) كتاب اللغة والنحو ص ٢٤٨ وما بعدها .

الاحكام من غير أدلة قوية ، ولا يرقى فيها من الظن إلى الترجيح بهذه السهولة وذلك اليسر :

فالدكتور عون لا يقدم دليلاً يقينياً واحداً ، بل دليله قائم على أن لابد من اتصال أبي الأسود بالسريان ، لأنهم الطبقة المستنيرة المثقفة . . . . . وأنه لا داعي لتعلم أبي الأسود السريانية في الترجمة غناء ، تم عاد ورجح أن أبا الأسود كان يعرف السريانية بإقامته الطويلة في العراق ، واهتمامه بالبحوث اللغوية والدينية ، وحث الرسول على تعلم اللغات الأجنبية . وهذه كلها أدلة ظنية ، فالإقامة الطويلة بالعراق لا تنتج حتما معرفة السريانية ، وقد نسي الدكتور عون أن الدولة الأموية كانت دولة عربية خالصة ، وأن السريان لم يكن لهم من السلطان العلي في ظل هذه الدولة كما كان لهم في دولة بني العباس ، وإذ ثبت ذلك فقد انهدم ما بنى الدكتور عليه من أمر . هذا شيء وشيء آخر : هل من اللازم الذي لابد منه أن يتصل الولاة والرؤساء الدينيون في كل عصر بالباحثين المعاصرين ؟ وهل اتصل الشيوخ من رجال الدين في عصرنا أو الحكام السياسيون بهؤلاء العلماء الأجانب المعاصرين باليهود الباحثين وهم القابضون على ناصية الاقتصاد والسياسة والاجتماع ومظاهر الثقيف ؟ إلى أن كتب التراجم لم يتحدث عن أبي الأسود عالماً بالسريانية ، أو متصلاً بها اتصالاً علياً ، فهذا الجاحظ العالم المتقصى المستطرد المستوعب يذكر عن أبي الأسود أنه معدود في طبقات الناس وهو في كلها مقدم مأثور عنه الفضل في جميعها وكان معدوداً في التابعين ، والفقهاء ، والشعراء ، والمحدثين ، والأشراف ، والفرسان ، والأمراء ، والدهاة ، والنحويين ، والحاضري الجواب ، والشيعة ، والبخلاء والصلح الأشراف ، والبخر الأشراف <sup>(١)</sup> ، ولم يذكر الجاحظ أن أبا الأسود معدود من المتكلمين باللغات من أنه استقصى كل شيء معدود فيه الأسود حتى عده من الصلح ، والبخر الأشراف !!

ثم ، هل اهتمام أبي الأسود بالبحوث اللغوية والدينية يستوجب اتصاله بالسريانية ؟ .

وصحيح أن الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) حث على تعلم اللغات الأجنبية ،

(١) جاءت العبارة مروية عن الحافظ في بغيه الوعاة ص ٢٧٤ وهو محرفة عن الجاحظ . انظر الأغاني ١٠٣/١١ ط الساسي

ولكن حثه كان على طريق النذب المستحب ، لا على طريق الإلزام الواجب ، ولو كان الأمر ملزماً لا نكبت المسلمون عليها سعياء وراء المدخر من الثواب ، والدلائل على أن الأمر لم يكن على سبيل الإلزام استشهاد الدكتور عون نفسه برجل واحد حسب ، في كلمة واحدة حسب !! إلى أن استشهاد الدكتور يعلى بن أبي طالب وأنه كان ينطق أحياناً بألفاظ أجنبية ، لا ينهض دليلاً على معرفة على باللغة اليونانية ، ذلك لأن الدكتور عون يعتمد على رواية الثعالبي في تيمته ،<sup>(١)</sup> ونص ما أورده الثعالبي : سألت على (عليه السلام) شريحاً مسألة فأجاب بالصواب فقال له : « قالون ، أى أصبت بالرومية »<sup>(٢)</sup> .

ومع التسليم جدلاً - بأن هذه الرواية صحيحة ، فهل معنى ذلك أن علياً يعرف اليونانية ؟ فاعجب من كلمة واحدة تروى عن على تتخذ دليلاً على معرفته عليه السلام بلغة اليونان ؟ وكثير منا الآن ومن عامة الناس لا من خاصتهم المثقفين ينطق باللغات الأوروبية كلمات الشكر والإهداء عند الأخذ والإعطاء ، وكلمات التحية عند الوداع أو اللقاء في الصباح وفي المساء . فهل معنى ذلك أن يعد أمثال هؤلاء في الذين تجرى على ألسنتهم لغة الأوروبيين ؟ على أن الفارق كبير بين عصرنا وعصر أبي الأسود من حيث الاهتمام بتعلم اللغات ، والمكانة الثقافية لهؤلاء الأعاجم علواً في هذا العصر ، وضعة في الصدر الأول من الإسلام . فالقول بأن أبا الأسود أخذ طريقة النقط من السريانية تهويل لا يقوم على دليل كهذه التهاويل التي أحيطت بها اللغة السريانية منذ بدء الخليقة إلى نهاية المطاف في القبور : فأدم علم الكتابة السريانية<sup>(٣)</sup> ، وسؤال القبر بالسريانية<sup>(٤)</sup>

وعمل أبي الأسود في شكل المصحف عن طريق النقط لا يحتاج إلى تفسيره بالاعتماد على السريان والاتصال بهم ، فعمله النقط ، والنقطة أول ما يتجه إليه الذهن في مثل ذلك العمل ؛ إذ هي أبسط ما يخط فليس هناك ما يدعو إلى أن يتجه أبو الأسود إلى السريان ينقل عنهم ، وينهج نهجهم ، ولم لا يكون عمل أبي الأسود واتفقه هو وما عمل السريان من توارد الخواطر ، ووقع الحافر على

(١) القسم الأول ص ٤٥٥

(٢) يعلق الدكتور عون على قول الثعالبي أن كلمة قالون رومية - بقوله : إن ذلك من قبيل الخلط عند القدماء في تسمية ما هو يوناني بالرومي ( اللغة والنحو ص ٢٥١ )

(٤) متن الحريدة

(٣) الفهرست ١٨

الحافر على ما فيه من بداهة وبدائية ، وما عند أبي الاسود من حدة ذهنية ؟ فالأصل أن أبا الاسود قام بهذا العمل ابتداء ، وابتدعه — بين المسلمين — ابتداء ، ما لم يبق على غير ذلك دليل يعتمد عليه في التأويل والتعليل . . والله أعلم .  
ومما يكن من أمر فان أبا الاسود قد وضع علم النحو ، واستخلفه ابن عباس على البصرة <sup>(١)</sup> ، وظل بها يلقي تعاليمه إلى أن لقي ربه سنة ( ٥٦٩ ) <sup>(٢)</sup> وقد أخذ عنه عنسة الفيل ونصر بن عاصم الليثي ( ٥٨٩ ) ويحيى بن يعمر ( ٥١٢٨ ) هم رأس المدرسة البصرية في النحو ، وتظاهر الروايات على أن أول كوفي وضع كتاباً في النحو هو أبو جعفر الرواسي بعد نحو مائة عام من تأسيس المدرسة البصرية ، ولذلك عد الرواسي رأس المدرسة الكوفية ، ويتتابع تلاميذ كل من أبي الاسود الدؤلي — وأبي جعفر الرواسي ، على النحو الذي تذكره كتب الطبقات <sup>(٣)</sup> .

وكان لكل مدرسة طابع خاص في تناول الدراسات النحوية ، مما كان سبباً في اشتداد التنافس بين المدرستين ، ويرجع الخلاف بينهما إلى أن قواعد البصريين عامة . يندرج تحتها معظم الشواهد العربية ، وقد أمكنهم ذلك باستقراء هذه الشواهد والامثلة وأساليب العرب ، ثم أصدروا أحكامهم <sup>(٤)</sup> على الأعم الأغلب ، وأما ما عدا ذلك من المسائل فأما أن يؤولوه حتى يوافق مذهبهم ، وإما ألا يعتدوا به فلا يقيسوا عليه بل يحكموا عليه بالشذوذ ، وهذه نزعة البصريين من قديم <sup>(٥)</sup> .  
أما الكوفيون فكانوا يعتدون بالشواهد الفردية ، وإن لم يرد غيرها في كلام العرب ويقيسون عليها ، فإذا سمعوا لفظاً في شعر أو نادراً في كلام جعلوه باباً <sup>(٦)</sup> ، ولو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلاً وبوبوا عليه <sup>(٧)</sup> :  
اجتمع ثعلب والمبرد في مجلس محمد بن عبد الله بن طاهر فسألهما عن قوله ( عز وجل ) :  
« إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم » كم فيه لغة ؟ قال المبرد : « قلت ، برآء على مثال كرماء وبرآء على مثال كرام » ، فقال ثعلب : « وبرآء أيها الأمير : » فقال : « ما تقول يا محمد : قلت : — والقائل المبرد — أيها الأمير : سله من أين ؟ » قال : « من أين قلت ؟ »

(١) طبقات الزبيدي ١٧  
(٢) نزهة الألباء ص ٦  
(٣) ضحى الإسلام ٢٨٤/٢  
(٤) انظر الاقتراح ص ١٧  
(٥) انظر طبقات الزبيدي ٤٤، ١٥  
(٦) المجمع ٤٥/١  
(٧) الاقتراح ص ٨٤

قال — والقائل ثعلب : حدثني سلمة عن الفراء أنه سمع أعرابية تقول : « ألا في السوء أنتن : تريد ألا في السوء فطرحتم الهمزة ، فأخذ المبرد يأتي بالحجة تلو الحجة ، وبالدليل بعد الدليل ، وكان آخر ما قال : لا يترك كتاب الله ، واجماع العرب لقول أعرابية رعناء <sup>(١)</sup> ، وفي هذه الحاجة دليل على منهج البصريين في اعتدادهم بالأعم الاغلب يجرى على السنة العرب ، ويتفشى لغتهم ، كما هي دليل على أخذ الكوفيين بالشواهد الفردية .

والكوفيين في قياسهم على الشاذ سند من أشياخ البصريين ومتقدمهم ، حدث علي بن محمد بن سليمان الهاشمي عن أبيه قال : قلت لعيسى بن عمر — يوما خبرني عن هذا الذي وضعت أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال لا ، قال : قلت : فن تكلم بخلافك واحتذى ما كانت العرب تتكلم به ، أترأه مخطئاً ؟ قال : لا <sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

وقد كان نتيجة ذلك أن بدا نحو البصريين صارما حازما يقل فيه التجوز على حين يكثر التجوز ظاهراً عند الكوفيين ، فيه كثير من الترخص والاباحة ، فيجوز عندهم أن يجمع العلم الذي في آخره تاء التأنيث إذا سميت به رجلاً جمع المذكر السالم <sup>(٣)</sup> ، كما يجوز تقديم خبر ما زال وأخواتها عليهن <sup>(٤)</sup> ، ويجوز تقديم معمول خبر ما الحجازية على نفسها <sup>(٥)</sup> ويتعجب من السواد والبياض <sup>(٦)</sup> ويجوز العطف على موضع أن قبل تمام الخبر <sup>(٧)</sup> وهكذا وهكذا . . . ويمتنع ذلك كله عند البصريين . والكوفيون مع تجوزهم القليل يستحبون الكثير ، ولذلك كان الفراء يقول : « لست أستحب ذلك لقلته <sup>(٨)</sup> » ، يشير إلى الجمع بين صيغة الأفعال والباء في قوله تعالى : « ويذهب بالابصار » .

ويظهر أن الكوفيين أرادوا — وهم مؤدبو الخلفاء <sup>(٩)</sup> وأولادهم أن ييسروا على هؤلاء في الدراسات النحوية بتصويب ما يجرى على ألسنتهم من التعبيرات التي تخضع لقاعدة طردها الكوفيون ، وقاسوا عليها ، فيسروا وأبجحوا ، واطرد عندهم

(١) مجالس اللغويين والنحاة لوحة رقم ٤٥ نسخة مصورة عن شهيد على باستانبول

(٢) طبقات الزبيدي ٤١ (٣) الانصاف ٢٦/١ (٤) الانصاف ٩٩/١

(٥) الانصاف ١١١/١ (٦) المصدر السابق ص ٩٥ (٧) الانصاف ١١٩/١

(٨) معاني القرآن ١٩

(٩) كان الكسائي مؤدب الرشيد ، وكان الفراء مؤدباً للأمين والمأمون .

ما عده البصريون شاذاً لا يقاس عليه ، وكان طابعهم في عمومه تجويز ما لم يجوزه مقابلوهم من البصريين <sup>(١)</sup> .

قال الاستاذ دى بور : « جعل نحاة البصرة للقياس شأناً كبيراً في الأحكام المتعلقة بالنحو ، على حين أن نحاة الكوفة ترخصوا في أمور كثيرة تشذ عن القياس ، ولهذا سمي نحاة البصرة « أهل المنطق » تمييزاً لهم عن نحاة الكوفة <sup>(٢)</sup> . وهاجم ابن درستويه — وهو من أصحاب أبي العباس المبرد — الكسائي إمام الكوفيين في النحو فقال : « كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجعله أصلاً ويقيس عليه <sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

كان البصريون يتحرون أن تكون شواهدهم مسموعة من العرب الخالص ، وساعدهم على ذلك قرب البادية منهم ، وفيها المبرد مجتمع الفصحاء ، وفيها معلون من الأعراب كأبي مالك عمرو بن كركرة <sup>(٤)</sup> والوحشي أبي ثروان العكلى <sup>(٥)</sup> ، ومنها وافدون على البصريين كأبي البيداء الرياحي <sup>(٦)</sup> ، وأبي الجاموس ثور ابن يزيد <sup>(٧)</sup> الذي كان يفد البصرة على آل سليمان بن علي ، وشييل بن عرعة الضبعي <sup>(٨)</sup> وأبو عدنان عبد الرحمن بن عبد الأعلى .

أما الكوفيون فما كانوا يتحرون شيئاً من ذلك ، أثراً لبعده الكوفة عن هؤلاء الأعراب المتبدئين ، وقد جاء في كتاب التكملة لأبي علي الفارسي : قال الفراء : كان النحويون يقولون امرأة فاذا أدخلوا الألف واللام قالوا المرأة وهو وجهه الكلام ، قال وقد سمعتها بالألف واللام الا امرأة . وعلق على ذلك الفارسي بما يظهر مذهب البصريين في الاعتماد على الكثرة والفصحاء — قال — : ولعل هذا الذي سمعها منه لم يكن فصيحاً لأن قول الأكثر على خلافه <sup>(٩)</sup> . وقد أخذ الكسائي فيما — فيما أخذ — عن أعراب الحطمية النازلين بقطر بل — فلما ناظر

(١) انظر الانصاف ١/١٢٨ ، ١٤٠ ، ١٦٠ ، ١٧٦ مثلاً و ٢/٢٧٢ ، ٢٨٤ ، ٢٩٠

٣٤٣ ، ٣٤٦ ، ٤٣٩ مثلاً

(٢) تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ٣٨ (٣) بغية الوعاة ص ٣٣٦

(٤) فهرست ابن النديم ص ٦٦ (٥) المصدر السابق ص ٦٩

(٦) المصدر السابق ص ٣٦ (٧) الفهرست ص ٦٧

(٨) المصدر السابق ص ٦٨ (٩) التكملة ١٢١

سيديويه استشهد — أى الكسائي — بلغتهم ، فقال أبو محمد الزيدى :

كنا نقيس النحو فيما مضى      على لسان العرب الأول  
فجاء أقوام يقيسونه      على لغى أشياخ قطربل  
فكلهم يعمل فى نقص ما      به يصاب الحق لا يأتلى  
إن الكسائي وأصحابه      يرقون فى النحو إلى أسفل<sup>(١)</sup>

وكان أبو زيد يقول : فيما يروى ياقوت : « قدم علينا الكسائي البصرة فلقى عيسى والخليل وغيرهما ، وأخذ منهم نحواً كثيراً ، ثم صار إلى بغداد فلقى أعراب الحطمية فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن . فأفسد بذلك ما كان أخذه بالبصرة كله »<sup>(٢)</sup> .

وكان البصريون يعتزون بأنهم أخذوا اللغة عن حرشة الضباب ، وأكلة اليرابيع على حين أخذها الكوفيون عن أهل السواد أصحاب الكواميخ ، وأكلة الشواريز<sup>(٣)</sup> جمع شيراز وهو اللبن الرائب  
وقد أورد ابن جنى باباً فى كتابه الخصائص فى أن لغة أهل الوبر أصح من لغة أهل المدر<sup>(٤)</sup> .

\* \* \*

وقد شاعت المذاهب الفلسفية فى البصرة ، وطفى منهج أصحاب الكلام فى بيئاتها الدراسية ، على خلاف من الكوفة فى ذلك ، ومن هنا كان فى نحو البصريين تعليل وفلسفة ، وفى نحاتها قدرة على الجدل والقياس ، وقف أعرابي على مجلس الاخفش ، فسمع كلام أهله فى النحو ، وما يدخل معه ، فحار وعجب ، وأطرق ووسوس ، فقال الاخفش : ما تسمع يا أخا العرب ؟ قال : « تتكلمون بكلامنا فى كلامنا بما ليس من كلامنا »<sup>(٥)</sup> ،

(١) بغية الوعاة للسيوطى ص ٣٢٦

(٢) معجم الادباء : ١٣ / ١٨٢ (٣) انظر أخبار النحويين البصريين ترجمة الرياشى

(٤) الاقتراح للسيوطى ص ٣٢

(٥) الامتاع ١٣٩ / ٢ ونظر أن الاعرابي قد أصابه طائف من هذه الفلسفة فأخرج كلامه مخرج الفلاسفة ( شلبى )

وقد نشأ ابن المقفع بالبصرة<sup>(١)</sup>، وكان صديقا حميما للخليل بن أحمد، وكان في الخليل بن أحمد النحوى البصرى ذكاء نادر يستطيع به أن يهضم الأبحاث المنطقية واللغوية التي ينقلها ابن المقفع من الفهلوية<sup>(٢)</sup> وربما كان ذلك يمت بسبب إلى مارووا عنه من أنه كان الغاية في تصحيح القياس، واستخراج مسائل النحو وتعليقه<sup>(٣)</sup>.

وقد ظلت المدرسة البصرية تجرى على هذا السنن من الأخذ بالمنطق، واستخدام القياس، والتعليقات الفلسفية حتى وصلت في ذلك إلى الحد الذي يبدو فيما دار بين المبرد البصرى، وثلعب النحوى في مجلس محمد بن عبد الله بن طاهر: . سأل المبرد ثعلبا عن همزة بين بين أساكنة هي أم متحركة؟ قال ثعلب: . لا ساكنة ولا متحركة، يريد أن حركتها روم. فقال المبرد: قوله: . لا ساكنة، قد أقر أنها متحركة، وقوله: . لا متحركة، قد أقر أنها ساكنة فهي ساكنة لا ساكنة، ومتحركة لا متحركة<sup>(٤)</sup>، وفي ذلك صورة من الجدل الفلسفى والأسلوب العقلى الذى شاع عند النحاة البصريين. وكان ثعلب ذا نفل عن الفراء والكسائى، فاذا سئل عن الحجة والحقيقة لم يأت بشيء<sup>(٥)</sup>. وانتقلت حدود المناطقة إلى النحويين، وهذا الزجاجى من مدرسة المبرد يحدد الاسم فيقول: الاسم فى كلام العرب ما كان فاعلا أو مفعولا، أو واقعا فى حيز الفاعل والمفعول به، هذا الحد داخل فى مقاييس النحو وأوضاعه وليس يخرج عنه اسم البتة ولا يدخل فيه ما ليس باسم، وإنما قلنا فى كلام العرب لأننا له نقصد وعليه نتكلم، ولأن المنطقيين وبعض النحويين قد حدوه حدا، خارجا عن أوضاع النحوقالوا الاسم صوت موضوع دال باتفاق على معنى غير مقرون بزمان. وليس هذا من ألفاظ النحويين ولا أوضاعهم؛ وإنما هو من كلام المنطقيين وإن كان قد تعلق به جماعة من النحويين<sup>(٦)</sup>.

\* \* \*

وقد تبين لى أن الكوفيين يعتدون بالقراءات، وبينون قواعدهم عليها، على

(١) ضحى الإسلام: ٢٠٤/١ (٢) تاريخ الفلسفة فى الإسلام س ٣٩

(٣) قرعة الالباء س ٣١

(٤) مجالس اللغويين والنحاة لوحة رقم ٥٥ نسخة مصورة عن شهيد على باستانبول

(٥) انباه الرواء: ١٤٤/١

(٦) الإيضاح فى علل النحو للزجاجى س ٦ ب



حين أن البصريين وقفوا منها موقفهم من سائر النصوص اللغوية ، وأخضعوها لأصولهم وأقيستهم ، فوافق منها أصولهم — ولو بالتأويل — قبلوه ، وما لم يوافق رفضوه ، بل ربما حكموا على القراءة بالوهى ، وعلى القارىء بالوهم <sup>(١)</sup> .  
وكان القراء يقول « والكتاب أعرب وأفوى في الحجة من الشعر » <sup>(٢)</sup> ،  
« والاجتماع من قراءة القراء أحب إلى » <sup>(٣)</sup> ، وربما اقتضى منهج هذا البحث العود إلى هذا الموضوع بالتفصيل ، فأرجئه لآعود إليه بعد حين .

\* \* \*

وقد احتفظت المدرستان بوجودهما المنفصل حتى نهاية القرن الثالث أو وسط القرن الرابع وحينئذ أصبحتا محتلتين في المدرسة الجديدة : في بغداد .  
وقد توفر ابن قتيبة — وهو نحوى بصرى — بعد انسحابه من القضاء في الدينور على التدريس ببغداد إلى أن مات سنة ٢٧٦ هـ وكان يميل إلى خلط تعاليمه بنظريات منقولة من الكوفيين <sup>(٤)</sup> .

ويعد المبرد البصرى (٢٨٥ هـ) ، وثعلب الكوفى (٢٩١ هـ) آخر ممثلين للدرستين .  
وقد سكن هذان العالمان المتنافسان ببغداد ، كما اشتركا في تأديب الشاعر الأمير ابن المعتز ، وقد سمع الناس محاضرات كلا الأستاذين ، وكانت اندماج تعاليم المدرستين في الجيل التالى من النحويين الذين أسسوا مدرسة بغداد <sup>(٥)</sup> .

واحتفظت المدرسة البصرية بتعاليمها إلى أواسط القرن الرابع ؛ لأن ابن دريد الذى عاصر المبرد لمدة اثنين وستين عاما ظل حيا حتى ٣٢١ هـ ، وباستثناء هذا المعمر الذى كان البقية الباقية من مدرسة البصرة فان من خلف المبرد وثعلب يسمون بالبغداديين كأبي بكر بن السراج ومبرمان ، لا لأنهم سكنوا وحاضروا في بغداد ، ولكنهم هناك لقنوا مذهباً جديداً مزيجاً من تعاليم المدرستين القديمتين من تفاوت منهم في النزوع إلى إحداها دون الأخرى <sup>(٦)</sup> .

---

(١) انظر مسألة ٦٠ من الانصاف (٢) معاني القرآن ص ١٤ ط (دار الكتب)

(٣) معاني القرآن ورقة ١٩٤ (٤) الفهرست لابن النديم ص ١١٠

(٥) مقدمة ARABIC GRAMMER BY HOWELL. VOL. I. P. 11

(٦) المصدر السابق VOL. I. P. 16

وأرى أن هذا الذي يقول Howell وما يذهب إليه بعض الباحثين من أن هناك مدرسة نحوية باسم مدرسة بغداد متميزة عن المدرستين البصرية والكوفية لا يتفق مع ما كان يراه الأقدمون الأولون من أصحاب التراجم والطبقات . ثم هو لا يتفق كذلك مع نصوص العلماء الأقدمين .

فابن النديم لا يسمى من خلطوا بين المذهبين بغداديين<sup>(١)</sup> .  
والزبيدي في طبقاته يذكر في كتابه النجاة واللغويين من البصريين والكوفيين والمصريين والقرويين ( الأفريقيين ) والاندلسيين ولا يزيد<sup>(٢)</sup> .

وأما نصوص العلماء الأقدمين فإن أبا علي الفارسي حينما يسمى الكوفيين باسمهم هذا وحيناً يطلق عليهم البغداديين ، وقد ناقش البغداديين في إجازتهم جمع طلحة بالواو والنون ومعروف أنهم الكوفيون هم الذين يميزون ذلك، وقال : ومن كلام أهل بغداد : الكسائي والقراء نحن جئناك به<sup>(٣)</sup> ،

وجاء في تهذيب التهذيب : « لو لم يكن لأهل بغداد من علماء العربية إلا الكسائي والقراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس »<sup>(٤)</sup> ،

وقال ابن جني وقد رأى رأى الكوفيين مطلقاً عليهم البغداديين ولا قرابة بيني وبين البصريين ولكها بيني وبين الحق والحمد لله ( أنظر المحتسب سورة آل عمران ) « وإن يمسك قرح »<sup>(٥)</sup> .

بل ربما توسع العلماء في زمن أبي علي فأطلقوا لفظ العراقيين على الكسائي والقراء والآخر<sup>(٦)</sup> .

فأقول بأن ابن السراج ومبرمان يمثلان المدرسة البغدادية كما يذهب إليه Howell مردود ، وبشهادة على رده كذلك أن الزبيدي — وهو معاصرهما — يجعلهما من البصريين<sup>(٧)</sup> وكذلك يفعل ابن النديم<sup>(٨)</sup> .

ولإذن فلم تكن هناك — فيما أرى — مدرسة بغدادية قائمة بنفسها لها تعاليمها ، غاية ما في الأمر أن رجالاً خلطوا بين المدرستين البصرية والكوفية ، فرأوا رأياً

(١) انظر الفهرست ١١٥-١٢٩

(٢) انظر فهرست طبعات الزبيدي ٣٤٣-٣٥٧

(٣) انظر الحجة : ٩٢/١ نسخة مراد ملا (٤) انظر تهذيب التهذيب ٢١٢/١١

(٥) وانظر الخصائص : ٤٠٩/١

(٦) انظر تهذيب اللغة للأزهري نسخة مصورة بجميع اللغة العربية رقم ٦٢٦ لغة : ٣

(٧) انظر طبعات الزبيدي ١٢٤-١٢٥ (٨) انظر الفهرست : ٨٩-٩٢

من هذه ورأيا من الأخرى وإن كانوا في مذهبهم الاصيل يميلون إلى هذه أو يميلون إلى تلك فيكونون بصريين أو كوفيين حسب . فابن كيسان يحفظ المذهبين لأنه أخذ عن المبرد وثعلب<sup>(١)</sup>، وكان ميله إلى البصريين أكثر<sup>(٢)</sup>، وكذلك كان ابن قتيبة<sup>(٣)</sup> . وابن شقير شديد التعصب مع الكوفيين مع اعتقاده مذهب البصريين<sup>(٤)</sup> وأبو علي نفسه أحد هؤلاء فعلى الرغم من نزعة التي تميل به إلى البصرية كان يرى رأى الكوفيين في بعض المسائل النحوية ، وقد أعطيت مذهبه فضل بيان في بعض فصول هذا البحث فليراجع هناك .

\*\*\*

(ب) معالم نشاط النحويين منذ عهد أبي الأسود حتى أبي على الفارسي ، منذ أن توفي الرسول (ﷺ) ، وانتهى الأخذ عنه بوفاته ، والنحويون الأولون — الذين كانوا قراء — نصبوا أنفسهم رقباء على لحون القراء ، وتتابع النحاة بعد أبي الأسود يستمعون إلى القراء ، ويرقبون القارئين ، وينبهون إلى لحن اللاحنين ، ويمكن لهم من هذه الرقابة أن مجالها ذو شأن عظيم : ذلك هو القرآن الكريم ، واللحن فيه أبعد أثراً ، وأشد خطراً ، وأبشع نكراً ، نعم ! بدأت الرقابة منذ أبي الأسود . وقد علمنا ما كان من الأمر عندما سمع قارئاً يقرأ : « إن الله يرى من المشركين ورسوله ، بكسر اللام »<sup>(٥)</sup> ، ودفع النحاة الأولين إلى هذه السيطرة — كذلك — أن لكل منهم عملاً قرآنياً مذكوراً به ، مشهوراً عنه ، إلى جانب جلوس كل منهم للقراء يؤخذ عنه ، ويعرض عليه : فأبو الأسود الدؤلي ينقط المصحف<sup>(٦)</sup> ، ونصر بن عاصم (ت ٨٩ هـ)<sup>(٧)</sup> يسأله الحجاج أن يضع للحروف المتشابهة علامات ، وينهض نصر بهذه المهمة ، فيضع النقط أفراداً وأزواجاً ، ويخالف بين أماكنها بتوقيع بعضها فوق الحروف ، وبعضها تحت الحروف<sup>(٨)</sup> ويروى أبو عمرو أن نصراً هو الذي خمس المصاحف وعشرها<sup>(٩)</sup> . ونصر هذا هو الذي حدث عنه خالد الحذاء ، قال : « سألت نصر بن عاصم كيف تقرأ : » فل

(١) حاشية الأمير على المفتى ٥٦/١ وانظر تركة الالباء ١٦٢

(٢) انظر طبقات الزبيدي ١٧١ (٣) انظر الفهرست ١١٥

(٤) الإيضاح للزجاجي : ٢٠ (١) (٥) تركة الالباء ٦

(٦) طبقات الزبيدي ١٣ (٧) تركة الالباء ٩

(٨) التصحيف والتعريف لأبي أحمد العسكري ١٠ (٩) كتاب النقط ١٢٣

هو الله أحد الله الصمد ، فلم ينون ، فأخبرته أن عروة ينون فقال : « بئسما قال ، وهو للبئس أهل ، فأخبرت عبد الله بن أبي اسحق بقول نصر بن عاصم فما زال يقرأ بها حتى مات (١) . ولم يكن النحاة الأولون يردون القراءات المخالفة للعربية فحسب ، بل كان اشتغالهم بالقراءة والاقراء داعياً إلى رد كل قراءة لم ترد عن الرسول وإن كانت جائزة في العربية ، وكان لهم في هذا الباب نشاط مذكور ؛ كان الحجاج يلحن (٢) ، يأخذ يحيى بن يعمر النحوى على الحجاج لحنه ، ويحفظ به فيما بينه وبين نفسه إذ تمنعه سطوه الحجاج أن يصرح بما أخلى ، لكن الحجاج يسأله ، فيرتفع به يحيى عن اللحن ، ويقول : « الأمير أفصح من ذلك ! ثم يعزم عليه الحجاج فيقول : نعم : ، وفي كتاب الله تعالى . . . قرأت : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم . . . أحب إليكم (٣) ، فرفعت أحب وهو منصوب (٤) ، وعبارة الزبيدي في طبقاته : « والوجه أن تقرأ بالنصب على خبر كان (٥) ، ( فلن صح أن هذا التوجيه بعبارة صدر عن يحيى ، ولم يكن للرواة تزيد فيه — إن ذلك دليل على وجود المصطلحات النحوية في ذلك الوقت المبكر إذ توفي يحيى سنة ٩٠ هـ (٦) وهو يحبه القائلين بأن النحوى من وضع عبد الله بن أبي اسحق المتوفى ( ١١٧ هـ ) ، وقد سبق يحيى عبد الله في الدراسات النحوية (٧) ، فقد عد الزبيدي ابن أبي اسحق في الطبقة الثالثة (٨) ، على حين عد يحيى في الطبقة الثانية (٩) .

وتلحين يحيى الحجاج من حيث الرواية ، لأنه لم يرو إلا النصب (١٠) والرفع مخالف لاجتماع القراء النقلة . وإلا فهو جائز في علم العربية (١١) . على أن يضمر في كان ضمير الشأن ويلزم ما بعدها بالابتداء والخبر وتكون الجملة في موضع نصب على أنها خبر كان .

(١) طبقات الزبيدي ٢١

(٢) البيان والتبيين : ١٧٤/٢ (٣) سورة التوبة آية ٢٤

(٤) نزعة الألباء ١٠ وينظر تخرج الحجاج من اللحن ( طبقات الزبيدي ٢٢ ) وتطيل هذا التخرج وتحليله ( سيبويه امام النحاة « على النجدي ناصف » ) .

(٥) طبقات الزبيدي ٢٢ (٦) انظر طبقات القراء : ٢٨١/٢

(٧) نزعة الألباء ١٣ (٨) طبقات الزبيدي ٢٥

(٩) طبقات الزبيدي ٢٢ (١٠) النهر الماد من البحر : ٢٢/٥

(١١) البحر المحيط : ٢٢/٥

ويحيى بن يعمر يذكر بعمل قرآني ، روى البخاري في تاريخه عن شيوخه :  
أن أول من نقط المصاحف يحيى بن يعمر<sup>(١)</sup> ، وقالوا : « وكان لابن سيرين مصحف  
منقوط نقطه يحيى بن يعمر<sup>(٢)</sup> كذلك روى أبو عمرو الداني<sup>(٣)</sup> .

والمشتغلون بالإعراب يقولون لمحمد بن سليمان — وإلى البصرة  
(ت ١٧٣ هـ<sup>(٤)</sup>) — في قراءته : « إن الله وملائكته يصلون ، برفع الملائكة ،  
فيقول : « خرجوا لها وجهاً ، ولم يكن يدع الرفع<sup>(٥)</sup> » .

وموقف محمد بن سليمان هنا يخالف موقف الحجاج ، فابن سليمان متمسك بما يقرأ ،  
لا يتحرج منه ، ويصر عليه ، ولا يحيد عنه ، ولا يسمع ما يقال فيه ، وربما كان  
ذلك من ابن سليمان لأن قراءته لها صلة بما روى من الآثار ، وذات وجه يعلمه من  
مذاهب القراء ، على أنه كان بينه وبين أبي عمرو بن العلاء صداقة ظهرت في  
زيارة أبي عمرو له سنة ١٥٤ هـ<sup>(٦)</sup> ، وقد رويت قراءة الرفع في هذه الآية عن أبي  
عمرو<sup>(٧)</sup> ، وفيه أن الذي روى هذه القراءة عن أبي عمرو : ابن عباس وعبد الوارث ،  
ولم أجد فيمن روى عن أبي عمرو من اسمه : ابن عباس ، ولعلها تحريف ،  
وصحتها العباس<sup>(٨)</sup> .

وكان إلى جانب هذه الرقابة ، جدل على التوجيه الإعرابي بين القراء النحاة  
أنفسهم ، فقد كان عيسى بن عمر يقرأ : « هؤلاء بناتي هن أطهر لكم ، بنصب أطهر ،  
وينكرها أبو عمرو عليه ، وكانا يقرآن : « يا جبال أوبي معه والطير ، ويختلفان  
في التأويل<sup>(٩)</sup> .

حتى إذا كان سيئويه رأينا قدراً صالحاً من الروايات المختلفة للقراءات ،

(١) طبقات القراء : ٣٨١/٢ (٢) طبقات الزبيدي : ٢٢

(٣) كتاب النقط : ١٣٢ ( وربما كان يحيى بن يعمر يقوم بنقط المصاحف لمن أراد من  
الناس ، كما فعل لابن سيرين ، وكما تدل عليه عبارة الزبيدي السابقة ، وأما نقط نصر بن عاصم  
فربما كان خاصاً بجهة رسمية يمثلها الحجاج ) .

(٤) شذرات الذهب : ٢٨٢/١ (٥) البيان والتبيين : ٢٣٩/١

(٦) طبقات الزبيدي : ٣١ (٧) انظر البحر المحيط : ٢٤٨/٧

(٨) انظر طبقات القراء : ٢٩٠/١ (٩) طبقات الزبيدي : ٣٦

وتوجيه سيبويه وشيوخه النحاة من قبله لها، وقد تحدثت عن ذلك بالتفصيل في مكان آخر لمناسبة أخرى (١).

ثم تجرى مناقشات حول القراءات بين الكسائي وحمة (٢)، وتؤلف كتب في معاني القرآن يكون فيها للقراءات وتوجيهها نصيب كعاني القرآن للقراء، وللزجاج، وللنحاس. كما ألقت كتب للاحتجاج على النحو الذي بينت في فصل آخر، ويكون من بين هؤلاء المشتركين في النشاط النحوي من حيث الاحتجاج، والتحدث حول معاني القرآن — أبو علي الفارسي في كتابه: الحجة . . .

\* \* \*

وظاهرة أخرى يتجلى فيها نشاط النحويين، تلك هي مؤلفاتهم التي تركوها، ولهذا المؤلفات قيمة في رصد التطور النحوي، والتعرف على المراحل التي سار فيها نشاط النحويين في التأليف، ثم هي لها دلالة أخرى فيما تعطيها هذه الكتب مؤلفيها من شهرة وذبوع، ولأنما شهرة العالم كما يقول أبو الطيب اللغوي بمصنفاته والرواية عنه (٣).

ولا يسع الباحث أن ينكر ما كان لأبي الأسود الدؤلي من باكورة في هذا النشاط، وما يؤثر عن أبي الأسود يعد بذرة تعدها النحاة من بعده، ورعواها حق رعايتها حتى صار على يد إمام النحاة — شجرة وارفة الظلال، ممتدة الفروع، غنية بالثمار.

هذا وأود أن أنبه إلى أن التعرف على نشاط النحويين التأليفي في دقة أو ما يقرب منها أمر عسير، فقد طواه الزمن الغابر فيما طوى، ويمكن أن نتبين المعالم الكبرى لهذا النشاط:

ولعل أول ما عرف من نشاط في هذا المجال — هذه الأوراق الأربعة التي وجدها ابن النديم في خزانة ابن أبي بكرة: إذ يقول ابن النديم «ورأيت ما يدل على أن النحويين أبي الأسود ما هذه حكايته: «وهي أربعة أوراق أحسبها من ورق الصين ترجمتها هذه في كلام في الفاعل، والمفعول من أبي الأسود (رحمه الله عليه) بخط يحيى

(١) انظر ص ١٥٨-١٦٤ من هذا البحث

(٢) طبقات النحويين: ١٣٨

(٣) نزعة الألباء: ٤٤

ابن يعمر وتحت هذا الخط بخط عتيق : هذا خط علان النحوى ، وتحت هذا خط النضر بن شميل (١) .

ويعقب أبو الاسود ولداً اسمه (عطاء) كان عالماً بالنحو والعربية فيما يقول القفطى ، وهو الذى اتفق بعد موت أبيه مع يحيى بن يعمر على بسط النحو ، وتعيين أبوابه ، وبعج مقاييسه ، ولما استوفى هو ويحيى بن يعمر جزءاً وفيراً من أبواب النحو نسب بعض الرواة اليهما أنهما أول من وضع هذا النوع (٢) .

وقد ورد فى كلام على بن محمد الهاشمى عن أبيه أنه سعى ما تركه أبو الاسود من الاوراق الأربع — كتاباً ، حتى كانت عبارته كما رواها الزبيدى فى طبقاته : « وضع — أى أبو الاسود — باب الفاعل والمفعول لم يزد عليه ، فزاد فى ذلك الكتاب ، رجل من بنى ليث أبواباً ، ثم نظر فاذا كلام العرب ما لا يدخل فيه ، فأقصر عنه (٣) » .

وإذن فقد تسلم تراث أبى الاسود ذلك الرجل الليثى ، فمن هو ؟ أيحيى بن يعمر هو ؟ وهو أحد الآخذين عن أبى الاسود (٤) ، وقد كان عداده فى بنى ليث (٥) ابن كنانة (٦) ؟ ثم هو الذى كتب الاوراق التى وجدها ابن السديم (٧) ، أم نصر بن عاصم الليثى ؟ لا شك فى أنه نصر بن عاصم الليثى لامرئ :

أولها : نسبته صراحة إلى بنى ليث ، أما يحيى بن يعمر فهو عدوانى منسوب إلى بنى ليث بالولاء ، فقد كان كما يقول الزبيدى فى الطبقات نقلاً عن أبى حاتم السجستانى حليفاً لبنى ليث (٨) .

وأخرهما : أن ما أورده ياقوت فى معجمه عن نصر بن عاصم ، ونقله السيوطى يرشح هذا الترجيح ، فقد أوردا فى الحديث عن نصر أن له كتاباً فى العربية (٩) . ولم تذكر كتب التراجم — فيما استقصيت أن ليحيى كتاباً فى العربية .

وقد كان لكتاب نصر دلالة فى تاريخ النشاط النحوى ، ذلك لأنه يعد محاولة طبيعية تلت محاولة أبى الاسود فى ورقاته الأربع ، ومحاولة عطاء بن أبى الاسود

(١) الفهرست ٦١ (٢) إنباء الرواه : ٣٨١/٢

(٣) طبقات الزبيدى : ١٥ (٤) الفهرست ٦٢

(٥) طبقات الزبيدى : ٢٢ (٦) الفهرست ٦٢

(٧) انظر الفهرست ٦١ (٨) طبقات الزبيدى : ٢٣

(٩) بنية الوفاء : ٤٠٣ ، معجم الأدباء : ٢٢٤/١٩

ويحيى بن يعمر ، وسبقت محاولة عيسى بن عمر في كتابيه الإكمال ، والجامع ، فنصر بن عاصم يزيد أبواباً على الفاعل والمفعول ، ولكنه ينظر فيجد استقراره ناقصاً فيقصر <sup>(١)</sup> ، ثم يكون عيسى بن عمر فيضع كتابيه الإكمال والجامع <sup>(٢)</sup> ويريح بهما من النظر والقياس <sup>(٣)</sup> ، ويتلافى نقص نصر بن عاصم في كتابه بأن يضع قواعده على الأكثر ، ويسمى الأخرى لغات <sup>(٤)</sup> ، وعيسى بن عمر أخذ عن عبد الله بن أبي اسحق الذي يعجب النحو ، ومد القياس فيما يقول ابن سلام <sup>(٥)</sup> .

وبعمل عيسى تم المراحل التي تقتضيها سنة النشو والارتقاء والتدرج الذي تدعو إليه طبيعة الأشياء ، وتتلخص هذه المراحل فيما يأتي :

أولاً — أبو الأسود له ورقات <sup>(٦)</sup> تمثل النشاط البدائي في التأليف النحوي .  
ثانياً — ونصر بن عاصم يضع في العربية كتاباً <sup>(٧)</sup> ، ولكنه لا يستقصى في الاستقراء <sup>(٨)</sup> .

ثالثاً — وعبد الله بن أبي اسحق يعجب النحو ، ويمد القياس <sup>(٩)</sup> ، ومعنى هذا أن استقراءه أكثر شمولاً من استقراء الذين سبقوه .

رابعاً — وعيسى بن عمر يضع قواعده على الأكثر من كلام العرب ، يوحى اسم كتابه الإكمال بتدارك فائت ، وتمام ناقص كما يوحى اسم كتابه «الجامع» ، بضم أشتات ، واستيعاب شوارد <sup>(١٠)</sup> ، فيكون بذلك أول من بلغ غايته في كتاب النحو <sup>(١١)</sup> ، ويقدر المؤرخون عمله ، ويبالغون فيما قام به من استقصاء فيقولون : أنه أراح من النظر والاستقراء <sup>(١٢)</sup> .

وهذه المراحل كما ترى — أخذ بعضها بحجز بعض ، وكل حلقة امتداد للحلقة السابقة ومكاملة يقصها ، وزائدة عليها ، وجميعها موصول السبب بعمل أبي الأسود ، ولئن لم يأخذ عيسى بن عمر عن ابن الأسود إنه أخذ عن أخذ عنه <sup>(١٣)</sup> ، ثم إنه

(١) طبقات الزبيدي : ١٥ (٢) الفهرست ٦٣

(٣) طبقات الزبيدي : ٣٧ (٤) طبقات الزبيدي : ١٥

(٥) مقدمة طبقات ابن سلام ، طبقات الزبيدي ١٥

(٦) الفهرست ٦١ (٧) معجم الأدباء : ١٩ / ٢٢٤ والبغية ٤٠٣

(٨) انظر طبقات الزبيدي : ١٥ (٩) طبقات الزبيدي : ٢٥

(١٠) سيبويه امام النحاة : ١٣٣ (١١) طبقات : ١٥

(١٢) انظر طبقات الزبيدي : ٣٧ (١٣) انظر الفهرست ٦٢



كان ذا صلة روحية به ، ويفرم برواية الأحاديث عنه <sup>(١)</sup> ، كما كان مولعاً بترديد شعره كما يروى الأصمعي <sup>(٢)</sup> . فالمؤرخون يكادون يجمعون على أن لأبي الأسود في ذلك النشاط — السبق والتقدم <sup>(٣)</sup> ، ثم وصل ما أصَّل أبو الأسود التالون له ، الآخذون عنه ، وكان لكل واحد منهم من الفضل بحسب ما بسط من القول ومد من القياس ، وفتق من المعاني ، وأوضح من الدلائل ، وبين من العلل <sup>(٤)</sup> . ويؤخذ مما يذكر المؤرخون أن هذه الآثار التي تركها أبو الأسود في ورقاته ، ونصر ابن عاصم في كتابه قد فقدت <sup>(٥)</sup> ، وذلك ما يشير إليه أيضاً قول الخليل يذكر عيسى وكتابه :

بطل النحو جميعاً كله      غير ما أحدث عيسى بن عمر  
ذاك لإكمال ، وهذا جامع      وهما للناس شمس وقر <sup>(٦)</sup>  
وهما بابان صاراً حكمة      وأراح من قياس ونظر <sup>(٧)</sup>

والبيت الأول يدل على أن النحو كان له وجود متميز ، وقد بطل كله بما أحدث عيسى ، والمقصود ببطلان النحو — ذهابه ذهاباً لا يستطاع معه الظفر به ، وأن ما سبقهما من مسائل نحوية ضاع فيما طواه التاريخ ، وهذا المعنى يدل عليه الاستعمال اللغوي للكلمة <sup>(٨)</sup> ، واعتبر ذلك بقول الليث بن المظفر : « كنت أسير إلى الخليل بن أحمد ، فقال لي يوماً : « لو أن إنساناً قصد ألف حروف ألف وباء وتاء على ما أمثله لاستوعب في ذلك جميع كلام العرب ، قال الليث : « فجعلت أستفهم ويصف لي ، ولا أقف على ما يصف ، فاختلفت إليه في هذا المعنى أياماً ، ثم اعتل ، وحججت ، فما زلت مشفقاً عليه وخشيت أن يموت في علته فيبطل ما كان يشرحه لي . . الخ <sup>(٩)</sup> »

ومهما يكن من أمر فإن الخليل — على ما يبدو من البيتين — قد انتفع

- 
- (١) انظر طبقات الزبيدي : ١٧      (٢) انظر طبقات الزبيدي : ١٩  
(٣) انظر طبقات الشعراء لابن سلام ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، مراتب النحويين  
البصريين للسيرافي والفهرست والبصائر : ١٨١/١  
(٤) طبقات الزبيدي ٢      (٥) الفهرست ٦١  
(٦) الفهرست ٦٣      (٧) طبقات الزبيدي ٣٧  
(٨) الفاموس مادة بطل      (٩) الفهرست ٦٥

بكتابي عيسى بن عمر (ت ١٥٩ هـ) <sup>(١)</sup> الذى أخذ الخليل <sup>(٢)</sup> عنه ، وإن كان هذان الكتابان قد فقدوا كما يقول ابن الأديم مذ المدة الطويلة : ولم يقع إلى أحد عليهما ، ولا خبر أحد أنه رآهما ، <sup>(٣)</sup> .

وقد قصدت قصدا إلى الحديث عن تمييز النحو ، واستكمال أدواته عند عيسى ابن عمر الثقفى الضرير مولى خالد بن الوليد <sup>(٤)</sup> ، ثم بطلان ما قبل ذلك منه ، وتسلم الخليل تراث عيسى — لانتقل إلى الحديث عن الكتاب ، كتاب سيويه — تليد الخليل — وأنه لا يعد وثبة في تاريخ النحو ؛ بل هو حلقة من تلك الحلقات التى بدأت على ما ذكرت — على يد أبي الأسود ، وإن كان النحو قد بلغ أشده واستوى فى الكتاب . ثم يقف النحو بعده عن النمو ، ولكن يأخذ سبيله بعد النضج إلى الاحتراق ، فينحدر فى دركات الضمور ، وما أشبه الكتاب فى تاريخ النحوسن الأربعين فى أعمار الناس ، فهى قمة الفتاء ، فى ناحية منها صعود نحو الكمال ، وفى الأخرى هبوط نحو الاضمحلال ، وهى بين هاتين القمة الشاهقة على كل حال . ولو أردنا تقدير كتاب سيويه من حيث الأصاله أو اتباعه لغيره من السابقين ، لرأينا أنه ملئ بالقول عن شيوخه : الخليل بن أحمد فى كثرة ظاهرة بلغت مراتها اثنتين وعشرين وخمسة ، ثم يونس ، وجملة المروى عنه مائتان ، ثم أبو الخطاب الاخفش ، وأبو عمرو بن العلاء فى جملة بين الأربعين والخمسين ، ومن بعد هؤلاء عيسى بن عمر فى مرات تتجاوز العشرين ، وأبو زيد الأنصارى ، وهارون بن موسى ، وعبد الله بن أبي اسحق فى قلة نادرة فى كتابه الكبير <sup>(٥)</sup> . وهذه النقول الكثيرة تدفعنى إلى فهم عبارة ثعلب فيها لا أنفق فيه مع الأستاذ على النجدى ناصف <sup>(٦)</sup> ، هذه العبارة ذكرها صاحب الفهرست إذ يقول : « قرأت بخط أبي العباس ثعلب ، : اجتماع على صنعة كتاب سيويه اثنان وأربعون إنسانا ، منهم سيويه ، والأصول والمسائل للخليل ، <sup>(٧)</sup> فليس المقصود من هذا العدد إلا الإشارة إلى هذه النقول المتعددة فى كتاب سيويه ، وهذه النقول قد وثقها يونس بن حبيب فيما يذكره الزبيدى فى الطبقات <sup>(٨)</sup> ، وإذا كان الخليل قد انفرد بالأصول والمسائل كما يقول

(١) خزانة الأدب : ١١٤/١ (٢) أخبار النحويين للسيرافى : ٣١

(٣) الفهرست ٦٣ (٤) خزانة الأدب ١١٤/١ ط ١٣٤٧ المطبعة السلفية

(٥) انظر كتاب سيويه امام النحاة — على النجدى ناصف ص ٨٧-٩٨

(٦) المصدر السابق : ١٢٨ (٧) الفهرست ٦٧

(٨) انظر ٤٩ والأنبأرى فى نزعة الألباء : ٣٩

ثعلب ، فما ذاك إلا لأن له نصيب الأسد من بين هؤلاء الذين نقل عنهم سيويه من الشيوخ ، وقد حدث نصر بن علي الجهضمي قال : « لما أراد سيويه أن يؤلف كتابه قال لأبي : « تعال نحى علم الخليل <sup>(١)</sup> » ، وإذا كان سيويه من هؤلاء الذين اجتمعوا على صنعة الكتاب فما ذاك أيضا إلا لهذه التعليقات أو التعميمات التي يتبعها ما ينقل عن الشيوخ شارحا ، ومقررا ، ومعالنا بالرأى حاسما جريئا كما يقول الأستاذ على النجدي <sup>(٢)</sup> ، وإذا كانت هذه النقول قد بلغت في جملتها ٨٥٨ وكان الكتاب بحزأيه قد بلغ تسعمائة وعشرين صفحة في طبعته المصرية ، فإن هؤلاء الشيوخ — ولا سيما الخليل ويونس — يكادون يطالعونك في كل صفحة من صفحات الكتاب ، وإليك مثالا يظهر هذا التعاقب في موالاة :

## من الجزء الأول

الصفحة	المنقول عنهم من الشيوخ
٣٠٢	وزعم للخليل أنهم نصبوا المضاف
٣٠٤	وقال الخليل كأنهم لما أضافوه ردوه . . . وقال الخليل وسألته عن يزيد نفسه . . . قول يونس والمعنى . . . وقد زعم يونس أن أبا عمر كان يقوله . . . يزيد زيد الطويل
٢٠٥	أبو عمرو — الخليل ثلاث مرات
٣٠٦	الخليل
٢٠٧	الخليل مرتين
٣٠٩	الخليل
٣١٠	الخليل ثلاث مرات
٣١١	يونس — الخليل مرتين
٣١٣	عيسى بن عمر
٣١٤	يونس مرتين ، الخليل
٢١٥	الخليل مرتين
٣١٧	الخليل أربع مرات ، ويونس مرة

٣١٨	الخليل ويونس مرة
٣٢٠	كل من الخليل وأبي عمرو مرة <sup>(١)</sup>

## الجزء الثاني

٩٩	الخليل مرتين — أبوزيد مرة، وكذلك يونس
١٠٣	الخليل ثلاث مرات ، أو الخطاب مرة
١٠٤	الخليل أربع مرات، ويونس مرة
١٠٧	يونس ثلاث مرات ، وكل من الخليل، وأبي عمرو مرة
١١٠	كل من أبي الخطاب ، وأبي زيد مرة، وكل من الخليل، ويونس ثلاث مرات
١١٣	الخليل مرتين كل من أبي عمر ، ويونس مرة
١١٨	كل من الخليل ، ويونس مرتين
١٢٢	يونس ثلاث مرات وكل من الخليل ، وأبي عمرو مرة
١٢٦	يونس ثلاث مرات والخليل مرتين، وأبوزيد مرة
١٢٨	الخليل مرتين كل من يونس، وأبي الخطاب، وعيسى مرة <sup>(٢)</sup>

ومثل هذه الموالات الظاهرة تدفع إلى القول بأن سيبويه استعان بآخرين ، على أن الأستاذ على النجدي أراد بتفسيره هذه العبارة أن يرفع الغمط الذي لحق سيبويه من ثعلب ، ولعمري لقد بلغ فيما أورد من مناقشة موفقة ما أراد<sup>(٣)</sup>

وأنا بتفسيرى ألتقى مع الأستاذ فيما قصد ، وأقرر معه كذلك أن سيبويه — على الرغم من هذه النقول — لم يشأ أن ينمى وجوده ، أو تخفى شخصيته في الكتاب ، فيكون مثله فيه كمثل النحلة الكاسية الدوب ، تجمع رحيق الازهار والثمار من المزارع والبساتين غير واعية لما تصنع ، ولا مفضلة فيه إلا بالجمع والادخار<sup>(٣)</sup>

(١) ملخصة من جذاذات تفضل بإطلاعى عليها الأستاذ على النجدي خاصة بمسودات بحثه في سيبويه .

(٢) ملخصة من جذاذات تفضل بإعارتها إياى الأستاذ على النجدي خاصة بمسودات بحثه في سيبويه امام النحاة .

(٣) انظر سيبويه امام النحاة ص ١٢٨ - ١٣٠ (٤) المصدر نفسه ١٨٠

ومنذ أن ألف الكتاب ، يتخذ النحويون إماما ، ويعدونه قرآنا<sup>(١)</sup> ، ويعجبون به على اختلاف مذاهبهم : فالمازني البصري يستعظم أن يعمل أحد كتاباً كبيراً بعد كتاب سيبويه<sup>(٢)</sup> ، والمبرد - وهو بصري أيضاً - يسميه البحر تعظيماً<sup>(٣)</sup> ، والفراء الكوفي يكون في ميراثه الكتاب وهي النسخة التي أهداها الجاحظ إلى محمد بن عبد الملك<sup>(٤)</sup> ، وقد كانت بخط الفراء ، ومقابلة الكسائي<sup>(٥)</sup> .

وقد وجد تحت وسادة الفراء التي كان يجلس عليها فيما حكاه أحمد أبو جعفر النحاس<sup>(٦)</sup> ، فلا غرو إذن أن دارت دراساتهم حوله ، وتركز نشاط النحويين فيه ، يشرحونه ويلقون عليه ، ويمهدون له ، ويرتبون مسأله<sup>(٧)</sup>

ويكون لأبي على الفارسي ( ٣٧٧ هـ ) نشاط في هذا المجال ، ويقف قفو السابقين له من العلماء ، كالمازني ( ٢٤٧ هـ ) والمبرد ( ٢٨٥ هـ ) والزجاج ( ٣١١ هـ ) والافخش ( ٣١٦ هـ ) ويدير أبو على الفارسي حديثه في مسأله - غالباً - حول عبارات الكتاب والاحتجاج به ، والانتصار له على النحو الذي سأعرضه إن شاء الله<sup>(٨)</sup>

وإن يكن هناك تقدم سجله النحويون بعد سيبويه فهو في تحويل فتاوى سيبويه إلى قواعد وقوانين ، ثم تلا ذلك الحديث عن العوامل فكانت كتب الأصول في النحو . قالوا : « ما زال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السراج »<sup>(٩)</sup> ، والتوسع في فلسفة النحو ، أو التعليل لمسأله ، وذلك أثر من آثار اصطباغ الحياة العلمية بالصبغة الفلسفية وذويوع مناهج المتكلمين والمناطق بين النحاة والباحثين ، وقد أورد أستاذنا في كتابه « سيبويه أمام النحاة » ما يجلي به الفرق بين المنهجين : منهج سيبويه ومنهج النحاة من بعده في هذه التعليلات<sup>(١٠)</sup>

ومن هنا ألفت - بعد سيبويه غالباً - كتب تحمل أسماء العلل ، والعامل ، والقياس ، والمقاييس النحوية . . . الخ على النحو الذي بسطت في موضع آخر من هذا

(١) مراتب النحويين الورقة ١٠٦ (٢) الفهرست ٧٧

(٣) بنية الوعاة : ٣٦٦ (٤) تاريخ بغداد : ١٢ / ١٩٦

(٥) وفيات الأعيان : ٣ / ١٣٣ (٦) طبقات الزيدى : ٧٣

(٧) انظر سيبويه امام النحاة ١٨٦-١٨٨ (٨) انظر الكلام عن هذه المسائل في موضعه

من هذا البحث (٩) نزهة الألباء : ١٦٩ (١٠) انظر من ١٦٣-١٦٦

البحث<sup>(١)</sup> . ويجرى أبو على الفارسي في هذا المضمار إلى أبعد الآماد فيمزج نحوه بمسائل النطق ونحوه وقضاياه ، ويقضى في هذه الفلسفات والتعليقات سبعين عاماً<sup>(٢)</sup> كما يقول تليذه ابن جني ، وهكذا يتحول النحو من القطرة إلى الفطنة<sup>(٣)</sup> ، وفي مقابسات أبي حيان - وهو معاصر لأبي على الفارسي - بحوث تعرض فيها لما بين النحو والمنطق من المناسبة<sup>(٤)</sup> ولم صار الظرف المخصوص بالزمان أكثر من الظرف المخصوص بالمكان<sup>(٥)</sup> ، وفي الطبيعة وكيف هي عند أهل النحو واللغة<sup>(٦)</sup> . وبعد أن أورد أبو حيان ثلاث مقابسات متصلات بالنحو والمنطق قال : « وبهذا يتبين لك أن البحث عن المنطق قد يرمى بك إلى جانب النحو ، والبحث من النحو يرمى بك إلى جانب المنطق ، ولولا أن الكمال غير مستطاع لكان يجب أن يكون المنطقي نحويًا والنحوي منطقيًا<sup>(٧)</sup> »

ولا يعني في هذا البحث الإشارة إلى أن هذه الموجة الفلسفية قد انحسرت على يد ابن مضاء القرطبي في القرن السادس الهجري<sup>(٨)</sup> ، لأن ذلك خارج عن نطاق العصر الذي عاش فيه أبو على الفارسي ، والمهم تسجيل النشاط النحوي ، ومعاله الكبرى ، وما تحمله هذه المعالم من دلائل حتى أبو على ، لأمضى في درسه على نحو من التفصيل الدقيق .

كذلك كان من نشاط النحويين تهذيب ألفاظ السابقين ، وإزالة ما فيهما من الغموض والتعقيد<sup>(٩)</sup> واختصار كتب الأقدمين تيسيراً على المتعلمين فكان هناك مختصر الجرمي<sup>(١٠)</sup> ومختصر ابن شقير<sup>(١١)</sup> .

\* \* \*

وبجانب نشاط النحويين في التأليف ، كان نشاطهم في التدريس ، في هذه الحلقات

- 
- |   |                                   |
|---|-----------------------------------|
| (١) انظر الفصل الخامس بذلك                      | (٢) الخصائص : ٢٨٥/١               |
| (٣) الامتاع : ١٣٩/٢                             | (٤) المقابسات مقابلة : ١٣٠ / ١٦١  |
| (٥) المقابلة : ٢٣                               | (٦) المقابلة : ١٧٤/٣٤             |
| (٧) المقابسات : ١٧٧                             | (٨) انظر كتاب الرد على النعاه ٨-٩ |
| (٩) انظر الزجاجة في مقدمة كتابه ايضاح علل النحو |                                   |
| (١٠) انظر طبقات الزبيدي : ٧٧                    | (١١) انظر نزهة الألباء : ١٦٩      |

التي كانوا يعقدونها منذ سعد الراية<sup>(١)</sup> إلى يونس بن حبيب<sup>(٢)</sup> ومن تلاهما من النحاة حتى الفارسي في حلقاته التي كان يعقدها الدرس في البصرة، وشيراز، وبغداد، وحلب، وغيرها من البلاد التي تنقل فيها وأملى مسائله المشهورة المنسوبة إلى هذه البلاد.

\* \* \*

وكان من مظاهر النشاط النحوي هذه المناظرات التي دارت بين النحاة في وقت مبكر، حتى أن يزيد بن الحكم الذي عاش زمن عبد الملك بن مروان يهجو النحويين فيقول:

إذا اجتمعوا على ألف وواو وياه، هاج بينهم جدال<sup>(٣)</sup>

ويروى قتال بدل جدال<sup>(٤)</sup>. وكان في بغداد مجلس يعرف بمجلس النحويين<sup>(٥)</sup> ومن هنا ألف المؤلفون كتاباً باسم المجلس. ويبدو أن التناظر كان فيصلاً بين المتناظرين، وسبيلاً إلى تعرف وجه الحق فيما عليه يختلفون. قال الزجاجي في مقدمة كتابة إيضاح علل النحو، ومن سمت نفسه إلى تتبع ما أودعناه إياه، وسميناه فيه وخصه والكشف عن حقائقه لتحقيق عليه إن مر به ما ينكره أن يراجع فكره ويقتين قريحته ويحرك خاطره، ايقف على ما لعله قد انستر عنه! ولا يحكم من أول وهلة بخروج عن الحق، فإن هو فعل ذلك وتدبره، ولم يره ينقاد في طريقة القياس مستمراً ورأى أنه لاحق إلا في غيره - كانت حلبة التناظر باجتماع ذوى الهمم والنظر والفحص والجدل معنا فيها فاصلة بيننا وبينه، حتى نصير معاً بحق النظر إلى الصواب فنعتقده جميعاً، لأن الرجوع إلى الحق خير من التماهى في الباطل، ولم يعر خلق من السهو والغلط، والكمال لله عز وجل، والنقص شامل للمخلوقين<sup>(٦)</sup>

وقد دعا إلى هذه المناظرات أحياناً ما كان بين المتناظرين من اختلاف في المذاهب النحوية، كما وقع بين عيسى بن عمر<sup>(٧)</sup> والكسائي<sup>(٨)</sup> وبين سيديويه، والكسائي.

(١) سيديويه امام النحاة ١٣٣ وبغية الوعاة ٢٥٣

(٢) الفهرست ٦٣ ونزهة الألباء ٣٢ (٣) خزائن الأدب : ١٠٨

(٤) درة النواص : ١٠٦ (٥) انظر معجم الأدباء : ١٢٣/١٩

(٦) مقدمة إيضاح علل النحو للزجاجي

(٧) انظر وفيات الأعيان : ١٤٥/٣ في ترجمته عيسى بن عمر

(٨) طبقات الزبيدي : ٣٨

في المناظرة المشهورة<sup>(١)</sup> وبين المبرد، وثلعب، وبين سيديويه، والفراء<sup>(٢)</sup>، وبين الكسائي، واليزيدي<sup>(٣)</sup> بحضرة المهدي ثم بحضرة الرشيد<sup>(٤)</sup>، وبين الجرهمي، والفراء قالوا : وكان الجرهمي يلقب بالنجاح لكثرة مناظراته في النحو ورفع صوته فيه<sup>(٥)</sup>، وقد أورد الزجاجي في كتابه الإيضاح عن علل النحو مسائل جرت - كما قال - بين النحويين ممن سلف في مجالس اجتمعوا فيها ختمنا بها الكتاب .

كما دعا إلى هذه المناظرات أحيانا ما بين المتناظرين من اختلاف في التعصب للعرب والانتصار لهم، أو التعصب عليهم والظعن فيهم، كالمناظرات التي كانت بين عبد الله بن أبي اسحق، وأبي عمرو بن العلاء<sup>(٦)</sup>، وأبين هذا الأخير وعيسى بن عمر<sup>(٧)</sup> أو بين ابن أبي اسحق، وبكر بن حبيب<sup>(٨)</sup>. مع أن كل واحد من المتناظرين بصرى، يصطنع مذهب البصرين فيما يقول، ولكن هاج ما بين الفريقين شعوره نحو العرب، فقد كان كل من عبد الله بن أبي اسحق، وعيسى بن عمر شعويا يظعن على العرب<sup>(٩)</sup>، وكان أبو عمرو بن العلاء للعرب أشد الناس تسليما<sup>(١٠)</sup>، وقد تجلى ذلك في موقف كل من عبد الله بن أبي اسحق وأبي عمرو بن العلاء من الفرزدق على ما سأتناوله بالشرح والايضاح .

\* \* \*

ومنذ أواخر القرن الأول تقررت أصول نحوية نديجة لاستقراء نصوص اللغة، خفضت هذه النصوص وفي مقدمتها الأشعار - جاهلية وإسلامية - لرقابة النحاة، يظهر من ما وقع فيها من مخالفة لهذه الأصول<sup>(١١)</sup>، وكان في ذلك نشاط مأثور في النقد الأدبي واللغوي معاً<sup>(١٢)</sup>.

ومكن للنحاة في رقابتهم على الشعراء تخرج الناس خاصتهم وسوقتهم من اللحن الذي عدوه هجنة على الشريف، وجعلوا التحرز منه جمالا للوضع<sup>(١٣)</sup>، حتى قال الخليل :

(١) المصدر السابق : ٧٢

(٢) المغني : ٧٤/١

(٣) معجم الأدباء : ١٧٨/١٣

(٤) أخبار أبي القاسم الزجاجي ورقة ٣٢ (٥) نزعة الألباء : ١٠٣

(٦) طبقات الزبيدي : ٢٥ ، نزعة الألباء ١٢ (٧) طبقات الزبيدي : ٣٨

(٨) طبقات الزبيدي : ٤٢ وانظر الاشياء والنظائر للسيوطي : ٢٣/٣

(٩) طبقات الزبيدي : ٢٦ (١٠) نزعة الالباء ١٢ وطبقات الزبيدي ٢٨

(١١) طبقات الزبيدي : ٣٢ (١٢) تاريخ النقد للمرحوم طه إبراهيم : ٥٢، ٥١

(١٣) العقد الفريد : ٤٧٨/٢



وترى اللحن بالحسيب أخى الهيئته مثل الصدى على المشرق  
فاطلب النحو للحجاج وللشعر مقيماً والمسند المروى<sup>(١)</sup>  
كما مكن لهم كذلك أن الدولة لا تزال تنزع إلى مجارة العرب الخلفاء، واصطناع  
أساليبهم فيما يقولون، وكانت يقظة من النحاة في تعقب الشعراء، وكان التبرم من  
هؤلاء، ووقعت بين الفريقين العداوة والبغضاء<sup>(٢)</sup>.  
ومثال تعقب النحاة للشعراء القدامى ما أخذه عيسى بن عمر الثقفي على النابغة  
الذبياني من قوله:

فبت كأنى ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم نافع  
والصواب يقال ناقماً بالنصب على الحال<sup>(٣)</sup>

وتتبع النحاة شعر الفرزدق بخاسة، ووجدوا في هذا تتبع دعوة وسرورا،  
ومكنهم من ذلك شخصية الفرزدق الصلبة، وطريقته في نظم القريض، فقد كان  
يلغز بالأبيات ويأمر بالقائها على ابن أبي اسحق<sup>(٤)</sup>. فقد كان كما يقول ابن سلام  
«يدخل الكلام، وكان ذلك يعجب أصحاب النحو»<sup>(٥)</sup>. وربما كان السبب في  
إعجاب النحاة بشعر الفرزدق أنهم وجدوا فيه مجالا يمتحنون فيه قواعدهم التي  
استقروا عليها، ويديرون فيه أصولهم التي انتهوا إليها<sup>(٦)</sup>، خطأ عن نسبة الفرزدق  
ولحنه<sup>(٧)</sup> فبهجاه الفرزدق بقوله:

لقد كان في معدان والفيل شاغل لعنيسة الراوى على القصائد<sup>(٨)</sup>  
كما خطأ عبد الله بن أبي اسحق في قوله من قصيدة يمدح بها يزيد بن عبد الملك:  
مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منثور  
على عماثنا يلقي رواحلتنا زواحف تزجي مخها رير  
بقوله: أسأت، هو مخها رير، وكذلك قياس النحو في هذا الموضع<sup>(٩)</sup>

(١) طبقات النحويين للزبيدي : ٤٦

(٢) راجع سيدييه امام النحاة ٥١ في تحليل هذه العداوة .

(٣) طبقات الزبيدي : ٣٥ (٤) الخصائص : ٣٧٤/١

(٥) طبقات خول الشعراء : ٣٠٨ (٦) في تاريخ النقد للحاجري : ١١٨

(٧) أمالي السيد المرتضى : ٢٦/٢

(٨) نزعة الالباء ٨ وطبقات الزبيدي ٢٤ ورواية البيت في أمالي المرتضى ٢٧/٢ لقد  
كان في معدان والفيل زاجر .

(٩) طبقات الزبيدي ٢٦

ولما سمع الفرزدق يئس :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحاً أو مجلف  
قال ابن أبي اسحق ، على أى شيء ترفع أو مجلف ، قال : على ما يسوءك وينوءك<sup>(١)</sup> ،  
وهكذا تتخرج العلائق بين الفرزدق الشاعر ، وابن أبي اسحق النحوى على ما تصوره  
هذه الاجابة ، وما يشير إليه قول الفرزدق يهجو ابن أبي اسحق :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا<sup>(٢)</sup>

فيقول ابن أبي اسحق : « وقد لحنت أيضاً فى قولك : موالى موالياً ، وكان ينبغى  
أن تقول مولى موال<sup>(٣)</sup> . ويقول الدكتور الحاجرى تعليقاً على ذلك ، ولم يلتفت  
ابن اسحق إلى شيء من هذا الهجاء ، كأنما هو لا يعييه ، وإنما همه من هذا الشعر  
هذا المأخذ النحوى الجديد يهاجمه به ، وبشهره عليه ، إذ كان ينبغى أن  
يقول : مولى موال لا مولى مواليا<sup>(٤)</sup> .

وأنا أخالف الدكتور الحاجرى فيما قرره من أن ابن أبي اسحق لم يلتفت إلى  
هذا الهجاء ، بل لقد التفت إليه ، ورد عليه ، بأوجع من الهجاء ، وصوب إليه سهام  
التخطئة ، ورماء باللحن الذى كانوا يتخرجون منه أشد الحرج ، ويودون أن  
لو جرت ألسنتهم بالعربية الخالية منه ، وقد خضع الفرزدق نفسه للنحاة فأصلح  
من شعره على الوجه الذى ارتضوه وإن يكن ذلك بعد إلحاح تارة مثل عدوله فى  
مدحه ليزيد إلى قوله : « على زواحف بزجيتها محاسير<sup>(٥)</sup> » ، أو التماس لهذا الإصلاح  
فى غيظ تارة أخرى كما رأوا أن الفرزدق لما أخذ عليه بيت فى شعره قال « أين هذا  
الذى يجر خصييه فى هذا المسجد ؟ » يعنى ابن أبي اسحق<sup>(٦)</sup> . ومهما يكن من أمر  
خضوع الفرزدق دليل على سلطان النحو والنحاة وتحكمهم فى الشعر والشعراء من  
هذه الفترة فى تاريخ العربية<sup>(٧)</sup> .

وقد بقيت أثاره من سلطان النحاة على الشعراء فى العصر العباسى ، فالخليل يعد  
الشعراء تبعاً إن رضى عنهم نفقت بضاعتهم وإلا حل بها وبهم البوار : أورد

(١) نزعة الالباء ١٣

(٢) نزعة الالباء ١٢

(٣) الفهرست ٦٢

(٤) فى تاريخ النقد : ١٢٠

(٥) أخبار النحويين البصريين ٢٧ وطبقات الزيدى ٢٦

(٦) طبقات الزيدى : ٢٧

(٧) راجع تاريخ النقد الادبى لطفه الحاجرى : ١١٨-١٢١

أبو الفرج في الأغاني قال : د دار بين الخليل بن أحمد ، ومحمد بن منذر الشاعر البصري كلام ، فقال له الخليل . إنما أتم معشر الشعراء تبع لي ، وأنا سكان السفينة ، إن قرظتكم ورضيت قولكم نفقتم ، وإلا كسدتكم <sup>(١)</sup> .

ويونس بن جبيب (١٨٣هـ) يؤخذ رأيه في الشعراء اعتداداً به وتسليماً فيقول : « لا أومىء إلى رجل بعينه ، ثم يقول عبارته المشهورة : « امرؤ القيس إذا ركب ، والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والاعشى إذا طرب » <sup>(٢)</sup> .

واتخذت رقابة النحاة في العصر العباسي مظهراً جديداً هو إصدار أحكامهم على الشعراء المعاصرين لهم ، يحتج بشعرهم فنسلم لهم عربيتهم وتدون في الكتب أشعارهم ، وتجري على ألسنة أهل العلم آثارهم ، أم لا يحتج فتسقط مكاتبتهم ويتعرض النحاة بذلك إلى قوارص هجو الشعراء ، ولادع تعرضهم . روى أبو الفرج عن شيوخه قال : « كان الأخفش طعن على بشار في قوله :  
فالآن أقصر عن سمية باطلي وأشار بالوجل على مشير  
وفي قوله :

على الغزلى منى السلام فظالمًا      لهوت بها في ظل مخضرة الزهر  
وفي قوله في صفة سفينة :

تلاعب نينان البحور وربما      رأيت نفوس القوم من جريها تجري  
وقال : لم يسمع من الوجلى ، والغزل فعلى ، ولم أسمع بنون ونينان ، فبلغ ذلك بشاراً فقال : « ويلي على القصارين : متى كانت الفصاحة في بيوت القصارين ؟! دعوني وإياه » فبلغ ذلك الأخفش ، فبكى وجزع ، فقيل له : ما يبكيك ؟ ، فقال : « ومالى لا أبكى وقد وقعت في لسان بشار الاعشى ، فذهب أصحابه إلى بشار واستوهبوا منه عرضه ، وسألوه ألا يهجوهم ، فقال : وهبته للؤم عرضه ! » فكان الأخفش بعد ذلك يحتج بشعره ليبلغه فكف بشار عن ذكره بعد هذا .

وفي رواية أخرى أن سيبويه هو الذى عاب هذه الأحرف <sup>(٣)</sup> ، وقد تعرض سيبويه من أجل ذلك لهجاء بشار ، ووقع في لسانه ، فتوقاه سيبويه بعد ذلك ، وكان

(١) الأغاني : ١٦/١٧ ط ساسى

(٢) معاهد التنصيص : ٦٩/١ ، مواسم الادب : ٢١٣/١

(٣) رسالة التفران : ٣٦٤

إذا سئل عن شيء أجاب عنه ، ووجد له شاهداً من شعر بشار احتج به استكفافاً لشعره<sup>(١)</sup> .

وأرى أن القصة سواء أكانت للأخفش أم سيبويه تدل على مكانة النحاة فلهم — وإن عدموا ألسنة الشعراء ، وما يجرى عليها من الهجاء — سلطة يرفعون بها أهل القريض ، فيحتجون بما يقولون ، وينزلون بهم فلا يحتجون ، وقد ظلت هذه النزعة حتى أبا على الفارسي إذ ورد أنه كان يحتج بشعر لابي تمام<sup>(٢)</sup> .

ومن الإنصاف للنحاة أن أذكر أنهم ما كانوا يصدرن في أحكامهم على شعر الشعراء من حيث الاحتجاج به ، أو الإغضاء عنه — عن هوى في نفوسهم ، أو خوفاً من غضب الشعراء ، وإتقاء لمرة ألسنتهم ، كما تقولوا على سيبويه أنه استشهد بشعر بشار من أجل ذلك . وأنه استشهد في باب الإدغام بقوله : « وما كل مؤت نصحه بليب<sup>(٣)</sup> » ، وأنه نلافاه واستشهد بشعره ، ويرد هذا القول الأستاذ على النجدي في كتابه سيبويه<sup>(٤)</sup> ، بحملة من الأدلة فالبيت غير منسوب ، ولن تهدأ نفس بشار إلا إذا ذكر اسمه في الاستشهاد أولاً ، ثم إن يقصد سيبويه اغفال اسم بشار ، إذ لا معنى لهذا ما دام قد قبل الاحتجاج بشعره ثانياً ، وقد راجع الأستاذ باثبات بشار في ديوانه فلم يعثر على هذا البيت فيها ثالثاً ، على أن أبا العلاء المعري ، وهو رجل صادق النظرة ، عادل الحكومة رد ذلك القول بقوله : « ويجوز أن يكون استشاده به على نحو ما يذكره المتذكرون في المجالس وجماع القوم » ، وأن هذا الشاهد في « باب الإدغام » من الكتاب لم يسم قائله ، وأنه منسوب إلى أبي الأسود الدؤلي في زعم ناس آخرين<sup>(٥)</sup> فهو من أجل ذلك كما يقول الأستاذ النجدي : « ليس خالصاً لبشار<sup>(٦)</sup> » ، وفي ذلك ما ينصف سيبويه ، وينفى قول المتقولين عليه خاصة وعلى غيره من النحاة المتقدمين على وجه العموم

\* \* \*

(١) الاغانى : ٥٢/٣ ط ساسى

(٢) انظر شذرات الذهب : ٨٩/٣ ، ومجلة المجمع : ١٠٠/٦ وسأناقش ذلك بعد

(٣) رسالة الغفران : ٣٦٥ (٤) انظر ١٤٨

(٥) رسالة الغفران : ٣٦٥ (٦) سيبويه امام النحاة : ١٤٨

وقد كان للمعصب المذهبي في العصر الاموي أثر في النشاط النحوي ، فابن أبي اسحق وعيسى بن عمر يطعنان على العرب <sup>(١)</sup> ، وربما كان تتبع ابن أبي اسحق للفرزدق يرجع — فيما يرجع — إلى هذه النزعة ، وكان أبو عمرو بن العلاء أشد الناس تسليماً للعرب <sup>(٢)</sup> ، فوقف من شعرائهم موقفاً يقوم على تجويز ما ذهبوا إليه ، وتوجيه ما قالوه بما يتفق أيضاً وأساليب العربية ، ولما اعترض ابن أبي اسحق على الفرزدق في رفع مجلف من قوله :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا أو مجلف  
قال أبو عمرو للفرزدق : أصبت ، وهو جائز على المعنى أى أنه لم يبق سواه <sup>(٣)</sup> .  
ومن أجل ذلك اكتوى ابن أبي اسحق من الفرزدق بنار الهجاء ، كما نضد الفرزدق لأبي عمرو عقود الثناء ، ففيه يقول :  
ما زلت أفتح أبواباً ، وأغلقها حتى أتيت أبا عمرو بن عمار <sup>(٤)</sup>

\* \* \*

ولإذا انتهيت إلى ذلك يحمل بي أن أخص المعالم الكبرى للنشاط النحوي ، منذ نشأ النحو حتى أبي على الفارسي ، وتلخص هذه المعالم فيما يأتي :

- (١) نشاط النحويين في توقي اللحن القرآني .
- (٢) توجيههم الإعرابي للقراءات الصحيحة .
- (٣) تأليفهم وتطور إنتاجهم منذ أبي الأسود حتى سيبويه .
- (٤) حلقاتهم المعقودة للدرس منذ سعد الراية حتى عصور العربية الزاهية .
- (٥) اختصار كتب الأقدمين وبخاصة كتاب سيبويه .
- (٦) كتابتهم في أصول النحو .
- (٧) مناظراتهم ومجالسهم .
- (٨) نشاطهم في النقد الأدبي ، وتقويم مكاتبتهم في ذلك المجال .

ويتسلم أبو على الفارسي هذا التراث الضخم بمظاهر النشاط المختلفة فيه ثم يكون له مشاركة تمضي بهذا النشاط قدما كما يأتي البيان .

---

(١) طبقات الزبيدي : ٢٦ (٢) نزهة الالباء : ١٢  
(٣) نزهة الالباء : ١٣ واظفر تاريخ النقد الادبي لطه إبراهيم : ٥١  
(٤) طبقات الزبيدي : ٢٨

## الفصل الثاني

### عرض لـكتب أبي علي في النحو

انتهيت في الحديث عن آثار أبي علي وإحصائها إلى ترتيب كتبه ، وجاء ذلك الترتيب على النحو الآتي :

المسائل المشكلة والبغداديات فالإغفال فالعسكريات فالبصريات فالجلييات فالإيضاح والتكملة فالشيرازيات فالشعر فأقسام الأخبار فالمنشورة .

ورأيت بروكلمان ينفرد بذكره جواهر النحو ، مؤلفاً من مؤلفات أبي علي وأشار إلى أنه في مكتبة مشهد ، فسميت إلى الحصول على ذلك الكتاب وأعاني الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات — بجامعة الدول العربية — وتفضل مشكوراً فأرسل إلى مدير مكتبة مشهد كتاباً برقم ٨١ بتاريخ ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٥٥ . . . ولم يتلق معهد المخطوطات رداً بالنفي أو الإيجاب حتى اعداد هذه الرسالة للطبع . . .

وعلى الرغم من أني أعفيت نفسي من التقصير في سبيل التعرف على ذلك الكتاب ، — فلا زلت أحس رغبة تدعوني في الحاح إلى الظفر به ، والاطلاع عليه ، وتحقيق ما قال بروكلمان . وإن كنت أشك كثيراً في نسبة ذلك الكتاب إلى أبي علي ، ذلك لأن اجماع الوراقين والمترجمين منذ ابن النديم حتى بروكلمان — يعين على هذا الظن إلى أني وجدت كتب النحاة ما اطلعت عليه منها — لاتردفها إشارة إلى ذلك الكتاب بالنقل منه أو الاستعانة به ، والرجوع إليه . . . وسيظل الشك عندي حتى يبدو ما يحققه أو ينفيه . . .

وآخذ في عرض كتب أبي علي النحوية بترتيبها الذي إليه انتهيت . . .

## المشكلة والبغداديات

في الأمانة العامة للجامعة العربية (معهد المخطوطات) نسخة من المسائل  
المشكلة مصورة على فلم رقم ٨٦٠ وعنونت بما يأتي :  
« المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات »<sup>(١)</sup> . . .

وعاد ناسخها أحمد بن تميم بن هشام اللبلي فقرر ذلك في آخر هذه النسخة حيث  
قال ما نصه : « آخر المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات »<sup>(٢)</sup> .

ومعنى ذلك أن المسائل المشكلة هي البغداديات ، ولكن التحقيق والمقابلة بين  
بين النصوص تهدي إلى غير ذلك : يهدي إلى أن المسائل المشكلة شيء والبغداديات  
شيء آخر ، وأن كلا منهما مستقلة عن الأخرى ، وفيما يلي النصوص الكاشفة عن  
هذه الحقيقة :

(١) قال أبو علي في الإغفال : « أما الاورية للآتي من الوعول فقد شرحناه  
في المسائل المشكلة »<sup>(٣)</sup> ، وقد وردت المسألة في النسخة المذكورة<sup>(٤)</sup> .

(ب) وقال في الإغفال أيضاً : « وأما قولهم حيوة (كذا) وحيوان فالواو  
عندنا منقلبة عن الياء ، وقد ذكرنا ذاك مشروحا في المسائل المشكلة »<sup>(٥)</sup> ، وذكره  
حقاً في المسائل المشكلة<sup>(٦)</sup> .

ومعنى هذه النصوص أن المسائل المشكلة سابقة على الإغفال  
ورأيت أبا علي وهو بصدد تقرير قاعدة نحوية والاستشاد عليها يقول في هذه  
النسخة المعنونة بما سبق : « هذا في أبيات كثيرة تركناها هنا مع استقصاء الحجة في  
ذلك لذكرنا له مستقصى في مسائل اصلاح الإغفال »<sup>(٧)</sup> .

ومعنى ذلك أن الإغفال سابق على البغداديات  
فلو كانت البغداديات هي المشكلة فكيف تكون مسبقة بالإغفال وسابقة  
عليها في آن واحد ؟ ! فالبغداديات قطعاً غير المشكلة ، وإذن يكون ترتيب الكتب  
الثلاثة في الظهور على النحو الآتي : المشكلة أولاً ثم الإغفال ثم البغداديات .

(٢) انظر لوحة ٥٣

(٤) انظر لوحة رقم ٧

(٦) انظر لوحة ١٨

(١) انظر لوحة رقم ١

(٣) الإغفال ٥٧

(٥) الإغفال ٢٢٥

(٧) البغداديات لوحة رقم ٢٧

هذا ما يستنتج من النصوص السابقة وهو ما أطمئن اليه ، ولكن بجانب هذه النصوص نصوصاً أخرى تشير إلى أن النسخة المصورة بالأمانة العامة للجامعة العربية ضمت المشكلة إلى البغداديات ، وذلك يعتذر اعتذاراً ما عن ذلك العنوان الموحد بينهما ، ومن هذه النصوص :

(١) ما جاء في الخصائص لابن جنى حيث أورد طرفاً من الضرورات وغيرها ووحشياً وعجيباً : ما أنشده أبو زيد من قول الشاعر :

هل تعرف الدار ببدا إنه دار لحدود قد تعفت إنه

الآيات . . . ثم قال : وهذه الآيات قد شرحها أبو علي ( رحمه الله ) في البغداديات فلا وجه لاعادة ذلك هنا ، فإذا آثرت معرفة ما فيها فالتمس منها <sup>(١)</sup> .

وقد التمس ذلك من نسخة الأمانة العامة فوجدته <sup>(٢)</sup>

( ب ) ما أشار إليه البغدادى في خزانته حيث أورد كلاماً مأخوذاً من كلام أبي علي في المسائل البغداديات <sup>(٣)</sup> .

وقد قابلت بين ما ورد في الخزانة وما جاء في المسائل المشكلة فوجدت أن لا خلاف <sup>(٤)</sup> .

ولا يوفق بين هذه النصوص جميعاً إلا القول بأن المسائل المشكلة محتلفة بالبغداديات في نسخة الأمانة العامة للجامعة العربية ، وقد حاولت فصل كل منهما عن الأخرى فلم يستقم لى ذلك لعدم تتابع اللوحات في كل ملك اتخذته أساساً للتفريق بين هذه وتلك ، ولأن طابع أبي علي يكاد يكون واحداً فيهما ، وهذا ما يدعوني إلى أن أتحدث عنهما معاً غير مفرق بينهما .

ويبدو أن عدم الفصل بين المشكلة والبغداديات قال به بعض المترجمين ، فالفقطنى <sup>(٥)</sup> ، وابن خلكان <sup>(٦)</sup> ، والسيوطى <sup>(٧)</sup> ، وابن العماد الحنبلى <sup>(٨)</sup> ، وحاجى خليفة <sup>(٩)</sup>

(١) الخصائص ٣٣٦/١ (٢) انظر لوحة ٣٦

(٣) انظر الخزانة ٢٢٥-٢٢٦

(٤) انظر اللوحتين رقم ٩٢٨ من المشكلة (٥) انظر لإنهاء الرواة ٢٧٤/١

(٦) وفيات الأعيان ٣٦٣/١ (٧) انظر بنية الوعاة ٢١٧

(٨) انظر الشذرات ٨٩/٣ (٩) انظر كشف الظنون ٤٢٤/٢



وبروكلان<sup>(١)</sup>. كل أولئك اقتصروا على ذكر أحدهما واستغنوا بذلك عن ذكر الأخرى فجميعهم ما عدا بروكلان ذكر عند احصاء كتب أبي على البغداديات ولم يذكر المشكلة ، أما بروكلان فقد ذكر المشكلة ولم يذكر البغداديات

ولكن ياقوتاً تنبه إلى خطأ التوحيد بين المشكلة والبغداديات بدليل أنه عندما أحصى كتب أبي على ذكر المسائل البغدادية ثم عاد فذكر المسائل المشكلة<sup>(٢)</sup> ، ففرق بذلك بينهما ويبدو أن السيد مخرج إنباه الرواة نقل عن ياقوت حاشية في احصاء كتب أبي على<sup>(٣)</sup> مع أن القفطى كما سبق لم يفرق بينهما .

وبعد فقد جعل أبو على البغداديات والمشكلة فيما يقرب من ثمانين مسألة ( الطابع العام فيها أنها مشكلة ) . ذكر منها لسيبويه نحواً من ثلاثين مسألة - على غير ترتيب - ونص في صدر كل منها أنه معتمد فيها على الكتاب بقوله مثلاً - مسألة من الكتاب<sup>(٤)</sup> أو ينقل قولاً لسيبويه ويسنده إليه بقوله : ذكر سيبويه مثلاً<sup>(٥)</sup> .

وفي هذه المسائل التي يوردها لسيبويه ينقل قول إمام النحاة ، ويسطره ، ويعلق عليه ، ويورد آراء الأئمة القدامى ممن سبقوا سيبويه أو لحقوه ، ثم يرتضى رأياً ويدلل عليه .

ثم هناك ما يقرب من ثلاثين مسألة أخرى ليست من الكتاب ، بعضها سئل عنها<sup>(٦)</sup> وبعضها ذكر فيه آيات قرآنية أعرب لفظاً مشكلاً فيها<sup>(٧)</sup> أو بيتاً من الشعر أفشده ثم يتعرض لإعرابه<sup>(٨)</sup> وبعضها تحدث فيها من كلمات صرفية وزنها<sup>(٩)</sup> ، واحتج لوزنها الذي رآه وذكر هنا وهناك أصولاً تمت إلى الصنعة الإعرابية<sup>(١٠)</sup> ، وآرائه النحوية<sup>(١١)</sup> .

ثم كانت هناك على قلة - مسائل تدور حول أقوال لابي بكر بن السراج<sup>(١٢)</sup> ، وأبي إسحق الزجاج<sup>(١٣)</sup> أو أبي العباس المبرد<sup>(١٤)</sup> أو الفراء<sup>(١٥)</sup> ، وبعضها يدور حول أبيات أنشدها أبو زيد الأنصاري<sup>(١٦)</sup> وشرحها أبو على ، وعلق عليها وبين المشكل فيها .

(١) انظر تاريخ الأدب العربي ١/١١٣ ، ١١٤ الطبعة القديمة والملحق المجلد الأول

١٧٦/١٧٥ (٢) انظر معجم الادباء ٧/٢٤٠-٢٤١ (٣) إنباه الرواة ١/١٧٤

(٤) انظر مثلاً لوحة رقم ١٠ (٥) انظر مثلاً لوحة ١٤ ، ١٧ ، ١٨

(٦) لوحة ٦ ، ١٩ (٧) لوحة ١٦ ، ٤٩ ، ٥١

(٨) لوحة ٣٨ (٩) ٣٥ ، ٥١ (١٠) لوحة ٤٧ ، ٤٩

(١١) لوحة ٤٨ (١٢) لوحة ٥١ (١٣) لوحة ٥٠ (١٤) لوحة ٣٣

(١٥) لوحة ١٦ (١٦) لوحة ٣٧ ، ٣٨

وتتلخص المسائل المشكلة أصولها وعددها في الجدول الآتي :

مصدر المسألة	العدد	ملاحظات
سيبويه	٣٣	على غير ترتيب ، وقد ورد منها أولانحو سبع عشرة مسألة في موالاته ثم فرق الباقي في غضون المسائل الأخرى .
أبو زيد	٦	
أبو بكر	٤	
أبو الحسن	٣	على غير ترتيب
القراء	٢	
المبرد	٢	
أبو إسحق	٢	
أبو علي	٣١	

وفي خلال هذه المسائل ترد أقوال لسيبويه أو غيره من القراء والنحاة كأبي عمرو ،<sup>(١)</sup> والخليل ،<sup>(٢)</sup> وأبي عثمان المازني ،<sup>(٣)</sup> والكسائي<sup>(٤)</sup> ، فيعرض لهذه الأقوال ، وينقدّها ، ويعلق عليها ، ويثبتها مرتضياً أو لا يرتضيها فينفيا .

وهناك عبارات تدل على أن أبا علي أملى هذه المسائل — أو على الأقل ما يشير فيه إلى ذلك ، فقد جاء في المسألة<sup>(٥)</sup> قوله ذكر سيبويه الأفعال الماضية والمستقبلية المختصة بالأمر دون المضارعة ، وجواز الادغام فيها اجتماع في أوله مثلاًن أو متقاربان اجتلاب همزة الوصل لسكون الأوائل للادغام . . . الخ ثم قال : فأملت في ذلك وقد وردت هذه العبارة في مسألة أخرى<sup>(٦)</sup> .

وكل من المشكلة والبغداديات لا تخضع في ترتيبها لنظام معين — إذا استثنيت ذلك الباب الذي عقده أبو علي « لبيان وجوه ما<sup>(٧)</sup> » ، فقد تحدث عن استعمالها ووجوه تصرفها ، تحدث عنها اسماً ، وتحدث عنها حرفاً ، وذكر أقسامها ، وأفاض الحديث في كل قسم ، وألحق بها مسائل جعل عنوانها « مسائل من هذه الفصول » تحدث عن :

(١) كيفاً فيما رواه أبو بكر عن ابن الجهم عن القراء .

(١) لوحة ١ (٢) لوحة ٤٠، ٥٠ (٣) لوحة ١٧ (٤) لوحة ١٩  
(٥) لوحة ١٤ (٦) انظر لوحة ٣١ (٧) لوحة رقم ١٩

من طالبين لبعران لهم شردت كيما يحسون من بعراهم خبراً<sup>(١)</sup>  
 (ب) و (ما) في قول سيبويه في الكتاب : هذا باب علم ما الكلم في العربية<sup>(٢)</sup>  
 (ح) وعن إجرأهم ذا مع ما بمنزلة الذي<sup>(٣)</sup>  
 (و) وقراءة من قرأ د وإن كل نفس لما جميع لدينا محضرون<sup>(٤)</sup> . . د وإن  
 كل نفس لما عليها حافظ .

وهذه مسائل مرتبط بعضها ببعض ، يتصل كل منها بحديثه عن (ما) .  
 وقد أنشد لأبي زيد أبياتاً أوردتها في مسائل خمسة<sup>(٥)</sup> متتابعة في الأربع الأخيرة  
 منها ، وتنفصل الثانية منها عن الأولى بمسألتين .  
في إحداهما :

يتحدث عن وجه الإعراب في البيت :

أم كيف ينفع ما يعطى العلوق به رثمان أنف إذا ما ضن بالبن<sup>(٦)</sup>  
 وفي الأخرى يتحدث عن إعراب د ملعونين ، في قوله تعالى : د والمرجفون في  
 المدينة لتغريبك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ملعونين<sup>(٧)</sup> ،  
 ثم تتعاقب بعد ذلك المسائل في اختلاط بعضها لسبويه ، وبعضها ما أثاره هو ،  
 وبعضها لأبي إسحق أو لأبي بكر .

وقد يتحدث عن المسألة تفاريق ، يتعرض لها بالشرح في موضع ، ثم يعود  
 إليها بعد ذلك في موضع آخر : عقد مسألة عن قولهم واحد وهل هو اسم أو صفة<sup>(٨)</sup>  
 ثم عاد إلى ذلك بعد مسائل<sup>(٩)</sup>

وفما عدا هذه المسائل التي يظهر فيها الترابط — لا تجد رابطاً يربط المسألة  
 بسابقتها أو لاحقتها ، فمثلاً :

لارابط بين المسألة التي يقول فيها : د قال سيبويه زعموا أن أبا عمرو قرأ  
 يا صالح يتنا جمل الهمزة ياء<sup>(١٠)</sup> ولاحقتها : د اعلم أن بعض الكلم أقل من  
 بعض<sup>(١١)</sup> .

(١) لوحة رقم ٣٠ (٢) لوحة رقم ٣١ (٣) لوحة رقم ٣٢ (٤) لوحة رقم ٣٣

(٥) اللوحات ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ (٦) لوحة ٣٦

(٧) سورة الأحزاب آية ٦٠ ، ٦١

(٨) لوحة رقم ٤٤ (٩) لوحة رقم ٥٠ (١٠) لوحة رقم ٣

(١١) لوحة رقم ٤

أو بن : ذكر سيويه وجوه أن الحقيقة<sup>(١)</sup> وساقبتها : قالت العرب ، أكرم يزيد<sup>(٢)</sup> ولاحتها ، اختلف أهل العربية في تأويل قول الله ( عز وجل ) لا يلاف قريش<sup>(٣)</sup>

وإذا كانت المسائل لا تختص في ترتيبها لنظام معين على النحو الذي قدمت ، فإن هناك ملاكا عاما ينظمها ، ويجمع بينها ذلك ما سمى به هذه المسائل من أنها مسائل مشكلة فالاشكال في كل مسألة ، حتى أنه ذكر ذلك صريحا بعد الفصل الذي عقده لما حيث يقول :

وهذه مسألة مشكلة<sup>(٤)</sup> .

والذي أخذ نفسه به أنه جوز ما جوز من الآراء ، وأحال ما أحال ، ودلل في كل ذلك على ما قال :

وليست للبغداديات والمشكلة مقدمة أستطيع منها أن أتبين هذا الملاك العام ، ولكنني وجدت خلال قراءتي لهذه المسائل ما يفهم منه الملاك الذي بنيت عليه . قال : وقد خرج أبو العباس ومن قبله من النحويين لقول سيويه : هذا باب علم ما الحكم في العربية وجوها أرادوا بها درجة المتعلم في الاستخراج ، وتحصيل الشيء وجوهه التي يحتملها وليس من حكم كتابنا هذا أن يذكر فيه مثل ذلك إلا أن بعض من يتعاطى العربية حكى لي بعض المتعلمين عنه في ذلك تجويز وجوه لاجواز لها ، ومنع مالا يمتنع من الجواز فأملت عليه ما هو مثبت هنا وهو الذي عليه وضع الكتاب<sup>(٥)</sup> .

وهذه العبارة تلتقي ضوءا على بعض ما ينظر إليه في البغداديات ، وإن كانت لا تحصر كل ماله فيها من اتجاهات ، ففهوم العبارة : الإدلاء بالرأى فيما يجوزه غيره ، ويراه ممتنعا ، أو يمنعه ويراه جائزا ، وذلك الاتجاه فيه توضيح للإشكال الذي التزمه في إيراد المسائل على كل حال .

وأبو علي في هذه المسائل واضح الشخصية يورد المسألة عن سيويه مثلا ، ويقرها ويبسطها ، ويذكر رأى السابقين فيها ، ويقف هو مفندا أو مؤيدا ، مبرهنا على الرأى الذي ارتضاه في حالى تفنيده أو تعضيده يسوق الشواهد ، ويناقش مناقشة قائمة على الحجة ، متكنة على أصول العربية :

(١) لوحة رقم ١٢ (٢) المصدر السابق (٣) لوحة رقم ١٣

(٤) لوحة رقم ٣٣ (٥) لوحة رقم ٣١

فند آراء للخليل<sup>(١)</sup> والمبرد مصرحاً به<sup>(٢)</sup> أو مشيراً إليه<sup>(٣)</sup> — كما فند آراء  
لفراء<sup>(٤)</sup> وأبي عثمان المازني وقد يكتفى في تفنيده باللمحة الدالة<sup>(٥)</sup> وقد يصرح  
تصريحاً عنيفاً<sup>(٦)</sup> . كما تعرض لأبي بكر مفنداً<sup>(٧)</sup> ولأبي اسحق كذلك<sup>(٨)</sup> .  
وعاضد سيبويه وأثنى عليه : يبسط قوله<sup>(٩)</sup> ويفهم إشاراته<sup>(١٠)</sup> ، وما يشير  
إلى أكبابه على<sup>(١١)</sup> الكتاب ويعرف سننه فيه<sup>(١٢)</sup> ويقابل ما أنشد<sup>(١٣)</sup> ،  
والبغداديات في مجموعها قائمة على كتاب سيبويه .  
كما أثنى على الخليل<sup>(١٤)</sup> والمبرد<sup>(١٥)</sup> وأبي بكر<sup>(١٦)</sup> وأبي اسحق<sup>(١٧)</sup>  
وأبي الحسن<sup>(١٨)</sup> .

ومن هنا نراه شديد الاعتداد بسيبويه ، ويتلوه من الشيوخ في التوثيق  
أبو الحسن ، فهو يقره ، وإن رأى غير الذي يراه أبو الحسن لا يهجمه ، بل غاية  
ما يكون منه أن يقول مثلاً : ولا أدري ما صحة هذا<sup>(١٩)</sup> ٩١  
وهو أحياناً يصرح بأسماء الشيوخ — وتلك السمة الغالبة عنده كما رأينا —  
وحيناً يشير من غير تصريح كأن يقول مثلاً :

وقد كان الشيوخ من أهل اللغة<sup>(٢٠)</sup> . . أو يقول : وقد كان أحد شيوخنا  
ينكر الأضداد<sup>(٢١)</sup> . أو يقول : قال أحد أهل النظر<sup>(٢٢)</sup> وفي البغداديات ما يدل  
على اطلاع أبي علي على كتب الشيوخ الذين سبقوه<sup>(٢٣)</sup> .  
وله بعد ذلك أوليات وآراء ابتكرها ابتكاراً يذكرها في تواضع أحياناً<sup>(٢٤)</sup>  
أو ينشرها في شيء أشبه بالفخر حيناً كأن يقول : وقد رأينا نحن في ذاك<sup>(٢٥)</sup> قولاً  
لم أعلم أحداً تقدمنا فيه<sup>(٢٦)</sup> ...

- 
- (١) لوحة ٤ (٢) لوحة ٠٢ ، ٣٦  
(٣) لوحة ١٥ وانظر المص ٨٨/٢ (٤) لوحات ١٧ ، ١٨ ، ٣٠ ، ١٦ ، ٢٣  
(٥) لوحة ١٨ (٦) لوحة ٣ (٧) لوحة ٤٧ (٨) لوحة ١٨  
(٩) لوحة ١٤ (١٠) لوحة ٣٣ (١١) لوحة ١٠ ، ٥٠ (١٢) لوحة ٤٣  
(١٣) لوحة ١٥ (١٤) لوحة ٢٨ ، ٥٠ (١٥) لوحة ٢٣ (١٦) لوحة ٥١ ، ٣٠  
(١٧) لوحة ٤٧ (١٨) لوحة ١٩ ، ٣٤  
(١٩) لوحة ١٩ (٢٠) لوحة ٤ (٢١) لوحة ٤٦ (٢٢) لوحة ٥١  
(٢٣) انظر اللوحات ٣٦ ، ١٩ ، ٤٦ ، ١٨ (٢٤) لوحة ١١ ، ٣٠  
(٢٥) يشير إلى لما في قوله تعالى : « وان كل لما جيم لدينا محضرون »  
(٢٦) لوحة رقم ٣٣

واصطلاحات أبي علي في البغداديات بصرية إلا إذا رد على خصومه الكوفيين فإنه عند ذلك يستعمل الاصطلاحات الكوفية كاستعماله لفظ مردود<sup>(١)</sup> والقطع<sup>(٢)</sup> وفي البغداديات نظرات بلاغية : كوقوع الأمر موقع الخبر<sup>(٣)</sup> وما يؤول إليه عاقبة الأمر<sup>(٤)</sup>.

كما نرى في البغداديات أصولاً لغوية ونحوية وإعرابية :

- (أ) فالمظهرات إذا أقيمت مقام الفاعل لزم الكناية عنها وإضمارها<sup>(٥)</sup>  
 (ب) وما صلح أن يكون فاعلاً من الأسماء صلح أن يكون مبتدأ ، وقد يكون مبتدأ ما لا يكون فاعلاً نحوكم ومذ<sup>(٦)</sup>  
 (ج) واختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو الوجه والقياس الذي يجب أن يكون عليه الألفاظ<sup>(٧)</sup> .  
 (د) والأسماء أوائل للأفعال<sup>(٨)</sup> . وما في الصلة لا يتقدم على الموصول<sup>(٩)</sup> .  
 (و) ولا يجوز عطف الظاهر المجرور على المضمحل المجرور<sup>(١٠)</sup> .  
 (ز) وإذا وجد السبيل إلى ترك الكلام على وجهه ونظمه كان أولى من تأويل غير ذلك<sup>(١١)</sup> .

- (ح) وما كان مبنيًا مع غيره على الفتح لا يرتفع<sup>(١٢)</sup> .  
 (ط) والمثلان المتقاربان إذا اجتمعا خفف بأحد ثلاثة أشياء : بالادغام ، أو الإبدال ، أو الحذف<sup>(١٣)</sup> .  
 (ي) المضاف إليه لا يعمل في المضاف ولا فيها قبله<sup>(١٤)</sup> .

وفي تضاعف البغداديات والمشكلة تدليل على ما يرى أبو علي في المسائل النحوية التي يتخالف فيها مع الكوفيين ، وهي من أجل ذلك تعد بذرة لكتاب الانصاف لابن الأنباري في مسائل الخلاف<sup>(١٥)</sup>

هذا وقد استعان البغدادي في خزانته بالبغداديات ، فاستشهد بقدر صالح من كلام أبي علي وكان ذلك في كثرة ظاهرة في الجزء الرابع ، يلعب على الترتيب الجزآن الثالث والثاني ، وكان ما جاء في الجزء الأول من الاستعانة بالبغداديات قليلاً حيث ورد في مواضع ثلاث<sup>(١٦)</sup>

(١) لوحة ١٨	(٢) لوحة ٣٦	(٣) لوحة ١١
(٤) لوحة ١٣	(٥) لوحة ٤٦	(٦) المصدر السابق
(٨) لوحة ٤٧	(٩) لوحة ٤٨	(١٠) لوحة ٤٩
(١١) لوحة ٥٠	(١٢) ١٩	(١٣) ١٧
(١٤) المصدر السابق	(١٥) المصدر السابق	(١٦) انظر اقليد الخزانة ص ١٠١

هذا والمصورة التي أملكها منقولة عن فيلم محفوظ بمعهد إحياء المخطوطات العربية بالأمانة العامة للجامعة العربية ، ورقم هذا الفيلم ٨٦٠ وقد صوره المعهد من مكتبة شهيد على بالآستانة ورقم المخطوط فيها ٢٥١٦ / ١ ، وتاريخ النسخ سنة ٦٧٧ بخط مغربي ، كتبه أحمد بن تميم بن هشام بن أحمد الليلى ، وعدد أوراق البغداديات إحدى وخمسون ورقة بها خرم الورقة الثانية والأربعين .

وفي ظاهر النسخة في اللوحة الأولى التي اعتمدت عليها تلميحات هذا نصها :  
« من نعم الله على عبده الضعيف أحمد بن محمد الغنيمي الخزرجي الأنصاري بطريق الشراء الصحيح من الشيخ الفاضل أبو السعود الشهاوى لطف الله بنا وبه والمسلمين أجمعين .

وتحت هذا التلميح : « تم من الله بفضله به على العبد الفقير بشر بن زين الدين العليمى الشامى لطف الله به ، وفي يمين هذا الكلام عبارة : « من كتب الفقير على عفى عنه ، وتحت هذه العبارة ( خاتمة ) وفي أعلى اللوحة الثانية اسم الكتاب والمؤلف وسنة الوفاة وتحتها اسم ( أحمد بن عبد الله بن مكى ) . وفي وسطها العبارة الآتية :  
وفيه أيضا المسائل البصريات في النحو ، وفيه أيضا المسائل المشككة في أول المقتضب ، وفيه أيضا المسائل العسكرية إملأه الشيخ أبى على الحسين بن أحمد بن عبد الغفار ومسائل من النحو منشورة لأبى على الفارسي أيضا .  
وفي الزاوية اليمنى من أسفل هذا الكلام ختم منقوش فيه عما وقف الوزير الشهيد على باشا ( رحمه الله تعالى ) بشرط ألا تخرج من خزانته .  
وفي آخر هذه النسخة ما نصه :

آخر المسائل المشككة المعروفة بالبغداديات تصنيف الشيخ أبو على الحسن ابن أحمد بن عبد الغفار الفارسي ( عفا الله عنه ) علقها لنفسه الفقير إلى رحمة الله ربه أحمد بن تميم هشام الليلى في مدة آخرها غرة جمادى الأولى من سنة خمس عشرة وستمائة بمحروسة بغداد في رباط الشيخ محمود النعال الزاهد ( رحمه الله ورضي عنه ) والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وسلم<sup>(١)</sup> .

## الأغفال أو المسائل المصلحة على الزواج

جاء في القهرست لابن النديم عند ذكره كتب أبي علي ، كتاب المسائل المصلحة يروى عن الزواج وتعرف بالأغفال ومعنى هذا أن كتاب المسائل المصلحة هو نفس كتاب الأغفال ، لكن ياقوتاً عندما ذكر كتب أبي علي قال ، كتاب الأغفال وهو مسائل أصلها على الزواج ، ثم عاد وذكر من كتبه وكتب المسائل المصلحة من كتاب ابن السراج . ومعنى كلام ياقوت أن الأغفال شيء غير المسائل المصلحة ، وأن أبا علي أصلح مسائل على الشيخين .

وما ورد في معجم الأدباء يتخالف مع نصوص لابي علي أوردها في كتبه ، هذه النصوص تشير إلى أن المصلح عليه الزواج لا ابن السراج ، وأنه أودع المسائل المصلحة الأغفال ، ومن هنا سمى ذلك الكتاب : الأغفال أو المسائل المصلحة من كتاب أبي اسحق :

وفما يلي بعض هذه النصوص . قال أبو علي أحمد بن عبد الغفار الفارسي كتاب المسائل المصلحة من كتاب أبي اسحق ابراهيم السري في إعراب القرآن ذكرناها لما اقتضت عندنا من الإيضاح منها الأغفال الواقع فيها<sup>(١)</sup>

ويقول في موضع آخر : ومن ظاهر الأغفال في هذا الفصل كذا وكذا<sup>(٢)</sup> ، وفي موضع ثالث . فهذا الذي ذكرناه اصلاح إحدى جتى السهو<sup>(٣)</sup> . ويقول في البغداديات وهو بصدد الاستشهاد على قاعدة نحوية ، هذا في أبيات كثيرة تركناها هنا مع الحجة في ذلك لذكرنا له مستقصى في مسائل اصلاح الأغفال<sup>(٤)</sup> ، ففي هذه النصوص يرد اسم الكتاب كلاهما : المسائل المصلحة ، و الأغفال ، مما يدل على أن هذه المسائل مصلحة على الزواج أولاً بدليل عبارة المقدمة ، وأن الأغفال هو المسائل المصلحة ثانياً .

\*\*\*

وما يتصل بتحقيق اسم الكتاب التنبيه على خطأ ما ورد في كتاب إنباء الرواة ، إذ جاء في تعداد كتب أبي علي : كتاب الأغفال فيما أغفله الزاجي من المعاني . والزاجي خطأ فلم يكتب الزاجي في معاني القرآن أولاً ، ثم أن المشهور أن الأغفال<sup>(٥)</sup> فيما أغفله الزاج من المعاني على ما انتهت إليه من قريب<sup>(٦)</sup> .

(١) الأغفال ٢ (٢) الأغفال ٣٣٥ رقم ٦٩٩ (٣) ص ١٧٣

(٤) البغداديات لوحة ٢٧ (٥) إنباء الرواة ٢٧٤/١ (٦) راجع القهرست ٩٥



وكتاب الأغفال (المسائل المصلحة) مؤلف قبل ارتحال أبي على إلى حلب ذلك ما يدل عليه قوله في الحلبيات : « زعم الجرمي أن أبا عمرو وعيسى و... قرءوا بالنصب ، أن هذين لساحران » وقد ذكرنا ذلك في المسائل المصلحة من كتاب أبي اسحق<sup>(١)</sup> . ويقول في نص آخر : « وأما قولهم أستاذ وسابور فقد ذكرناهما في المسائل المصلحة من كتاب أبي اسحق<sup>(٢)</sup> . بل الأغفال مؤلف قبل البغداديات<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

وقد لاحظت أن أبا على في الأغفال يدعو بالرحمة لأبي اسحق<sup>(٤)</sup> ، ومعنى ذلك أن الأغفال مؤلف بعد موت أبي اسحق (٥٣١٦ هـ)<sup>(٥)</sup> .

فهل هجم أبو على شيخه الزجاج ابتغاء السمعة ، وابتغاء الظهور ؟ أما أبو حيان فيرجع ذلك إلى أن أبا على كان محباً للرد على الزجاج ، وتخطئته ثم قال : « لأنه كان مولعاً بذلك ، وللشأن الجاري بينهما سبب ذكره الناس<sup>(٦)</sup> . ولم أقف على ذلك السبب الذي ذكره الناس — على الرغم من طول صحبتي لأبي على وتقصى ما هو متصل به ، وإن كنت أميل إلى اعتبار أن الخصومة التي كانت بين المبرد ( شيخ الزجاج ) وسيبويه ( الموقر عند أبي على ) هي التي دفعت أبا على إلى مهاجمة المبرد ، وتليذه الوفي أبي اسحق<sup>(٧)</sup> .

\* \* \*

ومهما يكن من أمر فإن أبا على بإصلاح مسائل الاغفال في هذا الوقت المبكر من حياته ، وبتعقبه الزجاج وهو من هو في مكاتبه بين العلماء والشيوخ في عصره — جعل له شهرة سبقته إلى حلب حيث بلاط سيف الدولة ، وإلى شيراز وفيها عضد الدولة الذي استدعاه لتأديب ابن أخيه خسرو .

(١) الحلبيات ٦٢ (٢) انظر الحلبيات ٣٠٣ رقم ٢٦٦ تيمور

(٣) انظر النص السابق المنقول من البغداديات

(٤) انظر البغداديات لوحة رقم ٢٧ (٥) انظر مثلاً ص ٤١٥ نسخة ٦٩٩ تفسير

(٦) البحر المحيط ٣٣١/١ — ٣٣٢

(٧) ربما كان من أسباب مهاجمة أبي على للزجاج اختلافهما في تقدير المعترلة فالفارسي منهم ، أما الزجاج فقد هاجمهم ورد عليهم قال : « وقد احتج قوم من أصحاب الوعيد بقوله : « ولا يجده من دون الله ولياً ولا نصيراً » فزعموا أن هذا يدل على أن من عمل السوء جزى به ، وقد أعلم أن جل وعز أنه يغفر ما دون الشرك لمن يشاء . فعامل السوء ما لم يكن كافراً مرجو له المغفر والرحمة والنبي ( صلى الله عليه ) شافع لأمته يدفع فيهم » .  
( معاني القرآن للزجاج )

ويشير أبو علي في مقدمة الأغفال إلى النهج الذي اتبعه فيه ، فهو يقول :  
 • ونحن ننقل كلامه ( أى كلام أبي اسحق ) في كل مسألة من هذه المسائل بلفظه ،  
 وعلى جملة عن النسخة التي سمعناه منه فيها ثم نتبعه بما عندنا .  
 وكذلك فعل أبو علي ، فقد تعقب أبا القاسم في ثمان وعشرين سورة من سور  
 القرآن الكريم ، أورد في كل سورة نص الزجاج ثم اتبع بما عنده .  
 أصلح في سورة البقرة ستاً وثلاثين مسألة ، وفي آل عمران سبعاً ، وفي الأعراف  
 ستاً ، وفي كل من الأنعام والكهف خمساً ، وفي سورة (يس) أربعاً ، وأصلح ثلاثاً  
 في كل من ست السور الآتية ، النساء ، والرعد ، والحج ، والمؤمنين والشعراء ، والنجم .  
 وأصلح مسألتين في كل من خمس السور الآتية : المائدة ، الأنفال ، يونس ، طه ، النور  
 وأصلح مسألة في كل من إحدى عشرة سورة هي : براءة ، هود ، يوسف ،  
 إبراهيم ، النحل ، بنو إسرائيل ، كهيعص ، الأنبياء ، العنكبوت ، الزمر ، الجمعة .

\*\*\*

وأغلب هذه المسائل استند فيها الزجاج إلى أقوال للخليل وسيبويه ، وفهما على  
 غير الوجه الذي فهمه أبو علي ، ومن هنا كان الطابع العام لهذه المسائل نحويًا وصرفيًا  
 وأعرابيًا ، ولغويًا ، وكان منها القليل النادر يتعقب فيه أبو علي من جهة التفسير ،  
 وإنك لتضئ في كتاب الأغفال حتى ثلثه تقريباً فلا تطالعك إلا المسائل الآتية :  
 اسم الله وتصريفه <sup>(١)</sup> . ( أيا ) اسم مضمّر وليس بمظهر <sup>(٢)</sup> .  
 حروف ( ألم ) موضوعة على الوقف عليهما دون الوصل بها والدليل على ذلك ما حكاه  
 أبو اسحق من أهل اللغة قالوا في قراءة الحسن صاد القرآن بعملك فمثل<sup>٣</sup> ليس بالجد <sup>(٣)</sup> .  
 الأصل في يقيم يؤقيم <sup>(٤)</sup> ، القول في أن لم جزم قوله يفعلوا من قول الله : فإن  
 لم يفعلوا ولن تفعلوا <sup>(٥)</sup> ، أعراب إما في قوله تعالى : فإما يأتينكم مني هدى <sup>(٦)</sup> .  
 وهكذا حتى إذا كانت صفحة ٢٣١ رأيت تعرض لتفسير القرآن الكريم • عند  
 قوله تعالى ، • واتبعوا ما تتلو الشياطين <sup>(٧)</sup> ، ثم يعود بعد ذلك إلى مسائل في  
 النحو ، والصرف ، واللغة .

ومن هنا كان من حق الأغفال أن يوضع في فهرس النحو لا فهرس التفسير  
 ولكن مفرسي دار الكتب نظروا إلى أن أبا علي تعقب الزجاج في معاني القرآن

(١) الأغفال ٢ (٢) الأغفال ٣٧ (٣) الأغفال ٤٨

(٤) الأغفال ٥٥ (٥) الأغفال ٦٠ (٦) الأغفال ٦٧ (٧) الأغفال ٢٣١

وهو كتاب تفسير ولم يفظنوا إلى أنه في تعقبه عنى عناية خاصة بمسائل النحو والصرف واللغة والإعراب .

\* \* \*

وأبو على يقف من شيخه أبي القاسم مواقف مختلفة : تراه حيناً يهدم ما يقول أبو القاسم ، وحيناً يرميه بالغلط والنسيان <sup>(١)</sup> ، ويصف قوله بالفساد <sup>(٢)</sup> ، وبأنه ليس بالجد <sup>(٣)</sup> وبذهابه عن قول سيويه <sup>(٤)</sup> أو أن الآية تحتل تأويلين كل واحد منهما بما ذكره وذهب إليه <sup>(٥)</sup>

وقليلاً ما يتفق أبو على مع الزجاج فيما رآه ، وعند ذلك يبسط أبو على الكلام ويذكر أوجهاً أخرى غير التي ذكر أبو إسحق <sup>(٦)</sup> أو يعلن استقامة ما قال الزجاج وعدم امتناعه <sup>(٧)</sup> وكتاب الاغفال يدل على تفهم أبي على للكتاب : كتاب سيويه ، وعكوفه عليه وتعمقه في دراسته .

قال أبو إسحق : قال سيويه ، : سألت الخليل عن هذا الاسم ( الله ) فقال الاله ، فأدخلت الألف واللام بدلا من الهمزة ، وقال مرة أخرى : الألف واللام لازمة ، انتهى كلامه .

فانظر كيف يتعقبه أبو على قال : ما حكاه عن سيويه عن الخليل سهو ، ولم يحكه سيويه عن الخليل في هذا الاسم أنه الاله ( كذا ) ولا قال إنه سأله عنه لكن قال : د أسند إلى الخليل أن الألف واللام بدل من الهمزة في حد النداء في الباب المترجم بهذا باب ما ينصب على المدح والتعظيم أو الشتم ، لأنه لا يكون وصفاً للأول ولا عطفاً عليه ، وأول الفصل اعلم أنه لا يجوز لك أن تنادى اسما فيه الألف واللام البتة ، إلا أنهم قالوا : يا الله اغفر لي ، وهو فصل طويل في هذا الباب إذا قرأته وقفت على ما قلنا <sup>(٨)</sup> .

وقد رجعت إلى هذا الباب في الكتاب ، الفسخة الأميرية ٣٩٦٩ هـ فوجدت ما نصه : د واعلم أنه لا يجوز لك أن تنادى اسما فيه الألف واللام البتة إلا أنهم قالوا

- |                               |                               |
|-------------------------------|-------------------------------|
| (١) الاغفال ٤٠١ رقم ٦٩٩       | (٢) الاغفال ٣١ رقم ٨٧٥ تفسير  |
| (٣) الاغفال ٤٨ رقم ٨٧٥ تفسير  | (٤) الاغفال ٦٢٠ رقم ٦٩٩ تفسير |
| (٥) ٢٣١ رقم ٦٩٩               | (٦) الاغفال ١٥١               |
| (٧) الاغفال ٤١٥ رقم ٦٩٩ تفسير | (٨) الاغفال ٣ رقم ٦٩٤ تفسير   |

يا الله اغفر لنا وذلك من قبل أنه اسم يلزمه الألف واللام لا يفارقانه وكثر في كلامهم  
فصار كأن الألف واللام فيه بمنزلة الألف واللام التي من نفس الكلمة<sup>(١)</sup>  
وهذا الكلام في جملته يرجح ما ذهب إليه أبو علي في رده على أبي إسحق  
من أن سيبويه لم يحك عن الخليل في هذا الاسم (الله) أنه إله ، ولا قال إنه سأله  
عنه . . . ، وإن كانت عبارة « أسند إلى الخليل » لم ترد في النسخة المذكورة .

\* \* \*

ومن هذا القبيل ما قال أبو علي :

الاعجمون جمع أعجمى ، وليس جمع أعجم ، وهذا قول سيبويه ، وقد نص عليه  
وذهب أبو إسحق عنه ، قال سيبويه في الباب المترجم هذا باب من الجمع بالواو  
والنون ويكسر الاسم سألت الخليل عن قولهم الأشعرون ، فقال : إنما ألحقوا الواو  
والنون وفي بعض النسخ وحذفوا ياء الإضافة — كما كسروا فقالوا الأشاعر  
والأشاعت والمسامعة ، فكما كسروا مسمعا والأشعث حين أرادوا معنى بنى مسمع  
وبنى الأشعث ألحقوا الواو والنون وكذلك الاعجمون<sup>(٢)</sup> . فقد ثبت من نص سيبويه  
أن الأعجمين جمع أعجمى ، وأن ياء النسب محذوفتان حذفاً في الجمع ، وأنه جمع  
على هذا كما كسر على الأشاعت ونحوه . . .

وبما يدل على صحة هذا أنه لا يتخلو من أن يكون جمع أعجم ؛ لأن أعجم صفة  
بالدلالة التي قدمنا ، وما كان صفة من هذا القبيل لا يجمع بالواو والنون ألا ترى  
أنه لا يقال في جمع أسود أسودون<sup>(٣)</sup> ؟

وأورد أبو علي الزجاج : وروى عن الخليل في علة النصب بلن قولان :

أحدهما أنها تنصب كما تنصب أن وليس ما بعدها بصفة لها ، لأن لن يفعل  
نفى سيفعل فيقدم ما بعدها عليها نحو قولك زيدا لن أضرب ، وقد روى سيبويه  
عن بعض أصحاب الخليل عن الخليل أنه قال : الأصل في لن لا أن ولكن الحذف

(١) الكتاب ٣٠٩/١

(٢) ورد النص في الكتاب ١٠٣/٢ وليس فيه : « وحذفوا ياء الإضافة » المطبعة الاميرية

(٣) الأغفال ٦٢ — ٦٢١ رقم ٦٩٩ تفسير

وقع استخفافا وزعم سيويه أن ذلك ليس بجيد ، ولو كان كذلك لم يحز زيدا لن أضرب — أورد أبو على ذلك ثم أصلحه بقوله :

« هذا الموضع فيه غلط في الحكاية ، وهو ما ذكره في لن من أنه روى عن الخليل فيه قولان ولم يرو عنه إلا قول واحد وهو ما رواه عنه سيويه قال سيويه في لن : أما الخليل فزعم أنها لا أن ، ولكنهم حذفوا لكثرة في كلامهم كما قال ويله ، وكما قالوا يومئذ وجعلت بمنزلة حرف واحد كما جعلوا هلا بمنزلة حرف واحد فانما هي هل ولا (١) فهذا ما روى عن الخليل في لن ولم يرو عنه فيها غيره ، ولم يرو عنه أنها تنصب كما تنصب أن ، وما ذكره أيضا من قوله : روى سيويه عن بعض أصحاب الخليل إنما حكى هو نفسه عن الخليل ، وقد كتبت لفظ سيويه عن الخليل قبل ، والروايتان عن الخليل إنما هما في إذا ليسا في لن فتوهمهما أبو اسحق في لن (٢) . في هذه النصوص أكثر من دلالة :

(١) فأبو على أولا يتفهم الكتاب تفهم واع .

(ب) وهو ثانيا يقابل بعض النسخ ببعض ، ويعرف ما سطر في هذه وما سطر في تلك .

(ج) وهو ثالثا يرى أبا اسحق بذهابه عن نص سيويه ، كما يرميه بالخلط بين الروايات في الكتاب .

(د) ثم هو رابعا يأتي بأدلة منطقية يرجح بها ما ذهب إليه سيويه (٣)

(هـ) وأخيرا يدل أبو على على دقته أمام نصوص سيويه ، ومطالبة القارىء أن يتثبت من هذه الدقة وذلك قوله مثلا : « وهو فصل طويل في هذا الباب إذا قرأته وقفت منه على ما قلنا (٤) » .

أورد وقد كتبت لفظ سيويه عن الخليل والروايتان عن الخليل إنما هما في إذا ليسا في لن (٥) ، .

وفي هذا كله ما يؤكد صحة قول أبي حبان في أبي على : من أنه أشد تفردا بالكتاب ، وأشد إكبابا عليه (٦) .

(١) النص في الكتاب النسختة الاميرية ٤٠٧/١

(٢) الاغفال ٢١٩ - ٢٢٠ رقم ٦٩٩ تفسير

(٣) انظر تدليله المنطقي على أن أعجمون جمع أعجمي

(٤) الاغفال ٣ رقم ٦٩٩

(٥) انظر الاغفال ٢٢٠ والكتاب ٤١٠/١ وما بعدها (٦) الامتناع والمؤانسة ١٣١/١

وما يتصل بذلك رد أبي على هجوم المبرد، ودفعه عن سيبويه ما اعترض به عليه :

ذكر أبو العباس في كتابه المترجم بالغلط هذه المسألة — يشير إلى تصرف لفظ الله — فقال : سيبويه : وإن تقديره فعال لأنه اله والآلف واللام في الله بدل من الهمزة فلذلك لزمتا الاسم مثل أناس والناس ثم قال : لأنهم يقولون لى أبوك في معنى لله أبوك . فقال بقدمون اللام ويؤخرون العين ، قال أبو العباس وهذا نقض ذلك لأنه قال أولا : أن الآلف زائدة لأنها ألف فعال ثم ذكر ثانياً أنها عين الفعل <sup>(١)</sup> .

قال أبو على ، وهذا الذى ذكره أبو العباس من أن هذا القول نقض - مغالطة ليس كما ذكره ، وإنما كان يكون نقضاً لو قال في حرف واحد من كلمة واحدة وتقدير واحد أنه زيادة ، ثم قال فيها نفسها أنها أصل ، فهذا لو قاله في كلمة واحدة بهذه الصفة فكان لا محالة نقضاً . كما أن قائلاً لو قال : إن التاء في ترتب زائدة ، ثم قال إنها في ترتب أصل ، والكلمة لمعنى واحد من حروف بأعيانها هي في الكلمة الأولى لكان فاسداً منتقضا ، لأنه جعل حرفاً واحداً من كلمة واحدة زائدة أصلاً ، وهاتان حالتان يتنافى اجتماعهما في حرف واحد من كلمة واحدة في تقدير واحد ، فلا يستقيم لذلك أن يحكم بها عليه . فأما إذا قدر الكلمة مشتقة من أصلين مختلفين لم يمتنع أن يحكم بحرف فيها أنه أصل ، ويحكم على ذلك الحرف أنه زائد ؛ لأن التقدير فيهما مختلف ، وإن كان اللفظ بهما متفقاً ، ألا ترى أنك تقول مصير ومصران ومصارين ومصارين من صار يصير لتكون الياء من الأولى زائدة ومن الثانية أصلاً فلا يمتنع اتفاقهما في اللفظ من أن يحكم على هذا بالزيادة وعلى هذا بأنه أصل .

وبعد أن ذكر أبو على عدة أمثلة من هذا القبيل مما تتفق فيه الألفاظ وتختلف المعاني والتقدير مثل : ميل ، وموالة ، وأمنية ، وأروى ، وأربية ، — بعد أن ذكر ذلك قال :

فكذلك هذا الاسم الذى نقول لى عند سيبويه تقديره مقلوباً من لاه ، ولأه على هذا الآلف فيه عين الفعل ، وهى غير الآلف التى فى الله إذا قدرته محذوفاً من

الهمزة التي هي فاء الفعل ، حكم بزيادة الألف من غير الموضع الذي حكم فيه بأنها زائدة ، فاذا كان كذلك سلم قوله من النقص ، ولم يكن فيه دخل ،

وتبدو من هذا النص حرارة الدفاع عن سيبويه ، والاحتفال في الهجوم على المبرد وذلك ظاهر في هذه الأمثلة المتتابعة التي يكشف أبو علي فيها عن اتفاق الألفاظ واختلاف التقدير ، كما هو ظاهر في التذليل المنطقي الذي يقدم فيه نظائر وأقضية تنتهي بنا إلى نتيجة هي سلامة قول سيبويه من النقص وخلوه من الدخل .

وقد رأيت أبا علي في الإغفال يوثق بمحدثين المستنير المسمى قطربا ، قال أبو علي : وأما ما حكاه قطرب من أنه يقال فيه أسوار فهذا الضرب من الأسماء قليل جداً إلا أن الثقة إذا حكي شيئاً لزم قبوله<sup>(١)</sup>

والذي أريد أن أرتبه على ذلك ما أراه من أن كتاب الإغفال يصدر عن نزعة التقدير التي وقرت في صدر أبي علي لأستاذه سيبويه ، ومن أجل ذلك هاجم من هاجم كالبرد والزجاج ، وسالم من سالم كأبي زيد وقطرب ، معتبراً في هجومه ومسامحته ما يرى أنه الحق أولاً ، وما يبدو من موقف المهاجم أو المسالم نحو سيبويه ثانياً<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

وعبارة أبي علي في الإغفال ذات طابع متميز بما فيها من منطق وجدل ، وبما يشيع في أقطارها من استطراد ، مما ألقى عليها غلالة من الأغماض والابهام وإليك ما يكشف عن ذلك :

قال أبو إسحق ( رحمه الله ) في قوله عز وجل : « لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله ، وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ، ويروى أن المؤمنين قالوا لو أنزل إليهم آية لعلمهم كانوا يؤمنون فقال الله تعالى : « قل إنما الآيات عند الله ، وما يشعركم أي وما يدرىكم أي لستم تعلمون الغيب ولا ترون أنهم يؤمنون كما تقول للرجل إذا قال لك أفعل بي كذا حتى أفعل كذا ما لا تعلم

(١) الإغفال ٥٦٣ رقم ٨٧٥ تفسير

(٢) كان قطرب دموياً حريصاً على الأخذ عن سيبويه ، حتى كان يباكره في الأسعار

وسيبويه هو الذي سماه قطرب ليل ، والقطرب دوية تدب ولا تغتر انظر الفهرست ٧٨

أن يفعله لا محالة ، ما يدريك ثم استأنف فقال إنها إذا جاءت لا يؤمنون هذه القراءة . وقد قرئت أنها إذا جاءت ، وزعم سيبويه عن الخليل أن معناها لعلها إذا جاءت لا يؤمنون ، وهي قراءة أهل المدينة كقولهم ائت السوق أنك تشتري لنا سوقاً أى لعلك

قال أبو علي : اعلم أن ما في قوله : وما يشعركم لا يكون نفيًا ، إنما يكون استفهاما والدليل على كونه استفهاما . أنه لا يخلو من أن يكون استفهاما أو نفيًا ، فلا يجوز أن يكون نفيًا لفساده في المعنى والإعراب ، أما فساد في الإعراب فلأنك إن جعلته نفيًا بقي الفعل بلا فاعل ، وبقاء الفعل بلا فاعل يجوز بلا خلاف في هذا النحو .

فإن قلت : ما تنكر أن يكون نعتاً وكذا والصواب نفيًا ، ويكون فاعل الفعل الذي هو يشعركم الكناية عن الاسم المقدم كأنه وما يشعركم الله .

قيل : هذا التقدير فاسد ألا ترى أن الله قد أعلم أنهم لا يؤمنون بقوله : ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا ... إلى قوله ما كانوا ليؤمنوا ، فإذا أخبرنا بهذا كذا قد أعلمنا أنهم لا يؤمنون ، وإذا أعلمنا هذا لم يجوز أن يتأول الآية على ما يعلم الله ، لأنه تعالى قد أعلمنا بما تلوناه أنهم لا يؤمنون ، فن هنا أيضاً يفسد في المعنى أن يكون ما نافية ، وإذا فسد أنها نافية ثبت أنه للاستفهام (١) .

وفي هذا النص صورة من صور الجدل الذي يشيع في كتاب الاغفال ، يبدو ذلك في الاعتراض الذي أورده ثم رده ، وإنك لو اجد هنا وهناك عبارات من هذا القبيل : مثلاً .

فإن قال قائل .... قيل له أو  
فإن قيل .... قيل أو  
فإن قلت .... فالجواب (٢)

(١) الاغفال ٤١٧ رقم ٦٩٩ تفسير

(٢) انظر ص ١٨ وما بعدها و ص ٣٩ وما بعدها ، و ٨٥ وما بعدها ، ١٩٨ وما بعدها

من النسخة رقم ٦٩٩ تفسير



كما يبدو المنطق في ذلك السبر والتقسيم ( القياس الاستثنائي الانفصالي ) ، وفي النص السابق ما يلقي ضوءاً على طريقة أبي علي في تفسير القرآن بالقرآن ، وتحكيم المعنى فيما يذهب إليه من أوجه الإعراب .

ويبدو الجدل كذلك في هذه الأصول الجدلية مثل : أصل الدعوى وما فيه المنازعة لا تجعل أصلاً ؛ وإنما يستشهد عليه بغيره<sup>(١)</sup> .

ويشيع المنطق كذلك في هذه الصور العقلية التي يوردها .

ماذا يكون العامل في إذ إذا قال : أريد أن أكرمك فقال : إذن آتيك — على اعتبار أن صدر هذا الحرف إنما هو إذ — أهو في كلام المتكلم من الفعل ؟ أم ما يتعلق بإذ ؟ أم شيء ثالث مضمّر غير مذكور ؟ فإن القسمة لا تجزئ شيئاً رابعاً<sup>(٢)</sup> .

كما يبدو في استعمال الألفاظ المنطقية : الدعوى — والدلالة ، والمدعى ... قال : « فإن قال أبو اسحق يدخلها — أى إذن — معنى الاستقبال إذا نصبت ويبتل منها إذا لم تنصب فإن هذه الدعوى تحتاج إلى دلالة ، ولا يجد المدعى لها فصلاً بينه وبين من يقلب هذا ويعكسه عليه<sup>(٣)</sup> ،

أما الاستطراد فهو ظاهرة شائعة في الأغفال يسلبه التدليل على قضية إلى تدليل آخر على قضية أخرى وهكذا<sup>(٤)</sup> : وإن تعرض الزجاج — مثلاً — للحديث عن لفظ عمال — عقد أبو علي كلاماً في الامالة يتناول أحكامها المختلفة ، فقد قرر الزجاج أن الامالة في كافر جيدة ، فقال أبو علي : أن باب الامالة يقتضى كلاماً طويلاً إذا ذكر على حد التقصى له ، إلا أن ذلك لا يليق بهذا الموضع ، وإذا كان كذلك ذكرنا جملة منها تسهل بها تفصيلاتها بعد أن نذكر ما حقيقتها ، ثم نصلح موضع السهو من الفصل<sup>(٥)</sup> .

ومع هذه القيود التي رسمها للحديث من الامالة — أورد طائفة من أحكامها وأسبابها وضروبها في اثنتي عشرة ورقة ١١ مع أن مَهْمَه في كتاب الأغفال ينتهى عند اصلاح ماسها فيه أبو اسحق .

وهو إذ فر من الاستطراد إلى الاستطراد في نصه السابق — نراه يعترف به

(١) الأغفال ص ٤٣٥ (٢) ص ٣٩٥ - ٣٩٦ (٣) أظفر ص ٢٧ - ٤٣

(٤) ص ٣٩٩ النسخة رقم ٦٩٩ (٥) الأغفال ٩٤ نسخة رقم ٦٩٩

صريحاً ، وذلك حين يقول : « لهذا شيء قد عرض في المسألة ثم عدنا إليها »<sup>(١)</sup> ،  
أو يقول : « لهذا شيء عرض في هذه المسألة مما يتعلق بها ثم نعود إليها »<sup>(٢)</sup> .  
وعبارة أبي على محررة من الوجهة النحوية ، تنكشف هذه الخصيصة بالرجوع  
إلى النصوص السابقة . ومع ذلك فقد رأيت أنه يدخل قد على المضارع المنفى بلا فقال :  
قد لا يسوغ<sup>(٣)</sup> . . . كما يلحق اللام في جواب لو ، ولولا المنفى بما<sup>(٤)</sup>

\* \* \*

وفي الأغفال طائفة صالحة من الاحتجاج لما يراه أبو على في مختلف المسائل  
النحوية والصرفية .

- (١) (دلل على أن الإمالة في الالف من اسم الله تعالى جائزة)<sup>(٥)</sup>
- (ب) وأن المحذوف من اللامين في قولهم لا ، أبوك . . . هو الزائد<sup>(٦)</sup>
- (ج) وأن أيا اسم مضمّر وليس بمظهر<sup>(٧)</sup>
- (د) وأن ما التي هي مع الفعل بمنزلة المصدر حرف ليست باسم<sup>(٨)</sup>
- (هـ) وأن رفع الأسماء بالمضارعة خطأ<sup>(٩)</sup>

\* \* \*

وفي كتاب الأغفال كذلك كثير من الأصول النحوية واللغوية .  
(١) فالأصحى إذا عرب لا يوجب تعريبه أن يكون موافقاً لأبنية العرب<sup>(١٠)</sup>  
(ب) ولا يجب أن يترك القليل إلى الكثير (كذا) والشائع إلى النادر<sup>(١١)</sup>  
(ج) المضمّر لا يضاف ؛ لأن الإضافة للتخصيص والمضمّر أشد المعارف تخصيصاً<sup>(١٢)</sup>  
(د) أكثر الأسماء المختصة بالأعلام منقولة من أسماء الأجناس نحو زيد وأسد<sup>(١٣)</sup>  
(هـ) الحذف لم يجيء في شيء من الحروف إلا في بعض ما كان مضاعفاً نحو  
رب ، وأن ، وكان . . . ولهذا ذهب أهل النظر في العربية إلى تغليب معنى الاسم على  
مذ لمكان الحذف ، وتغليب معنى الحرف على منذ لتامها<sup>(١٤)</sup>

(١) الأغفال ٤٨٥ رقم ٨٧٥ تفسير

(٢) الأغفال ١٤ رقم ٨٧٥ تفسير

(٣) الأغفال ١٠٠ رقم ٦٩٩ تفسير

(٤) انظر النص الذي يرد فيه هجوم المبرد على سيبويه

(٥) الأغفال ٢٩ رقم ٦٩٩

(٦) المصدر السابق ٢١

(٧) المصدر السابق ٣٠

(٨) المصدر السابق ٦٤

(٩) ٤٤٢ (١٠) المصدر السابق ٥٨ (١١) ٤٢ (١٢) ٣٢

(١٣) ٤ (١٤) ١٣

(و) أن الزائد جاء لمعنى فهو أولى بأن يترك فلا يحذف<sup>(١)</sup>  
 (ز) القلب ضرب من التصريف ترد فيه الأشياء إلى أصولها<sup>(٢)</sup>  
 (ح) الأصول لا تعقد بالشذوذ، وما يجيء نادراً من حرف أو حرفين<sup>(٣)</sup>  
 (ط) إذا جاء الشيء على بابيه فلا وجه لرده ، ولا امتناع من دفعه ، على أنه لو جاء مخالفاً لبابه للزم أن يتبعه ، ولم يجوز لنا أن ندفعه إذا كان الغرض فيما نعمله وندرجه من هذه القوانين إنما هو أن يوصل بها إلى النطق باللسان ، ونسوى بين من لم يكن من أهل اللغة لنعله إياها ، ونمسكها بأهل الفصاحة والبيان ، فإذا ورد السمع في نحو هذا بشيء وجب اتباعه ، ولم يبق غرض مطلوب بعده<sup>(٤)</sup>.  
 وقد استغل أبو على هذه الأصول فيما ذهب إليه من مسائل الخلاف والاحتجاج لما يراه والرد على أبي القاسم الزجاج .  
 وبعد : فكتاب الأغفال صورة لهذا اللون من النشاط النحوى الذى بدأ جلياً في القرن الرابع الهجرى من تتبع النحاة بعضهم بعضاً<sup>(٥)</sup> ، وهو كذلك يكشف عن ضلالة أبي على في النحو ، وتبحره فيه ، واعتماده في ذلك على كتاب سيبويه ، وخصائص العربية وفقهها لها . وقد ذكره ابن قاضى شبيهه ووصفه بأنه كتاب نفيس<sup>(٦)</sup>.  
 ثم هو مرآة لنزعة أبي على من التناول والشموخ على علماء عصره ، وتعرضه لهم ، واتجاهه إلى المصادر الأولى يتأثرها ويستقى عليه منها . وقد استعان البغدادى بالأغفال في مواضع ثلاثة من خزانته<sup>(٧)</sup> .  
 وللكتاب بدار الكتب والخزانة التيمورية نسخة قديمة بخط مغربى برقم ٥٢ تفسير ، وأما الآخران فواحدة برقم (٨٧٥) تفسير والآخرى برقم (٦٩٩) تفسير . وقد كتبنا للعلامة أحمد تيمور ، فهما تدلان على ما كان للرجل ( رحمه الله ) من عناية باللغة وكتبها بعامة ، وبآثار أبي على بخاصة .

(١) ٢١ (٢) ١٨ (٣) ٤٨٥ نسخة رقم ٨٧٥  
 (٤) ٤٦ (٥) رد ابن خالويه على أبي على في الأغفال - بكتاب سماه (الهاذور)  
 ورد عليه أبو على في كتابه (نقض الهاذور) انظر خزانة الادب ٤٠١/٢ وانظر الفلاحة  
 والفلوكن / ١٠٢  
 (٦) انظر طبقات النحاة والنحويين ٢٩٥ (٧) انظر ٣٥٢/١ ، ٣٢٤/٤ ، ٣٤١

## العسكريات

والعسكريات منسوبة إلى عسكر مكرم ، وكانت مولد بعض مشهورى العلماء والادباء ، كما كانت عظيمة المسجد والأسواق<sup>(١)</sup> ، ولعل أبا على الفارسي زارها فيما زار من مدن البلاد الإسلامية ، وكان من أثر هذه الزيارة مسائله العسكريات .

وقد اشتملت العسكريات على أبواب أربعة لا غير .

جعل الباب الاول منها . باب علم الكلم من العربية<sup>(٢)</sup> .

وكان الثاني د ما اتلف من هذه الألفاظ : الاسم ، والفعل ، والحرف<sup>(٣)</sup> ،

وأتبعه الثالث د باب ما كان شاذاً من كلامهم<sup>(٤)</sup> ،

ثم ختمت بباب د الإعراب والبناء<sup>(٥)</sup> ،

وهذه الأبواب جامعة : تحدث في الباب الاول عن اتلاف الكلام من الاسم ،

والفعل ، والحرف ، ثم ذكر تعاريف أصحابه للاسم ودل عليها ، وانتقل إلى الفعل وأقسامه<sup>(٦)</sup> ، ثم تحدث عن الحروف .

وفي الباب الثاني : ذكر اتلاف الاسم مع الاسم ، والفعل مع الاسم ،

ودخول الحرف على كل منهما . وذكر أن الاسم والحرف لا يستقلان بالكلام ،

ثم شرح كيف استقل د يا زيد ، مع أنه مؤلف منهما<sup>(٧)</sup> ، وتحدث عن استعمال

هيات مفتوحة ومكسورة ، وانتقل منها إلى شستان ، واعراب ذى من قولهم :

د وسرعان ذى اهالة ، وتحدث عن د أف ، واللغات فيها . ثم انتقل إلى الجزاء والقسم ،

وتحدث عن عدم الاستقلال في الاسم والفعل في حالى الجزاء والقسم وكذلك الاسم

والاسم كذلك ( فى حالى الجزاء والقسم ) .

واستطرد إلى بيان أن بعض الجمل يقوم مقام بعض ، ثم ذكر رأى أبى الحسن

فى قوله تعالى : د يحلفون باقه لكم ليرضوكم ، ورأى البغداديين ، ودلل على ما يرى

أبو الحسن<sup>(٨)</sup> .

(١) انظر أراضى الخلافة المرفقة - تأليف ليسترينج ط كبرديج ١٩٠٥ : ٢٣٦ - ٢٣٧

(٢) لوحة ١٣١ (٣) لوحة ١٣٢ (٤) لوحة ١٣٤ (٥) لوحة ١٣٨

(٦) لوحة ١٣٢ (٧) لوحة ١٣٣ (٨) لوحة ١٣٤

وفي الباب الذي عقده لمعرفة ما كان شاذاً من كلامهم بَيِّن أنواع الشاذ — واعتمد في ذلك على ما ذكر أبو بكر (رحمه الله <sup>(١)</sup>) ثم أخذ يشرح كل من نوع ممثلاً ومستشهداً بالشعراء، والقراءات، ومورداً أقوال الأئمة السابقين — مع الاستطراد — مثل أبي العباس، وأبي عثمان، وأبي زيد، وأبي الحسن، وأبي إسحق، وأبي بكر.

وتناول في هذا الباب: باب ما كان شاذاً من كلامهم — وما يجيزه النحويون في اضطراب الشعر. فبطل للضرورة غير المستحسنة، والضرورة القبيحة غير السهلة، وجعل من الضرورات التي لا تتجاوز في الكلام ما يفعله الشاعر لاقامة الوزن من تحريف الاسم ووضع موضعه لفظاً على معناه، وإن لم يكن العلم للتعارف، وجعل من ذلك ما أنشده أبو الحسن:

«بني رب الجواد فلا تقلوا فإنا أنتم — فيعذركم — لفيل

قال أبو بكر، أراد ربيعة الفرس فلم يستقم الوزن له فعدل إلى رب الجواد .. وحديث أبي علي عن الضرورات حلقة من تلك السلسلة الممتدة منذ سيبويه (في القرن الثاني <sup>(٢)</sup>) حتى السيوطي (في القرن العاشر <sup>(٣)</sup>) ثم الألوسي في كتابه الضرائر . ولست هنا في مجال الموازنة بين هذه الحلقات، ولكن الذي لاشك فيه أن أبا علي امتاز بجديد انفرد به عن سيبويه — أوردته عند الحديث عن هذه الضرورات .

وفي باب الإعراب والبناء عرف كلا منهما، ثم تحدث عن حركات الإعراب الظاهرة والمنوية، وقسم الأسماء المتمكنة إلى منصرف، وغير منصرف، وذكر أسباب المنع من الصرف، ثم ذكر اعتراضات ورددها، واعتمد في ذلك على أصول قررها وخلص من ذلك إلى (مناقشة البغداديين في إجازتهم جمع طلحة بالواو والنون) وبعد استطراد واعتراضات علل لعدم الجر في الفعل، وتحدث عن إعراب المضارع لمشابهة الاسم، ودلل على ذلك.

وأنبه هنا إلى أن هذا مجرد عرض المسائل الكبرى في العسكريات، أما ما ذكره أبو علي في غضون هذه المسائل من اعتراضات، واستطرادات، وأدلة، واحتجاج

(١) لوحة ١٣٤

(٣) انظر المهم ١٠٠٢/٢ - ١٠٠٨

(٢) انظر الكتاب ٨/١

ولا كثر من الشواهد والأمثلة وتخرجها في أسلوب معقد — فذلك كثير .  
وأبو على واضح الشخصية في العسكريات ، فهو لا يقتصر على نقله كلام الأئمة  
السابقين حسب :

(أ) بل يتبع ذلك بالاحتجاج والتدليل على ما إليه يذهبون : تراه يقول مثلاً  
في تعريف الفعل : « ومن أصحابنا من يقول في وصفه أنه ما دل على حدث وزمان  
ثم يقول : ويدل على قولهم هذا إنا نجد الأفعال تتعدى إلى جميع أقسام الأزمنة  
بمعرفتها ونكرتها ومبذوها ومخصوصها كما نجد أنها تتعدى إلى جميع أقسام المصادر ، فلو أن  
فيه دلالة على جهة اللفظ ما كان ليتعدى إلى جميع ضروب الأمكنة فكما لم يتعد إلى  
جميع ما تتعدى الأفعال المتعدية إليه فاستواؤه والمصدر في تعدى الفعل إليهما تعدياً  
واحداً دلالة على ما ذكرنا من وقوع الدلالة عليه من اللفظ (١) .

(ب) كما تظهر شخصية الشيخ كذلك في الاعتراضات التي يوردها ثم يردّها في  
أسلوب جدلي فلسفي كالاعتراض الذي أورده على من وصف الفعل بأنه ما دل على  
حدث وزمان وذلك قوله : « وقد قيل لمن وصف الفعل بهذا الوصف : أرأيتم  
قولكم خلق الله الزمان هل يدل هذا الزمان على زمان ؟ فإن قلتم : لا . فسد الوصف ،  
وإن قلتم : يدل ، فقد ثبت زماناً قبل ، وذلك ممتنع لما يجيبون به عن ذلك أن اللفظ  
فيه قد جرى عندهم مجرى الآن وما يتخاطبون به ويتعارفون وهذا النحو غير ضيق  
في كلامهم . ألا ترى قوله ( عز وجل ) « ذق إنك أنت العزيز الكريم ،  
وكذلك قوله :

أبلغ كلياً ، وأبلغ عنك شاعرها أنى الأعز ، وأنى زهرة اليمن  
فأجاب جرير هذا بقوله :

ألم تكن في وسوم قد وسمت بها من حاز موعظة يازهرة اليمن  
وكذلك قوله : « فأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ، إنما هو عند كثير من  
أصحابنا أنهم جميع إذا رأيت مثلهم قلتم فيه هذا الضرب من الكلام فكذلك قولهم :  
خلق الله الزمان على هذا الحد الذي تجرى هذه الأمثلة في كلامهم وما  
يتعارفونه الآن (٢) .

وهكذا تتجلى ثقافة أبي على كما تتجلى شخصيته : يمزج المنطق، والفلسفة، ويدلل، ويستشهد بالقرآن والشعر ويطبق ذلك على سنة العرب في كلامهم ...

(ج) كما تراه بعد ذلك يعرض أقوال النحاة، ويوازن بين رأى ورأى، كما فعل بين وصف سيبويه للفعل ووصف غيره له، وبرهن على أن وصف سيبويه وصف شامل لا يدخل عليه اعتراض<sup>(١)</sup>

(د) كما رأيت يزد على سيبويه بما يعد شرحاً لما قال : جاء في الكتاب تعليق لعدم دخول الجر في الأفعال، وذكر سيبويه شبهة وردّها<sup>(٢)</sup>. وسيبويه هنا يمتضى في عرض كلامه هيناً لا يتعمق، وكأنه يريد أن ينظم هذه المسألة عند عرضها في سلك الحديث الجارى بين شخصين على طبيعة المتحدثين في هوادة ولين.

أما أبو على فقد تعمق، وشعب، واستطرد، واحتج، وبرهن، واستغل مسائل المنطق في حديثه<sup>(٣)</sup> وقد ألم أبو على في العسكريات بكثير من مسائل الخلاف بين النحاة وبرهن عليها، برهن على

١ — أن الفعل مأخوذ من المصدر<sup>(٤)</sup>.

ب — وأن الفعل ما دل على حدث وزمان<sup>(٥)</sup>.

ج — وأن القياس أعمال الثاني من الفعلين<sup>(٦)</sup>.

د — وأن الأصل في المضارع أن يكون للحاضر<sup>(٧)</sup>.

ه — وأن المضارع معرب لمشابهة الاسم<sup>(٨)</sup>.

و — وأنه لاجر في الأفعال<sup>(٩)</sup>.

ز — وأن اللام أضعف من العينات كما أن العينات أضعف من الفاءات<sup>(١٠)</sup>.

وقد تعرض أبو على للقراءات في العسكريات وجّهه قراءة من قرأ : ومن وراء إسحق يعقوب بالفتح، فذكر رأيين، وحكم على الأول أنه ليس بالسهل، وأن الآخر أيضاً كذلك، وإن كان الأول أخش!!

(١) نفس المصدر (٢) انظر الكتاب ٣٨٦ (٣) انظر لوحة ١٣٩

(٤) لوحة ١٣١ (٥) لوحة ١٣١ (٦) لوحة ١٣٣ (٧) لوحة ١٣٢

(٨) لوحة ١٤٠ (٩) لوحة ١٤٠ (١٠) لوحة ١٤١ (١١) لوحة ١٣٥ وانظر

موقف أبي على من القراءات التي تحالف مذهبه

وفي العسكرية قرر أبو علي أصولاً عامة تتصل .

١ — ببناء الكلمة : كقوله : « ما لم يلزم من الحروف ، وكان قلقلًا في مكانه لا يعتدون به »<sup>(١)</sup> ، وقوله : « اللامات أضعف من العينات »<sup>(٢)</sup> .

ب — وبالصناعة النحوية : مثل : موضع الضمير من المواضع التي ترد فيها الأشياء إلى أصولها<sup>(٣)</sup> ، ومثل : « الحركات التي تجب بعوامل لا تكون -ركات<sup>(٤)</sup> بناء ، والمفردة في الرتبة أسبق من المركبة<sup>(٥)</sup> »

ج — وبالأسلوب : لا يوجد في كلامهم قسم معلق غير متشبهت بمقسم عليه<sup>(٦)</sup> ، وبعض الجمل قد تقوم مقام بعض<sup>(٧)</sup> .

ولئن كان أسلوب أبي علي في كتبه يبدو فيه الغموض لأنه في العسكرية أغمض ، ذلك لأنه حشاه بمسائل المنطق ، ومسائل الخلاف ، وأهمه كذلك خروجه من تدليل إلى تدليل ، ومن اعتراض إلى آخر ، تجد ذلك شائعا في هذه المسائل وانظر مثلا صدر حديثه عن ائتلاف الكلام من الفعل والفعل ، والاسم والفعل<sup>(٨)</sup>

\* \* \*

وفي توثيق العسكرية قابلت بين نصوص وردت في كتب المتأخرين ، ونصوص وردت في العسكرية : مثال ذلك ما جاء في الجمع<sup>(٩)</sup> .

قال الفارسي في العسكرية : وما يدل على إعرابهما ( جمع المؤنث السالم في حال النصب ، وما لا ينصرف في حال الجر ) أن هذه الحركة وجبت بعامل ، والحركات التي تجب بعوامل لا تكون حركات بناء : والص في العسكرية كما جاء في الجمع<sup>(١٠)</sup> والنسخة التي أملكها خاتمة ما كتب اللبلي أحمد بن تميم بن هشام من هذه المسائل ، وهي تكبير فلم مصور لنسخة مخطوطة مودعة مكتبة شهيد علي برقم ٤/٢٥/١٦ ورقم الفلم في معهد إحياء المخطوطات بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية ٨٦٠ ، وقد شغلت هذه النسخة اللوحات من ١٣٠ - ١٤١ .

(١) لوحة ١٣٨	(٢) لوحة ١٤١	(٣) لوحة ١٣٢
(٤) لوحة ١٣٩	(٥) لوحة ١٣١	(٦) لوحة ١٣٤
(٧) لوحة ١٣٤	(٨) لوحة ١٣٣	(٩) انظر ١/١٩
(١٠) لوحة ١٣٩		



ورأيت في اللوحة الأولى في الزاوية اليسرى من أعلى عنوان الكتاب — ما نصه : نقله أحمد تميم البلي من خط ابن بلبل <sup>(١)</sup> ، وقابله به ، وكان فيه مواضع أصلح أكثرها ، وبقي فيه أشياء تحتاج إلى تأمل

وتحت العنوان في الزاوية اليسرى أيضا . د أحمد بن تميم بن هشام يفوض أمره إلى الله ، وتحت ذلك عبارة : أحمد بن عبد الله بن مكى ، وفي وسط اللوحة تقريرا خاتم كتب عليه بالثلث الواضح : بما وقف الوزير الشهيد على باشا (رحمه الله تعالى) بشرط أن لا (كذا) يخرج من خزانته .

وفي نهاية العسكريات : ما نصه : تمت المسائل العسكريات بحمد الله وعونه وكان الفراغ منها في يوم السبت العاشر من شهر جمادى الآخرة من سنة خمس عشرة وستمائة على يدى العبد الضعيف المقر بذنبه الراجى عفوربه أحمد بن تميم بن هشام البلي بمدينة السلام المحروسة على الأصل المنقول منه بخط ابن بلبل ، وكان فيه إسقاط كلمات ، وتصحيف مواضع أصلحت في نسختي هذه بعضها وقت كتابتها ، وعلمت على الباقي إلى الفراغ إلى معاودة النظر فيها إن شاء الله تعالى ، والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله <sup>(٢)</sup>.

وتجد أمثال هذه الكلمات الساقطة في نفس اللوحة على يمين الكلام السابق <sup>(٣)</sup> وكان ما استعان فيه البغدادي في خزانته بالعسكريات عشر مرات . مرة في الجزء الثالث <sup>(٤)</sup> ومرتين في الأول <sup>(٥)</sup> وثلاثا في الرابع <sup>(٦)</sup> وأربعاً في الثاني <sup>(٧)</sup>.

(١) ابن بلبل هو محمد بن عثمان بن بلبل تلميذ أبي علي ، وهو الذى روى كتابه وأذاعه  
(٢) انظر بغية الوعاة ٧٢ (٢) لوحة ١٤١

(٣) اللوحة منقسمة إلى قسمين (٤) ص ٤٦ (٥) ٩ - ١٤

(٦) ٦٧ - ٧٣ - ٨٢ (٧) ٦٢ - ٢٥٧ - ٤٠١ - ٥٥٢ وانظر اقليد الخزانة ١٠١

## البصريات

البصريات أشتات من المسائل أملاها أبو علي في جامع البصرة<sup>(١)</sup> بعضها في "صرف"، والآخر في اللغة، والثالث في النحو، وفيها يتكرر كثيرا الدعاء له بالتأييد كأن يقول: "قال أبو علي (أيده الله)"<sup>(٢)</sup>، وقد يكون هذا الدعاء من زيادة تلاميذه كالتعليقات التي كانوا يزيدونها من مثل: "قال الشيخ وقت القراءة عليه"<sup>(٣)</sup>، قلت له: ما الدليل على أن من في هذه الآي استفهام؟ (يشير إلى قوله تعالى: "فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه"، "وسوف يعلمون من تكون له عاقبة الدار"<sup>(٤)</sup>). وبعض هذه المسائل ينص على أنها إجابات لأسئلة سئل عنها، وحينئذ تصدر المسألة بقوله: "سألنا سائل"<sup>(٥)</sup>، أو سئلت عن: جاءني إخوانك كلم، واختصم أخواك كلاهما<sup>(٦)</sup> . . .

وهناك مسائل أخرى تأخذ الطابع الجدلي — اعتراض ورده — كقوله مثلا: "فإن قال قائل . . . قيل له"<sup>(٧)</sup>.

والبصريات لا تماسك فيها؛ لأنها مسائل مقطوعة من موضوعات مختلفة<sup>(٨)</sup>. وقد يبدو الارتباط بينها وأهيا<sup>(٩)</sup> كما في هذه المسائل المتتابعة.

١ — قالوا في صقع صقي . . .

ب — مسألة لما كان حذف الياء من هذيل لتغيير واحد وهو النسبة وجب أن يحذف لتغييرين في حنفى ونحوها . . .

ج — قد يقال في حانية أنه نسبة إلى الحانوت، فإن شئت قلت إنه إضافة على المعنى لا على اللفظ مثل قولهم حواء لصاحب الحية . . .

د — لا يحسن أن تقول في قاض قاضوى كما قلت في عم عموى . . .

ه — قول الخليل: لو قلت تغلبى لقلت في يشكر يشكرى وجلهم جلهمى . .

---

(١) لوحة ٤٥ (٢) انظر ورقات ٥٦، ٥٨، ٥٩ وغيرها من المسائل  
 (٣) انظر لوحة ٥٦ (٤) انظر لوحة ٦٩ (٥) انظر لوحات ٧٢، ٧٦، ٧٧  
 (٦) لوحة ٨٦ (٧) لوحة ٧٦ (٨) انظر مثلاً لوحة ٥٥، ٥٦  
 (٩) انظر لوحة ٧٩

فهذه المسائل المتابعة مرتبطة بالإضافة : النسب ، ولكن أمثال ذلك قليل وتكثر اللغويات في المسائل البصرية — حتى لتعد طابعا يميزها وأكثر ما يكون أخذه فيها عن ثعلب ، و ثعلب راوية وحافظ ، ولعل خصومة ثعلب للبرد هي التي جعلت أبا علي ينقل عن ثعلب ، ويعتد به ، وهو بالبصرة لتكون الخصومة أشد وأنكى .

وقد كانت هذه المسائل اللغوية مصدرا من المصادر التي اعتمد عليها ابن سيده في كتابه المخصص (١) .

وتدل البصريات على علم أبي علي بمذاهب الكوفيين ، وأنه درس لها ، معلق عليها ، وخبير بها (٢) ، كما هو دارس مذاهب البصريين وخبير بها ، فهو يوازن بين هؤلاء وهؤلاء ، ويعلق على مذاهبهم تعليق ناقد خبير ، فهذه — مثلا — مسألة يتفق فيها البصريون والكوفيون على السواء (٣) وهذه أخرى أحاطها أهل البصرة ، وأجازها الكسائي ، والفراء (٤) ، وهذه ثالثة أجازها المبرد في المقتضب ، ولم يختلف الكسائي ، والفراء في أن ذلك لا يجوز (٥) .

وهناك مسائل كثيرة يرى البصريون فيها رأيا ، ويرى الكوفيون غير ما يرى البصريون ، ويدلل على صحة رأى هؤلاء ، وفساد ماذهب إليه الآخرون .

فايقوله الكوفيون من أن كلا تثنيه فاسد (٦) ، وحتى تنصب الأفعال بعدها باضمار أن ، وأن معها في موضع جربحتي (٧) .

وأبو علي يهاجم الفراء في غير موضع من المسائل البصرية : يصف إنشاده بالخطأ الفاحش (٨) ، وأن ما يستشهد به ليس بحجة (٩) ، ويقسو حتى يذكر أن ما قاله الفراء هذيان (١٠) ١١

ولم أره يبلغ في مهاجمته هذا المبلغ في كتاب آخر من كتبه ، فلعله كان مدفوعا بالجو البصري الذي عاش فيه حين أملى هذه البصريات .

- 
- (١) اظفر المخصص ١٢/١ ، ١٣ (٢) اظفر مثلا ص ٦٤  
 (٣) لوحة ٨٧ (٤) لوحة ٦٥ (٥) لوحة ٧٠ (٦) لوحة ٨٦  
 (٧) لوحة ٧٥ و اظفر المسألة في الانصاف ٨٣/١ (٨) لوحة ٥٧  
 (٩) لوحة ٦٣ (١٠) لوحة ٦٣

وهو كذلك يتعقب المبرد ، ويفند آراه ، بما يدل على أنه استوعب كتاب المقتضب استيعاب متفهم مدقق ، انظر إلى قوله : « قال أبو العباس في حد الضمير من المقتضب : ، النون في فعلن ونحوه أصلها السكون ، وحركت لالتقاء الساكنين . قال أبو علي ( أيداه الله ) : « وقد خالف في هذا قولاً لنفسه في المقتضب في أبواب الرخيم <sup>(١)</sup> ، كما أنه يغلط المبرد فيما حكاه عن سيبويه <sup>(٢)</sup> ، ويصف اعتراضه على سيبويه بأنه ليس بشيء ، وأن ما حكاه عن يونس إنما هو إلزام ليس هو قوله <sup>(٣)</sup> .

وموقف المبرد من سيبويه على هذا النحو جعل أبا علي يهاجمه — على الرغم من بصريته — فقد كان أبو علي شديد الاعتداد بسيبويه ، جيد التفهم لكلامه <sup>(٤)</sup> . يعتل له <sup>(٥)</sup> ، حتى أنه ليقول : « والقول قول سيبويه <sup>(٦)</sup> .

ولأبي علي عناية بمختصر الجرمي <sup>(٧)</sup> ، ولقن هذه العناية كثيراً من تلاميذه <sup>(٨)</sup> ، ومن هنا رأيت أبا علي في البصريات يتعقب الجرمي <sup>(٩)</sup> ، ويستشهد به <sup>(١٠)</sup> ، ويروي ماقرأ عليه من كتابه <sup>(١١)</sup> ، وينقل آراه ، ويروي ما أنشد <sup>(١٢)</sup> ، ويفسد حيناً قوله <sup>(١٣)</sup> ويدفع ما اعترض به عليه <sup>(١٤)</sup> .

\* \* \*

والقاريء للبصريات يلحظ كثرة الشواهد <sup>(١٥)</sup> ، ومعظمها من الشعر القديم : جاهليه وإسلاميه ، ويحرص أبو علي في روايتها على نسبتها إلى أصحابها ، وكذلك يستروح القاريء نفحة الأدب في الأخبار الأدبية <sup>(١٦)</sup> ، وفي التفسيرات التي تتعلق بأقوال الشعراء <sup>(١٧)</sup> . وهو حين يفسر الآيات يفسرها تفسيراً قائماً على الإعراب والصناعة النحوية <sup>(١٨)</sup> .

- 
- (١) انظر لوحة ٦٧ (٢) لوحة ٧٩ (٣) انظر لوحة ٧٥ (٤) لوحة ٧٤  
 (٥) لوحة ٥٩ (٦) لوحة ٦٠ (٧) انظر نزعة الألباء ١٠١  
 (٨) انظر في الفصل المعقود لتلاميذه — ترجمة الربيعي مثلاً (٩) لوحة ٨٣  
 (١٠) لوحة ٨٤ (١١) لوحة ٨٣ (١٢) لوحة ٥٩ (١٣) لوحة ٥٧  
 (١٤) انظر دفاعه عن سيبويه في إعراب الآية : أيديكم أنكم إذا تم وكنتم تراباً وعظاماً  
 أنكم يخرجون ( لوحة ٧٤ والآية في الكتاب ٤٦٧/١ )  
 (١٥) لوحة ٥٧ (١٦) لوحة ٦٢ (١٧) لوحة ٦٤  
 (١٨) انظر مثلاً لوحة ٥٨، ٦٤، ٦٩ ثم انظر لوحة ٦٨ في شرح بيت للنسر بن نول

وحرص أبو على على نسبة الشواهد إلى أصحابها نزعة بصرية، فالبصريون لا يثقون إلا بالشعر المنسوب إلى قائله — وأحياناً يعرف أبو على بالشاعر، وينص على أنه جاهل إسلامي .

ومن أنشد أبو على لهم، الرياشي، والكميت<sup>(١)</sup>، وأبو كبير، والعجاج، وليبد<sup>(٢)</sup>، وطرفة<sup>(٣)</sup>، والفرزدق، والأخطل<sup>(٤)</sup>، وكثير<sup>(٥)</sup>، وحسان بن ثابت<sup>(٦)</sup>، وامرؤ القيس<sup>(٧)</sup>، والأسود بن يعفر<sup>(٨)</sup>، وابن مقبل<sup>(٩)</sup>، والراعي<sup>(١٠)</sup>، والنمر بن تولب<sup>(١١)</sup>، والشنفرى<sup>(١٢)</sup>، والأعشى<sup>(١٣)</sup>، وعنترة<sup>(١٤)</sup>. وما ينشده يرويه — قى الغالب — عن ابن دريد<sup>(١٥)</sup>، وأبي الحسن على بن سليمان الأخفش<sup>(١٦)</sup>، وأبي زيد في النوادر<sup>(١٧)</sup>. وما ينشده ثعلب في نوادر اللحياني<sup>(١٨)</sup>، أو نوادر ابن الأعرابي<sup>(١٩)</sup>، وأبي عمرو<sup>(٢٠)</sup>، وما يصحبه هو من الشواهد على ما يقول<sup>(٢١)</sup>. وربما كانت المسألة مجرد إنشاد شاهد من شواهد الكتاب، ونسبته إلى قائله ولا يزيد، وهي من هذه للتأحية توثيق لهذه الشواهد، وتوثيق لنفسيتها إلى قائلها كما وصلتنا. قال: مسألة: أنشد أبو عمر بيت الكتاب: وجدنا الصالحين لهم جزاء<sup>(٢٢)</sup>. وقال: هو لعبد العزيز بن زرارة الكلبي<sup>(٢٣)</sup>. ويبدو من تعبير الفارسي أن هذا البيت لم يكن منسوباً إلى الكلبي، في نسخ الكتاب الأولى، وأن الذي نسبته أبو عمر الجرمي<sup>(٢٤)</sup>.

وترى في البصريات قصيدة يزيد بن الحكم بن أبي العاصي الثقفي لأخيه من أبيه وأمه عبد ربه بن الحكم التي أولها:

تكاشرني كرهاً كأنك ناصح وعينك تبدى أن صدرك لى دوى  
وقد بلغت في البصريات تسعة وعشرين بيتاً على حين أن القالى أنشدها عن  
شيوخه في سبعة عشر بيتاً<sup>(٢٤)</sup>.

وفي البصريات تدليل على ما يذهب إليه أبو على من مسائل النحو.

(١) فالفعل مع الفاعل يجرى بجرى الشيء الواحد<sup>(٢٥)</sup>.

(١) لوحة ٨٤ (٢) لوحة ٧٨ (٣) لوحة ٥٨ (٤) لوحة ٧ (٥) لوحة ٦٦

(٦) لوحة ٦٢ (٧) لوحة ٥٦ (٨) لوحة ٨٩ (٩) لوحة ٥٧ (١٠) لوحة ٧٨

(١١) لوحة ٦٨١ (٢) حقه ٥٧ (١٣) لوحة ٥٧ (١٤) لوحة ٥٥

(١٥) انظر مثلاً لوحة ٥٧ (١٦) لوحة ٥٧ (١٧) لوحة ٧٤

(١٨) لوحة ٧٢ (١٩) لوحة ٦١ (٢٠) لوحة ٥٩ (٢١) لوحة ٦٨ (٢٢) لوحة ٥٩

(٢٣) الشاهد منسوب إلى عبد العزيز الكلبي في النسخة المطبوعة ببولان ١٣١٦/١ ١٤٦١

(٢٤) انظر أمالي القالى ٦٨/١ (٢٥) لوحة ٦٥

(ب) وفاسد ما يحكيه بعضهم من أن قوماً يجيزون ما أظننى لزيد قائماً<sup>(١)</sup> .  
 (ح) قوله تعالى: وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي . من كسر إن ، لم يجز أن  
 ينصب امرأة بأحلتنا<sup>(٢)</sup> . ( و ) ما بعد جرف الاستثناء لا يعمل فيما قبله<sup>(٣)</sup> .  
 ( هـ ) نعوت المعارف حكمها أن تكون أعم منها<sup>(٤)</sup> .  
 وأحياناً يهدى أبو على إلى الأساليب العربية الصحيحة التي تتفق مع الصناعة  
 النحوية، ويدلل على صحة جوازها، أو يحذر استعمالها مع الاحتجاج لما يقول: فلا يجوز:  
 ( ا ) مرت بزيد وجاءني عمرو الظريفان<sup>(٥)</sup> . ( ب ) عسى زبد قد قام<sup>(٦)</sup> .  
 ( ج ) ما زيد قائماً بل قاعداً<sup>(٧)</sup> .  
 ويجوز: ضربت زيدا ضربة وعمراً قتلتهما<sup>(٨)</sup> . وما أدرى أقام أو قعد تجرى  
 بأو دون<sup>(٩)</sup> أم .

وفي البصريات تظهر النزعة المنطقية والجدل ، والتعليل الفلسفي<sup>(١٠)</sup> وكل ذلك  
 قد اشتهر به رجال المدرسة البصرية .

واستعانة البغدادى بالبصريات بلغت في الأجزاء الأربعة من الخزانة تسع عشرة  
 مرة : خمس منها في كل من الجزئين الأول والثالث ، وست في الجزء الرابع ، وثلاث  
 في الجزء الثاني<sup>(١١)</sup> .

والمسائل البصريات ضمن مجموعة مسائله التي قام معهد إحياء المخطوطات العربية  
 بتصويرها<sup>(١٢)</sup> ، وتشغل من اللوحة الثالثة والخمسين إلى اللوحة الثامنة والثمانين من  
 هذه المجموعة ويلاحظ :

( ا ) أن بهذه النسخة نقصاً<sup>(١٣)</sup> ، فالكلام لا يرتبط بمعنى مفهوم بين الصفحة  
 اليمنى واليسرى .

( ب ) وأن فيها تكراراً<sup>(١٤)</sup> . ( ح ) كما أن فيها متروكا — بياضاً<sup>(١٥)</sup> ،  
 ( د ) كما أن فيها مطموساً<sup>(١٦)</sup> . ( هـ ) وأحياناً يورد السؤال ولا يجيبه<sup>(١٧)</sup> .  
 وانتقل بعد ذلك إلى نوع آخر من مسائل الشيخ :

(١) لوحة ٨٢	(٢) لوحة ٨١	(٣) لوحة ٨٠	(٤) لوحة ٧٨
(٥) لوحة ٧٩	(٦) لوحة ٧٥	(٧) لوحة ٨٠	(٨) لوحة ٧٦
(٩) لوحة ٧٦	(١٠) انظر اللوحات ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٧٣		
(١١) انظر ١٠١	إقليد الخزانة (١٢) ف رقم ٨٦٠ (١٣) انظر لوحة ٥٦ ، ٥٨		
(١٤) انظر لوحة ٥٧	(١٥) لوحة ٦١ و ٥٩ (١٦) انظر لوحة ٨٢		
(١٩) انظر المسألة الأولى	لوحة ٨٥		

## الحليات

قدم أبو على حلب سنة ٣٤١<sup>(١)</sup> هـ وعاصر فيها أميرها الحمداني سيف الدولة ، وكان أبو على أحد أولئك العلماء الذين داروا في فلك ذلك الأمير العربي ، وإن حفت إقامته في بلاط سيف الدولة بالمكاره بسبب هذا التنافس الذي يكون بين العلماء المتعاصرين من ذوى الطبقة الواحدة .

\* \* \*

والجزء الباقي من الحليات يحوى ست عشرة مسألة أصلية ، صدرت كل منها بكلمة « مسألة » ، أما أن اعتبرت ما تضمنته هذه المسائل الأصلية من مسائل أخرى فرعية تتصل بالتفسير واللغة والنحو والصرف والهجاء — فإن مسائل الحليات تقرب من الستين .

\* \* \*

والحليات كأخواتها — لا ترابط بين مسائلها في الأعم الأغلب ، هذه مسألة ذات طابع لغوى : قولهم للعبد رقتك حر ، ورأسك حر ، وفرجك حر ، وقولهم يدك حر<sup>(٢)</sup> ، بجانب أخرى صرفية وتلك : فى الداء والدواء ولغة ذلك وتصرفه وجمعه<sup>(٣)</sup> . وقد يبدو الترابط بين بعض مسائل الحليات كالباب الذى عقده ، لأبنية الأفعال<sup>(٤)</sup> فقد تحدث عن الأبواب الآتية متتابعة .

- (أ) باب أبنية الأفعال الثلاثية الصحيحة التى لا زيادة فيها<sup>(٥)</sup> .
- (ب) تسكين عين فَعِلَ وفَعِلَ فَعُلَ تخفيفاً ، وكون عينه إذا كانت حرف حلق كان فيه أربع لغات<sup>(٦)</sup> .
- (ج) باب أبنية الأفعال الثلاثية المعتلة التى لا زيادة فيها<sup>(٧)</sup> .
- (د) باب ما كانت الياء فى أوله نحو (يمن ويمن ، ويسرويسر ، وينع وينع)<sup>(٨)</sup> .
- (هـ) باب ما كانت الياء الواو فى ثانيه<sup>(٩)</sup> .
- (و) باب ما كانت الواو والياء فى ثالث : غزا ورمى<sup>(١٠)</sup> .
- (ز) باب التضعيف<sup>(١١)</sup> .

\* \* \*

(١) ابن خلكان (وفيات الأعيان ١/٣٦١) (٢) الحليات ١٠ (٣) المصدر السابق ١٧

(٤) ٨٧ (٥) ٨٨ (٦) ٩١ (٧) ٩٢ (٨) ٩٤ (٩) ٩٥ (١٠) ٩٦ (١١) ٩٩

وبعض هذه المسائل معقود لسيف الدولة بخاصة ، يذكر ذلك صريحاً في المسألة التي صدرها بقوله : « قرأ ( أطال الله بقاء سيدنا الأمير سيف الدولة ) عبد سيدنا الرقعة النافذة من حضرة سيدنا<sup>(١)</sup> . . . »

وفي غضون هذه تقرأ لأبي علي : « وقد ذلك على ذلك — يشير إلى أن أناساً ليس بجمع تكسير ، وليس بجمع لإنسان — في رقعة نفذت من قبل .

ولإذن فقد كانت هناك كتب متبادلة في مسائل علمية بين سيف الدولة وأبي علي يجعل بعضها أبو علي في الحلبيات .

وبجانب هذه الإشارات الصريحة — أخرى أرجح أنها لسيف الدولة ، وإن لم يذكر أبو علي ذلك صدرت مسائل خمس بهذه العبارات :

(١) وقفت ( أعزك الله ) على ما ذكرته من فصل محمد بن قوهم للعبد : رقبته حر ، ورأسك حر ، وفرجك حر ، وبين قوهم يدك حر<sup>(٢)</sup> . . .

(ب) سألت ( أعزك الله ) عن إعراب قوله تعالى : « إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً<sup>(٣)</sup> .

(ج) ذكرت ( أعزك الله ) إشكال الباب المترجم بباب ما ينتصب من الأسماء والصفات لأنها أحوال تقع فيها الأمور ، وسأكتب من ذلك مما رويته ورأيت ما يكون معيناً على معرفته بعون الله<sup>(٤)</sup>

(د) سألت « أعزك الله ، فقلت . . . .<sup>(٥)</sup>

(هـ) ذكرت ( أعزك الله ) الاسكرجة ، وهل لها اشتقاق ؟ وهل الحمزة فيها أصل أم لا ؟ وكيف تصغيرها ؟<sup>(٦)</sup>

ولم أجد ما يعين المخاطب في هذه المسائل على التحديد ، وإن كنت أرجح أنها لسيف الدولة بقرينة ذلك الخطاب الصريح إليه ، وأن الدعاء بالعزة تقليد يتوجه به إلى الرؤساء بمن هم من طبقة سيف الدولة من الأمراء ، أقول هذا وإن كان ذلك الترجيح لا يصل عندى إلى درجة اليقين .

وبجانب هذه الإشارات أخرى تدل على أن هذه المسائل لإجابات عن أسئلة وجهت إليه من عامة الناس أيضاً من ذلك : سألنا سائلاً قديماً<sup>(٧)</sup> ، وسأل سائلاً . . .<sup>(٨)</sup>

(١) الحلبيات ١١٤، ١١٣ (٢) المسائل الحلبية ص ١٩٢ تيمور رقم ٢٦٦  
(٣) المصدر السابق ١٠٢ (٤) نفس المصدر ١٣٠ (٥) نفس المصدر ٢٧٠  
(٦) نفس المصدر ٢٨٣ (٧) ٢١٦ (٨) انظر ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٨



والنتيجة العامة لذلك كله أن أبا علي مسئول مستقى في المهمات النحوية ،  
واللغوية ، والإعرابية التي تعرض للناس خاصتهم وعامتهم .

ثم إن الحلييات تلقى ضوءاً على الصلة التي كانت بين سيف الدولة والعلباء  
في عصره بعامة ، وبينه وبين أبي علي بخاصة ، وهو أمر لم يتنبه له الباحثون ممن  
أفردوا سيف الدولة بمجهود على خاص .

وأبو علي في الحلييات يورد ما سأل أحمد بن موسى في القرامات <sup>(١)</sup> ، ويحكي  
عن محمد بن السرى <sup>(٢)</sup> والتوزى <sup>(٣)</sup> ويعقوب <sup>(٤)</sup> وأبي زيد <sup>(٥)</sup> والخليل <sup>(٦)</sup>  
وسيبويه <sup>(٧)</sup> ويونس <sup>(٨)</sup> وأبي عبد الرحمن صاحب الاخفش <sup>(٩)</sup> وأبي عثمان <sup>(١٠)</sup>  
ويذكر ابن حبيب <sup>(١١)</sup> كما يذكر محمد بن يزيد ويشير إلى أنه أطلع على كتابه لإعراب  
القرآن ، ويرميه بالسب <sup>(١٢)</sup> .

ويحتج بشواهد الشعر التي نسب الكثير منها : نسب إلى الأعشى <sup>(١٣)</sup> ،  
وابن هرمة <sup>(١٤)</sup> ، ومحمد بن ثور <sup>(١٥)</sup> ، والحجاج <sup>(١٦)</sup> ، وحسان بن ثابت <sup>(١٧)</sup> ، وأوس <sup>(١٨)</sup>  
وطرفة <sup>(١٩)</sup> ، وعلي بن الغدير الغنوي <sup>(٢٠)</sup> ، وقيس بن الخطيم <sup>(٢١)</sup> ، وابن مقبل <sup>(٢٢)</sup> ،  
والكميت <sup>(٢٣)</sup> وجريز <sup>(٢٤)</sup> ، والفرزدق <sup>(٢٥)</sup> ، وذى الرمة <sup>(٢٦)</sup> .

\* \* \*

ونسبة هذه الشواهد إلى قائليها مظهر من مظاهر أمانته العلمية ، فإن شك رأيته  
يقول — مثلاً — قال الحجاج أو رؤية <sup>(٢٧)</sup> ، وقال أبو كبير أو غيره من  
الهذليين <sup>(٢٨)</sup> . ومن ذلك قول النابغة الجعدي أو غيره من القدماء <sup>(٢٩)</sup> .

\* \* \*

وأبو علي ينشد ما أنشد أحمد بن يحيى <sup>(٣٠)</sup> ، وأبو الحسن <sup>(٣١)</sup> ، والأصمعي <sup>(٣٢)</sup>  
ويروى ما ذكره بعض العرب ، وأردت أن تدممه فدهته <sup>(٣٣)</sup>

\* \* \*

- 
- (١) الحلييات ٢٦٦ ، ٣٦٠ نحو تيمور (٢) ص ٢ (٣) ص ٥٢٣ (٤) ص ٢  
(٥) ص ٩٢٣ (٦) ص ٢٦ (٧) ص ٦ (٨) ص ٣٨٥ (٩) ص ٣  
(١٠) ص ١١ (١١) ص ٩٣ (١٢) ص ٤ (١٣) ص ٨٢ (١٤) ص ٨٢  
(١٥) ص ٩٩ (١٦) ص ٩٢ (١٧) ص ٥ (١٨) ص ٧ (١٩) ص ٩  
(٢٠) ص ١٤ (٢١) ص ١٧ (٢٢) ص ٣٧ ، ٤٠ (٢٣) ص ٥١ (٢٤) ص ٥١  
(٢٥) ص ١٠٠ ، ٣٠ (٢٦) ص ٢٢٢ (٢٧) ص ٦ (٢٨) ص ١١ (٢٩) ص ١١٧  
(٣٠) ص ٨٢٠ ، ٢٢٢ ، ٧ (٣١) ص ١٦ (٣٢) ص ١٢ (٣٣) ص ٩٦

ورأيت أبا علي يحتج بالحديث الشريف في مسائل<sup>(١)</sup> النحو، كما رأيته يحتج به كذلك في مسائل<sup>(٢)</sup> اللغة .

وهو حين يستشهد بالحديث غالباً ما يورده موثقاً بالاسناد المتصل ، وأعانه على ذلك أنه محدث ، وكأنه بذلك التوثيق يدعونا إلى الاطمئنان لمكانة الحديث في الاحتجاج والاستشهاد .

ويتعرض أبو علي في الحلبيات إلى شرح الألفاظ فلا يخرج عن طريقته التي عرفت عنه في كتبه وبخاصة كتاب الحجة : ويعتمد في تفسير اللفظ على محفوظه من القرآن والحديث ، وما أنشده الأئمة ، وما يرويه هو ، وتنداعى عنده الألفاظ القرآنية ذوات المادة الواحدة ، ففي شرحه للسبيل - مثلاً - ذكر أن السبيل في اللغة الطريق الذي هو عمر ومدرج ، واستدل على ذلك بما أنشده سيويه<sup>(٣)</sup> ، وقالوا للذين يسلكونه سبل ، وقياس واحد ، سابل ، واستشهد بما قال العجاج أو رؤبة ، وفسر ابن السبيل بمعنى صاحب ، وبين أن كلا من (أخ ، وأم ، وأب) يستعمل بهذا المعنى ، واستشهد على ذلك بما جاء في القرآن ، وبما أنشد أحمد بن يحيى ، وذو الرمة ، وسيدييه ، وأوس ، ثم قال : ومثل السبيل في أنه المدرج والطريق قولهم : الصراط واستدل بقوله تعالى : « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ، ثم قرر أنه اتسع في السبيل حتى قيل في المعتقدات والآراء في الديانات وغيرها واستشهد بالآي :

« ولأن يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً ، ولأن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ، و « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة . »

« وقال في قوله تعالى : يهديه الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ، أى طرق الجنة ودلل على ذلك

وقوله تعالى : « سبيل السلام » ، لما أن يراد به سبيل دار السلام كما قال : « لهم دار السلام عند ربهم ، أو سبيل السلام أى طرق السلامة التي يسلم سالكها من أن يعذب أو يعاقب . ويجوز أن يكون السلام اسم الله تعالى كما جاء سبيل وصراط الله فإذا كان على

هذا الوجه بعد أن يكون المراد به الطريق الذي هو عمر ، لأن هذا التقييد قد صار فيه كالامارة للإيضاح ، ويكون المعنى حينئذ كقوله تعالى : « والذين اهتدوا زادهم هدى ، ثم بين أنه كما يقال للغريب ابن السبيل فنسبوه إلى الطريق قالوا فيه : ابن أرض ،

لأن الطريق ضرب منها ، واستشهد بما أنشده أبو زيد وبما روى عن طرفة ، رأيت  
بنى غبراء لا يشكروني<sup>(١)</sup>  
وهكذا أعانه على التفسير اللغوى حافظه قوية واعية لآى القرآن الكريم  
وشواهد الشعر ، مع قوة الإستحضار ، وانثيال المعانى وتداعيا .

\* \* \*

وترى فى المثال السابق نزعة الاستطراد وإن كان يبدو خفيفاً ، وحيناً يتعلق بما  
يعرض خلال حديثه عن المسألة بما هو متصل بها إتصالاً بعيداً .  
عقد مسألة فى رأى وما تصرف منه<sup>(٢)</sup> ثم جره الاستطراد إلى الكلام فى أن  
أصل ( لن ) لا أن<sup>(٣)</sup> ، وجره الحديث إلى الكلام فى الإمامة<sup>(٤)</sup> والكلام فى  
المجموع<sup>(٥)</sup> ، وذكر رأيه فى قوله : وتلك الغرائقة العلى<sup>(٦)</sup> والكلام على قول الشاعر :  
وتضحك منى شـيخة عبشمية كأن لم ترى قبلى أسيراً يمانياً<sup>(٧)</sup>  
وساق كلاماً فى إسكان عين الفعل الماضى الثلاثى<sup>(٨)</sup> وآخر فى إلحاق الهاء بآخر  
فعل الأمر المعتل بعد حذف لامه<sup>(٩)</sup> ، وذكر الاختلاف فى كتابة آخر المقصور  
بالياء والالف<sup>(١٠)</sup> .

\* \* \*

وفى الخليات قدر صالح من الصرفيات ، والتوجيه الإعرابى ، وقد رأيت يحكم  
نزعة الاعتزال عنده فى ذلك التوجيه ليتفق مع عقيدة المعتزلة وما يقولون :  
قال : فأما ما روى من قوله : « ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر » ، فإن قال  
قائل : ما تشكرون أن يكون ذلك من الروية التى هى إدراك الحاسة ، لأنه تعدى إلى  
مفعول واحد ، وتلك الأخرى تعدى إلى مفعولين ، فالقول أن هذه أيضاً ليست  
التى هى إدراك البصر ، وإنما جازألا يذكر المفعول الثانى الذى تقتضيه المعتدية  
إلى المفعولين ، لأن الكلام قد طال بما هو معنى المفعول الثانى لو أظهر ، ألا ترى أن قوله :  
كما ترون القمر ليلة البدر إنما هو تأكيد وتشديد للتيقن والتبديد من اعتراض الشبه  
على العلم به تعالى ، فإذا كان كذلك كان بمنزلة ذكر ما هو بمنزلة المفعول الثانى إذا جرى  
ذكره فى الصلات نحو علمت أنا زيد منطلق وأحسب الناس أن يتركوا ، فكما سد ما جرى  
فى الصلوتين مسد المفعول كذلك سد ما بعد المفعول الأول فى الحديث مسد المفعول .  
ويحتمل وجهاً آخر ، وهو أن يكون المعنى ترون علم ربكم كروية ليلة البدر ،  
فالمبتدأ الذى دخل عليه الذى هو بمنزلة علمت المتعدية إلى مفعولين علم ربكم كروية

(١) انظر الخليات من ٦-١٠ (٢) ٢٣ (٣) ٢٦ (٤) ٢٨ (٥) ٣٣  
(٦) ٥٧ (٧) ٦١ (٨) ٦٤ (٩) ٦٦-٦٥ (١٠) ٦٨-٧٢

ليلة البدر، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، فيكون المعنى أنه قد شبه العلم بالقديم سبحانه في الآخرة بما يحس حساً بيناً لارتفاع الشبه العارضة في دار البلوى والمحنة هناك وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه من الكثرة بحيث لا يحتاج إلى الإكثار في الاحتجاج له لتقرره عند المبتدئين فكيف من جاوزهم<sup>(١)</sup>. وهكذا تدفع أبا على عقيدته إلى هذا التوجيه الإعرابي، في هذا التأويل، ثم يبلغ في ذلك الاحتجاج مداه بأن يقول: وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه من الكثرة... وأن ذلك من الأوليات المقررة عند المبتدئين:

\* \* \*

وبحاجب هذا التوجيه الإعرابي القائم على العقيدة — تعليل يعتمد على الحس النفسى، وطبيعة الإنسان، وما يختلج في صدره من عواطف:

قال: فأما النظر في نحوه قوله تعالى: ولا ينظر إليهم، فقال أبو الحسن الأخفش أنه كقول الرجل إنما أنظر إليك إذا كان يذله شيئاً فليس حقيقة النظر عندى في الرؤية، وإن كان يجوز أن يقع عليها في الاتساع لما كان قلب العين نحو المبصر بدلالة قول ذى الرمة:

قيامى هل يجزى بكأى بمثله مراراً وأنفاسى إليك الزوافر

وأنى متى أشرف على الجانب الذى به أنت من بين الجوانب ناظر

فاقتضاؤه الجزاء على ذلك يدل على أنه ليس بأبصار، وأنه علاج بمنزلة البكاء والتنفس ونحو ذلك، واقتضى الجزاء عليه كما اقتضى عليها، ولو كانت رؤية لم يسغ ذلك فيها، لأن المحب لا يقتضى من يحبه على رؤيته له جزاء، بل الأمر بعكس ذلك. ألا ترى أن أبا العباس أنشد:

إذا كلمتني وكلمت عيـنى بعينك فامنـى ما شئت منى

فإن قلت: فقد اقتضى على زور طيفه الجزاء، وهذا ما يشتهيه المحب، ويريد، فما تنكر أن يقتضى على الرؤية، وإن كان يحبها، فإن هذا لا يستقيم ويكون بمنزلة الرؤية لأن ذلك مما يهيج من شوق المحب. ألا ترى قوله: يا عبد مالك من شوق ليراق، فقول ذى الرمة:

وإنى متى أشرف على الجانب الذى به أنت من بين الجوانب ناظر  
مثل قوله:

على أننى فى كل سـير أسيره وفى نظرى من نحو أرضك أصور  
إنما هو للتلفت إلى الجهة التى هى فيها

وأخذ بعض المحدثين هذا فقال :

ماست ميلا ، ولا جاوزت مرحلة إلا وذكرك بلوى دانيا عنق  
ويدل على ذلك قوله : أنشد عن المفضل :

وَحُمِلَتْ مِنْهَا عَلَى نَأْيِهَا خَيْالًا يُوَافِي . وَنَيْلًا قَلِيلًا  
وَنَظْرَةً ذِي شَيْخٍ وَامِقٍ إِذَا مَا الرُّكَّابُ جَاوَزْنَ مَيْلًا  
فَالنَّظْرَةُ هُنَا لَا تَكُونُ الرُّؤْيَا لِأَنَّمَا هُوَ التَّلَفُّفُ لَا تَرَى أَنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ .

ورؤية ذي شيخ وامق إذا ما الركائب جاوزن ميلا ؟  
لأن الركائب إذا جاوزن ميلا لم ير الذي جاوزن به ما هو على هذه المسافة<sup>(١)</sup>  
وهكذا يدل هذا النص على مشاركة أبي علي في هذه الدراسة الأدبية ، إلى جانب  
دلالته على استبدائه بالطبيعة الانسانية ، ومنهجه في شرح الآيات : يتفهم الجو  
الذي أحاط بالشاعر ، ويستعين به على التفسير والتوجيه .

ومن مظاهر ثقافته الفقهية في الحلبيات ما ذكره من استدلال أبي يوسف  
بقوله تعالى :

« إِنَّا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ، — عَلَى جَوَازِ  
الاجتهاد من النبي ( صلى الله عليه وسلم ) »

ويتعرض أبو علي في الحلبيات لرسم الحروف ، فهو يدل على أن الصواب  
في كتابة رآه ورماه وما أشبه ذلك أن يكتب بالالف دون الياء<sup>(٢)</sup> ويقول : إن الخط  
يجرى مجرى اللفظ لقيامه مقامه وكونه بمنزلة<sup>(٣)</sup> ، وأراه بذلك يهاجم رسم المصحف  
وما جرى عليه الكاتبون ، ذكر حجته ، ثم فندها ، ودل على ما يرى في جدل  
ومنطق بذكر الاعتراضات وردّها :

قال : ما كان من الواو على ثلاثة أحرف فلا اختلاف في كتابته بالالف اسما  
كان أو فعلا . . . وما كان من الياء فالكتاب وكثير من غيرهم يكتبونه بالياء  
وإن كان في اللفظ ألفا كالمنقلب عن الواو ، وقالوا إنما كتبناه بالياء لفصل بذلك بين  
ما كان منقلبا من الواو . . . فقبل لهم . أرايتم إن كتبتم ما كان من الياء بالياء ،  
وإن لم يكن في اللفظ كذلك لتدلوا على أن الأصل فيها الياء ، هلا كتبتم ما كان بالواو  
أيضا بالواو لتدلوا على أن الأصل الواو .

فان قالوا : « اتباعا الفصل في أحد النوعين يعلم به أن الآخر على خلافه . . . »

قيل لهم : فهلا أجريتم ذلك على عكس ما فعلتموه فرددتم ذوات الواو إلى الأصل دون ذوات الياء فككتبتموها بالواو ، كما كتبتم ذوات الياء بالياء فلم يعلم في ذلك فصل بين ، فإذا كان الأمر على هذا فالقياس أن يعتبر في ذلك اللفظ فيكتب على ما عليه اللفظ ، ولا يعتبر الأصل المنقلب<sup>(١)</sup> عنه . . . ثم ضرب أمثلة متعددة في نقص واستيعاب . . . وانتهى إلى أن القياس في رمي ورأى أن يكتب بالآلاف دون الياء

ويحتج أبو على لما يذهب إليه في المسائل النحوية والصرفية واللغوية والإعرابية والهجائية .

وقد سبق أن عرضت لرأيه في رسم اليائ من الأفعال الثلاثية بالآلاف وتدليله على ذلك .

ونجد تدليلا على المسائل النحوية في الاحتجاج — مثلا — لأصل ( لن ) لا أن<sup>(٢)</sup> ، وكيف أعرب اثنا عشر من بين سائر الأعداد التي بين العشرة والعشرين<sup>(٣)</sup> . ومثال الاحتجاج للمسائل الصرفية ما أورد من الكلام في وزن آمين<sup>(٤)</sup> .

وشاهد ما احتج فيه للمسائل اللغوية حديثه عن تأويل أسماء كتاب الله : ( ١ ) القرآن<sup>(٥)</sup> ( ب ) الفرقان<sup>(٦)</sup> ( ج ) الكتاب<sup>(٧)</sup> .

كما احتج لما يراه من التوجيه الإعرابي : تعرض لإعراب قوله تعالى : « إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم » ، ودلل على أنه لا يجوز أن يكون قوله : وأقرضوا الله معطوفا على الفعل المقدر في الموصول الأول على أن يكون التقديران الذين صدقوا وأقرضوا الله<sup>(٨)</sup> ورأى أن تجعل اعتراضا بين الصلة والموصول . ورجح ذلك واستشهد عليه<sup>(٩)</sup> .

وهناك ميزة تنفرد بها الحلييات ، تلك هي التعرض للكلمات الأجممية ، والبحث فيها من حيث ترجمتها ، ووزنها ، واشتقاقها وتصريفها .

(١) ٧٢-٦٨ (٢) ٢٦ (٣) ٢٤٧ (٤) ٨ وانظر من ص ٢٦٥-٢٨٣  
(٥) ٢٢٧ (٦) ٢٣٩ (٧) ٢٤٢  
(٨) ١٠٢ (٩) ١٠٤

أكان ذلك لأنه في بيئة عربية خالصة — بيئة سيف الدولة بحلب ، فالتقى عليه ما ألقى بما يتصل بفارسيته ؟ إذ أن الذى أتاح لهذه الفارسيات أن تظهر في الحلبيات سؤال وجه إليه من سيف الدولة عن « الاسكرجة » وهل لها اشتقاق ؟ وهل الهمة فيها أصل أم لا ؟ وكيف تصغيرها ؟

فأجاب أبو على السؤال ، وجره الكلام على عادة الاستطراد عنده — إلى الحديث عن الكلمات الاعجمية من أسماء الأشخاص ، والبلدان والأشياء ، وبين أنواع الأسماء الاعجمية المعربة ، ما نقل منها معرفا ، وما نقل منها منكورا<sup>(١)</sup> : وتعرض لوزن كل من أرجان<sup>(٢)</sup> وإيوان<sup>(٣)</sup> وذكر سبب تسمية الأبله بذلك ، وكذلك سبب تسمية القدس بأورى شليم<sup>(٤)</sup> ، وتحدث عن تصغير باذنجان<sup>(٥)</sup> وذكر الأترج والاسكفة<sup>(٦)</sup> . والإبريق ، والآجر ، والإبريسم<sup>(٧)</sup> وأرمينية<sup>(٨)</sup> وأسك<sup>(٩)</sup> وأرند ( اسم نهر )<sup>(١٠)</sup> فجاء حديثه في ذلك جامعا مقنعا بما يعد مرجعا ، لأنه استقصى حتى ليعتذر من أنه ترك الحديث عن أستاذ ، وأسوار ، فنبه إلى أنه ذكرهما في المسائل المصلحة من كتاب أبي اسحق<sup>(١١)</sup> .

\* \* \*

ولا بد للباحث في الحلبيات — أن يتعرض بالدراسة لرسالة طويلة كتبها أبو على إلى سيف الدولة ، ذلك لأنها تلقى ضوءا على جوانب مختلفات من حياة أبي على في حلب : كيف كانت علاقة أبي على بابن خالويه ؟ وكيف كانت منزلة أبي على عند سيف الدولة ؟ وكيف عاش أبو على هذه الحقبة التي قضاه في حلب ؟ والرسالة لا تجيب هذه الأسئلة في صراحة ، ولكنها تومئ إلى الإجابة بإيماء ، لتستنتج منها استنتاجا .

أما الأمر الصريح في هذه الرسالة فهو الجدول العلوى ، الذى كان يجرى في بلاط سيف الدولة بين العلماء في ذلك الحين ، وما يتيح ذلك الجدول من تعليق على ما دار في المجلس يرسل به سيف الدولة إلى هذا العالم أو ذاك ، ويرد العالم عنه عادة الهجوم ، وهكذا تبادل الرسائل في مختلف المسائل ، وكان من بينها رسالة بعث بها أبو على

(١) ٢٨٣ (٢) ٢٩٤ (٣) ٢٩٦ (٤) ٢٩٨

(٥) ٣٠٦ (٦) ٢٩٠ (٧) ٢٩٤ (٨) ٢٩٣ (٩) ٢٩٠

(١٠) ٢٩٧ (١١) ٣٠٣

إلى سيف الدولة جواباً عن كتاب ورد عليه منه ، يرد فيه على ابن خالويه<sup>(١)</sup> .  
وفي الرسالة عناصر ثلاثة متميزة :  
أولها : بيان مكانة أبي على من علماء عصره .  
ثانيها : دفاع أبي على عن نفسه برد ما نسبته إليه ابن خالويه .  
ثالثها : خلوصه بعد الدفاع — إلى الهجوم على ابن خالويه بتفنيد آرائه ،  
وبيان وجه الخطأ فيها .

\* \* \*

فما يشهد للعنصر الأول قول ابن خالويه : « لوبقى أبو على عمر نوح ما صلح  
أن يقرأ على السيرافي » . وعلق أبو على فقال : أن ابن بهزاز السيرافي يقرأ عليه  
الصبيان ومعلوم ، ، أفلا أصلح أن أقرأ على من يقرأ عليه الصبيان ؟ هذا ما لا  
خفاء به . كيف وهو ( يريد ابن خالويه ) قد خلط فيما حكاه عني ، وأنى قلت :  
« أن السيرافي قد قرأ على ، ولم أقل هذا إنما قلت : « تعلم مني ، أو « أخذ عني ، هو  
وغيره ، بمن ينظر اليوم في شيء من هذا العلم ، وليس قول القائل : « تعلم مني ،  
مثل « قرأ على ، ، لأنه قد يقرأ عليه من لا يتعلم منه ، وقد يتعلم منه من لا يقرأ  
عليه ، وتعلم ابن بهزاز مني في أيام محمد بن السري وبعده — لا يخفى على من كان  
يعرفني ويعرفه كعلي بن عيسى الوراق ، ومحمد بن أحمد بن يونس ، ومن كان يطلب  
هذا الشأن من بني الأزرق الكتاب وغيرهم ، وكذلك كثير من الفرس الذين كانوا  
يروونه يغشائي في صف شونيز<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

وهذا كلام يكشف على كل حال — عن علو مكانة السيرافي ، فأبو على حين يدفع  
قولة ابن خالويه : « لوبقى عمر نوح ما صلح أن يقرأ على السيرافي » — يعترف ضمناً بمكانة  
السيرافي ، إذ أنه يهتم بتقرير صلاحيته للقراءة على السيرافي الذي يقرأ عليه الصبيان  
ومعلوم ، ولا يهم أبا على إلا أن يرتفع بنفسه فوق طبقة الصبيان المتعلمين . .  
على أن أبا على يرقى بنفسه حتى ينص على أن السيرافي أخذ عنه أو تعلم منه ،  
ويستشهد على ذلك بكثير ممن كانوا يعرفونه هو والسيرافي .

(١) معجم الأدياء ٢٥٧/٧ ولم يصرح في الحلييات أن المردود عليه ابن خالويه وإن كان  
ذلك غنى عن التصريح .  
(٢) الحلييات • نحوش : ٣٣ ظهر



ويتعين من هذا النص كذلك دقة أبي على في تفهم الألفاظ والتحديد الدقيق لدلالاتها: فتعلم متى أو خذ عني غير قرأ على ، وكذلك قوله فيما بعد : وابن الخياط لالقائه، غير وابن الخياط لا يعرف شيئاً .  
ويقابل هذه الدقة عند أبي على — تخليط من ابن خالويه فيما يحكيه .

\*\*\*

وأما الحديث عن العنصر الثاني: وهو دفاع أبي على عن نفسه فقد صدره أبو على بقوله

« وأما قوله يعني خالويه — قد أخطأ البارحة في أكثر ما قاله ، فاعتراف بما أن استغفر الله منه كان حسناً ، وكذلك حكم كل من خطأ مصيباً .  
والمسائل التي تناولها هذا العنصر واضحة من البصوص الآتية :

( أ ) فأما قوله : أنى قلت ، ما قال أحد أن القوم قمع على الجن ، فما أعلنى قلت هذا ، ولكنى قلت : « أن القوم يقع على الرجال دون النساء » ، ثم أخذ بدلل على ما رآه <sup>(١)</sup> .  
( ب ) وما ذكره من أنى قلت : « أن أناساً ليس جمعاً كما قال الفراء » ، فغلط في الحكاية لأنى لم أقل : « أن أناساً ليس بجمع على الإطلاق الذى ذكره صاحب الرقعة ، ولكنى قلت : « أنه ليس بجمع تكسير ، وليس بجمع لإنسان <sup>(٢)</sup> . ثم دلل في استطراد طويل

( ح ) وأما ما ذكره من أنه سألنى عن الناس على قول سيبويه ما وزنه ، وما الدليل على أن الأصل فيه الأناس ، وأنى قلت كما يعتد <sup>(٣)</sup> خذ وكل فغلط في الحكاية ، ولم يكن جوابى عن مسئلته عن الدليل على صحة المذهب ، ولكن دلت على ذلك بنحو ما قد نفذ جوابى أمس الى حضرة سيدنا . ثم ذكر الدليل <sup>(٤)</sup> .

( د ) وما ذكره من أنى شبهت الفعل بالاسم ، والكلمة على حرفين بالثلاثى فكلام ساقط يدل على أن قائمه ليس يعرف من التصريف شيئاً ، ومن عبارة أصحابه شيئاً يغنى به <sup>(٥)</sup> .

وأبو على في المسائل الثلاث الأولى يرى نفسه دون أن يتهم ، يذكر الدليل في هوادة ولين ، وكان في المسألة الرابعة عنيفاً حتى أوشك أن يكون من الشتامين ، وهو في كلتا الحالين قد بلغ من صاحبه ما يريد .

واقراً مرة أخرى الدليل على هدوئه ولينه وبلوغه ما يريد :

(١) الحليات ٥ بحوش : ٣٣ ظهر (٢) : ٣ ظهر (٣) ٣٦ وجه (٤) نفس المصدر

« وأما قوله : « قد أخطأ البارحة في أكثر ما قاله » فاعتراف بما ان استغفر الله منه كان حسناً ، وكذلك كل من خطأ مصيباً (٣) . »  
ولعل قرب ابن خالويه من سيف الدولة جعل أبا علي يلتزم ذلك الرد الهادي ، حتى إذا طُفح منه الكيل واشتد ، قابل تخليط ابن خالويه بما يجب أن يرد عليه .  
هذا وسأسوق بعد نموذجاً لمسألة من المسائل السابقة في العنصر الثاني تكشف عن نزعة أبي علي في الرد على ابن خالويه .

\* \* \*

وقد علق أبو علي في العنصر الثالث — وفيه يقف مهاجماً بعد أن ثبتت قدمه مدافعاً — علق أبو علي على أقوال ابن خالويه الآتية : —  
(١) اختلف أهل النحو في الناس على أربعة أوجه . وذكرها ثم علق أبو علي على ما قال ابن خالويه (٣) .  
(ب) وقوله اختلفوا في الناس فقالوا : قد يكون لمعنى واحد قال الله تعالى « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم » (٤) .  
(ج) وأما قوله : والإنسان واحد وقد يكون جمعاً قال الله تعالى : « والعصر إن الإنسان لني خسر » (٥) .  
(د) ثم يختم أبو علي الجواب بهذا التهمك الذي يبدو في قوله :  
« وليس في الرقعة التي وصلت إلى عبد سيدنا شيء حكمه أن يتكلم عليه ، وفي آخرها حرف لم يبعد فيه ، وهو قوله : « وليس يعرف أحد ما يقول فكيف ينقضه ؟ وما يصدق هذا أن رقعة من ثلاث رقاع وردت حضرة سيدنا الأمير سيف الدولة (أطال الله بقاءه) فما ذكره فيها قول الشاعر :  
قالت : « ألا ليتما هذا الحمام لنا ، وتعاطى تفسير الرفع ، والنصب في الحمام ، فقرأت ، ومن رفع الحمام جعله خبر ليت ، وهذا أطال الله بقاء سيدنا من العويص الذي لا يفهمه أحد ، ولا يعرفه ولا ينقضه ولا يبرمه (٥) ... »

\* \* \*

وهكذا لا ينتهي أبو علي من الكتاب حتى يترك ابن خالويه وقد بدا في تحاذله ، واعترافه باغماض أنى على لأسلوبه ، ولكن أبا علي يعتز بذلك الإغماض ، ويرده

(١) ورقة ٣٣ (٢) الحلييات • نحوش ٣٦ (٣) المصدر السابق : ٣٧

(٤) نفس المصدر ٣٨ (٥) الحلييات : • نحوش ٣٨

إلى تمرسه بالعويس وتعمقه في العلم ، والغوص على البعيد من أعماقه ، وهو من أجل ذلك لا يلحقه نقص ولا إبرام .

\* \* \*

هذا عرض عام لتلك الرسالة ، وأضرب مثلين بعد ذلك أحدهما للعنصر الثاني في هذه الرسالة والآخر للثالث منها ، إذ كنت ظربت مثلاً للعنصر الأول فيها .

\* \* \*

مثال دفعه هجوم ابن خالويه :

فأما قوله : أنى قلت : ما قال أحد أن القوم يقع على الجن فما أعلمنى قلت هذا ، ولكى قلت : إن القوم يقع على الرجال دون النساء بدلالة قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم . . . ثم قال ولا نساء من نساء ، وبدلالة قول زهير : أقوم آل حصن أم نساء ، وبدلالة أن القوم فعل من القيام ، والرجال هم القوامون على النساء والصبيان كما جاء ذلك في التنزيل ، وليس للنساء قيام على الرجال في هذا الوجه . فقال قائل في المجلس : ولو قيل إن قوماً يقع على النساء أيضاً بدلالة قوله : أنا أرسلنا نوحاً إلى قومه ، فقلت إن هذا لا يدل على أن قوم يقع على النساء ، لأن النساء وقع عليهن هذا الاسم لاختلاطهن بالرجال ، فأطلق عليهن ما يختص به الرجال من حيث يغلب المذكر على المؤنث في هذا الموضوع ، هذا ما ذكرته بما جرى في قوم لا أذكر غيره ، ولو قال قائل إن قوماً لا يقع على الجن لم يكن فيما أورد من القرآن دلالة على أن القوم يقع على الجن <sup>(١)</sup> ، لأنه يمكن أن يكون المعنى : أنهم قالوا لزعمائهم ومن ينوب ويقوم عن سائرهم ما تقولون أتم أيها الإنس لمن كان منكم هذا وإن لم يكونوا مستحقين لهذا الاسم في الحقيقة ، وهذا النحو في اللغة غير ضيق . من ذلك قوله تعالى : إن شجرة الزقوم طعام الآثم كالمهل . . . ، ثم قال : ذق أنك أنت العزيز الكريم ، ومعلوم أن من كانت هذه صفته لم يكن كريماً عند الله في الحقيقة لقوله : ويخلد فيه مهانا ، وقوله : ومن بين الله فما له من مكرم ، فاستحقاقه أن يسمى بالملأى أن يكون كريماً ، وإذا كان كذلك ثبت أن المعنى أنت العزيز الكريم عند نفسك ، وأنت الذى يسمى بالعزيز الكريم ولست كذلك . وكذلك قوله تعالى : ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، فسمى

(١) يشير إلى الآية : يا قومنا أجبوا داعى الله .

ما كان يناله المشركون من المسلمين لو نالوه خيراً على حسب ما كان عند المشركين .  
وإن لم يكن في الحقيقة كذلك . وقد قال زهرة الين يعنى جريراً :  
أبلغ كليبا ، وأبلغ عنك شاعرها أنى الأغروانى زهرة الين  
فأجابه جرير :

ألم يكن فى وسوم قد وسمت بها من خاف موعظة يازهرة الين  
ومن ذلك قول النابغة الجعدى أو غيره من القدماء :

إذا أصبح الديك يدعو بعض أسرته إلى الصباح وهم قوم معازيل  
فكما أجرى الأسرة والقوم على الدجاج وإن لم يكن مما يسمى فى كلامهم بقوم  
ولا أسرة ، كذلك يجوز أن يقع لاسم قوم على الجن لدعائهم إلى الإيمان ، وإن كان  
اسم قوم لا يقع عليهم كما لا يقع على الدجاج إلا فى هذه المواضع المتسع فيها  
للتشبيه ، وإذا كان ما ذكرته فى التأويل فى قول الجن بعضهم لبعض ممكناً لما أوردته  
من الدليل سقط ما أتى به صاحب الرقعة من الاستدلال بالآية (١)

\* \* \*

وهكذا قدم أبو على الدليل النقلى أولاً فاستشهد بالقرآن الكريم والمروى  
من الشعر القديم ، ثم مزج ذلك الدليل النقلى بالدليل الصرفى ، واستعان على تفسير  
القرآن بالقرآن ، وأعاناه على ذلك حافظة قوية الاستحضار للآى التى تناسب المقام ،  
ومذخور من اللغة والشعر ، وكان أميناً فى الرواية ، سالكا سبيل المناطقة فى التدليل  
الذى تسلك مقدماته إلى نتائجه فى سلامة ويقين ، وفى هودة ولين .

مثال هجومه على ابن خالويه : وقوله — ابن خالويه — اختلف أهل النحو  
فى الناس على أربعة أوجه فقال قوم نوس ، وقال آخرون نيس بالياء ، واحتجوا  
بأن الكسائى قرأ قل أعوذ برب الناس بالامالة ، وقال آخرون النسى بتأخير الياء ،  
فقدمت اللام إلى موضع العين ، فان تعديد هذا الوجه ، وجعله وجهاً غير الذى تقدمه  
خطأ ، لأن هذا نفس الذى ذكره وليس غيره ، فلو جاز أن يعد المقلوب والمقلوب  
عنه وجهين فيقال أن المقلوب غير المقلوب عنه لجاز أن يعد المحذوف والمحذوف منه  
منه وجهين فيصير خمسة أوجه فهذا غلط فى العدد ودلالة على ضعف التمييز ، وفيما  
قدمته من الدلالة على إن الهمة فى أناس فاء الفعل ما يدل على أن الألف زائدة  
وفى كونها زائدة ما يبطل كونها منقلبة ، وإذا لم تكن منقلبة سقط هذان القولان

الذنان ذكرهما في قسمته، وفسد ما ذهب إليه من انقلاب الألف في أناس عن الياء أو عن الواو، وإذا سقط ذلك لم يبق إلا قول واحد، وهو أن الكلمة فاؤها همزة وعينها نون ولاهما سين والألف فيها زائدة . . .

فأما من احتج منهم بأن العين ياء لقراءة من قرأ قل أعوذ برب الناس بالامالة الألف، واحتججه بذلك دليل على ضعف بصره بالامالة<sup>(١)</sup>. ثم تابع الدليل على أنه قد يمال من الألفات ما هو منقلب من الواوات . . .

وأبو علي في هذا النص لا يدفع فرية افتراها ابن خالويه، وإنما يهجمه في قول قاله، ومذهب رآه، متخذا العنف الذى يبدو في تغليظه ووصفه بضعف التمييز، وضعف بصره بالامالة، أما المطلق في هذا المثال، والبرهان الذى يشبه براهين المهندسين فواضح وغنى عن التبيين .

\* \* \*

وأود أن أشير إلى أن أبا علي كان قويا برسوخ قدمه، وغزارة علمه، على حين كان خصمه قوى الجانب بسيف الدولة إذ كان مقربا عنده، ومع ذلك فلم يغن ابن خالويه الركن الشديد الذى آوى إليه .

\* \* \*

وقد أشرت إلى الخضوع الملحوظ في تقديم هذه الرسالة من أبي علي إلى سيف الدولة وربما اعتذر لأبي علي أن تلك كانت عادة الناس في التقريب إلى السلطان في هذه الأزمان .

\* \* \*

وبعد : فهذه هي الحليات، وتلك شخصية أبي علي الواضحة فيها : الواضحة بشواهده وتعقبه وأدله وتأويله واحتججه وأسلوبه ولولا ما أحاط به من كيد ونكاية لانصرف إلى إنتاج أضخم وأدسم في ظل سيف الدولة، ويشاء الله أن يدعوه عضد الدولة فيظفر العلم منه بالإيضاح، والتسكلة، والشيرازيات .

وللحليات بمصر نسختان مخطوطتان إحداهما برقم ٥ نحوش من آثار الأستاذ الشنقيطى ( رحمه الله ) والآخرى برقم ٢٦٦ نحو بالخزانة التيمورية نسخت من نسخة الشنقيطى، وأم هاتين النسختين نسخة بالمدينة المنورة، وعناية هذين الرجلين بالحليات أثر من آثار عنايتهما بتراث أبي علي ( على الجميع رحمة الله )

## الايضاح

يرد هذا الكتاب في كتب التراجم حينما باسم الإيضاح في النحو<sup>(١)</sup>، وحينما باسم العضدى<sup>(٢)</sup>، وأورده ابن خلكان باسم الإيضاح والتكملة في النحو<sup>(٣)</sup>. وفي الأمانة العامة للجامعة العربية: معهد إحياء المخطوطات: الإيضاح العضدى<sup>(٤)</sup>. والتسمية «بالعضدى» كاشفة عن الإيضاح، لأنه ألف لعضد الدولة وقدم إليه<sup>(٥)</sup>، ولم يورد ابن النديم في الفهرست هذا الكتاب، والذي أورده «كتاب شرح أبيات الإيضاح»<sup>(٦)</sup>، ولست أدري لم أغفله ابن النديم مع أنه يذكر الكتب التي ألقت حتى سنة ٣٧٧هـ<sup>(٧)</sup>، وكتاب الإيضاح مؤلف قطعاً قبل هذا التاريخ؛ لأنه مهدي إلى عضد الدولة الذي توفي سنة ٣٧٢هـ<sup>(٨)</sup>. ولعل السبب في أن ابن النديم لم يذكره أنه لم يطلع عليه<sup>(٩)</sup>، فقد كان عضد الدولة محباً للاختصاص بقراءته دون كل أحد.

وقد ذكر أبو علي في صدر كتاب الإيضاح أنه «جمع في هذا الكتاب أبواباً من العربية متحريراً جمعها على ما أمر به الأمير الجليل عضد الدولة»، فإن وافق اجتهدى ما رسم فذاك بعض تقيته، وحسن تنبيهه وهدايته، وإن قصر إدراك عبده، عما حده، رجوت أن يسعني صفحه، لعله بأن الخطأ بعد التحرر موضوع عن المخطي<sup>(١٠)</sup>.

ولم يبين أبو علي ما ورد به أمر عضد الدولة، وما رسم له في منهج هذا الكتاب، غير أن كتب التراجم والتاريخ تروى روايات متضاربة متدافعة عن موقف عضد الدولة من كتاب الإيضاح:

وأقدم هذا الكتب تحدثاً — فيما أعلم — كتاب ذيل تجارب الأمم لآني شجاع: فهو يروى ما حكى أبو طالب العبدى — من تلاميذ أبي علي<sup>(١١)</sup> — أن عضد

(١) انظر مثلاً نزهة الألباء ٢٠٩، بغية الوعاة ٢١٦، الشذرات ٧٩/٣

(٢) إنباه الرواة ٣٨٧/٢ (٣) وفيات ٣٦٢/٣ (٤) ف ٨٤٤

(٥) انظر تقديم كتاب الإيضاح: نحو ١١٢٠ (٦) انظر ٩٥

(٧) انظر ص ١٢٩، ٥٨ (٨) انظر ابن الأثير ٧/٩ (٩) ذيل تجارب الأمم ٦٨/٣

(١٠) الإيضاح ١٠٠ نحو (١١) انظر إنباه الرواة ٣٨٦/٢

الدولة كان ضئيلاً بالإيضاح ، محباً للاختصار بقراءته دون كل أحد ، ويسوق العبدى على تقدير عضد الدولة للإيضاح وضنه به فيقول : وذلك أن رجلاً توصل إلى كتبه بخطه بحيلة فأمر عضد الدولة بقطع يده لنفاسة الكتاب في نفسه ، وحلاوته في قلبه . . . حتى سئل في أمره فعفا عنه <sup>(١)</sup> . . . ويقول ابن قاضي شعبة الأسدي : « إن أبا على لما وضع لعضد الدولة كتاب الإيضاح حمله إليه واستحسنه <sup>(٢)</sup> » .

وأما الروايات الأخرى التي تدافع هذه الرواية فهي فيما يقوله صاحب نزهة الألباء : « أن أبا على عندما صنف كتاب الإيضاح لعضد الدولة وأتاه به قال له عضد الدولة : « هذا الذى صنفته يصلح للصبيان <sup>(٣)</sup> » . . . ويزيد ياقوت في المعجم : « أن عضد الدولة استقصره وقال له : « ما زدت على ما أعرف شيئاً ، وإنما يصلح هذا للصبيان ، فضى أبو على وصنف التكملة وجمعها إليه ، فلما وقف عليها عضد الدولة قال : « غضب الشيخ ، وجاء بما لانفهمه نحن ولا هو <sup>(٤)</sup> » ، وينقل ذلك النص السيوطى في بنيتها <sup>(٥)</sup> .

والذى أراه - فى هذه الروايات المتضاربة - أن الرواة تزيدوا ، وأسندوا إلى عضد الدولة ما لم يكن منه ، ولم يتحدث به .

حقيقة كان عضد الدولة أحد العلماء بالعربية <sup>(٦)</sup> وكان ذا بصيرة بالنحو ، يناقش أبا على فى مسائله <sup>(٧)</sup> ، وينقل عنه ابن هشام الخضرأوى فى الانصاح <sup>(٨)</sup> ، ويرد ذكره فى كتب التراجم ، وتذكر آراؤه بجانب آراء النحاة الأولين :

قال فى الارتشاف وقال الأخفش ، وتبعه عضد الدولة ، واستحسن .  
أبو القاسم بن القاسم فى مسألة « ضربى زيدا قائماً ، تقديره ضربه قائماً <sup>(٩)</sup> » .

(١) ذيل تجارب الأمم ٦٨/٣ (٢) طبقات النحاة والفقهاء ٢٩٥ وما بعدها .

(٣) نزهة الألباء : ٢١٠ (٤) ٢٣٨/٧ (٥) انظر ٢١٦

(١) روضات الجنات : ٢٢٠ (٢) انظر نزهة الألباء : ٢١٠

(٣) بنية الوعاة : ٣٧٤

(٤) ارتشاف الضرب : ٥٠٧ مخطوطة دار الكتب ٨٢٨ نحو والنصف الثانى من طبقات

النحاة لابن قاضي شعبة مخطوط بدار الكتب رقم ٢١٤٦ تاريخ ص ٣٧٧

ولكن عضد الدولة - على كل حال - كان يوقر أبا على توقير التليذ للشيخ ،  
ويذكر أنه غلام أبي على في النحو <sup>(١)</sup> ، ويقول إذا افتخر بالعلم والمعلمين : « معلى  
في النحو أبو على الفارسي <sup>(٢)</sup> » . هذه واحدة ، وثانية أن الربيعي - تليذ أبي على -  
يحكي بما يوحى أن عضد الدولة كان ضيفنا بالإيضاح - متفقاً في ذلك مع خير  
العبدى من قبل - وأنه لم يخرج للناس إلا باذن من ألف له ، قال الربيعي :  
كان أول من سمع الإيضاح ورواه إلى الناس - بإذن من ألف له - أنا وأبو أحمد  
الجلاب ، رسم لنا اخذه عن أبي على ، ثم خرج إلى الناس من بعد <sup>(٣)</sup> . فكيف  
يتفق ألا يرتضيه أولاً ثم يرض به ثانياً :

وثالثة: هذا الذى تزيده المترجمون ممثلاً فيما يرويه ياقوت ، ويتابعه فيه السيوطى  
— من أن الشيخ غضب فأتى بما لم يفهمه عضد الدولة ، ولم يفهمه هو — هذا قول  
بعيد عن طبيعة الصلة بين أبي على وعضد الدولة ، بعيد أن يغضب أبو على من ولى  
نعمته <sup>(٤)</sup> الذى كان يعد أمره حكماً ، وطاعته غناً ، وإن كان هناك توجيه من عضد  
الدولة — فما على الشيخ إلا أن يصدع بما يؤمر عن رضا وارتياح .

ثم بعيد — بعد ذلك — أن يعترف عضد الدولة بأنه لا يفهم ما يقول الشيخ ،  
وأبعد منه أن يقول عن أبي على وهو مؤلف الكتاب . أنه لم يفهمه هو كذلك .  
والأمر عندى بعد ذلك — أن ما يرويه المترجمون يعبر عن نظرة الناس إلى  
الكتابين في إجمال . فكتاب الإيضاح كتاب تعليمى وضع للمبتدئين ، وكتاب التكملة  
يخالفه في ذلك على النحو الذى سأعرضه له في هذا الفصل بالبيان إن شاء الله .

وليس بضائر أبا على ، ولا يغض من قدر الكتاب أنه وضع للمتعلين ، فن قيل  
وضع كل من الجرمى <sup>(٥)</sup> ، وابن درستويه <sup>(٦)</sup> ، وابن السراج <sup>(٧)</sup> ، مختصرات في النحو  
للمتعلين ، لعل أبا على نظر إلى شيء من هذه الكتب الثلاثة ، فابن درستويه من  
أبناء جلده فارسي فسوى ، وابن السراج أستاذ له ، وأما الجرمى فقد قدر أبو على  
عمله إذ يقول « قل من اشتغل بمختصر الجرمى إلا صارت له بالنحو صناعة <sup>(٨)</sup> » .

(١) المنتظم : ١٣٨/٧

(٢) أخبار العلماء بأخبار الحكماء ط الخانجي سنة ١٣٢٦ هـ : ١٥٢

(٣) إنباء الرواة : ٢٧٥/٢ (٤) انظر مقدمة الحجة

(٥) طبقات اللغويين للزبيدي ٧٧ (٦) المصدر السابق ١٢٧

(٧) نفس المصدر ١٢٢ (٨) نزعة الألباء ١٠١



### متى ألف الإيضاح :

أظهر صلة أبي على بعض الدولة منذ أن استعجله لبنى أخيه يؤدهم<sup>(١)</sup> . وكان أبو على حين استعجله الديلمي — عند ابن حمدان ، وقد تركه عائداً إلى بغداد ، ثم شيراز<sup>(٢)</sup> . وقد استظهرت في فصل سابق أن أبا على رجع إلى شيراز حيث يتصل بعض الدولة منذ ٣٤٨ هـ .

وإذن فالإيضاح مؤلف قطعاً بعد هذا التاريخ، وفي هذه الفترة التي قضاها أبو على في شيراز ، والتي بلغت نحواً من عشرين عاماً<sup>(٣)</sup> . ولا أملك من النصوص ما يعين على تقريب هذا المدى بين هذه السنين وإن كنت أميل إلى القول بأن الكتاب مؤلف في صدر هذه المدة ؛ إذ كان كتاباً تعليمياً للبستئين ، فمن المحتمل أن يكون أبو على ألفه لأبناء أخى عضد الدولة يرجعون إليه ويقرومون فيه ، ثم أن طبيعة الأشياء تقضى أن يستفيد عضد الدولة من علم الفارسي في صدر الصلة به لا بأخرة منها ، وليس في تقديم الكتاب ما يعين على الوصول إلى تاريخ تأليفه ، ففي نسخة من نسخه مخاطب أبو على عضد الدولة بالملك الجليل<sup>(٤)</sup> ، وفي نسخة أخرى مخاطبه مع ذلك بالأمير الجليل<sup>(٥)</sup> ، ولو اقتصر على الأخرى منهما لرجحت أن يكون الكتاب ألف قبل سنة ٣٥٦ هـ وهي السنة التي بدأ فيها الصراع بين بختيار وعضد الدولة ، وانتهى بتقريب الخليفة الطائع لعضد الدولة حتى عقد في سنة ٣٦٤ هـ على ابنته<sup>(٦)</sup> ، ودخل عليها سنة ٣٧٠ هـ وخوطب في سنة ٣٦٨ بالملك<sup>(٧)</sup> .

مشتملات الإيضاح : لخص أبو على أبواب كتاب الإيضاح في صدر التكملة حيث ذكر التغيير الذي يلحق أواخر الكلم، وجعل قسماً منه ذلك التغيير بالحركات والسكون أو الحروف ، ويحدث باختلاف العوامل ، وهذا الضرب هو الذي يسمى الإعراب ، ويكون في الأسماء المتمكنة ، والأفعال المضارعة للأسماء ثم قال :

(١) طبقات الزيدى ١٣٠ (٢) المصدر السابق (٣) ٣٤٨ - ٣٦٨

(٤) مخطوطة ١١٢٠ نحو (٥) مخطوطة ١٠٠٦ نحو (٦) النجوم الزاهرة: ١٣٥/٤

(٧) انظر تاريخ المسلمين للشيخ جرجس بن العميد : ٢٣٧ ، ٢٣٨

«وقد ذكرت ذلك بأصنافه في الجزء الأول من الكتاب الموسوم بكتاب الإيضاح<sup>(١)</sup>، وأنت لما نظرت إلى أبواب كتاب الإيضاح رأيتها تصدر عن فكرة أثر العوامل، فبعد أن ذكر مقدمات تعد مدخلا للكتاب من حيث الكلام وتأليفه، وحد الإعراب، وحد البناء، وتكلم عن التثنية والجمع بعد أن ذكر هذه المقدمات أدار الكلام على المعربات وبدأ بالمرفوعات من الأسماء فذكر في ذلك : الابتداء وخبر المبتدأ، والفاعل، والفعل، والفعل المبني للنفول به، والأفعال التي لا تنصرف، ونعم وبئس، والتعجب. ثم انتقل إلى المنصوبات من الأسماء فذكر العوامل الداخلة على الابتداء وخبره، وتحدث عن إن أخواتها، وظنفت وأخواتها، والأسماء التي أهملت عمل الفعل د أسماء الفاعلين، والمفعولين، والصفات المشبهة بها، والمصادر التي أعملت عمل الفعل، والأسماء التي سميت بها الأفعال،، ثم تحدث عن المفعول معه، وله، والحال، والتمييز، والاستثناء بالألا، وغير وسوى وحاشي، وانتقل إلى النداء والترخيم والنفي بلا، وبعد أن وفي الكلام على منصوبات الأسماء انتقل إلى الكلام عن المجرورات فتحدث عن حتى، ومذ، ومنذ، وللقسم، والأسماء المجرورة بإضافة أسماء منها إليها، والإضافة التي ليست محضه.

ثم انتقل إلى التوابع : الصفة والعطف، والبدل. وهكذا ينتهي من إعراب الأسماء د مرفوعة، ومنصوبة، ومجرورة، وتابعة. د وعنده أن الرفع أقوى من النصب<sup>(٢)</sup> وهذا أقوى من الجر ولذلك جعل الكلام في مسائل النحو على هذا الترتيب.

ثم تحدث عما لا ينصرف، فيذكر أبوابه المختلفة، ثم يأخذ في الحديث عن إعراب الأفعال مرفوعة، ومنصوبة، ومجزومة، ويعقد باباً للجازاة، ويختم الكتاب بالحديث عن النون الثقيلة والخفيفة.

هذا هو الملاك العام الذي صدر عنه الشيخ أبو علي في ترتيب الإيضاح، نظر

إلى أثر العوامل من حيث الرفع، والنصب، والجرفى الاسماء أولاً، ثم من حيث الرفع، والنصب، والجزم فى الأفعال ثانياً. وبين هذين يذكر التوابع <sup>(١)</sup>.

ومن أجل هذه الفكرة التى صدر عنها أبو على تراه يتحدث عن حتى مرة فى حروف الجر <sup>(٢)</sup> ومرة عند قوله «وما ينتصب الفعل بعده» حتى «وذلك قولك» سرت حتى أدخلها <sup>(٣)</sup>. ونراه يتحدث عن أفعال التفضيل مرة فى باب التعجب، ومرة فى باب الإضافة التى ليست محضة <sup>(٤)</sup>، وهكذا ينظر أبو على فى ترتيب الإيضاح إلى أثر العوامل نفسها، وهو بذلك يتخالف مع سيديوه الذى نظر فى ترتيب كتابه إلى العوامل كما انتهى إليه أستاذنا فى كتابه الموسوم بسيديوه أمام النحاة <sup>(٥)</sup>.

وقد وجدت أبا العباس المبرد فى كتابه المقتضب لا يخضع فى ترتيبه لفكرة بعينها فهو مثلاً — يورد باب التبيين والتمييز <sup>(٦)</sup> مسبقاً بباب أما <sup>(٧)</sup> ولما وقد ومنذ <sup>(٨)</sup> ومتبوعاً بباب التثنية على استقصائها صحيحها ومعتلها <sup>(٩)</sup>، وباب الإمالة <sup>(١٠)</sup>، وباب كم ثم باب <sup>(١١)</sup> الأفعال التى تسمى أفعال المقاربة <sup>(١٢)</sup> وهاتم أولاء ترون ألا ترابط بين هذه الأبواب، وكان ذلك منزع المبرد على وجه العموم فى ترتيب سائر الكتاب. ولو وازنت بين نهج الخالفين فى ترتيب كتبهم، ونهج أبى على الفارسى فى ترتيب الإيضاح وجدت اتحاداً فى الخطوة؛ فهم فى جملة الأمر ينظرون إلى أحوال الإعراب كما فعل أبو على الفارسى من قبل.

ذلك أمر الخالفين والسالفين فى ترتيب كتبهم متفقين مع أبى على أو منخالفين. ولكن ما شأن المعاصرين لأبى على؟

(١) يذكر أستاذنا عبد الحميد حسن فى كتابه القواعد النحوية أن كتاب الزخمرى «الفصل» يجمى بعد كتاب سيديوه من حيث الكتب الشاملة فى النحو (انظر ص ٢٥٣) ثم يعود فيقرر أن كتاب الإيضاح والتكملة جاءت فيهما البحوث النحوية والصرفية فى ثناياها أو فى بعض فصولها (انظر ص ٢٥٤) وهاتين أولاء نرى كتاب الإيضاح لأبى على — وهو قبل الزخمرى — يشتمل على هذه المسائل النحوية والصرفية اشتمالاً جامعاً.

(٢) الإيضاح ٨١ (٣) الإيضاح ١٠٢ (٤) الإيضاح ٨٥

(٥) راجع الصفحات ١٧٠-١٧٩

(٦) انظر كتاب المقتضب للمبرد المجلد الثالث من القسم الأول ٢٣ (٧) ص ١٨

(٨) ص ٢١ (٩) ص ٣٠ (١٠) ص ٣٤ (١١) ص ٤٧ (١٢) ص ٥٧

أما تلاميذ أبي علي فقد نهجوا نهجه ، وحذوا حذوه <sup>(١)</sup> ، وأما الشيوخ فالتنا عرف من كتبهم « الجمل » ، للزجاجي فهل كان مثقفاً مع أبي علي ، أو متخالفاً في ترتيب كتابه فجاء مضطرباً تتداخل أبوابه بعضها في بعض .

فبعد هذه المقدمات التي يذكرها النحاة عادة في صدور كتبهم من أقسام الكلام والإعراب وعلاماته والتثنية والجمع نرى الزجاجي يتحدث عن بعض مرفوعات الأسماء ومنصوباتها فيذكر « باب الفاعل والمفعول به » ، ثم يعود فيذكر ما يتبع الاسم في إعرابه ، ثم يرجع إلى بعض منصوبات الأسماء فيتحدث عن أقسام الأفعال في التعدى ويعقب ذلك حديثه عن طرف من مرفوعات الأسماء في باب الابتداء والحروف التي ترفع الاسم وتنصب الخبر ، والحروف التي تنصب الاسم وترفع الخبر ، ويقسم بين هذه الأبواب — بعد باب الابتداء — باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره ، وبعد أن يتحدث عن حروف الخفض والقسم وحروفه يعود إلى شيء من مرفوعات الأسماء ومنصوباتها : ليتحدث عنها في : باب ما لم يسم فاعله ، واسم الفاعل والأمثلة التي تعمل عمل اسم الفاعل ، والصفة المشبهة بإسم الفاعل . وباب التعجب ، وما ، ونعم وبئس ، وحبذا ، ثم يتحدث عن إضافة المصدر ، والعدد ، ومذ ومنذ ، كما ينكص راجعاً إلى بعض المنصوبات في الأسماء في باب النداء ، والاستغاثة ، والتدبة . ثم يتحدث عن الحروف التي تنصب الأفعال المستقبلية ، ثم يرجع إلى الحديث عن مرفوعات الأسماء ومنصوباتها فيعقد باباً لأفعال المقاربة ، وبعد أن ينتهي منها يتحدث عن جوازم الأفعال ، ويتركها عائداً إلى منصوبات الأسماء في الاستثناء والنفي بلا والتبيز ، ثم يتحدث عن التصغير وألف القطع وألف الوصل ، والمحاطبة ، والهجاء ، وأحكام الهمز في الخط ، والمقصور والممدود والمذكر والمؤنث والأفعال المهموزة ، وهي أبحاث بعضها صرفي وبعضها هجائي — ولما انتهى منها عاد مرة أخرى إلى أسماء الفاعلين والمفعولين .. والحروف التي يرفع ما بعدها بالابتداء وتسمى حروف الرفع وهي «إنما — كأنما — ليتما . الخ» ويكون من الأبواب الباقية باب الوقف ، باب لو ولولا ، باب أقسام المفعولين وهي خمسة . . . ، باب ماذا ، مواضع أي ، . . . باب ما ذا ، مواضع أن المكسورة الخفيفة . . . باب الصلات . . . ثم يختم الكتاب بأبواب من التصريف

(١) كابن جني في اللغ مثلًا

مع العلم بأنه ألقى باب التصغير في طريقه بعد باب الإعراب ، بينه وبين ألف القطع وألف الوصل وقبل أبواب لو ولولا ، وأقسام المفعولين الخمسة ... الخ

هذا ترتيب مضطرب مشوه متعرج كما ترى ، لا يخضع لملاك عام ، ولا يصدر عن نظرة خاصة ، وذلك فعل أبي علي في ترتيب كتاب الإيضاح على النحو الذي بينت آنفاً ، فهل كان أبو علي أول من ابتكر هذا الترتيب وسنه للمعاصرين له من تلاميذه ، وللخالفين من النحاة بعده ؟ يرجح في نفسى ذلك . وابتكار أبي علي هذا الترتيب يعد تجديدأ في التبويب له دلالاته على ما يمتاز أبو علي به من قدرة على التنظيم . وهذا الترتيب المبتكر يبدو لنا الآن شيئاً لا خطر فيه لإلفنا له في كتب النحاة . ولكنه من غير شك كان قدوة للمؤلفين من النحاة الذين خالفوه ، فساروا على نهجه ونظروا إليه مقتفين أثره ، وتوارثوه في كتبهم حتى هذا الزمان :

فالزخشري ينظر في ترتيب كتابه المفصل إلى أبي علي في كتابه الإيضاح : جعل الزخشري كتابه مقسوماً — على أربعة أقسام :

الاول في الاسماء والثاني في الأفعال والثالث في الحروف والرابع في المشترك من أحوالها<sup>(١)</sup> . وبعد أن عقد فصولاً في معنى الكلمة والكلام<sup>(٢)</sup> وما يدخله لام التعريف من الأعلام<sup>(٣)</sup> وأنواع الاسم المعرب<sup>(٤)</sup> ، تحدث عن وجوه الإعراب للاسم فذكر المرفوعات من مبتدأ وخبر<sup>(٥)</sup> . ثم تحدث عن المنصوبات<sup>(٦)</sup> ، ثم عن المجرورات<sup>(٧)</sup> ، ثم عن التوابع<sup>(٨)</sup> ثم تحدث عن أصناف الاسم المبني<sup>(٩)</sup> ، ثم عن شبه الفعل المعبر عنه بالاسماء المتصلة بالأفعال<sup>(١٠)</sup> وبعد أن انتهى من ذلك تحدث عن قسم الأفعال فذكر أقسامها وأصنافها<sup>(١١)</sup> .

ثم أورد القسم الثالث من الكتاب وهو قسم الحروف وبين أصنافها : من حروف العطف<sup>(١٢)</sup> وحروف النفي<sup>(١٣)</sup> وحروف التنبيه<sup>(١٤)</sup> . الخ .

ثم ختم كتابه بالقسم الرابع وهو المشترك وجعل منه الإمالة<sup>(١٥)</sup> والوقف<sup>(١٦)</sup>

(١) انظر المفصل ص ٥ الطبعة الأولى أمين الخانجي مطبعة التقدم ١٣٥٣ هـ

(٢) ص ٦ (٣) ١١ (٤) ١٥ (٥) انظر ص ٢٣-٣٠

(٦) انظر ص ٣٥-٨٢ (٧) ٨٢-١١٠ (٨) ١١٠ (٩) ١٢٤

(١٠) ٢١٨ (١١) ٢٨٣-٢٤٣ (١٢) ٢٠٣ (١٣) ٣٠٥ (١٤) ٣٠٧

(١٥) ٣٣٥ (١٦) ٣٣٨

والقسم <sup>(١)</sup> وتخفيف الهمزة <sup>(٢)</sup> وزيادة الحروف <sup>(٣)</sup> والإبدال <sup>(٤)</sup> والاعتلال <sup>(٥)</sup> والادغام <sup>(٦)</sup> ، وقد تكفل بهذا القسم الأخير — عند أبي علي — كتاب التكملة

\* \* \*

وقد جعل أبو علي كتابه الإيضاح في أبواب قصار ، فلم يشق على القارئ المبتدئ ولم يعنف به ، وبصر المنتهى بالمهم في إجمال ، ومضى في عرضه للقواعد النحوية هادئاً متريثاً واضحاً ، قوى العبارة ، دون التواء أو تعقيد ، يقرب بالتنظير ، ويشرح في توضيح ، ويستشهد مؤيداً القاعدة بآيات من القرآن ، وآيات من الشعر ، ويحذر النطق بتعابير ويلقى إليك في يسر بالتعليل ، ويلقى إليك بقواعد جامعة ، وأحكاماً شاملة ، وأساساً عامة تضم شتات التفصيلات ، ويندرج تحتها كثير من الحالات ، فلا يدع الباب إلا وأنت مقتنع به ، متفهم له ، واع لما يقول من غير غت أو إرهاب ، ولعله بذلك كله قصد أن يجعل من الإيضاح اسماً يدل دلالة قوية على مسماه .

وفياً يلي بعض أمثلة للقواعد العامة التي يبدو أنها وضعت لتقرب على المتعلمين وهي غالباً ما تتصل بالصنعة الإعرابية والأسلوبية :

لا يلتصّب في خبر عسى غير أن مع صلتها <sup>(٧)</sup> . ، والمخصوص بالمدح أو الذم لا يكون إلا من جنس المذكور بعد نعم وبئس <sup>(٨)</sup> ، وإذا اجتمع في باب كان وأخواتها معرفة ونكرة فالذي يجعل اسم كان منهما المعرفة كما كان المبتدأ المعرفة والخبر النكرة <sup>(٩)</sup> . ، وأفعال الخواس كلها متعدية <sup>(١٠)</sup> . . . ، ولا يكون للشرط جزاء <sup>(١١)</sup> . ، ، والرفع في الرتبة قبل النصب والجر ، وذلك أن الرفع يستغنى عن النصب والجر <sup>(١٢)</sup> . ، ، الاستفهام لا يتقدم عليه ما كان خبره ، ، وما يتصل بالقواعد العامة تلك الأمثلة التي صدرها في كثير من كتابه : بقوله : لا يجوز ، : منها ما هو متصل بالصنعة الإعرابية ، ومنها ما هو متصل بالزعة النحوية ، فما يتصل بالصنعة الاعرابية : لا يجوز ، كانت زيدا الحمي تأخذ ، إن رفعت الحمي

٥٧ (٣)

٣٤٩ (٢)

٣٤٤ (١)

٣٩٣ (٦)

٣٧٤ (٥)

٣٦٠ (٤)

٣١ - ٣٠ (٨)

٣٩ (٧)

١٢ (١٢) س

٢٢ (١١) س

١٠ (١٠) تقدم هذا النص

٣٤ (٩)

بكانت لفصلك بين كان وسما بأجنبي منها وهو زيد الذى هو مفعول مفعولها ، فان جعلت التانيث فى كانت للقصة ورفعت الحى بالابتداء وجعلت تأخذ خبر المبتدأ جازت المسألة لان زيدا حينئذ مفعول مقدم ولم يفصل به بين الفاعل وفعله (١) .

ولا يجوز على يزيد كان ذا مال ؛ لان على يرتفع بالابتداء ، وزيد فى موضع نصب بالمصدر ، وكان فى موضع خبر المبتدأ ، فيجب من أجل ذلك أن يكون فى كان ضمير يعود إلى المبتدأ . وذلك الضمير هو على فى المعنى ، وذا مال خبر كان فاستحالت المسألة من حيث لم يكن قولك ذا مال هو على . ولو قلت على يزيد كان يوم الجمعة — كان مستقيماً لأن يوم الجمعة يكون خبراً عن على لأنى أقول كان على يزيد يوم الجمعة ، فيكون ظرف الزمان خبراً عن الحدث الذى هو على ولا أقول كان على ذا مال (٢) .

ولا يجوز أن تقول : د إن الذاهبة جاريته صاحبها لآنك لا تفيد بالخبر شيئاً (٣) .

وما يتصل بالأحكام النحوية العامة قوله : لا يجوز « أعلم الله زيداً عمر أخالداً » لأن المفعول الثالث فى هذا الباب هو الثانى فى المعنى ، وعمرو لا يكون خالداً (٤) . كذلك لا يجوز « الذى إن تكرمنى أكرمك فله درهم » لأن الشرط قد استوفى جزاءه فى الصلة فلا يكون له جزاءان . « ولا يجوز أيت الذى يأتينى فله درهم ، ولا لعل الذى فى الدار فكرم » (٥) .

وغير أبى على فى كتاب الايضاح يمر بلفظى « المهم وغير المهم » من الظروف من غير ايضاح ، ولكنه عندما يتعرض لذلك يتولاه بالشرح والبيان فيقول : معنى المهم ألا تكون له نهاية معروفة ، ولا حدود محصورة كالجملات الست ، فيجوز أن يتعدى الفعل الذى لا يتعدى إلى ما كان مبهماً من الظروف وما كان من الأماكن فان الفعل الذى لا يتعدى — لا يتعدى إليه ، لا تقول قت بغداد ، ولا قعدت السوق ، ولا قت المسجد لأن هذه الأماكن مخصوصة كزيد وعمرو ، وينفصل بعضها ببعض بصور وخلق ، فهى فى ذلك كالأناسى ولحومهم من الجثث المخصوصة ،

فكما لا يتعدى الفعل الذى لا يتعدى إلى الأناسى ، كذلك لا يتعدى إلى ما كان من الأماكن بمعناهم فى الاختصاص (١) .

وهذا التوضيح والتنظير والإسهاب فى الشرح والبيان — فى غنى عن التعليق . ومن المهم أن أذكر أن أبا على تعرض لذلك فى المسائل المشككة وشرحها على طريقته فى هذه المسائل من الإبهام والغموض واتخاذ سبيل المنطق فيما يأتى به من براهين (٢) .

ويبدو أن أبا على التزم الوضوح فى التعبير فى كتابه الإيضاح ، ولما كان المنطق بطبيعته يدعو إلى الإغماض ، قلل أبو على فى الإيضاح من المنطق لإثارة للتيسير والتوضيح .

وفى كتاب الإيضاح ظاهرة تدعو إلى التسجيل ، فأبو على يمحى فيه هينا لينا حتى باب الاستثناء فيحتشد له ، وبحشر مسائل المنطق فيه ، ويسلك سبيل المناطقة فى عرض مسائله ، ومرد ذلك فيما أرى أنه قد وقعت مناقشة بين عضد الدولة وأبى على الفارسى فى ناصب الاسم الواقع بعد إلا فى قول القائل خرج القوم إلا زيدا (٣) ، ويجب الشيخ أبو على ، ويعترض عضد الدولة ، ويتعذر على الشيخ المحضى معه إلى الغاية . ولا يجد بدا من الاعتذار إلى صاحبه فيقول : « هذا جواب ميدانى ، لأنهما كانا يسيران معا فى ميدان شيراز ، وإذا رجعت ذكرت لك العلة .

ومن هنا يعرض أبو على هذا الباب وفى ذهنه صورة هذا الحوار ، والظروف التى أحاطت به .

استمع إلى بعض ما يقول فيه :

« ليس يخلو الاستثناء من أن يكون فى كلام موجب أو غير موجب ، والاستثناء من الكلام الموجب نصب . مثال ذلك : « جاء القوم إلا زيدا » ، و « خرج أصحابك إلا عبد الله » ، و « انطلق الناس إلا إخوانك » ، فاتنصب الاسم إنما هو بما تقدم فى الجملة من الفعل ، أو معنى الفعل بتوسط إلا . كما أن الاسم الذى بعد الواو فى باب المفعول معه منتصب بتوسط الواو .

فان كان الكلام المذكور فيه إلا غير موجب فانه لا يخلو من أن يكون



تأماً أو غير تام، فثال غير التام : ما جاعل إلا زيد، ... وهذا لا يكون فيه إلا الرفع، لأن الفعل مفرغ لما بعد إلا، فالعامل فيه ما قبل إلا . .

وهكذا يمضى أبو على فى هذا الباب من كتاب الإيضاح فيستعمل القياس، والتعليل والتنظير، والسبر والتقسيم<sup>(١)</sup>، وارجع إلى العبارة مرة أخرى والحظ قوله: « ليس يخلو الاستثناء... ثم التعليل لا تنصب الاسم، ثم تنظير ذلك بانتصاب الاسم بعد واو المعية، ولو قرأت بقية الباب لوجدت شواهد أخرى أضربت عن ذكرها لإشاراً للاختصار .

وقد رأيت كذلك يلتزم المنطق للبرهنة على القضايا النحوية فى آخر من كتاب الإيضاح وكأنه التزمه فى هذا الجزء من الكتاب حيث يكون المتعلم قد استحصف واستعد لتقبل هذه البراهين المنطقية :

قال : قياس ما جاء من قوله لكيلا تأسوا أن تكون ناصبة بنفسها بدلالة أنها لا تخلو من أن تكون هى المناسبة بنفسها أو تكون بمنزلة اللام ينتصب الفعل بعدها بإضمار أن، فلا يجوز أن تكون فى هذه الآية بمنزلة اللام لدخول اللام عليها، ولا يدخل حرف جر على مثله، فإذا لم يحز ذلك ثبت انتصاب الفعل بعدها بنفسها<sup>(٢)</sup> .

وفى آخر الكتاب كذلك برهن على أن الفعل بعد حتى ينتصب بإضمار أن كما ينتصب بعد اللام فى قولك ما كان زيد ليفعل بنضباو أن<sup>(٣)</sup> . وما يؤكد عندى تعليل التزامه المنطق آخر الكتاب بما رأيت — أنه تعرض لقضية : الفعل المضارع ينصب بعد حتى ... فى الصفحة العاشرة من الكتاب دون أن يعلل لها أو يسلك سبيل المنطقة فيها .

وأحياناً يسلك سبيل سبويه فى إيراد الاعتراض ثم يتولى هو الجواب : قال : سمعت يتعدى إلى مفعولين، ولا بد أن يكون الثانى منهما ما يسمع كقولك سمعت زيدا يقول، ولو قلت سمعت زيدا يضرب أخاك لم يحز، فإن اقصر على مفعول واحد وجب أن يكون بما يسمع فإن قلت فقد جاء فى التنزيل : وهل يسمعونكم إذ تدعون، فاقصر على مفعول واحد وليس بما يسمع فالقول أن المعنى هل يسمعون دعاءكم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه كما جاء فى الأخرى إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم .

### شواهد الإيضاح :

أولاً : من القرآن الكريم : وأبو على يستحضر في سرعة الآيات القرآنية التي تصل بالمسائل النحوية التي يتحدث عنها ، وقد ينفرد بشواهد من كتاب الله لم يحج بها سيبويه في الكتاب ، مما يجعل ذلك ميزة له ، ويكاد يلتزم الاستشهاد بهذه القرآنيات فإذا لم يجد شاهداً منها أشار إلى ذلك ، ويغلب أن يقرن الأمثلة التي يأتي بها إلى نظائرها من القرآن الكريم ، تجد ذلك واضحاً في صفحات مقاربة تنتظم أبواباً متلاحقة من الكتاب <sup>(١)</sup> وتراه حين لم يظفر بشاهد قرآني لأعمال المصدر المقرون بالآلف واللام يقول : « ولم أعلم شيئاً من المصادر بالآلف واللام معملاً في التنزيل <sup>(٢)</sup> » ، أورد ذلك بعد أن ذكر نحو ما جاء من ذلك في الشعر .

ضعيف النكاية أعداء يخال الفرار يراخي الأجل  
وما يأتي من الشواهد القرآنية يذكره :

- (١) مقايساً على مثال معروف . (ب) مناقشاً قضية يذكرها .
  - (ج) مطبقاً على قاعدة يقررها . (د) محاجاً الكوفيين في مذهب نحوي .
  - (هـ) موجهاً لمسلك إعرابي .
  - (و) ذاكرراً أوجه القراءة في الآيات التي يستشهد بها .
- وأسوق مثالا لكل نوع من هذه الأنواع يختصر الإشارة إلى جميعها في تفصيل :

(أ) مقايساً على مثال معروف ، قال : « وقد يحذف الرواجع من هذه الجمل إلى المبتدأ الأول ، كقولهم : « المن منوان بدرهم » ، والتقدير « منوان منه بدرهم » لا بد من تقدير هذا في النفس ليعود الضمير الذي في منه إلى المبتدأ الذي هو المن <sup>(٣)</sup> . ومثل ذلك قوله عز وجل : « ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور » ، التقدير : « أن ذلك الصبر منه أي من الصابر ، لأن ذلك ابتداء » ، وقوله (عز وجل) « ولمن عزم الأمور » في موضع الخبر ، ولم يرجع إلى المبتدأ الذي هو لمن صبر وغفر ذكر من اللفظ وهذا النحو كثير ، وقد جاءت هذه الجملة بأسرها محذوفة إذا كانت خبراً ، فإذا جاز حذف الجملة كلها كان حذف شيء منها أسهل ؛ وذلك قوله (عز وجل) :

(١) انظر مثلاً ص ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ .

(٢) المثال موجود في الكتاب

(٣) ص ٤٩

« واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن ، والتقدير واللائي لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر فحذفت الجملة التي هي خبر المبتدأ الثاني لدلالة ما تقدم عليه ، كما يحذف المفرد لذلك في نحو زيد منطلق وعمرو<sup>(١)</sup> .  
 (ب) أو مناقشاً قضية ذكرها : كقوله : « أما ما يتعدى إلى مفعول واحد فقد يكون علاجاً وغير علاج ، فما كان علاجاً فنحو ضربته ، وقتلته ، وأخذته ، وكسرتة . وأفعال الحواس الخمس كلها متعدية نحو رأيته وشممته وذقته إلا أن سمعته يتعدى إلى مفعولين ، ولا بد أن يكون الثاني منهما ما يسمع كقولك سمعت زيدا يقول ، ولو قلت : سمعت زيدا يقول يضرب أخاك لم يجز ، فإن اقتضرت على مفعول واحد وجب أن يكون ما يسمع . فإن قلت فقد جاء في التنزيل : « هل يسمعونكم إذ تدعون ، فاقصر على مفعول واحد وليس ما يسمع ، فالقول أن المعنى هل يسمعون دعاءكم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه كما جاء في الأخرى : « إن تدعوهم لا يسمعو دعاءكم<sup>(٢)</sup> . »

(ج) أو مطبقاً على قاعدة يقررهما .

(د) محاجا الكوفيين في مذهب نحوي : فهم يجوزون تقدم مفعول أسماء الأفعال عليها ، أما هو فلا يجوز ذلك ، لأنها ليست كالأفعال في القوة ، قال : « وقوله تعالى : كتاب الله عليكم ، ليس على معنى عليكم كتاب الله ، ولكن كتاب مصدر دل على الفعل الناصب له لما تقدم ، وذلك أن قوله تعالى : « حرمت عليكم أمهاتكم . . . » فيه دلالة على أن ذلك مكتوب عليهم فانتصب كتاب الله بهذا الفعل الذي دل عليه ما تقدمه من الكلام ، وعلى ذلك قول الشاعر :

ما أن يمس الأرض إلا منكب منه وحرف الساق طى المحمل<sup>(٤)</sup>

(١) الايضاح ١٧٠ ١٧ النسخة رقم ١١٢٠ نحو

(٢) قال الامام عبد القاهر الجرجاني : العلاج ما كان من أفعال الجوارح نحو الذهاب والقيام والقعود والضرب والقتل والكسر وما أشبه ذلك مما يكون له كلفة على الجوارح وغير العلاج ما لم يكن من فعل الجوارح وكان أما فعلاً من أفعال القلوب كالعلم والفهم أو خلقاً في الانسان كالسكرم والظروف . ( المقتصد : ورقة ١٧٥ ) (٣) الايضاح : ٥٣

(٤) الايضاح : ٥١ . والبيت لأبي كبير الهذلي ، والشاهد فيه نصب طى المحمل بإضمار فعل دل عليه قوله : ما إن يمس الأرض إلا منكب منه وحرف الساق ، لأن ذلك لانطواء كنفه ، =

وقد أورد أبو البركات الأنباري ذلك الدليل بما يكاد يكون بالغاظه <sup>(١)</sup> .  
 (م) أو موجهاً لمسلک إعرابي : قال « إذا كان اسم الفاعل لما مضى لم يعمل عمل  
 الفعل لو قلت : مررت رجل ضارب أبوه زيدا أمس لم يحجز ، وقد أجاز بعضهم  
 ذلك واحتج بقوله تعالى : « وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد » ، وقال لمن لم يحجزه : إن  
 هذه الآية لا دلالة فيها على إجازة ذلك ، لأنها حكاية الحال <sup>(٢)</sup> .  
 (و) أو ذا كراً أوجه القراءة في الآيات التي يستشهد بها كتوجيه القراءتين :  
 « وما هو على الغيب بظنين أو بضنين في باب ظن <sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

ثانياً : أما شواهد الشعر في الإيضاح ، فبعضها مما أورد سيويه في الكتاب  
 كبيت الأعشى .

إن من لام في بني حسا      ن ألمه ، وأعصه في الخطوب <sup>(٤)</sup>  
 والبيت المذكور في الكتاب <sup>(٥)</sup> .  
 فليت كفافاً كان خيرك كله      وشرك عنا ما ارتوى الماء مرتوى <sup>(٦)</sup>  
 والبيت مما أنشده علي بن سليمان الأخفش .  
 وبعضها مما نقله عن الرواة نحو :  
 أعياش ! قد ذاق القيون مرارتى      وأوقدت نارى فادن دونك فاصطلى <sup>(٧)</sup>  
 فقد نقله عن أبي زيد .

وقد يورد الشاهد الشعري لتفسير لغوى : كالذي أورد في تفسير : هي منى معقد  
 الإزار قال : فسر أبو عمر الجرمي الإزار هنا بالمرأة ، فكأنه يريد أن قربه منه قرب  
 المرأة ، وأنشد :

== وضم بطنه ، فكأنه قال : طوى طياً مثل طى المحمل ؛ وصف رجلاً بالضم فشبّه في طى  
 كنفه وإرهاق خلقه بحمالة السيف وهي علاقته وزعم أنه اضجع نائماً بتابطه عن الأرض ولم  
 ينلها منه إلا منكبة وحرف ساقه . الكتاب : ١٨٠/١

(١) انظر الانصاف : المسألة ٢٧

(٢) الإيضاح ص ٤٤ (٣) ص ٤٣ (٤) الإيضاح ٣٩ (٥) ٤٣٩/١

(٦) المصدر السابق (٧) الإيضاح ٥٠

ألا أبلغ أبا حفص رسـولا فدى لك من أخ ثقة إزارى<sup>(١)</sup>  
أو لإعلان صرفى : قال : دليس فى الاسم اسم فى آخره حرف علة قبله ضمة ،  
وإذا أدى قياس إلى ذلك رفض فأبدلت من الضمة كسرة فصار الآخرياء مكسوراً  
ما قبلها فإذا صار كذلك كان بمنزلة القاضى والداعى وذلك قولهم : «تمو وأحق ،  
وجرو وأجر ، وقلنسوة وقلنس ، وعرقوه وعرق قال الشاعر :

ليث هزبر مدل عند خيسته بالرقعتين له أجر وأعراس<sup>(٢)</sup>  
وهو ينسب الشواهد إلى قائلها حيناً ، ويتركها غفلاً حيناً . نسب إلى النابغة<sup>(٣)</sup> ،  
والاعشى<sup>(٤)</sup> ، وامرئ القيس ، وعمر بن أبى ربيعة<sup>(٥)</sup> ، والشباخ<sup>(٦)</sup> ، والراعى ،  
وبعض هذه الشواهد يستقل هو بإنشاده<sup>(٧)</sup> .

وقد رأيت يستدل بقول الرسول : « استدل بالحديث المروى : « كل مولود  
يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه » على أن الجملة فى  
موضع نصب خبر كان<sup>(٨)</sup> . « ولا يرى بأساً أن يستدل بقول أبى تمام وهو  
من المحدثين .

من كان مرعى عزمه ومومنه روض الأمانى لم يزل مهزولاً<sup>(٩)</sup>  
والبيت لأبى تمام ، يذكر ابن خلكان أن أبا على استشهد به ( وهو من  
لا يستشهد بشعرهم ) لأن عضد الدولة كان يحب هذا البيت وينشده كثيراً<sup>(١٠)</sup> .  
ونقل ذلك التعليل مقرأ له الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الحضر حسين فى كتابه  
« القياس فى اللغة العربية »<sup>(١١)</sup> ، وتابعه الدكتور إبراهيم أنيس فى كتابه « من أسرار  
اللغة »<sup>(١٢)</sup> .

وأرى أن هناك سبباً غير ما يذكره صاحب الوفيات ومن لف لقه : ذلك  
أن البيت مسوق للتطبيق على قاعدة ، لا للاستدلال به ، أو استنتاج حكم منه .  
ويؤيد ما ذهب إليه من بيت أبى تمام قول الإمام عبد القاهر : « وأما البيت  
الذى أنشده فطريف الشأن ، لأجل أنه من قصيدة أبى تمام التى أولها :  
يوم الفراق لقد خلقت طويلاً لم تبق لى صبراً ، ولا معقولا

(١) الإيضاح ٥٩ (٢) الإيضاح ٩٢٨ (٣) ١٩ (٤) ٣٩ (٥) ٢٧  
(٦) ٢١ (٧) انظر الإيضاح ٦٢ (٨) ٣٤ (٩) المصدر السابق  
(١٠) وفيات الأعيان ١/٣٦٢ (١١) ٣٥ (١٢) فصل القياس ٢١ ومابعدهما

وقبله قوله :

لو جار سلطان القنوع وحكمت في الخلق ما كان القليل قليلاً  
والشيخ أبو علي ليس بمن يحتج ببيت محدث في الإعراب .  
جاء في العسكريةات إن قلت : شتان ما بينهما فالقياس يمنعه . وبعد أن علل  
ذلك قال : وقد جاء في الشعر شتان ما بين الزيدين . إلا أن الأصمعي طعن في فصاحة  
هذا الشاعر ، وذهب إلى أنه غير محتج بقوله : ورأيت أبا عمر قد أنشد هذا البيت  
على وجه القبول له والاستشهاد به ، وقد طعن الأصمعي على غير شاعر قد احتج بهم  
غيره كذى الرمة والكميت فيكون هذا أيضاً مثلهم<sup>(١)</sup> .

ولذا فأبو علي — كما قال الجرجاني — لا يحتج بهمحدث ، وما يستنتجه المحدثون  
من احتجاجه ببيت أبي تام لا يتفق مع منزع أبي علي كما ترى . وإنما يحتج بأشعار  
المولدين في المعاني فقط : لأن ذلك شيء مشترك فأما حديث اللفظ فللعرب ، وكان  
شيخنا<sup>(٢)</sup> (رحمه الله) يحمله أن يكون جرى في المجلس هذا الخبر ، فقال هو أو بعض  
الحاضرين ، ومثل ذا بيت فلان تقريباً . فالحق ذلك بحاشية الكتاب ، ثم وقع في  
العمود فأما أن يكون دونه فبعيد . فإن قيل : إن هذا النحو لما كان مشهوراً  
مستغنياً عن الحجة ، وكان القصد فيه زيادة البيان بالتمثيل أورد هذا البيت فلم يتمتع .  
وقد يقال : وإلى هذا ذهب فلان في قوله به ، ولا يقصد بذلك الاحتجاج وإنما يراد  
لإيضاح قصده ، وتقريب المسلك<sup>(٣)</sup> . ومن عجب أن يقرر علماؤنا من أعضاء المجمع  
أن البيت استشهد به لأن سيف الدولة كان يعجب به وينشده كثيراً<sup>(٤)</sup> . ولا علاقة  
لسيف الدولة بكتاب الإيضاح أولاً ، ثم إن هذه الدعوى مردودة كما رأيت ثانياً .

#### مصطلحات الإيضاح وأمثلته :

يظهر أن بعض المصطلحات النحوية حتى عصر أبي علي لم يسم بالاسماء التي  
أطلقها النحاة عليه في العصور المتأخرة ، فالمركب المزجي مثلاً لم يستعمله ، ويعبر عنه  
الزجاج بقوله : « باب الاسمين اللذين ضم أحدهما إلى الآخر لجملا اسماً واحداً »<sup>(٥)</sup> ،  
ويدل عليه أبو علي بقوله : « الاسمان اللذان يجعلان اسماً واحداً »<sup>(٦)</sup> ، واسم

(١) العسكريةات لوحة ١٢٣

(٢) شيخ عبد القاهر هو أبو الحسن بن عبد الوارث بن أخت أبي علي الفارسي  
(نزهة الألباء ٢٢٦) (٣) المقتصد ورقة ٧٤ (٤) انظر مجلة المجمع ١٠٠/٦  
(٥) سر النحو للزجاج ٦٦ (٦) الإيضاح ٩٩ وكذلك فعل في العسكريةات لوحة ١٣٨

التفضيل يعبر عنه الزجاج بقوله : « هذا أفعل منك »<sup>(١)</sup> ، ويعبر عنه الفارسي بمثل ذلك أو قريب منه حيث قال : « ما يجرى بجرى التعجب قولهم : هذا أفضل من هذا . . . . » ، ولا يستعمل قولهم أفعل من هذا فيما لم يستعمل منه ما أفعله وأفعل به<sup>(٢)</sup> .

ومن الاصطلاحات التي اطلعنا في كتاب الإيضاح — غير ما ذكر — قوله : « الفعل الذي لا يتعدى ، بدل أن يقول : الفعل اللازم »<sup>(٣)</sup> ، ورأيت الفارسي يعبر عن الضمير بلفظ « الذكر » ، والراجع حيناً<sup>(٤)</sup> ، وحيناً يعبر عنه بلفظه<sup>(٥)</sup> .

ومن تعبيراته : « وما يتعدى إلى مفعول واحد يكون علاجاً وغير علاج »<sup>(٦)</sup> ، والحال منتقل ، وغير منتقل ، ويستعمل لفظ أولى العلم بدل العاقل ، والمبنى إلى المفعول به بدل المبني للجهول .

وكان أبو علي مجدداً في هذه الأمثلة التي يسوقها : حقيقة أنه ذكر زيداً ، وعمرأ وبكرأ ، وغير ذلك من الأمثلة التقليدية التي ظهرت في كتب النحاة واشتهرت بها . ولكن الشيء الجديد — فيما أرى — اصطناعه أمثلة تتصل بالحياة العامة في عصره ، سواء أكانت هذه الحياة دنيوية أم سياسية أم اجتماعية أم طبيعية وهو في ذلك يكشف عن ناحية تعليمية تربوية ، إذ يشتق أمثلة من البيئة حوله ، وهو ما يتواصى به القائمون بمهنة التعليم ، ويرشد إليه المربون في هذه الأيام .

تجد في كتاب الإيضاح : « جرى الفرس ، وغنم الجيش ، يطيب الخبر » ، أمثلة ثلاثة متتابعة<sup>(٧)</sup> ، أرى أنه قصد إليها قصداً ، فلها دلالتها في تفسير طرف من حياة عهد الدولة وانشغاله بالحروب ، والأمثلة أشبه بسلسلة متصلة الحلقات آخذ بعضها بحجز بعض ، وكل واحدة تؤدي إلى الأخرى : فالفرس يجرى ، والجيش يغنم ، وحينئذ يطيب الخبر<sup>(٨)</sup> .

(١) سر النحو ٩٥ (٢) الإيضاح ٣٢ - ٣٣ (٣) الإيضاح ٥٢

(٤) الإيضاح ١٧، ١٩، ٢١، ٢٣ (٥) انظر مثلاً من الإيضاح ٢٠-٢٥

(٦) انظر الإيضاح ٨٠، ٥٣ (٧) الإيضاح ص ٢٥

(٨) لحظ الأقدمون تأثير البيئة في الأمثلة النحوية التي يأتي بها النحاة متأثرين بها ، قال أبو حاتم السجستاني في كتابه القراءات حيث ذكر القراء والعلماء ، كان في المدينة على الجبل ( انظر مرآة القلوب لأبي الطيب القنوي ١٦٠ ) كان يلقب بالجبل ، وضع كتاباً في النحو لم يكن شيئاً فذهب ، وأظن الأخفش سعيد بن مسعدة وضع كتابه في النحو من كتاب الجبل ولذلك قال « الزيت وطلان بدرهم » والزيت لا يذكر عندنا ، لأنه ليس بادام أهل البصرة .

ومن الأمثلة التي تنظر إلى ناحية من النواحي العامة :

(١) الدينية: أبو يوسف أبو حنيفة<sup>(١)</sup> (ب) المذهبية: جالس الحسن وأبو سيرين<sup>(٢)</sup>  
كم ترى الحرورية رجلاً،<sup>(٣)</sup> الحسن أو الحسين أفضل أو ابن الحنفية<sup>(٤)</sup> (ج) الطبيعية  
والاجتماعية: جاء البرد والطيا لسة<sup>(٥)</sup> المال في الكيس واللص في الحبس<sup>(٦)</sup>.

وبجانب هذه الأمثلة — أمثلة أخرى فرضية تميزها الصنعة النحوية: كقوله:  
« إذا استوفت الأفعال المتعدية مفعولها فتعدت إلى أسمائها تعدت بعد ذلك إلى  
المصادر، وأسما الزمان، والمكان، والمفعول له، والحال: تقول: « ضربت زيداً  
يوم الجمعة أمام خالد تقويماً له مجرداً من ثيابه ضرباً شديداً<sup>(٧)</sup> : »

أولا تميزها الصنعة: قال: « لما كان خبر المبتدأ إذا كان مفرداً هو المبتدأ  
في المعنى أو منزلاً منزلته لم يجوز على يزيد كان ذا مال<sup>(٨)</sup> .

مذهب أبي على النحوى وظهوره في الايضاح: وفي الايضاح ما يدل على نزعة  
أبي على البصرية، فهو لا يرى التعجب من السواد واليباض مباشرة<sup>(٩)</sup>، والكوفيون  
يرونه<sup>(١٠)</sup> ويجوز في باب كان أن تقدم الخبر على الاسم<sup>(١١)</sup>، والابتداء وصف  
في الاسم المبتدأ يرفع وصفة الاسم المبتدأ أن يكون معرى من العوامل الظاهرة<sup>(١٢)</sup>  
ومسند إلى شيء، والكوفيين يخالفونه في ذلك<sup>(١٣)</sup>.

وهو أحياناً يسوق القضية الخلافية من غير احتجاج كما مر، وكما في القضايا  
الآتية: يجوز الفصل بين كم وبين يميزها في الكلام: نحوكم في الدار رجلاً، ولا يجوز  
ذلك في عشرين ونحوه إلا في الشعر<sup>(١٤)</sup>، وقد أضربوا رب بعد الواو في نحو قولهم:  
وقاتم الأعرق، خاوى المخترق<sup>(١٥)</sup>.

وحيناً يسوق مسائل الخلاف محتجاً لها احتجاجاً هيناً يسيراً من غير أن يملأها  
بقضايا عقلية، أو أقيسة منطقية، ومن المسائل التي برهن عليها على هذا النحو: إذا كان  
اسم الفاعل لما مضى لم يعمل عمل الفعل<sup>(١٦)</sup>. عليك ودونك، بله زيداً أسماً وليست  
بحروف<sup>(١٧)</sup>. لا يصح أن يقع الحال معرفة<sup>(١٨)</sup> لا يجوز أن يتقدم مفعول شيء

(١) ١٩ (٢) ٩١ (٣) ٧١ (٤) ٩٣ (٥) ٦١ (٦) ٧٩

(٧) الايضاح ٢٠ (٨) الايضاح ٣٢ - ٣٣ (٩) الايضاح ٩٥

(١٠) الانصاف ٩٥ (١١) الايضاح ٣٤ والانصاف مسألة ١٨

(١٢) الايضاح ١٢ (١٣) الانصاف مسألة ٣١/٥ والوفى في النحو الكوفى ٣٥

(١٤) الايضاح ٧١ (١٥) الايضاح والمسألة في الانصاف ٢٣١

(١٦) الايضاح ٤ (١٧) الايضاح ٥٠ (١٨) الايضاح ٦٣



من أسماء الأفعال — عليها<sup>(١)</sup> ، وقد نقل أبو البركات الأنباري حجاج أبي على هنا أو يكاد<sup>(٢)</sup> .

والشيخوخ الذي ينقل عنهم أبو على في كتاب الإيضاح :  
سيبويه<sup>(٣)</sup> ، وأبو بكر السراج<sup>(٤)</sup> ، وأبو الحسن الأخفش على بن سليمان<sup>(٥)</sup> ،  
وأبو زيد<sup>(٦)</sup> ، والجزمي<sup>(٧)</sup> ، وأبو إسحق الزجاج<sup>(٨)</sup> ، وأبو عثمان المازني<sup>(٩)</sup> ، وهو  
ينتصر لسبويه ، قال : سبويه لا يجوز التقديم في نحو : نفقأ زيد شحماً فلا تقول ،  
شحماً تفقأت ، وأجاز غيره التقديم وأنشد .

أنهجر ليلى للفراق حبيبها وما كان نفساً بالفراق تطيب  
قال أبو إسحق : الرواية وما كان نفس بالفراق تطيب ، ومن هذا الباب قوله  
تعالى : فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً ، وقررت به عيناً ، والمضى طبن به أنفساً ،  
وقررت به أعيناً فوق الواحد مع الجميع<sup>(١٠)</sup> .

ورأيت يهاجم أبا العباس المبرد ، قال : د ولا يجوز أن يكون حصرت دعاء ،  
في قوله تعالى : د أو جاءوكم حصرت صدورهم<sup>(١١)</sup> ، — قال عبد القاهر الجرجاني ،  
وأما قوله أنه لا يجوز أن يكون حصرت دعاء فذلك قول : محمد بن يزيد  
وليس بسديد<sup>(١٢)</sup> .

وقال في باب ما لا ينصرف : د ومن زعم أن اقياس في دعد كان ألا يصرف  
دخل عليه في قولهم هذا صرفهم نوح ، ولوط ، وهما أعجميان ومعرفتان ، فإلزامهم  
الصرف لهما لختفهما يقوى قول من صرف هنداً ودعداً في المعرفة .

قال الجرجاني : المقصود بقوله من زعم : أبو العباس ؛ لأنه قال فيما حكى عنه  
شيخنا ( رحمه الله ) أن الصرف في نحو هند ودعد لضرورة الشعر ، وليس ذلك  
بسديد لما ذكرنا من أن الخفة تقاوم أحد السببين ، وكفى إلزاماً بما ذكره الشيخ  
أبو على من أنهم صرفوا نوحاً ولوطاً مع وجود السببين العجمة والتصریف<sup>(١٣)</sup> .

---

(١) الإيضاح ٥١ (٢) الإنصاف مسألة ٢٠  
(٣) انظر مثلاً ٩٤، ٨٠ (٤) ص ٨٢ (٥) ٩٩، ٦١، ٣٩ (٦) ٩٤، ٥٠  
(٧) ٥٩ (٨) ٦٤ (٩) ٤٥ (١٠) الإيضاح ٦٤ (١١) الإيضاح ٨٨  
(١٢) المتقصد ورقة ١٧٨ (١٣) المتقصد ١٩٦ ظهر

### ذيوخ الإيضاح :

كتاب الإيضاح يعد نقطة تحول في التأليف النحوى ، وترتيب أبوابه على النمط الذى عرضته سابقاً ، ثم هو فى عبارته ونزغته التعليمية لا يجاريه إلا كتاب الجمل للزجاجى ، وإن كان الإيضاح يمتاز عن الجمل بالتبويب المنظم الذى يخضع لفكرة خاصة خلا منها كتاب الجمل ، ولهذا بعد صيته ، وسارت شهرته فى الآفاق ، ويمكن له من ذلك ويسر له السبيل إليه أنه ألف لعرض الدولة ، فلعل أبا على بحكم ذلك بذل غاية الجهد فى تجويده ، وإيضاح مسائله وتقريب بعيدة ، فويع الناس به مدفوعين بهذين العاملين وكذلك كانوا : ضنَّ عضد الدولة بكتاب الإيضاح تقديراً له <sup>(١)</sup> : ثم سمعه الربيعى فى حياة أبى على ، ورواه بإذن من عضد الدولة ، وبتبعية كتب التراجم استطعت الاهتداء إلى الطريق التى سار فيها كتاب الإيضاح آخذاً حظه من الذيوخ فى العالم الاسلامى : فهذا زيد بن على أبو القاسم ابن أخت أبى على يروى الإيضاح عن خاله ، ويخرج عن فارس إلى العراق ، ثم يقصد الشام ، ويستوطن حلب لاقراء النحو بها ، ويعلم شرح الإيضاح <sup>(٢)</sup> فيها ، ويقصده هناك الشريف أبو البركات عمر بن إبراهيم الزيدى الكوفى النحوى ، ويقرأ عليه كتاب الإيضاح فى شهر رجب سنة ٤٥٥ هـ ، ويروى الناس كتاب الإيضاح عن الشريف أبى القاسم (كذا <sup>(٣)</sup>) المدة الطويلة بالكوفة <sup>(٤)</sup> ، ويأخذ ، عنه الجمل الغير من الرواة والنحاة <sup>(٥)</sup> .

واشترك كذلك فى إذاعة الإيضاح أبو الحسين الفارسى وكان كذلك ابن أخت أبى على ، أقرأ النحو فى البلاد التى طوفها : فى الرى ، وخراسان ، ونيسابور ، وغزنة ، ومكة ، وإسفرين ، وجرجان ، ومن قرأ عليه بمرجان عبد القاهر الجرجانى حتى لا يعرف له أستاذ سواه <sup>(٦)</sup> .

ولإذن فقد اختص أبو على ، ولدى أخته بغنى قراءة الإيضاح وإفرائه فى الأقطار الاسلاميه ، ، وما أعظمه برأ بالرجم ، وما أعظم ما نالاه من الغنى :  
قيمة الإيضاح وأثره :

قال أبو شجاع : كتاب الإيضاح فى النحو — مع قلة حجمه — يوفى على الكتب الكبار التى من جنسه فى قوة عبارة ، وجودة صنعة <sup>(٧)</sup> .

(١) ذيل تجارب الأمم ٦٨/٣ (٢) انظر مختصر ابن عساكر ٢٥/٦

(٣) وأظن أن كلمة (عن) ساقطة بين كلتى : الشريف وأبى القاسم .

(٤) إنباه الرواة ١٧/٢ (٥) إنباه الرواة ٣٢٥/٢

(٦) بنية الرواة ٣٨ (٧) ذيل تجارب الأمم ٦٨/٣

ولا يجد ابن الأثير في كتابه الكامل — صفة يعرف بها أبا علي الفارسي إلا أنه صاحب الإيضاح<sup>(١)</sup>، وتبعه في ذلك أبو الفداء في تاريخه<sup>(٢)</sup>، وابن قاضي شبهه في طبقاته<sup>(٣)</sup>، ونقل ذلك أحمد تيمور في كتابه ضبط الأعلام<sup>(٤)</sup>. وقال ابن كثير: أبو علي صاحب المصنفات منها الإيضاح والتكملة<sup>(٥)</sup>، ويظهر من ذلك كله مكانة كتاب الإيضاح بين مؤلفات أبي علي وعند الناس قال ابن خلدون بعد أن ذكر جهد الخليل بن أحمد وسيبويه في النشاط النحوي: «ثم وضع أبو علي الفارسي، وأبو القاسم الزجاج (كذا) كتباً مختصرة للمتعلين يجزون فيها حدو الإمام في كتابه<sup>(٦)</sup>.» ولست أشك في أن ابن خلدون يريد كتب الإيضاح للفارسي، والجل الكبيرة لأبي القاسم الزجاجي، فهما الكتابان اللذان تبدو فيهما النزعة التعليمية على النحو الذي فسره من قبل. وقد كان كتاب الجمل للزجاجي كتاب المصريين وأهل المغرب، وأهل الحجاز، واليمن، والشام، إلى أن اشتغل الناس باللمع لابن جني — وهو منقول من كلام أستاذه — والإيضاح لأبي علي الفارسي<sup>(٧)</sup> ويبدو أن أبا شجاع في نصه السابق قدر الإيضاح لأمرين: منهجه في صناعته، وأسلوبه في عبارته، وهذا أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف النحوي ينشد بالاندلس في كتاب الإيضاح:

أضع الكرى لتحفظ الإيضاح، وصل الغدو لفهمه برواح  
هو بغية المتعلين، ومن بغى حل الكتاب يلجه بالمفتاح  
لأبي علي في الكتاب إمامة شهد الرواة لها بفوز قداح  
يقضى على أسرارته بنوافذ من عليه بهرت قوى الامداح  
فيخاطب المتعلين بلفظه ويحل مشكله بومضة واح  
مضت العصور، وكل نحو ظلمة وأتى فكان النحو ضوء صباح  
أوصى ذوى الإعراب أن يتذاكروا بحروفه في الصحف والألواح  
ولإذا هم سمعوا النصيحة أنجحوا إن النصيحة غبا لنجاح

وتشير هذه الآيات إلى أكثر من خصيصة في بيان قيمة كتاب الإيضاح<sup>(٨)</sup>: فهو تعليمي يعد وسيلة لفهم كتاب سيبويه ومفتاحاً له، ولأبي علي — في رأى — أبي الحسن علي بن خلف — من الخصائص ما يتيح له تقديم هذه الوسيلة، فهو

(١) الكامل ١٩/٩ (٢) ١٣١ (٣) اظفر ٢٩٥ (٤) اظفر ١٢٠

(٥) البداية والنهاية ١١/٧٥٢ (٦) مقدمة ابن خلدون ٤٧

(٧) إنباء الرواة ٢/١٦١ (٨) إنباء الرواة ٢/٢٢٨

متفهم للكتاب، عارف بأسراره، إمام فيه يخاطب المتعلمين بلفظه، ويحل مشكلاته بوميض وحيه. وقد كان النحو مشكلات وظلمات، ثم بزغ ضوء الصباح بظهور كتاب الإيضاح. ومن هنا كان جديراً أن يوصى به المشتغلين بصناعة الإعراب، لينتذا كروه كما يتذاكرون القرآن في الصحف والالواح.

ولم أر للإيضاح نسخة مطبوعة <sup>(١)</sup>، ولا لشرحه كذلك على الرغم من أنه كان مجال نشاط كبير لكثير من النحاة: شرحوه، كما شرحوا أبياته، واختصروه، ونظموه، واعترضوا عليه، ورد بعض منهم اعتراض المعترضين.

وقد أورد صاحب كشف الظنون من شراح الإيضاح نحواً من خمسة وعشرين شارحاً عدداً من شرح أبياته، أو اختصره، أو اعترض عليه <sup>(٢)</sup>.

ومن الشراح أندلسيون ومغاربة، ومنهم مصريون وعراقيون: فمن غني به من الأندلسيين والمغاربة: ابن يسعون يوسف بن يسعى (ت في حدود ٥٤٠ هـ)، وسمى كتابه «المصباح في شرح ما عثم من شواهد الإيضاح» <sup>(٣)</sup>، وعلى بن أحمد بن خلف الفرناطى المعروف بابن الباذش (ت ٥٢٨ هـ) <sup>(٤)</sup>، ومحمد بن حكيم بن محمد بن أحمد الجذامى السرقسطى (ت ٥٣٨ هـ) <sup>(٥)</sup>، ومحمد بن أحمد أبو عبد الله الزهرى المولود بمالقة (ت ٦١٧ هـ) يشرح الإيضاح في خمسة عشر مجلداً <sup>(٦)</sup>، وأبو عبد الله محمد بن يحيى الأنصارى المعروف بابن هشام الخضراوى (ت) بتونس (٦٤٦ هـ) ألف حول الإيضاح كتاباً ثلاثة: في تلخيصه، وشرح شواهد، والإفصاح بفوائده: الاقتراح في تلخيص الإيضاح، ود غرر الإصباح في شرح أبيات الإيضاح، ود الإفصاح بفوائد الإيضاح <sup>(٧)</sup>، ولأبى العباس أحمد بن محمد المعروف بابن الحاج (ت ٦٤٧ هـ) شرح للإيضاح كذلك.

وهكذا نرى عناية المغاربة بالإيضاح، وربما كان من أسباب هذه العناية أنهم عدوا الإيضاح مفتاح الكتاب، وقد كانوا بتدارسه جد معنيين <sup>(٨)</sup>.

ومن المصريين الذين عنوا بالإيضاح أبو محمد عبد الله بن برى المصرى

(١) ذكر بروكلمان أنه مطبوع بميدراآباد (انظر المجلد الأول ١١٣، ١١٤ والملاحق ١٧٦، ١٧٥).

(٢) كشف الظنون ١٧٧/١-١٧٨ (٣) انظر بنية الوعاة ٤٢٥ وإقليد الخزانة ٢٤

(٤) بنية الوعاة ٣٢٧ (٥) بنية الوعاة ٣٨

(٦) بنية الوعاة ١١ (٧) بنية الوعاة ١١٥

(٨) انظر سيبويه إمام النحاة لأستاذنا ١٨٧

( ت ٥٨٢ ) شرح شواهد ، ومن العراقيين : الحسن بن أحمد بن عبد الله أبو علي المقرئ الفقيه الحنبلي البغدادي المعروف بابن البنا ( ٤٧١ هـ )<sup>(١)</sup> وأبو القاسم الدقاق<sup>(٢)</sup> وأبو طالب العبدى ( ٤٠٦ هـ )<sup>(٣)</sup> وعلي بن عيسى الربيعى ( ٤٢٠ هـ ) وأبو القاسم المصبانى ( ٤٤٠ هـ ) صنف حواشى الإيضاح<sup>(٤)</sup> وهبة الله بن الشجرى ( ٥٤٢ هـ ) وابن الدهان ( ٥٦٩ هـ ) شرحه فى ثلاثة وأربعين مجلداً<sup>(٥)</sup> وأبو اليمن الكندى ( ٦١٣ هـ ) وأبو البقاء العكبرى ( ٦١٦ هـ ) والمظفرى ، وابن الحجاز ، وأحمد بن الحسين ( ٦٣٧ هـ )<sup>(٦)</sup> ، كما شرح شواهد الإيضاح ابن السيرافى ( ٣٨٥ هـ )<sup>(٧)</sup> .  
وأنوه هنا بما كان للامام عبد القاهر الجرجانى ( ت ٤٧١ هـ )<sup>(٨)</sup> من عناية فائقة بهذا الكتاب فقد كتب أولاً شرحاً مبسوطاً فى نحو الثلاثين مجلداً وسماه المغنى ، ثم لخصه فى مجلد ، وسماه المقتصد ، وله مختصر الإيضاح المسمى بالإيجاز ،<sup>(٩)</sup> .  
وفى الخزانة التيمورية النصف الأول من المقتصد مخطوط برقم ٣٨٤ وبعد : فحتى متى ظل الناس يشتغلون بكتاب الإيضاح ؟

من أسماء النحاة الذين عنوانوا بكتاب الإيضاح ، ومن تاريخ وفياتهم ، أستطيع أن أجيب هذا السؤال : بدأت العناية بالإيضاح فى القرن الرابع الهجرى كما رأينا قبل ، واطردت هذه العناية فى القرن الخامس ، فكان هناك نحو خمسة شروح<sup>(١٠)</sup> ، وكذلك كانت الحال فى القرن السادس ، حتى إذا كان القرن السابع رأيت النحاة يعنون بنحو أبى علي عناية فائقة : فأحمد بن تميم اللبلى المتوفى مطلع هذا القرن ( ٦١٥ هـ ) يكتب مسائل أبى علي بخطه<sup>(١١)</sup> ونرى القفطى يقول : « وقد سألت عالماً بهذا الشأن عن كتاب العبدى ، وكتاب الجرجانى فى شرح الإيضاح ، فسكتا ملياً ، وقال أحدهما : « قد سمي الجرجانى المقتصد وهو كما سماه ، فإن فوائده مختصرة » ، وقال الآخر : « أحسن العبدى فى الكلام على العوامل ، وقصر فيها الجرجانى ، وأحسن فى التصريف ، وكلام الجرجانى أبلغ وأوسط »<sup>(١٢)</sup> . وبدهى أن المسئولين كانا معاصرين القفطى ،

(١) روضات الجنات : ٢١٢ (٢) المصدر السابق : ٢٢١

(٣) إنباه الرواة : ٣٨٧/٢ (٤) نزعة الألباء : ٢٣١

(٥) كشف الظنون : ١٧٧/١ (٦) بنية الرواة : ١٣١ (٧) بنية الرواة : ٣٨٥

(٨) إنباه الرواة : ١٨٩/٢ (٩) كشف الظنون : ٢١١/١

(١٠) انظر كشف الظنون : ١٧٧/١-١٧٨

(١١) انظر المصكرات لوحة : ١١٩

(١٢) إنباه الرواة : ٣٨٧/٢



ومن هذا الجدول أستطيع أو أستنتج :  
أولاً : أن الناس ظلوا يشتغلون بكتاب الإيضاح حتى نهاية القرن السابع الهجرى .

ثانياً : أنهم ضلوا إلى عنايتهم بكتاب الإيضاح — عنايتهم بفصل الزمخشري <sup>(١)</sup> .  
ثالثاً : يبدو أن ظهور ابن مالك ( ت ٦٧٢ هـ ) واشتغال الناس بألفيته ونحوه  
سرف الناس عن إيضاح الفارسي <sup>(٢)</sup> فبدأت العناية بكتب ابن مالك حيث انتهى  
انصراف الناس عن الإيضاح ، فأخر من شرح الإيضاح ابن أبي الربيع الأموى  
( ت ٦٨٨ هـ ) ، وقرأه عليه أبو الطيب البستى ( ت ٦٩٥ هـ ) ثم لا نجد بعد هذا  
التاريخ فى كتب التراجم من يعنى بالإيضاح على حين تتوالى العناية بكتب ابن مالك  
حتى هذا الزمان

هذا وقد استعان البغدادى فى خزائنه بالإيضاح فى مواضع كثيرة تربو على استعائته  
بأى كتاب آخر من كتب أبى على <sup>(٣)</sup> .

نسخ الإيضاح وأما كتبها : جاء فى الذريعة إلى تصانيف الشيعة ذكر صاحب  
الرياض أنه رأى نسخة من الإيضاح فى الخزانة الوقفية بقسطنطينية قرئت  
على ابن الجوالقى ( ت ٥٢٨ هـ ) ونسخة أخرى كتابتها سنة ٦٢٠ هـ وفيها أيضاً  
شرح الشيخ عبد القادر الجرجانى عليه ، وذكر صاحب الذريعة أن الإيضاح بمكتبة  
ولى الدين أفندى ، ومكتبة عاطف كما يظهر من فهرسها <sup>(٤)</sup> .

وورد فى تذكرة النوادر أن للإيضاح :

(١) عدة نسخ فى خزائن الآستانة أقدمها كتابة نسخة مسجد بايزيد كتبت سنة

٨٥٥٠ .

(٢) ونسخة أخرى فى خزانة أيا صوفية تحت رقم ٤٤٥١ .

(٣) ونسختين منه فى الخزانة المصرية <sup>(٥)</sup> .

(٤) ونسخة منه فى مكتبة إسكوريال تحت رقم ٤٢ كتبت سنة ٦٠٥ .

---

(١) كما عتوا بالجل للزجاجى .

(٢) ولكنهم لم يصرفهم عن الفصل للزمخشري لصاحب كشف الظنون يذكر أن آخر

مرح للفصل كتبه التبانى جلال الدين رسولاً ٩٧٣ هـ

(٣) انظر إقليد الخزانة ٢٤، ٢٣ لمبد العزيز المبنى الرجكوتى ط لاهور سنة ١٩٢٧

(٤) الذريعة ٤٩٢/٢ (٥) انظر الفهرست الجديد لدار الكتب ٨١/٢

(٥) ونسخة أخرى في المكتبة المذكورة تحت رقم ١٩٤ .  
(٦) نسخة أخرى في خزانة بانكي بور تحت رقم ١٥٢٢ كتبت سنة ٥٩٩ هـ<sup>(١)</sup> .  
وقد أورد بروكلمان الأما كن التي بها كتاب الإيضاح ، وأنها : مكتبة عاطف  
بالقسطنطينية رقم ٢٤٤٤ ، ومكتبة الفيضية رقم ١٩٠٩ ومكتبة شاه زاده رقم ٣٢٣  
ومكتبة السلمانية رقم ٩٢٩ وبازيد ٢٩٠٣ وراغب ١٣٢٩ وسليم أغا ١٠٨٣<sup>(٢)</sup> .  
وقد ذكر العلامة أحمد تيمور في حديثه عن نوادر المخطوطات<sup>(٣)</sup> . أن الإيضاح  
منه نسخة بالأسكوريال ، وفيها أيضاً شرح شواهد القيسى ، وفي السلطانية بالقاهرة  
شرحه لابن برى ، وفي الفاتح بالآستانة شرح الإيضاح للعبرى ، وفي السلطانية بالقاهرة  
جزءان منه ناقصان ، وفي بشير أغا بالآستانة شرحه لأبي طالب ، وفي الكوبرلية  
شرحه لعبد القاهر الجرجاني ولعله الصغير المسمى بالمقتصد ، ثم قال : « وفي خزانة  
النصف الأول منه . » وهو المخطوط برقم ٣٨٤ نحو .  
هذا وقد عني معهد إحياء المخطوطات بالأمانة العامة للجامعة العربية بالإيضاح  
وشروحه فصورته على أفلام نسخاً من مكتبة أحمد الثالث ، وكوبرلي ، والاسكوريال  
إلى جانب ما صورته دار الكتب<sup>(٤)</sup> .

### التكملة :

فإذا ما انتهيت إلى التكملة وجدت أبا على يقول في تقديمها :  
« الحمد لله رب العالمين الذى جعل حمده فاتحة كتابه ، وغاتمة دعوى أوليائه  
في جنته ، فقال تعالى : « وآخر دعوانى أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد  
خاتم النبيين ، وعلى أنبيائه ، والمرسلين ، وعباده الصالحين ، وإياه نسأل ، وإليه نرغب  
في إرضاع الشكر ، وإلهام الحمد على ما منح الأنام ، وشمل الخاص والعام من النعمة  
بالمملك العادل د عُضد الدولة ، ( أطال الله بقاءه ، وأسبغ عليه نعامه ) كما أفاض  
في البلاد عدله ، وأوسع العباد فضله ، وبث فيهم عرفه وطوله<sup>(٥)</sup> . »

(١) تذكرة النوادر ١٣٧ علم النحو مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٠ هـ

(٢) انظر بروكلمان المجلد الأول ١١٣-١١٤ والملحق ١٧٦، ١٧٥

(٣) الهلال سنة ٦١/٢٨

(٤) تجد تعريفاً بهذه الأفلام في فهرس المخطوطات المصورة ٣٧٩ وما بعدها .

(٥) س ٦٤ نحو ١٠٠٦



وما نحن أولاء نلاحظ أن التقديم خلافاً اشتمل عليه تقديم الإيضاح من ورود امر عضد الدولة، ورسمه بما رسم<sup>(١)</sup>، ونلاحظ كذلك تعبيرات صرفية لعلها تشير إلى موضوع الكتاب وأبوابه، والخط مع استعمال المصدر من أوزع، وألهم، ثم الخط مع هذا التماس الذي يشير إلى ما التزمه أبو على في التكملة من مسائل المنطق: فهو يدعو أن يطيل الله بقاءه، ويسبغ عليه نعماءه مقاييساً ذلك بما أفاض في البلاد من عدله، وأسبغ على العباد من فضله، ثم أراه يلجج بقوله: ولإزاع الشكر إلى آية: «رب أوزعني أن أشكر نعمتك».

ويجعل أبو على موضوع التكملة الأبواب التي تشمل التغيير الذي يلحق أواخر الكلام من غير أن يختلف العامل، وهذا التغيير يكون بتحريك ساكن، أو إسكان متحرك، أو إبدال حرف من حرف، أو زيادة حرف أو نقصان حرف<sup>(٢)</sup>... ويقرر أن هذا التغيير ليس بأعراب لأنه غير حادث عن اختلاف العوامل. كما يجعل موضوعها كذلك في التغيير الذي يلحق أنفس الكلام وذواتها، وذلك نحو التثنية والجمع الذي على حدها، والنسب، وإضافة الاسم المعتل إلى ياء المتكلم، وتخفيف الهمزة، والمقصور والممدود، والعدد، والتأنيث، والتذكير، وجمع التكسير، والتصغير، والإمالة، والمصادر، وما اشتق منها من أسماء الفاعلين، وغيرها، والتصريف، والإدغام. ثم وعد أن سيذكر ذلك باباً باباً، وقد وفي بما وعد أيما وفاء.

وهكذا ينتظم الإيضاح أبواب النحو جملة، كما ينتظم التكملة أبواب الصرف جملة كذلك. ويخطئ العامل صاحب أعيان الشيعة في استنتاجه حيث قال: «من مؤلفات أبي على التكملة في التصريف، هكذا في بغية الوعاة، ومقتضى ما ذكر في سبب تأليفه أنه تكملة للإيضاح فهو في النحو وصرح في الرياض بأنه في النحو<sup>(٣)</sup>»

وفرق كبير بين عبارة الشيخ هنا في التكملة، وعبارته هناك في الإيضاح. ويمكن بالنظر إلى كتاب التكملة أن يبين لنا أسباب صعوبة عبارة هذا الكتاب.

فأول الأسباب أن طبيعة موضوعات الصرف أصعب في تفهيمها من أبواب النحو، وثانيها أن أبا على التزم هنا الغموض فجاء ذلك ضغناً على إباله .  
اقرأ مثلاً : د باب دخول التاء للفرق على اسمين غير وصفين في التأنيث الحقيقي الذي لآثاء مذكر (١) .

أو : باب ما جاء على أربعة أحرف ملحاً أو على وزن الملحق من الثلاثة بالأربعة فكسر تكسير ما كان على أربعة أحرف (٢) .  
وثالثاً : أنه تقيد بأسباب المنطق، وقد تجلى ذلك في أول ما ذكر من التكملة إذ يقول : د النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام للعرب ... ،  
وقد ترددت الاصطلاحات المنطقية في كتابه التكملة د الاطراد ، والاستمرار والقياس (٣) ، وباب الأسماء المفردة الواقعة على الأجناس التي تخص أحادها منها بإلحاق الهاء بها (٤) .

ثم رابعاً : أنه يكثر من التفريع والتقسيم والاستطراد ، اقرأ : باب الوقف على الاسم المعتل (٥) تره يقول فيه : الاسم المعتل لا يخلو من أن يكون منوناً أو غير منون ، فالمنون .. كذا وكذا .. ثم ذكر حكم الوقف عليه ، ومذاهب العرب فيه ، والرأى الذي يرضيه . وأما غير المنون . فكذا وكذا .. ثم ذكر حكم الوقف عليه ، ومذاهب العرب فيه .

ثم ذكر ما يقال في النداء واحتج (٦) له وتحدث عن لهجة ناس من العرب يبدلون من الياء في سعدى الجيم فيقولون سعدج واستشهد لها .

ثم انتقل إلى الوقف على الفعل المعتل ، وذكر حكم المرفوع ، وعلل له من أن الباب معقود للوقف على الاسم لا الفعل . ثم انتقل إلى المجزوم ، وتحدث عن الوقف في نحو فه وشه ، ثم تحدث عن الوقف في الفواصل والقوافي (٧) . ويكاد هذا التقسيم والتفريع يطالعك في صدور أبواب متقاربة ..

هذا عرض سريع لاستطراداته (٨) وتفرعاته ، وتقسيمه ، وذلك كان سبباً في أن نظر إليه النحاة بما نظروا وحكموا عليه بالتصعيب والغموض

(١) ١٢٠ (٢) ١٥٣ (٣) ٨٣

(٤) ١٣٧ (٥) ٧٠ (٦) ٧١ (٧) ص ٧١

(٨) من أمثلة استطراداته : باب من الأسماء ما لا يعلم قصره ولا مداه (٩٣) وهو باب لنوى لأصرفي ولملح اختصر فيه كتابة المفصّل والمدود الذي ذكره ياقوت .

وشيء آخر هو: خامساً أنه يكثر من الجدل، ويعنى بالبرهنة على مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، في براهين منطقية عقلية، ذكر مثلاً وزن أشياء وبرهن على رأيه فيها، وذكر<sup>(١)</sup> أن أمثلة الأفعال مشتقة من المصادر كما أن أسماء الفاعلين والمفعولين مشتقة منها، وهذه برهنته على رأيه فاستمع إليها، قال:

ولو كانت المصادر مشتقة من الأفعال لجرت على سنن في القياس، ولم تختلف كما لم تختلف أسماء الفاعلين والمفعولين، فلما اختلفت المصادر اختلف سائر الأجناس دل ذلك على أن الأفعال مشتقة منها، وأنها غير مشتقة من الأفعال<sup>(٢)</sup> وأيضاً، فلو كانت المصادر مشتقة من الأفعال لدلت على ما في الأفعال من الحدث والزمن وعلى معنى ثالث، كما دلت أسماء الفاعلين، والمفعولين على الحديث، وذات الفاعل، والمفعول به، وكذلك سائر المشتقات. فلما لم تكن المصادر كذلك علم أنها ليست مشتقة من الأفعال<sup>(٣)</sup>.

فأما اعتلالها باعتلال الأفعال فلا يدل على أنها مشتقة منها، كما أن اعتلال بعض أمثلة الفعل لبعض لا يدل على أن بعض الأفعال مشتق من بعض<sup>(٤)</sup>.

وأنت إذ تقرأ هذا الكلام تحس كأنك أمام برهان على نظرية من نظريات الهندسة، ولا بد أن تقرأه على مهل وتمعن لتدرك ما فيها من مقدمات وأدلة وحجاج وقد رأينا خلو كتاب الإيضاح من هذه المحاجة المنطقية الدقيقة، اللهم إلا ما ورد في آخرة هذا الكتاب، وكأنه أراد بذلك أن يمهّد لترس المتعلم بهذه البراهين، ليتقبلها مبثوثة في التكملة هنا وهناك..

وسادساً، أنه يستغل مسائل العروض في التكملة، فيقول مثلاً في باب الابتداء بالكلم التي يلفظ بها، كل حرف من أول كلمة يبتدأ بها من اسم، أو فعل، أو حرف فهو متحرك، ولا يبدأ بحرف ساكن في اللغة العربية، والدليل على أنهم لا يبتدئون بالساکن أنهم لم يخففوا الهمزة إذ كانت في أول كلمة يبتدأ بها نحو: «أن رأيت رجلاً أعشى أضرّ به...» لأن في تخفيفها تضعيفاً للصوت، وتقريباً من الساكن فكما لم يبتدئوا بالساکن لم يبتدئوا بما قرب منه. وأمر آخر يدل على رفضهم الابتداء بالساکن، وهو أنهم لم يخرجوا متفاعلاً كما خرجوا فعولاً ونحوه، لأن متفاعلاً يسكن ثانيه

(١) ١٠٦

(٢) انظر الانصاف ١٤٦ فقد كادت ألفاظ الفارسي تظهر في تدليل الأنباري

(٣) انظر الانصاف ١٤٧ فقد أورد قريباً من هذا الكلام بحروفه (٤) ١٦٢

فلو خرم لادى ذلك إلى لزوم الابتداء بالساكن ، وإذا رفضوا ما يؤدي إليه فإن يرفضوه نفسه أولى<sup>(١)</sup> .

أرأيت هذه التعليلات المنطقية ؟ ثم ما دخل العروض في المسألة ؟ وهل كان العربي الأول يعرف الحزم ومتفاعله وفعل حتى يستدل به الفارسي في هذه القضية التي تعرض للبرهان عليها ؟

وكل هذه التعليلات بما فيها من المنطق والتفلسف والتعمل أيضاً — جعل الناس يستصعبون التكملة ، كما أبعد التكملة أن تكون للتملين المبتدئين ، وهي على هذه الصورة يشق على كثير من المنتهين .

وكما بدت نزعة الفارسي وبصريته في هذه المسائل النحوية ، كذلك بدت في طريقة التدليل عليها على هذا النحو من الحجاج .

وبدت نزعته البصرية كذلك من أنه لا يأخذ بالشاذ ولا يقيس عليه :  
أورد قول الفراء : « كان النحويون يقولون امرأة ، فإذا أدخلوا الألف واللام قالوا المرأة ، وهو وجه الكلام . قال : وقد سمعتها بالالف واللام المرأة ، . »  
ثم عقب عليه بقوله : « ولعل الذي سمعها منه لم يكن فصيحاً ، لأن قول الألف أكثر على خلافه<sup>(٢)</sup> . »

كذلك بدت هذه النزعة مع الخليل — ومن الغريب أن يكون ذلك — قال :  
« زعم الخليل أن ناساً من بكر بن وائل يقولون : رذن ومرن<sup>(٣)</sup> إذا أخبروا وأرادوا : رددن ومررن ، وهذا لا ينبغي أن يؤخذ به بشذوذه عن الاستعمال والقياس . »

وأما الشذوذ عن الاستعمال فقلة المستعملين له .  
وأما الشذوذ عن القياس ؛ فلأنه إذا اجتمع أهل الحجاز على إظهار أردد ، ونحوه مع تعاقب الحركات التي ذكرنا عليها فإن لا يدغم نحو رددن التي لا تصل إليه الحركة البتة لاتصاله بالضمير أولى<sup>(٤)</sup> .

وما كان ينبغي أن يهجم الخليل بما هجم ، وينسب قوله إلى الزعم ، فالخليل يروى ما يسمع ، ولعلهما متفقان على شذوذ مثل هذا الإدغام .

(٢) التكملة ١٢١

(١) ٦٧

(٣) لم أجد شيئاً من ذلك في الكتاب ، وهو المصدر الذي أرجح أن الفارسي رجع إليه واستمد منه ما نسب إلى الخليل .

(٤) التكملة ٦٦

وأود - قبل أن أختم هذا الفصل - أن أعقد دراسة مقارنة بين الزجاج في « سر النحو » ، والفارسي في « الإيضاح » ، ومدى صلة كل منهما بسيبويه في الكتاب . فالزجاج في سر النحو لم يفترق كثيرا عن سيبويه في الكتاب ، فقد أورد سيبويه ما ينصرف وما لا ينصرف في اثنين وثلاثين بابا وكذلك فعل الزجاج في موالاة بين هذه الأبواب تشبه إلى حد كبير الموالاة التي اصطنعها سيبويه .  
تتوالى مثلا الأبواب الآتية في سر النحو :

ذكر الاسماء المهمة <sup>(١)</sup> ، والظروف المهمة <sup>(٢)</sup> ، والانصراف في أسماء الاحيان وغير الانصراف <sup>(٣)</sup> والالقاء <sup>(٤)</sup> وهي كذلك في هذه الموالاة في الكتاب <sup>(٥)</sup> .

أما أبو علي فقد تحدث حديثا موجزا عما لا ينصرف في الأبواب تشبها الأبواب التي لا تعرض على طلاب المدارس الآن ، فهل كان أبو علي أول من رتب هذا الترتيب ميسرا بذلك على المتعلمين في إيجاز واستيعاب معا ؟

إنه يتحدث في باب ما لا ينصرف عن : ما كان على وزن الفعل ، والصفة التي لا تنصرف ، والتأنيث ، وما كان في آخره ألف ونون مضارعان لألفي التأنيث والتعريف ، والعدد ، والجمع الذي لا ينصرف ، والاسماء الأعجمية ، والاسمين يجعلان اسما واحدا .

وهو بهذا التقيد والاختصار الذي لا يخل يمتاز عن الزجاج الذي جرى على سنن سيبويه في الكتاب من حيث ترتيب الأبواب والاطالة ، ونقل الأمثلة القرضية كأن يقول :

إذا سميت رجلا بالآلف واللام من قولك الغلام <sup>(٦)</sup> .

إذا سميت رجلا باما <sup>(٧)</sup> ، وأما ، والا ، وأما ، والا <sup>(٨)</sup> .

وقد عرضت قبل المميزات العامة لكتاب الإيضاح ، وأود هنا في هذه الدراسة المقارنه أن أبين السمات المميزة للزجاج في كتابه سر النحو والتي ينفرد بها عن عداه فأول ما يلاحظ من هذه السمات أن الزجاج أثري ، وتتجلى هذه السمة في مظهرين .  
أ - الاستناد على رسم المصحف في التعليل .

ب - التنبيه على أن القراءة سنة .

فمثال المظهر الأول وقوله ، ترى فيه لفتان بعض العرب لاينونها ، وبعضهم ينونها . من لم ينون جعل ألفها للتأنيث ، ومن نونها جعل ألفها تلحق الثلاثة بالاربعة وجائز إذا نونت ألف النصب كأنه قال : تتربعمي وترأى أرسلناهم متواترين ، و ترا

وترا وترا ، والقولان الاولان قول النحوين وبهما نقول إلا أن هذا القول الثالث يوجه مذهب من القياس ويدفعه كونها في المصحف بالياء ، لأن ألف النصب لا تكون ياء ، وإنما تكتب ألف التانيث ياء لأنها إذا ثنيت أبدل من الألف ياء فقليل جليان<sup>(١)</sup> . وهكذا يجعل رسم المصحف دافعاً لما أوجه القياس .

ومثال المظهر الآخر : قوله : « يجوز في حيث الفتح تقول : حيث زيد قائم ، فأما في القراءة فلا يقرأ » سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وإن كانت جائزة في العربية ، لأن القراءة سنة متبعة فخالفتها بما يجوز في الاعراب بدعة<sup>(٢)</sup> . وهذا هو مذهب الذي أشرت إليه وعلته عند الكلام على طريقته في الاحتجاج من كتابه المعاني . وثاني السمات التي تبدو عند الزجاج : الاشتقاق ، وقد بينت قبل ولع الزجاج به ومذهبه فيه<sup>(٣)</sup> وهنا أشير إلى مثال يدل على هذه السمعة عنده .

قال : قال جميع البصريين في اسم موسى وعيسى أنهما أعجميان ، وهما معرفة تقول جاءني موسى ، وموسى آخر ، وجاءني عيسى ، وعيسى آخر . فإن أردت موسى الحديد فهي مؤنثة ، وهي تنصرف في النكرة تقول هذه موسى حادة ، وتقديرها مفعل تصلح أن تكون من شيتين يرجعان إلى شيء واحد ، تصلح أن تكون من أسوت إذا أصلحت فكان أصلها مؤسس إلا أن الهمزة إذا سكنت وقبلها ضمة وخففت أبدلت واواً فالزمت هذه اللفظة تخفيف الهمزة وقد قيل إنها من أوسيت أي خلقت ، وذلك من هذا لأن معناه كله الإصلاح<sup>(٤)</sup> .

وهكذا ينتهز الزجاج الفجوة التي ينفذ منها إلى الحديث عن الاشتقاق الذي برع فيه ، واشتهر به ، وميزه عن سواه . وانظر قوله في آخر النص السابق « وذلك من هذا لأن معناه كله الإصلاح » — تجده أعطاك نظرية في الاشتقاق إذ يجعل لمعاني المادة اللغوية أصلاً تعود إليه .

وثالث السمات التي تميز أبا القاسم الزجاج : دفاعه عن المبرد ورواية أقواله<sup>(٥)</sup> ، وذلك أثر من آثار الصحبة بين الرجلين . وقد تعرضت إلى ذلك عند الكلام على معاني القرآن للزجاج<sup>(٦)</sup> .

وهذه السمات الثلاث تبرز شخصية الزجاج في كتابه سر النحو ، وهو في غيرها خافت الصوت لا يكاد شيء من شخصيته يبين ، وبعد فسر النحو للزجاج مخطوط بدار الكتب رقم ١٤٩ نحو وهو في ٩٩ ورقة برواية النحوى المصرى أبى جعفر أحمد بن إسماعيل النحاس عن الزجاج .

(١) سر النحو ورقة ٤ (٢) ٥٨ (٣) انظر ص ٩٦٥ وما بعدها من هذا البحث  
(٤) سر النحو ١٢ (٥) ٥٧ (٦) انظر ٥ في موضعه من هذا البحث

## الشيرازيات

جعل أبو على الشيرازيات في أربعين مسألة منها ما هو لغوى في المسألتين الثانية عشرة والثالثة والعشرين . ومنها ما هو نحوى وعدده ثلاث عشرة مسألة ( ٣ ، ٤ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢١ ، ٢٢ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٣٨ ) ومثل هذا العدد من المسائل : صرفى ( ١ ، ٢ ، ٦ ، ١٠ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٠ ) وبعضها مسائل لإعرابية ، وقد بلغ عددها خمس مسائل ( ٥ ، ١١ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ) ومنها سبع مسائل تناول فيها أبياتاً للشعراء من الجاهليين والإسلاميين والمولدين والمحدثين ، أربع من هذه السبع للخطبة ( المسألة رقم ٧ ) والأعشى ( مسألة ٨ ) وعدى بن زيد ( مسألة ٩ ) وأبى الصلت عبدالله بن أبى ربيعة والد أمية ( المسألة ٢٠ ) ثم مسألة تعرض فيها لبيتين أنشدهما أبو زيد ( مسألة ٢٧ ) وأما المسألتان الأخيرتان من هذه المسائل السبع فقد جعلنا من نصيب المتنبى ( المسألتان ٣٤ ، ٣٥ ) .

والمسائل من كل صنف متتابعة في القليل النادر ، وهى فى الأعم الأغلب على غير ذلك ، كانت الأولى والثانية صرفيتين ، كما كانت الثالثة والرابعة نحويتين ، تلتهما الخامسة وهى تتعلق بالإعراب ، والسادسة وهى صرفية ، ثم كانت السابعة والثامنة والتاسعة تناول فيها أبياتاً للشعراء ، ولم يعد إلى تناول هذه الأبيات وعقد المسائل خاصة بها إلا فى المسألة العشرين ، فاصلاً بين المسألتين التاسعة ، والعشرين بمسائل مختلطة أمشاج من النحو والصرف والإعراب على غير ترتيب .

وفى الشيرازيات إشارات تاريخية تعين على معرفة ميلادها ولو على وجه التقريب ، فإن التحديد الدقيق غير ميسور ، وخاصة إذا لم تكن هناك نصوص دالة كاشفة .

من هذه الإشارات التاريخية ما رأيته فى صدر المسألة الأولى من قوله : : بدأت بقراءة هذه المسائل على الشيخ أبى على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحوى ( أيده الله ) فى شهر رمضان سنة ٣٦٣ هـ <sup>(١)</sup> .

ومنها أيضاً ما اختتمت به هذه المسألة حيث يقول : : هذه مسألة أملاها بشيراز فى المسجد بالربض ، <sup>(٢)</sup> .

ومنها كذلك ما صدرت به المسألة الثانية : « قرأتها على الشيخ (أيده الله) في جمادى الأولى سنة ٣٦٤ في منزله ، وهذه المسألة هي التي كتبها أبو علي لعضد الدولة كما يصرح بذلك في قوله : « كتبتهامولانا الملك الجليل عضد الدولة (أطال الله بهاءه ، وأدام سلطانه ، وثبت ملكه ) »<sup>(١)</sup> .

والظاهر أنه كتب المسألتين العشرين والسابعة والعشرين إلى عضد الدولة كذلك ، فقد صدر كلاهما بكلام فيه الدعاء بالتأييد ، وذلك قوله في المسألة العشرين<sup>(٢)</sup> . « فهمت ما ذكرته (أيذك الله) من تفسير البيت الذي ورد الأمر بتفسيره وهو قوله :

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً في رأس غمدان داراً منك محلاً  
وفي هذا النص أكثر من دليل أنه لعضد الدولة .

(١) الدعاء في (أيذك الله) .

(ب) وورود الأمر بتفسير البيت .

(ج) واختيار هذا البيت الذي يتصل بحياة عضد الدولة وما يرغبه من عيش الملوك في الشرب الهنيء وارتفاع التاج .

كل هذه أدلة ترجح أن الأمر بتفسير البيت هو عضد الدولة .

ودعاء أبي علي بالتأييد كذلك في السابعة والعشرين يوحى بأنها مكتوبة إلى عضد الدولة وإن لم يصرح به .

وقد جاء في آخر المسألة الثانية والثلاثين ما نصه : « وقد جاء الحذف في كلامهم للاستغناء بما ذكر عن المحذوف كما رأى مولانا الملك (أدام الله تأييده) في المسألة<sup>(٣)</sup> .

وإذن فقد ولدت الشيرازيات بعد اتصال أبي علي بعضد الدولة وأرجح أن يكون ذلك حول سنة ٣٦٠ هـ .

إلى جانب هذه الإشارات التاريخية لإشارات أخرى :

فهو يذكر في صدر الثالثة أنه كتبها للأستاذ أبي نصر (رحمه الله)<sup>(٤)</sup> ، وكذلك فعل في المسألة الرابعة والعشرين<sup>(٥)</sup> . ويذكر في المسألة الثلاثين أن أبا نصر (رحمة الله عليه) سأل عنها<sup>(٦)</sup> .

(١) لوحة ١١ (٢) لوحة ٧١ (٣) لوحة ١٣٧

(٤) لوحة ١٤ (٥) لوحة ٨٥ (٦) لوحة ١٢٥



فمن أبو نصر هذا الذي كتب إليه الشيخ أبو علي واتصل به ؟ ظننت أول الأمر أنه أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري فإنه كان أديبا عاصرا أبي علي ، وأخذ عنه <sup>(١)</sup> . ولكن هذا الظن اتقى بقول أبي علي : كتبناها للاستاذ أبي نصر ( رحمه الله ) <sup>(٢)</sup> ، وتوفي الجوهري سنة ٣٩٢ هـ فيما يذكر القفطى في أحد قوله <sup>(٣)</sup> ، ويجعل ياقوت الوفاة سنة ٣٨٦ هـ <sup>(٤)</sup> ، ويفهم من الدعاء بالرحمة في نص الشيرازيات أن أبا نصر توفي في حياة أبي علي ، وإذن فليس إسماعيل بن حماد الجوهري هو المعنى بأبي نصر . وهناك من يكتفى بأبي نصر ذكر خبره صاحب الصبح المنبى <sup>(٥)</sup> ، وقد عاصر أبا علي ، ولكنه غير أبي نصر الذي ورد ذكره في الشيرازيات ؛ ذلك لأن أبا نصر المذكور في الصبح المنبى اسمه عبد العزيز بن نباته السعدى ، وقد صرح الشيخ أبو علي باسم أبي نصر في موضع آخر فذكر أنه أبو نصر محمد بن هبة الله <sup>(٦)</sup> ، فاذا استفتيت ابن الجزرى في طبقات القرام وجدت أن محمد بن هبة الله هذا شيرازى <sup>(٧)</sup> ، والراجح أنه قد مات قبل أبى علي وإن لم يذكر ابن الجزرى سنة الوفاة ، وقد كان محمد بن هبة الله هذا محدثا <sup>(٨)</sup> .

والشخصية الثالثة التى اشتركت في نصيب الشيرازيات : د أبو الحسن حمد ، قال الشيخ أبو علي في صدر المسألة الخامسة . كتبناها إلى الشيخ أبي الحسن حمد <sup>(٩)</sup> ، فمن ذلكم الشيخ ؟

ذكر ابن الجزرى كثيرا عن اكتبوا بهذه الكنية : د أبى الحسن ، ولعله أبو الحسن القسوى <sup>(١٠)</sup> ، ولعل فسويته قد ربطت بينه وبين أبى علي كارتبطت شيرازية أبى نصر بينه وبين الشيخ كذلك .

كل هذه الإشارات تدل على أن هذه المسائل أملى بعضها ، وكتب بعضها إجابة عن سؤال سائل في حلقة الدرس ، بالمسجد أو المنزل ، وأن أولئك الذين كتب إليهم راداً على استفسارهم كانوا رموس القوم بشيراز ( كعصند الدولة ) وأبى نصر

(١) انظر تركة الألباء ٢٢٧ ، والأعلام : ١٠٥/١ ، وبنيّة الوعاة ١٩٥ ومجمع الأدباء

١٥١/٦ سلم الوصول ١٦٦

(٢) انظر لوحة ١٤ شيرازيات (٣) انظر انباء الرواة ١٩٦/١

(٤) انظر مجمع الأدباء ١٥١/٦ (٥) انظر هامش شرح المعبرى للتنبى ١٩٧/١

(٦) انظر الشيرازيات ٨٥ (٧) طبقات القراء ٢٧٤/٢

(٨) انظر الاثنان ١٤٩/١ (٩) لوحة ٢٢ (١٠) طبقات القراء ٢٦٦/٢

محمد بن هبة الله . أو بفسا كأبي الحسن حمد . ثم جمعت هذه المسائل كما يفعل الناس في هذا الزمان من جمع مقالات نشرت هنا وهناك وضمت في كتاب .

ومن أجل ذلك يبدو في هذه المسائل التأتى والتبسط والتقصى والتأتى أيضاً ولم يكن جعله أولى هذه المسائل « في تصريف قولهم أول ، بعيداً عن غاية مقصودة بل كان ذلك شيئاً بما يسميه البديعيون : « براعة استهلال » .

والدليل على تأتى أبي على أنه يعرض للآراء المختلفة مفنداً ومعضداً ، مستدلاً بالأصول اللغوية ، ويتعرض للخصوم ، ويمعن في الجدال ، ويشقق المقال ، ويستكثر من الشواهد<sup>(١)</sup> ، ويجمع الأشباه والنظائر ، ويدلل على أوجه الإعراب<sup>(٢)</sup> ويستطرد لأدنى مناسبة ، ويعقد حديثه بمسائل المنطق<sup>(٣)</sup> ، وهذا شأنه دائماً حين يريد الاستيفاء والاستيعاب في تأن وإبطاء . ومن هنا جاءت هذه المسائل طويلة ممتدة ، إذ كانت حافلة بهذه المظاهر السابقة جمعاء . وأود أن أعرض مسألة واحدة — أى مسألة — فتناول واحدة بالتحليل يختصر الخصائص المشتركة في كل المسائل .

ولإليك عرضاً للمسألة الثالثة والثلاثين<sup>(٤)</sup> ، عقد أبو على هذه المسألة للحديث عن نسبته درهماً مكتوباً عليه : « قل هو الله أحد » ، فذكر أولاً ما تحتمله القسمة من هذه النسبة : وهو « قل ، والا هي ، ولا هي ، وأحدى ، وهوى ، وقولى » ، وقرر أن هذا يجوز كله إلا « قل وهوى » .

ثم جوز قول مستدلاً بما ينطق به العرب ومقايساً عليه<sup>(٥)</sup> . ثم ذكر اعتراضاً وردده وذلك قوله : « فإن قيل ، لم لا تبقى الضمير في قل ولا تخلعه كما قلت كنتى ... »

ثم انتقل إلى الحديث عن جواز « لا هي ، ولا هي » ، واستدل عليه بقرأة لابن مسعود ، وما ذكر سيبويه على اعتبار أن قل ليست من السورة على قرأة ابن مسعود .

ثم دلل على « أحدى » — إذا كانت قل ليست من السورة — واستند في تدليله على أصل إعرابي « هو » أن المستفاد من المبتدأ والخبر إنما هو الخبر ، وقايس ذلك بما يكون في الجملة الفعلية من أن المستفاد من الفاعل والفعل إنما هو الفعل ... وبما

(٢) انظر لوحة ١٣٣، ١٣٤

(١) لوحة ١٣٨

(٤) انظر اللوحة (٥) اللوحة ١٣٩

(٣) لوحة ١٣٨ وما بعدها

يكون في إضافتهم إلى تأبط شرأ بقولهم « تأبطى ، وانتهى من هذا القياس إلى الإضافة إلى الخبر الذى هو أحد من قولهم « الله أحد ، فتقول إحدى ...  
ثم دلال على جواز «أحدى» على اعتبار أن قل من السورة ، إذ يكون ذلك على قياس من قال شرى فينسب إلى شرأ من تأبط شرأ .

ثم دلال على امتناع «هوى» من الجواز معتمداً على أصل نحوى ، وذلك أن «هو» ضمير القصة والشأن لا يوصف ، ولا يعطف عليه ولا يؤكد ...

ودلال على امتناع «قل» بما تودى إليه الصناعة الصرفية وذلك إذ يقول : « وأما امتناع قل فلأن اللام قد تحركت فينبغى أن ترجع الواو ، ولأنها حذفت لالتقاء الساكنين زال التقاؤهما ...

وبين وجه امتناع النسب إلى صمدى وغيره بما فى السورة بأنا نقيس على ماسمعنا من كلام العرب ، وهم قد اختاروا أن يضيفوا إلى صدور الجمل ، فكذلك نقيس فلا تنسب إلى غيره بما فى السورة .

ثم استطراد من ذلك إلى بيان امتناع «إخلاصى» لأنك بذلك قد نسبت إلى ما لقبت به السورة ، واللقب يوضع على الملقب به . وأنت إنما تنسب إلى الشيء لا إلى ما يدل عليه ولم تضطر إلى ذلك .

ثم استطراد أبعد من ذلك فبين السبب فى تلقيب السورة بالإخلاص .  
ثم وازن بين الأوجه الأربعة الجائزة ، فذكر أن المختار منها «قولى» إذا جعلته من السورة ولم تجعله على قراءة ابن مسعود . ودلال على وجه الاختيار فى ذلك . . .

وبين أن الأوجه الأخرى غير ممتنعة ولا رديئة .  
هذا مثال يوضح كيف يتناول أبو على المسائل فى الشيرازيات ، وفيه كما ترون التوجيه ، والتدليل ، والتفنيد ، والتعليل ، والمنطق والتقسيم ، والاستطراد ، والقياس ، واستغلال الأصول اللغوية والصرفية والإعرابية .

وظهور ذلك كله فى الشيرازيات صدى لهذه الحياة الطويلة المستقرة التى عاشها الشيخ فى شيراز ، فقد استظهرت فى فصل سابق أنه مكث ما يقرب من عشرين عاماً بها ، فجاءت هذه المسائل مرآة لاستقراره ، ومظهراً لثقافته فى العربية ، وصدى لاطمئنانه فى الدرس والإملاء والكتابة والاجابة ، على وجه العموم .

وفي الشيرازيات .

(١) استهداء بالحس النفسى فى التعليل : أورد قول أبى دوار فى وصف ثور .

ويصبح أحيانا كما استمع المضل لصوت ناشد

ثم شرح المضل فقال : المضل الذى قد أضل بعيرا وغيره ، والناشد الطالب لضالته ، فهذا المضل شديد الاصغاء إلى صوت الناشد ليتأسمى به فيتعزى ، وعلى هذا قالوا : الشكلى تحب الشكلى ، ومن ذلك قول الخنساء .

فلولا كثرة الباكين حول على إخوانهم لقتلت نفسى

وما سيكون مثل أخى ولكن أعزى النفس عنه بالتأسى

وقال آخر :

وإن الالى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسى

وقد منح الله هذه النعمة أهل النار وسلهم إياها فقال تعالى : « ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون ، فاشتراكم فيما يعرضون عليه من العذاب لم يحدث لهم تعزيا ولا تسليا فيكون ذلك تخفيفا عنهم ، وترويحاً لهم ألا تراه قال : « لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ، (١) » .

ولا أطيل باستقصاء دلائل هذا الاستهداء فيمكنى المثال الذى ذكرت وأحيل إلى نظائره فى الشيرازيات (٢) . وقد رأينا أن هذه الظاهرة كانت بذرة نمت وترعرعت عند ابن جنى ، وظهرت آثارها فى المحتسب (٣) .

(٢) واستغلال العروض فى الاستدلال : قال : « وينبغى لمن لم ير منهوك الرجز ولا مشطوره ولا منهوك المنسرح كقوله : صبراً بنى عبد الدار ، ، « وويل أم سعد سعداً ، — شعراً ألا يعمل فيه أنشد كما لا تقول أنشدت سجعاً ، وهذا مذهب أبى الحسن الأخفش وما احتج به لذلك أن النبى ( عليه السلام ) لا يجرى على لسانه الشعر ، وقد قال الله : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، ، قال وأنشد هذا البيت :

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعينه

قال : فإن احتج محتج بأن النبى ( عليه السلام ) قال : « الله مولانا ولا مولى لكم ، فإن هذا على الوقف ولو وصل لقال لا مولى لكم . قال : وإنما يحسب

الشعر على الوصل لا على الوقف قال : « وكان الخليل يجيز هذا ، ومن حجة الخليل عندى فى ذلك قول رؤبه : « وقلت شعراً من طرازى معلمه » .  
يعنى فيما أحسب أرجوزته التى أولها « قلت لزيد لم تصله مريمه » ، ولم نعلم رؤبة قال القصيد وإنما جمع بينهما كما جمع بينهما غيره كأبى النجم <sup>(١)</sup> .  
وكذلك فعل فى تقدير المحذوف من قولهم « الله لأفعلن » <sup>(٢)</sup> .

(٣) والاحتجاج بالحديث الشريف : قال : وإنما صار قولهم « عمر ك الله » يدل على السؤال ، وكذلك قعدك الله ، لأن الكلمة تستعمل عند السؤال فى أكثر أمرها فمن ذلك ما جاء فى الحديث أن رجلاً بايع رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) فرأى منه مسامحة فقال له عمر ك الله من أنت ؟ فقال امرؤ من قريش ، فلما صارت تستعمل عند السؤال كثيراً صار إذا قالها كأنه قال : ما أسألك إلا كذا وعلى هذا قول الشاعر :

عمر ك الله أما تعرفنى ؟ أنا حراث المنايا فى الفتى <sup>(٣)</sup>

وعند كلامه على أن رزأ تتعدى إلى مفعولين استشهد بالشعر واستطرد قائلاً وفى الحديث : « المؤمن مرزأ » ثم قرأ أن تضعيف العين فى مرزأ إنما هو للتكثير يراد يرزأ مرة بعد مرة <sup>(٤)</sup> ، وانظر بعد ذلك استشهاده بالحديث : عليكم بالبائة فإنه أغض للبصر <sup>(٥)</sup> .

(٤) وتفسير القرآن بالقرآن : قال فى معرض تقرير القاعدة : إن ما قرب من مشاركة حال قد يوقع عليه لفظ الماضى « — وما يستقيم أن يكون على هذا التأويل قوله : « يرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت » لما كان السوق يتبع الإشارة بلا كبير مهلة أوقع عليه لفظ الماضى فكذلك قوله فأحيينا وفى الأخرى بزجى سحاباً ثم يؤلف بينه فجاء على لفظ الاستقبال ، والازجاء السوق ، وفى الأخرى لنحيى به بلدة ميتاً فجاء على لفظ الاستقبال والحقيقة ، وجاء فأحيينا على ما ذكرت .  
وأضئ فى بيان الخصائص مشيراً إلى المصادر دون ذكر النصوص اختصاراً .  
(٥) والاحتجاج بالقراءات <sup>(٦)</sup> وما تقوله العرب <sup>(٧)</sup> .

(١) الشبازيات لوحة ١٨-١٩ (٢) انظر لوحة ٢٦-٢٧ (٣) لوحة ٢٥

(٤) لوحة ٨٥ (٥) لوحة ٩٧ وما بعدها (٦) انظر لوحة ٥٥ (٧) لوحة ٣١

- (٦) والتعرض بالتدليل على مذهبه في مسائل الخلاف<sup>(١)</sup>.  
 (٧) والدليل على أنه راوية حافظ لأشعار العرب<sup>(٢)</sup> وكثرة الاستشهاد وتدقيقه<sup>(٣)</sup>.  
 (٨) والاشارة إلى ثقافته الشرعية<sup>(٤)</sup>.  
 (٩) وعلمه بالأخبار الادبية<sup>(٥)</sup>.  
 (١٠) والكشف عن طريقة تناول الآيات الشعرية بالدراسة.  
 ١ - يشرح المعنى ويستعين بالمأثور من القرآن الكريم والمروى من الحديث والشعر.  
 ب - ويوضح الألفاظ اللغوية ويستشهد لها.  
 ح - ويعرب ما فيه إشكال أو غموض في البيت<sup>(٦)</sup>.  
 (١١) والدليل على علمه بآراء البغداديين والأئمة السابقين : بصريين وكوفيين النحويين واللغويين<sup>(٧)</sup>، (١) ووقوفه من هؤلاء وهؤلاء موقف الفاحص لحججهم، المنصف لهم، والمرجح لآراء بعضهم على البعض الآخر بما يدل على شخصيته الواضحة القوية واستخدام لاصطلاحات الكوفيين<sup>(٨)</sup>.  
 (١٢) الحرص على نسبة الآيات إلى قائلها<sup>(٩)</sup>.  
 (١٣) استخدام المنطق في الاستدلال والجدال : استعمل التقسيم<sup>(١٠)</sup> وقال : الدعوى إذا عريت من الدلالة، ودفعها الأصول المقر بها المجمع عليها لم تصح ولم تثبت<sup>(١١)</sup>، واستعمل الاستثناء الانفصالي<sup>(١٢)</sup>.  
 (١٤) وارتباط التوجيه الإعرابي بالمعنى البلاغي . جاء في الشيرازيات : قوله : من شر الوسواس الخناس، إذا جعل التقدير فيه من شر ذى الوسواس أو صاحب الوسواس لحذف المضاف في اللفظ وأقيم المضاف إليه مقامه احتمل وجهين :

(١) المصدر السابق (٢) لوحة ١٨  
 (٣) انظر اللوحات ٥٣، ٦٠، ٦١، ١١٠، ١٣٨  
 (٤) لوحات ٢٦، ٢٧، ٤٤، ٨١ (٥) لوحة ١٢٠  
 (٦) انظر لوحة ٢٦، ٩٩ (٧) انظر اللوحتين ٥٧، ٨٠  
 (٨) أطلق الفارسي البغداديين على الكوفيين يدل على ذلك قوله : وقال الفراء عن الكسائي : لا أتيك أبد الأبيد وأبد الآباد ، وزاد غيره من البغداديين أبد الأبدين ، وأبد الأبدية وأبد الله - قال : وتأويل هذه الحروف أبد الدهر .  
 (٩) انظر مثلا لوحة ٤٦ (١٠) لوحة ٥١  
 (١١) لوحة ٥٢ (١٢) لوحة ٧٦ ثم انظر اللوحتين ١٢٨، ١٣٩

أحدهما : أن يكون الفاعل بعد حذف المضاف على ما كان قبل الحذف ، وعلى هذا قولهم صلى المسجد ، يطوهم الطريق ، وسل القرية ، المعنى فى ذلك بعد الحذف على ما كان قبل من أن الفاعل الأهل كأنه يطوهم أهل الطريق ، وصلى أهل المسجد ، وسل أهل القرية .

والآخر : أن يجعل الاسم بعد حذف المضاف إذا كان غير عين بمنزلة العين وذلك إذا أريد به المبالغة وكثرة المعاناة للشيء والمحاولة له يدل على ذلك أنهم قالوا شعر شاعر ، وموت مائت ، ووتدواتد ، فكما جعلوا المعنى الذى هو غير عين فى هذا النحو بمنزلة العين حيث جعلوه فاعلاً كذلك جعلوا العين بمنزلة غير العين لاجتماعهما فى المبالغة وكثرة المعاناة قال ابن مقبل :

إذا مت عن ذكر القوافى فلن ترى لها شاعراً مثلى أطب وأشعرا  
وأكثر بيتاً شاعراً ضربت به بطون جبال الشعر حين تيسرا  
فقال وأكثر بيتاً شاعراً فجعل بيت الشعر شاعراً ، وفى البيت دلالة أخرى على صحة هذا المعنى : وهو قوله : ضربت به بطون جبال الشعر ، فلولاً أنه عنده بمنزلة العين ما أضاف إليه ما يضاف إلى الأعيان <sup>(١)</sup> .

(١٥) وفى الشيرازيات بعد ذلك طائفة صالحة من مسائل البلاغة : وقد استشهد الإمام عبد القاهر الجرجاني بالشيخ أبى على ، ونقل نصاً من الشيرازيات فى دلائل الإعجاز <sup>(٢)</sup> .

وتعليل هذه الاستعانة بميسور ؛ فالإمام الجرجاني تلذذ على أبى الحسين ابن أخت أبى على — ولا يعرف له أستاذ سواه <sup>(٣)</sup> . وقد نشر أبو الحسين ما أخذه عن خاله أثناء طوافه بمرجان .

(١٦) ويبدو فى الشيرازيات الاستطراد ، وأرى أن سبب هذا الاستطراد فى الشيرازيات بمخاصة ما أتيح للشيخ من التأنى فى املائها أو جمعها ، ثم ما كان عليه الشيخ من علم واسع غزير ، وما طبع عليه من قوة الاستحضار ، ووفرة الشواهد وظهور تداعى المعانى ، فهو إن تحدث — مثلاً — فى إعراب هنيئاً من قوله : اشرب هنيئاً . . . . البيت .

---

(١) لوحة ٥٨-٥٩

(٢) انظر دلائل الإعجاز ص ٢٥٢ وانظر لوحة ٦٨ ، ١٠٥ من الشيرازيات

(٣) انظر ترجمة الألباء

استحضر قول كثير : هنيئاً مريئاً غير داء مخامر .  
وقول الشاعر :

هنيئاً لأرباب البيوت بيوتهم وللعزب المسكين ما يتلبس  
وما أنشده أبو اسحاق :

هنيئاً للدينة إذ أهلت بأهل الملك أبداً ثم عاداً <sup>(١)</sup>  
والأمثلة على استطراده كثيرة <sup>(٢)</sup> .

(١٧) وفي الشيرازيات كثير من الأصول العامة في النحو واللغة والمنطق اعتمد عليها أبو علي في الاحتجاج والدليل . وإليك طرفاً من هذه الأصول تشير إلى ما شاع في هذه المسائل منها .

(١) قد يجرون الشيء مجرى النظير <sup>(٣)</sup> .  
(٢) الدعوى إذا عريت من الدلالة ، ودفعتها الأصول المقر بها ، المجمع عليها لم تصح ولم تثبت .

(٣) البديل إنما يكون بعض المبدل منه أو يكون هو هو <sup>(٤)</sup> .  
(٤) يحمل على معنى النفي دون لفظه <sup>(٥)</sup> .

(٥) ليس في الأسماء المتمكنة اسم على حرف واحد <sup>(٦)</sup> .  
(٦) الجمل لا يخبر عنها إنما يخبر عن المفردات <sup>(٧)</sup> .

والنسخة التي اعتمدت عليها تكبير للفلم رقم ( ٩٣٢ ) بمعهد إحياء المخطوطات بالأمانة العامة للجامعة العربية ، وهي صورة للنسخة المخطوطة المودعة مكتبة راغب بالآستانة رقم ١٣٧٩ وتاريخها القرن العاشر بخط نسخ حسن مشكول عن نسخة كتبت سنة ٣٩١ ، وعدد أوراقها ١٥٧ ورقة ، وعدد أسطر الصفحة ثمانية عشر سطراً . وفي ظاهر هذه النسخة ما نصه : قرأ على أبو غالب أحمد بن سابور هذا الكتاب وكتب الحسن بن أحمد الفارسي .

والشيرازيات مقسمة إلى ثلاثة عشر جزءاً ، وعلى ظاهر كل جزء التوثيق السابق من أبي علي لأبي غالب أحمد بن سابور .

(١) انظر لوحة ٧٦-٧٧

(٢) انظر مثلاً اللوحة ٨٥، ٧٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧ وهي كما ترى صفحات متقاربة

(٣) لوحة ٣٤ (٤) لوحة ٥٢ (٥) لوحة ٦٢

(٦) لوحة ٦٩ (٧) لوحة ٨٧ (٨) لوحة ١٤١



وكل جزء من هذه الأجزاء لا يستقل بما فيه عما قبله وما بعده بل هي مترابط  
أحياناً. فأخر الجزء الثاني مثلاً ( فعل ) وفاعله في أول الجزء الثالث .  
وآخر الجزء الثامن عبارة : ما أنشده أبو زيد . وفي أول الجزء التاسع : تعوجكم  
على وأستقيم .  
وقد تستقل الأجزاء أحياناً كاستقلال السابع عن الجزأين قبله وبعده : السادس  
والثامن . واستقلال الحادى عشر كذلك .  
هذا وتوجد نسخة من الشيرازيات عتيقة عادية عنها خط أبي على في خزانة كتب  
الأمير على ( رضى الله عنه ) بنجف وأوراقها ٢٩٩<sup>(١)</sup> .  
ولم يستعن البغدادى بالشيرازيات كثيراً فجملته ما استعان بها مرتان : لإحداهما  
في الجزء الأول من الخزانة : ٥١٥ والأخرى في الجزء الثالث منها : ١٥٦<sup>(٢)</sup> .

(٢) انظر إقليد الخزانة ١٠١

(١) انظر هامش إقليد الخزانة ١٠١

## من كتاب الشعر

ورد هذا الكتاب بأسماء مختلفة في كتب التراجم ، فالفهرست يذكره باسم « أبيات الإعراب » ، <sup>(١)</sup> وكذلك ذكره إرشاد الأريب <sup>(٢)</sup> وبغية الوعاة <sup>(٣)</sup> ، أما بروكلمان فقد ذكره باسم « كتاب الشعر » ، أو العضدى <sup>(٤)</sup> .

وجاء في الجزء الثالث من الحجة : « باسم شرح الأبيات المشكلة للإعراب من الشعر » <sup>(٥)</sup> . ويبدو أن هذا هو الاسم الكامل للكتاب ، فذكره بعض المترجمين مختصراً مرة باسم أبيات الإعراب ، وأخرى باسم الشعر .

وقد أخرج Roldiger جزءاً من كتاب الشعر ، واشتمل هذا الجزء على « باب في تقسيم الكلم التي سميت بها الأفعال » ، والقدر الذي ورد فيه يلقي ضوءاً على منهج أبي علي في تناوله مسائل النحو كما جاء في هذا الكتاب .

ففي هذا الجزء الذي وصل إلينا قدّم أبو علي أولاً جملة أبيات يشتمل كل بيت منها على اسم فعل ، وكانت هذه الشواهد من شعر الأعشى ، وابن كلثوم ، والفرزدق ، وبما أنشدّه أبو عبيدة ، وأحد بن يحيى ، وعلي بن سليمان ( الاخفش ) وغيرهم : ثمانية شواهد نسب خمسة منها إلى قائلها ونص في بيت علي أن علي بن سليمان هو الذي أنشدّه ، وترك اثنين من غير نسب <sup>(٦)</sup> .

ثانياً : ثم تساءل عن هذه الكلمات : « أسماء الأفعال » : « أسماء هي أم أفعال ؟ وحكم بأنها أسماء ، ودلّ على ذلك بأن الضمائر تنصل بها على حد اتصالها بغير الفعل ، وضرب مثلاً لذلك ب ( ها ) حيث اتصل الضمير بها في هاؤما وهاؤم ولم يكن هاها ، وهاؤوا كقولك اضربوا واضربوا ، ولكن كقولك أتما وأتم » <sup>(٧)</sup> .

(٢) انظر معجم الأدباء : ٢٤٢/٧

(١) الفهرست ٩٥

(٣) انظر ٢١٧

(٤) انظر الجزء الاول ١١٣ : ١١٤ وملحق المجلد الاول ١٧٦ : ١٧٥ (وقد عدّه كتاباً

آخر غير الايضاح) مع أنهم يطلقون العضدى أحياناً على الإيضاح .

(٥) انظر الحجة ١٥/٣ نسخة البلدية (٦) انظر ص ٣ (٧) المصدر السابق

ثالثاً : ثم أورد اعتراضاً بأن الضمير قد يتصل بالفعل على حد ما اتصل بهاؤما وهائوم ، وذلك قولك قتما وقتم ، تسامل : وهلا لم يدل اتصاله على هذا الوجه عندك أنه اسم إذ قد يتصل بالفعل على ما أريناك <sup>(١)</sup> .

رابعاً : وبعد أن رد ذلك الاعتراض أورد اعتراضاً آخر بالسؤال الآتي : هلا زعمت أنها أفعال ، لأنه كما اتصل به الضمير على حد ما ذكرته مما يتصل بغير الأفعال فقد اتصل به أيضاً على نحو ما يتصل بالفعل ، لأن أبا عمر قد حكى أن منهم من يقول : هاءاً وهاموا فهذا مثل أضرباً وأضربوا وهلا قلت : أنه يكون اسماً تارة وفعلأ أخرى ١٩

ثم أجاب عن ذلك الاعتراض <sup>(٢)</sup> ،

خامساً : وخلص من ذلك إلى أن اتصال الضمير بقولهم هاء في قول من قال هائياً لا يدل على أنه فعل محض إذ كان للشبه بغيره — في قولهم هات وهاتيا — كما أن اتصال الضمير بليس على حد اتصاله بكان لم يجعله مثله وإن كان قد جعل في الأعمال بمنزلة <sup>(٣)</sup> .

سادساً : ثم أسله ذلك إلى القضية الآتية والبرهان عليها : دكون ليس على أمثلة الماضي إنما هو شبه لفظي لا حقيقة تحته ، .

سابعاً : ثم استطرد من البرهان على القضية السابقة إلى قضية أخرى : د هذه الأمثلة : أسماء الأفعال ، إنما صيغت لتدل على ضروب الزمان ، ولولا ذلك لأغنت ألفاظ الأحداث عنها <sup>(٤)</sup> .

ثامناً : وبعد أن برهن على القضية السابقة قرر القياس الآتي : تجريد كان وأخوتها للأزمنة ، وخلصهم دلالة الحديث عنها كتجريدهم من بعض الحكم الخطاب ، وخلصهم معنى الاسم عنه وذلك قولهم ذلك وأولئك ، ودلل على هذه القضية <sup>(٥)</sup> . وأسله ذلك إلى :

تاسعاً : د الكون الذي هو مصدر المثال المستقل بفاعله في الدلالة على الحدث

(٣) انظر س ٥

(٢) انظر س ٤  
(٥) الصفحة السابقة

(١) انظر س ٤  
(٤) انظر س ٦

كالكون الذى هو مصدر المثال الذى لا يستقل به <sup>(١)</sup> ، ثم عاد للتدليل على أن  
« ليس » ليست فعلا على الحقيقة كأخواتها ولذلك لا توصل بها « ما » التى تكون  
من الفعل فى تقدير المصدر كما وصلوها بأخواتها ألا ترى أنك لا تقول : « ما أحسن  
ما ليس زيد قائما <sup>(٢)</sup> » ، وخلص من هذه القضايا والتدليل عليها إلى إثبات أن ليس  
قيل فيه أنه فعل للشبه اللفظى .

عاشراً : وانتهى إلى النتيجة الآتية فى ذلك القياس : « كما كان هذا حكم ليس وأن  
اتصل به الضمير على هذا النحو الذى اتصل كذلك حكم هاء فى قول من قال :  
هاثيا وهاثوا <sup>(٣)</sup> .

ثم بدأ بذكر قضية جديدة ، ليأخذ فى التدليل عليها تلك أن قولهم :  
« هاثوا وهاثوم من نادر العربية وما لا نظير له » .  
وهكذا يفتح أبوابا للنقاش والاعتراض والرد فى خلال البراهين على القضية  
الواحدة .

وبعد أن ينتهى من الدليل الأول على أن أسماء الأفعال أسماء وليست  
أفعالا يأخذ فى عرض دليل ثان ، وهو أن دراك ونزال وتراك لو كانت  
فعلا لوجب إذا قتلها فسميت بها شيئا - أن تعربها ولا تدعها على بنائها -  
كما هو الشأن فى الأفعال لا يختلف العرب ولا النحويون فى ذلك وإن كان عيسى  
قد اختلف فى كيفية الإعراب <sup>(٤)</sup> .

ثم أخذ فى إيراد الاعتراضات ورددها على نحو ما فعل فى الدليل الأول . من  
هذه الاعتراضات التى أجاب عنها ورددها :

( أ ) فإن قلت : فهلا قلت أن نحو « دراك » فعل لإعراب بنى تميم من ذلك  
فى التسمية ما لم يكن آخره راه <sup>(٥)</sup> . . .

( ب ) فإن قلت : فهلا استدلت بتنوين ما نون من هذا على أنه اسم نحو  
صه ومه لأن التنوين مما يختص الاسم كما أن دخول لام التعريف كذلك <sup>(٥)</sup> . . .

(١) كان التامه والناقصة (٢) انظر ص ٧ (٣) انظر ص ٨

(٤) انظر ص ٩ (٥) انظر ص ١٠

وهكذا يمكن بيان الخطوط الرئيسية في منهج أبي علي كما جاء في هذا الجزء من كتاب الشعر :

(١) الاستكثار من الشواهد الشعرية وتقديمها بين يدي البحث ، ولعل ذلك كان السبب في تسمية الكتاب : « كتاب الشعر » .

(ب) السبر والتقسيم ( القياس الاستثنائي الانفصالي ) ، والبرهان المنطقي الذي هو أشبه ببراهين المهندسين . وأقدم ما يأتي توضيحاً لذلك :

لا تخلو هذه الكلمات : أسماء الأفعال الواردة في الآيات : من أن تكون اسماً أو فعلاً ، ولو كان شيء من ذلك فعلاً لاتصل الضمير بما اتصل به منها على حد ما يتصل بالأفعال .

فلما اتصل به على حد اتصاله بغير الفعل ثبت أنه إسم وليس بفعل (١) .

(ج) كثرة إيراد الاعتراضات وردّها . وكثيراً ما يستعمل في التدليل « القياس مع الفارق » (٢) .

(د) الأسلوب الجدلي الذي يستلزم من القارئ اليقظة في تتبع القضايا والأدلة عليها ، وإلا انفكت جهة الكلام في ذهنه فلا يدري أين هو من الموضوع حيث يخرج من قضية إلى أخرى ومن اعتراض إلى آخر في استطراد وتفرّع .

(هـ) استغلال العروض في التدليل ، فقد تعرض للتنوين في القوافي في خاتمة الحديث عن التنوين في صه .

والجزء الذي وصل إلينا من كتاب الشعر مرآة لثقافة أبي علي ، وضلّاعته في مسائل النحو ، وبراعته في التدليل والجدال وتشقيق المقال .

هذا والجزء المذكور أخرجه ( Roldiger ) وطبع في ( Holis ) سنة ١٨٦٩ وفي قاعة الدراسات الشرقية بمكتبة جامعة القاهرة نسخة منه برقم ٦٧٥ لغة عربية . وقد أشار إلى هذه النسخة بروكلمان (٣) .

(١) الشعر ٣ (٢) انظر ص ٤

(٣) انظر المجلد الأول ١١٣-١١٤ والملحق ١٧٥-١٧٦

## أقسام الأخبار

من المخطوطات المصورة بمعهد إحياء المخطوطات بالأمانة العامة للجامعة العربية كتاب باسم « المجالس المذكورة للعلماء باللغة العربية » ، وقد نبه واضع الفهرس إلى أن المجالس المذكورة تليها المسائل الآتية :

( ١ ) مسائل من كلام تاج الدين زيد بن الحسن الكندى من ورقة ( ١٣٠ — ١٤٢ ) في المجموعة .

( ٢ ) مسائل من كلام ابن جنى من ورقة ( ١٤٣ — ١٤٩ ) في المجموعة .  
( ٣ ) مسألة لآبى على الفارسى في الأخبار أولها : الأخبار تنقسم إلى ثمانية أقسام من ورقة ( ١٥٠ — ١٧١ ) في المجموعة <sup>(١)</sup> .

دعاني هذا إلى الاطلاع على أفلام هذه المجالس ، ثم تصوير ما هو خاص بابن جنى وشيخه أبى على ، فرأيت ما يجب أن ينص على تصحيحه :

فمسألة الأخبار التي نص واضع الفهرس على أنها تشمل ورقة ( ١٥٠ — ١٧١ ) ليست كذلك ، بل إن هذا الحيز في هذه المجموعة يشتمل على المسائل الآتية :

أولاً : مسألة الأخبار لآبى على وهي من ورقة ( ١٥١ — ١٥٣ ) فقط .  
ثانياً : يلي المسألة السابقة أربع عشرة مسألة أخرى في موضوعات سأتناولها بالعرض والتعليق من ( ١٥٣ — ١٧٠ ) .

ثالثاً : ثم عقد فصل خاص نص على أنه من إملاء على بن عيسى الربعى من ( ١٧٠ — ١٧٢ ) .

رابعاً : ثم ختمت هذه المسائل بمسألة من كلام أبى الفتح عثمان بن جنى ورقة ( ١٧٢ ) .

ومن هنا كان ما نص عليه واضع الفهرس من أن مسألة الأخبار لآبى على الفارسى تشغل من ملحق كتاب المجالس المذكورة للعلماء الورقات من ( ١٥٠ — ١٧١ ) يخالف حقيقة الواقع وإنما يتضمن هذا الحيز كل المسائل المذكورة سابقاً بعد هذا التصحيح أعرض لمسألة الأخبار بما يبدو لى من ملاحظ : فأول

ما يلحظ في هذه المسألة ذلك التقسيم المنطقي الجامع للصور العقلية الممكنة : فالأخبار تنقسم على ثمانية أقسام الصحيح السليم ، والتبحيح النظم القريب من الفهم ، والخطأ ، والكذب المقرون بدليل الخلل فيه ، والكذب العارى من الدليل على موضع عيبه ، والمختل ، والملغى المقلوب<sup>(١)</sup> .

والكذب ينقسم خمسة أقسام : أحدهن تغيير الحاكى ما يسمع ، وقوله ما لا يعلم نقلاً ورواية ، ... وقسم آخر يكون كذب فيه أى قال قولاً يشبه الكذب والمتكلم به لا يقصد إلا الحق ... وقسم آخر يكون كذب فيه بمعنى أخطأ ... وقسم آخر يكون الكذب فيه بمعنى البطول : كذب الرجل بمعنى بطل عليه عمله وما رجى ( كذا ) ، ومعنى آخر للكذب وهو الإغراء ومطالبة المخاطب بلزوم الشيء المذكور<sup>(٢)</sup> .

ونجد خلال ذلك التقسيم : الاصطلاحات المنطقية كالحدد والقياس والدليل ، والفساد والصحة ...

وهناك سمة أخرى تلك الاستقصاء والاستطراد في الحديث .

وأخرى : التدليل على ما يقول بالقرآن الكريم<sup>(٣)</sup> ( وبالحديث الشريف<sup>(٤)</sup> والشعر<sup>(٥)</sup> وكلام سيويه ، وما نظقت به العرب من مأثور كلامهم<sup>(٦)</sup> ) . وكل هذه السمات نتيجتها أن ظهرت شخصية أبى على واضحة في الاحتجاج والتعليق .

\* \* \*

ومسألة أقسام الأخبار في مجموعها تأخذ طابع البحث اللغوى ، ولا يأتى التعرض فيها إلى الصناعة النحوية إلا قليلاً يجرى عند تخريج بعض الأساليب : كقوله في شرح الإغراء من أقسام الكذب :

كقول العرب كذب عليك العسل ، يريدون كل العسل ، تلخيصه أخطأ تارك العسل ورافضه ، فتاب المضاف إليه عن المضاف . قال عمر بن الخطاب : « كذب عليكم الحج ، وكذب عليكم العمرة ، كذب عليكم الجهاد ، ثلاثة أسفار كذبن عليكم

(١) انظر لوحة ١٥١ (٢) انظر لوحة ١٥٢، ١٥٣ (٣) لوحة ١٥٢

(٤) لوحة ١٥٢ (٥) لوحة ١٥٢ (٦) لوحة ١٥٣

معناه ألزموا الحج والعمرة والجهاد . والمغرا ( كذا ) به مرفوع بكذب لا يجوز نصبه ، لأن كذب فعل لا بد له من فاعل ، وخبر لا يخلو ( كذا ) من محدث عنه فالفاعل والفاعل كلاهما تأويلهما الأمر والإغراء <sup>(١)</sup> .

وكذلك فعل في تخريج مثال الخبر المقلوب : تهيتني الفلاة ، وبلغتني الدار <sup>(٢)</sup> . فإذا تركت المسألة الأولى — مسألة أقسام الأخبار — إلى المسألة التي تليها وجدت نمطاً جديداً من العرض والأسلوب تختفي معهما ما عرف في أبي علي من طريقة عرضه للمسائل ، وبما يجعلني أميل إلى التوقف في نسبة هذه المسائل إليه ويدعوني إلى ذلك ما يأتي :

( ١ ) رواية أقوال النحاة في المسألة الواحدة من غير تعليق : يروى أقوال النحويين في الاعتلال للنخض : لم يدخل على الأفعال فقالوا فيه ستة أقوال <sup>(٣)</sup> ، وقال النحويون في الاعتلال لخفة الاسم وثقل الفعل خمسة أقوال <sup>(٤)</sup> ، وفي إعراب « فرأيتك في ذلك موفق ، عشرة أوجه ، وإعراب هذا باب علم ما الكلم » فيه خمسة جواباً . وبعد أن ذكر الوجه الخمسون قيل :

« وقد تبلغ هذه الوجوه ستين ، وتزيد على السبعين إذا استقصى التفرع فيها ، والذي بين من الأصول فيه غنى عن ذكر ما أمسك عن إيضاحه ، وإشار الاختصار أولى إذا عرفت البغية ، وحصلت الفائدة ١١ كانه لم يعد الأوجه الخمسين إطالة واستقصاء ، فأثر الاختصار وأولاه ، ١

ومن النادر أن تجد ما عرف عن أبي علي من ترجيح رأى على رأى ، والاعتراضات وردها غير شائعة في هذه المسائل ونادراً ما تكون <sup>(٥)</sup> .

( ٢ ) عدم الحرص على نسبة أقوال النحويين إليهم ، وأبو علي كما عرفته - حريص على أن ينسب إلى كل نحوي قوله . ومن هنا تظالملك أمثال هذه العبارات : « للنحويين في المرفوع جوابان <sup>(٦)</sup> . وقال بعض النحويين <sup>(٧)</sup> . . . » ، وقال النحويون أو كلمهم أو أكثرهم <sup>(٨)</sup> . . وما هكذا عرف عن أبي علي :

( ٣ ) موقف المسألة من الشيوخ الذين رأيت أبا علي يهاجمهم في كتبه التي اتصلت بها قراءة ودراسة ففي المسألة التي عقدت لتعليل ثبوت الهاء في عدد المذكر

(١) لوحة ١٥٣ (٢) انظر المصدر السابق

(٣) لوحة ١٥٣-١٥٥ (٤) لوحة ١٥٥-١٥٧ (٥) انظر لوحة ١٥٥-١٥٩

(٦) لوحة ١٦٠ (٧) ١٦٢-١٦٤ (٨) ١٦٣



من الثلاثة إلى العشرة ، وحذفها من عدد المؤنث تعليقات ثلاثة : أحدهن : للفراء ،  
والثانية لأبي حاتم السجستاني والثالثة لمحمد بن يزيد <sup>(١)</sup> .

ترد أقوال هؤلاء الأئمة معترفاً بها جميعاً من غير تعليق على قول الفراء والمبرد  
بخاصة وهما الشيخان اللذان اعتدت من أبي على أن يتعقبا في أغلب ما رأيت —  
صحيح أنه أورد قولاً للمبرد واحتجاجاً عليه ، ثم لم يدفع هذا الاحتجاج <sup>(٢)</sup> ،  
وهذا معناه اقتناع من جامع هذه الآراء برأى من هاجم المبرد واحتج عليه فيما قال .

(٤) ورود أقوال البصريين والكوفيين ، ثم الانحياز الظاهر إلى رأى الكوفيين  
وهو أمر لم أعهد في أبي على ، وإليك نص يكشف عن ذلك : قال البصريون :  
« الاسم لا يرفعه إلا ما قبله ، لأن الرفع عامل ، والمرفوع معمول فيه ، ورتبة  
العامل التقدم على ما يعمل فيه إذا قال القائل : « قام زيد ، فالجمله مقامها مقام النجار  
ومقام قام : الفأس ، وزيد بمنزلة الخشبة التي تعمل وتؤثر فيها الفأس . فالضمة في  
زيد عملها وأثرها قام كما يؤثر الفأس في الخشبة الأثر الذي يشاهد ويرى .

قالوا : فن رفع الاسم بما بعده أحوال ، لأن الأثر لا يسبق المؤثر كما لا يسبق  
كسر الخشبة الفأس الذي عمله أحدها .

وقال بعض الكوفيين : إذا قال القائل قام زيد فقام زيد مقام النجار ومقام  
اللسان مقام الفأس والضمة التي في زيد عملها اللسان لعله والعله قام ، والدليل على  
صحة هذا أن اللسان يخالط زيداً كما يخالط الفأس الخشبة ، وتبين عملها للضمة في الذال  
بمخرج الضمة من طرف اللسان معتمداً على الشفتين ، وما يظهر لقام مخالطة لزید  
يكون بها التأثير كما خالطت الفأس الخشبة وأثرت فيها وقالوا قولنا قام يرفع  
زيداً اختصار .

وتقريب على المتعلم ، والذي توجبه الحقيقة أن المتكلم يرفع زيداً بلسانه  
لمعنى وعله ، فعلة الرفع قام والعله لا ينكر تقدمها وتأخرها إذا كان العامل  
لا يزاله التقدم <sup>(٣)</sup> .

ولإذا صرفنا النظر عن هذه العلل الفلسفية .

نرى أن قوله : « وتقريب على المتعلم ، والذي توجبه الحقيقة . . . » لا يكشف

عن شخصية أبي علي ، وغاية ما تكشف عنه هذه القهولة أن مقررهما ينحاز إلى هذا لرأى الذى يراه الكوفيون تمسكاً بالحق ، وتقريباً على المتعلمين .

(٥) خفوت الدفاع عن سيبويه لجامع هذه المسائل يورد أقوال خصوم سيبويه لإيراد المسلم بها لا يناقش ولا يعقب ولا يفند وقد رأيت أبا علي غير ذلك .

اقرأ مثلاً : طعن البصريون والكوفيون على سيبويه فى قوله : د وإنما ذكرت لك ثمانية مجاز لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل ( وليس شئ منها إلا وهو يزول عنه <sup>(١)</sup> ) ، وبين ما يبنى عليه الحرف بناء ( لا يزول عنه ) لغير شئ . أحدث ذلك فيه من العوامل التى لكل عامل منها ضرب من اللفظ فى الحرف ، وذلك الحرف يسمى حرف الاعراب <sup>(٢)</sup> ، .

فقالوا : . موضع العيب من هذا أنه قال : لا فرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة وبين ما يبين عليه الحرف والذى يدخله ضرب من هذه الأربعة هو دال زيد وضمة حيث فتمثيله على التقريب لا فرق بين دال زيد وضمة حيث وهذا خطأ فى الترتيب ، لأن دال زيد لا تشبه ضمة حيث ولا يحتاج إلى إيقاع فرق بينهما إذ كانت لا تلتبس بها .

ورد هذا على سيبويه الكوفيون ، والأخفش ، والمازنى ، ومحمد بن يزيد ، واحتجوا على سيبويه بأنه فى أول كتابه وهو موضع التعليم والإبانة والكشف والإيضاح ، فإذا أضمر فيه ما يشكل على العلماء وأهل الحذق حتى يتنازعوه ، فيبطله بعضهم ويصوبه بعضهم كان ترتيبه فى هذا ترتيباً فاسداً إذ جعل أغض المشكلات حيث ينبغي الكشف <sup>(٣)</sup> ١٠ هـ

وهكذا بلغ الحد بجامع هذه المسائل أن يصف ترتيب سيبويه بالفساد ، ويقف أمام الاحتجاج على سيبويه موقف المسلم فلا يدفع الاعتراض .  
وأبو علي شديد التعصب لسيبويه ، يدفع عنه الخصوم ، ويرد عنه الهجوم ، ويفهم الكتاب فلا يعتاص عليه منه شئ ، فلا تحط يمينه أن فى الكتاب مشكلاً حيث يجب الوضوح ، بله أن يصف ترتيب سيبويه بالفساد !!

---

(١) ما بين قوسين ساقط والتكلمة من الكتاب ٣/١  
(٢) انظر النص فى الكتاب ٣/١ ، وما بين القوسين لم يرد فى المسائل المذكورة  
(٣) لوحة ١٦٦

صحيح أنه ورد قول لسيبويه ثم احتجاج عليه ، ثم دفع هذا الاحتجاج : قال سيبويه : « لم يدخل الجزم على الأسماء لتمكنها ولحاق التنوين بها ، فلم يدخلوا الجازم على الأسماء فيجمعوا عليه »<sup>(١)</sup> ( كذا ) ذهاب التنوين والحركة .

ففسروا هذا الكلام بأن الجازم يسقط الحركة والتنوين إذا سقطت الحركة سقط معها فلا يجمع على الاسم سقوط هذين الشيئين منه .

فاحتج على سيبويه بأن العرب لما قالت لم يقم فلان أسقطوا بلم ضمة الميم ثم أسقطوا الواو من أجل سقوط الضمة حيث اجتمع ساكنان فهلا صلح هذا في الاسم كما أمكن مثله في الفعل ؟

فاحتج أصحابه بأن هذا جاز في الفعل لثقل الفعل ولم يمكن في الاسم لخفة الاسم<sup>(٢)</sup>.

ولكن يبدو من تضاعف الانتصار لسيبويه أن محرره ليس أبا على ، والحظ قوله « ففسروا هذا الكلام » ثم قوله « احتج أصحابه » وعهدى بأبي على ينسب إليه تفسير كلام سيبويه ، وبعد نفسه أول أصحابه فلا يقول : « احتج أصحابه » كما جاء في النص السابق ، ولما ينسب أبو على إليه هو ما يحتاج به لسيبويه يفعل ذلك في صراحة وتخصيص دون إبهام أو إجمال .

(٦) ما يفهم من العبارة التي ختمت بها هذه المسائل إذ نص فيها على أنها منقولة من خط ابن فخر ، وذكر أنه اختارها من جملة تعاليق شيخه ابن شيطا المقرئ . وكونها مختارات من جملة تعاليق معناه أنها لا تنسب لشخص بعينه فضلا عن أن تنسب لأبي على . هذا وقد يبدو أسلوب أبي على وطريقته في التناول خلال ما ورد من هذه المسائل من ذلك :

(١) السبر والتقسيم : المضاف إليه لا يخلوا ( كذا ) من أن يكون مملوكا للبضاف أو مالكا كقولهم سيد العرب وصاحب المال وعبد السيد<sup>(٣)</sup> .

(ب) المقايسة : جاء في هذه المسائل : « ولو فتح المضموم وضم المفتوح لساغ ذلك في القياس ، وجاز ، ولم يكن لحناً إلا لخلاف العرب فيما رسمت ورتبت ، كما

سموا الفقيه فقيهاً لفطنته . والنحوى نحويًا لقصده نحو لغة العرب ، واختلف اللغتان لاختلاف الشخصين الملقبين ، ولو قيل للفقيه نحويًا لقصده نحو حديث الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) واتباعه ما فرض وسن ، ودعى النحوى فقيها لما يفتن له من غامض النحو ، ومستصعب علله لم يفسد ذلك بالقياس ، لكن التعارف والاستعمال يحظرانه ويبتلانه فضم الفاعل وفتح المفعول للفرق بين معنى الاسمين لا غير (١) .

( ج ) وفي النص السابق رأى يحرص عليه أبو علي ، وتردد في كتبه المختلفة وهو تقديم السماع على القياس (٢) .

هذه نصوص تلقى ضوءاً على شركة أبي علي في هذه المسائل ، وإن كنت قد استظهرت أنها — جمعاء — لا تنسب إليه ، وليس بعيد أن يكون لأبي علي ما في هذه المسائل من نصوص تتحدث عن أسلوبه ، استعان بها جامع هذه المسائل من غير أن ينسبها إلى أبي علي كما لم ينسب إلى غيره من النحاة في أغلب ما قال .

ولم يكن جامع هذه المسائل بعيد العهد عن أبي علي ، فهي مسائل منقولة من خط أبي الكرم المبارك بن فاخر بن محمد بن يعقوب النحوى وذكر أنه اختارها من جملة تعاليق شيخه أبي الفتح عبد الواحد بن الحسين بن أحمد بن عثمان بن شيطا المقرئ ( رحمه الله (٣) ) .

وأبو الكرم ترجم له السيوطى في البغية وذكر أنه عاش بين ( ٤٣١ — ٥٠٠ هـ (٤) ) وأما ابن شيطا فقد ولد في أخريات حياة أبي علي ( ولد سنة ٥٣٧ هـ ) وترجم له ابن الجزرى في غاية النهاية (٥) .

وأخلص من ذلك إلى تلخيص الحقائق الآتية ، بعضها متصل بالشكل ، والآخر متصل بالموضوع :

(١) إن الورقات من ( ١٥١ — ١٧٣ ) من مخطوطة المجالس المذكورة للعلماء لا تشتمل على مسألة الاخبار وأقسامها وحدها ؛ وإنما تشتمل بجانب ذلك

(١) لوحة ١٦١ (٢) انظر ص ٢٢٥ من هذا البحث (٣) لوحة ١٧٠

(٤) انظر البغية ص ٣٨٤ (٥) انظر ١/٤٧٣

— على مسائل آخر، ختمت بمسألتين : أحدهما من إملاء الربيعي ، والاخرى منسوبة لابن جني .

( ب ) مسألة الاخبار صحيحة النسبة إلى أبي علي لما يبدو في أسلوبها من خصائص عرف بها الشيخ في كتبه الأخرى .

( ج ) بقية المسائل مجموعة من كلام النحاة وشخصية أبي علي فيها غير واضحة .

( د ) بعض ماورد في هذه المسائل من الآراء يرجح أنه لأبي علي وإن لم ينسب إليه يدل على ذلك ما في هذه الآراء من خصائص أسلوب الشيخ التي عرفت عنه .

هذا والمجالس المذكورة للعلماء باللغة العربية والتي ورد في أعقابها مسألة الاخبار لأبي علي — مخطوطة بخط نسخ جميل ، مضبوطة بالشكل ، وإن كانت تحتوي على بعض أخطاء هجائية ( أشرت إلى بعضها عند الاستشهاد بالنصوص ) وهي مصورة بمعهد المخطوطات من مكتبة داماد إبراهيم ٧٧٥ / ١<sup>(١)</sup> .

## المسائل المنثورة

هي مسائل نحوية وصرفية جمعها فيما يبدو بعض تلاميذ أبي علي بعد أن لقي ربه ، يؤيد ذلك أنه يتردد في مواضع مختلفات منها عبارة : قال أبو علي ( رحمه الله<sup>(١)</sup> ) أو قال شيخنا أبو علي ( رضى الله عنه<sup>(٢)</sup> ) والدعاء بالرحمة أو الرضوان يؤخذ منه أن هذه المسائل جمعت بعد أن انتقل الشيخ إلى جوار ربه ، جمعها أحد تلاميذه من كلامه ، وذكر فيها آراء الشيخ في مسائل نحوية وصرفية مختلفة .

ولا ترتبط طائفة من المسائل المنثورة بعضها ببعض<sup>(٣)</sup> ، وطائفة أخرى مسائل تتبع بابا معيناً كسائل وردت في شرح الحال<sup>(٤)</sup> والإستثناء<sup>(٥)</sup> وأى<sup>(٦)</sup> وأعراب الفعل<sup>(٧)</sup> وأم<sup>(٨)</sup> والنداء<sup>(٩)</sup> والممنوع من الصرف<sup>(١٠)</sup> والتصغير<sup>(١١)</sup> .

ويلحظ أيضاً في ترتيب المسائل المنثورة أن الأجزاء الأولى منها تتصل بمسائل نحوية وأنها ختمت بمسائل في التصريف . ولعل هذا التماسك الإجمالي جاء نتيجة لمراجعة أبي علي بعض هذه المسائل ، وصنع من جمعها من تلاميذه في بعضها الآخر .

وربما خطر بالبال أن ترتيب هذه المسائل على هذه الصورة يتنافى مع تسميتها بالمنثورة ، وليس هناك في حقيقة الرأي شيء من ذلك ، بل إن تسميتها بالمنثورة يؤكد ذلك الترابط ولا ينفيه ، ذلك أنها لا تنسب إلى بلد بعينه إذ يبدو من اسمها أنها ألفت هنا وهناك ، ثم جمعت وروعى عند جمعها هذا الترابط الملحوظ .

أما البغداديات ، والبصريات ، والشيرازيات . فلا يبدو بين مسائلهن ما يبدو في المسائل المنثورة من التواصل ، لسبب قريب ، هو أن هذه المسائل ألفت في هذه المدن : سوانح أفكار تخطر ، وإجابات عن أسئلة توجه ، وحلول لمشكلات تعرض ، وتوضيحات لمبهات تخفى إلى غير ذلك مما لا يكون معه في الأعم الأغلب وشيعة ماسة ، أو تواصل قريب<sup>(١٢)</sup> .

ومن اليسيران أن تتعرف في المسائل المنثورة - على رأى أبي علي ، ومدى توافقه مع من سبقوه من النحاة أو تخالفه ، إذ يرد في كثير من المسائل المنثورة آراء النحاة الأقدمين ثم رأى أبي علي ، واحتججه لما يقول ، ومن هنا كان من السهل أيضاً أن تتعرف على شخصية أبي علي في وضوح .

- |                                       |  |
|---------------------------------------|--|
| (١) المنثورة لوحة ١٤٣ - ١٤٦ مثلا      | (٢) المصدر السابق ولوحة ١٤٧                    |
| (٣) كالمسائل التي أوردتها في لوحة ١٥٢ | (٤) لوحة ١٤٥ (٥) لوحة ١٤٨                      |
| (٦) لوحة ١٥٣                          | (٧) لوحة ١٥٦ (٨) لوحة ١٦٠ (٩) لوحة ١٦٢         |
| (١٠) لوحة ١٦٤                         | (١١) لوحة ١٦٨ (١٢) انظر لوحة ١٦٦ وما بعدها ١٦٨ |

« يطالعك تأييد ما أقول في كثرة ظاهرة - مثلاً (١) - »

والمسائل المنشورة قليلة الاستطراد، موجزة في إلام واشتغال، وكثيراً ما تكون في اللوحة الواحدة ما يقرب من عشرين مسألة، ولكنها مع اختصارها جامعة في غير إلامال . وربما كان السبب في هذه الظاهرة أنها مجموعة وليست عملاء فلم يظهر فيها الاستطراد . وشئ ملحظة - كذلك - في المنشورة هو أنها عنت بإعراب الآيات القرآنية، والشواهد الشعرية ، والعبارات المألوفة التي تتصل بموضوع واحد ما بعد بذرة لمغنى ابن هشام : فهو إن تكلم في أن ، وأن أرد أرد ما يأتي وتحدث عن أوجه الإعراب فيه :

( أ ) تقول يوشك أن يذهب . ( ب ) وقال الخليل أريد أن أفعل .  
 ( ج ) وأمرت أن أكون . ( د ) أيفضب أن أذنا قتيبة جزتا .  
 ( هـ ) وتقول : كتبت إليه أن أفعل . ( و ) وآخر ما أقول أن لا إله إلا الله .  
 ( ز ) وقوله سبحانه ونادينا أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا (٢) .  
 وأن تكلم في أن وإن أرد :

( أ ) أول ما أقول أني أحمد الله . ( ب ) ليت أن زيداً منطلق .  
 ( ج ) قد قاله الناس حتى أنه يقول وانطلقوا حتى أنه يقول ذلك .  
 ( د ) مررت به فإذا أنه يقول ذلك ( هـ ) ما قدم علينا أمير إلا أنه مكرم لنا .  
 ( و ) وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق .  
 ( ز ) وقول كثير : ما أعطيتي ولا سألتها هـ إلا وأنا لحاجزى كرمى .  
 ( ح ) وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا با الله (٣) .

وفي كل عبارة من هذه العبارات يورد إعراب أن والأوجه الجائرة فيها مع التدليل ، وكذلك فعل عند تحدته عن إعراب الفعل (٤) . وتطالعك التعبيرات الآتية مثلاً في المسائل المنشورة :

( أ ) مسألة : قال البغداديون : أنها ( يقصد أي ) استفهام في قوله : دثم لنزع من كل شيعة تشايعوا فقالوا أيهم أشد جعلوها استفهاماً قال الشيخ : وهذا لا يجوز لأن (٥) . . .  
 ( ب ) مسألة : إذا سميت رجلاً الذي قلت : لذى كما ترى فتحذف الألف واللام ، لأنها دخلت للصلة قال : وهذا يقوى مذهب شيخنا أبي على لأنه (٤) . . .

(١) لوحة ١٤٩ وما حوالها ١٦١ وما حوالها (٢) لوحة ١٦٣  
 (١) لوحة ١٦٤ (٢) لوحة ١٥٧ (٣) لوحة ١٥٣ (٤) لوحة ١٦٥

وقد رأيت أن هذه التعبيرات تشير إلى أن هذه الآراء لقنها أحد تلاميذ الشيخ وأتى بها مجموعة من المسائل المنشورة . على أن الأفشى من هذه المسائل غفل من تلك الإشارات ، فهل كانت هذه المسائل للشيخ ابتداء ؟ وإذا كان بعضها من جمع أحد تلاميذه فمن ذلكم التلييد ؟ وهناك إشارات تدل على أنها لمن يكنى بأبي الطيب وتلك - مثلا - .

مسألة : قول الشاعر :

دعى ماذا علمت سأقفيه ولكن بالمغيب نبئين

فيقول قائل : د ما ، ما معناها ؟ و د ذا ، ما معناها ؟ .

قال أبو الطيب : قال شيخنا أبو علي معناها .... الخ <sup>(١)</sup> . « وأخرى : أنشد أبو الطيب قال : أنشدنا أبو علي لبعض العرب <sup>(٢)</sup> .

فمن أبو الطيب ؟ استفتيت كتب التراجم فلم أعلم من يكنى بهذه الكنية - بمن اتصلوا بأبي علي إلا أبا الطيب اللغوي عبد الواحد بن علي ، وأبا الطيب المتنبى . وأبا الطيب محمد بن طويس النصري .

وكلا الرجلين الأولين توفي في حياة أبي علي ، فأبو الطيب اللغوي توفي سنة ٣٥١ هـ والمتنبى سنة ٣٥٤ ، وقد استظهرت أن هذه المسائل كتبت بعد وفاة أبي علي وذلك ينقضي أن يكون أبو الطيب الذي يرد اسمه فيها أحد هذين الرجلين . ومن هنا أرجح أن يكون محمد بن طويس القصرى ويكنى أبا الطيب هو الذي يتردد اسمه في المسائل المنشورة وقد كان تلييذاً لأبي علي . وكان الشيخ يتعشقه وأملى عليه القصريات <sup>(٣)</sup> .

وقد استعان الشيخ عبد القادر البغدادى في خزائنه بالمسائل المنشورة <sup>(٤)</sup> مرة في الجزء الأول <sup>(٥)</sup> ، ومثلها في الرابع <sup>(٦)</sup> ، وثلاثاً في الثالث <sup>(٧)</sup> ، والباقي - وهو عشر - في الجزء الثانى <sup>(٨)</sup> .

(١) لوحة ١٦٢ (٢) لوحة ١٦٤ ، ١٦٧

(٣) انظر . معجم الأدباء ٢٠٦/١٨ وبنية الوعاء ٥٠

(٤) انظر إقليد الخزانة ١٠٢ (٥) ٩/١ (٦) ٤٥٠/٤

(٧) ١٢٧٣- / ٢٠٦٨

(٨) ٨٧ - ٨٨ - ٩٠ - ٩١ - ٩٣ - ١١٥ - ١٤٥ - ١٤٨ - ١٥١ - ١٥٨



## أبو علي والتصريف

في مجلس ضم أبا جعفر البصير الموصل وأبا بكر بن شقير وأبا علي الفارسي قال أبو جعفر لأبي علي: في أي شيء تنظر يا فتى؟ قال: في التصريف لجعل يلقي عليه من المسائل على مذهب البصريين والكوفيين حتى ضجر فهرب أبو علي منه إلى النوم وقال: أريد النوم، فقال هربت يا فتى! فقال: نعم! هربت<sup>(١)</sup>! ويبدو أن ذلك كان في أوائل عهد أبي علي ولا يرضى أبو علي عن موقفه هذا، ويدفعه ذلك إلى الجد في التصريف، ويبلغ فيه مبلغاً جعله يوماً يقبل على أصحاب أبي بكر الحياط: أكبرهم سناً وأكبرهم عقلاً وأوسعهم علماً عند نفسه، فيسأله كيف تبني من سفرجل مثل عنكبوت فيجيبه مسرعاً: سفرووت، وتأخذ أبا علي نشوة الطرب وهزة الغلبة فيقوم في المسجد ويصفق بين الجماعة ويقول: سفرووت! سفرووت! ويخجل أبو بكر بما جرى، ويستحي من أبي علي، ويدعو على أصحابه ألا يبارك الله فيهم، ولا يحسن جزاءهم<sup>(٢)</sup>! وهذه الواقعة تمثل مرحلة أخرى من مراحل اشتغال أبي علي بالتصريف، ولعلها تكشف عن نضج نظره فيه، وتمكنه منه.

وتعليل براعة أبي علي في التصريف ميسور، فما من شك في أن تفرد أبي علي بكتاب سيبويه، وشدة إكبابه عليه<sup>(٣)</sup>، وعلبه العربية، واتصاله بأبي الحسن الأخفش وله مذاهب في التصريف<sup>(٤)</sup>، وروايته تصريف المازني، وأقرانه<sup>(٥)</sup>، وقرائه تصريف الفراء<sup>(٦)</sup> كل أولئك كان من العوامل التي جعلت أبا علي يبرع في التصريف إلى ما ركب الله فيه من عقل حاضر، وحدة خاطر.

هذا وتجدر الصرفيات كثيراً في البغداديات<sup>(٧)</sup> والمنشورة<sup>(٨)</sup> وترى أبا علي في وزنه الكلمات وزناً صرفياً وبياناً أصلياً يائياً كان أو واوياً يسلك السبل الآتية أو بعضاً منها: (أ) فهو يناظر الكلمة الموزونة بكلمة أخرى كما في وزنه دم<sup>(٩)</sup>، أصله فوه كثوب وأثواب.

(ب) أو يرجع إلى اشتقاقها كما في وزنه الآرية حيث قال: تكون أفعوله من

(١) معجم الأدباء: ٢٠٣/١٨ وروضات الجنات: ٢٢١

(٢) انظر الخصائص: ٥٩٤/٤ وما بعدها مخطوط بالخزانة التيمورية ٢٧٤

(٣) الامتاع: ١٣١/١ (٤) انظر الحجة ١٩٠/١ ن مراد ملا (٥) النصف: ٦

(٦) انظر خزانة الأدب: ٢٥٩/٢ (٧) انظر لوحة ٣٥ - ٥١

(٨) ١٦٦ - ١٦٨ من أبي علي (٩) انظر النخس: ١٣٤/١

ربا يربو لارتفاعها على سائر أعضاء الإنسان أو لزيادتها عليه في الحلقة وإن شئت كان فعلية من الأرب الذى هو بمعنى التوقر<sup>(١)</sup>.

(ج) أو يحتكم إلى الأصول العربية العامة كما في وزنه ثندوة حيث قال : « أنها فعللة رباعية ، ولا تكون فعله ، لأن النون لا تزداد ثانية إلا بثبت ، ولا تكون فعللة لعدم هذا البناء . وأما ثندوة بالفتح وترك الهزمة ففعلوة كترقوة وذلك لكثرة هذا البناء ، وأن النون تزداد ثانية إلا بثبت ، ولا يجوز همزها مع الفتح ، لأنها تكون حينئذ فعللة أو فعللة وكلاهما بناء عدم ولا تكون ثندوة فـلـلـة لذلك أيضاً ، وإن الواو لا تكون أصلاً في الأربعة<sup>(٢)</sup> .

وقد ألم ابن جنى بهذا الأصل الأخير في كتابه مختصر التصريف<sup>(٣)</sup> .

(د) أو يعتد — مع أصول العربية — بما يقوله النظار من أهلها ولا سيما سيبويه وأبي الحسن : قال في وزن إيل : فـعـل . فإن قال قائل : « وما أنكرت أن يكون إفعلا ؟ » قيل : « لأنهم يقولون : إيل ، فلو كان إيل إفعلا لكان إيل أفعلا وليس في الكلام أفعلا . » فإن قلت : « فما أنكرت أن يكون إيل أفعلا ويكون من باب اضحل قيل له : « إن النظار من أهل العربية وغيرهم لا يجعلون ما فيه الإشكال أصلاً ، أو لا ترى أن أبا الحسن لما أثبت أن في الكلام فعلاً لم يحتج بجندب لأن جندبا قد يكون فعلاً وإنما احتج بجندب إذ ليس فيه ما يوم الزيادة<sup>(٤)</sup> » . ومثل ذلك وزنه لكلمة امع في قولهم رجل امع وأنه فـعـل واستشهد بما قال سيبويه في إمر<sup>(٥)</sup> .

(هـ) أو يعتبر اللام بالفاء في التصريف ، وهذا ما لحظه ابن سيدة وتلحم عبارته التي أورها في المخصص بعد أن أورد كلام أبي علي في الائتية<sup>(٦)</sup> .

وأنه يجوز أن يكون من الياء والواو يقال : « جاء يشفه ويشفيه أى يتبعه وأن يكون من الواو أولى لقولهم جاء يشفه في هذا المعنى ، لأن الياء لا تحذف في مثل هذا ، ولا يلتفت إلى نيس لقلته وشذوذه » قال ابن سـدـة ، وهذا أقوى ما كان أبو علي يروم به حقيقة التصريف أعنى أن يعتبر بالفاء اللام<sup>(٧)</sup> .

(و) ويقابل عدم اعتداد أبي علي بالقلة في النص السابق - اعتداده بالكثرة قال : « همزة سواء منقلبة عن ياء لقولهم في هذا المعنى سى ، ولأن باب طويت أكثر

(١) انظر المخصص : ٤٨/٢ وانظر وزنه لكلمتي : محجن المخصص : ٧٤/٦ وعليه : المخصص ١٦٢/٢ ، ١٣٣٥ (٢) المخصص ٢٢/٢ وانظر مثلاً ٧٢/٢ (٣) انظر ص ١١ (٤) المخصص : ٣٢/٨ (٥) المخصص : ٥١/٣ (٦) انظر الاغفال : ١٥-١٧ رقم ٨٧٥ تفسير (٧) المخصص : ١٤٢/٤ وانظر ٣٤٢/١٦

من باب القوة والحوة<sup>(١)</sup>. والحمل على الأكثر وصى به أبو الحسن ، قال في مختصر التصريف الملوكي ، الثبة الجماعة من الناس وغيرهم والظبة طرف السيف جميعاً من الواو حملا على الأكثر بذلك وصى أبو الحسن<sup>(٢)</sup>.

(ز) وأحياناً يقاب الأمر على جميع وجوهه مستعملاً طريقة السبر والتقسيم كحديثه في أن الفاء من آوى همزة<sup>(٣)</sup>.

(ح) أو يستشهد بما روى ، فقد قال: إن الدم محذوف اللام ، ولامه ياء ، بدليل قوله: فلو أنا على حجر ذبحنا جرى الدميان بالخبر اليقين<sup>(٤)</sup> وقد نقل هذا ابن جني في كتابه مختصر التصريف<sup>(٥)</sup>.

(ط) وبدهى أن إسناد الفعل إلى المخاطب والمتكلم يدل على أصله اليائي أو الواوي وهو أمر يعرفه المبتدئون .

هذه هي الطرق المختلفة التي يسلكها أبو علي في وزن الكلمات ، ومعرفته أصلها اليائي أو الواوي ، ولست أزعم أني حصرت كل ما كان يسلكه أبو علي في ذلك ، ولكني ضربت الأمثلة ، ونوعت المسالك ، ورجعت بعضها على الأصول التي نظر إليها أبو علي بمقدار ما أعانني عليه النصوص المختلفة التي وردت إلى الشيخ في كتبه المختلفة أو كتب من نقل عنه واعتمد عليه .

ورأيت ابن جني يسلك سبيل شيخه في التصريف ، فيتحدث عن بعض الدلائل في وزن الكلمات<sup>(٦)</sup> .

كما أورد في كتابه مختصر التصريف الملوكي فصلاً في عقود وقوانين ينتفع بها في التصريف<sup>(٧)</sup>.

هذا وما يتصل بهذا الموضوع هذه المسائل الصرفية التي قصد بها التدريب ورياضة النفس ، وامتحان فهم الطالب ، كقولهم : كيف تبني من كذا مثل كذا ، وقد برع أبو علي في هذا الباب ، وصار له مذهب خاص فيه<sup>(٨)</sup> وكان ذلك من الموضوعات التي هاجمها - بحق - ابن مضاء<sup>(٩)</sup>.

- 
- (١) المختصر : ١٥١/١٥ (٢) مختصر التصريف ٣٦ وانظر قول ابن جني : وليسكن الحكم على الأكثر لا على الأقل وانظر ص ١١  
(٣) المختصر : ٧٣/٨ وانظر ٢١/٦ - ٣٢١/١٢  
(٤) المختصر : ٩٢/٦ وانظر ٤/٣ (٥) انظر ٣٧:٣٦  
(٦) انظر مثلاً ما يعلم به حال التاء والتون من أصالة أو زيادة في سر صناعة الأعراب ١٨٦ تحقيق الاستاذ مصطفى السقا وزملائه (٧) انظر ص ٤١ وما بعدها  
(٨) انظر شرح الجاربردي على الشافية : ٣٦٠/١  
(٩) انظر الرد على النجاة : ١٦١ الطبعة الأولى ١٩٤٧ م

## الباب السادس

### دراسات مقارنة بين أبي على وأعلام النخاة من معاصريه

كان لا تقسم الدولة العباسية إلى دويلات أثره في تعدد مواطن العلم والتنافس من الأمراء على اجتذاب العلماء كما سبق البيان ، وودت كل دويلة لو استأثرت بقيادة الفكر وأعلام الأدب ، وكان أن تسابق هؤلاء وهؤلاء إلى حضرة أصحاب السلطان هنا وهناك ، وحرص كل بحكم الطبيعة ودواعي العيش أن يكون صاحب الخطوة حيثما حل ، مما أدى إلى التنافس فالتباغض والتحاسد ، وقد تبلر هذا التنافس حول شخصية ملأت الدنيا وشغلت الناس ، تلك هي المتنبى : ، فكان هناك ما يشبه مذهبين أو مدرستين على حد تعبيرنا الحديث : مدرسة تتعصب للمتنبى ، ولها رجالها وأنصارها ، وأخرى تتعصب عليه ، ولها رجالها وأنصارها كذلك وكان لهذا التعصب مظاهر وآثار سأتناولها بالبيان الذي يلقي الضوء على العلاقة بين الفارسي والبارزين من أهل العلم والأدب في عصره ، وهو ما يمت إلى هذا البحث بحبل متين .

فن أولئك الذين كانوا يتعصبون للمتنبى ؟ ومن الزارون عليه ؟ وأين من هؤلاء وهؤلاء أبو على الفارسي ومن لف لفه ؟  
تحدثنا كتب التراجم والتاريخ أن من المتعصبين للمتنبى : أبا على الفارسي ، وابن جني وعلى بن عيسى الربعي .

ويقابل هؤلاء ابن خالويه ، وأبو فراس ، وأبو سعيد السيرافي ، وأبو حيان التوحيدي ، وعلى بن عيسى الرماني ، والصاحب بن عباد وغيرهم ، واجتمع هؤلاء وهؤلاء ببلاط الملوك حينئذ ، فدبت الفتنة ، وتحرك الشر ، وكانوا شيعاً وأحزاباً يذوق بعضها بأس بعض ، ورويت أحاديث تصور ما كان بين الطائفتين من مظاهر

التنافس وآثار الضغينة ، كالذى كان بين المتنبي وابن خالويه فى مجلس سيف الدولة <sup>(١)</sup> ، وما كان بين المتنبي وأبى فراس <sup>(٢)</sup>

\* \* \*

وكان أبو سعيد السيرافى يحط من شعر المتنبي ، ويفضل عليه غيره من الشعراء ، أورد ياقوت فى معجمه قال : « فضل أبو سعيد السيرافى قصيدة لشاعر فيها قصيدة لأبى الطيب المتنبي ، فقال أبو الحسين محمد المغربى راوية المتنبي ، وصاحب كتاب الانتصار المنبى عن فضائل المتنبي ، : ومن جعل الحكم فى هذا إلى أبى سعيد ؛ إنما يحكم فى الشعر الشعراء لا المؤدبة ، وبمثل هذا جرت سنة العرب فى القديم ، كانت تضرب للناطقة خيمة من آدم بسوق عكاظ ، وتأتى الشعراء من سائر الآفاق ، فتعرض أشعارها عليه فيحكم لمن أجاد . . . ولو كان أعلم الناس بالنحو أشعرهم لكان أبو على الفسوى أشعر الناس <sup>(٣)</sup> .

وتتمثل فى هذا النص الحقائق الآتية :

- ( ١ ) أبو سعيد السيرافى يتمصب على المتنبي ويزرى بشعره .
- ( ٢ ) أبو الحسين المغربى راوية المتنبي يناصره ، ويدافع عنه ، ثم :  
 أ — يهاجم أبا سعيد السيرافى .  
 ب — ويفضل عليه أبا على الفسوى نصير المتنبي وعارف فضله .  
 وهكذا تتبهر الأهواء حول المتنبي أو تنصرف عنه متعصبة له ، أو متزيرة به .
- وهذا ابن الدهان شارح كتاب اللمع لابن جنى يرى رأى الفارسى ويرجحه <sup>(٤)</sup> ويتعقب السيرافى ويفسد رأيه <sup>(٥)</sup> .
- ولأبى حيان التوحيدي — تليذ السيرافى — « الرد على ابن جنى فى شعر المتنبي ، ذكره ياقوت فى معجمه ، وابن عساكر فى عيون التواريخ <sup>(٦)</sup> .

\* \* \*

(١) انظر الصبح المنبى ٤٤٤ ، ٤٥٠ ، والتبيان للمكبرى ٧٠/٢

(٢) انظر الصبح المنبى ٤٥

(٣) معجم الأدباء - لياقوت ١٨٨/٨ - ١٨٩ ط دار المأمون

(٤) انظر ١/١٠ ، ٢٦ ، ٣٧ ، ١٨٧ (٥) انظر شرح اللمع لابن الدهان ١٠/١

(٦) انظر النسخة المخطوطة بدار الكتب رقم ١٤٩٧

وكل طائفة — سواء أكانت متعصبة للمتنبي أم زارية عليه — تحتفل بمن تكره المدرسة الأخرى، ولا يصفو رجالها لرجال هذه الطائفة : فالفارسي يعجب بالمتنبي<sup>(١)</sup> ويهاجم ابن خالويه الزاري عليه<sup>(٢)</sup>، ويؤلف الفارسي نقضهاذور على ابن خالويه<sup>(٣)</sup>، وفي تغليظه<sup>(٤)</sup>، وتعقيبات ابن خالويه على الفارسي معروفة<sup>(٥)</sup>، وبجالس الجدل وما جرى بينهما من كلام تعرض لها ابن الأنباري<sup>(٦)</sup>، ودون طرفاً منها أبو على في رسائله إلى سيف الدولة<sup>(٧)</sup>، وابن خالويه يحتفل بأبي فراس خصم المتنبي<sup>(٨)</sup>، فيتولى شرح ديوانه، وأبو حيان يضع من الفارسي فيذكره بالتخالع، كما يضع من المتنبي فيرد على ابن جني في شعر المتنبي ويرفع كلا من السيراني<sup>(٩)</sup> والرماني<sup>(١٠)</sup>، والسيراني ينتصر لابن خالويه على الفارسي<sup>(١١)</sup>، والبديهي الشاعر يذم الرماني<sup>(١٢)</sup>، وينتصر أبو حيان للرماني فيتهم البديهي بأنه مفسول الشعر على حين كان البديهي مقدماً عند صاحب بن عباد<sup>(١٣)</sup>. والصاحب على صلة من الود مع أبي على الفارسي<sup>(١٤)</sup>، والفارسي يعد نحوه هو النحو، ولا شيء منه عند الرماني<sup>(١٥)</sup>، وكل من ابن جني والربيعي يحتفل بالمتنبي فيشرح ديوانه، وهكذا تطرد هذه الظاهرة التفاضلية نحو المتنبي أو تفرقا عنه، إلا صاحب بن عباد الذي ساءت العلاقة بينه وبين كل من المتنبي وخصمه أبي حيان — معاً — فهو يكره المتنبي ويؤلف ضده ويكشف عن مساويه<sup>(١٦)</sup>، على حين أن أبا حيان يثلب صاحب فيؤلف فيه وفي أبي الفضل بن العبيد مثالب الوزيرين<sup>(١٧)</sup>، كما رد على ابن جني في شعر المتنبي. ولكن الظروف هي التي سلخت صاحب من المدرسة المتعصبة للمتنبي، أو قل : إن كبرياء المتنبي وشموخه بأنفه

- 
- (١) نزعة الألباء ٢٠١ (٢) الصبح لثاني ٤٥ (٣) خزانة الأدب ١١/١  
 (٤) الفلاحة والمفلوكون ١٠٢ (٥) المزهري ٢٢٧/٢ (٦) نزعة الألباء ٢٥٨  
 (٧) المسائل الخليليات ٣٣ ظهر (٨) الصبح المتنبي ٤٥ وما بعدها  
 (٩) معجم الأدباء ٨/١٥٣ (١٠) الامتاع والمؤانسة ١٢٨  
 (١١) إنباء الرواة ترجمة الفارسي ( ونس عبارة أن مكتوم في تلخيص أخبار النحويين  
 واللعوين في ترجمة ابن خالويه : كان ينتصر له أبو على الفارسي ، وقد زيدت كلمة ( أبو ) بين  
 السكمتين له والضمير فيه يعود على السيراني والفارسي ؛ وقد رجعت إلى إنباء الرواة وهو  
 ما لحصه ابن مكتوم فوجدت العبارة صريحة في أن السيراني كان ينتصر لابن خالويه على الفارسي .  
 (١٢) البصائر والذخائر ١٤١ (١٣) يتيمة الدهر ٣٨/٣ (١٤) معجم الأدباء ٧/٢٤٩  
 (١٥) نزعة الألباء ٢١١ (١٦) معجم الأدباء ٦/٢٦٠  
 (١٧) أبو حيان التوحيدي ١٩٠ وما بعدها

على صاحب هي التي خلقت من هذا الأخير عدواً للتنبي، يذكر له سيئاته، ويطوى عنه حسناته،<sup>(١)</sup>.

ولو جرى الأمر كما كان يهوى ابن عباد لانعقدت بينهما المودة كما تأكدت بين المتنبي وابن العميد الذي مدحه الشاعر باللسان العربي، والرأى الفلسفي واصطناعه ما يصطنع الفارسيون في الأعياد.

ثم انتقل إلى تحقيق رأى أبي حيان في كل من السيراني و الفارسي، ثم رأى الفارسي في نحو كل من الرماني<sup>(٢)</sup> والرجاجي:

(١) « منافشة رأى أبي حيان في كل من السيراني وأبي على الفارسي » .

رأينا كيف كان أبو حيان التوحيدى متعصباً لأبي سعيد، وربما كان من أسباب هذا التعصب أن أبا سعيد أستاذ لأبي حيان، وقد حفظ أبو حيان لهذه الأستاذية قدرها، فهو لا يذكر أبا سعيد إلا في إجلال وإفاضة في الثناء، كأن يقول مثلاً: « حدثني أبو سعيد السيراني: د وهك من رجل، وناهيك من عالم، وشرعك من صدوق »<sup>(٣)</sup> . . .

أو يقول عنه: « وهو اليوم — عالم العالم، وشيخ الدنيا، ومقنع أهل الأرض »<sup>(٤)</sup>، أو هو « شيخ الدهر، وقريع العصر، العديم المثل، المفقود الشكل »<sup>(٥)</sup>، ويروى عن أبي سليمان أنه قال عن جواب أسمعه إياه أبو حيان من كلام أبي سعيد: « هذا حسن مقبول، ويدل على أن ما سمعته من هذا الشيخ غيض من فيض، وشرارة من حريق »<sup>(٦)</sup>، فأنت ترى أن أبا حيان يعلو بشيخه أبي سعيد حتى يفضل على جميع العلماء في عصره، وأنه في فضله منقطع النظير. وبدهى أن أبا على الفارسي المعاصر في زمرة هؤلاء العلماء الذين يفضلهم السيراني.

\*\*\*

وإلى جانب هذه الأستاذية سبب آخر يدفع أبا حيان إلى تفضيل أبي سعيد؛ ذلك أن أبا سعيد: « أروى في الحديث »<sup>(٧)</sup>، والمحدثون كانوا يعدون أكبر العلماء شأنًا، بل كانوا يعدون من أعظم رجال الإسلام،<sup>(٨)</sup> ومن هنا كان الاهتمام بسماع الحديث كبيراً حتى حكوا أن الحميدى المحدث المشهور كان أبوه

(٢) ديوان المتنبي

(١) انظر الصبح المنبي ١٨٠

(٥) معجم الادباء ١٠٢/٨

(٤) المقاييسات ٧٥

(٣) المقاييسات ٥٢

(٨) الحضارة الإسلامية ٣١٦/١

(٧) الامتاع ٣٢/١

(٦) المقاييسات ١٧٦

يحملة — صغيراً — على كتفه إلى مجلس الحديث (١)

وكان السيراني أشبه بالمحافظين، يروى ما يسمع، ويحفظ ما يروى على كثرة ما يروى وما يحفظ في ثقة وأمانة (٢)، وقد كان أبو حيان يناصر أصحاب الآثار والرواية، ويفضلهم على المتكلمين أصحاب الرأي والقياس (٣)، وكان يرى رأى شيخه أبي سليمان المنطقي الذي قال: «إن الدين موضوع على القبول والتسليم، والمبالغة في التعظيم، وليس فيه لم، ولا، وكيف، إلا بقدر ما يؤكد أصله، ويشد أزره، وينبئ عارض السوء عنه، لأن ما زاد على هذا يوهن الأصل بالشك ويقدح في القرع بالتهمة» (٤)، ذلك كله بعض ما قرب أبا سعيد إلى أبي حيان وأبعد الفارسي عنه، وقد لف لف أبي حيان الشيخ أبو منصور موهوب بن الخضر الجواليقي، فقلما كان ينبل عنده ممارسة للصناعة النحوية، ولو طال فيها بآعه، ما لم يتمكن من علم الرواية، وما تشتمل عليه ضروبها... ولهذا كان مقدما لأبي سعيد السيراني على أبي علي الفارسي (رحمهما الله)، ويقول: «أبو سعيد أروى من أبي علي، وأكثر تحقفاً بالرواية وأثرى منه فيها» (٥).

والحق أن أبا علي لم يكن خلو الوفاض من الرواية، بل كان له فيها سابقة، وربما ترك هذا تيبها واستحياء، وقد كان يبلغ من ورع البعض أن يتيب رواية الحديث (٦). وقد بينت في فصل سابق كيف كان أبو علي محدثاً. وقد روى عن الزجاج كتاب الابانة والتفهيم عن معنى بسم الله الرحمن الرحيم (٧). وقد ذكر أبو علي مع أولئك الذين سمعوا، ورووا، وأخذ عنهم: فالخطيب البغدادي يذكر أن أبا علي سمع على علي بن الحسين بن معدان (صاحب اسحق بن راهويه) (٨).

وقد روى عن أبي علي التنوخي والجوهري (٩) وربما كان مظهر تورعه

(١) المصدر السابق ٣٠٣/١ (٢) ظهر الإسلام ٢٤٣/١

(٣) أبو حيان التوحيدى ١٤٧ (٤) الإمتاع ١٨٧/٣

(٥) معجم الأدباء ٢٥٤/٧

(٦) الحضارة الإسلامية ٣٠١/١

(٧) انظر المخطوطة رقم ٦٧ ش نحو ضمن مجموعة الصفحة الأخيرة من هذه المجموعة. وفي الأمانة العامة للجامعة العربية (مهد إحياء المخطوطات) كتاب الخيل للأصمى رواية أبي علي الفارسي عن يزيد بن عبد الرحمن بن أخي الأصمى عن الأصمى في ورقة ٤٧ ف ٧٨٦

(٨) تاريخ بغداد ٢٧٠/٧ (٩) لسان اليزان ١٩٠/٢



أن المترجمين له يصفونه بالصدق في نفسه<sup>(١)</sup>، وقد كان أبو علي يقول : « قد سمعت الكثير في أول الأمر ، وكنت أستعي أن أقول : « اثبتوا اسمي » ،<sup>(٢)</sup> وجاء في كتابه الحجة ما يدل على تحديده قال : « حدثنا الكندي قال : « حدثنا المؤمل قال : « حدثنا إسماعيل بن عليه عن أبي رجاء قال سمعت عكرمة يقول : « ولا تمنن تستكثر ، قال : « لا تعط شيئاً لتعطى أكثر منه »<sup>(٣)</sup> . « وقال أبو علي الفارسي فيما روى ابن جني عنه : « أخطيء في خمسين مسألة فيما به الرواية — ويجعلها صاحب الروضات مائة »<sup>(٤)</sup> ، ولا أخطيء في واحدة من القياس<sup>(٥)</sup> ، — ليس معناه أنه ضعيف في الرواية أو اللغة ، بل على العكس من ذلك هو دليل — كما أفهم — على تضلعه فيهما ، ذلك أنه لا يستطيع أن يقيس قياساً صحيحاً إلا إذا كان واسع الدراية بما فيه الرواية ، قال الشيخ أبو محمد بن الخشاب « وكثيراً ما تحصى السقطات على الخذاق من أهل الصناعة النحوية ، لتقصيرهم في هذا الباب — باب الرواية — فنه يذهبون ، من جهته يؤتون<sup>(٦)</sup> . . . . . ولعل أبا علي أراد بعبارة أن يبرهن على براعته في القياس ، وتمرسه به ، وقد كان في عصر يقدر فيه من يعرف خفي القياس ، وصحيح البرهان ، وسر الكلام ، ويعودونه من خاصة الخاصة<sup>(٧)</sup> .

ثم انتقل إلى مناقشة جانب آخر من أسباب تفضيل أبي سعيد ، وذلك علم أبي سعيد ويتجلى في :

(١) « شرحه الكتاب »<sup>(٨)</sup> والحق أن تفسير أبي سعيد السيراني للكتاب على هذه الصورة الجامعة من أوله إلى آخره بغريبه وأمثاله وشواهد وأبياته — يعد مفخرة<sup>(٩)</sup> ، ولقد قال أبو حيان إن أصحابه حدثوه بأن أبا علي اشترى شرح أبي سعيد في الأهواز في توجهه إلى بغداد سنة ثمان وستين<sup>(١٠)</sup> ، قال : وهذا حديث مشهور ، وإن كان أصحابه يأبون الإقرار به — إلا من زعم أنه أراد التقصص عليه ، وإظهار الخطأ فيه<sup>(١١)</sup> ، « وليس بعيداً أن يحرص أبو علي على شرح أبي سعيد ،

(١) المنتظم لابن الجوزي ج ٥ وفيات سنة ٣٧٧ هـ وانظر معجم الأدباء ٢٥٣/٧

(٢) معجم الأدباء ٢٥٥/٧ (٣) الحجة ٣٠/٣ نسخة البلدية

(٤) انظر روضات الجنات ٢١٩ (٥) نزعة الألباء ٢١٠

(٦) معجم الأدباء ٢٥٥/٧ (٧) الامتاع ١١٧/١

(٨) الإمتاع ١٣١/١ (٩) انظر مثلاً ج ٢ ١٢٨/١ ١٣٠/١ ١٣١/١ ص ٦٢ ٦٣

(١٠) أي وثلاثمائة (١١) الإمتاع ١٣١/١

فيشتره ، فما ذلك بضائر أبا على ، بل هو آية على حبه للعلم ، ودليل على اتصاله بالنشاط الفكري في البحوث النحوية ولا سيما الكتاب ، ، ولو عرفنا مقدار حب أبي على لسيبويه ، وإجلاله له — لم تستبعد حرصه على شراء تفسير أبي سعيد للكتاب ، ولست بذهاب إلى ما ذهب إليه أصحاب أبي على من إبانهم الإقرار بواقعة الشراء ، أو أنه اشتراه لينقض على أبي سعيد ويظهر الخطأ في شرحه فلم يتعرض أبو على لشيء من ذلك فيما أعلم — ولو كان لكبر أصحاب أبي على به وهملوا .

ولئن كان أبو سعيد قد شغل بشرح الكتاب — إن أبا على شغل بالاحتجاج لكتاب الله وجاء كتاب الحجة دليلاً على تفرد الفارسي بكتاب سيبويه ، وشدة إكبابه عليه ، كما يقول أبو حيان ، وكانت الحجة شرحاً للكتاب ، واحتجاجاً به ، واعتياداً عليه ، واستفادة بما فيه ، وقياساً على أقوال سيبويه ، كما بينت ذلك من قبل <sup>(٢)</sup> . ولست أدري لم أغفل أبو حيان كتاب الحجة ، مع أن هذا الحديث الذي يرويه عن المفاضلة بين الرجلين كان فيما بين سنتي ( ٣٧٣ — ٣٧٥ ) هـ وهي مدة وزارة ابن سعدان لصمصام الدولة البويهى بن عضد الدولة ، <sup>(٣)</sup> وقد ألف أبو على الفارسي كتاب الحجة لعضد الدولة كما ذكر ذلك في المقدمة <sup>(٤)</sup> ، ومعنى ذلك أن كتاب الحجة موافق قطعاً قبل سنة ٣٧٣ هـ ، وهي السنة التي توفي فيها عضد الدولة <sup>(٥)</sup> ، وليس هناك من تفسير لإغفال أبي حيان ذكر كتاب الحجة إلا أنه أراد أن يطوى مفخرة عظمى من مفاخر أبي على وهو يتحدث موازناً بين الإمامين ( فارسي والسيрани ) ، ويتحيز في وضوح لأبي سعيد وإلا فكيف يقول : « ولأبي على أطراف من الكلام في مسائل أجاد فيما ولم يأتل ، ولكنه قعد على الكتاب على النظم المعروف » <sup>(٦)</sup> ، فيذكر مسأله ، ويغفل الحجة ؟

ولست أدري ! أكان للفارسي كتاب بشرح الكتاب ؟ لم تعرض كتب التراجم — فيما أعلم — لشيء من ذلك ، كما تعرض له فهارس الوراقين أمثال الفهرست

(١) الإمتاع ١/ ١٣٢

(٢) وعلى سبيل المثال انظر الحجة ١/ ٥١-٥٣، ١٣٦-١٩١ نسخة البدية

(٣) الإمتاع والمؤانسة ح ، ف — المقدمة وذيل تجارب الأمم ٨٥

(٤) انظر ص ١ من كتاب الحجة (٥) انظر شذرات الذهب ٣/ ٧٩

(٦) الإمتاع ١/ ١٣١

لابن النديم ، أو كشف الظنون ، ولكنني وجدت في حاشية الأمير على المغنى مانصه : « رد الشارح بأن أبا علي الفارسي نص في شرح كتاب سيويه على أن الواو تأتي للإباحة قال : « كرجل أنكر على ولده مجالسة أهل الريب والزيف فقال له : « دع مجالسة هؤلاء ، وجالس الفقهاء والقراء وأهل الحديث أو قال : « جالس الفقهاء أو القراء أو أهل الحديث فذلك كله بمعنى ، <sup>(١)</sup>

وأبو علي بعد ذلك بصير بالكتاب ، دقيق الفهم له ، حل مشكلاته ، وجلى غوامضه بالإيضاح .

(ب) كما يعتمد أبو حيان في تفضيل السيرافي على أنه عالم في كل فن : <sup>(٢)</sup> فكان يقرأ عليه القرآن ، والفقه ، والشروط ، والفرائض ، والنحو ، واللغة ، والعروض ، والقوافي ، والحساب والهندسة والحديث ، والأخبار ، وهو في كل هكذا إما في الغاية ، وإما في الوسط ، <sup>(٣)</sup> ، وعلى الرغم من اتفاق أبي سعيد والفارسي في الشيوخ ، فكلاهما قرأ القرآن على ابن مجاهد ، واللغة على ابن دريد ، والنحو على أبي بكر بن السراج <sup>(٤)</sup> ، وأبي بكر مبرمان <sup>(٥)</sup> وأن أبا سعيد كان متقدما في عدة فنون كان الناس يشتغلون عليه بها <sup>(٦)</sup> ، ويظهر كذلك أن أبا علي لم يبلغ مبلغ أبي سعيد في ذلك ، ولو كان لظهر أثره فيما خلف من تراث علمي ، فوفائاته تدل على تأثره بالمنطق ، كما تدل على أن له قدما راسخة في النحو والعروض كما بينت ذلك عند الكلام على ثقافته ، ثم هو قد قرىء عليه القرآن ، كما قرىء على أبي سعيد ، وورد اسمه في طبقات القراء ، وقد روى القراءة عنه عرضاً عبد الملك بن النهران <sup>(٧)</sup> — إلا أن الإنصاف يدعوني إلى تقرير أنه تخلف عن أبي سعيد في الشعر ، فقد كان أبو علي يغبط الشعراء على قول الشعر ولا يواتيه الطبع <sup>(٨)</sup> ، على حين أن لأبي سعيد هبة فيه <sup>(٩)</sup> . كما يبدو أن أبا علي تخلف كذلك عن أبي سعيد في الفقه والقرائن ، ومشاركه أبي علي في هذا ضئيلة نادرة <sup>(١٠)</sup> ويظهر أن اشتغال أبي سعيد بالقضاء

(١) حاشية الأمير على المغنى ٦٧/١

(٢) انظر إنباه الرواة ٢٢٨/٢ أبيات أبي الحسن الاندلسي

(٣) الإمتاع ١٣٣/١ (٤) وفيات الأعيان ٣٦٠/١ (٥) نزعة الألباء ٢٠٦

(٦) وفيات الأعيان ٣٦٠/١ (٧) طبقات القراء ٢٠٧/١

(٨) شذرات الذهب ٨٩/٣ (٩) وفيات الأعيان ٣٦١/١

(١٠) انظر الكلمة الخاصة بذلك في الفصل الخامس : بأبي علي والشعر

مكنه من الافتاء (١) ، وجعله مقدما على أبي علي . ومن قول الزبيدي في الطبقات : كان أبو سعيد ينتحل العلم بالمجسطي وإقليدس ، والمنطق (٢) : وأستنتج أنه لم يكن في الدرجة العالية في هذه العلوم ، نعم ، وكما قال أبو حيان : « وهو في كل هذا — يشير إلى فروع العلم المختلفة التي عددها — إما في الغاية وإما في الوسط (٣) . وإذا كان أبو حيان متعصباً لأبي سعيد ، فلا شك في أن عبارته هذه تزيد ، ولعله كان في بعض فروع العلم دون الوسط . فكلية « ينتحل » في عبارة الزبيدي توحى — بما كان عليه أبو سعيد من قرب الغور ، وقلة التعمق ، في هذه العلوم ، وربما انتحل ذلك استكمالاً لآلة المنافسة والجدل بينه وبين رئيس المنطقيين في عصره أبي بشر متى بن يونس (٤) . ولكن ذلك على كل حال ليس بغاضٍ من قدر الرجل أبي سعيد ، أو منتقص حقه من التقدير والتوثيق .

أما أن الفارسي لم يتجاوز في اللغة كتب أبي زيد ، وأطرافاً مما لغيره فصحيح ، ويظهر ذلك من استعانة أبي علي بأبي زيد في كثرة (٥) ، واستشهاده بما ورد في نوادره وتوثيقه له في تحمس واعتزاز (٦) . ويبدو أن أبا علي تخلف كذلك في هذا المضمار ، فهو وإن كانت له شخصية لغوية — لم يرتفع إلى الدرجة التي يعد بها بين اللغويين ، وهذا الزبيدي يذكر السيرافي بين اللغويين ، على حين لا يعد الفارسي منهم (٧) .

ويبدو أن شغل الفارسي كان بالكتاب يدرسه قال العبدى : وعهدى بنفسى حاضرأ مجلس هذا الشيخ — يعني أبا علي — وهناك من يقرأ كتاب سيويه دون غيره من المتوسطات ثلاثون رجلاً وأكثر ، ما فيهم إلا من يطلق عليه اسم العامل ثم ما يحسنونه من اللغة والشعر غير مذكور ، ومجلس الشيخ أبي سعيد الحسن ابن عبد الله السيرافي وعدد أهل المجلس ومن معنا سبق للقراءة يزيدون على المائة (٨) . ، ويفهم من هذا النص أيضاً أن السيرافي أعلى مكانة من أبي علي إذ كان مجلسه أكثر إزدحاماً والطلبة عليه أشد إقبالا (٩) .

(١) شذرات الذهب ٦٥/٣

(٢) الإمتاع ١٣٣/١

(٣) الفهرست ٣٦٨

(٤) انظر مثلاً الحجة ١/٥٤، ٥٧، ٢٠٣ نسخة البلدية

(٥) انظر مثلاً الحجة ١/٢٧١، ١/٣٠٥ نسخة البلدية

(٦) طبقات اللغويين والنحاة ٢٠٢ (٨) إنباه الرواة ٢/٣٨٧-٣٨٨

(٩) وانظر الحلبيات ٥ نحوش ٣٣ ظهر

وقد كان هناك مجال ظهر فيه فضل أبي سعيد ، ذلك ما كان بينه وبين متى بن يونس من المناظرة المشهورة ، وسبب شهرتها أنها كانت بين عليين : أحدهما نحوى ، والآخر رئيس المنطقة في عصره : هو أبو بشر متى بن يونس <sup>(١)</sup> ، ثم كانت في مجلس وزير يهتم بمجالسة العلماء والمشاركة في فنونهم هو ابن الفرات <sup>(٢)</sup> ، ثم كانت كذلك على ملا من الناس الاعلام ، وفيهم الخالدي وابن الأخشاد . . . وقدامة بن جعفر ، والزهرى وعلى بن عيسى الجراح ، وابن يحيى العلوى ، وزاد من أهميتها وذويوع فضل صاحب الفلج فيها أن حضرها رسول ابن طنج من مصر ، والمرزباني صاحب آل سامان <sup>(٣)</sup> .

وموضوع المناظرة التي وقعت بين السيرافي ومتى ما كان يقوله متى : « لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل ، والصدق من الكذب ، والخير من الشر ، والحجة من الشبهة ، والشك من اليقين — إلا بما حوينا من المنطق ، وملكناه من القيام به ، واستفدناه من واضعه على مراتبه وحدوده ، فاطلعنا عليه من جهة اسمه على حقائقه <sup>(٤)</sup> » .

وقد رغب ابن الفرات إلى مجالسته في مناظرة متى ، فتزامروا ، وتغامزوا ، واعتذر السيرافي من تغامزهم وتزامرهم ، فقال الوزير : « أنت لها يا أبا سعيد ! فاعتذارك عن غيرك يوجب عليك الانتصار لنفسك ، والانتصار لنفسك راجع إلى الجماعة بفضلك » .

وهكذا هاج ابن الفرات أبا سعيد ، وأغراه بمحاجة أبي بشر ، وبأن منذ اللحظة الأولى تحيز ابن الفرات للسيرافي ، وتعصبه له على متى بن يونس ، وواجه السيرافي متى قائلاً : « حدثني عن المنطق ما تعنى به » . وعرف متى المنطق تعريفاً مضمونه أنه « ما يعرف به صحيح الكلام من سقيمه ، وفاسد المعنى من صالحه » ، وخطأه أبو سعيد زاعماً أن صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالنظم المألوف ، والإعراب المعروف عند المتكلمين بالعربية ، <sup>(٥)</sup> .

وقد اشتغل أبو سعيد ضعف د متى ، في العربية ، فأصلاه ناراً حامية ،

(١) الفهرست ٣٦٨ (٢) الإمتاع ١٠٨/١ (٣) المصدر السابق

(٤) الإمتاع ١٠٨/١ ، وياقوت ١٩٠/٨ والمقابس ٦٨

(٥) الإمتاع ١١١/١

فأبو سعيد يحول به في ميادين النحوجولات يضيق بها صدره . ويتعصب متى ليونان، وأنهم أصحاب عناية بالحكمة ، وينكر أبو سعيد ما لهم من فضل ، ويقرر أن العلم مبثوث في العالم ، والصناعات مفضوضة على جميع من على جدد الأرض ، ويسأله عن حرف واحد دأب في كلام العرب — هو الواو — ، ومعانيه متميزة عند أهل العقل<sup>(١)</sup> ويدعوه أن يستخرج معانيه من ناحية منطق ارسطاطاليس الذي يدل به ، ويباهى بتفخيمه : فيبته متى ، ويقرر أنه لا حاجة بالمنطق إليه ، وبالنحو حاجة شديدة إلى المنطق<sup>(٢)</sup> ، لأن المنطق يبحث عن المعنى ، والنحو يبحث عن اللفظ<sup>(٣)</sup> ، ويندفع السيرافي مبرهننا على أن النحو كالمنطق ينظر في المعنى كما ينظر في اللفظ<sup>(٤)</sup> وضرب أبو سعيد مثلاً بالكندى وتعلقه بالمنطق ، وما جره عليه ذلك التعلق من شرور تشمت العدو ، وتغم الصديق .

وهكذا يجتمع على « متى » ضعفه في النحو ، وتعصب ابن الفرات عليه ، ذلك التعصب البادى في كثير من عباراته ، ورباطة جأش أبي سعيد ، وتصرف لسانه ، وفيض بنانه ، وانثيال خواطره ، وتلجلج مناظره ، وتسجيل المجلس ذلك في ألواح ومحابر ، فيتقوض الجمع وقد حاك السيرافي طرازاً لا يلبيه الزمان ، ولا يتطرق إليه الحدثنان .

وحق على أبي على الفارسي وقد حدث بما كان أن يكتم الحسد لنظيره — أبي سعيد — على ما فاز به من هذا الخبر المشهور ، والشاء المذكور . ذلك موقف من المواقف التي رفعت ذكر أبي سعيد السيرافي ، وإن كانت الفرصة لم تتح لأبي على الفارسي أن يحضر هذا المجلس ، ولعله لو حضر لكان له فيه مجال ، ولقال — وهو الجدل — وصال في ذلك الميدان ، ولكنها الأقدار تواتى بعضاً وتعرض عن بعض ، والله في خلقه شئون !

هذا وقد فضل أبو سعيد على أبي على : ما اشتهر عنه من خلق كريم ، فأبو سعيد زاهد مثاله ، متخرج<sup>(٥)</sup> ، يأكل من كسب نفسه ، جميل الطريقة حسن الأخلاق<sup>(٦)</sup> ، يصوم الدهر ، ويصلى في جماعة<sup>(٧)</sup> ، وربما كان لتولييه منصب القضاء ببغداد ،

(١) الإمتاع ١/١١٢ (٢) الإمتاع ١/١١٤

(٣) المقابسات ٧٤ (٤) الإمتاع ١/١١٨

(٥) الإمتاع ٢/١٧٧ (٦) نزعة الألباء ٢٠٦ ووفيات الأعيان ٣٦٠

(٧) الإمتاع ١/١٣٢

والإفتاء في جامع الرصافة خمسين سنة<sup>(١)</sup>، أثر في ذلك كله، أما فيما يتعلق بأبي على الفارسي فلم يتناقل المترجمون ما ذكره أبو حيان من أنه كان يشرب ويتخالم، ويفارق هدى أهل العلم، وطريقة الربانيين، وعادة المتنسكين، ولا تمييزنا النصوص الصريحة على تأييد ذلك، اللهم إلا ما ذكره ياقوت في معجم الأدباء مما يدل على عدم الوفاء،<sup>(٢)</sup> وقد ناقشت هذه الرواية في الفصل المعقود لآخلاقه.

وبعد: فأننا مع ابن حيان في تفضيل أبي سعيد السيرافي على أبي على الفارسي لما له من خلق كريم، ولما اختص به من شرح الكتاب، ولأنه ارتفع في هذه الدنيا بعلمه، فلم يعرف أنه اتصل بملك يعلى ذكره، وينشر في الآفاق خبره كأبي على الفارسي وقد جعل ابن جنى الاتصال بالملوك مشغلة عن العلم والتفكير فيه<sup>(٣)</sup>، فالسيرافي أشبه بالرجل العصامي الذي يبني مجده معتمداً على جده.

ولكني لا أهبط بأبي على إلى الدرك الذي أنزله به أبو حيان، فأبو حيان ينظر إليه بعين متعصبة عليه، معصوبة عن فضله، وإذا كان لأبي سعيد شرح الكتاب — وكانت له إلى جانبه مشاركة جيدة في الفقه والفرائض والإفتاء والقضاء ونظم القريض، وعده معاصره الزبيدي بين اللغويين، كما ظفر بالفلج على متى بن يونس رئيس المنطقيين، إذا كان لأبي سعيد ذلك فإن أبا على له الحجة، وهو كتاب جامع لفروع شتى من العربية. والثقافة الإسلامية، ومن أجله طلب أبو العلاء المعري — في رسالة الغفران — من أولئك الذين امترسوا بأبي على يوم القيامة — ألا يعتوه، فإنه يمت بكتابه في القرآن المعروف (بكتاب الحجة)<sup>(٤)</sup>، وناهيك بها إشارة ترفع الشيخ درجات، وتحط عنه ما لحق به من أوزار وهنات، وقد كتب الله على نفسه «إن الحسنات يذهبن السيئات».

(٣) الخصائص ٢٨٦/١

(٢) معجم الأدباء ٢٥٥/٧

(١) ياقوت ١٥٠/٨

(٤) رسالة الغفران ١٥٤

## (ب) أبو علي الفارسي وعلي بن عيسى الرمانى

كان أبو علي الفارسي يضع نفسه — بحق — بين المجتهدين ، ويرتفع بها عن المعاصرين له من شيوخه العلماء ومن هم في طبقة ، واشتركوا معه في الأخذ من أساتذته ، ومن هنا يتعقب الزجاج في الأغفال وابن السراج في الاحتجاج كما يتبع أبا علي الجبائي في التفسير كما يتعرض للرمانى والزجاجى ، وقد أفردت حديثاً عن الإغفال ، ووازنت بينه وبين ابن السراج في الاحتجاج ، وهنا أحقق قوله في نحو الرمانى ثم الزجاجى .

تنص كتب التراجم على أن أبا علي الفارسي قال : لو كان النحو ما يقوله الرمانى لم يكن معنا منه شيء ولو كان النحو ما تقوله لم يكن معه منه شيء<sup>(٢)</sup> ، والباحثون يفسرون قول الفارسي على أنه تصوير لمنهج الرمانى في تناوله المسائل النحوية ، وأنه كان يمزج نحوه بالمنطق ، وتناقل الباحثون ذلك التفسير يتخذونه دليلاً على شيوع الفلسفة والنحو ، وذيوخ قضايا المنطق فيه ، ويستشهدون بهذه العبارة مؤيدين رأى الفارسي في نحو الرمانى ، وما اُتسم به منهجه من النزعة المنطقية والفلسفية<sup>(٣)</sup> ، وقد انتقل ذلك التفسير إلى الباحثين الغربيين فهذا Hart فى كتابه الأدب العربى Litterature Arabe يحدثنا أن الرمانى كان مفرماً بالمسائل النحوية العويصة حتى قال فيه أبو علي الفارسي إن كان النحو<sup>(٤)</sup> . . . الخ

والعبارة وما تدل عليه فى حاجة إلى تحقيق وتعليق يقومان على ما ترك الرمانى من أثر فى علم النحو ، لا على ما ترويه كتب التراجم ، ويتوارثه الباحثون ، فكثيراً ما تنقسم هذه الكتب بنزعات مذهبية ، أو تتلون بألوان حزبية ، تغطى الحقيقة فتخفيها ، وتزبل معالمها أمام الدارسين .

وقد وردت العبارة فى نزعة الألباء بعد قول الأنبارى وهو يترجم للرمانى . وكان يمزج كلامه بالمنطق ثم أعقب ذلك بقوله : حتى قال أبو علي الفارسي . . . إن كان النحو ما يقوله أبو الحسن . . . ومن هنا دلت العبارة معقبة قول ابن الأنبارى وكان يمزج كلامه بالمنطق دلت على أن الرمانى كان يفلسف نحوه ومنطقه ، حقيقة

(١) معجم الأدياء ٢٤١/٧ (٢) نزعة الألباء (٣) المقابسات هامش ص ٧٧

(٤) مالك بن أنس ترجمة محررة ١٤٠ (٥) محاضرات فى البلاغة والنقد ص ١٣



وجدت الرمانى يمزج كلامه بالمنطق فى كتابه نكت القرآن حيث ورد فيه بعض التعبيرات المنطقية مثل : القياس الفاسد، <sup>(١)</sup> وإبطال الفاسد، <sup>(٢)</sup> ودلالة القياس، <sup>(٣)</sup> وقيام الحجة. <sup>(٤)</sup> ولكن موضوع النكت غير نحوى وسبيلى هنا تحقيق قوله أب على فى نحو الرمانى بخاصة .

وقد أورد السيوطى قراءة أبى على فى نحو الرمانى ، ثم قال : « النحو ما يقوله الفارسى ، ومتى عهد الناس أن النحو يمزج بالمنطق وهذه مؤلفات الخليل وسيبويه ومعاصريهما ومن بعدهما بدهر لم يعهد فيه شئ من ذلك ، . وأرى السيوطى بهذا يعترف بأن الفارسى لا يمزج نحوه بالمنطق على عكس الرمانى ، ثم يبين لنا رأيه فى النحو الذى مازجته مسائل المنطق ، ثم أراه على حق فى أن الخليل وسيبويه كان نحوهما نحوه خالياً من المنطق، ولكنه جهل أو تجاهل تطور الزمن، وشيوع الفلسفة ومسائل المنطق فى عصر الرمانى والفارسى .

ويبدو — كذلك — أن الذى ألصق هذا التفسير بتلك العبارة — أن على بن عيسى الرمانى اتصل دراسة بأبى حيان <sup>(٥)</sup> الذى وصفه ياقوت بأنه : « فيلسوف الأدباء ، وأديب الفلاسفة » <sup>(٦)</sup> ، والذى ألف رسالة لمضد الدولة فى فنون مختلفة من الحكمة <sup>(٧)</sup> ، ودرس فيما درس — كتاب النفس على أبى سليمان المنطقى <sup>(٨)</sup> ، وأبو سليمان المنطقى هو الذى كان يقول : « النحو منطق العربية ، كما أن المنطق نحو يونان » <sup>(٩)</sup> .

وشئ آخر ربما دعا الباحثين إلى توارث الفهم الذى فهموه فى هذه العبارة ، ذلك بأن على بن عيسى الرمانى ألف كتاب « الحروف » ، على مثال كتاب الحروف لأرسطاليس ، قال ابن النديم : وترتيب هذا الكتاب — كتاب أرسطاليس — على ترتيب حروف اليونانيين ، وأوله الألف الصغرى ، ونقلها لإسحق ، والموجود منه إلى حرف « مو » ، ونقل هذا الحرف أبو زكريا ، يحيى بن عدى ، وقد يوجد حرف « نو » ، باليونانية بتفسير الإسكندر ، وهذه الحروف نقلها أسطاث للكندى ،

(١) س ٢١١ (٢) نكت القرآن للرمانى . مخطوطة رقم ٢٩٨ تفسير خزائن تيمور / ١٨

(٣) المصدر السابق ٢٠ (٤) نفس المصدر ٤٥ (٥) نكت القرآن — ٥٠

(٦) دائرة المعارف الإسلامية ترجمة أبى حيان (٧) معجم الأدباء ١٥/٥

(٨) تاريخ الحكماء ٢٦٣ (٩) المقابسات ٢٤٦

(١٠) راجع الإمتاع والمؤانسة ٦٧/١ والبصائر والفتاوى ١١٨/٣ والمقابسات ١٦٩

وله خبر في ذلك ....<sup>(١)</sup> الخ ، فلعل تأليف الرمانى كتاب الحروف على نحو ما ألف أرسطاليس اليونانى صاحب المنطق — كان ذلك سبباً فى القول بأن الرمانى ينطق كلامه .

وقد أورد السندوبى فى المقابسات<sup>(٢)</sup> عبارة أبى على الفارسى فى نحو الرمانى ، ثم قال : « والمسألة هى أن الرمانى كان يبرهن على القضايا المنطقية بالعلل النحوية ، ويعلل قواعد النحو بالقضايا المنطقية ، ثم قال : « وسيرد عليك فى المقابسات آراء شافية فى هذا الشأن » .

وكل ما أورد فى المقابسات مما يصح أن يكون علاقة بين النحو والمنطق المقابسات الآتية — وجميعها ليس للرمانى فيها رأى أو ذكر — وهذه المقابسات هى :

المقابلة الثانية والعشرون فيما بين المنطق والنحو من المناسبة ، وموضوعها سؤال من أبى حيان إذ قال لأبى سليمان : « إني لأجد بين المنطق والنحو مناسبة غالبية ، ومشابهة قريبة وعلى ذلك فما الفرق بينهما ؟ وهل يتعاونان بالمناسبة ؟ وهل يتفاوتان بالقرب منه<sup>(٣)</sup> ؟

والمقابلة الثالثة والعشرون<sup>(٤)</sup> ، وفيها يقول أبو حيان لأبى سليمان : « كتاباً بالأمس فى مجلس أبى على القومسى فخرى كلام فى الظرف ، فقال له الأندلسى : « أيها الشيخ ! لم صار الظرف المخصوص بالزمان أكثر من الظرف المخصوص بالمكان ؟ ، والمقابلة الرابعة والعشرون<sup>(٥)</sup> وهذه المقابلة سؤال من أبى سليمان لأبى حيان عن الطبيعة وكيف هى عند أهل النحو واللغة ؟ أى معنى فاعلة هى أم بمعنى مفعولة ؟ وهى كما ترى مقابسات ثلاث متتابعات ، ويقول عنها أبو حيان : « تابعت (حاطك الله) من (كذا ولعلها بين) هذه المقابسات الثلاث لأنها متواخية فى بابها أعنى أنها فى حديث النحو واللغة والمنطق والنظر . والمتصفح لها لا يجد فيها لعل ابن عيسى الرمانى ذكراً ، فهى محاورات وأسئلة وجوابات بين أبى سليمان المنطقى وأبى حيان التوحيدى ، وأبى سعيد السيرافى . فأى شيء دعا السندوبى إلى قوله فى صدر هذا الكلام : « وسيرد عليك فى المقابسات آراء شافية فى هذا الشأن ؟ ، وقد وجدنا أن ليس فيها رأى للرمانى ؟ إن كان يريد تعليل قواعد النحو بالمنطق

(١) الفهرست ٣٥٢ (٢) هامش ٥٧

(٣) مقابسات ٢٦٩ (٤) مقابسات ١٧٢ (٥) مقابسات ١٢٤

مطلقاً فذلك صحيح وإن لم يصدر عن الرمانى ، لكنه أورد عبارته بعد شرح كلمة الفارسى فى نحو على بن عيسى الرمانى ، وهى تفهم أنه أراد الرمانى بالذات ، فقلعه أراد المناظرة التى بين يونس والسيرافى <sup>(١)</sup> ، وليس فيها للرمانى رأى أو اشتراك ، وإن كان هو الذى رواها عن أبى سعيد <sup>(٢)</sup> .

فهل كان الرمانى يستعمل المتطوق فى عبارته النحوية <sup>(٣)</sup> ، وهل كان يمتضى فى هذه النزعة حتى لا يفهم الحاضرون من طلابه شيئاً من كلامه <sup>(٤)</sup> ؟ وهل بلغ الغاية فى ذلك حتى سبق الفارسى وأبا سعيد السيرافى على تفاوت بين الأخيرين فى هذه النزعة : توسطاً عند أبى على تجعل الطلاب يفهمون بعض كلامه دون بعض ، وقلة أو عدماً عند أبى سعيد تجعل الطلاب يفهمون منه جميع الكلام ؟

للإجابة عن هذه الأسئلة يجب أن نتصل اتصالاً وثيقاً بآثار كل من هؤلاء الأئمة فى النحو ، ونقرأها قراءة فاحصة ، ثم نوازن بينها ، لنصدر فى أحكامنا عن تصور ، ونهتدى فى فهمنا بالدليل ، والذى يعيننا من هذه الآثار ما كان منها متصلاً بهذا البحث ، والذى يكشف عن مفهوم عبارة الفارسى فى الرمانى وأقرر هنا أن الفارسى لم يقل النص الذى ذكره الأبنبارى ، ليدل به على مذهب الرمانى فى فلسفة النحو ، فلم يكن الفارسى ليحفل بشئ من ذلك ، فحديثه عنه من هذه الزاوية — لا يعنيه فى قليل ولا كثير ، ولا سيما إذا علمنا أن الفارسى نفسه من أصحاب المنطق فى النحو إلى حد كبير .

فإذا أراد الفارسى إذن بهذه العبارة ؟ أقول : د لأنه أخرج هذه العبارة مخرج الآية الكريمة : ولما أو إياكم لعل هدى أو فى ضلال مبين <sup>(٥)</sup> ، وهو جل وعز يعلم أن رسوله المهتدى ، وأن مخالفه الضال <sup>(٦)</sup> .  
وقول حسان :

أتهجوه ولست له بكفء فشركا لخيركما القداء <sup>(٧)</sup>

وقول الشاعر :

فأبى ما وأيك كان شراً فسبق إلى المقادة فى هوان <sup>(٨)</sup>

(١) مقابسات ٦٨ (٢) الامتناع والمؤانسة ١٢٨/١ (٣) انباء الرواة ٣٨٨/٢

(٤) نزعة الألباء ٢١١

(٥) سورة سبأ آية ٢٤ واطظر فى تفسير هذه الآية تفسير أبى السعود ٣٥١/٤

(٦) تأويل مشكل القرآن ٢٠٨ (٧) ديوان حسان بن ثابت ص

(٨) النهر الماد من البحر لأبى حيان على هامش البحر المحيط ٢٧٤/٧ والبحر المحيط ٢٧/٩٧

ونحوه قول الرجل لصاحبه « علم الله الصادق منى ومنك »<sup>(١)</sup> . ونحو قول العرب : « أخزى الله الكاذب منى ومنك » ، يقول ذلك من يتيقن أن صاحبه هو الكاذب<sup>(٢)</sup> . فكذبته من وجه هو أحسن من التصريح<sup>(٣)</sup> . وأرتب على ذلك أن الفارسي لا يعترف بالرماني نحويًا ، وأنه يريد أن يقول — مورياً وملحاً — وفي التليغ ما يغنى عن التصريح — أن نحوه هو النحو ، وليس عند الرماني من النحو شيء

وأبو على الفارسي في هذا يلتقي مع البديهي حيث يقول :  
« ما رأيت على سنى وتجوالى وحسن لإنصاف لمن وضع يده في الأدب أحداً أعزى من الفضائل كلها ، ولا أشد ادعاءها كلها من صاحب الحدود »<sup>(٤)</sup> ، فإنى مع وزنى له ، ونظرى إليه ، واستكثارى منه فى عنفوان شبيبتي لم أقطع على أمره حتى راجعت العلماء فى أمره ، فقال المتكلمون : « ليس فنه فى الكلام فتناً » ، وقال النحويون : « ليس شأنه فى النحو شأناً » ، وقال المنطقيون : « ليس ما يزعم أنه منطق منطقاً عندنا » ، وقد خفى مع ذلك أمره على عامة من يرى<sup>(٥)</sup> . وهذه العبارة — فى هذا المقام — تدل على أن الرماني لم يبلغ فى النحو شأن المشتغلين بصناعته . وهذا ما أفهمه من عبارة الفارسي .

فما الذى دعا الفارسي إلى ذلك الموقف الذى وقفه من الرماني ؟ وأن يرى ذلك الراى الذى رآه فيه ؟

كان لا بد أن أرجع إلى بعض ما لكل منهما فى النحو ، فاقصت بآثار لها اتصالاً هادئاً إلى الفهم الذى قررت فى عبارة الفارسي ، وأعانتى على هذا الفهم أنى تعرفت النزعات المختلفة ، والآهواء التى كانت تسيطر على العلماء فى ذلك العصر ، وتوجه قلوبهم جبالاً لفريق منهم ، وبغضاً للآخرين ، فألقى ذلك كله ضوءاً على العلاقات التى كانت تربط بين الفارسي وسواه من الأئمة فى عصره ، ومن هؤلاء « على بن عيسى الرماني » .

فمن حيث الآثار التى تركها كل ، فللرماني مخطوط بهمد لإحياء المخطوطات العربية مصور من مكتبة البديري بالقدس<sup>(٦)</sup> فى ( فيلم ) رقم ٢٢ ( اثنان وعشرون )

(١) تفسير الزمخمرى ٢٥٩/٣ (٢) تفسير البحر المحيط ٢٧٩/٧

(٣) تأويل مشكل القرآن ٢٠٨ (٤) يقصد الرماني

(٥) البصائر والنخائر (٦) رقم المخطوطة فيها ضمن مجموعة الرسالة الثانية من ١٣٥

وعدد أوراقه خمس وعشرون ، تحدث فيه عن الحروف . قرأت هذا الكتاب ، فوجدت الرماني يخالف المنطق ، ويتجنبه شكلا ، وموضوعاً .  
فلو كان الرماني يلتزم المنطق في نحوه لرتب كتاب الحروف ترتيباً يبدو فيه المنطق — من ناحية الشكل — حقيقة بدأ بالحروف الأحادية ، ثم ثنى بالثنائية ، ثم تحدث عن الثلاثية فالرباعية ، ولكنه أوردتها في سلك لا يخضع لنظرة ذات اتجاه منظم :

فقد تحدث عن الحروف بالترتيب الآتي :

الحروف الأحادية : الهمزة ، الباء ، التاء ، السين ، الفاء ، الكاف ، اللام ، الواو .  
الحروف الثنائية : وقد أوردتها على النسق الآتي : أل — أم — أن — إن — أو — أى — لا — ما — وا — ها — بل — عن — في — من — قد — كي — لم — لو — هل — مذ .

ثم تحدث عن : منذ — نعم — بلى — ثم — جبر — خلا — رب — على — سوف — إن — أن — ليت — ألا — إلى — إذا — أيا ( وهذه هي الثلاثية )  
ثم ساق الكلام عن : حاشا — حتى — كأن — كلا — لولا — لوما — لعل — إلا — أما — إما — هلا — لما — لكن ( وتلك هي الرباعية ) .  
وبمراجعة الترتيب الذي التزمه ألحظ أنه :

( أ ) التزم الترتيب على حسب الأحرف الهجائية في الحروف الأحادية .  
( ب ) لم يلتزم هذا الترتيب في الحروف الثنائية ، فهو يورد بل ، بعد ديا ، وقد ، بعد من ، ودمذ ، بعد هل . وقد تجد شيئاً من هذا في الأحرف الثلاثية والرباعية .  
قد يقال : وربما رتب الرماني هذه الحروف ترتيباً يخضع لنظام آخر غير ترتيب الحروف الهجائية ، كأن يرتبها على حسب العامل منها أو الهامل — على حد تعبيره — أو التي تعمل النصب معاً ، والتي تعمل الجر كذلك ، ولكنك تطبق شيئاً من ذلك أو غيره فلا تمضي في الطريق حتى يلتوى عليك أو يغلق <sup>(١)</sup> .

\*\*\*

فإذا انتقلت من نقد الشكل إلى نقد الموضوع فانك تقرأ كتاب الحروف فلا تشم ريح المنطق ولا تكاد تجد ظلاً للفلسفة فيه اللهم إلا أضواء خافتات كأن

(١) التصنيف باب من أبواب المنطق انظر الموجز في المنطق ص ٢٥ وما بعدها

يقول : « وليست أما من حروف العطف كما يذهب إليه بعض النحويين ، يدلك على ذلك أنك إذا قلت : « رأيت إما زيداً وإما عمراً لم يخل قولك : إما زيداً وإما عمراً أن تكون إما الأولى عاطفة أو الثانية ، فلا يجوز أن تكون الأولى حرف عطف ، لأن حرف العطف لا يبدأ به ، ولا يجوز أن تكون الثانية ، لأن الواو حرف عطف ولا يجمع بين حرفي عطف في شيء من الكلام ، وإذا ثبت ذلك بطل أن تكون عاطفة ، ولكن النحويين لما رأوا إعراب ما بعدها كإعراب ما قبلها ذكروها مع حروف العطف تقريباً واتساعاً ، <sup>(١)</sup> .

فهذا نوع من التدليل المنطقي ، ولكنه نادر في كتاب الحروف نادرة لا تأخذ الحكم ، ولا تنتج القاعدة ، على حين أن المنطق بقضاياه وأشكاله ، وعمله وأقيسته يطالعك في كتب أبي على في كثرة غامرة .

\* \* \*

ومفهوم عبارة أبي على الذي انتهت إليه أنه ينتقص الروماني ، وقد مضيت في قراءة كتاب الحروف للرماني ، وأخذت أستخرج منه ما قد يخالف فيه أبا على ، وما قد يكون سبباً في رميهِ بما رمى فوجدت :

أولاً — أن الرماني يقصر في التعليل ، فالرماني إذا علل قصر ، وليس ذلك شأن أبي على ، فأبو على يحبك التعليل ، ويحكمه حتى لا تجد — في الأعم الأغلب — معترضاً تعترض به عليه ، أو إيراداً تورده إليه <sup>(٢)</sup> .

ومن أمثلة تقصير الرماني في التعليل ما ذكره من أن « الحمزة كانت من الهوامل ، لأنها تدخل على الاسم والفعل ، وما كان بهذه الصفة لم يعمل شيئاً ، وإنما يعمل الحرف إذا اختص بأحد القبيلين دون الآخر <sup>(٣)</sup> » ، وهذا التعليل يرد عليه دخول السين على الفعل فقط واختصاصها به ، وكان مقتضى تعليل الرماني أن تكون من العوامل ، ولكنها من الهوامل . وكذلك ( أل ) تختص بالدخول على الأسماء ، وهي مع ذلك من الهوامل ، وكان هذا الاختصاص يجعلها على حسب تعليل الرماني من العوامل ولكنها لم تكن . ثم يرد عليه كذلك — اللام — وهي تدخل على الفعل والاسم ، ومع ذلك فهي من العوامل <sup>(٤)</sup> .

---

(١) لوحة رقم ٢٤

(٢) سترد شواهد من تعليقات الفارسي توضح هذه القضية

(٣) اللوحة الثالثة من المصور

(٤) لوحة رقم ٧

وانظر تعليله في حروف الجر: بينا يقول: «الباء الجارة كسرت لتكون على حركة معمولها، وحركة معمولها الكسر»<sup>(١)</sup> — يقول في تعليل فتح الكاف الجارة: «وفتحت الكاف على ما يجب في الحروف التي تكون آحادية، وذلك أن الفتح أخف الحركات فاختر لها ذلك»<sup>(٢)</sup>، مع أنه علل من قبل لفتح الكاف فقال: «لأنها قد تكون اسماً، وهم قد فرقوا بين حركة مالا يكون إلا حرفاً نحو الباء واللام، وحركة ما قد تكون اسماً نحو الكاف»<sup>(٣)</sup>. وإذا كان يقول: «إن الباء الجارة كسرت لتكون على حركة معمولها، وحركة معمولها الكسر، فما بال اللام الجازمة تكسر مع أن حركة معمولها الجزم؟ وما بال اللام الناصبة: لام التعليل تكسر وحركة معمولها النصب؟

وهكذا يبدو الاضطراب في التعليل عند الرمانى، كما تخفى "منظرة الشاملة المستقرئة" التي تجمع الحالات المتشابهة — أو أغلبها — تحت حكم واحد، وتمنع ما عداها من الدخول فيه ثم اقرأ ما ذكره في تأويل الهمزة من قوله تعالى: «أتجعل فيها من يفسد فيها؟» فقد جعلها الرمانى استرشاداً، وذلك أنهم استرشدوا ليعلموا وجه المصلحة في ذلك ..

وجعل الرمانى الهمزة للاسترشاد فيه نظر، ذلك أنها إذا كانت للاسترشاد فبهي قد استعملت في معناها الحقيقي، فالاسترشاد يتضمن جهلاً من المسترشد كما هو في حقيقة الاستفهام، ولكن الرمانى جعل الاسترشاد شيئاً آخر غير حقيقة الاستفهام، بدليل أنه جعل الاستفهام الحقيقي وجهاً من الأوجه التي ترد لها الهمزة، وذلك في صدر كلامه عنها مستعملة في الاستفهام<sup>(٤)</sup>. فضعف الرمانى فيما يورد من حجج وتعليل باد لامواربة فيه، وقد ظلت الفكرة عن ضعفه النحوى حتى عصر متأخر، فقد ناقشه ابن هشام في واو الثانية، ثم قرر أن هذه الواو أثبتت — كذلك<sup>(٥)</sup> — جماعة من النحويين الضعفاء كابن خالويه<sup>(٦)</sup>.

\* \* \*

وثانياً — هناك ما يفسر العلاقة بين الرمانى وأبي على — ذلك أن الرمانى يستشهد في كتابه «الحروف»، بتلاميذ أبي على بجانب استشاداته باللائمة

---

(١) لوحة رقم ٣ (٢) لوحة رقم ٦ (٣) لوحة رقم ٣  
 (٤) كتاب الحروف لوحة ٢ (٥) هذا الاعتراض ليس من عبارة ابن هشام  
 (٦) الفنى لابن هشام ٣٤/٢

السابقين<sup>(١)</sup>. ولكنه لا يستشهد بأبي على الفارسي مطلقاً ، واستشهد الرمانى بالشيوخ أمر مسلم به ، وليس له دلالة على ما بينهما — الرمانى والفارسي — من علاقة ، أما أن يستشهد بعلي بن عيسى الربعي<sup>(٢)</sup> وابن جنى<sup>(٣)</sup> وهما تلميذان للفارسي ، ولا يستشهد بأبي على ، مع أن الرمانى قرأ عليه<sup>(٤)</sup> ومع أن للفارسي آراء معروفة فيما تعرض له الرومانى من الحروف ، فهذا ما أستنتج منه أن العلاقة بينهما كانت لا تقوم على الود والصفاء .

الفارسي هو الذى روى البيت :

إذا زرتنا فامنع بطرفك غيرنا كما يحسبوا أن الهوى حيث تنظر

لكي يحسبوا<sup>(٥)</sup> ... ، ومع ذلك فقد طوى الرمانى ذكره ، ولم ينشر خبره . وذلك حيث يقول : والرواية عند البصريين : لكي يحسبوا ... وأستبعد ألا يعرف الرمانى راوى هذا البيت على التحديد ، فهو معاصر للفارسي ، بل إن الرمانى أخذ عن الفارسي ، قارىء عليه<sup>(٦)</sup> .

ومن هذا القليل زيادة لا فى البيت :

أبى جوده لا البخل واستعجلت به نعم من فنى لا تمنع الجود قائله  
فالرمانى يقول : قالوا : معناه أبى جوده البخل<sup>(٧)</sup> .

ولكن من الذى قال وكفى عنه الرمانى وذكره بضمير الغيبة ؟ هو أبو على رواية عن أبى الحسن ، فقد أورد أبو على فى كتاب الحجة<sup>(٨)</sup> هذا البيت ثم قال : قال أبو الحسن : فسرته العرب أبى جوده البخل ، وجعلوا لا زائدة حشوا وصلوا بها الكلام . وقد نقل ابن هشام فى كتابه المغنى هذا رأى على خلاف يسير فى التعبير<sup>(٩)</sup> . وقد نص ابن هشام فى كتابه المغنى على آراء لأبى على الفارسي عند كلامه على الحروف ، ومع أن كلا من الرمانى وابن هشام قد تناولا موضوعاً واحداً فإن

(١) استشهد بالخليل لوحة ١٤ والأخفش لوحة ١١، ١٨، ويونس ١١ وقطرب ٨

(٢) لوحة ٨ وانظر لوحة ٩ من كتاب الحروف

(٣) لوحة ١٢ من الكتاب المذكور (٤) معجم الأدباء ٢٣٩/٧

(٥) انظر المغنى لابن هشام فى الكلام على الكاف (٦) معجم الأدباء ٧٣٩/٧

(٧) الحروف لوحة ١٤ (٨) نسخة البلدية باسكندرية ١٥٩/١

(٩) انظر المغنى ١٩٦/١



الرماني لا ينص على شيء من آراء الفارسي المعاصر له ، على حين ينص عليها ابن هشام الذي جاء بعدهما بنحو من أربعة قرون .

وفيما يلي عرض لطرف من آراء أبي علي في بعض الحروف ، وسأشير عابراً إلى بقية آراء الفارسي في مختلف الحروف الأخرى :

جاء في المعنى لابن هشام<sup>(١)</sup> : « وقال أبو علي الفارسي في الأكثر ، وقد تسمخص - أي إذن - للجواب ، بدليل أن يقال لك أحبك ، فتقول : إذن أظنك صادقاً ، إذ لا مجازاة هنا ضرورة ، وقد تحدث الرماني عن إذن<sup>(٢)</sup> ، ولم يورد رأى الفارسي .

وأورد صاحب المعنى رأى الفارسي في ( ماذا ) من قول الشاعر :

دعى ماذا علمت سأخفيه ولكن بالمغيب نبئيني

وأنها نكرة بمعنى شيء<sup>(٣)</sup> ، ولم يورد الرماني شيئاً من ذلك<sup>(٤)</sup> ، ثم انظر بقية المسائل من هذا النوع في المعنى<sup>(٥)</sup> .

وقد كنت قدرت من أسباب الاختلاف بين نحو الإمامين أن الرماني يمزج كلامه في النحو بما يتصل بعلم المعاني ، كما ذكر من أن الهمزة تكون للإنكار والتوبيخ والاسترشاد<sup>(٦)</sup> وتقريره الخبرية في قوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ، إن الله لطيف خبير ، وإن خرج مخرج الاستفهام<sup>(٧)</sup> ، وقوله : « وقد تقع اللام بمعنى العاقبة<sup>(٨)</sup> ، وقد يقع الأمر موقع الخبر كقوله تعالى : « فليمدد له الرحمن مداً<sup>(٩)</sup> - قدرت تعرض الرماني للمعاني من أسباب الاختلاف بينه وبين الفارسي أول الأمر ، ولكنني عدلت عن جعل ذلك سبباً ، لأنني وجدت بعض ذلك في كلام الفارسي<sup>(١٠)</sup> .

(١) ج ١٩/١ (٢) الحروف ٢١ (٣) المعنى ٢/٥

(٤) انظر الكلام في ( ما ) في كتاب الحروف لوحة ١٤ ، ١٥

(٥) ١٩٧/١ ، ٢٠٠ ، ٢٠٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ مثلاً - ٣٦ ، ٢١ ، ١٧/٢ مثلاً

(٦) لوحة رقم ٢

(٧) لوحة رقم ٥ (٨) لوحة رقم ٦ (٩) لوحة رقم ٧

(١٠) انظر الفارسي والبلاغة في الفصل الخامس بذلك من هذا البحث .

وأنتقل الآن إلى نوع من الدراسة المقارنة فأعرض نموذجين لكل من أبي على الفارسي وأبي الحسن الرماني ، في حرفين تكلماً فيهما ، لترى مدى ما يشيع في كلام كل من المنطق ، ومقدار ما يمزجه به .

وقد اخترت الحرفين ( ما ) و ( لا ) ، ولم أقصد في هذا الاختيار أن أؤيد رأياً بعينه ، أو أن أسلوب كل من الإمامين في هذين الحرفين غير أسلوبهما في بقية الحروف الأخرى ، بل إن منجهما في هذين كمنجهما فيما استقيت منه هذه الأمثلة — وما كنت بذلك العرض إلا مثلاً مستشهداً ، لا حاصراً متقصياً .

( ط ) تكلم الرماني عنه في كتاب الحروف لوحة ١٤ ، ١٥ .

وتكلم الفارسي عنه في البغداديات ورقة ١٩ والشيرازيات ١٨ وما بعدها .

و ( لا ) تكلم الرماني عنه في كتاب الحروف لوحة رقم ١٣ .

وتكلم الفارسي عنه في كتاب الحجّة ص ١٥٥ وما بعدها نسخة البلدية وص ١١٠

نسخة مراد ملا .

وسأترك كلا من الرجلين يتحدث ثم أثير إلى المواطن التي تؤكد الرأي الذي رأيت .

قال أبو علي <sup>(١)</sup> : قولهم ( ما ) كلمة استعملت على ضربين اسم وحرف ، واستعمالهم إياها اسماً على وجهين ، أحدهما أن يكون اسماً موصولاً ، والآخر أن يكون اسماً غير موصول ، فإذا كانت موصولة وصلت بما يوصل به الأسماء الموصولة وهو الابتداء والخبر والفعل والفاعل والظرف والشرط والجزاء .

ولا بد من أن يعود من هذه الصلات ذكر إليها ، وبعد أن مثل لكل صلة من هذه الصلات بمثال — قال : وما جاء من ذلك في التنزيل قوله « ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم .. الخ » ، فأفرد الراجع في قوله : « ما لا يملك » وجمع في قوله : « ولا يستطيعون » <sup>(٢)</sup> ، فدل الجمع على أن المراد بما الكثرة وغير الأفراد ، كما أن ( من ) كذلك في قوله : « من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً » ، فأفرد الراجع ثم جمع في قوله : « فلهم أجرهم عند ربهم ... الآية » وقال : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ... إلى قوله شفاعونا عند الله » ، فدل قوله : « هؤلاء

(١) انظر الشيرازيات ص ١٢٨ وما بعدها

(٢) وانظر البغداديات ١٩ نص تصيره ... الشيرازيات انظر ص ١١٨

شفعاؤنا ، على المراد بما الكثرة في قوله : « ما لا يضرهم ، كادل جمع الضمير في قوله : ( ولا يستطيعون ) على ذلك . ومثل هذا في من قوله : « ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك ، الآية (١) ، فالمراد بمن الكثرة (٢) ، وهذا النحو في التنزيل وغيره من كلامهم كثير . وقد جرى قولنا الذي إذا كانت موصولة بجرى من وما في أن اللفظ مفرد والمراد به الكثرة ، وذلك قوله : « والذي جاء بالصدق .. الخ ، وقال : « مثلهم كمثل الذي استوقد .. الخ (٣) ، فدل جمع الضمير في قوله بنورهم على أن المراد بالذي الكثرة فهذا يحىء ما موصولة (٤) .

فأنت تراه في هذا النص يقايس بين « من ، وما ، في أسلوب عقل ، تبدو فيه النظرة الفاحصة المنطقية ، فن ، وما يجرى مجراها الذي . والحظ التقابل بعد ذلك في الأمثلة ثم الحظ التوافق في الاستنتاج في صورة أشبه بالبراهين الهندسية التي يجريها المشتغلون بها في هذا الزمان :

- ( أ ) « بعدون من دون الله ما لا يملك لهم شيئا ولا يستطيعون ، .  
 ( ب ) « من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم ، .

\* \* \*

- ( ج ) « والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ، .  
 « مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ،  
 ( أ ) أفرد الراجع في « ما لا يملك ، وجمعه في « ولا يستطيعون ،  
 ( ب ) وأفرد الراجع في « عمل صالحا ، وجمعه في « فلهم أجرهم ، .  
 . : ما ، ومن لفظهما مفرد ومعناه الكثرة .
- ( ج ) « ومن حيث إن الضمير العائد على الذي مفرد في وصدق به وجمع في قوله وأولئك هم المتقون كما أنه مفرد في استوقد نارا وجمع في قولهم بنورهم .  
 إذن : الذي لفظه مفرد ويراد به الكثرة .  
 والنتيجة : إن الذي إذا كانت موصولة تجرى مجرى من وما في أن اللفظ مفرد والمراد به الكثرة .

(١) سورة محمد آية ١٦ (٢) الشيرازيات ١٢٩ في الاصل فالرادين الكثرة وهو ريف  
 (٣) سورة البقرة آية ١٧ (٤) الشيرازيات ١٢٩

وتجد في تعبير الفارسي ما يدل على أنه استقرأ الجزئيات ، ثم عرف الخصائص المشتركة فيها ثم حكم ، وهذا شأن المنطق فيما يصدر من أحكام :  
يقول : « وقد تأملت هذه الأسماء المهمة أعنى الذى ومن وما فوجدت جميع ذلك يقع على الكثرة والجماعة ، وإن كان لفظها واحداً فتفرد تارة للضمير العائد من الصلة إليه — للفظ ، وتجمع تارة <sup>(١)</sup> .

ويمثل قوله : تأملت مرحلة الاستقراء ، وقوله فوجدت مرحلة الخصائص المشتركة ، وقوله فتفرد تارة وتجمع تارة مرحلة الحكم ، وهو إذ يقول وهذا النحو في التنزيل وغيره من كلامهم كثير يدل على أنه استقصى أمثلة كثيرة .

ثم قوله بعد ذلك <sup>(٢)</sup> ، فإذا كانت غير موصولة كانت على ضربين : أحدهما : أن تكون موصوفة ، والآخر أن تكون غير موصوفة ، وصفتها تكون على ضربين مفرد وجملة ، فالمفرد كقولهم ، مررت بما صالح ، وتقديره بشئ صالح كما أن مررت بمن صالح مثل رجل صالح ، ووصفه بالجملة وهى الكلام التام كقوله : « ربما تكره النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال ،

فما بمنزلة شيء ، وليست الكافة كالتى فى قوله « ربما يود الذنب كفروا <sup>(٣)</sup> » ، لأن الذكر قد عاد على ما ، والذكر إنما يعود إلى الأسماء دون الحروف ، والتقدير فى تكره وتكرهه ، فحذفت الهاء من الصلة كما حذفت من الصلة فى قوله : « أم هذا الذى بعث الله رسولا <sup>(٤)</sup> » ، أى بعثه ، ويدل على ذلك الضمير الذى فى له من قوله : « له فرجة ، ومثل ذلك فى قول الفرزدق :

إِنِّي وَأَهْلَكَ إِذْ حَلَّتْ بَارُحِلْنَا كَمَنْ بُوَادِيهِ بَعْدَ الْحُلِّ مَمْطُورِ

فالظرف الذى هو قوله بواديه فى موضع جر ، لأنه صفة من المنجرة بالكاف ، كأنه قال : « كإنسان بواديه ، ووصفه بالمفرد بعد ما وصفه بما يجرى مجرى الجملة كما جاء ذلك فى قوله : « وهذا كتاب أنزلناه مبارك <sup>(٥)</sup> » ، فوصف الكتاب بقوله مبارك بعد ما وصفه بأنزلناه ، وقد أجازوا فى قوله : « هذا ما لدى عتيد <sup>(٦)</sup> » ،

(١) البغداديات وروية ١٩ (٢) الشيرازيات ١٢٨ (٣) سورة الحجر آية ٢

(٤) سورة الفرقان آية ٤١ (٥) سورة الانعام آية ١٠٥

(٦) - ورة ق آية ٢٣ نص التعبير فى النسخة التى حصلت عليها

فيكون لدى صفة: ألا ترى أنه لو كانت صلة لكان الاسم بها معرفة ، ولو كان معرفة لاتصب عتيد على الحال كما اتصب شيخاً في قوله : « وهذا بعلى شيخاً »<sup>(١)</sup> ، وقد تؤول على الصلة أيضاً ، وجعل ارتفاع عتيد بعد الموصول المعرفة كارتفاع شيخ بعد المعرفة في قراءة من قرأ : « وهذا بعلى شيخ »<sup>(٢)</sup> .

وبما لا يكون ما فيه إلا موصولة ولا تكون كافة كالتى في قوله : « إنما يخشى الله من عباده العلماء »<sup>(٣)</sup> ، « وإنما أنت منذر من يخشاها »<sup>(٤)</sup> ، قوله : « يحسبون أننا نندم به من مال ... إلخ »<sup>(٥)</sup> ، فقوله : « إنما تكون ما فيه موصولة لا موصوفة لرجوع المذكر إليه في قوله به ، والمذكر إنما يعود إلى الأسماء ، فهذا بمنزلة له في قول الشاعر : « له فرجة ، اه .

ألا تجد في هذا الكلام المنطق واضحاً بأقيسته ، وبراهينه وقضاياه ؟ فقول الفارسي : « ما في قول الشاعر : ربما تكره النفوس ... بمنزلة شيء وليست كافة ، قضية ، وقوله بعد ذلك « لأن الذكر إنما يعود إلى الأسماء دون الحروف ، برهان هذه القضية .

ثم اقرأ العبارة السابقة والحظ ما يأتى :

أولاً - المقايضة أ - في قوله « حذفت الماء من الصفة كما حذفت من الصلة ، والتدليل على ذلك .

(ب) وفي قوله وصفه بالمفرد بعد ما وصفه بما يجرى مجرى الجملة كما جاء ذلك في قوله : « وهذا كتاب أنزلناه مبارك ،

ثانياً - (أ) القضية في قوله : وقد أجازوا في قوله : « هذا ما لدى عتيد ، أن يكون لدى صفة . والتدليل عليها بقوله : ألا ترى أنه لو كانت صلة لكان كذا وكذا ...

(ب) ثم القضية في قوله : وبما لا يكون ما فيه إلا موصولة ولا تكون كافة ... إلخ وبرهان هذه القضية : حيث يقول في قوله تعالى : « يحسبون أننا نندم به من مال .. فقوله « أننا ، تكون ما فيه موصولة لا موصوفة لرجوع الذكر إليه

(١) سورة هود آية ٧٢ (٢) سورة هود آية ٧٢ (٣) سورة فاطر آية ٢٨

(٤) سورة النازعات ٤٥ (٥) سورة المؤمنون آية ٥٦

في قوله به ، والذكر إنما يعود إلى الأسماء فهذا بمنزلة له في قول الشاعر : « له فرجة ، ثم الحظ القياس في تعبيره الأخير السابق إذ يقول : فهذا بمنزلة له ... الخ  
ثم انظر اتحاد الحكم لاتحاد العلة والتنظير فيما أورد من قوله : « ولما جاءت هذه الأسماء من - ما - الذي ، على هذا الذي ذكرته من دلالتها مرة على الواحد ومرة على الكثرة لإيهامها أقول ( وهذه هي العلة ) - ، وأن شيئاً منها لا يختص لمسمى بعينه ( وذلك شرح الإيهام ) - ، فهو في ذلك شبيه باسم النوع ( وهنا التنظير ) - الذي يقع للواحد من النوع ويقع للجماعة نحو الرجل والإنسان والدرهم إذا أردت به الواحد أو النوع أجمع ( وهذه هي العلة المشابهة - في اسم النوع - بمن وما ) - كقوله : « إن الإنسان خلق هلوعاً ... ثم قال إلا المصلين . وقوله : إن الإنسان لني خسر إلا الذين آمنوا ... فالإنسان لا يخص واحداً بعينه كما أن من ، وما ، والذي لا تخص واحدة منها شيئاً بعينه ، لكنها تكون للكثرة وللواحد ( ثم يصدر حكمه بعد ذلك بقوله ) :

فجاز هذا في هذه الأسماء المهمة التي لا تختص بالدلالة واحداً بعينه كما جاز في الإنسان ونحوه من أسماء الأنواع <sup>(١)</sup> .  
وهو حكم واحد مبني على العلة المتحدة .

\* \* \*

ثم اقرأ قوله في الشيرازيات <sup>(٢)</sup> :  
فأما قوله تعالى : « نسارع لهم في الخيرات » <sup>(٣)</sup> « ففي موضع رفع ، لأنه خبر أن في قوله : « يحسبون أننا ، وإذا كان خبره فلا بد من ذكر غاية إليه ، ألا ترى أن خبر أن تكبر المبتدأ يكون هو هو في المعنى نحو حسبت أن زيداً منطلق ، فنطلق هو زيد في المعنى ، أو يكون له فيه ذكر إذا لم يكن هو هو ، وقد تبين أن قوله : « نسارع لهم في الخيرات ، ليس « ما نمدهم به ، في المعنى ، فلا بد إذن من راجع في هذا الخبر مذكور أو محذوف ، وليس بمذكور ، فثبت أنه محذوف ، وذلك المحذوف تقديره : نسارع لهم به أوله في الخيرات ، فحذف الراجع من الخبر لطول الخبر ، ولتقدم ذكره فحسن ذلك الحذف ، وهذا الحذف من خبر المبتدأ في هذا النحو كثير . ومثله في الكلام : « السمن منوان بدرهم ، ١٠ هـ

ويمكن وضع تعبيره السابق على النحو الآتى .  
 تسارع لهم فى الخيرات فى موضع رفع لأنه خبر أن ومن حيث إنه خبر أن  
 فلا بد من ذكر غاية إليه ، ذلك لأن خبر أن تكبر مبتدأ إما أن :

( أ ) يكون هو هو — وإما أن :

( ب ) يكون فيه ذكر إذا لم يكن هو هو

ونسارع لهم فى الخيرات ليس ما نمدم فى المعنى .

∴ لا بد من راجع فى هذا الخبر مذكور أو محذوف وليس بمذكور .

∴ هو محذوف وهو المطلوب لإثباته .

\* \* \*

ثم اذكر تتابع التقسيم ، وما فى ذلك من صحة منطقية حيث يقول : « وقد جاءت  
 ( ما ) مفردة غير موصوفة ، وذلك على ضربين أحدهما أن يكون فى الخبر ، والآخر  
 أن يكون فى غير الخبر ، فأما مجيئها فى الخبر غير موصوفة فعلى ضروب من ذلك  
 قولهم فى التعجب « ما أحسن زيداً » ، ومثل ما فى التعجب فى أنه لاصلة له ولاصفة  
 قوله : « إن تبدوا الصدقات فنعماً هي » (١) ، وقالوا : « دققته دقاً ناعماً » أى « نعم  
 دقاً » وقالوا : « إني بما أن أصنع » ، فإى هذا الموضع أيضاً غير موصوفة والتقدير  
 إني من امرى . أن أصنع ، فيجوز أن يكون أن أصنع بدلاً من ما كأنه قال إني من  
 امرى . أن أصنع ، وهذا كلام يقوله المجد فى عمله المنكشف فيه ، فجعل نفسه كالحدث  
 لشدة جده فيه كما قال :

وصدت فأعدانا بهجر صدودها      وهن من الإخلاف قبلك والمطل

فإنما جعلهن من الإخلاف لكثرة ذلك منهن ، ودوام تعاطيهن له .

ومن قال : « إني بما أصنع أمكن أن يكون ما على ضربها من الصلة والصفة إلا  
 أنه حذف العائد إليها والتقدير أصنعه » وقال الشاعر :

وإنا لما نضرب الكباش ضربة      على رأسه تلقى اللسان من الفم

فهذا على نضرب الكباش له حذف ، ويكون المعنى : « إنا نتعاطى هذا الفعل  
 كثيراً لأن التكثير أشبه بهذا من التقليل من حيث كان أذهب فى المدح وأنعم لشأنهم ،

فانظر كيف استخدم القياس على محفوظه من الشواهد لتأكيد المعنى الذى أراد ، ثم  
الحظ توجيهه المعنى توجيهاً مبنياً على تحقيق الغرض الذى أراده الشاعر على  
صورة كاملة .

\* \* \*

ثم قال : فأما قوله : « قتل الإنسان ما أكرهه » ، فيحتمل ما ضربين .  
يجوز أن يكون تعجباً كقولهم : « ما أحسن زيدا » ، ويدل على ذلك قوله : « إن  
الإنسان لكفور » ، وقوله : « إن الإنسان لكفور مبين » .

وقد يكون اللفظ على الاستفهام والمعنى التقرير أى ما الذى صيره إلى الكفر  
والأسماء والأشياء ( كذا ) التى يشاهدها توجب خلاف الكفر ، يدل على ذلك  
تعداد النعم عليكم سياق الآية .

قال أبو على : فأما قوله : « وما رزقناهم ينفقون » ، فيجوز أن تكون ما موصولة  
وبجوز أن تكون مع الفعل بمنزلة المصدر ، فيكون التقدير ، « ومن رزقهم ينفقون » ،  
ومعنى ينفقون من رزقهم لا يتعدون ما لهم إلى مال غيرهم على وجه الاغتصاب .  
وإن جعلتها موصولة قدرت فى الصلة حذف الهاء ، وما رزقناهموه أى من  
الذى رزقناهموه ، ويدل على ذلك قوله : « قالوا هذا الذى رزقنا من قبل » ، فالتقدير  
فيه رزقناه <sup>(١)</sup> ، ، وفى كلامه هذا تدليل بالقياس والتظهير .

ثم انظر إلى القياس الاستثنائى الانفصالى فى البرهنة على أن ( ما ) فى قوله تعالى :  
« وما رزقناهم ينفقون » ، حرف ، قال :

فالدليل على أنها حرف أنها لا تخلو من أن تكون حرفاً أو اسماً ، فإن كان اسماً وجب  
أن يعود إليه من صلة ذكر كما يعود من سائر الصلات إذا كانت موصولاتها أسماء ذكر  
إليها ، ولا يخلو الذكر العائد فى الصلة أن يكون أحد ما فى الصلة من الأسماء الملقوظ  
بها أو يكون مقدراً حذفها منها ، فلا يجوز أن يكون شئ من الأسماء الظاهرة فى الصلة  
عائداً إليه وامتناعه من الجوازين ، ولا يجوز أن يرجع إليه ما محذوفة من الصلة  
على أن يكون التقدير « وما رزقناهموه » . . . لأنك إن قدرت هذا التقدير عدت  
رزقت إلى مفعولين ، وإنما يتعدى إلى مفعول واحد . . . ولوعدت إلى ثان لنقلت



الفعل بالهمز . . فن حيث لم يحز أن يعدى رزقت إلى مفعولين لم يحز تقدير هذا الضمير ولم يعد إلى ما شيء ، وإذا لم يعد إليه شيء لم يكن إسماً ، وإذا ثبت أنه ليس باسم ثبت أنه حرف <sup>(١)</sup> . فأى منطق بعد هذا ؟

أليس أبو على هو الذى يبرهن على مسائل النحو بالقضايا المنطقية ؟ فكيف ينسب ذلك إلى الرماني ؟

وأبو على وإن كان قد تناقض فى رأيه وبرهانه الأخير — هو وتدليله السابق على أن ( ما ) موصولة فى قوله تعالى : وعمارزقناهم ينفقون <sup>(٢)</sup> ... فان هذا التناقض دليل عندى على نزوع الرجل نحو الاحتجاج والتعليل على أى حال ، لأنه يستطيع به أن يبرهن على الشيء وضده .

\* \* \*

ثم انظر كيف يتفهم أبو على المعنى ، ويعرب بمقايضة الكلام بغيره ، ويتخذ القياس دليلاً على ما يقول : قال :

د فأما قوله : ، لتندر قوماً ما أنذر آباؤهم <sup>(٣)</sup> د ، فالمعنى : ، لتندر قوماً لم يندر آباؤهم ويدل على ذلك قوله : د وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير ، ، فهذا يدل على أن آباؤهم الآذنين لم يندروا ، وإن كان قد أنذر من آباؤهم من أدرك زمان الأنبياء ولم يكن فى الفترة ، ويدل على ذلك أيضاً قوله : د لتندر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك ، ، ولا يجوز أن تكون زائدة لتندر قوماً أنذر آباؤهم ، لأن هذا التأويل لا يلائم الآى التى تلونا .

فأما قوله - وهنا يورد أبو على اعتراضاً ويرده - د ثم أرسلنا رسلنا تترى ، <sup>(٤)</sup> فلا يقوى قول من قال : إنها غير نافية ، لأنه فى حين غير الحين الذى كان يبعث فيه نبياً ، ألا ترى أن بعد هذه الآية قوله : د ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا ، <sup>(٥)</sup> .

ثم اقرأ كلام الرماني فى ( ما ) الزائدة حيث يقول : <sup>(٦)</sup> تكون زائدة وذلك

(١) البغداديات رقم ٢٢

(٢) انظر الشرايات ١٢٩

(٣) سورة المؤمنون آية ٤٤

(٤) الحروف لوحة رقم ١٥

(٥) سورة يس آية ٦

(٦) سورة المؤمنون آية ٤٥

على ضربين : أحدهما - أن تكون كافة ، وذلك نحو قولك : إنما زيد قائم ، ولعله أخوك خارج ، قال الشاعر :

تحلل وعالج ذات نفسك وانظرن أبا جعل لعلـ أنت حالم ؟  
ومن العرب من يزيد ما ، ولا يعتد بها فيقول : إنما زيداً قائم ، وهو في ليتما أكثر ، وبيت النابغة ينشد على وجهين :

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه فقد  
فن أنشد بالنصب لم يعتد بما ، ومن أنشد بالرفع جعل ما كافة ، ويجوز أن تعمل ما بمعنى الذى ، ويكون هذا خبر مبتدأ محذوف ، وتكون الجملة من صلة ما ، ويكون التقدير قالت : ألا ليت الذى هو هذا الحمام لنا ، وتكون ما فى موضع نصب بليت ، ولنا خبر ليت .

والثانى : أن تكون لغواً وذلك نحو قوله تعالى : فبما رحمة من الله لنت لهم أى بفرحة ، ومثله فبما نقضهم ميثاقهم أى فبنقضهم . وأما قوله تعالى : إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة ففيه قولان :

أحدهما : أن ما لغو والتقدير إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً بعوضة ...  
والثانى : أن ما نكرة وبعوضة بدل منها يسد مسد الوصف .

ويجوز الرفع فى بعوضة من وجهين :

أحدهما : أن تكون خبر مبتدأ محذوف على طريق الجواب كأن قائلاً قال :  
« ما هذا المثل ؟ » فقبل بعوضة ، أى هى بعوضة .

والثانى أن تكون ما بمعنى الذى ، وبعوضة خبر مبتدأ محذوف ، والجملة من صلة ما والتقدير : إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً الذى هو بعوضة .

وهكذا يمضى الرمانى فى يسر وسهولة مريحة للذهن ، والحق أنى عندما أقرأ الرمانى بعد قراعتى أبا على — أشعر براحة من غناء ما غمرنى فيه الفارسى من مسائل المنطق ، وأدلة فيها تعمق وإيغال . فلا أزر للتعقيد أو التعقيد ، أو تصنيع المنطق عند الرمانى ، على حين تقرأ كلام أبى على فى (ما) إذا كانت زائدة فتراه يقول : (١) استعملت ما حرفاً زائداً مع الاسم والحرف والفعل ، وكل موضع ... ثم يضى شارحاً ذلك فى تطويل واستقصاء واستطراد معاً ، وأقتطف هنا كلامه فى الضرب

الرابع من زيادة ( ما ) ، وفيه يتجلى أسلوبه المنطقي في المناقشة — بما هو غنى عن الإشارة إليه أو التعليق عليه .

قال أبو علي : <sup>(١)</sup> الضرب الرابع من زيادة ما : وهو أن تزداد غير ملازمة للكلمة ، هذا كثير في التنزيل ، والشعر ، وسائر الكلام : فمن ذلك قوله تعالى : فبما نقضهم ، وبما خطيئاتهم ، ونحو ذلك من الموضع التي كذا تزداد فيه ولا تلزم قال الشاعر :

وكانه لطق السراه كأنه ما حاجبيه معين بسواد

وزيادة هذا أكثر من أن يحصى . ربما أنكر منكرين وقوع هذه الحروف زوائد وليس يخلو إنكارهم لذلك من أنهم لم يجدوه في اللغة فلم يدخلوها فيها مالم يجدوه منها ، أو يكونوا أنكروه لرأى رأوه : فإن كانوا أنكروه لأنهم لم يجدوه في اللغة فيجب إذا وجدوا من ذلك ما لا مصرف له في التنزيل والشعر وسائر الكلام إلا إلى الزيادة أن يتركوا إنكاره لما رأوه إليه لأن ذلك الرأي فاسد لدفعه الموجود ، ونفيه الموجب ، وفي التنزيل : « لئلا يعلم أهل الكتاب وبما خطيئاتهم ، وبما رحمة من الله ، وفي الشعر من ذلك ما لا يحصى كثرة ، ولا مصرف له إلا إلى الزيادة .

فإن قال قائل فيما كان منه في التنزيل إنه للتأكيد فهو قول ، ويجوز عندي أن تكون فيه زائدة لغير التأكيد ، ألا ترى العرب يزيدون في النثر حيث لا حاجة إلى إقامة الوزن ، كما يزيدونها في النظم وحيث يقام الوزن في نحو آثراً ما ( كذا ) ولا سيما وشبهه على لسانهم نزل ، وبلغتهم جاء ، وأيضاً : فكما جاز أن يزيدوا الحروف لغير المعاني في عجز ، وكتاب ، وقبعثى ، وجندب ونحو هذا كذلك تجوز زيادة هذه الحروف في التنزيل إذ كان التنزيل على ألسنتهم وما عليه تعارفهم ألا ترى فيه مثل قوله : لعله يتذكر أو يخشى ، ومثل قاتلهم الله ، ويول يومئذ للكافرين ، وأسمع به وأبصر ، وكل هذا على ما في عرفهم ، ويجرى خطابهم ، وإذا كان كذلك لم تمتنع زيادتها أولاً كما تزداد وسطاً وطرفاً ، ... ثم أخذ يضرب الأمثلة على كل ذلك في أخذ ورد واعتراض وتدليل ومناقشة وتعليل ... الخ

هذه مقابلة بينهما أوردتها من كلام كل في ( ما ) الزائدة ، لتلقى ضوءاً على منهج التفكير ، وطريقة التناول عند كل من الإمامين ، وذلك المنهج لا يحتاج إلى التنبيه

على وضوحه وخلوه من الفلسفات عند الرماني ، وتعمده واستلامه بألفاظ المنطقة ، وسلوكه مسلكتهم في التعليل والتدليل عند الفارسي .

وأختار بما قاله أبو علي في كلامه عن زيادة ( لا )<sup>(١)</sup> ، وأدعه يتحدث ، ثم أعلق على كلامه ببيان ما أراه متصلاً بمسائل المنطق ، ثم أورد كلام الرماني في زيادة لا ، ليتجلى فرق ما بين الرجلين ، وأيهما شاع في نحوه المنطق ، ليصح فهمنا بعد ذلك لعبارة الفارسي ، ورأيه في نحو الرماني ، قال أبو علي في زيادة لا :

« وقد دخلت لا زائدة في مواضع كثيرة في التنزيل وغيره ، فمن ذلك قوله :  
« ثلثا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله »<sup>(٢)</sup> ، وقد أجاز سيويه قياساً على هذا إما ألا يكون يعلم فهو يعلم على زيادة لا ، وقد جاء زيادتها في الإيجاب كما جاء في النفي قال الشاعر :

أفئك لا برق كأن وميضه غار تسنمه ضرام مثقب  
وأنشد أبو عبيدة ويلجئني في اللهو ألا أحبه .

وقال : « ما منعك ألا تسجد ، وفي الأخرى : « ما منعك أن تسجد ، ومن ذلك قول جرير :

ما بال جهلك بعد الحلم والدين وقد علاك مشيب حين لا حين  
لا فيه زئدة ، والتقدير : وقد علاك مشيب حين حين ، وإنما كانت زائدة لأنك إذا قلت : علاك مشيب حيناً ، فقد أثبت حيناً علاه فيه المشيب ، فلو جعلت لا ، غير زائدة لوجب أن تكون نافية على حدها في قولهم : « جئت بلا مال ، وأبت بلا غنيمة ، فنفيت ما أثبت من حيث كان النفي بلا عاماً منتظماً لجميع الجنس ، فلما لم يستقم حمله على النفي للتدافع العارض في ذلك حكمت زيادتها ، فصار التقدير حين حين ، وهذه الإضافة من باب حلقة فضة ، وخاتم حديد ، لأن الحين يقع على الزمان القليل كالساعة ونحوها يدل على ذلك قوله : « تطلقه حيناً وحيناً تراجع ، ويقع على الزمان الطويل كقوله : « هل أتى على الإنسان حين من الدهر »<sup>(٣)</sup> ، وعلى ما هو أقصر من ذلك كقوله : « توتى أكلها كل حين بإذن ربها ، فصار حين حين كقول الآخر :

ولولا يوم يوم ما أردنا جزاءك والقروض لها جزاء

(١) الحجة ١١٠/١ وما بعدها نسخة مراد ملا (٢) سورة الحديد آية ٢٩

(٣) سورة الانسان آية ١

وليس هذا كقوله : « حنت قلوصى حين لآحين عن » ، لأنه فى قوله لا حين عن ناف حيناً مخصوصاً لا ينتفى بنفيه لجميع الآحيان كما كان ينتفى بالنفى العام جميعها ، فلم يلزم أن تكون لا زائدة فى هذا البيت كما لزم زيادتها فى حين عن ، فهذا الحرف يدخل فى التكررة على وجهين :

أحدهما : أن يكون زائداً كما مر فى بيت جرير .

والآخر : أن تكون غير زائدة ، فإذا لم تكن زائدة كان على ضربين :

أحدهما : أن تكون لا مع الاسم بمنزلة اسم واحد نحو خمسة عشر وذلك قولهم غضب من لا شىء ، وجئت بلا مال ، فلا مع الاسم المنكور فى موضع جر بمنزلة خمسة عشر ، ولا ينبغى أن يكون من هذا الباب قوله : « حنت قلوصى حين لآحين عن » لأن حين ها هنا منصوب نصباً صحيحاً لإضافته ، ولا يجوز بناء المضاف مع لا ، كما جاز بناء المفرد معها ، وإنما حين فى هذا البيت مضافة إلى جملة كما أنها فى قوله : حين لا يكفون عن وجوههم النار كذلك ، إلا أن الخبر محذوف ، وخبر لا يحذف كثيراً ، ونظير هذا فى حذف الخبر من الجملة المضاف إليها ظرف الزمان قولهم : كان هذا إذ ذاك .

والآخر : ألا تعمل إلا فى اللفظ ، ويراد بها معنى النفى فيه فتكون صورتها صورة الزيادة ومعنى النفى مع هذا صحيح ، وذلك كقول النابغة : « أمسى ببلدة لاعم ولا خال » .

وقال الشماخ :

إذا ما أدلجت وصفت يداها لها إدلاج ليلة لا هجوع

وقال رؤبة : لقد عرفت حين لا اعتراف

وبيت الكتاب :

تركتى حين لا مال أعيش به وحين جن زمان الناس أو كلبا

\* \* \*

وهكذا ترون أن أبا على يذكر القضايا ويرهن عليها ، ويناطر ، ويعلل ويدلل ، ويذكر الصور العقلية من نحو الزمان القصير والطويل وما هو أقصر ، ثم يفرع ، ويذكر الفارق الذى لا يعتد به فى القياس ، فزج نحوه بالمنطق مزجاً ، فإذا قرأتم بعد ذلك كلام الرماني فى زيادة ( لا ) وجدتم ضحالة عنده تقابل عمقا عند الفارسي :

قال الرماني <sup>(١)</sup> : وتكون — أى لا — زائدة على وجوه منها :  
 أن تراد مع الواو لإزالة الاحتمال ، وذلك نحو قولك ما قام زيد ولا عمرو  
 وذلك أنك إذا قلت ما قام زيد وعمرو احتمل : أنهما لم يقوما معاً ، ولكن قاما  
 منفردين ، فإذا زدت لا زال هذا الاحتمال ، وصار إعلماً بأنهما لم يقوما ألبته .  
 وتراد بين العامل والمعمول كقولك : « غضبت من لاشيء ، وجئت بلا زاد » .  
 وقد زيدت تأكيداً في نحو قوله تعالى : « لئلا يعلم أهل الكتاب ، والمعنى  
 لأن يعلم ، فأما قوله تعالى : « لا أقسم بيوم القيامة ، ففيه ثلاثة أقوال :  
 أحدها : أن لا زائدة كأنه قال . « أقسم بيوم القيامة ، وهذا القول فيه نظر ،  
 لأن « لا ، لا تراد أولاً <sup>(٢)</sup> .

والثاني أنها بمعنى إلا ، وفيه نظر أيضاً ، لأنه لا يعرف له نظير .  
 والثالث : وهو الوجه : أن لا رد لكلامهم ، وذلك أن القرآن كالشيء الواحد ،  
 والسورة الواحدة ، فيأتى الجواب عما في سورة أخرى ، فكان « لا ، رد لها تكرر  
 من إنكار البعث ثم قال : « لا أقسم بيوم القيامة ، فأعلم الله تعالى أنه يقسم بيوم  
 القيامة ولا يقسم بالنفس اللوامة ، ويدل على صحة ما ذكرناه قوله تعالى : « إن الله  
 لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها . وهذا جواب ما ضربه الله من المثل  
 من العنكبوت والذباب وهما في موضع غير هذا والجواب عهما ههنا كما ترى .  
 وقد روى قنبل عن ابن كثير لا أقسم (كذا) <sup>(٣)</sup> على أن اللام لام القسم وهذه  
 القراءة فيها نظر من وجهين :

أحدهما : حذف الألف التي بعد لا وهى في الإمام ثابتة .  
 والثاني : حذف النون التي تصحب لام القسم لأنه لا يجوز ، والله لا أقوم  
 وقد أجاز به بعض النحويين إذا كان القسم من الحال .

\*\*\*

وبعد ، فبعد هذه الجولة الواسعة التي تعرفنا فيها على الأهواء التي كانت تسيطر  
 على العلماء في ذلك العصر ، والتي عرضنا خلالها نصوصاً من كلام الإمامين : الفارسي  
 والرماني — لعلك قد استرحت إلى أن الفارسي حين قال كلمته : إن كان النحو  
 ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء ... ، أراد أن يرمى الرماني في نحوه ، وأرجو

(١) الحروف لوحة رقم ١٤

(٢) في الأصل : لأن لا تراد أولاً — ولعل حذف لامه من الناسخ

(٣) صحتها لأقسم

بعد ذلك أن يصحح تفسير ما تداوله الناس ، وتوارثه الباحثون من أن الفارسي أراد بهذه العبارة أن الرمان كان يمزج نحوه بالمنطق ، وظهور المنطق في نحو الرمان على هذه الصورة الباهتة التي عرفت ، والأمثلة النادرة التي عرضت ، لا يجيز لنا فهم العبارة هذا الفهم الذي توارثه الناس . ومع التسليم — جدلاً — أن الرمان حشا نحوه بالمنطق ، ودلل على القواعد النحوية بالقضايا المنطقية فإن ذلك لا يدفع الفارسي إلى أن يقول قوله ؛ لأنه مشترك معه فيما يرميه به . بل إن الفارسي هو الذي كان يهيج نهج المناطقة في عرض المسائل النحوية ، مدلاً ، وشارحاً ، ومعللاً ، ومناقشاً ، ومعتزلاً ، وراداً على هذه الاعتراضات ، وأنه كان يصطنع أساليب أهل المنطق ، وينقل إلى نحوه ألفاظهم ، فتراه يستعمل النوع ، والجنس ، والشيوع ، والقياس ، والحمل ، والدلالة ، والاختصاص (١).

\* \* \*

إن الفارسي لكثرة ما مزج نحوه بالمنطق جاءت عبارته عسيرة الفهم ، معقدة الأسلوب ، ضاربة في الغرابة ، تكاد الذهن ، وتصدع الرأس ، على حين كانت عبارة الرمان في كتابه الحروف يسيرة سمحة يمضي بهارخاء حيث أصاب ، ولذا كان العصر عصر فلسفة وامتزاج للثقافات المختلفة : عربية وفارسية وهندية ويونانية ، فإن أسلوب أبي علي كان هو الأسلوب الذي أرضى خاصة الناس ، واتفق هو وما يهوون ، وارتفعوا بأبي علي من أجل ذلك — وغيره — إلى درجة أعلى من المبرد ، وحتى قال أبو طالب العبدى : « ما كان بين سيبويه وأبي علي أفضل منه » (٢).

\* \* \*

ورأينا في ذلك الفصل كيف أن الفارسي مستوعب متقص ، يذكر الشواهد من التنزيل والشعر وسائر الكلام في تلاحق وانصباب ، وقد اتخذ من هذه الشواهد مادة استقرأها ، وتعرف الخصائص المشتركة بينها ثم أصدر الحكم المقعد لما انتهى إليه من النظر في هذه النصوص .

ولأنك تقرأ ما كتب الفارسي في الحروف سواء أكان في الشيرازيات أم البغداديات أم الحجة — فتجد عمقا ودقة ونظراً واستقصاء ، وقد خلا من كل ذلك كلام الرمان على الرغم من أنه قصد قصداً إلى الحروف حتى سمي ( كتابه ) بهذا

(١) انظر الفصل الخامس بذلك — أبو علي الفارسي والمنطق — وانظر البغداديات ورقة ٢٥

(٢) نزعة الألباء ٢٠٩

الاسم . والفارسی يتحدث في « البغداديات » عن وجوه « ما » ، في خمس عشرة لوحة حديثاً جامعاً <sup>(١)</sup> ، على حين يتحدث الرمانى عنها حديث القاصر فيما يزيد قليلاً عن لوحة واحدة <sup>(٢)</sup> ، على ما في البغداديات من تضام الكلمات ، وكثرة الأسطر في الصفحة الواحدة وصغر الحروف ، وعلى العكس من ذلك كتاب الحروف .

\* \* \*

وقد عد الفارسی من المجتهدين والمشرعين النحويين ، له شخصية تدل عليها طريقته في تناول ما يورد من الشواهد ، على حين تجد الرمانى يقف موقف النحاة المتأخرين من إيراد القواعد ، وسرد الأقوال والأوجه دون أن تظهر شخصيته في البحث ، أو يكون له — في الغالب — أثر من اجتهاد .

\* \* \*

وكان ذلك الطابع العام للفارسی في الآثار التي تركها ، والفارسی من أجل ذلك لا يقنعه هذا المنهج اليسير القاصر الذي لا أثر للاستقراء فيه ، فكانت الثلثة التي نفذ منها الفارسی إلى تنقص الرمانى على النحو الذي شرحت في أول هذا الفصل ، وأضرم التنافس على الخطوة عند الملوك — بينهما نار العداوة والبغضاء .

\* \* \*

إلى جانب ذلك يبدو أن الفارسی قد تفهم كلام سيبويه ، وبرع في استخراج القواعد من انكتاب ، ووازن بينه وبين الخليل ، وناقش آراءها وآراء غيرها من النحاة قبله ، ودلل على صحة ما ذهب إليه وجوده ، وعلى فساد ما لا يتفق هو وما يراه <sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

ووقوف أبي على الفارسی هذا الموقف ، الذي ربط بينه وبين القدامى وخاصة أمام النحاة وشيخه الخليل — بنسب متين — إلى جانب النزعات المدرسية في ذلك العصر — كل ذلك جعله يستصغر ما يأتي به الرمانى ، وقد قصرت قدرته أن يشق لأبي على الغبار ، أو يجرى معه في مضمار .

(١) البغداديات لوحة رقم ١٩-٣٤

(٢) الحروف لوحة رقم ١٤، ١٥

(٣) انظر الضرب الثالث من ( ما ) البغداديات ورقة ٢٧



## الفصل الثالث

أبو علي الفارسي (٣٧٧هـ) وأبو القاسم الزجاجي (٣٣٧هـ<sup>(١)</sup>)

قال أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري المتوفى (٥٧٧هـ<sup>(٢)</sup>) في كتابه نزهة الألباء عند ترجمته لأبي القاسم الزجاجي : « وكان من طبقة أبي سعيد السيرافي ، وأبي علي الفارسي ، إلا أن أبا علي كان يقول : « لو سمع أبو القاسم الزجاجي كلامنا في النحو لاستحيا أن يتكلم فيه »<sup>(٣)</sup> .

ويكاد أبو البركات ينفرد بهذه القولة عن أبي علي من بين المترجمين الذين اطلعت على كتبهم ممن سبقوا أبا البركات<sup>(٤)</sup> : والزيدى وهو معاصر للزجاجي والفارسي إذ توفى (٣٧٩هـ) يذكر في ترجمته لأبي القاسم الزجاجي أنه في الطبقة العاشرة من النحاة البصريين ، ومن أصحاب الزجاج . ثم يورد اسمه وتعليل لقبه ، ويذكر مكان الوفاة وسنتها ولا يزيد<sup>(٥)</sup> .

وابن النديم<sup>(٦)</sup> وهو معاصر كذلك للرجلين يغفل ترجمة الزجاجي جملة<sup>(٧)</sup> ، وكذلك يغفل البغدادي المتوفى (٤٦٣هـ) في تاريخه ، فلم يترجم للزجاجي<sup>(٨)</sup> ، على الرغم من أنه نزل ببغداد ولزم شيخه الزجاج<sup>(٩)</sup> ، ونسب إليه<sup>(١٠)</sup> ، وعرف به<sup>(١١)</sup> .

ماذا أريد من وراء هذا الكلام ؟ أريد أن أقول : « إن الباحث لا يستطيع أن يسلم في يسر بما قاله ابن الأنباري ، معتمداً على روايته وحدها ، بل لابد من ضئمة أخرى تثبت هذه القولة — قولة الفارسي — أو تنفيها ، ذلك لأن ابن الأنباري ينفرد بروايته ما روى عن الفارسي كما بينت ، ثم هو متهم فيما يرويهِ رافعاً

(١) اضطرت في هذا الفصل إلى الإكثار من النصوص المقتبسة من كتاب الإيضاح للزجاجي لأمرين : الأمر الأول — أن كتاب « الإيضاح في علل النحو » مصور على فيلم في الأمانة العامة للجامعة العربية عن نسخة بالآستانة فالرجوع إلى ذلك الفيلم بالإحالة عليه من الصعوبة بمكان . الأمر الآخر أن هذا الكتاب غير مرقوم فن السير الإحالة إلى صفحاته : ليرجع إليها في يسر .

(٢) وفيات الأعيان ٢/٣٢٠ (٣) نزهة الألباء ٢٠٥

(٤) قأبو الطيب عبد الواحد بن علي اللثوي ت ٣٥١هـ لا يترض لعل من ذلك

(٥) طبقات الزيدى ١٢٩ ت ٣٨٥ (٦) ت ٣٨٥ (٧) الفهرست ٩٠-٩٥

(٨) انظر من اسمه عبد الرحمن في تاريخ بغداد من ١٩٩-٣٠٤

(٩) بنية الوعاة ٢٩٧ (١٠) طبقات الزيدى ١٢٩

(١١) وفيات الأعيان ٢/٣١٧

من قدر أبى على الفارسي لعله قريبة ، هي أن أبا على شيخ من شيوخ ابن الأنباري ، ومن أولئك الذين تربهم سلسلة سنده في علم العربية . فقد أخذ ابن الأنباري عن ابن الشجري ، وهذا قد أخذه عن طباطبا عن الربيع عن الفارسي (١) ، وسأكشف في القابل من هذا البحث عن التأثير البعيد الذي ظهر عند ابن الشجري مقتنياً آثار أستاذه الفارسي (٢) .

ومن هنا أراني مضطراً للرجوع إلى كتب الزجاجي في النحو ؛ لانهدي بها في تحقيق ما روى الأنباري عن الفارسي ، نعم لا بد من ذلك لأمور :  
أحدها — ما ذكرته من أن الأنباري لا يسلم له ما يرويهِ في يسر ، لما ذكرت من تعليل .

وثانيها — أن منهج هذا البحث يفرض على أن أتعرف العلاقة التي كانت بين أبى على ومعاصريه ، وهذه لا بد — لإيقاظ الكلام عنها — من الاتصال بآثار هؤلاء بعامة ، والزجاجي الذي رمى في نحوه ، والذي عقدت له هذا الفصل — بخاصة .

والثالث — أن الناس يختلفون في تقدير الزجاجي ، فمنهم من يحط من قدره في النحو حتى وصف بما توميء إليه عبارة الفارسي ، ومنهم من يثني على نحوه بمثلاً في كتابة الجمل ثناء مستطاباً (٣) .

والرابع — أنه من المحتمل صدور هذه القولة عن أبى على الفارسي مدفوعاً بالمنافسة التي تكون غالباً بين العلماء المتعاصرين ، هذا إلى ما ركب في النفوس من حب التنقص ، والنظر المضاد . وقد ألم بهذا المعنى الزجاجي نفسه في تصدير كتاب الإيضاح في علل النحو حيث يقول :

« وينبغي أن يعلم أن أصدق الناس له ، وأبرهم به لن ينظر في تصنيفه إلا نظر مضاد له ومكاشح (٤) » ، ولعل أبا على الفارسي كان على حق فيما ذهب إليه ، لاختلاف المنهجين في تناول النحو بين الرجلين ، ومحل كل في هذه الصناعة ، وقد أحس الزجاجي ذلك حيث يقول :

(٢) انظر الفصل الخامس بذلك ص ٦٣٠

(٤) مقدمة كتاب الإيضاح

(١) نزعة الألباء ٢٧٠

(٣) راجع شذرات الذهب ٣٥٧/٢

« ثم لم يتفق له — يقصد من تكلف الإحاطة بما صنف — أن يكون كل من نظر من تصنيفه موافقاً له طبعاً ورأياً واختياراً ومثلاً من ذلك ، بل لعل أكثر من نظر منه يخالف له في ضرب من الضروب أو في أكثرها فيميله عنه ما نأفقه منه إلى ما ألفه وعرفه (١) » .

ولإذن فلا بد من حكومة صادقة تنظر إلى آثار كل من الرجلين نظر العادل المنصف ، الذي لا يخيّف ، ولا يجر منه أمر ما على ألا يعدل ، وذلك ما أنا بسبيله إن شاء الله :

أما نحو الفارسي ومنهجه فقد ألممت به في قطوف سابقة ، ونهبت إلى سماته العامة في بعض ما تقدم من فصول ، على أني سألم ببعض هذه الخصائص بالقدر الذي تدعو إليه الموازنة بين الرجلين

وأما نحو الزجاجي الذي رماه الفارسي بما رمى فلا بد من الرجوع إليه والاتصال به واختباره ، حتى أستطيع تقديره موازناً بينه وبين نحو الفارسي .

فإذا ألف الزجاجي ؟ وماذا ترك من كتب في النحو بخاصة ؟ وماذا بقي لنا منها مما يصحح له تقويمه ، ويكنى في تقديره ؟

عد ابن الأنباري من كتب الزجاجي : الجمل ، والإيضاح ، وشرح خطبة أدب الكتاب (٢) (كذا) لابن قتيبة (٣) .

وذكر السيوطي في البغية زيادة على ما ذكره ابن الأنباري : اللامات ، والمخترع في القوافي ، والأمالى (٤) .

وللزجاجي كذلك كتاب موسوم بالزاهر في معاني الكلام الذي يستعمله الناس (٥) ذكر في أوله أنه جمع فيه جميع الالفاظ التي ذكرها أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ... في كتابه الزاهر في معاني الكلمات التي يستعملها الناس في صلاتهم ودعائهم وتسييحهم وعبادة ربهم (٦)

ووجد الزجاجي فيه كثيراً من السهو والغلط فرأى مع اختصاره لإصلاح ما فيه من الغلط فكشفه . وشرحه ، ثم حذف شواهد ، وختمه بباب في نوادر اللغة وشواذها .

(١) مقدمة كتاب الإيضاح لوجه ١٠٨ (٢) في بنية الوعاة الإيضاح الكافي ٢٩٧

(٣) نزعة الألباء ٢٠٤ وفي بنية الوعاة شرح خطبة أدب الكاتب وهو الصحيح ٢٩٧

(٤) بنية الوعاة ٢٩٧ (٥) مخطوط برقم ٥٧٧ دار الكتب

(٦) منه نسخة مصورة بدار الكتب رقم ٥٨٨ عن نسخة خطية بمكتبة كوبريللي

هذا وكتاب الجل بدار الكتب مخطوط برقم ٧٦ ش نحو ، وكتاب اللامات بمعهد المخطوطات بدار الأمانة العامة للجامعة العربية في ( فيلم ) برقم ٧٩٢ . وللزجاجي أيضاً في هذه الدار كتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر ( فيلم ) رقم ٣٥٦ . وله كذلك كتاب « أخبار أنى القاسم الزجاجي » مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة ، وهو غير الكتاب الذى ذكره السيوطى باسم الامالى <sup>(١)</sup>

فأماى اذن طائفة صالحة من آثار الزجاجي أستطيع بها أن أثبت قول الفارسي أو أنفيه ، وأبين إلى أى حد كان صادقا فيه :

أما كتاب اللامات <sup>(٢)</sup> فقد بين منهجه في مقدمته حيث يقول : <sup>(٣)</sup> « هذا كتاب مختصر في ذكر اللامات ، ومواقعها من كلام العرب ، وكتاب الله ( عز وجل ) ، ومعانيها ، وتصرفها ، والاحتجاج لكل موقع من مواقعها ، وما بين العلماء في بعضها من الخلاف وبالله التوفيق .

ثم عدد هذه اللامات وأحصاها وما ذكر منها :

اللام الأصلية ، لام التعريف ، لام الملك ، لام الاستحقاق ، لام كي ، لام الجحود ، لام إن ، لام الابتداء ، لام التعجب ، لام تدخل على المقسم به ، لام تكون جواب القسم ، لام المستغاث به ، لام المستغاث من أجله ، لام الأمر ، لام المضمر ، لام تدخل في التثنية بين المضاف والمضاف إليه ، لام تدخل في النداء .... لام تلزم أن المكسورة إذا خففت من الثقلية ، لام العاقبة ويسميا الكوفيون لام الصيرورة ، لام لو ، لام لولا ، لام التكثير .... لام تزداد في لعل ، ثم عقد بابا لكل واحدة من هذه اللامات على الترتيب الذى أورده في ذكرها جملة . وإذا كان لابد من التعرف على قدرته ومنهجه في تناول المسائل النحوية في هذا الكتاب فإليك ما ذكره في باب اللام الأصلية مثلا . قال :

« تكون في الأسماء والأفعال والحروف ، وتكون فاء ، وعينا ، ولاما : فكونها فاء قولك لعب وهو ولجام وما أشبه ذلك كما قال الله ( عز وجل ) : « إنما الحياة الدنيا لعب ولهو ، <sup>(٤)</sup> وكذلك ما أشبهه . وكونها عينا قولك « سلام ، كما قال ( تعالى ) « السلام المؤمن المهيمن » ، <sup>(٥)</sup> وكذلك « السلم ، كما قال ( تعالى ) :

(١) بنية الوعاة ١٩٧ (٢) ف ٧٩٢ بالأمانة العامة للجامعة العربية

(٣) وانظر ص ٣٦٦ من فهرس المخطوطات المصورة

(٤) سورة الحديد آية ٢٠ (٥) سورة الحجر آية ٢٣

« ولأن جنحوا للسلم فاجنح لها »<sup>(١)</sup>، وكونها لام الفعل (كذا) :<sup>(٢)</sup> قولك خطل...  
وابل ، ووصل وجبل وكذلك ما أشبهه فهذا كونها في الأسماء .  
وكونها في الأفعال في هذه المواقع كقولك لعب الرجل ، وسلس الشيء ، ووصل  
وجعل . فقد بان لك وقوعها في المواقع الثلاثة في الأسماء والأفعال . وهي أكثر  
من أن تحصى ، وأبين من أن تحصى .

فأما كونها في الحروف لا تقدر بأمثلة الأفاعيل ، وانكها جاءت أولاً ، ووسطاً  
وآخرأ ، ولا يحكم عليها بالزيادة إلا بدليل . فكونها أولاً قولهم لم ، لن ، ولكن  
وكونها آخرأ<sup>(٣)</sup> قولهم هل وبيل وهي التي تقع للاضراب كقولك ما خرج زيد  
بل عمرو . قال الله ( عز وجل ) : « بل الإنسان على نفسه بصيرة » . فأما قولهم  
ألم وألما فانما هي لم ، ولما ، ولكن الألف تزداد في أولها تقريراً ، وتوبيخاً ،  
واستفهاماً ثم أخذ يضرب الأمثلة الموضحة لذلك . وانتقل إلى « ليس » وتحدث  
عن الخلاف بين الكوفيين والبصريين ، فالفراء وجميع الكوفيين يقولون :  
« هي حرف » . والبصريون يقولون : « هو فعل » . وذكر أدلة كل فريق .

ويمضي الزجاجي على هذا النحو في سائر الأبواب . فهل تراه بلغ مبلغ أبي على  
في تناوله مسائل النحو ؟ وماذا بينه وبين الفارسي من اختلاف في منهج البحث ؟  
أرى أن شخصية الزجاجي في هذا الكتاب من وراء حجاب ، لا تكاد تظهر  
أو تبين : يورد من التقسيمات والأمثلة ما يعرفه المبتدئون من المتعلمين ، وإلا فآين  
ما يدل على شخصيته في بيان موارد اللام ، وفي مواقعها في أقسام الكلام . وفي تمثيله  
محتجاً باللهو واللعب والسلم والسلام ؟ ثم أين الشواهد العربية التي تنال عند الفارسي  
كأنما قد نظمها في عقدها فتوالت في تلاحق وانسجام .

والزجاجي يحس أنه قد أوضح خفياً ، وقدم الغامض جنيماً وذلك قوله :  
« فقد بان لك وقوعها في المواقع الثلاثة » ، وليس هناك غامض ولا خفي  
حتى يكشف عنه أو يجليه ، فواقع اللام كما يقول في مكان آخر — أبين  
من أن تحصى :

(١) سورة الأقال آية ٦١ (٢) والصحيح وكونها لاما

(٣) لمل « كونها وسطاً » . سقط من الكاتب

ثم هو حين قدم اختلاف البصريين والكوفيين في ليس وغيرها مما قدم الاختلاف فيه — لم يكن إلا مورداً أقوال كل من الفريقين دون أن يكون له رأى يعالنه ، أو مذهب يدعو إليه . وهكذا لا ترى له — كما ترى لأبي علي — ظلاً لشخصيته ، أو اجتهداً في الرأى والتدليل يضيفه إلى ما به يحتجون .

قد يقال في الاعتذار من الزجاجي أنه جعل كتاب اللامات مختصراً كما ذكر ذلك في تقديمه ، والاختصار داعية إلى المرور العابر بما يورد من مسائل ، دون احتفال أو تدقيق . وإذن ، لا يعد كتاب اللامات ممثلاً لغاية الجهد من الزجاجي ، أو منتهى ما وصل إليه من ثقافة نحوية . وإن كان يشير على أية حال — في مجموعه — إلى اتجاه الزجاجي في تناول ما يعرض له من موضوعات . فإشاراً للنصفة في الموازنة اختبر كتابيه الآخرين : الإيضاح في علل النحو ، والجل :  
أما الإيضاح فالزجاجي يلح في أنه احتفل به احتفالا كبيراً . وبذل فيه غاية الجهد ، وذلك حيث يقول في مقدمته :

« إنا لم نأل جهداً في تهذيبه وترتيبه ، ونظمه ، واختباره ، حسب الطاقة ، مع ارتجالنا إياه وتكلفنا جمعه من مواقفه ، غير عاملين على مثال سبقه ، ولا محذنين على نظم تقدمه . »

وحيث يقول : « لم نقصد إلى وضع هذا الكتاب في هذا المعنى إلا بعد عناية شديدة بجميع ما نودعه إياه . »

أو يقول : « ولعل منكرأ ينكر تسميتنا هذا الكتاب بكتاب الإيضاح لأسرار النحو ، ولا يعجلن بذلك حتى يتصفحه ، ويتأمل ما أودعته إياه ، فيعلم حينئذ أني لم أدخر للنظر فيه نصحاً ، وإن أكثر ما أودعته إياه لا يكاد يراه مفرقا ولا مجموعاً في غير هذا الكتاب ، ليحكم حينئذ بما يراه ، وكفى بحكم خصمه عليه منصفاً عادلاً ،

ومن هنا ضن بهذا الكتاب إلا على الأثير لديه ، والمقرب إليه ومن أحب النظر فيه وذلك حيث يقول : « وقصدنا بجميع ما ضمناه هذا الكتاب لإخواننا ، ومن يجب إشاره بما استودعناه من هذا العلم غير عادلين عن سواهم ، ولا باخلين به عليهم من جميع من مال إليه أو أحب النظر فيه . »

وهكذا يبدو الزجاجي في مقدمة هذا الكتاب معترفاً به ، ملحاً إلحاحاً ظاهراً

في الإشارة إلى أن هذا الكتاب مرآة اغاية جهده في النحو وعلله وأسراره ، ودليلاً على بعد مداه فيه

وقد جعل الزجاجي كتابه هذا في قسمين : القسم الأول : في ذكر العلل خاصة والثاني — كما يقول في المسائل المجردة جعلها منشورة من سائر الحدود :

وقبل أن أعرض لهذا الكتاب بالتقويم أود أن أقول كلمة في الملاك العام الذي كان يقوم عليه البحث عند علماء القرن الرابع في علوم الثقافة العربية بعامة ، والنحو — بخاصة ، لأجعل هذا الملاك بعض ما تدور عليه الموازنة بين نحو الرجلين :

يبدو أن الباحثين في هذا العصر سحرتهم الفلسفة ببحوثها وفروعها ، واستولت على نفوسهم من أقطارها ، جرياً وراء هذا التيار الجارف الذي دفعه اتصال المسلمين بثقافة الفرس ، وحكمة الهند ، وكتب يونان . حتى قال ابن قتيبة : « ولو أن مؤلف حد المنطق بلغ زماننا هذا حتى يسمع دقائق الكلام في الدين والفقه والفرائض والنحو لعد نفسه من البكم <sup>(١)</sup> » .

وكان النحو منطق العربية ، كما أن المنطق نحو يونان <sup>(٢)</sup> . ومن هنا كانت على الزجاجي أن يبتغي مقاربة الكمال الذي أشار إليه معاصره أبو حيان في قوله : « البحث عن المنطق قد يرمى بك إلى جانب النحو ، والبحث عن النحو يرمى بك إلى جانب المنطق ، ولو لا أن الكمال غير مستطاع لكان يجب أن يكون المنطق نحوياً ، والنحو منطقياً <sup>(٣)</sup> » .

ودافع آخر خاص أضيفه إلى هذا الدافع العام : ذلك لأن الزجاجي ألف فيما ألف : « شرح خطبة أدب الكاتب لابن قتيبة <sup>(٤)</sup> » ، وفي هذه الخطبة يقول ابن قتيبة :

« أرفع درجات لطيفنا أن يطالع شيئاً من تقويم الكواكب ، وينظر في شيء من القضاء وحد المنطق <sup>(٥)</sup> » . وهو بهذه العبارة يخلع صفة اللطف على المناطقة ، ويجعل النظر في المنطق للطيّف رافعاً له أعلى الدرجات .

(٢) الإمتاع والمؤانسة ٦٧/١

(٤) بنية الوعاء ٢٩٧

(١) أدب الكاتب ص ٤

(٣) المقابسات ١٧٧

(٥) أدب الكاتب ٣

إلى هذه الدوافع — معرفة الرجل بلغات أخرى غير العربية وقد دل على ذلك بقوله : « للعرب حسن بيان ، وفضل نظم وحكمة ، ولما حباها الله ( عز وجل ) بذلك تخصيصاً منه وتكرمة ، فإذا كان كذلك كان مرجع ذلك كله إلى أصل واحد <sup>(١)</sup> . وهذا غير مشكل . وقد اعتبرنا ذلك في عدة لغات عرفناها سوى العربية ، فوجدناه كذلك لا ينفك كلامهم كله من اسم وفعل وحرف ، ولا يكاد يوجد معنى رابع ، ولا أكثر منه ، وإن كان ليس له ترتيب العربي ونظمه وحسن تأليفه <sup>(٢)</sup> . فعندى أن هذه الدوافع العامة والخاصة هي التي خافت النزعة المنطقية في كتاب الإيضاح في علل النحو ، لجعل صاحبه الزجاجي في عنوانه : لفظ العلل ، وألحق به مسائل في الحدود ، وحثاه بالجدل والمناظرة ، على النحو الذي سأعرض له . ودعا الناس إلى اختباره في إلحاح ، وأثر به الخاصة من الأخوان ، وتاه به كما رأيت من تيهاً عظيماً .

وإذ ثبت أثر المنطق في الارتفاع بمكانة النحوى ورسوخ قدمه في النحو ، فقد أن أن أبين مدى ظهور المنطق في نحو الزجاجي ، وفي كتاب الإيضاح الذي تبدت فيه هذه النزعة ، لأعرف : « أصادقاً كان أبو علي حين قال قوله فيه ، أم كان بجانب الحق فيما يدعيه » .

ولا يظن ظان أني أقول بهذا المقياس المنطقي الذي رسمه أبو حيان ، وارتضاء للنحاة في عصره ، فلست أرضى أن يثقل كاهل النحو بمسائل المنطق ، وعلله وأقيسته ، وقضاياه على هذا النحو . بل أعد هذا بعض ما أرمق النحو من فترة جعلته كالحا بعد نضرة ، محترقا بعد نضج ، ولكني أعيش ببحى هذا في القرن الرابع الهجري ، فكان لزاماً أن أقيس بمقاييس أهله ، وأوازن بين المتعاصرين فيه بالموارين التي ارتضوها ، تاركا القول في نقد هذه المقاييس وتقديرها إلى مكانه المقسوم .

وأعود بعد هذا إلى الكشف عن كتاب الإيضاح في علل النحو للزجاجي وطريقة صاحبه في تناول المسائل المنطقية ، موازنا بينه في ذلك وبين أبي علي : يبدو المنطق من عنوان الكتاب ، فاسمه « الإيضاح عن علل النحو » ، ثم تقرأ المقدمة — أو على حد تعبير القدامى الخطبة — فتطالعك العبارة الآتية من قول الزجاجي :



« كل يؤلف على قدر طباعه ، واختيار نفسه ومحلّه من ذلك العلم الذى يعاينه ، وبروز نفسه للتصنيف فيه علواً واقتداراً عليه ، أو نقصاً عنه وتبلاً فيه ، أو توسطاً بين هاتين المنزلتين . »

لعلك لحظت هذه القسمة العقلية فى منازل المؤلفين من العلو والاقتدار ، ثم النقص والتبذل ، ثم ما بين هاتين المنزلتين من التوسط .

أو يقول : ومن لم تدعه نفسه إلى الألفه من مطاولة نظيره عليه فى العلم والرتب واعتلائه إياه ، وغلبته له ، فإن الهيمنة غالبية عليه ،

وهذا معنى يذكره الفلاسفة كثيراً فى درجات الإنسان والأحوال التى تعروه ثم تراه يدعو غيره إلى تتبع ما أودعه هذا الكتاب ، فإن هو فعل ذلك وتدبره ولم يره ينقاد فى طريقة القياس مستمراً ، ورأى أنه لاحق إلا فى غيره — كانت حلبة التناظر باجتماع ذوى الهمم والنظر والفحص والجدل معنا فيها فاصلة بيننا وبينه ، حتى نصير معاً بحق النظر إلى الصواب ، فنعتقده جميعاً .

وهكذا يلحقك المنطق ، وتطالعك الفلسفة فى أول الكتاب ، فإذا ما وصلت إلى الصلب منه رأيت حجاجاً ، وتعليلاً ، وقياساً وتديلاً ، وإذاعة لاصطلاحات المناطق : كالحكم والتسليم بالصحة ، والبرهان ، والنظر ، والدليل القاطع ، والحجة ، ووضوح الدلائل ، وإقامة البراهين ، والدلائل العقلية ، والحقيقة ، ولزوم الحجة ، والمعارضة ، وبطلان الدعوى ، وتصحيحها ، وبديهية العقل ، والمشكل الملبس ، والغامض الخفى ، والساكن المتحرك ، ولا ساكن ولا متحرك ، والمحال ، والاستدلال ، والمعقول الظاهر ، والأجسام والأعراض ، وصحة المذهب ، والتقليد ، والبحث ، والنقص ، والشكوك التى لا تدفع الحقائق .

تجد ذلك كله فى أول ما بدأ به من العلل ، وذلك حيث يقول :  
« فأول ما نذكر ذلك لإجماع النحويين على أن الكلام اسم وفعل وحرف ، وحقق القول بذلك وسطاً فى كتابه سيبويه ، الناس بعده غير منكرين عليه ذلك :  
نبدأ بما يسأل عنه أصحاب سيبويه ، وما يحتج به له . يقال لأصحابه وسائر من اعتقد هذا المذهب : من أين لكم أن كلام العرب كله اسم وفعل وحرف ؟ وكيف حكمت بذلك ، وسلمتم بصحته من غير دليل ولا برهان ؟ وإنما ذكره سيبويه فى أول كتابه

حين قال : « الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى » . فقال قائلون : « إنما قصد الكلام العربي دون غيره » . وقال آخرون : « بل أراد الكلام العربي كله والعجمي » ، وفي ذلك احتجاج ونظر لم تقصد له في هذا الكتاب . . . . . ولسنا نخاطبكم إلا على أنه قصد الكلام العربي دون سائر اللغات ، لأن الجواب عن ذلك أسهل عليكم وأقرب ، ثم مثل سيويوه كل صنف من ذلك ولم يقرئه بدليل قاطع ، ولا حجة ، فدل على أن الكلام ثلاثة أقسام كما ذكرنا ، وأنه لارابع لهذه الأقسام ولا خامس ولا أكثر من ذلك فإن كنتم قلتم عنه تقليداً من غير برهان ولا حجة فأنتم في عيب وشبهة ، فادعكم إلى قبول ذلك منه وقد علمتم أن النحو علم قياسي ومسبار لاكثر العلوم لا يقبل إلا إبراهيم وحجج ما خلا ما لزم قبوله من علوم الشريعة بعد وضوح الدلائل وإقامة البراهين ، والدلائل العقلية والحقيقية على لزوم الحجة . وأنتم جعلتم أول قبولكم من صاحبكم ما ادعاه بغير برهان ولا بيان . وما يؤمنكم من أن يعارضه معارض يقول لكم : « كلام العرب أكثر من هذه الأقسام فبأى شيء تصلون إلى بطلان دعواه ، وتصحيح دعوى صاحبكم ؟ »

الجواب : أن يقال له أن من الأشياء أشياء تعرف ببدية العقل بغير برهان ولا دليل ، بها يستدل على المشكل الملبس ، والنامض الخفي . كما أننا نعلم ببدية بغير دليل أن وجود جسم في حال واحدة ساكناً متحركاً ، ولا ساكناً ولا متحركاً محال إلا في حال خلق الله ( عز وجل ) كما علم ذلك استدلالاً ، وكما أننا نعلم أن وجود جسم واحد في مكانين في حال واحدة ووقت واحد محال ، كما أن وجوده لا في مكان محال . ومن الأشياء ما يعرف بالدلائل الواضحة القريبة المتفق عليها التي لا تكاد تشكل على أحد ، حتى يقوم مقام ما يعرف ببدية بغير استدلال . ونحن نعلم أن الله ( عز وجل ) إنما جعل الكلام ليعبر به العباد عما هم في نفوسهم ، وخاطب به بعضهم بعضاً بما لا يوقف عليه بإشارة ، ولا إيماء ، ولا رمز بحاجب ، ولا حيلة من الخيل . وإذا كان هذا معقولاً ظاهراً غير مدفوع بين أن المخاطب والمخاطب والخبر عنه والخبر أجسام وأغراض تنوب في العبارة عنها أسماءهم أو ما يعتوره معنى يدخله تحت هذا القسم من أمر أو نهى أو نداء . . . أو ما أشبه ذلك مما تختص به الأسماء ، لأن الأمر والنهى إنما يقعان على الاسم

النائب عن المسمى ، فالخبر إذن هو غير الخبر ، والمخبر عنه ، وهما داخلان تحت قسم الاسم . والخبر هو الفعل وما اشتق منه أو تضمن معناه ، وهو الحديث <sup>(١)</sup> الذي ذكرناه ، ولا بد من روابط بين الاثنين وهو الحروف ، ولن يوجد إلى معنى رابع سبيل ، فيكون للكلام قسم رابع ، وهذا معنى قول سيديوه الكلام اسم وفعل وحرف . وبعد أن انتهى من هذا التدليل العقلي ، أورد دليلاً نقلياً في قوله : « وقد روى لنا أن أول من قال ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ( صلوات الله عليه ) » <sup>(٢)</sup> أعنى قوله : الكلام اسم وفعل وحرف . ثم عاد إلى التدليل العقلي حيث يقول : « ثم يقال له : « قد دللنا على صحة مذهب صاحبنا ، وأريناك أن اعتقادنا ليس تقليداً بل يبحث ونظر ، والمدعى أن الكلام قسم رابعاً أو أكثر منه نحن أو شك ، فإن كان متيقناً فليوجدنا ( كذا ) — ولعلها فليوجد لنا — في جميع كلام العرب قسماً خارجاً عن أحد هذه الأقسام ، ليكون ذلك ناقضاً لقول سيديوه ، ولن يجد إليه سبيلاً ، وليس يجب علينا ترك ما قد تيقناه ، وعرفنا حقيقته ، وصح في العقول اشك من شك بغير دليل ولا برهان ، لأن الشكوك لا تدفع الحقائق وبالله التوفيق .

وقد تعرض الزجاجة للفلاسفة والمناطق واصطلاحاتهم تعرضاً صريحاً ، وذلك حيث عرض للقول في اختلاف النحويين في تحديد الاسم والفعل والحرف : بدأ بأن قال : « الحد الدال على حقيقة الشيء ، فكيف يجوز اختلاف هذا ؟ وهل يجوز أن يجد الإنسان لمن سأل عن حده إلا بأن يقال له : « الحى الناطق المائت » ، لأن هذا هو حده على الحقيقة ، وينعكس عليه بمعناه : كقولنا : « المائت الناطق هو الإنسان ، ولا يجوز أن يجد الإنسان بغير هذا الحد ، فإن حده بغيره إنسان كان مخطئاً إلا أن يعدل عن حده إلى بعض صفاته ورسومه الدالة عليه كقولنا : « الإنسان حيوان ذو رجلين منتصب القامة ضحاك وما أشبه ذلك » .

الجواب : أن يقال : « إن الحد لا يجوز أن يختلف اختلاف تضاد وتنافر ، لأن ذلك يدعو إلى فساد المحدود ، وخطأ من يحده ، ولكن ربما اختلفت ألفاظه على حسب اختلاف ما يوجد منه ، ولا يدعو ذلك إلى تضاد المحدود كما يوجد الحد تارة من الأجناس والفصول ، وتارة من المواد والصور ، لأن المادة تشاكل الجنس ، والصور تشاكل الفصل . ألا ترى أن الفلاسفة الذين هم معدن هذا العلم أعنى معرفة

الحدود والفصول والخواص وما أشبه ذلك قد اختلفوا في تحديد الفلسفة نفسها  
اختلافاً : فقال بعضهم : « الفلسفة : إشار الحسكة » . وقال بعضهم : « الفلسفة :  
معرفة طبيعية جميع الأشياء الموجودة » ، وقال آخرون الفلسفة : معرفة الأشياء  
الموجودة الإلهية يعنون المدركة عقلاً — ومعرفة الأشياء الإنسية — يعنون المدركة  
بالحواس . وقال بعضهم : « الفلسفة : معاناه الموت » أى تعاطى الموت يعنى إماتة  
الشهوات . وقال آخرون : « الفلسفة : الافتداء بالبارى حسب طاقة المخلوق » .  
وقال ارسطاطاليس : « الفلسفة صناعة الصناعات ، وعلامة العلوم » .

أولاً تراهم كيف قد اختلفوا هذا الاختلاف ، وليس فيه تناقض ؟ لأن كل واحد  
منهم قصد إلى طريق ما لخصها منه . وإنما ذكرنا هذه الالفاظ في تحديد الفلسفة  
ها هنا وليس من أوضاع النحويين ، لأن هذه المسألة الى نجيب عنها من يتعاطى  
المنطق ، وينظر فيه فلم نجد بدا من مخاطبتهم من حيث يعقلون ، وتفسيرهم من حيث  
يفهمون فكذلك يقول النحويون لهم أيضاً في تحديد الاسم والفعل والحرف كان  
لكل فريق منهم غرض في تحديده وقصده : فمنهم من أراد التقريب على المبتدىء  
لخصها من جهة يقرب عليه . ومنهم من أراد حصر أكثرها فأتى به ، ومنهم من طلب  
الغاية القصوى والحد على الحقيقة لخصها على الحقيقة لما ذكرنا . وليس فى شيء مما أتوا  
به ما يخرج عما ذكرناه . وذلك بين فى كلامهم لمن تدبره . وهو نظير ما تقدم ذكره  
من تحديد الفلسفة .

ثم عقد حديثاً عن الفعل والمصدر وأيهما مأخوذ من صاحبه ، وتعرض للخلاف  
بين البصريين والكوفيين فى ذلك .

ثم يعقد حديثاً يتكلم فيه عن الالل النحوية وأقسامها ، ويضرب الأمثلة لكل  
منها ، وهذا كله يتصل بفلسفة النحو اتصالاً كبيراً .  
ثم عقد الأبواب الآتية :

القول فى الإعراب والبناء : أيهما أسبق ، والإعراب ولم دخل فى الكلام ،  
والقول فى الإعراب أحركة هو أم حرف ؟ ولم وقع فى آخر الاسم دون أوله أو وسطه ؟  
ثم أورد الجدل القائم بين البصريين والكوفيين فى المستحق للإعراب من هذه  
الاقسام الثلاثة :

ثم تحدث عن الأبواب : باب القول فى الاسم والفعل والحرف أيها أسبق  
فى المرتبة والتقدم

باب القول في الأفعال أيها أسبق في التقدم ؟  
باب ذكر العلة في تسمية هذا النوع من العلم نحواً  
باب الفرق بين النحو واللغة والإعراب  
باب القول في معنى الرفع والنصب والجزم  
باب في ذكر الفائدة من تعلم النحو  
باب في ذكر علة دخول التنوين في الكلام ووجوهه  
باب في ذكر علة ثقل الفعل وخفة الاسم  
باب في علة امتناع الاسماء من الجزم ثم أورد أسئلة على أصحاب سيوييه  
ورد عليها

باب في علة امتناع الفعل من الحذف وهنا أورد كذلك أسئلة على أصحاب  
سيوييه وأجاب عنها  
باب في امتناع الأفعال من الإضافة إليها وخفها ( أورد أسئلة على أصحاب  
سيوييه وأجاب عنها ) .

باب القول في الثنية والجمع  
باب القول في الألف والياء والواو في الثنية والجمع أي إعراب أم حروف  
( وهي مسألة خلافية بين البصريين والكوفيين ) ذكر احتجاج كل فريق ما له وما  
عليه وختم الكتاب بمذهب سيوييه وما احتج به وما له وما عليه ، لأنه عندنا هو  
الصواب دون غيره إن شاء الله .

وختم الكتاب بمسائل عن المبرد وسيوييه  
مثل : قال أبو العباس : الفرق بين ضربت زيدا وزيد ضربته أن تخبر  
في الأولى عن نفسك ، وتخبر في الثانية عن زيد .

وقال أبو العباس : لا أجيز زيد ضربت وأجيز أن زيدا ضربته لأنه لا يجزى بدأ  
من الاضمار إذا نصب زيدا بان .

وقال أبو العباس : إذا قلت : كنت أخاك فعناه أشبهت أخاك . وإن قلت :  
لست أخاك فعناه باينت أخاك .

ثم ذكر مسائل أخذت من أقوال سيوييه ، وعلق على كل مسألة ... وبهذه  
المسائل المشورة ختم الكتاب .

هذا هو الزجاجة في كتاب الإيضاح ، وذلك مبلغ تيه به ، وهذا أثر ثقافته

المنطقية فيه . فهل تراه بعد ذلك بلغ مبلغ الفارسي في التعليل والتدليل والقياس ؟ وهل إذا سمع كلام أبي علي في النحو استجيا أن يتكلم فيه ؟

الحق أن الزجاجي يختلف منهجه عن منهج الفارسي في تناول مسائل المنطق : الفارسي يمزجها مزجا بالنحو ، فهو إذ يقايس أو يعلل أو يبرهن ، أو يذكر القضايا يجعل ذلك وغيره من مسائل المنطق — في ثنايا نحوه وتضاعيفه ، يورده ويتحدث عنه ، حتى يصير المنطق مع نحوه وحدة لا تتجزأ ، وكيانا متضامنا لا ينفصل <sup>(١)</sup> . أما الزجاجي فسيبله غير سبيل الفارسي في ذلك : المنطق يرد بمسائله في جنب مسائل النحو ، ولكنه لا يخالطه ، ولا يمتزج به ، حتى إنك لتستطيع فصل المسائل المنطقية التي وردت في كتاب علل النحو عن المسائل النحوية ، وتقول : هذا منطق الزجاجي ، وهذا نحوه ومن هنا كان منطقه منقولا عن غيره .

حقيقة ظهرت الفلسفة والمنطق بمتزجين في خطبته التي صدر بها الكتاب ، وقد عرضت إلى شيء من ذلك ، ودلت عليه ، ولكنه حين تناول المسائل النحوية لم يستطع أن يزوج ما يعلم من المنطق بما يقول في النحو .

وأرجع بك مرة أخرى إلى الحديث الذي أداره حول حد الاسم مثلا : تراه أقحم الكلام عن الحدود ، وأنها لا يجوز أن تختلف اختلاف تضاد وتنافر ، وأورد تعاريف الفلاسفة للفلسفة ، وقد أحس هو أنه نقل هذا نقلا من الفلاسفة ، واعتذر من ذلك حيث يقول : « وإنما ذكرنا هذه الألفاظ في تحديد الفلسفة <sup>(٢)</sup> الخ ... وكذلك شأنه حين يتفلسف في بقية كتبه التي رأيت ، فقد قرأت له في كتابه المسمى « بأخبار الزجاجي قوله : وإيس بين العلماء فيما ذكرناه في النفي خلاف <sup>(٣)</sup> وكفى المخالف هذا بخروجه بما تشهد الجماعة بصحته دليلا على خطئه ، وانقطاعه ... ثم قال : وقد رتب العلماء للانقطاع مؤلفات وبنوا لها وجوها ، وأخذ يعددها الوجوه يذكر أضرب الانقطاع ويشرح كل ضرب ... فالضرب الأول كذا ، والضرب الثاني ألا تضطرد العلة في المعلول ... والضرب الثالث هو أن يؤول الأمر بمن ينظره إلى أن يعتقد المحال ... والضرب الأخير من الانقطاع أن يرد على الخصم ما لا يعرف وجهه فيقر بالحق <sup>(٤)</sup> .

(١) انظر في هذا الفصل بين الرماني والفارسي

(٢) راجع النص في مكانه من هذا الفصل

(٣) يريد نفي الزمان والمكان الوجود في الأسماء لأن النفي يتصل بذاتها

(٤) أخبار الزجاجي ورقة ٥١

هذا ما يتعلق بمسائل المنطق ، وهو حديث يتصل في أكثره بكتابه الإيضاح في علل النحو ، وقد أشرت إلى ما بينه وبين أبي علي من اختلاف في ذلك . وهناك سمات عامة في كتاب الإيضاح وفي غيره من كتبه . وكانت هذه السمات بعض ما خالفت بينه وبين أبي علي ، والتي من أجلها كذلك — فيما أحسب — أنظقت أبا علي فيه بما قال :

ذلك اختفاء شخصية الزجاجي فيما يتناوله من بحوث . ولا يخدعنا قوله في صدر كتابه الإيضاح عن علل النحو : « أنه لم يعمل على مثال سبقه ، ولم يحتد على نظم تقدمه ، فربما كان ذلك في الشكل لا في المادة ؛ لأنه عاد فقرر بجانب المسائل المنشورة التي ضمها إلى العلل وذلك قوله : منها ما استخرجناه من كتب العلماء ، وبسطناه ، وهذبنا ألفاظه وقربناه ، ومنها ما تلقناه من علمائنا ( رضى الله عنهم ) تلقينا ومشافهة بما لم يودعوه كتبهم ولا يوجد فيها البتة — فوجه الجدة في هذه المسائل ما يقوله هنا من أنها لا توجد في كتبهم ، ومع أنه ألقنها مشافهة — ومنها مسائل جرت بين النحويين ممن سلف في مجالس اجتمعوا فيها ختمنا بهذا الكتاب . . . . .

وقد رأيت حين يورد مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين راوية لا غير ، وناقلا عن الشيوخ السابقين : تراه مثلاً يعقد حديثاً في الفعل والمصدر وأيهما مأخوذ من صاحبه ، فلا ترى ظلاً لشخصيته . . . وكذلك يورد الخلاف بين البصريين والكوفيين في جوار وغواش دون أن يكون له رأى فيها <sup>(١)</sup> . وقد أورد القدر الذي تظهر فيه شخصيته حين سرد احتجاج البصريين والكوفيين في المستحق للإعراب من هذه الأقسام الثلاثة : الأسماء والأفعال والحروف . بين ذلك القدر بقوله :

اعلم أن العلل التي أودعها هذا الكتاب والاحتجاجات هي على ثلاثة أضرب : منها ما كان مسطراً في كتب البصريين والكوفيين بألفاظ مستغلقة صعبة فعبرت عنها بألفاظ قريبة من فهم الناظرين في هذا الكتاب . . . . . فسهلت مراتبها والوقوف عليها . وضرب منها مما استنبطته على أصول القوم ، واخترعته حسب ما رأيت من الكلام ينساق فيه وافيئاس يطرد عليه .

وضرب منها أخذته من علمائنا الذين لقيتهم وقرأت عليهم شفاها عما لم يسطر في كتاب ، ولا يكاد يوجد .

فلو كانت القسمة بالسوية بين هذه الاضرب لكان له نصيب الثلث . . . ولكني وجدت طغيان ما نقله من علمائه ، وقرأه عليهم على الضربين الآخرين .  
ثم بلى ذلك — أو ينضم معه — جهده في تهذيب ألفاظ السابقين ، وذلك قوله :

« وإنما نذكر هذه الأجوبة عن الكوفيين على حسب ما سمعنا مما يحتاج به عنهم من ينهر مذهبهم من المتأخرين ، وعلى حسب ما في كتبهم — إلا أن العبارة عن ذلك بغير ألفاظهم والمعنى واحد ، لأننا لو تكلفنا حكاية ألفاظهم بأعيانها لكان في نقل ذلك مشقة علينا من غير زيادة في الفائدة . بل لعل أكثر ألفاظهم لا يفهمها من لم ينظر في كتبهم ، وكثير من ألفاظهم قد هذبها من يحكى عنه مذهب الكوفيين مثل ابن كيسان ، وابن شقير ، وابن الخياط ، وابن الأنباري ، فنحن إنما نحكى علل الكوفيين على ألفاظ هؤلاء ومن جرى مجراهم مع أنه لازيادة في المعنى عليهم ، ولا يخس حظ يجب لهم <sup>(١)</sup> .

فأين هذا من أبي على الذي يطالعك بأصالة في بحثه ، واستقلال في شخصيته ، وتعقب لشيوعه ، وتعرض لمعاصريه ؟ وأين الزجاجي من أبي على الذي ينشئ الأدلة لإنشاء ، وينشد الشواهد لإنشاداً ، ويفحص ويحص ، ويقيس في مهارة على كلام الشيوخ السابقين . كل هذا يجعل أبا على أمامك واضحاً سامقاً شامخاً ، ويضعه من معاصريه موضع الزعامة ، وينظمه في سلك من قدرت له الإمامة ، وينطقه — في رأيه هو — بملء فيه : « لو سمع الزجاجي كلامنا في النحو لاستحيا أن يتكلم فيه » :

هذه هي المظاهر الكبرى — في كتاب الإيضاح عن علل النحو — للزجاجي ، والتي يتخالف فيها هو وأبو على الفارسي ، وهناك غيرها له أوعاياه في ذلك الكتاب وغيره وستوضع في الميزان عند التعرض لكتابة الجمل وهو موضوع الحديث القادم إن شاء الله .

---

(١) الإيضاح في علل النحو



## مع الزجاجي في كتابه الجمل

الناس يشنون الثناء المستطاب على جمل الزجاجي وهذا لا بد من تعرف الاسباب التي جعلت الناس يقفون هذا الموقف المتغير مع أبي علي ، وقد تحدثت عن طرف من الاسباب العامة التي دفعت أبا علي على أن يقول قوله من أن الزجاجي لم يكن في النحو بذاك ، ولا بد كذلك من أن أستفتي كتاب الجمل كما استفتيت من قبل : الإيضاح في علل النحو ، واللامات والاختبار للزجاجي ، لأصدر في حكومتى عن تصور ، وأرى مصداق قوله أبي علي في معاصره الزجاجي .

أسلوب الزجاجي في الجمل سهل سمح ، لا تعقيد فيه ولا التواء ، ولا أثر للعلل النحوية أو التدليل المنطقي فيه . ومن شواهد هذه النزعة رغبة الزجاجي في تهذيب ألفاظ السابقين وعرضها في ثوب لا يشق على المبتدئين ، ثم رأيناه كذلك يعلل اتجاه بعض الأئمة في تحديد الاسم بأنه أراد تقرب ذلك على الناشئين . هذه النزعة في سماحة التعبير تتصل في رأيي — بناحية أدبية عند الزجاجي ، فقد رأيت في أخباره يروى عن شيوخه أشعار عباس بن الأخنف <sup>(١)</sup> ، وأبي نواس <sup>(٢)</sup> ، وعبد الله بن المعتز <sup>(٣)</sup> ، ويحدث الأخبار الأدبية <sup>(٤)</sup> ، ثم هو متصل بالمراد الأديب يروى عن شيخه الزجاج <sup>(٥)</sup> عنه ، كل ذلك مما ألبس كتاب الجمل ثوباً سمحاً يسيراً فاشتهر عند الناس ورضى عنه المتأدبون .

وآية شهرة كتاب الجمل أن الأنباري قال وهو يقدمه بالحديث عنه : « أنه المشهور في أيدي الناس » <sup>(٦)</sup> ، وكذلك فعل السيوطي حيث قال : « عبد الرحمن بن إسحق أبو القاسم الزجاجي » صاحب الجمل ، <sup>(٧)</sup> ولم يذكر ما يعرفه به سواه .

وربما كان من أسباب شهرة كتاب الجمل تلك الطريقة التي اتبعها صاحبه في تأليفه ، وهذا الجور التعبدى الذي أحاطه به ؛ فقد ألفه بمكة ، وكان إذا فرغ من باب طاف أسبوعاً <sup>(٨)</sup> ، ودعا الله بالمغفرة ، وأن ينفع بكتابه وقرأته <sup>(٩)</sup> . والناس يتلسمون

(١) ورقة ٣٦ (٢) ورقة ٦٤ (٣) ورقة ٣٩

(٤) انظر ورقات ٣٩، ٤٤، ٤٧، ٥٢، ٥٦ وما بعدها

(٥) انظر ورقة ٣٦ (٦) نزعة الألباء ٢٠٤ (٧) بغية الوعاة ٢٩٧

(٨) بغية الوعاة ٢٩٧ (٩) شذرات الذهب ٣٠٧/٢

البركة ، ويرجون الخير مما هو متصل بحسن الطريقة التي تصاحب عملا من الأعمال ، ويتوارث الأخلاف عن الأسلاف هذه العقيدة فيه ، ويندفع الشيوخ المؤدبون ومن ورائهم طلابهم المتلقون عنهم — اندفاعا يشبه أن يكونوا فيه مسحريين . فلعل ذلك بعض السر في إقبال الناس على كتاب الجمل ، واهتمامهم به ، وقد استجاب الله دعوة أبي اسحق ، وبارك له فيما قصد من نية ، وقدم من عمل ، فيحدث ابن خلكان أن كتابه من الكتب المباركة التي لم يشتغل به أحد إلا انتفع به <sup>(١)</sup> ، ويقرر ابن العماد في الشذرات أن المنتفعين به خلق لا يحصون <sup>(٢)</sup> ، ويبدو أن المغاربة أغرتهم تلك النزعة التي سلكها الزجاجي في تأليف كتابه فذاع بينهم ، وألقوا له ولشواهد الشروح الكثيرة حتى بلغت هذه الشروح فيما يقال : د مائة وعشرين شرحا <sup>(٣)</sup> . بعضها لأعلام النحاة <sup>(٤)</sup> .

وقريب من هذا ما قاله الشاطبي في قصيدته إبراز المعاني : لا يقرأ أحد قصيدتي هذه إلا ينفعه الله ( عز وجل ) لأنني نظمتها لله ( تعالى ) مخلصاً <sup>(٥)</sup> .  
وشيء آخر أراه أَرْضَى الناس عن كتاب الجمل ، ذلك لأنه كتاب جامع للقواعد النحوية والصرفية في إيجاز يجدي على المبتدئين والمتبين جميعاً : يعطيك القاعدة العامة في جمل بعيدة عن تأويلات المتأولين ، وفي أسلوب سهل لا ترى فيه عوجاً ولا أمناً من تعقيدات المعقدين ، وتفرعات النحاة والتجوزات المشهورة عنهم في المسألة الواحدة حتى لتخفى الضوابط ، وتنشعب المسالك .

ويظهر أنه قصد قصداً إلى التيسير على شدة العربية ، فسمى كتابه د الجمل . وفي تلك التسمية إيجاء بالاختصار والتركيز معا . جاء في العسكريات لأبي علي بعد أن أورد أحكاماً مختصرة في الحروف : وهذه جمل وسفتبع ذلك زيادات في كتاب آخر إن شاء الله <sup>(٦)</sup> . والزجاجي كذلك حين يتصفح كتابه ، فتراه يصدر الأبواب بهذه القواعد المركزة المختصرة المجعلة وبقوله د واعلم ، وهي عبارة تلقاك في أغلب الأبواب بل تكاد تتكرر في كل باب ، ويتبعها جمل ضابطة للقواعد في استيعاب

(١) وفيات الأعيان ٣١٧/٢ (٢) شذرات الذهب ٣٥٧/٢

(٣) شذرات الذهب ٣٥٧/٢

(٤) كالأعلم الشنتمري (ت ٣٥١هـ) وابن بابشاذ (ت ٤٦٩هـ) وابن الحشاش (ت ٥٦٧هـ)

وابن عصفور (ت ٦٦٩هـ) وابن هشام (ت ٧٦١هـ) انظر فهرس المخطوطات المصورة ٣٩٦

(٥) نفع الطيب ٣٣٤/١ (٦) العسكريات لوحة رقم ١٣٢

يدعو غالبا إلى تفهمها ، ويطلب منك القياس عليها . وأسوق بعض الأمثلة لهذه الضوابط دليلا على ما أقول :

( أ ) « واعلم أن الاسماء كلها تؤكد إلا النكرات ، فإنها لا تؤكد — لو قلت : « قام رجل نفسه ، أوقبضت درهما كله وما أشبهه لم يجوز (١) » . فإذا أردت أن تتعرف الآراء المختلفة في هذه المسألة فاقرا كتاب اللمع (٢) .

( ب ) « واعلم أن لام الاستغاثة بدل من الزيادة التي تلحق آخر المنادى نحو قولك يا زيداه ، يا بكراه ، فلا تجمع بينهما : لا يقال يا لزيداه ، فتجمع بين اللام والزيادة (٣) .

وأحيانا يعطيك القاعدة في كليات كأن يقول :

« كل منادى في كلام العرب منصوب إلا المفرد العلم ، فإنك تبنيه على الضم وهو في موضع نصب (٤) » .

وتقريبا لهذه القواعد نراه يسوق الأمثلة المتعددة في كثرة جعلت ابن خلكان يعيب ذلك عليه قوله . « وهو — أى الجمل — كتاب نافع لو لا طوله بكثرة الأمثلة (٥) » .

وأخالف ابن خلكان في ذلك ، فقد وضع الجمل للمتعلمين المبتدئين كما بينت ، وهؤلاء تنفهم القاعدة الضابطة الجملة ، والأمثلة الموضحة المتعددة ، فهذه أشبه بالتماذج التطبيقية التي يقوم بها المعلمون المتخصصون في فن التدريس من أهل هذا الزمان .

وأنت ترى معنى أن مثل القاعدة التي يقول فيها الزجاجي : « اجعل أول كلامك لمن تسأل عنه وآخره لمن تخاطبه » ، في حاجة إلى أمثلة موضحة ، ولو تركها من غير تمثيل للحالات المختلفة لكان الإبهام الذي لا يرتضيه ، ومن هنا أخذ الزجاجي يسوق الأمثلة لسؤال رجل عن رجل ، ورجل عن رجلين ، ورجل عن رجال . ثم سؤال رجلين عن رجلين . ورجل عن امرأة ، وامرأتين عن نساء ، وسؤال امرأة عن رجل ، وعن رجلين ، وعن رجال .

(١) باب التوكيد

(٢) باب التوكيد ١٢٤/٢

(٣) باب الاستغاثة

(٤) باب المنادى

(٥) وفيات الأعيان ٣١٧/٢

وسؤال رجال عن امرأة ورجلين عن امرأة . ونساء عن رجال وعن نساء .  
على أنى رأيته يكتبنى بذكر مثال موضح يدير عليه الباب ، ويستغنى بذكره عن  
التكرار ويسلك سبيل المؤدبين فى الشرح والتشيل ، كما قال : « واعلم أنه لا يجوز  
تقديم شىء من صلة المصدر عليه مضافا كان أو غير مضاف ، وذلك قولك : «عجبت من  
أكل زيد طعامك يوم الجمعة عند أخيك متكئا أكلا شديدا » لا يجوز تقديم شىء  
من هذا على المصدر ، لأنه فى صلة . فلو قلت : «عجبت طعامك من أكل زيد ،  
أو «عجبت أكلا شديدا من أكل زيد طعامك ، وكذلك ما أشبهه لم يحز . ولكن  
إن جعلت متكئا حالا منك جاز تقديمه ، فنقول . «عجبت متكئا من أكل زيد  
طعامك يوم الجمعة عند أخيك أكلا شديدا . وإن أردت أن الأكل وقع فى يوم  
الجمعة عند أخيك لم يحز تقديم يوم الجمعة عليه . وأردت أن الإعجاب منك وقع فى يوم  
الجمعة جاز تقديمه . فهذه المسألة توضح لك هذا الباب وتبينه إن شاء الله فقس عليه .

\* \* \*

والزجاجى بعد ذلك أراد أن يوثق كتابه وقواعده ، فساق الشواهد العربية  
الخالصة من كلام ( الله تعالى ) وشعراء العرب الذين يحتج بأشعارهم من الجاهليين  
والإسلاميين . وكنت أود أن أقيم موازنة بين شواهد وشواهد الكتاب ، وأبين  
هل استقل بشواهد غير التى أوردها سيبويه ؟ ولكنى وجدت أن شيئا من ذلك  
يبعدنى عن القصد الذى عقدت من أجله هذا الفصل ، إذ كانت هذه الموازنة لاتصل  
به من قريب .

وبما يتصل بمنهجه الذى أراد أن ييسر به على المتعلمين أنه عقد أبوابا خاصة  
بالرسم <sup>(١)</sup> ، وأخرى خاصة باللغة كباب ما يؤث من جسم الإنسان مثلا .  
وليست هذه الأبواب وثيقة الصلة بالنحو ، إلا أنها متصلة بالمقصد الذى من  
أجله وضع الكتاب كما استنتجت — وهو أن يسد حاجة المبتدئين . كاتبين أو متحدثين  
وقد أدرك ذلك السيوطى فقال فى كتابه اللمع : « وعلم الخط — وبقال له الهجاء —  
ليس من علم النحو ، وإنما ذكره النحويون فى كتبهم لضرورة ما يحتاج إليه المبتدئ  
فى لفظه وفى كتبه <sup>(٢)</sup> . . . »

أما الأبواب الصرفية التى جعلها آخر كتابه فقد جرى فيها على سنة النحويين

منذ سيويه ومن أتى بعده ، ذلك لأن التصريف كما يقول ابن جني : « وسيطة بين النحو واللغة يتجاذبان » ، والاشتقاق أقعد في اللغة من التصريف ، كما أن التصريف أقرب إلى النحو من الاشتقاق ، وبذلك على ذلك أنك لا تكاد تجد كتاباً في النحو إلا والتصريف في آخره ، والاشتقاق إنما يمر بك في كتب النحو منه ألفاظ مشردة لا يكاد يعقد لها باب (١) .

وبعد : فيبدو أن لزجاجي في الجمل نظر إلى أني عمر صالح بن اسحق الجرمي (٢) (ت ٢٢٥ هـ) في « المختصر في النحو » ، فقد قالوا عن الجرمي : « أنه ألف كتابه بمكة ، وكان كلما صنف باباً صلى ركعتين بالمقام ودعا بأن ينفع به ويبارك فيه » (٣) ، وقد عرفنا الجو التعبدى الذى أحاط به الزجاجي كتابه الجمل ، تماماً على الذى فعل الجرمي من قبل !! فهل كان الزجاجي ينظم عمله في سلك الجرمي ١٩ ، وهل كان يبنى من وراء كتابه الجمل شهرة ونفعاً تصلان إلى درجة المختصر ٢٩ ، أما المختصر فقد ظفر من أبي على الفارسي نفسه بتقدير منصف حين قال فيه : « قل من اشتغل بمختصر الجرمي إلا صارت له بالنحو صناعة » (٤) .

وأما الجمل فقد ظفر كذلك بتقدير الناس على النحو الذى بينت ، ولكن نحو الزجاجي وفيه « الجمل » لا يرضى عنه الفارسي ، فيقول فيه ما قال .  
ولمى جانب الأسباب التى ذكرتها سابقاً ، والتى خالفت بين الرجلين ، فى كتاب الإيضاح عن علل النحو — أذكر هنا أسباباً أخرى تنظم منهج الزجاجي بعامة ، ثم أتبعها بأجمال الأسباب جملة ، ثم أختم هذا الفصل بتقويم لنحو الزجاجي أرجو أن أكون منصفاً فيه .

تعرض أبى على للزجاجي بما تعرض به ضرب من تعرضه لمن هم فى طبقته من أعلام النحاة ، وأبو على لم يتعرض لمن هم فى طبقته حسب ، بل تجاوزهم إلى الشيوخ ثم كان تعرض أبى على للزجاجي أثراً من آثار ملازمته للزجاج ، فقد ذكرت من الأسباب التى من أجلها تمقّب أبو على الزجاج أنه لازم المبرد ، وكان وفيّاً له أيما وفاء (٥) ، ويرد الزجاج على ثعلب خصيم المبرد — فيكون له « الرد على ثعلب فى الفصيح » (٦) . ومعروف أن المبرد قهض على سيويه ، وأبو على ينظر إلى سيويه

(٢) نزهة الألباء ١٠٢

(٤) نزهة الألباء ١٠١

(٦) نزهة الألباء ١٦٦

(١) المنصف ص ٤

(٣) نزهة الألباء ١٠١

(٥) الفهرست ٩٣

نظرة الإمام الذى لا يدافع ، ويعتز به وبآرائه اعتزازاً ، ومن هنا توارث تلاميذ المبرد اللاندون به سخط أبى على ، كما توارث تلاميذ أبى على دفع ما نقض المبرد على سيويه ، فهذا تلميذ أبى على الأول : ابن جنى ، يصف المبرد بالمغالطة والوهم فى تعقبه سيويه ، ويرد ما يعقب أبو العباس المبرد على قوله — أى سيويه : أن أصل اسطاع — أطاع ... فيقول ابن جنى : « وقد ذهب عن أبى العباس ما فى قول سيويه هذا من الصحة ، فإما غلط وهى من عادته معه ، ولما وهم فى رأيه هذا ... ثم أخذ يدلل على صحة قول سيويه <sup>(١)</sup> .

وإذن فقد ورث الزجاجى سخط أبى على ، اصلته بالزجاج الوفى للمبرد المتعقب لسيويه .

هذا سبب أراه من الأسباب الداعية لأن يضع أبو على من قدر الزجاجى ... والزجاجى فى كتبه يوقر المبرد <sup>(٢)</sup> ، ويحدث أخباره ، وينتصر له ، فبعد أن أورد ما ذكره الأئمة النحاة فى الحدود المختلفة للاسم ، وفسدها واحداً واحداً : فسد تحديد الأخفش : سعيد بن مسعدة كما فسد تحديد كل من أبى بكر بن السراج ، وأبى الحسن بن كيسان . ثم ذكر حد أبى العباس المبرد ، ووقف طويلاً عنده ، وفسر غرضه من ذلك التحديد ، وبين أن ابن السراج أخذ من المبرد تحديده ، وذكر ما يعترض به على المبرد ، ورد على المعارضين ، ثم انتصر أخيراً له . وقد بدا لى كذلك أن الزجاجى لم يلحقه من أبى على لأنه معاصر من طبقته ، ولأنه تلميذ موال للزجاج ، ولأنه ينتصر للمبرد ... حسب ، بل لأنه لى ذلك قد هاجم سيويه ، ورأى رأى المخطئين له ، ولم يدفع عنه ، ووصف قوله بأنه خارج عن إجماع النحاة البصريين والكوفيين جميعاً :

قال الزجاجى فى الوجه الحادى عشر من وجوه الصفة المشبهة : « أجازه سيويه وحده وهو قولك : مررت برجل حسن وجهه بإضافة حسن إلى الوجه ، وإضافة الوجه إلى المضمير العائد على الرجل ، وخالفه جميع الناس فى ذلك من البصريين والكوفيين وقالوا : « هو خطأ لأنه أضاف الشيء إلى نفسه ، وهو كما قالوا فافهم <sup>(٣)</sup> .

وإذا كان مجرد ملازمة الزجاجى للزجاج قد أورثته حق أبى على - لما ذكرت - فكيف الأمر والزجاجى يهاجم سيويه هذه المهاجمة السافرة ، وبئيه عليها فى عنف

(١) سر الصناعة ٢١١ -

(٢) انظر أخبار الزجاجى ورقة ٥١ (٣) الجمل للزجاجى الصفة المشبهة

بآخر العبارة حيث قال : « وهو كما قالوا فافهم » .

ولن يعنى الزجاجى من تعرض أبى على له بعد ذلك — أنه لا يلتزم الهجوم على سيبويه ، فالزجاجى فى الحقيقة أميل — إلى تقدير سيبويه حق قدره من الإعظام — ينظر إليه فى إنصاف من غير أن يتحامل . ويتجلى ذلك إذ يقول : ونختم الكتاب : « كتاب الإيضاح عن علل النحو ، بمذهب سيبويه »<sup>(١)</sup> وما احتج به وماله ، وما عليه لأنه عدنا هو الصواب دون غيره إن شاء الله .

وقد رأينا موقف الزجاجى فى الإيضاح وتبصيره أصحاب سيبويه وتوجيههم إلى الاعتقاد بما جاء فى كتابه عن طريق التدليل المنطقى لا عن طريق التلقين . وإذا كان أبو على الفارسى من أصحاب سيبويه ، فإنه يستكثر ، أنفة ، وحمية ، وعصبية — أن يبصره أمثال الزجاجى بعبارات سيبويه ويدله على صحتها ، والفارسى هو من هو فى سبر أغوار الكتاب ، والفصوص البعيد فى أعماقه .

\* \* \*

وإذ كان الزجاجى قد التزم المنطق على النحو الذى فصلت فى كتابه ، « الإيضاح فى علل النحو » ، وبيئت منهجه الذى لا يرضى أباً على ، فإن الزجاجى قد ترك المنطق جملة فى كتابه الجمل ، فقد أدخل هذا الكتاب من المنطق ، ومسائله ، وأقيسته ، وقضاياه ، وبراهينه ، وتعليله ، وتدليله خلوا يكاد يكون تاماً . ونحو الفارسى ملئ بهذه المسائل كما تبين .

ولإذن فأبو على يستقل نحو الزجاجى إذا اتصل به عن أية حال كان هذا النحو متصلاً بالمنطق أو بعيداً عنه .

وأود أن أقرر أن أباً على الفارسى يقترب من الزجاجى منهجاً وبعداً عن المنطق فى كتابه الإيضاح ، فهو قريب الشبه من كتاب الزجاجى فى خلوه من التعليقات الفلسفية ، والتدليلات المنطقية

وطريقة أبى على إذا ما احتفل بالموضوع : أن يغمره تدليلاً ، وتقريعاً ، وتعليلاً ، ومنطقاً ، وتقصيماً ، والنحو الذى يرضيه هو ما كان على هذا النحو . وإذا قد خلا نحو الزجاجى من المنطق على النهج الذى يلتزمه الفارسى — فهو لاشك — يرى أن الزجاجى فى نحوه لا يسير فى تياره ، ولا يجرى فى مضماره .

\* \* \*

---

(١) فى الألف والياء والواو والثنائية والجمع لإعراب مى أم حروف

وبعد : فالانصاف يلزمنى ألا أجرى وراء الفارسي؛ فأرى رأيه في نحو الزجاجي فنحن لا نزن النحو بموازين الفارسي حسب ، ولا ندور في فلسفه : محباً لبعض معاصريه والمتقدمين عليه ، أوكارها لبعض هؤلاء وهؤلاء . نعم ! ينبغي ألا نضع من نحو الزجاجي لأنه لم يلتزم المنطق ، أو التزمه على نحو يتخالف فيه هو وأبو على بل عندى أن البعد عن المنطق : تعليلاته الجدلية منها بخاصة ، مما يرفع النحو درجات ولا يضع من الزجاجي أنه هاجم حيناً سيبويه ، ووفى للبرد . أنا اعترف بأن منزلة الزجاجي دون منزلة الفارسي في النحو والثقافة العربية على وجه عام ، فالفارسي له زعامة وإمامة لم يصل إليهما الزجاجي وأناى له ذاك ؟! ، والفارسي كذلك له طريقته المستوعبة المتقصية في تناول مسائل النحو في شخصية طاغية ظاهرة ، ولكنى مع ذلك لا أهبط بنحو الزجاجي إلى الدركة التى هبط به أبو على إليها حتى رماه بالخزى والاستحياء لو تكلم في النحو على نحو من الأنحاء .

نحو الزجاجي في الإيضاح يمثل طوراً هاماً من نشاط النحويين حول عبارات كتاب سيبويه ، من حيث تفسيرها ، وإدارة الجدل حولها ، وإثارة المناقشات كذلك . كما أن نحوه في هذا الكتاب وكتاب اللامات ، والأخبار — يمثل طرفاً من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، واحتجاج كل فريق مع توثيق ذلك بالأسانيد . مما يعد بذرة للأنبارى في الإنصاف ، والعكبرى في التبيين . وعلى الدارسين الذين يريدون تأريخ هذا الخلاف ألا ينسوا هذه الحلقة الهامة التى صنعها الزجاجي في سلسلة هذا التطور في الاحتجاج .

كما يمثل هذا الكتاب صلة المسائل النحوية بالمسائل المنطقية من تعليل وتحديد وبرهان ، بل صلة المناطقة أنفسهم بالنحاة ، وتعرض الأولين للآخرين بالنقض والطنن والتخطئة ( انظر ما قاله في تحديد الاسم ) في كتابه الايضاح .

ثم هو يمثل طرفاً من أصول النحو ألقى بها في غصون كتبه هنا وهناك . أيقن لنا أن ننسك قيمة نحوه التاريخية بعد ذاك ؟

ولست أدري مبعث هذا الأحساس الرضى الذى أجده في نفسى عند ما أقرأ كتاب الجمل ، وهو إحساس أجده في الكتب التى ألفها أصحابها وهم لله مخلصون . هل استجاب الله دعاء الرجل حقاً عند البيت الحرام فنفخ بكتابه الناس ؟ أو لأن أسلوبه فيه سهل سمح خال من التعقيد والتفريع فيعطيك الباب في كل باب ؟ أو لأنه في جمعه مسائل النحو مجد على المبتدئين والمنتهين أجمعين ، قد يكون هذا أو بعضه ، ولكن الزجاجي على كل حال له مكانة عندى وعند الناس ولا سيما المغاربة ، مما يجعلنى أخالف رأى الفارسي فيه ، فأنى قوله ولا أرتضيه .



# الباب السابع

## مدى تأثير الخلفين بنحو أبي على

### الفصل الأول

#### أثر أبي على في أصول النحو

تأثر ابن جني في كتابه الخصائص بأبي على

بينت فيما سبق مقدار ما تأثر ابن جني بشيخه في الاحتجاج للقراءات ، واتخذت كتاب المحتسب مادة لبيان هذا التأثير ومداه .

والآن أنعرف آثار أبي على عند ابن جني في أصول النحو ، وقد أودعها أبو الفتح كتابه الخصائص . وبتناول أثر أبي على ، وتأثر ابن جني به في ذلك الكتاب تتم الصورة التي أبتغي رسم خطوطها في هذا البحث إذا كان من موضوعه ، أثر أبي على في القراءات والنحو ، .

\* \* \*

ابن جني في كتاب الخصائص يحتفل بأبي على : يثنى عليه ، ويدل على مواطن البراعة عنده ، « فما كان أقوى قياسه ، وأشهد بهذا العلم اللطيف الشريف أنسه ، فكأنه كان مخلوقاً له ... » (١)

وتراه يقرأ تفسيره (٢) ويصوبه (٣) ، ويعجب بما يعقد من معان (٤) ، ويجريه على أحكام الصناعة (٥) ، ويثنى ثناء على نزعة الشيخ في القياس حتى أنه قال : « إن

(٢) المصدر السابق ٣٤٧/١

(١) الخصائص ٢٨٤/١

(٥) نفس المصدر ٤٠٩/١

(٤) ٣٦٠/١

(٣) قس المصدر ٣١٨/١

مسألة واحدة في القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس<sup>(١)</sup> . ومرة واحدة رأيته يصف فيها الشيخ بالتعسف<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

وقد كان هناك تفاعل بين ابن جنى والشيخ ، يقوى هذا التفاعل عند أحدهما حين يضعف عند الآخر وقد يكون منهما في طبقة واحدة .

ا — فابن جنى يتلقى عن الشيخ وذلك في الغالب الأعم .

ب — وأحياناً يتبادل معه البحث ويخوضان معاً فيه .

ج — وقليل ما كان الشيخ يتلقى من ابن جنى ، فيتأثر بتليذه تأثراً إيجابياً حتى يسجل الشيخ قول التليذ .

وسأضرب المثل لكل حال من أحوال التفاعل فيما يأتي من حديث :

ففي ( ا ) نرى ابن جنى يقول مثلاً : سألت أبا علي ( رحمه الله<sup>(٣)</sup> ) ، أو أنشدنا أبو علي<sup>(٤)</sup> أو حدثني<sup>(٥)</sup> ، أو كذا عهد إلى أبو علي ( رحمه الله<sup>(٦)</sup> ) أو يقول : وهو رأى أبي علي ( رحمه الله ) وعنه أخذته لفظاً ومراجعة وبحسناً<sup>(٧)</sup> .

\* \* \*

وفي كتاب الخصائص ما يدل دلالة واضحة على تأثر ابن جنى بأبي علي في أصول اللغة والنحو ، وجاء ذلك التأثير مظهراً لتلقى ابن جنى عن شيخه ، فابن جنى ينقل رأى أبي علي في أصول اللغة : أتلهاً هي أم لإصلاح ؟ ويناقش هذا الرأي<sup>(٨)</sup> ثم يعود إليه في باب أفي وقت واحد وضعت أم تلاحق تابع منها بفارط<sup>(٩)</sup> .

وهناك أصول كررها أبو علي في مختلف كتبه ، فبني ابن جنى عليها ، وأفاض الحديث عنها ، وشقق المقال فيها من ذلك مثلاً .

أولاً : جامع الإغفال لأبي علي ما نصه : د ولزوم الظاهر أحب إلينا<sup>(١٠)</sup>

(٢) ٣٢٢/١

(١) الخصائص ٤٨٢/١

(٣) ٥٠١، ٤١٧، ٣٩٤، ٣٩٠/١ (٤) ٥٦٣، ٤٣٤/١ (٥) ٧/١

(٦) ٤٢٠/١ (٧) ١٢٦/١ (٨) انظر الخصائص ٣٩/١ (٩) انظر ٤٢٩/١

(١٠) انظر الاغفال : ٥٢ تيمور تفسير : ٣٩٨

فما كان من ابن جنى إلا أن عقد باباً ، في الحمل على الظاهر ، وإن أمكن أن يكون المراد غيره<sup>(١)</sup> ، وأورد في هذا الباب ما نصه .

وذكر محمد بن الحسن ( أروى ) في باب ( ع ر و ) فقلت لأبي على من أين له أن اللام واو ؟ وما يؤمنه أن تكون ياء فتكون من باب التقوى ، والرعى ، فجئنا إلى مانحن عليه من الأخذ بالظاهر ، وهو القول ، فأعرف بما ذكرته قوة اعتقاد العرب في الحمل على الظاهر ما لم يمنع منه مانع<sup>(٢)</sup> .

وثانياً : في الشيرازيات رأيت أبا على ينص على أن العرب قد يحرون الشيء بحرى النظر<sup>(٣)</sup> ، فيأتى ابن جنى ويعقد باباً لذلك الأصل اللغوى ، أسماء ، عدم النظر ، وقرر فيه أنه إذا دل الدليل فإنه لا يجب إيجاد النظر . . . فأما إن لم يقم دليل فإليك محتاج إلى إيجاد النظر<sup>(٤)</sup> .

ويتحدث أبو على عن الاعتراض في كل من الشيرازيات<sup>(٥)</sup> ، والحلييات<sup>(٦)</sup> وذلك قوله : « وليس في الاعتراضات التى يفصل بها بين الأشياء المتصلة اعتراض بجملتين إنما الذى يفصل به فى نحو ذا جملة واحدة يكون فيها تسديد للتصلين اللذين يقع الفصل بينهما كالصفة لهما ، واستشهد بالقرآن الكريم : والشعر العربى ، ومنشور الكلام . وأورد البيت فى الشيرازيات :

وقد أدركنى - والحوادث جمّة - أسنة قوم لاضعاف ولا عزل<sup>(٧)</sup>  
كما أورد الآيات الآتية فى الحلييات :

ألا هل أناها - والحوادث جمّة - أسنة قوم لاضعاف ولا عزل

\* \* \*

وبدلت - والدهر ذو تبدل - هيفاً دبوراً بالصبا والشمال

\* \* \*

كان - وقد أتى حول جريم - أثافيا حمامات مشول<sup>(٨)</sup>

(١) الخصائص ٢٦١/١ (٢) ٢٦٤/ (٣) انظر لوحة ٣٤ من الشيرازيات

(٤) الخصائص ٢٠٣-٢٠٤ (٥) لوحة ٥١٠ (٦) ١٠٠

(٧) الشيرازيات ٥١ (٨) الحلييات ١٠٥

فلا يفوت ابن جنى أن يعقد في كتاب الخصائص باباً في الاعتراض ، يقرر فيه أن هذا القليل من هذا العلم كثير ، قد جاء في القرآن ، وفصيح الشعر ، ومنثور الكلام وينشد البيت الذي أنشده أبو علي في الشيرازيات : ألا هل أتاها ... ويذكره ذلك بيت امرئ القيس الذي ترد فيه جملة ( والحوادث جمة ) وهو :

ألا هل أتاها - والحوادث جمة      بأن امرأ القيس بن تملك يبقرا  
وبيت آخر هو :

ألا هل أتاها - والحوادث كالحصا .

ثم يورد الأبيات التي أوردها أبو علي في الحلييات ، ويلق على ما أنشده أبو علي .

د كان وقد أتى حول جديد<sup>(١)</sup> ،

ويرى ما يخالف فيه رأى الشيخ بأن ليس هناك اعتراض في البيت .

\* \* \*

وثالثاً : ويعقد أبو علي حديثاً في العسكريات يورد فيه تقسيم أبي بكر للكلام من حيث الاطراد والشذوذ ثم يستقل بعد ذلك بما يظهر شخصيته ، فيشعب ، ويمثل ، ويستطرد ، ويفرع<sup>(٢)</sup> ، ويأتى ابن جنى فيتحدث كذلك عن أضرب الكلام في الاطراد والشذوذ فيركز ويحصر ويجمع ويعزز في غضون حديثه — نظرية تقديم السماع على القياس ، وهي التي ردها أبو علي في مواطن مختلفة من كتبه<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

ورابعاً : ويقول أبو علي في الحجة : د فأما ما انفرد به ورش في روايته عن نافع من أن الهاء مكسورة والميم موقوفة إلا أن تلقى الميم ألف أصلية مثل سواء عليهم أأنذرتهم أو لم تنذرهم — فالقياس فيها إذا لقيت الألف الأصلية ، وإذا لقيت غيرها سواء وكأنه أحب الأخذ باللغتين مثل لا يأتكم ولا يلتكم<sup>(٤)</sup> .

(١) رواية الخصائص (جديد) ورواية الحلييات جريم انظر الخصائص ٣٣٩/١ - ٣٤٠

(٢) انظر العسكريات لوحة ١٣٤ وما بعدها (٣) انظر مثلاً الحلييات ه نحوش ٥٢

(٤) الحجة ١/٧٠

كما ضرب أبو على مثلاً للأخذ باللغتين بما روى عن نافع من قراءته مرة عليهم وأخرى عليهم<sup>(١)</sup>

ويقول ابن جنى فى الخصائص : باب اختلاف اللغات وكلها حجة : اعلم أن سعة القياس تبيح لهم ذلك ولا تحظره عليهم ، ألا ترى أن لغة التميميين فى ترك إعمال ( ما ) يقبلها القياس ولغة الحجازيين فى إعمالها كذلك ، لأن لكل واحد من القومين ضرباً من القياس يؤخذ به ، ويخلد إلى مثله ، وليس لك أن ترد لإحدى اللغتين بصاحبها ، لأنها ليست أحق بذلك من رسلتها ، لكن غاية مالك فى ذلك أن تمنح أحدهما فتقويها على أخذها ، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها ، وأشد أنسا بها فأما رد أحدهما بالآخر فلا<sup>(٢)</sup>

وهذا الكلام فى مضمونه وخواه يلتقى مع الكلام الذى قاله الشيخ وما رآه . وإلى جانب هذه المقابلات التى بينت فيها تأثر ابن جنى بأبى على هذا التأثر الظاهر فى الأصول اللغوية والنحوية ، رأيت فى خلال الأبواب المختلفة من كتاب الخصائص اعتماده كذلك على الشيخ فى تقريرها ومن هذه الأبواب .

- ١ — نقص المراتب إذا عرض هناك عارض<sup>(٣)</sup>
- ٢ — تلاقى اللغة ، وإنه ليصدر هذا الباب بقوله : د هذا موضع لم أسمع فيه لأحد شيئاً إلا لآبى على ( رحمه الله )<sup>(٤)</sup>
- ٣ — الاصلان يتقاربان فى التركيب بالتقديم والتأخير<sup>(٥)</sup>
- ٤ — تلاقى المعانى لاختلاف الأصول والمعانى<sup>(٦)</sup>
- ٥ — الاشتقاق الأكبر ، ويعترف فى صدر هذا الباب أن أباً على كان يستعين به ، ويخلد إليه . . . .<sup>(٧)</sup>
- ٦ — مشابهة معانى الإعراب معانى الشعر ، ويذكر فى مطلع الكلام أن أباعلى نبه من هذا الموضوع على أغراض حسنة<sup>(٨)</sup> .

(١) الحجة ١٠٩/١ بلدية	(٢) الخصائص ٤١٠/١
(٣) الخصائص ٣٠١/١-٣٠٢	(٤) نفس المصدر ٣٢٦/١
(٥) الخصائص ٤٦٧/١-٤٦٨	(٦) الخصائص ٥٠٧/١-٥٠٨
(٧) الخصائص ٥٢٥/١	(٨) انظر الخصائص ٥٦٠/١-٥٦٩

فهذه أمثلة توضح الحال الأولى من حالات التفاعل بين الرجلين ، وهي تلقى ابن جنى من الشيخ . وانتقل بعد ذلك إلى تجلية الحال الثانية التي فيها .

( ب ) يتبادل معه البحث ، ويخوضان معاً فيه : وذلك حيث يقول ابن جنى :

« دخلت يوماً على أبي علي ( رحمه الله ) خالياً في آخر النهار فحين رآني قال لي : « أين أنت ؟ أنا أطلبك ! قلت : « وما ذلك ؟ قال : « ما تقول فيما جاء عنهم من « حوريت ، فخصنا معاً فيه فلم نحل بطائل منه ، فقال : « هو من لغة اليمن ، وخالف اللغة ابني نزار ، فلا ينكر أن يجيء مخالفاً لأمثلهم (١) » .

وأخرى حيث يقول : وسألت أبا علي ( رحمه الله ) عن قوله :  
أبيت أسرى ، وتبيتى تدلّكي وجهك بالعنبر والمسك الذكي  
فخصنا فيه ، واستقر الأمر فيه أنه حذف النون من تبيتين كما حذف الحركة للضرورة في قوله :

« فاليوم أشرب غير مستحقب ،  
كذا وجهته معه ، فقال لي : « فكيف تصنع بقوله : تدلّكي ، قلت : نجعله بدلا من « تبيتى ، أو حالا ، فنحذف النون كما حذفها من الأولى في الموضعين ، فاطمأن الأمر على هذا (٢) .

وقد يكون شيء من ذلك من قبيل الدربة يلقي بها الشيخ على تلميذه ، لكن نص ابن جنى على أنه هو وشيخه تشاركا في هذا الأمر يميل بي عن ذلك التقدير إلى القول بأن ذلك من قبيل تبادل الحديث ، والخوض معاً ، وإلقاء كل منهما بطرف فيه ابتغاء الوصول معاً إلى الجواب .

ومن دلائل الحال الثالثة وهي قليلة حيث يتلقى الشيخ من ابن جنى ويتقبل ما يراه ، ما يطمئن إليه ويرضاه (٣) حتى ليسجله في تعاليقه — ما جاء في الخصائص : قلت مرة لأبي علي ( رحمه الله ) : قد حضرني شيء في علة الاتباع في ( نقيذ ) وإن عرى . وأن تكون عينه حلقية ، وهو قرب القاف من الخاء والغين فكما جاء عنهم التجير والرغيف ، كذلك جاء عنهم « النقيذ » ، فجاز أن يشبه القاف لقربها من الحلق بها ، كما شبه من أخفى النون عند الخاء والغين أيهما بحروف الفم فالنقيذ في الاتباع كالمنخل والمنغل فيمن أخفى النون ، فرضيه وقبّله ، ثم رأيت وقد أثبتته فيما بعد بخطه في تذكرته (٤) .

(٢) الخصائص ٣٩٤/١

(٤) نفس المصدر ٣٧١/١

(١) الخصائص ٣٩٢/١

(٣) المصدر السابق ١٢٩/١

وإن كانت عبارة : « فرضيه وتقبله ، توحى بأن التليذ يعرض لا ليتلقى الشيخ عنه ، بل ليعرض عليه أو ينفيه — لكن قول ابن جنى بعد ذلك « ثم رأيته وقد أثبتته ... » يدل على حال التلقى من الشيخ — وتلك الحال قليلة نادرة على وجه العموم . ولا يقدر ذلك في مكانة أبي علي ، بل أرى أن ذلك مما يعلى قدره ، إذ كان دليلاً على رغبته في العلم وحرصه منه ، وإقبال عليه .

\* \* \*

وابن جنى كأستاذ يحتاج بالحديث الشريف في المعنى اللغوي ، وتقرير الأصول وشرح مذاهب العرب في كلامها : استشهد في باب القول على اللغة وما هي : بقول الرسول « من قال في الجمعة صه فقد لغا ، وفسر لغا بتكلم <sup>(١)</sup> . وفي تقرير ماذهب إليه من أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض مانسبناه إليها ، وحلناه عليها قال : « ومن ذلك ما يروى عن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) أن قوماً من العرب أتوه فقال لهم من أنتم ؟ فقالوا : « نحن بنو غيان ، فقال : « بل أنتم بنو رشدان » . فهل هذا إلا كقول أهل الصناعة أن الألف والنون زائدتان ، وإن كان ( عليه السلام ) لم يتفوه بذلك ، غير أن اشتقاقه إياه من الفى بمنزلة قولنا نحن : « ان الألف والنون فيه زائدتان ، وهذا واضح <sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

وما يتفق فيه ابن جنى ويتأثر شيخه فيه : اصطناعه أساليب أبي علي عند البرهان والتدليل : فهو يورد الاعتراض ويرده <sup>(٣)</sup> ، ويفترض الأسئلة ويجيبها <sup>(٤)</sup> ، ويبدأ بما أسمىته عند أبي علي — بالتدليل المؤسس ، ثم يتبعه الدليل المؤكد المقوى <sup>(٥)</sup> ، ويقول بالأولى والأجدر <sup>(٦)</sup> ، ويسلك سبيل المناطقة — كما يسلك أستاذه سبيلهم — في اتخاذ أساليبهم فيظهر عنده القياس الاستثنائي <sup>(٧)</sup> ويذكر العموم والخصوص الوجهي <sup>(٨)</sup> ؛ ويقسم التقسيم المنطقي <sup>(٩)</sup> ؛ وينظر ويقايس <sup>(١٠)</sup> ؛ ويغرم غراماً شديداً بذلك حتى أنه يقول : إن مسألة واحدة من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عند

(١) الخصائص ٣٢/١ وانظر ص ٩، ١٣ (٢) الخصائص ٢٦٠/١

(٣) نفس المصدر ٢٤/١ (٤) الخصائص ٢٠٩، ١٠٩/١

(٥) انظر الخصائص ٢٥/١ (٦) انظر ٢٧٩، ١٢٧، ١١٧/١

(٧) انظر ٣٣٦/١ (٨) انظر ١٥/١ (٩) انظر ٣٢٩/١

(١٠) انظر ١١٣، ١١٢/١

عيون الناس<sup>(١)</sup> ، ويهدم القياس بما بين المقيس والمقيس عليه من فارق<sup>(٢)</sup> ، وأوضح البراهين عنده ما كان ملحقاً بالبراهين الهندسية<sup>(٣)</sup> : يذكر المقدمات التي تنتهى به إلى نتيجة يصدرها بقوله : فقد ثبت كذا وكذا<sup>(٤)</sup> . وما أشبه ذلك بالاستنتاج الذى يعقب خطوات البرهان على النظريات الهندسية .

\* \* \*

كذلك بما يقفون فيه ابن جنى قفوشيه استغلال مسائل العروض والقوافى فى التدليل والاحتجاج ، ولا أطيل القول بالتمثيل بل حسبى أن أشير إلى بعض الصفحات التي ورد فيها هذا الاتجاه<sup>(٥)</sup>

\* \* \*

وابن جنى معتد — كشيخه — بأبى الحسن الاخفش ، وإنك لترى مظهر هذا الاعتداد فى قوله حيث يدفع عنه : على أن أبا الحسن قد كان صنف فى شيء من المقاييس كتيباً إذا أنت قرنته بكتابتنا هذا علمت بذاك أنا أنبنا عنه فيه ، وكفيناه كلفة التعب به ، وكافأناه على لطيف ما أولاناه من علومه المسوقة إلينا المفيضة ماء البر والبشاشة علينا ، حتى دعا ذلك أقواما نزلت من معرفة حقائق هذا العلم حظوظهم ، وتأخرت عن إدراكه أقدامهم إلى الطعن عليه ، والقدح فى احتجاجاته وعلمه<sup>(٦)</sup> ، وأبو الحسن هنا سعيد بن مسعدة الاخفش لأنه هو الذى صنف المقاييس<sup>(٧)</sup> .

ثم إن ابن جنى يقوى مذهب الاخفش : على قول ضيفم الأسدى :

إذا هو لم يخفى فى ابن عمى وإن لم ألقه الرجل الظلوم<sup>(٨)</sup>

بقوله : هذا البيت تقوية لمذهب أبى الحسن فى إجازته رفع زيد بعد إذا الزمانية بالابتداء فى نحو قوله تعالى : « إذا السماء انشقت » ، « وإذا الشمس كورت » ، .... وإنما الغرض لإعلامنا أن فى البيت دلالة على صحة مذهب أبى الحسن هذا<sup>(٩)</sup> .

\* \* \*

- |                   |                                  |          |
|-------------------|----------------------------------|----------|
| (١) ٤٨٢/١         | (٢) انظر الخصائص ١٠٥٠/١          | (٣) ٦١/١ |
| (٤) انظر ٣٠/١     | (٥) انظر ١/٧٣، ٨٥، ٢٤٢، ٣٣٨، ٤٦٤ |          |
| (٦) الخصائص ٣/١   | (٧) انظر الفهرست ٧٨              |          |
| (٨) الخصائص ١٠٩/١ | (٩) الخصائص ١١٠/١                |          |



ويعرف — مع الشيخ — أسلوب الأخش في تناول المسائل ، عقد ابن جني باباً في اللفظين على المعنى الواحد يردان عن العامل متضادين جاء فيه ، « وقد كان أبو الحسن ركاباً لهذا الشيخ آخذاً به ، غير محتشم منه ، وأكثر كلامه في عامة كتبه عليه ، وكنت إذا ألزمت عند أبي علي ( رحمه الله ) أن أقول لأبي الحسن شيئاً لا بد للنظر من إلزامه إياه يقول لي : مذهب أبي الحسن كثيرة <sup>(١)</sup> .

كما يقف موقف شيخه من المبرد يدفع عنه ما اعترض به على سيبويه <sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

وزى في ابن جني الأمانة العلمية ، وكانت لها مظاهرها في الخصائص <sup>(٣)</sup> ، وقد لحظ ذلك ابن جني من أستاذه ، ونص عليها ، ودعا الباحثين إليها <sup>(٤)</sup> .

\* \* \*

وثمة سمة تظهر في تأثر ابن جني بأستاذه أبي علي ، تلك إشارة الانصباب في إيراد الشواهد ، لا يكتفي بالشاهد أو الشاهدين ، وتلك النزعة الظاهرة عند الإمام سيبويه <sup>(٥)</sup> فسلك كل من الرجلين سبيل الإمام فيها <sup>(٦)</sup> .

\* \* \*

وغير خاف ما يظهر عند ابن جني من الاستطراد في بحوثه ، ولكنه يفرق عن الشيخ فيه ، فاستطراد ابن جني يضم موضوعات مترابطة ، لا كما يظهر عند الشيخ من الاستطراد لأدنى ملازمة تنسيك الموضوع الأصيل الذي يتحدث فيه ، وتطنى عليه .

\* \* \*

وأرى يتخالف فيه ابن جني مع أستاذه أبي علي ، ذلك الإكثار من استشاده بشعر المولدين في المعاني وبخاصة في المتنبي ، فإن جني يقدر المتنبي ويبالغ في قدره .  
( ١ ) فهو شاعره <sup>(٧)</sup> يحذمه <sup>(٨)</sup> ولا يعرفه إلا صادقاً <sup>(٩)</sup> .

(١) الخصائص ٢١٣/١ (٢) انظر ( ١٨٩، ٧٧ ، ١٩٠ ، ٤٠١ ) من الخصائص ١

(٣) انظر ٢٧٦/١ (٤) انظر الخصائص ٦٠٨/٢ وما بعدها

(٥) انظر سيبويه امام النحاة لأستاذنا ١٤٢ وما حوالها

(٦) انظر في هذه الظاهرة من كتاب الخصائص ٢٤٨، ٨١، ٢١/١ وما بعدها

(٧) الخصائص ٢٢/١ (٨) المصدر السابق ٤٢٦ (٩) الخصائص ٢٤٨/١

(ب) ثم هو يثنى على سرعتة ، وخلص ذهنه — يصرع العمل ولا يعتاقه ببطء ولا يستوقف فكره ، ولا يتنقع خاطره <sup>(١)</sup> .

(ح) ويحتج بشعره في المعاني ، ويدفع ما يتوهم من الخطأ في ذلك إذ يقول : — بعد أن استشهد بشعره — . ولا تستنكر ذكر هذا الرجل وإن كان مولداً في أثناء ما نحن عليه من هذا الموضع وغموضه ولطف متسربه ، فإن المعاني يتناهاها المولدون كما يتناهاها المتقدمون ... وإياك والحنبلية بحثاً ، فإنها خلق ذميم ، ومطعم على علاقته وخيم <sup>(٢)</sup> .

(د) ويعرف مذهبه في استعمال بعض الألفاظ كاستعمال المتنبي ذا ، وتا ، وذى في شعره كثيراً ويسأله في ذلك <sup>(٣)</sup> .

وقد يتفق أبو علي مع ابن جني في تقدير المتنبي إلى حد ما ، فقد عقد أبو علي مسائل في الشيرازيات تناول فيها بعض أبيات المتنبي بالدراسة <sup>(٤)</sup> ، وفي ذلك بعض الاحتفال بالمتنبي ، ولكن أبا علي لا يبلغ مبلغ ابن جني في تقدير المتنبي والاحتفاظ بشعره على أية حال .

وموقف ابن جني من القراءات أسلم من موقف شيخه ، ذلك أن أبا علي — مع اعترافه بأن القراءة سنة متبعة <sup>(٥)</sup> — يحكم القياس ، فما وافق من القراءات القياس اعتدبه ، وما لم يوافق قرآن الحمل عليها ، والرد إليها ينبغي ألا يجوز ما وجد عنه مندوحة <sup>(٦)</sup> وينقل ابن جني رأى الشيخ في أن القراءة سنة مع اختلاف في التثيل ، واتفاق في الفحوى .

يقول الشيخ : « لو قيل اللائي في موضع اللاتي ، واللاتي في موضع اللائي في غير التنزيل لاستقام ، ولا يكون ذلك في التلاوة ، لأن القراءة سنة <sup>(٧)</sup> » .

ويقول ابن جني : وما يحتمله القياس ، ولم يرد به السماع كثير منه القراءات التي تؤثر رواية ولا تتجاوز ، لأنه لم يسمع فيها ذلك كقوله عز اسمه « بسم الله الرحمن الرحيم » فالسنة المأخوذ بها في ذلك اتباع الصفتين إعراب اسم الله سبحانه ، والقياس يبيح أشياء فيها وإن لم يكن سبيل إلى استعمال شيء منها . . . (٨)

\* \* \*

(١) الخصائص ٣٣٢/١ (٢) الخصائص ٢٣/١ (٣) انظر الخصائص ٥٣١/١

(٤) انظر الحديث عن الشيرازيات في هذا البحث

(٥) انظر الشيرازيات ٩٤ (٦) الحجة نسخة البلدية ٢٢٤/١

(٧) الشيرازيات ٩٤ (٨) الخصائص ٤٠٣/١ وما بعدها

وابن جنى بعد ذلك أرحب صدرأ يحتج لحزة فى قراءته : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، على حين ضعفها أبو على<sup>(١)</sup> وقرر ابن جنى أن ليست هذه القراءة عنده من الإبعاد والفحش والشناعة والضعف على ما رآه فيها وذهب إليه أبو العباس<sup>(٢)</sup> .

ويحتج ابن جنى لقراءة لعائشة وابن عباس ، وعيسى ، وابن يعمر ، وزيد ابن على<sup>(٣)</sup> تلقونه بالسنتكم<sup>(٤)</sup> ، وليس فيهم واحد من السبعة أو الثلاثة الذين فوق السبعة .

وحسب ابن جنى أنه عقد كتاباً فى القراءات الشواذ ، فوثقها واحتج لها<sup>(٥)</sup> .  
وغريب بعد ذلك كله أن يقرر ابن جنى أن قراءة عاصم وقيل من راق ببيان النون من من معيب فى الإعراب معيب فى الأسماع<sup>(٦)</sup> !!

\* \* \*

ورأيت ابن جنى يستكثر من التعليل النفسى ، والرجوع إلى الحس فى التدليل وكان من أبى على شىء من هذا فى بعض كتبه<sup>(٧)</sup> لكن ابن جنى توسع فيه حتى صار ذلك من سماته التى يقسم بها ، ويتميز عن شيخه فيها ، وإليك ما يختصر الدلالة على هذا الاتجاه . قال :

« الحذاق المتقنون من النحاة يحيلون — فى علمهم — على الحس ، ويحتجون بثقل الحال أو خفتها على النفس<sup>(٨)</sup> » .

« لا توقف فى ثقل الياء الساكنة بعد الضمة ؛ لأن حالها فى ذلك حال الواو الساكنة بعد الكسرة ، وهذا كما تراه أمر يدعو الحس إليه ، ويحلو طلب الاستخفاف عليه ، وإذا كانت الحال المأخوذ بها ، المصير بالقياس إليها حسية طبيعية فناهيك بها ، ولا معدل بك عنها<sup>(٩)</sup> .

\* \* \*

وتظهر الصناعة الصرفية فى اختيار ابن جنى للألفاظ كما كان الشأن عند الشيخ ، انظر مثلاً قوله :

(١) انظر الحجة ٢٢٩/٣ البلدية (٢) انظر الخصائص ٢٩٤/١

(٣) البحر المحيط ٤٣٨/٦ (٤) الخصائص ٨/١

(٥) انظر الفصل الخامس بذلك من هذا البحث (٦) الخصائص ٩٧/١

(٧) انظر مثلاً التيرازيات ٥٢، ٤٤ والخليات ٤٥، ٤٤

(٨) الخصائص ٤٦/١ (٩) نفس المصدر ٤٨

« لا تقدم هناك مذهباً أسلكه ، ومأماً تتورده »<sup>(١)</sup> .  
وقوله : « جعلوه كالمنهبة على فرط عنايتهم »<sup>(٢)</sup> .  
كما تظهر الصناعة اللغوية وذلك في قوله — مثلاً — وأنها — أى اللغة — لم  
تقتم اقتعائاً ، ولا هيلت هيلاً<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

وبعد : فذلك مدى ما تأثر ابن جنى بأبى على ، ومدى ما افترق بمقدار عنه —  
في الخصائص الذى يمثل أصول النحو واللغة :  
تأثر ابن جنى واضح بأستاذه في الأصول النحوية واللغوية ، واحتججه بالحديث  
الشريف ، وفي طريقة التدليل بالتزامه مسائل المنطق وقضاياها ، وبالتعصب لسيبويه  
وبالرد على من هاجمه وعاداه ، والدفاع عن أبى الحسن الأخفش ، والاعتداد به ،  
وبالانصباب في سرد الشواهد ، واستغلال العروض والقوافي في التعليل ، وظهور  
نزعة الاستطراد عنده بطابع خاص وبمقدار .  
وابن جنى بعد ذلك يكثر في بعض ما أقل منه الشيخ : يكثر من الاستشهاد  
بشعر المولدين في المعاني ، ومن تقدير المتنبى ، كما يكثر من التعليل النفسى ، والاحتكام  
إلى طبيعة الحس في الاحتجاج .  
وأنتك لتجد بعض هذه السمات من التوافق أو التخالف فيما عرضته من دراسة  
مقارنة بين الرجلين في الاحتجاج — في الحجة والمحتسب ، ولكنى هنا بصدد بيان  
مدى تأثر ابن جنى بشيخه في أصول اللغة والنحو ، ولأتا لنرى ذلك التأثير متميزاً  
بطابعه الذى يستقل به كتاب الخصائص ، ويمجى في أصوله على سنن من هدى  
الشيخ . حيناً يقف من الآمار ، وحيناً يفترق عنه بمقدار على النحو الذى سلف  
به البيان .

## الفصل الثاني

### أثر أبي علي في فروع النحو

تأثر ابن الشجري في أماليه بأبي علي الفارسي

وابن الشجري من رجالات القرنين الخامس والسادس، فقد ولد في رمضان سنة خمسين وأربعمائة من الهجرة، وتوفي في رمضان سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة<sup>(١)</sup> واسمه هبة الله بن علي، وكنيته أبو السعادات<sup>(٢)</sup>، وقد اشتهر بأماليه في النحو واللغة والأدب، وتأثره واضح بأبي علي في هذه الأمالي التي أملاها في سنة أربع وعشرين وخمسمائة هجرية<sup>(٣)</sup>، وفيها يحتفل بأبي علي، فيعده من النحاة المحققين<sup>(٤)</sup> والائمة المتقدمين<sup>(٥)</sup>. وقد قضى أبو السعادات مدة طويلة يقرئ النحو حتى بلغت فيما يقول ياقوت سبعين سنة<sup>(٦)</sup>، ومعنى هذا أنه جلس للإقراء وسنه ثلثتان وعشرون<sup>(٧)</sup> وتتصل سلسلة شيوخه بأبي علي الفارسي في علم العربية - فهي كما يقول صاحب الزهة: أخذه عن ابن طباطبا، وأخذه ابن طباطبا عن علي بن عيسى الربعي وأخذه الربعي عن أبي علي الفارسي عن أبي بكر بن السراج<sup>(٨)</sup>... ومن تلاميذه ابن الأنباري صاحب نزهة الألباء، ويحدثنا عن مكانته في عصره وما انتهت إليه رئاسة النحو في زمنه حتى صار: أنحى من رأينا من علماء العربية، وآخر من شاهدنا من حذاقهم وأكابرهم<sup>(٩)</sup> تلك سلسلة شيوخه، وذلكم ابن الأنباري أحد تلاميذه والذي يهمني في هذا البحث أن أعرف مكانة أبي علي عنده، ومدى تأثره به، وتقديره له: ويظهر قدر ابن الشجري لأبي علي وافتقائه أثره في هذه الأحكام التي يصدرها على المسائل النحوية متفقة مع تلك الأحكام التي أصدرها أبو علي من قبل ويقيس عليها، فنراه يحكم على الكسرة في غلامى ونحوه بأنها حركة بناء، ويقول: «إن كل حركة لم تحدث من عامل حركة بناء، كما حكم أبو علي في الباب الثاني من

(١) بنية الوفاة ٤٠٨ (٢) انظر نزهة الألباء ٢٦٨

(٣) انظر ص ٤٧ ج ١ من أمالي ابن الشجري (٤) ١٤٣/١

(٥) ١٢٩/٢، ٣٦٦، ٣٥٢/٢ (٦) ٢٨٣/١٩

(٧) انظر تاريخ المولد والوفاة (٨) نزهة الألباء ٢٧٠ (٩) المصدر السابق

الجزء الثاني من كتاب الإيضاح بأن حركة التقاء الساكنين حركة بناء ، وذلك في قوله :  
« وحركات البناء التي تتعاقب على أواخر هذه البنية نحو حركة التقاء الساكنين  
في أردد القوم » ، (١) .

ثم نراه ينقل أقوال أبي على مستشهداً بها معتداً حيث يقول : قال أبو على :  
« أرواح مودع ، كقولهم ، ليل نائم ، ، ولو أنشد مودع جاز ، وكان التقدير مودع  
فيه ، كما حذف من قوله : « كبير أنلس في بجاد مزمل » أي مزمل فيه ، (٢) .

ثم نرى ابن الشجري يعتذر لأبي على الفارسي من اغفاله وجوها لإعرابية لا يعجز  
مثله في عمله عن ذكرها ، وذلك ما ذكره في صدر المجلس التاسع والعشرين حول  
بيت الأخطل :

إن العرارة والنبوح لدارم والمستخف أخوهم الأتقالا  
قال أبو على في بعض أماليه : « أنشدناه لإبراهيم بن السري الزجاج ، وذكر  
أن الرواية في المستخف بالنصب وبالرفع ، فأما « الأتقالا » فخارج من الصلة ،  
ومنتصب بمضمر دل عليه المستخف . ثم عقب ابن الشجري على هذا بقوله :  
وهذا جميع ما ذكره في البيت في الجزء الذي وقع إلى ، ولعله قد استوفى القول فيه  
في موضع آخر (٣) .

وهذا اعتذار لأبي على — إلى جانب معرفته بطريقة شيخه في التقصى والاستيفاء ،  
فعبارة الأخيرة دالة على الأمرين جميعاً .

\* \* \*

وبدل كتاب الأمالي لابن الشجري على أنه اطلع على كتب الفارسي اطلاع واسع  
متفهم ، فهو يطلع على كتاب الإيضاح (٤) وعلى شروحه المختلفة (٥) .  
كما يطلع على تكملة الإيضاح (٦) ، وعلى كتاب العوامل (٧) ، وكتاب التذكرة (٨)  
ويطلع على الشيرازيات (٩) كما يتصل بكتابه الحجة (١٠) ، وينقل منها كثيراً في أماليه (١١) ،  
ثم هو يجيل الطرف في كتبه بعامة (١٢) .

(١) أمالي ابن الشجري ٤/١ وانظر ٢١٦/٢

(٢) ٩٠/١ وانظر في ذلك ١١٣/١ ١٢٤/١ ١٤٦/١ ١٥٠/١ ١٥٢/١ ١٥٣/١ ١٥٦/١ ١٥٨/١

١٦٢/١ وما بعدها ٢٢٢/٢ وما بعدها ، ص ٢٣٥

(٣) ١٨٩/١ وما بعدها (٤) انظر مثلاً ٤/١ ٣١٧/٤ ٣٢٥/٣ ٣٤٣/٣ ٣٣٦/٤ ٣٤٩/٤

(٥) ٣١٧/١ (٦) ٤٠/٢ (٧) ١٥٠/١ (٨) ١٥٢/١

(٩) ٣٢٧/٢ (١٠) ٢٠٦/٢ ٣٢٠/٢ (١١) انظر مثلاً ١/٢٦٤ (١٢) ١٨٥/١

ويبدو تأثيره بأبي على — كذلك — في طريقة تناوله لشرح الألفاظ اللغوية، والاستدلال على معانيها بالقرآن الكريم، والشعر العربي القديم :  
قال في شرح ألفاظ البيت :

جزى الله عني والجزاء بكفه عمارة عبس نضرة وسلاما  
النضرة : الحسن، ونضر الله وجهك حسنه، ومنه : وجوه يومئذ ناضرة،  
و لقاهم نضرة وسرورا، والسلام : التحية . والسلام : السلامة . والسلام : الله  
جلت عظمته، ومن السلامة قول الشاعر :

تحيي بالسلامة أم بكر وهل لي بعد قومي من سلام ؟  
ومن السلامة أيضاً قول الله جل ثناؤه : « لهم دار السلام عند ربهم ، وسمى الله  
الجنة دار السلام لسلامة أهلها من الآفات، والفقر، والمرض، والموت، والأحزان،<sup>(١)</sup>.  
وكان من مظاهر تأثر ابن الشجري بأبي على في المتن اللغوي<sup>(٢)</sup> — أيضاً —  
أنه يستعين بأقواله : جاء في شرح البيت :

متى ما تلقى خلوي نرجف روائف إلبتيك وتستطارا  
وأما الآلية، فقال أبو على الحسن بن أحمد الفارسي ( رحمه الله ) قد جاء  
من المؤنث بالياء حرفان لم يلحق في تثنيتهما التاء، وذلك قولهم : خصيان واليان  
« فاذا أفردوا قالوا : « خصية وإلية ، وأنشد أبو زيد :

ترتج الياء ارتجاج الوط<sup>(٣)</sup>  
وقبله : كأنما عطية بن كعب طعينة واقفة في ركب  
وأنشد سيديويه :

كان خصييه من التدل<sup>(٤)</sup> ظرف عجوز فيه ثنتا حنظل<sup>(٥)</sup>  
ثم هو يسلك مسلك الفارسي في التعليل بالمنطق، والتدليل بالقياس ويبدو  
ذلك إذ يقول في شرح الآلي من قول الرضي :

قد كان جدك عصمة العرب الآلي فاليوم أنت لهم من الإعدام  
الآلي : يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون اسما ناقصا بمعنى الذين، أراد الآلي

(١) ١٧/١ وقد عقد فصلا للمتن اللغوي عند الفارسي فليراجع

(٢) انظر ١٨٤؛ ٧٦/١ مثلا

(٣) نوادر أبي زيد ص ١٣٠ الرطب : سقاء اللبن ... والتدى العظيم

(٤) أمالي ابن الشجري ٢٠/١ ؛ والبيت ورد في الكتاب ١٧٧/٢؛ ٢٠٢ انظر سيديويه

لمام النجاة ص ٣٢٢

سلفوا لحذف الصلة للعلم بها كما حذفها عبيد بن الأبرص في قوله :

نحن الال فاجمع جو عك ثم وجهم إلينا  
أراد : نحن الال عرفتهم .

والوجه الثاني أن يكون أراد الأولى لحذف الواو التي هي عين ( الفعلي ) كما حذفها  
الأسود بن يعفر في قوله :

وأنتعت أخراهم طريق ألام كما قيل نجم قد خوى متتابع  
قيل إنه أراد هجوت آخرهم كما هجوت أولهم أي ألحقت آخرهم بأولهم في الهجاء ،  
وبذلك على أنه أراد بألام أولام أمران .

أحدهما : معادلتها لأخراهم ، ومثله قول أمية بن أبي الصلت :  
وقد علينا لو إن العلم ينفعنا أن سوف يلحق أخرانا بأولانا  
ومثله في كتاب الله عز وجل : ، قالت أولام لأخراهم .

والثاني : ، أنها لا تخلو من أن يكون المراد بها ما ذكرته أو تكون إلى المهمة  
التي في قول الأعشى :

هؤلاء ثم هؤلاء كلا أعطيت نعالا محذوة بنعال  
أو يكون بمعنى الذين كقول عبيد :

• ونحن ألى ضربنا رأس حُجْر •

فلا يجوز أن تكون المهمة ، ولا الموصولة ، لأن تينك لا تضافان ، فنبت  
ما ذكرته أن المراد بها أولام <sup>(١)</sup> .

ولعلك تليح معي :

( أ ) قياسه النحوى في قوله : فحذفوا الصلة للعلم بها كما .

( ب ) قياسه الصرفي في قوله : حذفوا الواو .

( ج ) قياسه الاستثنائي الانفصالي في قوله : لا تخلو من أن يكون .

( د ) واتخاذها في ذلك براهين المهندسين .

وانظر طرفاً من قياسه الإعرابي <sup>(٢)</sup> : أحسن الحذف في المضاف ما دل عليه معنى  
أو قرينة أو نظير أو قياس ثم أخذ يمثل لـكل بما يؤيد ما نحن فيه .

\* \* \*

(١) أمالي ابن الشجرى ٣٠/١ وانظر ٢٩٠/١

(٢) ١٨٢/١ وما بعدها ١٨٦ ، ثم انظر ٥١/١



وكما يظهر تأثره بأبي على في التوجيه الإعرابي لقراءات القراء وذلك توجيه قراءة نافع : « هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ، بنصب يوم ، وقراءة بقية السبعة برفعه (١) »

\* \* \*

وهو يسلك مسلك أبي على في التزامه الأمانة العلمية ، ويبدو ذلك في قوله : وقد مر في كلام لأبي على ذهب عنى مكانه يتضمن تجويز رفع مرتوى بارتوى (٢) ، وأنا منذ زمان أجيل فكرى وطرفى في تعرض المكان (٣) الذى سنح لى فيه كلامه ، فلا أقف عليه (٤)

ومن أمثلة هذه الأمانة ما ذكره بعد نقله عن أبي على روايته أوجه الإعراب في المستخف من بيت الاخطل .

إن العرارة والنبوح لدارم والمستخف أخوهم الاثقالا  
إذ يقول ابن الشجرى : هذا جميع ما ذكره في البيت في الجزء الذى وقع إلى  
ولعله قد استوفى القول فيه في موضع آخر (٥) .  
وهو إقرار ضمنى بأن هذا الموضع الآخر لم يطلع عليه حتى ساعة لإملائه المجلس  
التاسع والعشرين من أماليه ، وفي ذلك من الأمانة العلمية ما فيه (٦) .

\* \* \*

كما يتأثر أبا على في تفسير القرآن بالقرآن وذلك (٧) ما ورد في المجلس السادس والسبعين عن الكلام في قول الله عز وجل : ألم نشرح لك صدرك ووضعنا ، يتوجه في قوله لك سؤال : فيقال : لو قيل ، ألم نشرح لك صدرك كان الكلام مكتملاً ، ومثله : « ورفعنا لك ذكرك ، فلائى معنى ذكرك .  
والجواب عن هذا السؤال : أن اللام في لك لام العلة التى تدخل على المفعول

(١) ٤٤/١ (٢) في قول الشاعر .

فلت كفافا كاث خيرك كله وشرك عى ما ارتوى الماء مرتوى

(٣) بين الموضع عند الكلام على هذا البيت في مكان آخر فذكر أنه مر به في التذكرة ٢٩٨/١

(٥) ١٨٩/١

(٤) ١٨٥/١

(٦) خصصت فصلاً تحدثت فيه عن أمثلة أبي على ومظاهرها فليرجع إليه

(٧) وفي هذا النص التذليل بالقياس أيضاً

من أجله في نحو قولك فعلت ذاك لإكرامك ، فإن حذفها قلت ، فعلته لإكرامك ، كما قال :

متى تفخر ببيتك في معد تقل تصديقك العلماء جبر  
الأصل لتصديقك ، فلما حذف اللام نصب ، فإن حذف المصدر رددت اللام  
فقلت ، فعلت ذاك لك ، ومثله ، جئت لمحبة زيد ، و محبة زيد ، ومنه قول عمر  
ابن أبي ربيعة :

وقير بدا ابن خمس وعشر ين له قالت الفتاتان : د قوما ،  
أراد لأجله قالت الفتاتان قوما

ولما عرفت هذا المعنى : ألم نشرح لهداك صدرك كما قال تعالى : فمن يرد الله أن  
يهديه يشرح صدره للإسلام ، فلما حذف المصدر وجب إثبات اللام<sup>(١)</sup>  
ولذا كان ابن الشجرى قد تأثر بأبي على هذا التأثير على النحو الذى بينت ، فإننا  
نراه ينص أنه يفهم من كلام الشيخ ما لا يفهمه النحاة ويخص منهم أبا طالب العبدى<sup>(٢)</sup>  
لذى يقول :

د وغير أبى على ومن اعتمد على قوله رووا نصب الماء<sup>(٣)</sup> ، ولم يرووا فيه الرفع  
فلزموا ظاهر اللفظ والمعنى فذهبوا إلى أن فاعل ارتوى مرتوى وأبو طالب  
العبدى<sup>(٤)</sup> منهم ، وذلك أنه ذكر لفظ أبى على في تعريف البيت ثم قال : د وأنا  
مطالب بفاعل ارتوى ثم مثل قوله : د ما ارتوى الماء مرتوى ، بقوله : د ما شرب  
الماء شارب ، أى ، أبدأ ، ، فدل كلامه على أنه لم يعرف المعنى الذى ذهب إليه أبو على  
من نصب مرتوى على أنه خبر كان<sup>(٥)</sup> أو رفعه على أنه خبر إيت<sup>(٦)</sup> .

ونراه في صدر كلامه عن ذلك البيت : د فليت كفافاً . . . د يذكر أن بعض  
أهل الأدب قال : د إن هذا البيت مشكل ، وقد زاده تفسير أبى على له إشكالا ،  
ثم يتولى هو تفسير البيت بما يحل الإشكال ، ويوضح الغموض<sup>(٧)</sup> ثم نراه يعترف

(١) المجلس السادس والسبعون ٣٢٣/٢

(٢) مع أن أبا طالب شرح كلام أبى على في الإيضاح بكلام أبى على ، انظر لإنباه الرواة

(٣) في البيت : فليت كفافاً كان خيرك كله \* وشرك على ما ارتوى الماء مرتوى

(٤) هو أحد تلاميذ أبي على ، انظر نزعة الألباء ٢٢٢

(٥) تفصيل الكلام في شرح ذلك من الأمالي الشجرية ١٨٣/١

(٦) ١٨٢/١

(٧) تفصيل الكلام في شرح ذلك ١٨٤/١

بأن لأبي على كلاماً في تكملة الإيضاح يحتاج إلى كلام يبرزه ، وتفسير يوضحه <sup>(١)</sup> ،  
ويأخذ في التفسير والبيان .  
وفي موضع آخر ينص على أن أبا علي قد ألغز في كلامه ، وما وجد لاحد من  
مفسري كتابه الذي وسمه بالإيضاح تفسير هذا الكلام ، ولكنهم حادوا عنه إلى  
تفسير قول آخر <sup>(٢)</sup>

ومن هنا نراه يعقد المجلس لشرح بيت وإعرابه مما ذكره الفارسي <sup>(٣)</sup> أو يدير  
الكلام على توجيه إعرابي وجهه أبو علي في قراءة <sup>(٤)</sup> ، أو عبارة <sup>(٥)</sup>

\* \* \*

وإذا ذهبنا نتلص أسباب تأثر ابن الشجري بأبي على الفارسي — بدا لنا أنه  
بغدادى <sup>(٦)</sup> يميل إلى نحلة البصرة <sup>(٧)</sup> ، حيث يقول : « ولنحاة الكوفيين في أكثر  
كلامهم تهاويل فارغة من الحقيقة » <sup>(٨)</sup> ، وأنه أخذ عن ابن طباطبا عن علي بن عيسى  
الربيعي عن أبي علي الفارسي <sup>(٩)</sup> ، ولذا نراه ينقل أقوال الربيعي <sup>(٩)</sup> ، ويشرح اللع  
لابن جني <sup>(١٠)</sup> ويشارك مع ابن جني — تلميذ أبي علي — في تعصبه للمتنبى فتراه يرد  
على المتحاملين عليه <sup>(١١)</sup> ، ويفرد في خاتمة كتابه مجلساً قصره على أبيات من شعر  
أبي الطيب المتنبى تكلم عليها ، وذكر ما قاله الشراح فيها ، وزاد من عنده  
ما سنح <sup>(١٢)</sup> له ، ويورد المسائل لشرح أبياته <sup>(١٣)</sup> ، كما يعقد المجلس لهذا  
الغرض <sup>(١٤)</sup> .

وبهذا نستطيع أن نعد ابن الشجري من هذه المدرسة التي تقف بجانب المتنبى ،  
والتي تقابلها المدرسة الأخرى المتعصبة عليه ، المزرية به ، والتي يمثلها أبوحيان ومن  
لف لفه من علماء عصره <sup>(١٥)</sup>

- 
- (١) ٤٠/٢ وما بعدها ، وانظر ص ٥٤ من هذا الجزء  
(٢) ٣١٧/١ (٣) ٢٠١/٢ (٤) ٢٥٧ و ٢١٩/٢  
(٥) ٣٠٠/١ في تفسير قول أبي علي « أخطب ما يكون الأمير قائماً »  
(٦) الأمالي ٢/١ ، وترجمة ابن خلكان (٧) ١٢٩/٢ و ١٤٧  
(٨) أمالي ابن الشجري ٣٩/١ (٩) نزعة الألباء ٢٧٠  
(١٠) انظر مثلاً الأمالي الشجري ٧٠/١ (١١) وفيات الأعيان ٩٦/٥  
(١٢) أمالي ابن الشجري ٢٠٦/٢ (١٣) وفيات الأعيان ٩٦/٥  
(١٤) انظر مثلاً ٣١٣، ٣٠٣/٢  
(١٥) انظر مثلاً المجلس السادس ٣٥/١ والمجلس الثاني عشر ٧٧/١

وقد قدرت — أول الأمر — أن يكون من أسباب تأثر ابن الشجرى بأبي على الفارسي علوية ابن الشجرى ، بل كان تقيب الطالبيين بالكرك<sup>(١)</sup> ، والفارسي كما تعلم علوى شيعي<sup>(٢)</sup> . ولكنني عدلت عن الاعتداد بذلك سبباً من أسباب التأثر به ؛ لأن الأدلة لم تخرج بي من مرتبة الظن إلى دائرة اليقين ، لأن مظاهر التأثر في هذه الناحية غير بادية .

\* \* \*

وقد عرضت قبل إلى موقف أبي على الفارسي من آراء أبي العباس المبرد ، وكيف أن أبا على وقف يدفع عن سيويوه ما نقض المبرد عليه ، ورأينا كيف كان يغلطه فيما يذهب إليه مخالفاً رأى سيويوه ، وقد تحسست هذا الاتجاه من ابن الشجرى فلم أر أنه يجرى في سنن أبي على إلا إذا كانت مخالفة المبرد صارخة ، فيها بعد عن إجماع النحاة ، عند ذلك يقف ابن الشجرى من المبرد موقفاً يشبه موقف الشيخ أبي على ، كالذي رآه المبرد من تعلق الجار في : « أما في زيد فاني رغبته » — برغبته ، على حين أن سيويوه وجميع النحويين يعلقونه بأمانفسها ، وهنا يقف ابن الشجرى مفسداً رأى المبرد وذلك حيث يقول معلقاً على ما رأى :

« وهو قول مبين للصحة ، خارق للإجماع . . . . وهو في مذهب أبي العباس جائز ، وفساده واضح » ،<sup>(٣)</sup> .

وقد يبدو أن ابن الشجرى اتخذ هذا الموقف من المبرد في هذه المسألة وأمثالها غير متأثر بأبي على ، بل متحرّجاً من مخالفة الإجماع الذي هو حجة عند نحاة وأهل الشرع أجمعين .

ولتماماً لهذا الموضوع ، وبياناً لوجه الحق ، ونصفة لابن الشجرى أذكر أنه لم يجر دائماً وراء الفارسي ، يقفوقفه ، ويخذو حذوه ، بل كان إلى جانب حكمه لأبي على وتأثره به على النحو الذي بينت — يحكم على بعض آرائه — وذلك في القليل النادر — بالبعد .

---

(١) الأملاني لابن الشجرى وابن خلكان ٩٦/٥ (٢) انظر الفصل الخامس بذلك

(٣) أملاني ابن الشجرى ٢٩١/١ ، وانظر هذا الجزء ٢٥٣

أورد ابن الشجرى أقوال النحاة فى علة بناء الآن .

(١) لأنه ضارع المبهم المشار إليه وذلك رأى سيويه ، والاخفش ، والجرمى والمازنى ، والزجاج .

(ب) لأنه ضمن معنى لام التعريف وذلك رأى الفارسى .

(ج) لأنه منقول من قولهم : آن لك أن تفعل ، ثم أدخل عليه الألف واللام وترك على فتحه محكياً ، كما جاء « أنها كم عن قيل وقال ، على الحكاية وذلك رأى الفراء .

وقد عقب ابن الشجرى على ذلك بقوله : « وأجود الأقوال القول الاول ، وأبعدها قول أبى على ، ويليه فى البعد قول الفراء (١) .

وقد قال أبو على الفارسى : « لا يجوز فى المنون إلا الرفع من قول الشاعر ، : من رأيت المنون عرين أم من . . . ولم يجوز فيها النصب بوجه ، وقد عقب ابن الشجرى على ذلك بقوله « ويتجه عندى نصب المنون (٢) .

وانظر تعليقه على إعراب أبى على « هنيئاً . . . ، إذ يقول : « وقول أبى الفتح فى هذا أشبه من قول أبى على ، وعلل لذلك (٣) .

وقد كان لبعض النحويين تعقيب على ابن الشجرى ، فى تعليقه على بعض آراء الفارسى ، فقد ذكر تأويل أبى على للعطف فى قوله تعالى : « فكهتموه ، من قوله : « وأحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ، ثم عقب على هذا رأى بقوله « والذي قدره أبو على « ها هنا بعيد وعلل لذلك (٤) ، وقد رماه ابن هشام فى المغنى بأنه لم يتأمل كلام الفارسى (٥) ، وذلك لعمى شديد على ابن الشجرى الذى يعد نفسه مفسراً لمبهمات أبى على ، وموضحاً لإشكالاته .

ومهما يكن من أمر فإن فى تعقيب ابن الشجرى على آراء الفارسى بعد الذى بينت من تأثره به — دليلاً على شخصيته ، وأنه فى أحكامه ، موافقة أو مخالفة — يصدر عن وحي من نزاهته .

(٢) المصدر نفسه ٩٣/١

(٤) أمالى ابن الشجرى ٣٣٠/٢

(١) الأمالى الشجرية ٢٦١/٢

(٣) ١٦٥/١

(٥) المغنى لابن هشام ١٤١/١

وبعد ، فما نحن أولاء رأينا مدى تأثير ابن الشجرى بالشيخ أبى على الفارسى وتقديره له ، وجلوت ذلك فيما يراه من رأى الشيخ ، وفى نقوله عنه واعتذاره له من إغفاله وجوها إعرابية لا يعجز مثله فى عمله عن ذكرها ، وفى تناوله المتن اللغوى بالتفسير كما يتناول أبو على ، وسلوكه مسلك الشيخ فى التعليل والتدليل ، وفى توجيهه الإعرابى لقراءات القراء وتفسير القرآن بالقرآن ، وفى أمانته العلية وتحريره وأود أن أذكر أن بعض هذه التأثيرات قد تكون عامة شائعة لا تخص أباً على وحده ، ولا تشد الشجرى إليه خاصة ، فقد تكون هذه عند من سبقوا أباً على ، ولكن ظهور هذه المؤثرات عند أبى على فى صورة واضحة ، وتأثر ابن الشجرى بها جملة ، واتصاله بأبى على وتلمذته لمن أخذوا عنه على النحو الذى بينت ، كل ذلك مما يقوى جانب القول بأنها — فى مجموعها — أثر من آثار الفارسى ، ومظهر من مظاهر تأثير ابن الشجرى به ، على أننا رأينا المدى الذى يجرى فيه ابن الشجرى ، متهدياً بشيخه أحياناً حتى تندمج فيه ذاتيته ، ومجانباً له حيناً فتظهر عند ذلك شخصيته .

---

## الفصل الثالث

### أثر أبي علي في الاحتجاج لمسائل الخلاف ومداها

تأثر أبي البركات الأنباري في الإنصاف بأبي علي

أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد الأنباري من رجالات القرن السادس الهجري ، ولد سنة ٥١٣ هـ وتوفي سنة ٥٧٧ هـ (١) .

ويدعو إلى فحص آثار أبي علي في أبي البركات أمور :

أولها : أن الأنباري يتصل نسبه العلي اتصالا ماسا بأبي علي ، أخذ علم العربية عن ابن الشجري (٢) ، وصحبه وانتفع بصحبته (٣) ، وقد بينت من قبل مدى ما كان لأبي علي من الآثار الظاهرة عند ابن الشجري (٤) فطبيعي أن يظهر أثر من ذلك عند الأنباري .

وثانيا أن الأنباري أحد أساتذة المدرسة النظامية ببغداد ، تصدر لإقراء النحو بها (٥) وقد رأيت لأساتذة هذه المدرسة منذ عهدها الأول حتى الأنباري عناية خاصة بكتاب الإيضاح قراءة ، ورواية ، وشرحا ، وكان لهم كذلك نسب على يصلهم بأبي علي :

(١) كان من أساتذة هذه المدرسة التبريزي يحيى بن علي الذي عني باللع لابن جني فشرحه (٦) ، وروى عنه الجواليقي كتاب الإيضاح (٧) .

(ب) والاستراباذي : الذي قرأ النحو على الجرجاني (٨) تلميذ ابن الأخت ، ومصنف المغنى في شرح الإيضاح (٩) .

(ج) والجواليقي : أستاذ الأنباري ، والذي روى كتاب الإيضاح عن التبريزي (١٠) .

(١) انظر وفيات الأعيان ٢/ ٣٢٠ (٢) تركة الألباء ٢٧٠

(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٣٢٠ (٤) انظر الفصل الخامس بذلك في هذا البحث

(٥) وفيات الأعيان ٢/ ٣٢٠ (٦) بنية الوعاة ٤١٤

(٧) انظر فهرس المخطوطات ٣٧٩ (٨) بنية الوعاة ٣٥١

(٩) المصدر السابق ٣١١ (١٠) فهرس المخطوطات ٣٧٩

والذى استعان بأبى على فى شرح أدب الكاتب<sup>(١)</sup>، كما استعان به فى «المعرب من الكلام» الذى أجمع على حروف المعجم<sup>(٢)</sup>

(د) والانبأرى نفسه يجرى فى سبيل هؤلاء؛ فصنف فيما صنف  
حواشى الإيضاح<sup>(٣)</sup>

ونالها : أن كلام الرجلين : أبى على والانبأرى تعرض لهذه المسائل النحوية بالاحتجاج : أبى على فى كتبه المختلفة هنا وهناك ، والانبأرى فى كتابه الإنصاف ، فكان من الطبيعى أن يكون هناك تأثر ما بأبى على فى الاحتجاج لمسائل الخلاف .  
ورابعها : أنى جليت أثر أبى على فى النحو وأصوله متخذاً ابن جنى، وابن السجى  
مثلاً، وهنا اختار الانبأرى مثلاً لآثار أبى على فى الاحتجاج على مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين ، والكوفيين .

\* \* \*

وقد ورد اسم أبى على فى الإنصاف خمس مرات<sup>(٤)</sup> ، وليس معنى ذلك أن استعانة الانبأرى بأبى على مقصورة على هذه المواطن التى استشهد بأبى على فأورد اسمه صريحاً فيها ؛ فإن المقابلة بين احتجاج أبى على للمسائل الخلافية فى كتبه المختلفة وبين ما أورده الانبأرى فى الإنصاف تكشف عن تأثره بأبى على إلى مدى أبعد من هذه المرات الخمس بكثير . كما تبين هذه المقابلة ما بين الرجلين من توافق أو اختلاف .

فلست أدعى أن الانبأرى قفى قفو أبى على يتأثره ولا يختلف عنه ؛ بل هناك مظاهر ثلاثة تهدى إليها المقابلة بين أبى على ، والانبأرى فى الاحتجاج .

(١) حيناً يسيران فى طريقين متوازيين لا يلتقيان .

---

(١) انظر من ١٨٤ و ١٤٤ مكتبة المقدسى ١٣٥٠ مطبعة المعاهد

(٢) انظر مثلاً ١٤، ١٨، ٢٧، ٣٠ ط دار الكتب سنة ١٣٦١

(٣) انظر بنية لوعة ٣٠١

(٤) الإنصاف ١٧٠، ٢٩٦، ٢٠١، ٤٣١



(ب) وحينئذ يدلل الانبارى بأدلة لغواها ما يقول الفارسي وإن لم تكن بنصها وألفاظها .

(ح) وحينئذ يسلك الانبارى سبيل أبي علي ، فيذكر نصوصه ، ويورد شواهدهُ وإن لم ينسب شيئاً من ذلك إلى أبي علي ، ولكن المقابلة توضح أن الانبارى ينظر إليه ، ويعتمد فيها أورد عليه .

ودونك أمثلة تكشف عن هذه الاتجاهات الثلاثة .

(١) برهن الشيخ على أن الواو في أخيك ونحوه حرف الإعراب وليس هو بعلامة الإعراب ، ولادلالته <sup>(١)</sup> ، وقد كرر الكلام على ذلك في البصريات <sup>(٢)</sup> .

وقد أورد الانبارى في الإنصاف أدلة غير أدلة أبي علي ؛ وليس فيما أورد ما يدل على أنه استعان بأبي علي في قليل ولا كثير <sup>(٣)</sup> .

وبرهن أبو علي على ما ذهب إليه البصريون من أن الواو تضرع بعدها رب لا على أنها بدل من رب ؛ فأورد شواهد <sup>(٤)</sup> غير التي وردت في كتاب الإنصاف <sup>(٥)</sup> .

(ب) وقد يورد أبو البركات كلاماً لغواها ما ذكر أبو علي . فسأله د هل يقع الماضي حالاً ؟ ، تعرض لها أبو علي في الشيرازيات <sup>(٦)</sup> والبغداديات <sup>(٧)</sup> ، قال في قوله تعالى : د أو جاءوك حصرت صدورهم ؛ أن يقاتلوك د أى قوماً حصرت صدورهم ؛ فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه ، وما أورد الانبارى في الوجهين الأول والثاني هو غوى هذا الكلام <sup>(٨)</sup> .

وقد تقول هذه الآية أيضاً على أن معناها قد حصرت صدورهم فقدّر قد كما تأولوا قوله وكنتم أمواتاً فأحياكم على تقدير وكنتم أمواتاً .

وذهب محمد بن يزيد في تأويل قوله ؛ أو جاءوك حصرت صدورهم إلى أنه على

(١) البغداديات لوحة ٤٧

(٢) البصريات لوحة ٨٦ ، ٨٧ (٣) انظر الانصاف المسألة الثانية

(٤) انظر البصريات لوحة ٨٥ (٥) انظر الانصاف ٢٣١/١

(٦) لوحة ٤٢ (٧) لوحة ٤٩

(٨) انظر الإنصاف ١٦٢

الدعاء كقوله : لعنوا ، وقد جاء في التنزيل أسماء على الدعاء كقوله : «قاتلهم الله أنى يؤفكون» ، وقوله . فويل يومئذ للكافرين<sup>(١)</sup>

وقد أورد الانبارى ذلك الكلام فى الوجه الرابع<sup>(٢)</sup> .

ومن هذا القبيل ما ذكر أبو على فى الميم من اللهم<sup>(٣)</sup> ، وما ذكره أبو البركات فى الإنصاف<sup>(٤)</sup> .

وربما استقى كل من الرجلين تدليله من أصل واحد فجاء الكلام متفقاً فى لغواه .

(ح) وهذه هى الحال التى تعيننا فى هذا البحث ؛ حيث يسلك الانبارى سبيل أبى على فيذكر نصوصه عينها ، ويورد شواهد التى أصابها ؛ وإليك مثلاً كاشفة عن هذه الحال

أورد أبو البركات احتجاج البصريين على أن الاختيار لإعمال الثانى من العاملين فى التنازع ، واستشهد بالنقل والقياس ، وكان مما استشهد به من النقل قوله تعالى : «آتونى أفرغ عليه قطراً» ، حيث أعمل الفعل الثانى ، ولو أعمل الفعل الأول لقال : أفرغه عليه .

وكان مما أورده أيضاً قول الآخر :

قضى كل ذى دين فوقى غريمه وعزة مطول معنى غريمها

فأعمل الثانى فى هذا البيت فى مكانين<sup>(٥)</sup>

وأبو البركات فى هذا الكلام يعتمد على أبى على دون سواء ؛ وإن لم يصرح باسمه ، ذلك لأن أبا على أورد فى البصريات مانعه :

قال أبو على (أيده الله) :

ما أصبت مما أعمل فيه الثانى قوله ؛ قال آتونى أفرغ عليه قطراً ؛ وقول كثير :

قضى كل ذى دين . . . الخ

(١) الشراذيات ٤٢

(٢) انظر الشراذيات ٤٨

(٣) انظر الإنصاف ١٦٢

(٤) الإنصاف ٦٣/١

(٥) انظر الإنصاف ٢١١/١

أعمل الثاني وهو فوقى، ولا يخلو غريهما من أن ترفعه بمطول أو بمعنى، فإن رفعت به معنى وقد جرى الأول على غير من هو له لأنه جرى على المؤنث وهو للغريم فينبغي له أن يظهر الضمير الذى هو المضمير على شريطة التفسير، فلما لم يظهر علمنا أنه لم يرفع بمعنى لأنه لو رفع الغريم بمعنى لأظهر الضمير فى بمطول إذ جرى على غير من هو له وحذف الفاعل لا يجوز عندنا فإذا كان كذلك رفع الغريم بالمطول دون المعنى فأعمل الأول، وإذا أعمل الأول وارتفع الغريم به صار التقدير؛ وعزة بمطول غريهما معنى فلم يحتاج إلى الإظهار فى الثانى، لأنه جرى على الغريم، وهو هو فإذا جرى عليه، وكان إياه فى المعنى ارتفع الضمير فيه به، ولم يحتاج إلى إظهار لجريه على من هو له.

وقياس قول من لم يظهر الضمير فى اسم الفاعل وإن جرى على غير من هو له أن يجوز رفع غريهما بمعنى ويضمير فى الأول على شريطة التفسير.

وما أورده الانبارى يكاد يكون بلفظه أبى على<sup>(١)</sup> وإن اختلفا فى المذهب، أبو على يرى أن غريهما مرفوع بالاول، والانبارى يرى أنه مرفوع؛ لثانى.

ثم يفهم من قول أبى على «ما أصبت بما أعمل فيه الثانى...»، أن هذه الشواهد من مبتكرات أبى على، نقلها أبو البركات وتخذها مما يحتاج به البصريون على أعمال الثانى من الفعلين المتنازعين دون أن يسند الشاهد إلى من أصابه.

\* \* \*

وتقرأ فى الإنصاف النص الآتى. نقله أبو البركات للاحتجاج على أن أمثلة الأفعال مشتقة من المصادر.

ومنهم — أى ومن البصريين — من تمسك بأن قال. الدليل على أن المصدر ليس مشتقاً من الفعل أنه لو كان مشتقاً منه لكان يجب أن يجرى على سنن فى القياس ولم يختلف كما لم يختلف أسماء الفاعلين والمفعولين فلما اختلف المصدر اختلف الأجناس كالرجل، والثوب، والتراب، والماء، والزيت، وسائر الأجناس دل على أنه غير مشتق من الفعل.

ومنهم من تمسك بأن قال: «لو كان المصدر مشتقاً من الفعل لوجب أن يدل على ما في الفعل من الحدث والزمان، وعلى معنى ثالث، كما دلت أسماء الفاعلين والمفعولين على الحدث وذات الفاعل والمفعول به، فلما لم يكن المصدر كذلك دل على أنه ليس مشتقاً من الفعل<sup>(١)</sup>».

وكلام الانباري يكاد يكون بالفاظ أبي على في التكملة:  
قال أبو على:

في باب المصادر والأفعال المشتقة منها وأسماء الفاعلين والمفعولين الجارية عليها، وأسماء الأزمنة والامكنة المأخوذة من ألفاظها.

اعلم أن أمثلة الأفعال مشتقة من المصادر كما أن أسماء الفاعلين والمفعولين مشتقة منها، ولو كانت المصادر مشتقة من الأفعال لجرت على سنن في القياس، ولم تختلف كما لم تختلف أسماء الفاعلين والمفعولين، فلما اختلفت المصادر اختلف سائر أسماء الأجناس دل ذلك على أن الأفعال مشتقة منها وأنها غير مشتقة من الأفعال

وأيضاً فلو كانت المصادر مشتقة من الأفعال لدلت على ما في الأفعال من الحدث والزمان، وعلى معنى ثالث كما دلت أسماء الفاعلين والمفعولين على الحدث وذات الفاعل والمفعول به وكذلك سائر المشتقات، فلما لم تكن المصادر كذلك علم أنها ليست مشتقة من الأفعال<sup>(٢)</sup> وقد شرح ذلك في العسكرية<sup>(٣)</sup> والبصريات<sup>(٤)</sup>.

وهكذا نرى أبا البركات ينقل نص أبي على في التكملة، بألفاظه ولا يزيد إلا ما كان من تمثيله لأسماء الأجناس كالرجل والثوب...

ولدى أمثلة كثيرة من هذا الضرب الذي ينقل فيه أبو البركات كلام أبي على نقلاً يكاد يكون بألفاظه، واكتفى — إيثاراً للاختصار — أن أشير إلى هذه المسائل ومصادرهما ليرجع إليها من شاء.

(١) الانصاف ١/٤٦-١٤٧ (٢) التكملة ١٦٢ (٣) انظر لوحة ١٣٢

(٤) انظر لوحة ٨٨

(١) جمع الاسم الذى آخره تاء التأنيت بالواو والنون فى العسكريات<sup>(١)</sup> .  
ونقل أبو البركات احتجاج أبي على<sup>(٢)</sup> .

(ب) عامل النصب فى المستثنى بإلا تحدث عنه أبو على واحتج له فى الحجة<sup>(٣)</sup>  
وأورد كلامه أبو البركات<sup>(٤)</sup> .

(ج) جاء فى التكملة برهان أبي على على أنه لا يجوز أن يتقدم مفعول شئ من  
أسماء الأفعال عليها ، لأنها ليست كالأفعال فى الفن، وتأول قول الله تعالى «كتاب الله  
عليكم» ، واستشهد بقول الشاعر .

ما إن يمس الأرض إلا منكب منه وحرف الساق طى المحمل<sup>(٥)</sup>  
فكان كلام أبي البركات قريباً مما قاله أبو على فى التكملة ، حيث أورد الآية  
الكرمية ، وبيت الشاعر السابق ، وتأويل أبي على للآية والبيت<sup>(٦)</sup> .  
كل هذا من غير أن ينسب إلى أبي على ما قال .

\* \* \*

وبعد فيجمل بي أن ألخص ما بين الرجلين من تخالف بعد أن بينت مدى تأثر  
أبي البركات بأبي على الفارسي — فى الاحتجاج .

فأولاً : يلفاك أبو على فى المسائل التى يوردها محتجاً لها فى صورة صاحب مذهب  
يدلل عليه . أما الانبارى فجَماع للآراء المختلفة يدل على ذلك قوله بعد أن ذكر آراء  
رجال الكوفيين والبصريين :

فهذا منتهى القول فى تفصيل المذاهب واللغات ، فلنبداً بذكر الحجج  
والاستدلالات<sup>(٧)</sup> . ونشأ من ذلك :

ثانياً : أن أبا على واضح الشخصية ، إذ أن ما يقوله إنما هو من مبتكراته  
واستنتاجاته ؛ وبهدر ظهور شخصية أبي على فى مسائل الخلاف والاحتجاج لها اختفت

(١) لحة ١٣٨ (٢) الإنصاف ١/٢٦-٣١

(٣) الحجة ١/١٠٤-١٠٦ (٤) الإنصاف ١/١٦٧

(٥) التكملة ٥١ والبيت من شواهد الكتاب انظر الكتاب ١/١٨٦

(٦) الإنصاف ١/١٤٠-١٤١ (٧) الإنصاف ١/١١

شخصية الانبارى فيما يعرض من حديث ولا تكاد شخصيته تظهر كأن يفسد رأياً أو يفند استدلالاً<sup>(١)</sup>

ثالثاً: أبو على يسند كل قول إلى صاحبه ، وذلك مظهر من مظاهر أمانته العلمية وقد تجاوز الانبارى ذلك كثيراً ، وقد رأينا كيف ينقل نصوص أبي على وشواهد التي أصاب من غير أن يشير إليه .

رابعاً: يتفق الرجلان في نزعهما البصرية ، ثم يختلفان في تقدير رجال هذه المدرسة: فالانبارى يذكر آراء المبرد — مثلاً — معترفاً بها ، ولكن أبا على كثيراً ما يتعقبه ويفسد ما يقول .

خامساً: أسلوب أبي على أسلوب فيه الغموض والاستطراد أما أبو البركات فيعرض المسألة في أسلوب على تغشاه غلالة من حسن السبك ، وقوة الأسر .

سادساً: تحس روح الحوار ، وتجاذب الآراء في الإنصاف ، على حين يحتقن هذا الروح في احتجاج أبي على لمسائل الخلاف .

سابعاً: يختلف منهج أبي على عن منهج أبي البركات : أبو البركات يسلك الخطوات الآتية :

- (١) يصدر المسألة بذكر مذهب الكوفيين إجمالاً .
- (ب) يتبع ذلك مذهب البصريين إجمالاً كذلك ، وقد يفصل الرأى بذكر آراء لرجال كل فريق ، وهنا يعين المتبع من رجال كل فريق آراء الفريق الآخر .

(ج) يذكر احتجاج الكوفيين

(د) يذكر احتجاج البصريين .

- (هـ) يذكر الجواب عن احتجاج الكوفيين مدفوعاً في ذلك بنزعه البصرية ، ومن هنا وافق مذهب البصريين ، ولم أره رجح مذهب الكوفيين إلا في سبع مسائل<sup>(٢)</sup> .

أما أبو على فيذكر المسألة ، ويبين رأى من سبقه من الاعلام كالخليل

---

(١) انظر مثلاً ١٣/١

(٢) مسألة ١٠ و ١٨ و ٢٦ و ٧٠ و ٩٧ و ١٠١ و ١٠٦

وسيؤيه وغيرهما ثم يحتج وقد يتعرض لآراء الكوفيين بالتفنيد في أثناء الاحتجاج .

ثامناً : تشيع مسائل الخلاف في كتب أبي علي تراها في الحجة ، والشيرازيات .  
والحلييات والإغفال أما أبو البركات فقد جمعها في كتاب الإنصاف .

تاسعاً : أورد أبو علي كثيراً من المسائل غير التي وردت في كتاب الإنصاف ،  
وذكر آراء غيره من النحاة فيها ، ودلل على ما يراه ، وأكثر ما ترى ذلك في كتاب  
الإغفال<sup>(١)</sup> والحجة

وهكذا نرى امتداد أثر أبي علي وبسطته في النحو وأصوله ، ومسائل الخلاف  
وفي الفصل التالي سأجلى أثره في الأعراب ومداه .

---

(١) انظر من ص ٢ ص ٢٣٠ مثلاً فإن كثيراً من المسائل يلقاك .

## الفصل الرابع أثر أبي علي في الإعراب

تأثر أبي البقاء العكبري بخاصة في إعراب القرآن — بأبي علي

في الفصول السابقة بينت أثر أبي علي في النحو وأصوله ، وفي الاحتجاج لمسائل الخلاف ، وكيف تأثر به تأثراً واضحاً كل من ابن جنى ، وابن الشجري ، وأبي البركات الانباري ، وفي هذا الفصل سأبين مدى تأثر من تناول إعراب القرآن . العكبري بخاصة ، والمفسرين بعامة — بأبي علي ، وبذلك تكتمل حلقات السلسلة التي قصدت توضيحها في هذا البحث .

\* \* \*

والعكبري هو محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله ، توفي سنة ٦١٦ هـ<sup>(١)</sup> أخذ عن السلي الذي أخذ عن الجواليقي<sup>(٢)</sup> ، والجواليقي روى الإيضاح عن التبريزي<sup>(٣)</sup> ، كما أشرت إلى ذلك من قبل ، ثم كان للعكبري شرح الإيضاح وتكملته<sup>(٤)</sup> وشرح اللع لابن جنى<sup>(٥)</sup> .

ذلك مبلغ العلم بالنسب العلمي الذي ربط بين العكبري وأبي علي . ولكني إن قابلت بين إعراب أبي علي لبعض آي القرآن ، وإعراب العكبري وجدت أن الصلة قوية بين الرجلين ، وأن أثر أبي علي واضح فيما تناول العكبري معرباً لآي القرآن . وإليك البيان :

أولاً : جاء في البغداديات د من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ما متعلق الجار والمجرور<sup>(٦)</sup>

قال أبو علي د في متعلق الجار والمجرور ما نصه . يجوز عندي أن يكون متعلقاً بنصير كأنه . وكفى بالله نصيراً من الذين هادوا بدلالة قوله تعالى فن نصيرنا من بأس الله . .

(١) بنية الوعاة ٢٨١ (٢) بنية الوعاة ٣٤١ (٣) فهرس المخطوطات المصورة ٣٧٩

(٤) مخطوطه رقم ٢٠٧ نحو ( فهرست دار الكتب ) ١٢٤

(٦) لوحة ٤٩

(٥) بنية الوعاة ٢٨١



ويستنتج من عبارة أبي على بحوز عندي . . . أن هذا الإعراب مسند إليه وهو الذي قال به أولاً . ثم في ذلك الإعراب استشهد بالقرآن واستعانة به على التوجيه الإعرابي : وتلك سمة من سمات أبي على

فإذا قال العكبرى ؟ أورد أوجهاً ثلاثة لمتعلق الجار والمجرور<sup>(١)</sup> . وجاء في الوجه الثاني ما نصه . « أن من الذين متعلق بنصير . فهو في موضع نصب به كما قال » فن ينصرنا من بأس الله ، أى يميننا<sup>(٢)</sup> .

وأرى نقل العكبرى رأى أبي على ظاهراً لا يحتاج إلى بيان ، وإن أردتم الاستيثاق من نسبة هذا الرأى إلى أبي على دون سواء فاقروا ما جاء في كتابه الحجة . وأما قوله ( عز وجل ) والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً ، وكفى بالله نصيراً من الذين هادويحرفون الكلم عن مواضعه ، فسألني أحد شيوخنا عنه وأجبتُه بأن التقدير ، وكفى الله نصيراً من الذين هادوا ، فقوله من الذين هادوا متعلق بالنصرة كما قال : فن ينصرنا من بأس الله إن جأنا أى يميننا<sup>(٣)</sup> . . . ثم أورد توجيهاً آخر . . .

فسؤال أحد الشيوخ أبا على ، وإجابته بما أجاب صريح في أن هذا التوجيه الإعرابي لأبي على ، فإذا نقله أحد المعربين كان معنى ذلك أن مصدره أبو على لا غير . ثم انظر قول أبي على بعد ذلك — وأكثر الناس فيما علمت — يذهبون إلى أن المعنى من الذين يحرفون الكلم لحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه كقوله « ومن آياته يريكم البرق ، أى آية يريكم فيها البرق أو يريكموها البرق<sup>(٤)</sup> — فهو يدل بما صدر به هذه العبارة على أن الرأى الأول له ، وأن ذلك الرأى الآخر هو ما يذهب إليه غيره من أكثر الناس .

ثانياً . « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك<sup>(٥)</sup> »

قال أبو على ما نصه : اعلم أن قوله ( عز وجل ) فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك أن لا الأولى نافية لشيء متوهم أو متقدم الذكر من إيمانهم ، فنفي ذلك فقيل فلا ثم قيل : وربك لا يؤمنون . فلا الثانية متعلقة بالقسم متلفية له ، وهى تدل

(١) يلاحظ أن أبا على أورد أوجهاً أخرى ، ولكنى استشهدت بالوجه الذى ثبت تأثر العكبرى به .

(٢) إعراب القرآن للعكبرى ١/١٠٣ (٣) الحجة نسخة مراد ملا ١/٣١٦

(٥) النساء : آية ٦٥

(٤) المصدر السابق

على المحذوف المتقدم الذكر أو المتوهم ، وحسن الحذف لدلالة هذا المذكور المنفى بالقسم عليه ، وإن جعلت تأكيداً لم يمتنع كأنه : « فورك لا يؤمنون ، كقوله : فورك السماء والأرض إنه لحق » (١) .

ويبدو من هذا النص أيضاً ما بدا من سابقه من أن أبا على يستشهد بالقرآن في التوجيه الإعرابي ذلك قوله : « وإن جعلت تأكيداً لم يمتنع كأنه ... » .  
 فإذا قال العكبري في إعراب « فلا فورك » ؟  
 قال فيه وجهان : أحدهما : أن الأولى زائدة ، والتقدير فورك لا يؤمنون ( وهو إيجاز لما قال أبو على ) .

وقيل الثانية زائدة والقسم معترض بين النفي والمنفى .  
 والوجه الآخر : أن « لا » نفي لشيء محذوف تقديره فلا يفعلون ثم قال « فورك لا يؤمنون » (٢) وهاتم أولاء ترون أن العكبري أجهل ، على حين أن أبا على فصل ، وغوى قول العكبري يتفق مع أبي على مع زيادة أوردها العكبري بأن ( لا ) الثانية زائدة .

ثالثاً : العامل في حيث من قوله تعالى : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » (٣) .  
 قال أبو على : فاما قوله : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » فالقول في العامل في حيث أنه لا يخلو من أن يكون أعلم هذه المذكورة أو غيرها وإن عمل أعلم فيه فلا يخلو من أن يكون ظرفاً أو غير ظرف : فلا يجوز أن يكون العامل فيه أعلم على حسب ما عمل أحوج في ساعة في قوله :

« فأنا وجدنا العرض أحوج ساعة ... » لأن المعنى يصير أعلم في هذا الموضع أو هذا الوقت ، ولا يوصف الله ( عز وجل ) بأنه أعلم في مواضع أو أوقات كما تقول زيد أعلم في مكان كذا منه في مكان كذا أو زمان كذا ، فإذا كان كذلك لم يجوز أن يكون العامل أعلم هذه ، فإذا لم يجوز أن يكون إياه كان فعلاً يدل عليه أعلم . وإذا لم يجوز أن يكون حيث ظرفاً لما ذكرنا كان اسماً ، وكان انتصاب المفعول به على الاتساع كما يكون ذلك في كم ونحوها . ويقوى ذلك دخول الجار عليها ،

(١) البغداديات ٤٩

(٢) آية ١٢٤ من سورة الأنعام

(٣) إعراب القرآن ١٠٤/١

وقد حكى بعض البصريين فيها الإعراب <sup>(١)</sup>

وقال العكبرى : حيث هنا مفعول به ، والعامل محذوف ، والتقدير يعلم مواضع رسالاته ، وليس ظرفاً ، لأنه يصير لتقدير يعلم في هذا المكان كذا وكذا وليس المعنى عليه . وقد روى بفتح التاء ، وهو بناء عند الأكثرين ، وقيل « هي فتحة إعراب » <sup>(٢)</sup>

والمقابلة بين هذين النصين تهدي إلى أن العكبرى لخص كلام أبي على تلخيصاً جامعاً غير مغل ، بعد به عن الأسلوب المنطوق الذي يبدو عند أبي على . وقد جاء في المعنى لابن هشام ما يقطع بأن هذا التوجيه الإعرابي إنما هو لأبي على حسب :

قال ابن هشام : « وقد تقع حيث مفعولاً به وفاقاً للفارسي ، وحمل عليه ( والله أعلم حيث يجعل رسالاته ) <sup>(٣)</sup> فهذا صريح في نسبة هذا التوجيه إلى أبي على ، وقد أسند أبو حيان توجيه الفارسي إلى الحوفي <sup>(٤)</sup> وهو خطأ لأن أبا على أسبق من الحوفي ، إذ توفي الأخير سنة ٤٣٠ هـ <sup>(٥)</sup> .

\* \* \*

وقد تتحكم عقيدة الفارسي — وهو معتزلي — في التوجيه الإعرابي ، فيتناقله بعده العربون من ذلك إعرابه قول الله تعالى :  
« ورهبانية ابتدعوها ، من قوله : « وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة ورهبانية ابتدعوها » <sup>(٦)</sup> جعل أبو على ورهبانية مقتطعة من العطف على ما قبلها من رافة ورحمة فانتصب عنده ورهبانية على إضمار فعل يفسره ما بعده فهو من باب الاشتغال أي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها <sup>(٧)</sup> .

والعكبرى في إعراب هذه الآية ينص على أن ( رهبانية ) منصوب بفعل دل عليه ابتدعوها لا بالعطف على الرحمة ، لأن ما جعل الله تعالى لا يبتدعونه <sup>(٨)</sup>

- 
- |   |                                |
|---|--------------------------------|
| (١) الحجة نسخة مراد ملا ١٢/١  | (٢) إعراب القرآن للمكبرى ١٤٦/١ |
| (٣) معنى اللبيب ١١٤/١   | (٤) انظر المحيط ٢١٦/٤          |
| (٥) انظر بنية الوعاة ص ٣٢٥  | (٦) سورة الحديد آية ٢٧         |
| (٧) البحر المحيط ٢٢٨/٨ والمعتزلة يقولون ما كان مخلوقاً لله لا يكون مخلوقاً للمبد فالرافة والرحمة من خلق الله والرهبانية من ابتداء الانسان فهي مخلوقة له . |                                |
| (٨) إعراب القرآن ١٣٥/٢  |                                |

ومن هنا تبع الزمخشري — وهو معتزلي — أبا علي في كثير من الترجيح الإعرابي لا سيما المتعلق منه بآراء المعتزلة <sup>(١)</sup> .

وجاء في الحلبيات : <sup>(٢)</sup> سألت ( أعزك الله ) عن إعراب قوله تعالى : « إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم » <sup>(٣)</sup> ثم تناول العطف في قوله « وأقرضوا » ودلل على أنه يجوز أن يكون قوله « وأقرضوا الله معطوفاً على الفعل المقدر في الموصول الأول على أن يكون التقدير إن الذين صدقوا وأقرضوا الله <sup>(٤)</sup> »

ورأى أبو علي أن يجعل العطف اعتراضاً بين الصلة والموصول فإن شئت حملته على أن الخبر غير مذكور ، وإن شئت جعلت المعطوف والمعطوف عليه بمنزلة الفاعلين ، وجعلت العطف عليهم .

ثم قال : وحمله على الاعتراض أرجح الوجوه ، لأن الاعتراض قد شاع في كلامهم واتسع وكثر ولم يجر ذلك عندهم مجرى الفصل بين المتصلين بما هو أجنبي ، لأن فيه تسديداً وتبييناً فأشبهه من أجل ذلك الصفة والتأكيد <sup>(٥)</sup> .

وقد اختار التقدير الأول الزمخشري ونقله في الكشف ، قال : « فإن قلت : علام عطف قوله ( وأقرضوا ) قلت على معنى الفعل في المصدقين لأن اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى أصدقوا كأنه قيل إن الذين أصدقوا أقرضوا <sup>(٦)</sup> » .

وقد نص على اتباع الزمخشري لأبي علي — أبو حيان <sup>(٧)</sup> .  
وتكني هذه المقابلات بين النصوص دليلاً على أثر الفارسي في كتب الأعراب ، وأحيل القاري إلى المقابلات الآتية ، فسيجد فيها آثار أبي علي بينة :

- ( أ ) « أبي جوده لا البخل . . . » إعراب لا في الحجة <sup>(٨)</sup> والمغنى <sup>(٩)</sup> .  
( ب ) « وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون » القول في أنها الإغفال <sup>(١٠)</sup> والمغنى <sup>(١١)</sup> .

(١) انظر مثلاً تفسير الكشف ٦٧/٤ و٦٩، البحر المحيط ٢٢٨، ٢٢٣/٨

(٢) الحلبيات ٢٦٦ تيمور ١٠٢ (٣) سورة الحديد آية ١٨

(٤) الحلبيات ٢٦٦ تيمور ١٠٢

(٥) الحلبيات ٢٦٦ تيمور ١٠٤ (٦) انظر الكشف ٦٧/٤

(٧) انظر البحر المحيط ٢٢٣/٨ (٨) الحجة ١١٤/١ مراد ملا

(٩) المغنى انظر ١٩٦/١ (١٠) ٤١٧ وما بعدها (١١) ١٩٧/١

(ج) إعراب غير في قوله تعالى غير ناظرين إناه في كتابي الحجة <sup>(١)</sup> وإعراب القرآن للعكبرى <sup>(٢)</sup> .

(د) د وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ، انظر كلام أبي علي في توجيه العطف في أو يرسل : <sup>(٣)</sup> وكلام العكبرى في ذلك <sup>(٤)</sup> .

ولأن أبا علي يحتفل في كتاب الحجة بإعراب المشكل من أى كتاب الله ، عد بذلك منبعاً لأولئك الذين ألفوا كتب إعراب القرآن ، ولأولئك المفسرين الذين منحوا فضل اهتمام بإعراب القرآن ، أمثال أبي حيان في كتابه البحر المحيط ، وسأضرب مثلاً لإعراب أبي علي لآية من أى القرآن ثم أدلل كيف توزعها العربون من بعده والمفسرون .

قال أبو علي : د وما جاء غير فيه صفة قوله ( عز وجل ) : لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر . فن رفع غير كان وصفاً للقاعدين ، والقاعدون غير مقصود قصدهم كما كان قوله ( عز وجل ) الذين أنعمت عليهم كذلك ، والتقدير لا يستوى الله عدون من المؤمنين الأصحاء والمجاهدون .

ومن نصبه كان استثناء من القاعدين ، وإن شئت كان من المؤمنين ، لأن غير واقع بعد الاسمين الموصولين ، ولو وقع متقدماً على المؤمنين لم يكن استثناءؤه إلا من القاعدين ؛ لأن العامل في المستثنى ما في الصلة فلا يجوز أن يتقدم على الموصول .

ومن جر غيراً كان وصفاً للمؤمنين ، والتقدير . لا يستوى القاعدون من المؤمنين الأصحاء <sup>(٥)</sup> .

وقال العكبرى : د غير أولى الضرر ، بالرفع على أنه صفة للقاعدين لأنه لم يقصد به قوم بأعيانهم ، وقيل هو بدل من القاعدين .

(٢) ١٠١/٢

(١) ١٠٨/١ مراد ملا

(٤) إعراب القرآن ١١٨/٢

(٣) الحجة ١٠٧/١

(٥) الحجة ١٠٨/١ نسخة مراد ملا

ويقرأ بالنصب على الاستثناء من القاعدين أو من المؤمنين — أوحالا .  
وبالجر على الصفة للمؤمنين<sup>(١)</sup>

وقال الزمخشري : غير أولى الضرر ، بالرفع صفة للقاعدون ، والنصب . استثناء  
منهم أو حال ، والجر صفة للمؤمنين<sup>(٢)</sup>

وقال أبو حيان . فأما قراءة الرفع فوجهها الأكثرون على الصفة ، وهو يقول  
سيبويه كذا ذكره أبو علي<sup>(٣)</sup>

وانظر تفسير أبي السعود<sup>(٤)</sup> .

وقال ابن هشام . وقال تعالى : لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى  
الضرر ، ووجه قراءة الرفع بأنه صفة للقاعدون : لأنهم جنس<sup>(٥)</sup> .

وقد يكون ذلك التوجيه الإعرابي من هؤلاء غير مقطوع بأنهم نظروا فيه إلى  
الشيخ أبي علي ، لاحتمال أن يدرك ذلك التوجيه من له صفة بالصناعة النحوية ،  
وفقه المعنى الذى يتوقف عليه الإعراب ، ولكن ورود عبارة : لم يقصد به قصد  
قوم بأعيانهم ، عند العكبرى ، وهى نفسها التى ذكرها أبو علي : والقاعدون غير  
مقصود قصدهم ، والنص من أبي حيان على أبي علي ، وقول ابن هشام — مفسراً  
قول الفارسي والقاعدون غير مقصود قصدهم — : لأنهم جنس ، كل ذلك يرجح  
أن يكون ذلك التوجيه معتمداً فيه على أبي علي .

\* \* \*

هذا ولا أريد إدماج شخصية العربيين فى شخصية الفارسي ، فهذا غير مقصود ،  
وأنى ذلك مع تشعب الآراء النحوية ، واختلاف مذاهب النحاة — قبل أبي علي  
وبعده ، ولكنى قدمت الدلائل التى أستند إليها على تأثر العربيين بالشيخ ، وأتبع  
هذه الدلائل بما يبين هذا الأثر على وجه التحقيق حيناً ، وعلى وجه الترجيح حيناً  
آخر ، والله أعلم .

(١) إعراب القرآن ١/١٠٨ (٢) الكشف ١/٢٩١

(٣) البحر المحیط ٣/٣٣٠ (٤) ١/٥٧٠

(٥) المغنى ١/١٣٤

# خاتمة

تلخيص البحث ، والحديد فيه — مقترحات

وإذ قد انتهى بي المطاف إلى هذا الحد الذي اقتضاه المنهج ، وارتضاه البحث ،  
وحيث أوفيت على الغاية منه ، ورسمت له الصورة التي رجوت — يحمل بي أن ألم  
بالمعالم الكبرى للبحث في هذه الخاتمة التي تنعقد بها الثرات ، وتبدي الخطوط  
الرئيسية لما بذلت من جهود ، وما حققت من إضافات .

\* \* \*

موضوع البحث : « أبو على الفارسي وأثره في القراءات والنحو »<sup>(١)</sup> ،  
ورجوت فيه أن أرسم صورة واضحة المعالم لأبي على ، فأجلى شخصيته ، وأتعرّف  
مكانه من السابقين ، والعلماء من طبقته المعاصرين ، وأثره عند الخالفين : في القراءات  
والنحو جميعاً .

وسلكت في الموضوع منهجاً تاريخياً اقتضى أن يقع البحث في سبعة أبواب  
يسبقها تمهيد ، وتتلوها خاتمة ...

ففي التمهيد تحدثت عن نشأة القراءات وتطورها ، ورسمت صورة مختصرة  
للتفاعل بين الفقه وعلم الكلام . وأثر كل في القراءات والنحو .

وكان من نتائج ذلك التمهيد توضيح الجهود التي بذلها المسلمون في الحفاظ على  
القرآن الكريم ، وقيام مدرسة النحو بجانب مدرسة القراءات ، واتخاذ النحويين  
كتاب سيبويه مادة للفتيا في أمور الدين ، وتناول المتكلمين مسائل الفقه بقواعد  
النحويين ، ووقوع التقارض بين هؤلاء وهؤلاء في المذاهب ، والاصطلاحات والأصول ،  
والفروع ، وأسماء المؤلفات . وبهذا التمهيد تدلقت إلى موضوع البحث . ليكون  
التحدث عن أبي على — وهو النحوي المحتج للقراءات موصولاً بما تسلم من جهود .

---

(١) نص الكلمة التي ألفت في تلخيص الرسالة أمام الجمهور قبل المناقشة العلنية يوم ٨ من  
جمادى الآخرة ١٣٧٦ الموافق ٩ من يناير ١٩٥٧ م .

ففي الباب الأول : تحدث في فصول ثلاثة عن عصر أبي علي ، وعن حياته ؛ ثم أحصيت آثاره . ففي الحديث عن عصره رأيت أبا علي قد عاصر الدولة العباسية وهي تجود بأنفاسها ، وتساقط كسفاً هنا وهناك ، فأرخت للحال السياسية والاجتماعية والعقلية حينذاك ، وجعلت البيئة العامة التي نشأ في ظلها أبو علي ، وما تردد في جوانبها من أصداء ، وما كان للعلم فيها — بخاصة — من فتاء ونماء .

ثم انتقلت إلى الحديث عن أبي علي في عيشه ونفسه ؛ حديثاً مفصلاً ؛ استفتيت فيه النصوص ، وما توحى به الآثار ومختلف الاخبار ، فحققت نسبه ؛ ورددت ما قاله المرحوم أحد أمين من أن أم أبي علي فارسية ؛ فهي عربية ربعية من ربعية الفرس ، ثم تحدثت عن كنيته واشتقاقها ؛ ورددت ما قاله الميمنى في إشارة التعمين وتابعه البستاني في دائرة المعارف من أن أبا علي نسوي من نسا ؛ وانتهيت إلى أن أبا علي لم يعقب ؛ وتحدثت عن تنقلاته والدوافع المختلفة إليها ، ونشرت ما ألفه الزبيدي من تنقلات الفارسي ، ورددت ما رتب ابن الجزري ، واستشهدت بالنصوص على يسر أبي علي ، ونظافته ، وأخلاقه ؛ وناقشت ما رمى به من عدم الوفاء ، وكراهية الحروب ، والمجون .

ثم وقفت عند أمانته العلمية فنحت هذه الصفة فضلاً من البيان ؛ وصنفتها في تخرجه ، وتحريره ، وتوقفه فيما يرويه ، ونسبته المنقول شواهد وأقوالاً . وتعيينه الكتاب والمكان ؛ وذكره الظن والحسبان ؛ وإلقائه العهدة على من روى . وتحاميه الادعاء في إثبات ما علم ؛ ونفى ما لم يعلم ، استنباته شيوخه سعيًا منه إلى الحق . وإعلانه أنه لا يدري . وإشارته إلى الرأي في غير إصرار . وضربت على كل أولئك الأمثال من كتبه المختلفة ؛ وعملت لسلوكه هذه المسلك بما تأسى من أساتذته . وبما كان له من رسوخ في العلم رفعه إلى عرض آرائه بجانب آراء غيره من الأئمة السابقين في اعتزاز ويقين

ثم دلت على اعتزاله ؛ وأثبت تشيعه . وتعرفت على الصفات العقلية لأبي علي من مرمية للشريف الرضي . واعتبرتها بما تشير إليه كتب الرجل من خصائص عقلية وما لذلك من دلالات .

واستخلصت من كتب أبي علي مصادره التي اعتمد عليها . واستنتجت منها سعة اطلاعه ، وحرصه على العلم . ودلت على أنه كان يعرف الفارسية .



وكان لابد أن أعترف على الإمام الذي تأثره أبو علي في قرأته القرآن الكريم ،  
والاسباب التي دفعته إلى تأثر ذلك الإمام دون سواء ، فانهيت إلى أنه كان يقرأ  
بما يقرأ أبو عمرو البصري ، وأوردت دلائل هذا التأثر بما ترك أبو علي من شواهد  
ونصوص في كتبه ، وبخاصة كتاباه الحجة والاغفال .

وتناولت مذهب أبي علي الفقهى ، فدلت على أنه كان يتعبد على مذهب أبي حنيفة ،  
وخلصت من ذلك إلى الحديث عن مذهب النحوى ، فأشرت إلى اضطراب المعاصرين  
في ذلك ، وحققت مذهب أولا بما تشير إليه النصوص ، وثانياً بما تدل عليه المقابلة  
بين السمات العامة للمذهب البصرى والكوفى ، وما ورد في كتب أبي علي وثالثاً  
بما انتهت إليه الموازنة بين رأى كل من الفريقين في المسائل النحوية المختلفة ، ورأى  
أبي علي في هذه المسائل ، وفصلت كل واحدة من هذه الثلاث تفصيلاً ، وانتهيت  
إلى أن أبا علي في زمنه كان إماماً ينزع إلى البصرية الأولى في استقلال بآرائه النحوية ،  
وشيخاً لمدرسة قائمة بذاتها لها تلاميذ وأنصار .

وبينت أن أبا علي نظر إلى الشعر على أنه مادة للصناعة النحوية ، لا على أنه وسيلة  
من وسائل التدوق الأدبى ، وتحدثت عن خصائص نثره ، وكشفت عن غلبة الزعة  
المنطقية فيه .

ومضيت بالبحث إلى شيوخ أبي علي فتحدثت عن أولئك الذين أخذ منهم ، وتلقى  
عنهم ، وعن أولئك الذين لم يعاصروهم ولكنه نظر إليهم ، واعتمد عليهم .

وعينت ببيان مدى ما تأثر صاحبي بشيوخه المعاصرين شيخاً شيخاً ، فأبرزت  
الجوانب التي ظهرت عند أبي علي مقتفياً فيها آثار كل منهم ، وأيدت ذلك بالشواهد  
والنصوص ، وهنا أتيت فرصة نبهت فيها إلى ما أخطأ العامل في أعيان الشيعة  
خاصاً بمن اكتفى بأبي بكر من هؤلاء الشيوخ .

ولحظت أن معظم هؤلاء الشيوخ قد اختارهم الله إلى جواره في الربع الأول  
من القرن الرابع ، ورتبت على ذلك أن أبا علي قد خلا له جو الزعامة العلمية نصف  
قرن من الزمان ، تصدرفيه للإمامة التي نزع إليها في حياة شيخه أبي بكر بن الحنيط ،  
وتأكدت له في تعرضه لشيخه : الزجاج ، وابن السراج .

ثم بينت عند الحديث على شيوخه السابقين — كيف ارتفع بأسناده إلى المصادر الأولى: أبي زيد، وسيبويه، والأخفش. وعللت اتجاهه إلى كل من هؤلاء الأعلام. ووضحت مظاهر التأثير التي تبنت عند الشيخ بما اقتنى لهم من آثار.

أما تلاميذ أبي علي. فقد تتبعتهم في كتب التراجم. ورتبت الحديث عنهم على حسب وفياتهم، وبينت أنهم تقسموا علم الشيخ. فكان منهم القاري والمحدث والنحوي. والعروضي واللغوي. ومنهم من استوعب علم الشيخ وتأثره في أطرافه المختلفة كابن جني. وقصدت قصداً إلى تفصيل الحديث عن تلاميذ أبي علي على سبيل النقصي. وأنهم شرفوا وغربوا يثشرون علم شيخهم في العراق والشام وإيران وغزة ومكة. وصقلية. والاندلس. ثم في فارس وأفغانستان وخراسان وأصبهان وجرجان.... قصدت إلى ذلك كله ابتغاء توضيح آثار أبي علي. وذلك يتصل بموضوع البحث الاتصال الوثيق.

وحققت تاريخ الوفاة. وأنه كما يقول الخطيب البغدادي سنة ٣٧٧ هـ. لا كما يقول ابن النديم قبل سنة ٣٧٠ هـ.

وفي الفصل الأخير من الباب الأول: أحصيت آثار أبي علي، ورتبتها: المشكلة أولاً فالإغمال، فالبغداديات، فالعسكريات، فالبصريات، فالحلبيات، فالإيضاح والتكملة، فالشيرازيات، ثم الشعر، وأقسام الإخبار، والحجة والمنثورة ونهت إلى أن النحوصفتها الغالبة. وعلقت على ما فهم بعض الباحثين المعاصرين من هذه الآثار. وذكرت وجه الحق فيما فهموه. وبينت الأسس التي أقمت عليها ترتيب ما حفظ الزمن للشيخ من آثار.

ثم كان الباب الثاني: وفيه تحدثت عن الاحتجاج للقراءات وتطوره حتى عصر أبي علي الفارسي. ولخصت المعالم الكبرى لتطور الاحتجاج في خطوات ثلاث: تخريجات فردية أولاً. وجمع للقراءات الصحيحة والشاذة والبحث عن أسنادها ثانياً واختيار ابن مجاهد القراءات السبع وما دار حول عمله هذا من نشاط في الاحتجاج ثالثاً.

ومنحت فضل بيان منهج سيبويه أمام النجاة في الاحتجاج للقراءات، ثم منهج الطبري أمام المفسرين، ثم نزعة ابن مجاهد إمام المقرئين. وبهذا مهدت الطريق لمعالجة الحلقة الكبرى في تاريخ الاحتجاج: كتاب الحجة لآني على الأثر الظاهر في الدراسات القرآنية والعربية.

وفي صدر الحديث عن الحجة ذكرت ما رأيت من أسباب دفعت أبا علي إلى الاحتجاج لسبع القراءات : وجعلتها في جمع ابن مجاهد لها أولاً : وفي احتجاج سيويه لبعض القراءات في الكتاب ثانياً ثم رأيت أن معظم المشتغلين بالاحتجاج بصريون ، وسميهم واحداً واحداً بقدر ما وسعني الجهد ، فهداني ذلك إلى اعتبار البيئة البصرية سبباً دافعاً إلى الاحتجاج بما سرى فيها من شيوع التفلسف والجدال .

وعرفت ميلاد الحجة ، وعرضت لمنهج أبي علي فيه ، وما يتفشا من الاستطراد ، ثم تناولت بالبيان طريقة أبي علي في شرح غريب القرآن أولاً ، وتفسير النص القرآني ثانياً . مبيناً في العنصر الأول مكانة أبي علي بين من سبقوه : أبي عبيدة ، وابن قتيبة ، وأبي بكر السجستاني ، وقصدت قصداً إلى اختيار هؤلاء ؛ لأنهم يلقون ضوءاً على تطور القاموس القرآني منذ القرن الثاني حتى القرن الرابع ، وذكرت طابع كل ، وأنه يمثل في الغالب الأعم طابع الرواية بما يعتمد على المأثور من الأحاديث والأشعار . ووازنته بطابع أبي علي . ورأيت أن الشيخ يمثل في شرحه الغريب ما سميته مدرسة التحليل الدقيق العميق في شمول واستيعاب .

ثم تحدثت عن الطرق المختلفة التي يسلكها أبو علي في تفسير النص القرآني ، وعللت لكل مسلك ، وضربت الأمثال .

ورأيت — وقد شارك أبو علي في التحديث — أن يظهر أثر ذلك في كتابه الحجة ، فوجدت أن أبرز هذه الآثار احتجاجه بالحديث الشريف في اللغة والنحو والصرف ، وهنا ناقشت يوهان فك فيما ذهب إليه في كتابه العربية حيث أسند إلى ابن خروف الأندلسي المتوفى أوائل القرن السابع — أنه أول من اعتمد على الأحاديث محتجاً بها في اللغة ، ورأيت أن ابن خروف قد تأثر فيما رأى بأبي علي ؛ إذ كان نسبه العلمي موصولاً بالشيخ عن طريق أستاذه الحدب ، وكانت النتيجة التي انتهت إليها أن أبا علي سبق المدرسة الأندلسية في الاحتجاج بالحديث ، والاستشهاد به في اللغة والنحو والصرف جميعاً .

ثم صنف شواهد الحجة من القرآن الكريم والشعر ، فذكرت أنه يستشهد بهذين محتجاً بهما في القراءات ، والمعنى ، والإعراب ، واللغة ، والتدليل على القضايا المنطقية ، وأن الاستشهاد بالشعر ينفرد بعد ذلك حيث يأتي به أبو علي مناظراً شواهد سيويه ، أو معزراً لها ، أو مستشهداً على صحة كلام لإمام النحاة في الكتاب .

ورأيت أن أبا علي حريص على توثيق الشواهد العربية بنسبتها إلى الرواة الذين أنشدوها ، وأن أكثر من أنشد لهم رجلاً :

أما أحدهما : فابو زيد ، وأما الآخر : فأحمد بن يحيى ، وعلت لهذا الاتجاه . وأشرت إلى ما في الحجة من مسائل بلاغية ، ونهيت إلى أثر أبي علي في الدرس البلاغي ، ورأيت أن أبا علي مشهور بين الناس بالقياس ، فرددت هذه الشهرة إلى أسبابها ، وتحدثت عن مظاهرها المختلفة ، في تنويع أبي علي القياس — أولاً ، وتعمقه فيه ثانياً ، وتحكيمة في القراءات واعتبارها بما ورد في اللغة وما سمع منها ثالثاً .

وناقشت المرحوم أحمد أمين في بحث ألقاه على أعضاء المجمع جعل فيه أبا علي من الأحرار المجددين الذين لا يتمسكون بالسماع ، وسقت النصوص الدالة على مخالفتي لما رآه ، وبينت كيف كان أبو علي يحترم السماع ، حتى بلغ من حرصه عليه أن هتف به في مواضع مختلفة من كتبه في الحلييات ، والبغداديات والحجة والعسكريات ، وأن أبا علي كان أقرب إلى المحافظين منه إلى المجددين . وهنا أتيحت فرصة أشرت فيها إلى ما نجم في أيامنا هذه من الدعوة إلى ترك الإعراب .

وقد اعتمد أصحاب هذه الدعوة على نصوص أبي علي فهموها على غير وجهها ، ورجوت مع هؤلاء ، كما رجوت من قبل مع الأستاذ أحمد أمين — أن يكون صاحبي قد سبق إلى روح التجديد ، وأن يجد المجددون في نصوصه الدليل ، ولكن كلام الرجل لا يعين على ما إليه يذهبون .

وخصصت وأنا أتكلم في القياس — علل أبي علي بفضل من البيان وأن بعضها كان مصطنعاً ، وأوضحت الأسباب التي من أجلها برع في التعليل ،

وأنتا الآن لم نعد رضى عن هذه الفلسفات ، وبينت أن الرجل قد فطن إلى ما يقول. المحدثون من علماء اللغات والاصوات في ظاهرة التشاكل ، وتعرض أواخر الكلمات للتغيير .

ثم أشرت إلى مسائل العروض التي تناولها أبو على في الحجة ، وكيف أنه وضع لبنة في صرح العروض الذي ابتدأه الخليل ، وانتهى إلى أبي على ، وتسلسله تلاميذه من بعده حتى نقل تعليقه الدمهورى . في كتابه الإرشاد .

وقومت موقف أبي على من القراءات التي تخالف مذهب النحوى ، ثم بينت أن أبا على وهو لا يكاد يحتاج برسم المصحف — كان في ذلك مدافعاً عن كتاب الله ، وراداً أكيد المجادلين حيث يورد الحجج التي بها يقتنعون .

وجمعت في نهاية الحديث عن الحجة ما يحتاج به أبو على ، ورأيته في القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والشعر العربي القديم ، ولهجات العرب المختلفة ، وأنه يعتد بالكثرة ، ويقدم السماع على القياس ، ويحتج بما ورد في اللغة لما نقل القراء ، كما يحتاج بتعبير سيبويه في الكتاب .

ثم أشرت إلى ثناء الناس على الحجة ، وعرفت بنسخها ، وأماكنها ، وحسن الرأي فيها حتى هذا الزمان .

\* \* \*

ثم خلصت إلى الباب الثالث وفيه عقدت دراسات مقارنة بين أبي على والمحتجين للقراءات : القراء والزجاج ، وابن السراج وابن خالويه . عرضت في هذه الدراسات كتب هؤلاء الأئمة في معاني القرآن والاحتجاج ، فرأيت أن كتاب المعاني للقراء يكشف عن مذاهب القراء الكوفيين في الاحتجاج ، وأنه يسلك مسلك السلفيين ، ورأيت الزجاج مغرماً في الاحتجاج بالاشتقاق ، وتفسير اللفظ القرآني بالقرآن ، وأنه يعتد بأقوال اللغويين ، ويسلك كذلك مسلك السلفيين ، ويغلب على أمره مذهب البصريين .

وكان ابن السراج متهدياً بالحس النفسى في الاحتجاج ، ومخالفاً أصول البصريين ،

ورددت ما قال المرحوم أحمد أمين من أن ابن فارس سبق في التحدث عن الاشتقاق الصغير ، وبينت فضل ابن السراج في سبقه بالتحدث عن ذلك الاشتقاق .

\* \* \*

ثم رأيت ابن خالويه تغلب عليه نزعة السلف في الاحتجاج ، وبينت مظاهر ذلك . وبعد أن بينت مكان أبي علي من المحتجين السابقين والمعاصرين على هذا النحو انتقلت إلى الباب الرابع . وفيه تحدثت عن تأثير الخالفين بأبي علي في الاحتجاج للقراءات :

وقصدت عند الحديث في ذلك أن أترجم لأولئك الذين تأثروا بالشيخ ترجمة تكشف عن طرق تأثيرهم به ، والأسباب الخاصة التي دفعتهم إلى الاشتغال بالاحتجاج . والآثر البعيد الذي كان لهم في ميدان الدراسات القرآنية والإقراء . والطرائق التي سلكها كل في احتجازه . ومدى ارتباطها بما سلك الشيخ . وعرضت الكتب التي اخترتها لهؤلاء المتأثرين عرضاً يعرفها ويصل القارئ بها ؛ لأرى من وراء ذلك كله الهدف الأصلي . وهو تصوير الآثر الكبير الذي خلفه أبو علي في الاحتجاج للقراءات . وبينت تأثير الخالفين بأبي علي في الاحتجاج عند ثلاثة :

أولاً — تلميذه ابن جنى في المحتسب وثانياً — مكي بن أبي طالب حموش القيسي القيرواني في الكشف وثالثاً — أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني في كتابه الموضح .

وكان أوضح ما ظهر في المحتسب من آثار أبي علي الإيجابية . استغلال ابن جنى للعروض . واستخدامه المنطق . وإلمامه بمسائل بلاغية . وتقديره سيئويه . وهجومه على المبرد .

أما الآثار السلبية فكانت في تحامي ابن جنى ما وقع فيه الشيخ من الاستطراد والإملال والخوض في الدقيق من المعاني واللغويات .

ورأيت أن الأصول لأبي علي . ولكن ابن جنى يصوغها صوغاً فيه تذوق ووضوح . ورأيت ابن جنى في المحتسب يستفتي النحاة ، ويعتمد على مذاهبهم . وانتهيت إلى أن ابن جنى في هذا الكتاب كان أقرب إلى السلفية حيث التمس التعليل للشواذ ، ثم رأيت يلتقي مع شيخه في الدفاع عن كتاب الله ، وإن اختلفت الوسائل

تحكما من أبي على للقياس ، ونزوعا من ابن جنى إليه . تعززه الرواية والإسناد .  
وحسن الظن بالقراء .

ثم أوضحت امتداد أثر أبي على إلى المغاربة ، وكيف كان مكي في الكشف متأثراً بأبي على في الجملة ، ثم يعتمد عليه اعتماداً صريحاً تثبته المقابلة بين نصوص الكشف والحجة ، كما يتأثر بالشيخ تأثيراً سلبياً يبدو في اختصار الكشف حتى لا يحدث الملل بقراءته ، وبينت أن مكيّاً على سلفيته واعتداده برسم المصحف كان يحكم القياس في بعض ما قال متأثراً بأبي على .

ووجدت طاهر بن غلبون المصرى النحوى أستاذ الداني يكتب حجة أبي على بخطه لحفرنى ذلك إلى تقصى كتب الداني لا تعرف على أثر أبي على فيها . فوجدت في كتابه الموضع جديداً يستحق التسجيل .

رأيت الداني — وهو سلفى — يتأثر بأبي على فيسلك مسلكه في التعليل بمسائل المنطق وبحوثه . ويدل على أنه يفهم أسلوب سيويه في الكتاب ويقدره . وينظر إلى أوليات الشيخ نظراً خالصاً في التعليل لإمالة بين اللفظين . والاحتجاج لأبي عمرو ومذهبه في رموس الآى ثم رأيته ينقل نصوص أبي على نقلاً لا تغيير يذكر فيه . ومن غير أن ينسب ما نقل إلى الشيخ، وقابلت بين هذه النصوص، وذكرت الأسباب التي من أجلها أغفل الداني ذكر أبي على فيما نقل عنه من آثار .

ثم تلعبت المحتجين للقراءات منذ سيويه في القرن الثانی ، حتى ابن الجزرى في القرن التاسع فتبينت طابعين لمدرستين متميزتين : سميت إحداها مدرسة الاثر ، وسميت الأخرى مدرسة القياس ، وعينت رجال هذه كما عينت رجال تلك ، ورأيت أبا على شامخاً بين السالفين والخالفين حيث يبلغ القمة في تحكيم القياس دفاعاً عن كتاب الله . ويمتد أثره في المحتجين من بعده ، فيحكمون القياس في بعض ما يقولون وإن كانوا سلفيين .

وكان تطوير أبي على للقياس على هذه الصورة — فيما بدالى — أهم ما سجل البحث من جديد .

ثم كان الباب الخامس وفيه تحدثت عن أبي على النحوى ، فألممت لإمامة يقتضيهام مقام بنشأة النحو وتطوره ، وأقمت الدليل على أن أبا الاسود هو الذى وضع النحو ، وقدمت البرهان مفصلاً معتمداً على طبيعة أبي الاسود التى طبع الله عليها ، وجلال مهمته التى ندب إليها .

وناقشت القول بأن أبا الاسود أخذ طريقة علامات فقط المصحف عن السريان ، وانتهيت إلى أن أبا الاسود قام بذلك العمل ابتداء ما لم يقم على غيره الدليل . وأشرت عابراً إلى نشوء المدرستين البصرية والكوفية ، وألمت بالطابع العام لكل منهما ، ورأيت الباحثين يقولون بقيام مدرسة بغدادية ، ومارأيت ذلك ، واستشهدت بكتب الطبقات ، والتراجم ، ونصوص العلماء . ثم ألممت بالنشاط النحوى منذ أبي الاسود حتى أبي على الفارسى؛ لتلتئم أمامى حلقات البحث مترابطة ، فتحدثت عن جهد النحاة فى التأليف ، والجدل ، والمناظرة ، وحلقات المدرس وتعقبهم الشعراء .

ثم كانت الحلقة الاصلية فى بحث أبي على النحوى ، فنظرت كتبه فى ذلك ، ورتبتها متحدثاً عن ميلادها ، وعرضت الخطوط الرئيسية بها ، وتبينت مدى ظهور شخصية أبي على ونزعة النحوية فيها ، والشيوخ الذين اعتمد عليهم ، وروى عنهم وأنشد لهم ، والأصول التى قررهما ، والمصادر التى استقى منها ، ونهجه الذى التزمه فيها ، واعتراضاته التى أوردها ، وأوليائه التى ابتكرها ، والمسائل البلاغية التى تناولها ، ومسائل الخلاف التى احتج لها ، ومادة الاحتجاج التى استند إليها ، ثم مدى استعانة البغدادى فى خزانته بمسائله المختلفة ، وعرفت بأماكنها هنا وهناك .

وانفرد كل كتاب بعد ذلك بخصيصة أو خصائص ، مما يجب أن يشار إليه : ذكرت حقيقة رأى فى المسائل المشكلة ، والبغداديات ، ورأيت أن الإغفال مسائل أصلحها أبو على على الزجاج لا على ابن السراج كما قال ياقوت أولاً على الزجاجى كما أورد القفطى ، وقد غلب الطابع النحوى على الإغفال ، ومن هناك من حقه أن يكون بدار الكتب فى فهرس النحو لا فهرس التفسير .

ورأيت فى البصريات لكثائر أبي على من اللغويات والشواهد المؤتفة ، وتعقبه المبرد ، واعتماده على ثعلب ، ومهاجته الفراء ، حتى وصف لإنشاده بالخطأ الفاحش ، وقسا حتى ذكر أن ما قاله الفراء هذيان ١١

ورأيت الحلييات تلقى ضوءاً على النشاط العلمى بين سيف الدولة والعلماء



فى عصره ، وهو أمر لم يقننه إليه الباحثون من أفردوا سيف الدولة بمجهود على خاص ، كما أنها تنفرد بالحديث عن الكلمات الأعجمية ، يترجها أبو على ، ويزنها ، ويتحدث عن اشتقاقها وتصريفها ، كما أنها تتعرض إلى رسم الحروف ، ورأيت أن الدعوة التي نادى بها الدكتور طه خاصة بالرسم الإملائي ليست جديدة ؛ فهي مستندة فى أساسها إلى رأى لأبي على فى الحليات ؛ حيث قال بوجود كتابة سعى ، ورمى ، ويسعى ، وأشباهاها بالآلاف لا بالياء . وقد أقام الشيخ على ما يراه البرهان والدليل .

وفى تناولى كتاب الإيضاح ذكرت الرأى فى هذه الروايات المتدافعة حول موقف عضد الدولة من ذلك الكتاب ، ورأيت أبا على يصدر فى ترتيب الإيضاح عن فكرة أثر العوامل فى أصول الإعراب ، وتخالف فى ذلك مع سيويه الذى صدر فى ترتيب الكتاب — كما انتهى إليه أستاذى النجدي — عن العوامل نفسها ، كما تخالف مع المبرد الذى رأيت فى المقتضب لا يصدر عن فكرة بعينها ، ومع الزجاجى المعاصر الذى اضطر فى ترتيبه الجمل . وتبعت كتب الخالفين فى النحو ، فتبينت أنهم قفوا أبا على فى الترتيب .

ورأيت أن الإيضاح اسم يدل على مسماه بما التزم فيه أبو على من جعله فى أبواب قصار ، واضحة العبارة ، وتقريبه بالتنظير ، وتحذيره النطق بتعبيرات ، وإلقائه قواعد جامعة تضم شتات التفصيلات . وعلت لِمَسْحِ المنطق البادى فى باب الاستثناء ، وأخريات الإيضاح خاصة ، ثم تحدثت عن شواهد الإيضاح وأمثله ، ورأيت أن أبا على استشهد بيت لأبي تمام للتطبيق على قاعدة ، لا لاستنتاج حكم منه ، وأيدت ذلك بنص لعبد القاهر فى المقتصد ، ولأبي على فى العسكرية ، ورجوت أن يصلح الناس ما فهموه من استشهد أبي على بذلك البيت منذ ابن خلكان حتى الباحثين من علماء هذا الزمان .

ونبهت إلى أن أبا على كان مجدداً فى كتابه الإيضاح ، فاصطنع أمثلة تتصل بالحياة العامة فى عصره : دينية ، وسياسية ، واجتماعية ، وطبيعية على النحو الذى يتوأسى به المربون فى الأيام .

وعنيت ببيان قيمة الإيضاح وأثره ، ووضحت ذبوعه فى الأفطار الإسلامية ، ونصت على أولئك الذين اشتركوا فى إذاعته من تلاميذ الشيخ ، والشراح الذين

تناولوه بالتفسير من الأنداسيين ، والمغاربة ، والمصريين ، والعراقيين ، وحتى متى ظل الناس يشتغلون به ، وانتهيت إلى أنهم انصرفوا عن دراسة الإيضاح حيث بدأت عنايتهم بكتب ابن مالك ، وقدمت على ذلك الدليل .

وكان الحديث عن ترتيب الإيضاح ، وتبويه ، وتأثيره ، واشتغال الناس به — يمثل أثراً بارزاً لأبي على في النشاط النحوى ، كما يمثل لإحدى النتائج الكبرى التى انتهى إليها البحث فى أثر أبى على النحوى ومداه .

ثم خلصت من الإيضاح إلى التكملة ، فبينت أنها تنظم الصرف جملة كما ينظم الإيضاح أبواب النحو جملة كذلك ، ورأيت أن أبا على ألزم الغموض والإبهام فى التكملة وعلكت لذلك ، وعقدت موازنة بين أبى على فى التكملة والزجاج فى كتابه سر النحو المشتمل على « باب ما ينصرف وما لا ينصرف » وانتهيت من هذه الموازنة إلى بيان السمات التى تبنت لى من حديث الرجلين فى هذا الباب ، وصلة كل منهما بسبويه فى الكتاب .

وفى عرضى للشيرازيات علكت سر التائق والتقصى فيها ، ومظاهر ذلك من ارتباط التوجيه الإعرابى بالمعنى البلاغى ، والتهدى بالحس النفسى فى التعليل . ورأيت كتاب الشعر مرآة لثقافة أبى على النحوية ، ودليلاً على براعته فى الحوار والجدل ، وتشقيق المقال .

ووصلت إلى حقائق فيما هو خاص بمسألة الاخبار ، وأقسامها ، وماتبعا من المسائل منسوبة إلى أبى على فى فهرس المخطوطات المصورة بالأمانة العامة للجامعة العربية ، فأثبتت دراستى لهذه المسائل أنها لا تشتمل على مسألة الاخبار حسب ؛ بل تشتمل بجانب ذلك على مسائل أخر ختمت بمسألتين : إحداهما من إملاء الربيع ، والأخرى منسوبة إلى ابن جنى ، وأن مسألة الاخبار صحيحة النسبة إلى أبى على ، أما بقية المسائل فمجموعة من كلام النحاة ؛ فشخصية أبى على فيها غير واضحة ، وقد تكون له شركة فيها على نحو يسير .

وفى تناوله للمسائل المنشورة استظهرت أنها جمعت بعد أن لاقى الشيخ ربه ، ولحظت أن التماسك يبدو فى ترتيب مسائلها ، ورددت شبهة قد تعرض من أن التماسك يتنافى مع تسميتها بالمنشورة ، ووجدت من السما — الميزة لهذه المسائل عنايتها بإعراب آيات القرآن الكريم ، والشواهد الشعرية ، والعبارات المألوفة التى تتصل بموضوع واحد بما يعد بذراً لمغنى ابن هشام .

ثم تحدثت عن اشتغال أبي علي بالتصريف ، والموازن التي يضعها لوزن الكلمات ،  
وأشرت إلى تأثر ابن جني بأبي علي في سر الصناعة ، ومختصر التصريف

\*\*\*

ثم تبيأت بعد هذه الدراسات للتعرف على مكانة أبي علي بين أعلام النحاة  
من معاصريه . فعقدت في الباب السادس موازنات بينه وبين النحاة من طبقته :  
السيرافي ، والرماني ، والزجاجي .

فأولاً : مع السيرافي بينت أنه مذكور بين العلماء بشرحه الكتاب . ومشاركته  
الواسعة في كل فن . وفلجته في الخصومة والمناظرة على متى بن يونس . ولكن لأبي علي  
فضلاً باقياً بكتابه الحجة . ذي الأثر البعيد في الدراسات العربية والإسلامية جميعاً .  
وثانياً : مع الرماني حققت قوله أبي علي الفارسي : « لو كان النحو ما يقوله  
الرماني لم يكن معنا منه شيء . ولو كان النحو ما نقوله لم يكن معه منه شيء » . ونفيت  
تفسير هذه القولة بأن الرماني كان يمزج نحوه بالمنطق . وذهبت في فهمها إلى غير  
ما ذهب الناس من القدامى والمحدثين . وبينت أن أبا علي بهذه العبارة لا يعترف  
بالرماني نحويّاً . وأنه يريد أن يقول له مورّياً : « إن نحوه هو النحو » . وليس  
عند الرماني منه شيء . واعتبرت هذه العبارة بسنة القرآن الكريم في التعبير .  
وعرضت للتدليل على ما ذهبت إليه كتاب الحروف الرماني من مصورات معهد  
المخطوطات بالجامعة العربية . ودلت على أنه جانب المنطق في شكله ، وموضوعه :  
في ترتيبه وتقسيمه وتعليله . ووازنات بين الرجلين في حرفين « ما » ، « ولا » ، وأوضحت  
منهج كل في الحديث عنهما . ثمسكا بالمنطق عند الفارسي . وبعداً عنه عند الرماني .  
ورجوت أن يصحح الباحثون النظر إلى هذه العبارة بما يتفق مع الحقيقة والتاريخ .  
وثالثاً — مع الزجاجي — رأيت أبا علي يستصغر شأنه حتى قال فيما يرويه  
الأنباري أبو البركات : « لو سمع أبو القاسم الزجاجي كلامنا في النحو لاستحيا  
أن يتكلم فيه » . ولم أشأ أن أسلم بهذه العبارة حتى أنصل اتصالاً وثيقاً بنحو الزجاجي  
فأتبين وجه الصواب :

قرأت كتب الزجاجي : اللامات ، والإيضاح في علل النحو ، والجل ، فرأيت  
شخصية الزجاجي في اللامات لا تكاد ، تظهر أو تبين . فلا ترى لها ظلاً أو اجتهداً  
في الرأي والتدليل . ورأيت أن الفارسي لم يرض عن نحو الزجاجي لخلوه من المنطق

في كتابه الجمل . وورد المنطق جنباً إلى جنب في كتابي اللامات والإيضاح على حين أن نحو الفارسي ومنطقه مزيجان لا يكادان ينفصلان .

ثم أنصفت الزجاجي من الفارسي . وعرفت بمكانة الجمل في تاريخ النشاط النحوي . وبينت أن نحو الزجاجي فيه قريب من الاتجاه الحديث في خلوه من المنطق وقضاياه . ومن أجل ذلكم خالفت الفارسي بعد أن تبدل الرأي غير الرأي والميزان

\* \* \*

وبعد أن بينت مكان أبي علي من أعلام النحاة المعاصرين على هذا النحو انتقلت إلى الحديث في الباب السابع عن مدى تأثير الخالفين بنحو أبي علي في الأصول والفروع . ومسائل الخلاف . والإعراب مثلاً على الترتيب بابن جني في خصائصه . وابن الشجري في أماليه ، وابن الأنباري في الإنصاف . وأنى البقاء العكبري في إعراب القرآن .

ففي الخصائص رأيت ابن جني شديد الاعتداد بأبي علي ، يتلقى منه ، ويتبادلان البحث ، ويخوضان معاً فيه . ويصطنع أساليب الشيخ في التدليل والبرهان . وينصب مثله في إيراد الشواهد ، ويؤثر الاستطراد . وعرضت أصولاً ذكرها أبو علي في كتبه المختلفة وبينت كيف بنى ابن جني عليها . ورأيت ابن جني يذهب مذهب شيخه في الاحتجاج بالحديث أولاً في المعنى اللغوي . وثانياً في تقرير الأصول وثالثاً في شرح مذاهب العرب في كلامها .

وفي أمالي ابن الشجري بينت مظاهر التأثير بأبي علي في نقوله عنه ، واعتذاره له ، وقوله بما يراه ، وسلوكه مسلكه في التعليل والتفسير . ورأيت المدى الذي يجرى فيه ابن الشجري متدياً بالشيخ أحياناً حتى تندمج فيه ذاتيته . ومجانباً له حيناً فتظهر عند ذلك شخصيته .

كما دللتني المقابلات بين نصوص أبي علي ونصوص الإنصاف إلى أن ابن الأنباري يدلل بفحوى كلام الفارسي حيناً ، وأحياناً ينقل نصوصه قلاً . ويورد شواهده لإيراداً ، وضربت الأمثلة لهذه الاتجاهات .

كذلكم كان الشأن في بيان تأثير أبي البقاء العكبري بخاصة والمفسرين بعامة بأبي علي في الإعراب .

وهكذا عرفت بأبي على ومكانه من السالفين ، والعلماء من طبقة المعاصرين .  
وامتداد أثره في الخالفين في القراءات والنحو جميعاً .

واقترحت أولاً : أن يكفل أحد الدارسين أبا على لغوياً كما كفلته في هذا البحث  
قارئاً نحوياً .

وثانياً : فحص ماسميته «نحو القراءات» عند سيبويه، الفراء، وابن جني ، والداني  
وبذلك نظفر بنحو موثق بالأسانيد الصحيحة . والنقل الضابط . والآداء الدقيق .  
وثالثاً : استخلاص كتاب القراءات لابن مجاهد من غصون كتاب الحجة فهو  
من تراثنا القديم يعدُّ أمّاً في أصالته وتفردته . وتوثيقه لقراءات السبعة  
من أهل الأمصار .

ورابعاً : لإخراج كتاب الحجة بتحقيقه ونشره ؛ فهو معلية يفتح آفاقاً جديدة  
في الدراسات العربية والإسلامية . وستجد نصوص أبي على — عند ذلك — طريقها  
إلى كتب الباحثين . يفيدون منها . ويحتجون بها . ويرون فيها الدليل . تماماً على الذي  
حققته كتب ابن جني من فوائد بعد أن اتجه إليها الخاصة من علمائنا بالتحقيق  
والإخراج (١) .

وخامساً : لإحياء أثر أبي على بإخراج كتاب المحتسب الذي ينفرد بالاحتجاج  
للشواذ . وإخراجها من نطاق القلة والندرة إلى الكثرة والشيوع في الشعر  
وفصيح الكلام .

وبعد : فذلكم أبو على وتلكم آثاره البعيدة في الدراسات القرآنية والنحوية .  
ولإذ كنا الآن في سنة ١٣٧٦ هـ فنحن إذن نتخفل بعيد أبي على الألفي . فهل أنصفته  
الاقدار فجعلته موضوعاً للدراسة العالية . وهياً الله له من يجلي أثره بعد أن مرَّ  
على وفاته ألف من السنين ؟

ثم هل كرمته الاقدار مرة أخرى فأشركت في توثيق جهدي الذي بذلت —

---

(١) فطنت إدارة الثقافة إلى مافي هذا الاقتراح من فائدة فأسندت إلى صاحب الرسالة  
تحقيق كتاب الحجة بالاشتراك مع الأستاذين الجليلين : الأستاذ علي النجدي ناصف ، والدكتور  
عبد الحليم النجار .

أشركت خاصة من علمائنا يمثلون ثقافتنا في جامعات ثلاث : الأزهر ، والقاهرة  
والإسكندرية (١) .

ما أرى إلا ذاك ؛ كفاء ما نافع الرجل عن كتاب الله ، ولقاء مامت إليه  
باحتهجابه لقراءات القرآن الخالده على الزمان .

\*\*\*

ثم أما بعد ! فما أبرأ إليكم من العثرة والزلة . وما أستغنى منكم — إن وقفتم  
على شيء عن التوجيه والدلالة . ولا أستسكف من الرجوع إلى الصواب عن الغلط ؛  
فإن ابن آدم إلى الضعف والعجز والعجلة ، وفوق كل ذى علم عليم .

## مقابلة التاريخ الهجرى بالميلادى

من ميلاد أبى على ( ٢٨٨ هـ ) حتى ٤٥٠ هجرية

ما يقابله من الميلادى	العام الهجرى	ما يقابله من الميلادى	العام الهجرى	ما يقابله من الميلادى	العام الهجرى
٩٧٠	٣٦٠	٩٣٥	٣٢٤	٩٠٠	٢٨٨
٩٧١	٣٦١	٩٣٦	٣٢٥	٩٠١	٢٨٩
٩٧٢	٣٦٢	٩٣٧	٣٢٦	٩٠٢	٢٩٠
٩٧٣	٣٦٣	٩٣٨	٣٢٧	٩٠٣	٢٩١
٩٧٤	٣٦٤	٩٣٩	٣٢٨	٩٠٤	٢٩٢
٩٧٥	٣٦٥	٩٤٠	٣٢٩	٩٠٥	٢٩٣
٩٧٦	٣٦٦	٩٤١	٣٣٠	٩٠٦	٢٩٤
٩٧٧	٣٦٧	٩٤٢	٣٣١	٩٠٧	٢٩٥
٩٧٨	٣٦٨	٩٤٣	٣٣٢	٩٠٨	٢٩٦
٩٧٩	٣٦٩	٩٤٤	٣٣٣	٩٠٩	٢٩٧
٩٨٠	٣٧٠	٩٤٥	٣٣٤	٩١٠	٢٩٨
٩٨١	٣٧١	٩٤٦	٣٣٥	٩١١	٢٩٩
٩٨٢	٣٧٢	٩٤٧	٣٣٦	٩١٢	٣٠٠
٩٨٣	٣٧٣	٩٤٨	٣٣٧	٩١٣	٣٠١
٩٨٤	٣٧٤	٩٤٩	٣٣٨	٩١٤	٣٠٢
٩٨٥	٣٧٥	٩٥٠	٣٣٩	٩١٥	٣٠٣
٩٨٦	٣٧٦	٩٥١	٣٤٠	٩١٦	٣٠٤
٩٨٧	٣٧٧	٩٥٢	٣٤١	٩١٧	٣٠٥
٩٨٨	٣٧٨	٩٥٣	٣٤٢	٩١٨	٣٠٦
٩٨٩	٣٧٩	٩٥٤	٣٤٣	٩١٩	٣٠٧
٩٩٠	٣٨٠	٩٥٥	٣٤٤	٩٢٠	٣٠٨
٩٩١	٣٨١	٩٥٦	٣٤٥	٩٢١	٣٠٩
٩٩٢	٣٨٢	٩٥٧	٣٤٦	٩٢٢	٣١٠
٩٩٣	٣٨٣	٩٥٨	٣٤٧	٩٢٣	٣١١
٩٩٤	٣٨٤	٩٥٩	٣٤٨	٩٢٤	٣١٢
٩٩٥	٣٨٥	٩٦٠	٣٤٩	٩٢٥	٣١٣
٩٩٦	٣٨٦	٩٦١	٣٥٠	٩٢٦	٣١٤
٩٩٧	٣٨٧	٩٦٢	٣٥١	٩٢٧	٣١٥
٩٩٨	٣٨٨	٩٦٣	٣٥٢	٩٢٨	٣١٦
٩٩٨	٣٨٩	٩٦٤	٣٥٣	٩٢٩	٣١٧
٩٩٩	٣٩٠	٩٦٥	٣٥٤	٩٣٠	٣١٨
١٠٠٠	٣٩١	٩٦٥	٣٥٥	٩٣١	٣١٩
١٠٠١	٣٩٢	٩٦٦	٣٥٦	٩٣٢	٣٢٠
١٠٠٢	٣٩٣	٩٦٧	٣٥٧	٩٣٣	٣٢١
١٠٠٣	٣٩٤	٩٦٨	٣٥٨	٩٣٣	٣٢٢
١٠٠٤	٣٩٥	٩٦٩	٣٥٩	٩٣٤	٣٢٣

ما يقابله من البيلاى	العام الهجرى	ما يقابله من البيلاى	العام الهجرى	ما يقابله من البيلاى	العام الهجرى
١٠٤٢	٤٣٤	١٠٢٤	٤١٥	١٠٠٥	٣٩٦
١٠٤٣	٤٣٥	١٠٢٥	٤١٦	١٠٠٦	٣٩٧
١٠٤٤	٤٣٦	١٠٢٦	٤١٧	١٠٠٧	٣٩٨
١٠٤٥	٤٣٧	١٠٢٧	٤١٨	١٠٠٨	٣٩٩
١٠٤٦	٤٣٨	١٠٢٨	٤١٩	١٠٠٩	٤٠٠
١٠٤٧	٤٣٩	١٠٢٩	٤٢٠	١٠١٠	٤٠١
١٠٤٨	٤٤٠	١٠٣٠	٤٢١	١٠١١	٤٠٢
١٠٤٩	٤٤١	١٠٣١	٤٢٢	١٠١٢	٤٠٣
١٠٥٠	٤٤٢	١٠٣٢	٤٢٣	١٠١٣	٤٠٤
١٠٥١	٤٤٣	١٠٣٣	٤٢٤	١٠١٤	٤٠٥
١٠٥٢	٤٤٤	١٠٣٤	٤٢٥	١٠١٥	٤٠٦
١٠٥٣	٤٤٥	١٠٣٥	٤٢٦	١٠١٦	٤٠٧
١٠٥٤	٤٤٦	١٠٣٦	٤٢٧	١٠١٧	٤٠٨
١٠٥٥	٤٤٧	١٠٣٦	٤٢٨	١٠١٨	٤٠٩
١٠٥٦	٤٤٨	١٠٣٧	٤٢٩	١٠١٩	٤١٠
١٠٥٧	٤٤٩	١٠٣٨	٤٣٠	١٠٢٠	٤١١
١٠٥٨	٤٥٠	١٠٣٩	٤٣١	١٠٢١	٤١٢
		١٠٤٠	٤٣٢	١٠٢٢	٤١٣
		١٠٤١	٤٣٣	١٠٢٣	٤١٤



## مصادر الرسالة ومراجعها

### أولاً — المخطوطات :

- ( ١ ) الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب مصورة بدار الكتب رقم ١٩٦٦٤ ب .
- ( ٢ ) الإبانة والتفهم عن معنى بسم الله الرحمن الرحيم للزجاج مخطوطة رقم ٦٧ نحو ش .
- ( ٣ ) أخبار الزجاجي مخطوطة رقم ٢٢٩٦٧ جامعة القاهرة .
- ( ٤ ) الاختصاف ببحث مخطوط : طه الزيني مكتبة كلية اللغة العربية رقم ٣٨٣ .
- ( ٥ ) ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان مخطوطة بدار الكتب رقم ٨٢٨ نحو .
- ( ٦ ) إشارة التعمين لأبي المحاسن الميمى مخطوطة بدار الكتب رقم ١٦١٢ تاريخ .
- ( ٧ ) إعراب القرآن للنحاس مخطوطة دار الكتب رقم ٣٨٥ تفسير .
- ( ٨ ) الإغفال رقم ٦٩٩ تفسير ٨٧٥ ، ٥٢ تفسير دار الكتب المصرية ثلاث نسخ إحداها بالتمورية .
- ( ٩ ) الإيضاح مخطوطة بدار الكتب ١٠٠٦ نحو ، ١١٢٠ نحو .
- ( ١٠ ) إيضاح علل النحو للزجاجي مخطوطة مصورة بالأمانة العامة للجامعة العربية ف ٢٧ لغة عن شهيد على بالآستانة رقم ٢٥١١ .
- ( ١١ ) تاريخ الإسلام للذهبي نسخة مصورة بدار الكتب ٤٢ تاريخ .
- ( ١٢ ) التبصرة لمكي بن أبي طالب مصورة بدار الكتب رقم ٢٠١٠٣ ومخطوطة رقم ٢٣٩٣٦ ب .
- ١ — صورة شمسية برقم ( ٢٠١٠٣ ) بدار الكتب المصرية .
- ب — مخطوطة برقم ( ٢٣٩٣٦ ب ) بدار الكتب المصرية .
- ( ١٣ ) تحفة الإخوان لابن الجزري مخطوطة رقم ٣٠٦ تفسير بالخزانة التيمورية .
- ( ١٤ ) تحفة الوزراء للشيخ أبي منصور الثعالبي مخطوطة ٥ ش بدار الكتب
- ( ١٥ ) التكملة لأبي علي الفارسي نحو ١٠٠٦ مخطوطة دار الكتب .

- (١٦) تلخيص أخبار النحويين واللغويين لابن مكتوم ٢٠٦٩ تاريخ .  
(١٧) تهذيب اللغة للأزهري مصور بالمجمع اللغوي رقم ٦٢٦ لغة .  
(١٨) جامع البيان للداني مخطوطة بدار الكتب .  
(١٩) جذذات تفضل باطلاعى عليها الاستاذ على النجدي خاصة بأصول بحثه  
في سيبويه .

- (٢٠) جمال القراء لعلم الدين الدخاوى مخطوطة دار الكتب رقم ٩ قراءات م .  
(٢١) الحجة لابن خالويه مخطوطة دار الكتب رقم ١٩٥٢٣ ب .  
(٢٢) الحجة لأبي على الفارسي نسخة بلدية الإسكندرية ٣٥٧٠ ح .  
ونسخة مصورة بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية مخطوطة مراد ملا بالآستانة رقم ٦ .  
(٢٣) الحروف لعلى بن عيسى الرماني مصور على فلم نقلا عن مخطوطة عن المكتبة  
الخليلية بالقدس في معهد المخطوطات بالجامعة العربية .

- (٢٤) الحلبيات لأبي على الفارسي ٥ ش نحو بدار الكتب ، ٢٦٦ تيمور  
(٢٥) الخصائص لابن جني مخطوط نحو ٥ ش .  
(٢٦) رياض العلماء نسخة مخطوطة للشيخ أغا بزرك الطهراني .  
(٢٧) الزاهر للزجاجي مخطوطة رقم ٥٧٧ دار الكتب .  
(٢٨) سر النحو ( ما يتصرف وما لا يتصرف ) للزجاج مخطوطة رقم ١٤٩ نحو .  
(٢٩) شرح أبي سعيد السيرافي لكتاب سيبويه ٥٢٨ نحو تيمور .  
(٣٠) شرح الجعبري لحرز الأمانى مخطوطة دار الكتب رقم ٦١٢ قراءات .  
(٣١) شرح اللع لابن الدهان مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول  
العربية عن مخطوطة قليج على بالآستانة رقم ٩٤٩ .

- (٣٢) الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية لنجم الدين الطوفي مخطوطة  
بدار الكتب رقم ٢٢٨ مجاميع

- (٣٣) طبقات المفسرين : محمد بن على الداودي المالكي مخطوطة بدار الكتب  
١٦٨ تاريخ .

- (٣٤) طبقات النحاة لابن قاضي شبة مخطوطة دار الكتب رقم ٢١٤٦ تاريخ .  
(٣٥) عقد الجمان للعيني القسم الثالث مصورة بدار الكتب رقم ١٥٨٤  
تاريخ مصور .

- (٣٦) عيون التواريخ لابن شاكر مخطوطة دار الكتب رقم ١٤٩٧ تاريخ .  
(٣٧) فوائد العز بن عبد السلام مخطوطة بدار الكتب رقم ٧٧ م تفسير .  
(٣٨) القراءات لابن مجاهد في غصون نسخ الحجة ( انظر الحجة لأبي علي ) .  
(٣٩) القراءات واللهجات العربية — الإمامة عبد الفتاح شلبي .  
(٤٠) قرة العين في الفتح والإمالة وبين اللفظين لابن القاصح مخطوطة رقم ٧٧ دار الكتب قراءات .  
(٤١) كتاب الشعر لأبي علي الفارسي قاعة الدراسات الشرقية بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٦٧٥ لغة عربية طبع في Holis سنة ١٨٦٩ .  
(٤٢) الكشف عن علل القراءات لمكي بن أبي طالب حوش مخطوطة رقم ١٩٩٨٢ ب .  
(٤٣) لطائف الإشارات في علم القراءات لشهاب الدين أبي العباس القسطلاني مخطوطة رقم ٤٩ سنة ١٦١ — ٤٠٦ بدار الكتب .  
(٤٤) اللامات للزجاجي مخطوطة مصور فلم رقم ٧٩٢ بالأمانة العامة للجامعة العربية .  
(٤٥) اللع لابن جني مخطوطة دار الكتب رقم ١٧١٩ نحو تيمور .  
(٤٦) ما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج مخطوطة دار الكتب رقم ١٤٩ نحو .  
(٤٧) المبهيح لسبط الخياط البغدادي مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٦٣٥ قراءات .  
(٤٨) مجالس اللغويين والنحاة نسخة مصورة عن شهيد علي باستانبول .  
(٤٩) المجالس المذكورة للعلماء نسخة مكتبة داماد إبراهيم ١/٧٧٥ .  
(٥٠) المحتسب لابن جني في شواذ القراءات مخطوط بدار الكتب ٧٨ قراءات .  
(٥١) المحكم في اللغة لابن سيدة : قسم دار الكتب ٥٦٦ هـ .  
(٥٢) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي مخطوطة بدار الكتب رقم ١٤٢٥ تاريخ تيمور .  
(٥٣) مسألة في الاخبار والمعاني مصورة بدار الأمانة العامة للجامعة العربية .  
عن مخطوطة داماد إبراهيم رقم ١/٧٧٥ .

- (٥٤) المسائل البصريات لأبي على الفارسي مصورة بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية عن مخطوطة شهيد على باشا بالآستانة رقم ٢٥١٦ : ٢
- (٥٥) المسائل البغداديات لأبي على الفارسي مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن مخطوطة شهيد على بالآستانة رقم ٢٥١٦ / ١
- (٥٦) المسائل الشيرازيات لأبي على مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن مخطوطة راغب باشا بالآستانة رقم ١٣٧٩ .
- (٥٧) المسائل العسكرية لأبي على الفارسي مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن مخطوطة شهيد على بالآستانة رقم ٢٥١٦ : ٤
- (٥٨) المسائل المشكلة انظر المسائل البغداديات .
- (٥٩) المسائل المنشورة لأبي على الفارسي مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن مخطوطة شهيد على باشا بالآستانة رقم ٢٥١٦ : ٥ .
- (٦٠) مسالك الأبصار بدار الكتب النسخة المصورة .
- (٦١) المصحف رقم ٢٦٤ قراءات الخزانة التيمورية .
- (٦٢) معاني القرآن للزجاج مخطوطة رقم ١١١ م تفسير بدار الكتب المصرية
- (٦٣) المفتاح لأبي القاسم عبد الوهاب بن محمد مخطوطة بدار الكتب رقم ١٩٦٦٩ ب .

- (٦٤) الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة وبين اللفظين لأبي عمرو الداني مخطوطة بمكتبة الأزهر ١٠٣ ، ٥٩٨٠٢ قراءات .
- (٦٥) نثر النظم وحل العقد للثعالبي ( ٥ نحو ش )
- (٦٦) النكت في إعجاز القرآن مخطوطة الخزانة التيمورية ٢٩٨ تفسير .
- (٦٧) المقتصد في شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني مخطوطة بالخزانة التيمورية رقم ٣٨٤ نحو .

### ثانياً — المطبوعات :

- (٦٨) إبراز المعاني لأبي شامة مطبعة مصطفى البابي الحلبي شعبان ١٣٤٩ هـ .
- (٦٩) أبو حيان التوحيدى سيرته — آثاره عبد الرازق محي الدين مطبعة السعادة ١٩٤٩ .

(٧٠) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربعة عشر للبنا الدمياطى مطبعة  
عبد الحميد أحمد حنى بمصر ١٣٥٩ هـ .

(٧١) الإتيقان في علوم القرآن للسيوطى المطبعة الكستلية ١٢٧٩ هـ .

(٧٢) أثر القرآن في تطور النقد العربى : محمد زغلول سلام دار المعارف  
سنة ١٩٥٥ م .

(٧٣) الاجتهاد فى النحو العربى : أمين الخولى .

(٧٤) أحسن التقاسيم للقدسى ط ليدن الطبعة الثانية ١٩٠٩ .

(٧٥) أحكام القوافى فى الإنشاد — بحث ألقاه الدكتور عبد الوهاب عزام  
على مؤتمر الجمع فى دورته الثانية والعشرين بتاريخ ١٢/١/١٩٥٦ .

(٧٦) إحياء النحولابراهيم مصطفى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧ .

(٧٧) أخبار سيويه المصرى ابن زولاق تحقيق محمد ابراهيم سعد وحسين  
الديب مطبعة النصر ١٣٥٢ هـ .

(٧٨) أخبار العلماء بأخبار الحكماء القفطى مطبعة السعادة ١٣٢٦ هـ .

(٧٩) أخبار النحويين البصريين للسيرا فى تحقيق كركنو المطبعة الكاثوليكية ١٩٣٦ .

(٨٠) أدب الكاتب لابن قتيبة المطبعة العامرة الشرقية .

(٨١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الاصول للإمام محمد بن على  
الشوكانى .

(٨٢) الاسس المبتكرة — عبد العزيز الازهرى مطبعة العلوم ١٣٦٩ هـ .

(٨٣) الإرشاد الشافى على متن الكافى للدمهورى مطبعة عيسى الحلبي  
بدون تاريخ .

(٨٤) الإشارات والتنبيهات لابن سينا تحقيق سليمان دنيا مطبعة عيسى  
الحلبي ١٣٦٧ هـ .

(٨٥) الاشباه والنظائر للسيوطى فى النحو الطبعة الثانية مطبعة دائرة المعارف  
العثمانية بحيدر أباد الدكن سنة ١٣٥٩ هـ .

(٨٦) الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس مطبعة لجنة البيان العربى الطبعة  
الثانية ١٩٥٠ .

- (٨٧) الأضداد للأببارى المطبعة الحسينية ١٣٢٥ هـ  
(٨٨) أطلس التاريخ الإسلامى تصنيف هارى . و . هازارد ترجمه وحققه  
لإبراهيم زكى خورشيد مطبعة مصر سنة ١٩٥٥  
(٨٩) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للإمام الرازى تحقيق على سامى النشار  
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٦ هـ  
(٩٠) الإعلام للزركلى  
(٩١) إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء راغب الطباخ الحلبي فى سبعة أجزاء المطبعة  
العلية ١٣٤٢/١٣٤٥ هـ حلب .  
(٩٢) الإعلان بتكملة مورد الظمان لابن عاشر مطبعة الاستقامة ١٣٦٥ هـ  
(٩٣) أعيان الشيعة محسن الامين الجزء الحادى والعشرون .  
(٩٤) الاغانى لأبى الفرج الاصفهاني ط الساسى ٢١ جزء مع الفهارس مصر  
١٣٢٢/١٣٢٣ هـ  
(٩٥) الاقتراح للسيوطى مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن  
سنة ١٣٤٩ م  
(٩٦) إقليد الخزانة لعبد العزيز الميمنى الراجكوتى ط لاهور ١٩٢٧ م  
(٩٧) أمالى ابن الشجرى مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن  
سنة ١٣٤٩ م  
(٩٨) الأمالى لأبى على القالى ط دار الكتب الطبعة الثانية ١٣٤٤ هـ  
(٩٩) أمالى المرتضى المسماة غرر الفوائد ودور القلائد تحقيق محمد أبو الفضل  
لإبراهيم فى جزءين مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٤ م  
(١٠٠) الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان تحقيق أحمد أمين وأحمد الزينى الطبعة الثانية  
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٣ م  
(١٠١) إملاء مامن به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن  
المكبرى مطبعة التقدم ١٣٤٧ م  
(١٠٢) الإنباه على قبائل الرواه ابن عبد البر النحوى مطبعة السعادة ١٣٥٠  
(١٠٣) انباه الرواه للقفطى على انباه النحاة تحقيق محمد أبو الفضل لإبراهيم  
ط دار الكتب ١٩٥٠

- (١٠٤) الانساب للسمعاني مأخوذ بالزئكوغراف ١٩١٢ م
- (١٠٥) الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري تحقيق محمد محي الدين عبدالمجيد مطبعة الاستقامة ١٣٦٤ هـ
- (١٠٦) الأوراق للصولي القاهرة ١٩٣٤ م
- (١٠٧) بدائع الفوائد لابن القيم المطبعة المنيرية بدون تاريخ
- (١٠٨) البداية والنهاية لابن كثير في التاريخ مطبعة السعادة ١٣٥١ هـ
- (١٠٩) البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي الجزء الأول تحقيق أحمد أمين والسيد أحمد صقر مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٣ م
- (١١٠) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي مطبعة السعادة ١٣٢٦ هـ
- (١١١) البيان والتبيين للجاحظ حققه وشرحه حسن السندوبي المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٥١ هـ
- (١١٢) بيان زغل العلم والطلب لشمس الدين الذهبي مطبعة التوفيق بدمشق ١٣٤٧ هـ
- (١١٣) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري طبع بولاق ١٢٨٢ هـ
- (١١٤) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان مطبعة الهلال ١٩١١
- (١١٥) تاريخ الأدب العربي بروكلمان الطبعة الثانية ليدن ١٩٤٧
- (١١٦) تاريخ الإسلام السياسي الجزء الثالث حسن إبراهيم الطبعة الثانية مطبعة الشبكشي بالأزهر سنة ١٩٤٩ م
- (١١٧) تاريخ الأمم الإسلامية للأستاذ الخضري مطبعة الاستقامة ١٣٥٣ هـ
- (١١٨) تاريخ المسلمين للشيخ جرجس بن العميد ١٦٢٥ م
- (١١٩) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى مطبعة السعادة ١٣٤٣ هـ
- (١٢٠) تاريخ التشريع الإسلامي للأستاذ محمد الخضري
- (١٢١) تاريخ الحكماء البيهقي مطبعة الترقى بدمشق ١٩٤٦ م
- (١٢٢) تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر بن جرير الطبري في ١٣ جزءاً المطبعة الحسينية ١٣٢٦ هـ
- (١٢٣) تاريخ الشعوب الإسلامية تأليف كارل بروكلمان ترجمة نبيه فارس ومنير

- البعليكي دار العلم لللايين بيروت ١٩٤٨  
(١٢٤) تاريخ الفلسفة في الإسلام دي بور ترجمة أبي ريدة الطبعة الثانية مطبعة  
لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٢٦٨ هـ  
(١٢٥) تاريخ القرآن للزنجاني مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٤ هـ  
(١٢٦) تاريخ قضاة الأندلس المسمى المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا  
أبو الحسن الباهي تحقيق ليفي برونفسال دار الكتاب المصري ١٩٤٨  
(١٢٧) تاريخ النقد الأدبي عند العرب للرحوم طه إبراهيم مطبعة لجنة التأليف  
والترجمة والنشر ١٣٢٧ هـ  
(١٢٨) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر مطبعة عيسى  
الحلبي ١٩٥٤  
(١٢٩) تجارب الأمم لمسكويه مطبعة شركة النمدن الصناعية ١٢٣٢ هـ  
(١٣٠) التذكار في أفضل الأذكار للقرطبي المفسر الطبعة الأولى ١٣٥٥ هـ  
(١٣١) تذكرة النوادر من المخطوطات مطبعة دائرة المعارف العثمانية بمحيدرا باد  
الدكن ١٣٥٠ هـ  
(١٣٢) التسهيل في علوم التنزيل ابن جزى الكلبي ط مصطفى محمد ١٣٥٥ هـ  
(١٣٣) التصحيف والتحريف لأبي أحمد الحسن العسكري مطبعة الظاهر ١٣٢٦ هـ  
(١٣٤) التصريف الملوكي لابن جني تحقيق هوبرغ طبع بون ١٨٨٥ م ومع  
شروح للنحساني الحموي مصر ١٣٣١ هـ  
(١٣٥) التطور النحوي لبرجستراسر مطبعة السماح ١٩٢٩ م  
(١٣٦) التفسير الكبير بالبحر المحيط لأبي حيان في ثمانية أجزاء الطبعة الأولى  
١٣٢٨ هـ — ١٣٢٩ هـ مطبعة السعادة  
(١٣٧) التفسير المسمى غرائب القرآن و رغائب الفرقان النيسابوي — على  
هامش الطبري طبع المطبعة الاميرية ١٩٠٠  
(١٣٨) تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم دار العصور للطبع والنشر  
سنة ١٣٤٧ هـ  
(١٣٩) تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تفسير القرآن للطبري  
(١٤٠) تفسير الفخر الرازي المسمى مفاتيح الغيب  
(١٤١) تفسير القرطبي ط دار الكتب الطبعة الثانية ١٩٣٥ — ١٩٥٠



- (١٤٢) تقديم الخصائص لابن جنى محمد النجار طبعة دار الكتب سنة ١٩٥٢
- (١٤٣) تقديم العثمانية للجاحظ للاستاذ عبد السلام هرون ط ١٣٧٤ هـ
- (١٤٤) تقييد العلم للخطيب البغدادي تحقيق يوسف العش دمشق ١٩٤٩
- (١٤٥) تقويم البلدان المؤيد عماد الدين إسماعيل تحقيق رينرد وديسلان  
دار الطباعة السلطانية بباريس سنة ١٨٤٠
- (١٤٦) تلخيص الفوائد لابن القاصح بشرح عقيلة أتراب القصائد للشاطبي  
ط مصطفى البابي الحلبي الطبعة الأولى ١٩٤٩ م ١٣٦٨ هـ
- (١٤٧) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع أبو الحسين محمد بن أحمد الملقب  
مطبعة السعادة ١٣٦٨ هـ : ١٩٤٩ م
- (١٤٨) تهذيب تاريخ ابن عساكر بن بدران صور منه سبعة أجزاء الشام  
١٣٢٩ / ١٣٥١ هـ
- (١٤٩) التيسير لأبي عمرو الداني في القراءات السبع استانبول ١٩٣٠
- (١٥٠) جامع بيان العلم لابن عبد البر لإدارة الطباعة المنيرية — مصر  
بدون تاريخ
- (١٥١) جامع علوم الشريعة المعروف بالأعمال الخيرية لمحمد منير الدمشقي  
الطبعة المنيرية ١٣٤١ هـ
- (١٥٢) جمع الجوامع للسيوطي طبعة السعادة ١٣٢٧ هـ
- (١٥٣) جهرة أنساب العرب ابن حزم الاندلسي تحقيق ليفي بروفنسال دار  
المعارف ١٩٤٨
- (١٥٤) حاشية الشيخ الأمير على المغني المطبعة الأزهرية ١٩٢٨
- (١٥٥) حاشية الصبان مطبعة صبيح ١٣٤٤ هـ
- (١٥٦) حقائق التأويل في متشابه التنزيل للشريف الرضي الجزء الخامس  
مطبعة القرى بالنجف ١٣٥٥ هـ
- (١٥٧) حرز الأمان ووجه التهانى ( متن الشاطبية ) ١٣٥١ هـ
- (١٥٨) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي مطبعة الوطن  
١٣٩٩ هـ
- (١٥٩) الحضارة الإسلامية ترجمة أبي ريدة الطبعة الثانية مطبعة لجنة التأليف  
والترجمة والنشر ١٩٤٧

- (١٦٠) حضارة العرب تأليف غستاف لوبون ط عيسى الحلبي ١٩٤٨  
ترجمة عادل زعيتر
- (١٦١) خزانة الأدب للبغدادى مطبعة دار العصور
- (١٦٢) الخصائص لابن جنى ط الهلال ١٣٣١ هـ : ١٩١٣ م
- (١٦٣) الخطط المقرزية
- (١٦٤) دائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية
- (١٦٥) دائرة المعارف للبستاني صدر منها أحد عشر جزءاً بيروت ١٨٧٦
- (١٦٦) الدر اللقيط من البحر المحيط على هامش البحر المحيط مطبعة السعادة  
١٣٢٨/١٣٢٩
- (١٦٧) دفاع عن البلاغة للزيات . طبعة الرسالة الطبعة الأولى
- (١٦٨) دلائل الإعجاز — عبد القاهر الجرجاني بتحقيق السيد رشيد رضا  
الطبعة الثانية بمطبعة المنار ١٢٣١ هـ
- (١٦٩) ديوان حسان بن ثابت . طبعة السعادة ١٣٣١ هـ
- (١٧٠) ديوان الشريف الرضى — المطبعة الادبية بيروت ١٣٠٧
- (١٧١) ديوان ميهار الديلمي ط دار الكتب المصرية الطبعة الأولى
- (١٧٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة أغا بزرك الطهراني في ثمانية أجزاء  
طبعة الغرى ١٣٥٥ / ١٣٦٦ هـ
- (١٧٣) ذيل تجارب الأمام لآبي شجاع تحقيق آوررز مطبعة شركة التمدن  
الصناعية ١٣٣٤ هـ
- (١٧٤) رد الإمام الدارمي على بشر المريسي تحقيق حامد الفقى ط أنصار  
السنة المحمدية سنة ١٣٥٨ هـ
- (١٧٥) رد الأستاذ عبد الوهاب حموده على الأستاذ إبراهيم مصطفى فصلة  
من مجلة كلية الآداب م ١٣ ج ١
- (١٧٦) الرد على النحاة لابن مضاء ط ١٩٤٧ م تحقيق شوقي ضيف
- (١٧٧) الرسالة الجديدة العدد ١١
- (١٧٨) رسالة الغفران لآبي العلاء تحقيق بنت الشاطئ دار المعارف ١٩٥٠
- (١٧٩) رسائل صاحب بن عباد تحقيق عبد الوهاب عزام وشوقي ضيف  
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

(١٨٢) الروائع العدد الخاص بالمتنبى بقلم فؤاد أفرام البستانى المطبعة الكاثوليكية بيروت .

(١٨٣) روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات للخوانسارى طهران ١٣٤٧

(١٨٤) سر الزخرفة الإسلامية : بشر فارس ط المعهد العلمى الفرنسى

القاهرة ١٩٥٢

(١٨٥) سر صناعة الإعراب ابن جنى تحقيق الأستاذ مصطفى السقا وزملائه

الجزء الأول مطبعة مصطفى الحلبي ١٩٥٤

(١٨٦) سراج القارىء المبتدى وتذكرة المقرئ المنتهى لابن القاصح مطبعة

مصطفى الحلبي ١٣٥٨ هـ

(١٨٧) سلم الوصول إلى علم الاصول لابن الحاجب

(١٨٨) سيبويه إمام النحاة على النجدي ناصف ط لجنة البيان العربى

مارس ١٩٥٣

(١٨٩) الشافية لابن الحاجب الاستانة ١٨٥٠ م

(١٩٠) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى مصر ١٣٥٠ هـ

(١٩١) شرح الأشموني فى أربعة أجزاء ط صبيح ١٣٤٤ هـ

(١٩٢) د الجاربردى على متن الشافية ط الآستانة ١٣١٠ هـ

(١٩٣) د أدب الكاتب للجوالقى ط المعاهد ١٣٥٠ هـ

(١٩٤) د الشواهد للإمام الشافعى انظر الكتاب لسيبويه

(١٩٥) د المعلقات السبع للزوزنى مطبعة السعادة ١٣٤٤ هـ

(١٩٦) د المفصل لابن يعيش طبع المطبعة المنيرية دون تاريخ

(١٩٧) الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق أحمد محمد شاكر مطبعة عيسى الحلبي

(١٩٨) الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها لابن فارس ط

المؤيد ١٣٣٨ هـ

(١٩٩) صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء للقلقشندي فى ١٤ جزءا المطبعة الأميرية

١٣٣١ / ١٣٣٨ هـ

(٢٠٠) الصبح المنبى فى حيثية المتنبي للبديعى على هامش شرح العكبرى لديوان

المتنبى المطبعة العامرة الشرقية ١٣٠٨ هـ

(٢٠١) صحيفة الأخبار عدد ١٥ / ٢١ / ١٩٥٥

- (٢٠٢) صحيفة الاهرام ١٠ / ٢ / ١٩٥١
- (٢٠٣) صفة الصفوة ابن الجزرى فى أربعة أجزاء مطبعة دائرة المعارف العثمانية  
حيدر آباد الدكن ١٣٥٥ هـ
- (٢٠٤) الصفة فى تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم  
لابن بشكوال
- نشرة السيد عزت العطار الحسينى مطبعة السعادة ١٩٥٥
- (٢٠٥) ضبط الاعلام أحمد تيمور مطبعة دار إحياء الكتب العربية  
الطبعة الأولى .
- (٢٠٦) ضحى الإسلام أحمد أمين الطبعة الثانية مطبعة لجنة التأليف والترجمة  
والنشر ١٣٥٦ هـ
- (٢٠٧) طبقات الشعراء لابن سلام تحقيق محمود شاكر دار المعارف ١٩٥٢
- (٢٠٨) الطبقات لابن سعد طبع ليدن ١٣٤٧ هـ
- (٢٠٩) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم  
مطبعة السعادة ١٩٥٤ م
- (٢١٠) ظهر الإسلام أحمد أمين مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة  
الثانية ١٣٦٥ هـ
- (٢١١) العربية يوهان فك ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار مطبعة دار الكتاب  
العربي ١٩٥٤ م
- (٢١٢) عقيلة أتراب القصائد للشاطبي مطبعة مصطفى الحلبي ١٣٦٨ هـ
- (٢١٣) علم اللغة للدكتور على عبد الواحد وفى الطبعة الثانية مطبعة  
الاعتماد ١٣٦٣ هـ
- (٢١٤) عيون الاخبار لابن قتيبة مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٣ هـ
- (٢١٥) غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى بتحقيق برجستراسر مطبعة  
السعادة ١٣٥١ - ١٠٣٢ م
- (٢١٦) غريب القرآن للسجستاني ط صبيح
- (٢١٧) الغيث المسجم فى شرح لامية العجم أو غيث الادب الذى انسجم  
بشرح لامية العجم المطبعة الوطنية بالاسكندرية سنة ١٢٩٠ هـ رقم ٢٠٩ أدب للصفدى
- (٢١٨) الفخرى لابن طباطبا مطبعة المعارف الطبعة الثانية ١٩٣٨ م

- (٢١٩) فضائل القرآن لابن كثير القرشي مطبعة المنار الطبعة الأولى ١٧٤٨  
(٢٢٠) فقه اللغة على عبد الواحد وافي الطبعة الثالثة مطبعة لجنة البيان  
العربي ١٣٦٠ هـ
- (٢٢١) الفلاكة والمفلوكون للدلي مطبعة الشعب ١٣١٢ هـ  
(٢٢٢) فهرست ابن خير الاشبلي طبعة كوديرا بمجريط  
(٢٢٣) فهرس المخطوطات المصورة في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية  
تصنيف فؤاد سيد الجزء الأول مطبعة دار الرياض ١٩٥٤  
(٢٢٤) الفهرست لابن النديم المطبعة الرحمانية ١٣٤٨  
(٢٢٥) فهرست الخزانة التيمورية الاجزاء الثلاثة الأولى وتتضمن علوم  
القرآن والحديث والعقائد والاصول مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٨ / ١٩٥٠  
(٢٢٦) فهرس دار الكتب المصرية الجديد الجزء الثاني في علوم اللغة مطبعة  
دار الكتب المصرية ١٣٤٥ هـ
- (٢٢٧) فهرست الطوسي المطبعة الحيدرية ١٣٥٦ هـ  
(٢٢٨) في تاريخ النقد الادبي للحاجري مطبعة رويال بالاسكندرية ١٣٧٢ هـ  
(٢٢٩) فوات الوفيات لابن شاکر الكتبي  
(٢٣٠) في اللهجات العربية — لبراهيم أنيس مطبعة لجنة البيان العربي  
الطبعة الثانية سنة ١٩٥٢
- (٢٣١) القاموس المحيط للفيروزابادي المطبعة المصرية الطبعة الثالثة ١٣٥٢ هـ  
(٢٣٢) القرطين أو كتابا مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة لابن مطرف  
الكناني مطبعة الخانجي ١٣٥٥ هـ
- (٢٣٣) القصد والامم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم — ابن  
عبد البر الترمي مطبعة السعادة ١٣٥٠ هـ
- (٢٣٤) القواعد النحوية : مادتها وطريقتها للأستاذ عبد الحميد حسن  
مطبعة العلوم ١٩٤٦
- (٢٣٥) القياس في اللغة العربية للأستاذ محمد الخضر حسين ط ١٣٥٣ هـ  
المطبعة السلفية

- (٢٣٦) الكامل لابن الأثير المطبعة البهية ١٣٣٠ هـ  
(٢٣٧) الكامل للبرد مطبعة التقدم العلمية ١٣٢٣ هـ  
(٢٣٨) الكتاب لسيبويه المطبعة الأميرية ١٣١٧ هـ  
(٢٣٩) كتاب مسائية ، انظر نوادر اللغة لأبي زيد ،  
(٢٤٠) الكشف للزمخشري مطبعة مصطفى محمد الطبعة الأولى ١٣٥٤ هـ  
(٢٤١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون حاجي خليفة الآستانة ١٩٤٧  
(٢٤٢) الكنى والاسماء للشيخ أبي بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي ت ٣١٠  
مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن ١٣٢٢ هـ

- (٢٤٣) اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير مطبعة السعادة ١٣٥٧  
(٢٤٤) لسان العرب — ابن منظور في ٢٠ جزءا المطبعة الأميرية  
١٢٩٩ — ١٣٠٨ هـ

- (٢٤٥) لسان الميزان للحافظ ابن حجر مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد  
الدكن ١٣٢٩ هـ

- (٢٤٦) اللغة والنحو — حسن عون الطبعة الأولى ١٩٥٢ م مطبعة رويال  
بالاسكندرية

- (٢٤٧) مالك بن أنس ترجمة محررة أمين الخولي مطبعة عيسى الحلبي رجب  
١٣٧٠ هـ

- (٢٤٨) المثل السائر لابن الأثير  
(٢٤٩) مجاز القرآن لأبي عبيدة تحقيق فؤاد شركين مطبعة السعادة ١٩٥٤ م  
(٢٥٠) مجلة الأزهر المجلد الثالث والعشرون جمادى الأولى ١٣٧١ هـ  
(٢٥١) مجلة الرسالة عدد ط ٣  
(٢٥٢) مجلة المجمع اللغوي العدد ٦  
(٢٥٣) مجلة المقتطف عدد مايو ١٩٥١ مقال للأستاذ عبد الله أمين أحد نظار  
مدارس المعلمين السابقين

- (٢٥٤) مجلة الهلال ١٩٢٨  
(٢٥٥) محاضرات في البلاغة والنقد لإبراهيم سلامة ربيع الأول ١٣٦٨ هـ

(٢٥٦) محاضرات الأستاذ إبراهيم مصطفى في أصول النحو مؤتمر المجمع  
الدورة السادسة عشرة

(٢٥٧) محضر الجلسة التاسعة من الدورة الخامسة عشرة مجمع اللغة العربية

(٢٥٨) مختار الصحاح

(٢٥٩) مختصر ابن عساكر

(٢٦٠) مختصر التصريف الملوكي لابن جنى نشر

GODO FREDVS - HOBERG ط. LIPSIAE

(٢٦١) مختصر شواذ القرآن من كتاب الديدع لابن خالويه ط الرحمانية ١٩٣٤

(٢٦٢) المختصر في أخبار البشر — لأبي الفداء المطبعة الحسينية ١٣٢٥ هـ

(٢٦٣) مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه تحقيق دى غوية ط ليون

(٢٦٤) المختص لابن سيده في ١٧ جزءاً المطبعة الأميرية ١٣١٦/١٣٢١ هـ

(٢٦٥) الزهر للسيوطي تحقيق الأستاذ جاد المولى وزميله مطبعة عيسى الحلبي

دون تاريخ

(٢٦٦) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري الجزء الأول

بتحقيق أحمد زكي باشا مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٤

(٢٦٧) المصاحف للسجستاني تحقيق آرثر جفري المطبعة الرحمانية ١٣٥٥ هـ

(٢٦٨) المصحف الشريف

(٢٦٩) معالم العلماء : تحقيق عباس اقبال بن شهر آشوب طهران ١٣٥٢ هـ

(٢٧٠) معاني الشعر للأشناداني ط دمشق ١٣٤٠ هـ — ١٩٢٢ م

(٢٧١) معاني القرآن للفراء ط دار الكتب ١٩٥٥

(٢٧٢) معاهد التنصيص — عبد الرحيم العباسي المطبعة البهية المصرية ١٣١٦ هـ

(٢٧٣) معجم الأدباء لياقوت مطبعة عيسى الحلبي ١٣٥٥ هـ

(٢٧٤) معجم البلدان لياقوت مطبعة السعادة ١٣٢٣ / ١٣٢٤ هـ

(٢٧٥) معجم استينجاس « فارسي عربي »

(٢٧٦) معجم المطبوعات العربية والمصرية مطبعة سركيس ١٩٢٨ م

(٢٧٧) المعرب من كلام الأتجمي على حروف المعجم للجواليقي تحقيق أحمد

محمد شاكر ط دار الكتب ١٣٦١ هـ

- (٢٧٨) مفاتيح العلوم للخوارزمي المطبعة المنيرية ١٣٤٢ هـ  
(٢٧٩) مفتاح السعادة ومصباح السيادة طاش كبرى زاده مطبعة دائرة المعارف  
العثمانية بحيدر آباد الدكن

- (٢٨٠) مفتاح كنوز القرآن  
(٢٨١) المفصل للمخشي الطبعة الأولى التقدم ١٣٥٣ هـ  
(٢٨٢) المقابسات لأبي حيان تحقيق السندوبي  
(٢٨٣) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري تحقيق ريتز استانبول  
م ١٩٢٩

- (٢٨٤) مقامات الحريري المطبعة الأميرية ١٣١٧ هـ  
(٢٨٥) مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق الأستاذ عبد السلام هرون في  
٦ أجزاء مطبعة عيسى الباب الحلبي ١٣٦٦ / ١٣٧١ هـ  
(٢٨٦) مقدمة الافئدة والمؤانسة للرحوم أحمد أمين  
(٢٨٧) مقدمة ابن خلدون ط مصطفى محمد  
(٢٨٨) مقدمة سر صناعة الإعراب للأستاذ مصطفى السقا وزملائه  
(٢٨٩) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية مطبعة الترقى بدمشق ١٣٥٥ هـ  
(٢٩٠) المقنع لأبي عمرو الداني ط استانبول ١٩٣٢ باعتناء أوتوبرتزل  
(٢٩١) الملل والنحل للشهرستاني تحقيق محمد بن فتح الله بدران ط مطبعة  
الازهر ١٩٤٧ م

- (٢٩٢) في أسرار اللغة — إبراهيم أنيس مطبعة لجنة البيان العربي دون تاريخ  
(٢٩٣) المنتظم لابن الجوزي في تاريخ الملوك والأمم طبعة حيد آباد الدكن  
١٣٥٧ / ١٣٥٨ هـ

- (٢٩٤) منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري — المطبعة الوطنية  
١٣٥٠ هـ

- (٢٩٥) المنصف لابن جني شرح تصريف المازني تحقيق الأستاذ إبراهيم  
مصطفى وزميلة مطبعة مصطفى الحلبي الجزء الأول ١٣٧٣ هـ  
(٢٩٦) من كتاب الشعر لأبي علي الفارسي طبع في Holis سنة ١٨٦٩



- (٢٩٧) المغنى لابن هشام المطبعة الأزهرية سنة ١٩٢٨  
(٢٩٨) الموجز في علم المنطق — محمد حسنين عبد الرازق وعباس حسن  
المطبعة الأميرية ١٩٣٢  
(٢٩٩) مواسم الآداب وآثار العجم والعرب للبيهي العلوي مطبعة السعادة ١٣٢١  
(٣٠٠) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للبكريزي مطبعة النيل  
١٣٢٤ / ١٣٢٦ هـ  
(٣٠١) مورد الظمان في رسم القرآن للخراز مطبعة الاستقامة ١٣٦٥ هـ  
(٣٠٢) الموفى في النحو الكوفي للكنغراوى مطبعة الترقى بدمشق  
(٣٠٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ابن تغرى بردى — ظهر منه  
أحد عشر جزءاً ط دار الكتب ١٩٤٢ م  
(٣٠٤) نزهة الألباء ط جمعية إحياء مآثر علماء العرب طبع مصر  
(٣٠٥) نسب عدنان وقحطان للبرد تحقيق عبدالعزيز اليمنى مطبعة لجنة التأليف  
والترجمة والنشر سنة ١٩٣٦  
(٣٠٦) النشر في القراءات العشر لابن الجزرى مصطفى محمد  
(٣٠٧) نشأة النحو : محمد طنطاوى ط ١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م  
(٣٠٨) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب  
(٣٠٩) النقط لأبي عمرو الداني ط استانبول ١٩٣٢ باعتناء أوتبرترزل  
(٣١٠) النهر الماد من البحر على هامش البحر المحيط لأبي حيان مطبعة  
السعادة ١٣٢٨ / ١٣٢٩  
(٣١١) نوادر اللغة لأبي زيد الانصارى تحقيق الشرتونى مطبعة الآباء  
اليسوعيين بيروت ١٨٩٤  
(٣١٢) الهلال — فبراير ٥٥  
(٣١٣) همع الهوامع للسيوطى مطبعة السعادة ١٣٢٧ هـ  
(٣١٤) الهوامل والشوامل لأبي حيان وابن مسكويه تحقيق أحمد أمين والسيد  
أحمد صقر مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٥٠  
(٣١٥) وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد  
مطبعة السعادة ١٩٤٨  
(٣١٦) يتيمة الدهر للشعالي — دمشق

ثالثاً - المراجع الأجنبية :

319 **C. BROCKELMANN**

Geschichte der Arabischess Litteratur Brill 1947.

320 **DAWZAT. LA VIE DU LANGAGE**

321 **HOWELL**

Arabic Grammer

322 **JEFFERY**

Materials for the History of the Text of the Qur'an  
Leiden. E. J. Brill

323 **Lestrangle. G.**

The Hands of the Eastern Caliphate Cambridge 1905.

# فهرس الكتاب

صفحة

فهرس بحل ... .. ٦ - ٥

**مقدمة :** بقلم الأستاذ الكبير على النجدى ناصف أستاذ اللغة العربية

بكلية دار العلوم ... .. ١٠ — ٧

تقديم — الموضوع — أضافه — منهج البحث فيه — مصادره ١١ — ١٥

(مدخل البحث) ١٧ — ٣٤

(١) نشأة القراءات وتطورها وأثرها في البحث النحوى ١٧٠ . توثيق

نص القرآن الكريم : جمع نصه — توحيده — إعرابه — إجماعه ... ١٧ — ٢٦

(ب) الفقه وعلم الكلام وأثر كل في القراءات والنحو ٢٦ . فقهاء

وقراء ٢٧ . أهل الرأي والقياس وأهل الحديث ٢٨ . ظهور علم الكلام

على يد المعتزلة ٢٩ . التفاعل بين النحويين والفقهاء والمتكلمين . شرح وتبيل ... ٣٠ — ٣٣

## الباب الأول : عصر أبي على وحياته وآثاره

**الفصل الأول :** الحال السياسية والعقلية والاقتصادية والحلفية في عصر أبي على ٣٥ — ٥٠

قيام الدولة العباسية على أكتاف الفرس ٣٥ . ظهور الأتراك ٣٥ .

والفرامطة ٣٧ . ضعف الخلفاء ٣٨ . تناقض الدولة كسفا هنا وهناك ٣٨ .

موطن أبي على وحال الفلق فيه ٤٠ . تمام العلم ٤٢ . مظاهره وأمثلته ٤٣ . ٤٥٠

وظهور التشيع والاعتزال ٤٦ . غنى وفقر ٤٧ . هدى ومجون ... ٤٨ — ٥٠

**الفصل الثاني :** أبو على في عيشه ونفسه ... .. ٥١ — ١٤٦

نسب أبي على وأسرته ٥٢ . كنيته ٥٦ . مولده ٦٠ . تنقلاته ٦١ .

هل تزوج ؟ ٧٢ . يسره ٧٦ . زيه ونظافته ٧٥ . متانة بنائه ٧٦ .

أخلاقه ٧٧ . أمانته العلمية ٨٠ . عقيدته ٨٣ . تشيعه ٨٤ . مذهبه في الفقه ٨٧ .

عقليته ٨٨ . ذكاؤه وخلوص ذهنه ٨٩ . دراسته ومراجعته ٩١ .

حبه للعلم ٩٢ . أما كن درسه ٩٥ . هل كان يعرف الفارسية ؟ ٩٧ .

مذهبه قارئاً ٩٩ . مذهبه متمبداً ١٠٢ . مذهبه نحوياً ١٠٥ . هو والشعر ١٠٨

نثره ١١٢ . شيوخه ١١٧ . زملائه ١٣١ . تلاميذه ١٣٢ . تتبع واستقصاء

تعليق وتحصيص ١٣٩ . وفاته ١٤٠ . تحقيق ١٤١ . من آراء القدامى فيه

وأقوالهم عنه ١٤٣ . ماذا قال أبو العلاء ١٤٤ . مناقشة وتديل ١٤٥ .

**الفصل الثالث :** إحصاء آثاره ... .. ١٤٧ — ١٥٢

ترتيبها ١٤٧ . ملاك ذلك الترتيب ١٤٧ . تعليق وتحقيق ١٤٩ .

صفحة

## الباب الثاني: أبو علي والاحتجاج للقراءات

### الفصل الأول: الاحتجاج للقراءات وتطوره حتى عصر أبي علي الفارسي ١٥٣—١٦٠

- تخریجات فردية ١٥٤ . هرون الأعور وعمله ١٥٥ . العباس بن الفضل  
والكسائي ١٥٥ . حمزة بن حبيب وتلميذه الكسائي ١٥٦ . يعقوب بن اسحق  
الحضري وصنيعه في الاحتجاج ١٥٧ . ابن مجاهد واختياره للقراءات السبعة  
١٥٨ . نشاط المحتجين بعد عمل ابن مجاهد ١٥٨ . تبويب وتمثيل ١٦٠  
(١) سيويه إمام النحاة والاحتجاج للقراءات ... ١٦٦—١٦٦  
الكتاب أصل في الاحتجاج ١٦١ . ملاحظات على منهج سيويه ١٦١ .  
الدعوة إلى دراسة نحو القراء البصريين ١٦٥ . مظاهر القياس والأثر  
في احتجاج سيويه ١٦٦ .  
(ب) أبو جعفر الطبري إمام المفسرين والاحتجاج ... ١٦٦—١٧٠  
مكانة أبي بكر في الدراسات القرآنية ١٦٧ . منهجه في الاحتجاج ١٦٨ .  
أقياس هو أم أخرى ؟ ١٧٠ .  
(ج) أبو بكر بن مجاهد إمام القراء والاحتجاج ... ١٧١  
تمثيل أبي بكر لمدرسة الأثر البحث ١٧١ . مظاهر ذلك وتعليقه . ١٧١  
الفصل الثالث: الحجة لأبي علي ... ١٧٢—٢٥٦

اسم الكتاب ١٧٢ . الأسباب التي دفعت أبا علي إلى الاحتجاج ١٧٢ .  
تقديم الحجة ١٧٦ . ميلاده ١٧٧ . نهجه ١٧٨ . شخصيته — مثال من  
استطراده واستيعابه وتقصيه ١٧٩ . تعليق وتعليل ١٨٧ . أسلوبه ١٨٨ .  
تفسيره للقرآن ١٨٩ . شرحه للقرآن ١٩٢ . بينه وبين أبي عبيدة  
وابن قتيبة ، وأبي بكر السجستاني ١٩٢ . أبو علي يمثل مدرسة التحليل  
الدقيق في استيعاب وشمول ١٩٤ . تفسيره النص القرآني ، تبويب وتعليل  
وتمثيل ١٩٤—١٩٩ . أبو علي المحدث والاحتجاج ٢٠٠ . مظاهر دراسته  
المحدث في الحجة ٢٠١ . البغدادي ويوهان فك ونسبتهما أولية الاحتجاج بالحديث  
إلى ابن خروف ٢٠٣ . ابن خروف موصول النسب العلمي بأبي علي عن طريق  
أستاذه الخدب ٢٠٣ . سبق أبي علي إلى الاحتجاج بالحديث ٢٠٤ . شواهد  
الحجة من القرآن والشعر وتبويبها ٢٠٤ . نسبة الشواهد ٢٠٩ . انصابه  
فيها ٢١١ . من يندفع لهم وينقل عنهم ٢١٩ . المسائل البلاغية في الحجة ٢١٢ .  
أثر أبي علي في الدرس البلاغي ٢١٥ . المنطق في الحجة ٢١٦ . أبو علي  
والقياس ٢١٧ . تنويه القياس ، وتمصقه فيه ، وتخرجه المروي من القراءات

عليه تبويب وتمثيل ٢٢٠ . نسبة التجديد إلى أبي علي في القياس ومشكلة الإعراب ٢٢٨ . مناقشة وتوضيح ٢٢٩ . علل أبي علي وتقويمها ٢٣٥ . استهداء بالحس النفسى ٢٣٦ فغطته إلى ما يقول المحدثون ٢٣٧ . استغلاله العروض في الاحتجاج ٢٣٩ . أثر أبي علي عند المشتغلين بالمروس ٢٤٠ موقف أبي علي من القراءات التي تخالف القياس ٢٤٠ تطبيق وتقويم ٢٤١ . رسم المصحف والاحتجاج ٢٤٤ كلمة سواء ٢٤٧ . مادة لاحتجاج عند أبي علي ٢٤٩ قيمة الحجة ٢٥٠ . ثناء القدماء عليه ٢٥٢ . حسن الرأى فيه من المحدثين ٢٥٣ نسخه وأما كتبها ٢٥٤ . رجاء ٢٥٦ .

## الباب الثالث : دراسات مقارنة

### الفصل الأول : بين الفراء والفارسي في الاحتجاج ... ٢٥٧ — ٢٦٩

اشتغال الفراء بالدراسات القرآنية ٢٥٧ . أسباب إقامة الدرس حول معاني القرآن ٢٥٨ . أثر الدراسات الكوفية فيه ٢٦٠ . منهج الفراء في الاحتجاج ٢٦٢ . ملاكه العام ٢٦٣ . ظواهر وتمليلها ٢٦٤ . دعوى تفلسف الفراء في تصانيفه ٢٦٦ . الفراء وأصول العربية ٢٦٧ . أسلوبه ٢٦٨ الدعوة إلى دراسة نحو الفراء والكوفيين ٢٦٩ .

### الفصل الثاني : بين الزجاج وأبي علي في الاحتجاج ... ٢٧٠ — ٢٩٤

أسباب إقامة الدرس حول معاني القرآن ٢٧٠ . الزجاج والدراسات القرآنية ٢٧٠ . خصائص الاحتجاج عند الزجاج ٢٧٢ . الاشتقاق ٢٧٢ . تفسير اللفظ القرآني بالقرآن ٢٧٧ . والشعر ٢٧٨ . وأقوال اللغويين ٢٧٩ تحكيمه آفة اللمة — تبويب وتمثيل ٢٧٩ . قول الزجاج بالأثر ومظاهره ٢٨١ غلبة البصرية على أمره ٢٨٥ تعرضه للكوفيين ٢٨٧ . استغلاله العروض في التعليل ٢٨٨ . بينه وبين أبي علي في ذلك ٢٨٩ . موقفه من الآفة السابقين ٢٩٠ شخصية الزجاج وظهورها ٢٩٢ الزجاج وأصول العربية ٢٩٣ تلخيص وإجمال ٢٩٣ .

### الفصل الثالث : بين أبي بكر بن السراج وأبي علي في الاحتجاج ٢٩٥ — ٣٠٩

مكانة أبي بكر بين النحاة ٢٩٥ . اشتغال ابن السراج بالدراسات القرآنية ٢٩٦ . ثقة ابن السراج بلاميذه أبي علي ٢٩٦ . الأسباب التي دفعت ابن السراج إلى الاحتجاج ٢٩٧ . فنية ابن السراج في الاحتجاج وتمثيل ذلك ٢٩٨ . نظره إلى سيبويه ٢٩٩ . النطق وظهوره في احتجاجه ٣٠٠ تمويله على مسائل الأخفش والكوفيين ٣٠٠ . رسم المصحف والاحتجاج به ٣٠١ . انصاف ابن السراج وسبقه في التحدث عن الاشتقاق ٣٠٢ . بين أبي علي وابن السراج في المنهج — تعليل وتمثيل ٣٠٤ .

**الفصل الرابع :** بين أبي على الفارسي وابن خالويه في الاحتجاج ٣١٠—٣٢٦  
دوافع خاصة للاحتجاج ٣١٠ . ملاك ابن خالويه العام ٣١٢ بين الامامين  
في الاحتجاج .  
(١) رسم المصحف ٣١٣ . (ب) المنطق والقياس ومداه ٣١٦ .  
(ج) العروض واستغلاله في الاحتجاج ٣١٨ (د) الاصطلاحات ٣١٩  
(هـ) الشواهد ٣١٩ . (و) نسبة القراءات ٣١٩ .  
(ز) اللقويات ٣٢٠ . (ح) النظر إلى القرآن في الاحتجاج ٣٢٠  
(ط) شخصية كل ٣٢٢ . (ي) الاحتجاج للأداء ٣٢٣ .  
توافقي وتخالف ٣٢٤ كلمة إنصاف ٣٢٦ .

## الباب الرابع: أثر أبي على في الاحتجاج للقراءات

**الفصل الأول :** تأثر ابن جني في المحتسب بأبي على ... ٣٢٧—٣٨٣  
اتصال ابن جني بالشيخ ٣٢٧ . آثار هذا الاتصال ٣٢٨ الأسباب  
التي دعت ابن جني إلى تأليف المحتسب ٣٢٩ . مدى اشتغال ابن جني  
بالدراسات القرآنية ٣٣٣ . تقديم المحتسب ٣٣٤ . منهج وتوثيق ٣٣٥  
الملاك العام عند ابن جني في الاحتجاج للشواذ ٣٣٨ . تبويب وتدليل ٣٣٩  
بينه وبين الشيخ في تحكيم القياس ٣٤٦ . مدى تأثر ابن جني بالشيخ ٣٤٧  
استغلال العروض في الاحتجاج ٣٤٨ . المنطق وظهوره في المحتسب ٣٤٩ .  
الاستشهاد بالقراءات ٣٥٣ . إلمامه ببعض مسائل البلاغة ٣٥٣ . تمثيل  
وتعقيب ٣٥٣ . التأثير السلبي بأبي على ومظاهره ٣٦٣ . رسم المصحف  
ومدى اعتماد ابن جني عليه ٣٦٥ . اتفاق ابن جني مع الشيخ في تقدير  
سبويه ٣٦٦ . ابن جني والقراء ٣٧٠ . وأحمد بن يحيى ٣٧١ . تحلى ابن جني  
عن عصيته البصرية في المحتسب ٣٧١ . بينه وبين شيخه في الاحتجاج  
باللهجات ٣٧٢ . استشهاده بفقيل كثيراً وتعليل ذلك ٣٧٣ . موقف الرجلين  
من ابن مجاهد ٣٧٥ . قواعد عامة : تبويب وتمثيل ٣٨٠ إجمال وتلخيص ٣٨٣

**الفصل الثاني :** مكي بن أبي طالب حموش القيسي ومدى تأثره بأبي على ٣٨٥—٣٩٠  
عمل مكي في كل من البصرة والكشف ٣٨٥ . الكشف في جلته أنارة  
من علم الشيخ ٣٨٥ . منهج الكشف ٣٨٦ . تأثره بالحجة إيجاباً ٣٨٧  
تأثره سلباً ٣٩٠ . شواهد كل وأمثله ٣٩٠ . النزعة الغالبة على أمره  
في الاحتجاج ٣٩٠ .

**الفصل الثالث :** أبو عمرو الداني في الموضع ومدى تأثره بأبي على ٣٩٢—٤٢٦  
تأليف الداني للموضع أثر من آثار أبي على—منهجه فيه ٣٩٥ . عرض

صفحة

- واستشهاد - مظاهر تأثره بأبي على ٣٩٩ . مقابلات بين نصوص الموضح ونصوص الحجة لإثبات هذا التأثير - روح القياس عند الداني السلفي ٤٠٠ . القول بالأولى والأجدر ٤٠٢ . رموس الآي والاحتجاج لها ٤٠٩ . نص كامل ينقله الداني بتصرف ساذج ٤٠٩ . مجانبه الداني للأمانة العلمية - السبب في ذلك ٤١١ . هل جرى الداني وراء أبي على إلى أبعد الآماد ٤١٣ . فروق بين الرجلين ٤١٣ . عرض واستشهاد ٤١٣ . تلخيص ٤٢٥ . دعوة ٤٢٦ . تعقيب - بتقسيم المحتجين للقراءات إلى مدرسة الأثر ومدرسة القياس . ٤٢٧ - ٤٣٠
- مظاهر مدرسة الأثر ٤٢٧ . مظاهر مدرسة القياس ٤٢٧ . جدول بالمحتجين ومدارسهم في ترتيب تاريخي ٤٢٩ . أبو على وأثره في تطوير القياس ٤٣٠

## الباب الخامس : أبو على والنحو

### الفصل الأول : ( ١ ) نشأة البحث النحوي وتطوره ... ٤٣١ - ٤٤٧

- اختلاف الناس فيمن وضع النحو حتى هذا الزمان ٤٣١ . اتفاهم على أن أبا الأسود أعرب القرآن ٤٣١ . معنى ذلك عندى أنه هو الذى وضع النحو ٤٣١ التذليل على ذلك بطبيعة أبي الأسود التى طبع الله عليها ، ومهته التى نذب إليها ٤٣٢ . هل نظر أبو الأسود فى قط المصحف إلى السريان ؟ مناقشة وتذليل ٤٣٦ . المدرسة البصرية والكوفية وطابع كل ٤٤٠ . رأى فى المدرسة البغدادية ٤٤٦ .
- ( ب ) معالم النشاط النحوى منذ عهد أبي الأسود حتى أبي على ... ٤٤٧ - ٤٦٥
- النحاة رقباء على لحون القراء ٤٤٧ . جد لهم على التوجيه الإعرابى ٤٤٩ مؤلفاتهم ٤٥٠ . رصد تطورها من ورقات أبي الأسود إلى الإكمال والجامع ٤٥١ . كتاب سيبويه لم يكن طفرة : تذليل ٤٥٤ . تحويلهم فتاوى سيبويه إلى قواعد وقوانين ٤٥٧ . حلقاتهم منذ سعد الراية ٤٥٨ . تهذيب وتوضيح واختصار ٤٥٨ . مناظراتهم ٤٥٩ . نشاطهم فى النقد الأدبى وتطوره ٤٦٠ .

### الفصل الثانى : عرض لكتب أبي على فى النحو ... ٤٦٦

- ترتيبها - جواهر النحو وسعي للحصول عليه - رأى فيه ٤٦٦ .
- أولا : المشكلة ، والبغداديات ... ٤٦٧ - ٤٧٥
- هل المشكلة غير البغداديات ؟ ٤٦٧ . تلخيص المشكلة ٤٦٩ . ترتيبها ٤٧٠ ملاكم العام ٤٧٢ . شخصية أبي على فيها ٤٧٢ . أولياته ٤٧٣ . اصطلاحاته ٤٧٤ . نظرات بلاغية ، وأصول لغوية ، ونحوية ، وإعرابية ٤٧٤ . استعانة البغدادى بالبغداديات ٤٧٤ . تعريف ٤٧٥ .

صفحة

- ثانياً : الاغفال أو المسائل المصلحة على الزواج ... ٤٧٦ — ٤٨٧
- من المصلح عليه ؟ ٤٧٦ . ميلاد الاغفال ٤٧٧ . الطابع العام للاغفال ٤٧٨  
مواقف أبي على من أبي اسحق ٤٧٩ . عرض نصوص واستنتاج ، ترعة  
أبي على في الاغفال ٤٨٠ . عبارته ٤٨٣ . استطراده ٤٨٥ . مسائل  
الاحتجاج في الاغفال ٤٨٦ . أصول لغوية ونحوية ٤٨٦ . علام يدل  
الاغفال ؟ ٤٨٧ . نسخة ٤٨٧ .
- ثالثاً : العسكرية ... ٤٨٨ — ٤٩٣
- أبوابها : عرض لها ٤٨٨ . شخصية أبي على فيها ٤٩٠ . مسائل  
الخلاف والاحتجاج لها ٤٩١ . أصول عامة ٤٩٢ . توثيق العسكرية ٤٩٢  
نسخها ٤٩٢ . مدى استعانة البغدادي بها ٤٩٣ .
- رابعاً : النصرية ... ٤٩٤ — ٤٩٨
- طابعها ٤٩٤ . لغوياتها ٤٩٥ . علم أبي على بمذاهب الكوفيين ٤٩٥  
مهاجته الفراء فيها ٤٩٥ . تقية المبرد ٤٩٦ . شواهدا ٤٩٦ . احتجاجه  
لمذهبه فيها ٤٩٧ . ترعته المنطقية ٤٩٨ . استعانة البغدادي بها ٤٩٨  
ملاحظات على النسخة التي أملكها ٤٩٨ .
- خامساً : الحلييات ... ٤٩٩ — ٥١٣
- ميلادها ٤٩٩ . مسائلها وترتيبها ٤٩٩ . صلها بسيف الدولة ٥٠٠ .  
شواهدا ٥٠١ . احتجاجه بالحديث فيها ٥٠٢ . طريقته في تناول الغريب ٥٠٢  
ظهور ثقافته وعقيدته فيها ٥٠٣ . ومذهبه في رسم الحروف ٥٠٥ .  
احتجاجه للمسائل اللغوية والصرفية ٥٠٦ . الكلمات الأجمعية ٥٠٦ .  
تصريفها واشتقاقها وترجمتها كتابه إلى سيف الدولة : عرض وتحليل ٥٠٧ .  
نسخها الحلييات ٥١٣ .
- سادساً : الإيضاح ... ٥١٤ — ٥٣٩
- أسماء الكتاب ٥١٤ . موقف عضد الدولة من ذلك الكتاب ٥١٥ .  
متى ألف الإيضاح ؟ ٥١٧ . مشتملاته ٥١٧ . ترتيبه وملاكه ٥١٨ . أسبقية  
أبي على في ذلك ٥٢١ . مظاهر الإيضاح فيه ٥٢٢ . تحليل ظهور النطق  
في باب الاستثناء وفي آخره ٥٢٤ . شواهدا وتوزيعها ٥٢٦ . مصطلحاته  
وأمثلته ٥٣٠ . ظهور مذهب الشيخ فيه ٥٣٢ . ذبوع الإيضاح ٥٣٤ .  
إلى متى ظل الناس يشتغلون بالإيضاح ٥٣٧ . قيمته وأثره ٥٣٩ . نسخه  
وأما كتبها ٥٣٩ .
- (ب) التكملة ... ٥٣٩ — ٥٤٧
- موضوعاتها ٥٤١ . موازنة بين عبارتها وعبارة الإيضاح ٥٤١ .  
تحليل ٥٤٢ . ترعة أبي على البصرية فيها ٥٤٤ . خاتمة بدراسة مقارنة بين  
الزجاج في سر النحو والفارسي في الإيضاح ٥٤٥ .



صفحة

- سابعاً : الشراذيات ... .. ٥٤٧ — ٥٥٧
- ترتيبها ٥٤٧ . ميلادها ٥٤٨ . ظهور شخصيات فيها ٥٤٨ . تأنيق الشيخ ٥٥٠ . تحليل وتدليل وتثليل ٥٥١ . عرض لخصائصها العامة ٥٥٢ . نسختها ٥٥٦ . استعانة البغدادي بها ٥٥٧ .
- ثامناً : من كتاب الشعر : عرض عام وتعليق ... .. ٥٥٨ — ٥٦١
- تاسعاً : أقسام الأخبار ... .. ٥٦٢ — ٥٦٩
- ملاحظة على مسألة الأخبار ٥٦٣ . صحة نسبتها إلى أبي على ٥٦٣ . مايلها من المسائل منحول النسب إلى أبي على ٥٦٤ . بيان وتدليل ٥٦٤ .
- عاشراً : المنشورة ... .. ٥٧٠ — ٥٧٢
- جمعها من كلام الشيخ بعد موته ٥٧٠ . ترابطها وتعليل هذا الترابط مع تسميتها بالمشورة ٥٧٠ . إيجازها ٥٧١ . طابعها العام ٥٧١ من أبو العلي الذي يرد ذكره فيها ٥٧٢ . مدى استعانة البغدادي بالمشورة ٥٧٢
- حادى عشر : أبو على والتصريف ... .. ٥٧٣ — ٥٧٥
- تاريخ اشتغاله بالتصريف ٥٧٣ . براعته فيه ٥٧٣ . مسالكه في وزن الكلمة وبيان أصلها ٥٧٣ . ظهور أثر الشيخ عند ابن جني في سر الصناعة ومختصر التصريف ٥٧٥ .

## الباب السادس : دراسات مقارنة بين

### أبي على وأعلام النحاة من معاصريه ٥٧٦

تقديم في أقسام الدولة إلى دويلات ، وأثره في سعى العلماء لنيل الخطوة عند الأمراء ، وما خلف ذلك من تنافس ٥٧٦ ظهور ترعنتين نحو المتنبي ٥٧٧ .

### الفصل الأول : أبو على والسيرافي ٥٧٩ — ٥٨٧

رأى أبي حيان في كل ٥٧٩ . ما اشتهر به أبو سعيد ٥٧٩ . شرحه الكتاب ٥٨١ . علمه في كل فن ٥٨٣ . فلجه في المناظرة على من بن يونس ٥٨٥ . خلفه ٥٨٦ . كلمة سواء ٥٨٧ .

### الفصل الثاني : أبو على والرماني ٥٨٨ — ٦١٢

تحقيق قوله أبي على في نحو الرماني ٥٨٨ . تحريمها على غير مذهب الناس ٥٩١ . كتاب الحروف الرماني دليل على مذهب إليه من تخرج ٥٩٣ . مقابلات بينه وبين نصوص أبي على في حرفين ( ما ) ، ( لا ) ٥٩٧ .

### الفصل الثالث : أبو على والزجاجي ٦١٣ — ٦٣٦

قوله أبي على في نحو الزجاجي ٦١٣ . الرجوع إلى آثار الزجاجي لتحقيق هذه القول ٦١٤ . الزجاجي في اللامات ٦١٦ . وإيضاح علل

النحو ٦١٨ . ملاحظات على منطق الزجاجي في كتابه الايضاح ٦٢٦  
شخصية الزجاجي في الايضاح ٦٢٧ . الجمل للزجاجي وثناء الناس عليه  
واشتغالهم به ٦٢٩ . تحليل ذلك ٦٣٠ . قواعد الجمل الضابطة ٦٣٠  
توثيقه الشواهد ٦٣٢ . تيسيره على المتعلمين ومظاهره ٦٣٢ . ماذا أغضب  
الفارسي ٦٣٣ . كلمة انصاف للزجاجي ٦٣٦ .

## الباب السابع : مدى تأثير الخالفين بنحو أبي على

### الفصل الاول : أثر أبي على في أصول النحو — ابن جني في الخصائص

وتأثره بأبي على في ذلك ... ..  
٦٤٨—٦٣٧ ... ..  
احتفال ابن جني في الخصائص بأبي على — مظاهر التفاعل بين ابن جني  
والشيخ — تقسيمها إلى أنواع ثلاث — دلالات واضحة على تأثير ابن جني بأبي  
على في الأصول ٦٤٣ . إثبات ذلك بالمقابلات بين نصوص الشيخ ونصوص  
التلميذ — ابن جني ينجح كشيخه بالحديث المرفيع ٦٤٣ . اصطناعه أساليب  
الشيخ في البرهان والتعليل ٦٤٣ . تقديره الشيوخ الذين يقدرهم الأستاذ ٦٤٤  
مظاهر التخالف ٦٤٥ .

### الفصل الثاني : أثر أبي على في فروع النحو — تأثر ابن الشجري

في أماليه بأبي على ... ..  
٦٥٨—٦٤٩ ... ..  
ابن الشجري موصول النسب العلمي بأبي على ٦٤٩ . تقدير ابن الشجري  
للشيخ ٦٤٩ . مظاهر التأثير ٦٤٩ . قوله عن الشيخ ٦٥٠ . اعتذاره له  
من اغفاله وجوها اعرابية ٦٥٠ . تناوله المتن اللغوي بالتفسير ٦٥١  
سلوكه مسلك الشيخ في التعليل والتدليل ٦٥١ . توجيهه الاعرابي لقراءات  
القراء ٦٥٣ . أماته العلمية وتحريه ٦٥٣ . تفسير القرآن بالقرآن ٦٥٣  
إيضاح وتمقيب ٦٥٦ .

### الفصل الثالث : أثر أبي على في الاحتجاج لمسائل الخلاف ومداهـ

تأثر أبي البركات الأنباري في الإنصاف بأبي على ... ..  
٦٦٧—٦٥٩ ... ..  
أسباب إقامة الدرس حول أبي البركات في الإنصاف ٦٥٩ . مظاهر  
ثلاث تهدي إليها المقاتلة بين نصوص أبي على ونصوص أبي البركات ٦٦٠  
نصوص ينقلها أبو البركات من كتب أبي على من غير تصرف كبير ٦٦٢  
تلخيص ما بين الرجلين من تخالف ٦٦٥ .

### الفصل الرابع : أثر أبي على في الإعراب — تأثر أبي البقاء

المكبري بخاصة في إعراب القرآن بأبي على ... ..  
٦٧٤—٦٦٨ ... ..  
أوليات في توجيهه الإعرابي منسوبة إلى أبي على ينقلها المكبري ٦٦٩ .

صفحة

تخكم عقيدة الفارسي في التوجيه الإعرابي وظهور ذلك عند المعربين بعده ٦٧١ . إشارة إلى مقابلات بين إعراب أبي على والنحاة من بعده تثبت تأثرهم به ٦٧٢ . ظهور أثر أبي على عند المفسرين في إعراب القرآن ٦٧٣

٦٩٠—	٦٧٥ ...	... ..	الخاصة : تايخيص البحث والجديد فيه - مقترحات
٦٩٢—	٦٩١ ...	... ..	مقابلة التاريخ الهجرى بالميلادى
٧١٠—	٦٩٣ ...	... ..	مصادر الرسالة ومراجعها
٧١٩—	٧١١ ...	... ..	فهرس الكتاب
٧٢٠	... ..	... ..	فهرس الأعلام

## فهرس الأعلام

ملحوظة : — هذا الفهرس مرتب هجائياً على حسب العلم الأشهر : كنية أو لقباً أو اسماً . ولم يعتبر «أبو» و«ابن» و«أل» في هذا الترتيب .

أحمد بن منير الاسكندري : ٢٤٣	(١)
أحمد بن نصر : ٦٠	إبراهيم انيس : ٥٢٩، ٤١٧، ٤١٦
أحمد بن يحيى ثعلب = ثعلب	إبراهيم سلامة : ١١١
ابن الأختاد : ٥٨٥، ٦٢	إبراهيم السلمي : ٤١١، ٣٦٧
الأخطل : ٤٩٧-٣٦٠-٣٤٠، ٢١٠	إبراهيم بن علي الفارسي : ١١٣
الأخفش أبو الحسن (سعيد بن مسعدة) : ٢٥٠	إبراهيم مصطفى : ٤٣١
٢١٨، ٢١١، ٩٤، ٨٢، ٣١، ٢٦	إبراهيم بن المهدي : ٨٢
٢٩٠، ٢٧٩، ٢٧٥، ٢٣٩، ٢٢١	أبي بن كعب : ٣٤٠، ٢٤٧، ٦٣، ٢٧، ١٩
٣٨٨، ٢٢٥، ٣٠٤، ٣٠٠	٤٣١، ٣٨٧
٤٦٤، ٤٦٣، ٤٥٧، ٤٤٣، ٣٨٩	أحمد بن إبراهيم بن أيوب : ٥٦
٥٠٤، ٥٠١، ٤٩٧، ٤٨٩، ٤٧٣	أحمد أمين : ٣٠٢، ٢٣١، ٢٢٩، ٢٢٨، ٥٥٠
٥٧٣، ٥٦٦، ٥٥٢، ٥٢٣، ٥١٥	٦٨٢، ٦٨٠، ٦٧٦، ٤٣١، ٣٠٣
٦٧٨، ٦٣٤	أحمد بن محمد بن هشام اللبلي : ٢٢٥، ١٣٥، ١٥
أرسطاطاليس : ٥٩٠، ٥٨٩، ٥٨٦	٥٣٧، ٤٩٣، ٤٩٢، ٤٧٥، ٤٦٧
إسحق ابن إبراهيم : ٨٢	أحمد تيمور : ٤٨٧، ٣٧٢، ٢٥٣، ١٤٩
أبو إسحق إبراهيم بن السري = الزجاج	٥٣٩، ٥٣٥
أبو إسحق إبراهيم بن علي الفارسي : ٥٩	أحمد الجلاب : ٥١٦
٥٥٦، ٤٨٩، ٤٨٥، ٤٨٣، ٤٨١، ٧٥	أحمد بن الحسين : ٥٣٧
إسحق إسماعيل بن إسحق : ٢٩٠	أحمد بن سابور : ٥٦٦، ٥٩
أبو إسحق البصري : ٢٨٤	أحمد الطبراني : ٣٥٨
إسحق بن راهويه : ٥٨٠-٥٨٩	أبو أحمد الفرضي : ٣٣٠
أبو إسحق الشيرازي : ٣٢	أحمد بن محمد الإشبيلي : ٥٣٨
أبو إسحاق الصابي : ٤٤، ٤١	أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي : ١٤٣-١٣٦
اسطاث : ٥٨٩	أحمد بن محمد المروزي : ٩٤
إسماعيل بن إسحق : ٢٧١	أحمد بن محمد الفتيحي الخزرجي : ٤٧٥
إسماعيل بن جعفر : ٣٩٣	أحمد بن محمد القاسم : ٥٦
إسماعيل بن سبكتكين : ٧٧	أحمد بن مسعود أبو العباس : ٢٩٥
إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر : ٤١	أحمد من الدولة : ٣٩

البخاري : ٤٤٩  
 البديهي : ٥٧٨  
 برجستاسر : ٣١١  
 بروكلان : ٤٦٩، ٤٦٦، ٥٤٠، ٥٦١  
 أبو بريدة الوضاحي : ٢٦٨، ٢٦٧  
 البستاني : ٥٧  
 بشار بن برد : ٤٦٤، ٤٦٣  
 بشر بن زين الدين الطيمى الشامي : ٤٧٥  
 بشر فارس : ٢٣٥  
 بقر المريسي : ٣٢  
 بشر بن موسى : ٤١٥  
 ابن أبي بمره : ٤٥٠  
 البندادي (عبد القادر) : ٤٧٤، ٤٨٧ ،  
 ٥٧٢، ٥٣٩  
 بكار بن قيس : ٣٢  
 أبو بكر الأذفوي : ٣٣٣  
 بكر بن حبيب : ٤٦٠  
 أبو بكر الرازي : ٧١  
 أبو بكر المجستاني : ٦٧٩  
 أبو بكر بن شقير : ٣١-٥٧٣  
 أبو بكر الصديق (عبد الله بن أبي قحافة) :  
 ١٨، ٢٢، ٢٧  
 بهاء الدولة : ٣٩، ٣٣١  
 أبو البيداء الرياحي : ٤٤٢  
 (ث)  
 تاج الدين زبد بن الحسن الكندي : ٥٦٢  
 أبو تمام : ٤٦٤، ٥٢٩، ٥٣٠  
 التنوخى (أبو القاسم) : ١٣٢  
 توزون : ٣٨  
 التوزي : ٥٠١  
 تيمة بن موسى بن الفرات الوشاء : ٥٩  
 (ث)  
 ثابت بن حيان : ٢٦  
 أبو ثروان : ٢٦١  
 الثعالبي : ٤١، ٧٢، ٤٣٩

إسماعيل بن علي : ٥٨١  
 إسماعيل بن القاسم البغدادي : ٥٦  
 إسماعيل بن كثير القرشي : ١٩  
 إسماعيل بن محمد : ٩٥  
 أبو الأسود الدؤلي : ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢١١،  
 ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦،  
 ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤٧،  
 ٤٤٥، ٤٥١، ٤٥٣، ٤٦٤  
 الأسود بن يعفر : ٦٥٢  
 الاشتناداني : ٩٣  
 الاصطخري : ٦١  
 الأصمعي : ٢٥، ٨١، ٩٣، ١٢٣، ١٢٦،  
 ٢١١، ٢٢٨، ٢٧٥، ٢٨٧، ٣٠٣،  
 ٣٢٠، ٥٠١، ٥٣٠  
 ابن الأعرابي : ٩٤، ٢١١، ٢٢٨، ٣٥٨،  
 ٣٦٠، ٤٩٧  
 الأعرج : ٣٠٥، ٣٩٩، ٣٣٦  
 الأعتشى : ٢١٠، ٢١٢، ٢٨٧، ٣٤٢،  
 ٣٦٣، ٣٩٧، ٤١٦، ٤١٧، ٤٦٣،  
 ٥٠١، ٥٢٨، ٥٤٧، ٥٥٨، ٦٥٢  
 الأعلم الشنمري : ١٤٦  
 الأعمش : ٣٠٦، ٣٤٧  
 الألوسي : ٤٨٩  
 امرؤ القيس : ٤٦٣، ٤٩٧، ٥٢٩، ٦٤٠،  
 الأميين : ٣٥  
 أمية بن أبي الصلت : ٦٥٢  
 ابن الأنباري : ٢٩٨، ٣١١، ٤٢٥،  
 ٥٣٣، ٥٢٨، ٥٧٨، ٥٨٨، ٦١٣،  
 ٦١٤، ٦١٥، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٤٩،  
 ٦٥٦، ٦٦٧، ٦٨٨  
 أنس : ٣٤٦، ٣٨٧  
 أوس : ٥٠١، ٥٠٢  
 (ب)  
 بابك الحري : ٣٥  
 البحري : ٣٥٨، ٣٨٢

١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ،  
 ١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٥٩ ،  
 ١٦٠ ، ٢٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ،  
 ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٥٨ ،  
 ٢٦٩ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣١٣ ،  
 (٣٢٧ - ٣٩٠) ، ٤٠٠ ، ٤١١ ،  
 ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٤ ، ٤٤٦ ،  
 ٤٦٨ ، ٤٧٣ ، ٥٣٥ ، ٥٥٢ ،  
 ٥٦٩ ، (٥٧٤ - ٥٧٨) ، ٥٨١ ،  
 ٥٩٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ،  
 ٦٤٨ ، ٦٥٩ ، ٦٧٨ ، ٦٨٢ ،  
 ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ .

الجوهري (إسماعيل بن حماد) : ١٣٤ ، ٦٥ ،  
 ٢٢٨ ، ٥٤٩ ، ٥٤٨ .

ابن الجهمي : ٤٧٠  
 الجواليقي (أبو منصور) : ٩٨  
 ابن الجواليقي : ٥٣٩  
 ابن الجوزي : ٢٤٢

(ح)

أبو حاتم السجستاني : ٢٥ ، ٨٢ ، ١٢٢ ،  
 ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ ،  
 ٣٦٣ ، ٣٧٧ ، ٤١٨ ، ٤٥٠ ، ٥٦٥ .

ابن الحاجب : ٥٣٨  
 حابي خليفة : ٤١٨  
 الحجاج بن يوسف : ٢٣ ، ٢٤ ، ٤٤٧ ،  
 ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٤٤ ، ٥٠١ .

ابن حجر : ١٨  
 حذيفة بن اليمان : ٢٠ ، ٢٧ ، ٢٦١ .  
 الحرث بن الليث : ٣٢٦ ، ٤٠٤ ، ٤٠٣ ،  
 الحرث بن قيس : ٢١ .  
 حسان : ٤٩٧ ، ٥٠١ ، ٥٩١ .

الحسن : ٥٦ ، ٣٦٠ ، ٣٧٩ ، ٣٨٧  
 الحسن بن أحمد بن عبد الله المقرئ : ٥٣٧  
 الحسن بن أحمد الفارسي : ٥٥٦ ، ٥٩  
 أبو الحسن الأشعري : ٢٩  
 الحسن البصري : ٢٣ ، ٣٠ ، ٢٦١

أملب (أحمد بن يحيى) : ٢٥ ، ٩٤ ، ١٠٧ ،  
 ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٤٦ ، ٢١١ ،  
 ٢١٢ ، ٢٦٩ ، ٢٩١ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ،  
 ٣٠٥ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٧ ، ٤٤٠ ،  
 ٤٤١ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٦٠ ،  
 ٤٩٥ ، ٤٩٧ ، ٥٠١ ، ٥٠٣ ، ٥٥٨ ،  
 ٦٣٣ ، ٦٨٠ ، ٦٨٤ .

ثمامة بن أشرس : ٣١

(ج)

جابر بن زيد : ٢١  
 أبو الجاموس (ثور بن يزيد) : ٤٤٢  
 الجاحظ : ٨٨

جبريل : ١٨ ، ٢٢

ابن جبير : ٣٨٧

الجرى : ٣١ ، ٥٩ ، ٨١ ، ٩٤ ، ١٣٣ ، ٤٥٨ ،  
 ٤٦٠ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٥١٦ ، ٥٢٨ ،  
 ٥٣٣ ، ٦٣٢ ، ٦٥٧ .

ابن جرو الأسدي عبدالله بن محمد (أبو القاسم) :  
 ٨٩ ، ١١٦ ، ١٣٣ ، ١٣٤ .

جرير : ٤٩٠ ، ٥٠١ ، ٥١٢ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ،  
 ابن الجزري : ١٩ ، ٦٥ ، ١٥٦ ، ٢٩٥ ،  
 ٥٦٨ ، ٦٨٣ .

أبو جعفر أحمد بن إسماعيل النحاس : ٢٧٦  
 ٤٥٠ ، ٤٥٧ ، ٥٤٦ .

أبو جعفر البصير الموصلي : ٢٤ ، ٢٦٥

أبو جعفر الرؤاسي : ٤٤٠

أبو جعفر السكرخي : ٣٧

أبو جعفر محمد بن رستم الطبري : ٣٢٨

جعفر بن محمد الموصلي : ٩٦ ، ٣٢٧

أبو جعفر محمد بن علي بن الحجاج : ٣٣٠ ،  
 ٣٦٧ .

أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين : ٢٦١

أبو جعفر يزيد بن الققاع : ١٠

ابن جني : ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٤ ، ٥٨ ،  
 ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٦ ، ٨٣ ،  
 ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

ابن حوقل : ٦١  
أبو حيان الأندلسي ( محمد بن يوسف  
أثير الدين ) : ١٧ ، ٢٣ ، ١١٦ ، ٢٤٣ ،  
٤٢٩ ، ٤٧٧ ، ( ٦٧٢ - ٦٧٤ )  
أبو حيان التوحيدى : ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٧٠ ،  
٧٩ ، ٩٢ ، ١١٥ ، ١٣٢ ، ( ٥٧٦ - ٥٨٤ )  
٥٨٧ ، ٥٩٠ ، ٦١٩ ، ٦٢٠  
حيان بن هلال : ٣٢

( خ )

خارجة بن زيد : ١٨ ، ٤١٥  
خالد الحذاء : ٤٤٧  
خالد بن الوليد : ٤٠٤ ، ٤١٨  
الخالدي : ٦٣ ، ٨٠  
ابن خالويه : ١٣ ، ١٤ ، ٤٤ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٧ ، ٧٨ ،  
١١٤ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٣١ ، ١٥٩ ،  
٢٣٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٧٦ ،  
( ٣١٠ - ٣٢٦ ) ، ٤١٣ ، ٤٢٩ ،  
( ٥٧٦ - ٥٧٨ ) ، ( ٥٠٧ - ٥١٣ ) ،  
٦٢٨ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ،  
ابن الخباز : ٥٣٧  
الحدب : ٦٧٩  
ابن خروف : ٢٤٩ ، ٢٧٩  
خسرو : ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٤٧٧  
الحصيب الفارسي النحوى : ٥٩  
أبو الخطاب الأخفش : ٤٥٦  
الخطيب البغدادي : ٥٨٠  
ابن خلدون : ٥٣٥  
خلف بن إبراهيم الخاقان : ٣٩٣  
ابن خلصكان : ٦٠ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٤٢٩ ،  
٥١٤ ، ٦٣١

خليفة بن سمد : ٢١  
أبو خليفة الفضل بن حباب : ٣٦٧  
الخليل بن أحمد : ١٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٣ ،  
٨٢ ، ٨٩ ، ١٠٧ ، ٢١١ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ،  
٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٩ ،  
٣٧٤ ، ٤١٠ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ( ٤٥٣ -

الحسن بن بويه : ٣٨  
الحسن بن أبي الحسين النعماني الفارسي : ١٠٤  
أبو الحسن الرازي الصوفي : ٧٠  
حسن ركن الدولة : ٣٩  
أبو الحسن علم الدين على بن محمد السخاوى :  
٤٢٨ ، ٤٧٠ ،  
أبو الحسن على بن أحمد بن خلف النحوى :  
٥٣٥ ،

حسن عون : ٤٣٥ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩

الحسن بن المبارك : ٣٢٠  
أبو الحسن محمد المغربي : ٥٧٧  
الحسين : ٥٦  
أبو الحسين الفارسي : ٥٣٤  
الحسين بن محمد ( أبو الملاء ) : ٤٤  
الحسين بن محمد بن جعفر النحوى : ١٣٧  
أبو الحسين محمد بن الحسين بن عبد الوارث  
النحوى : ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٧

الخطيئة : ٥٤٧

أبو حفص : ٤٩

حفصة : ١٩

الحكم بن عبد الله الزهرى : ٩٥

الخلواني : ٣٤٩ ، ٣٧٨

حماد بن سلمة : ٢٦٩ ، ٣٣٤

حمزة بن حبيب الزيات : ٢١ ، ٢٢ ، ٩٩ ،

١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤٠ ،

٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ،

٢٦٣ ، ٢٧٩ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٣١٢ ،

٣١٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٤٦ ، ٣٩٠ ،

٤٠٩ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٤٠ ، ٤٤٦ ، ٦٤٦ ،

حمزة بن الحسن الأصمهاني : ٢٧٤

حميد بن ثور : ٥٠١

حميد بن قيس الأعرج : ٢١

أبو حنيفة : ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ١٠١ ،

١٠٢ ، ٥٣٢ ، ٥٧٧ ،

٥٦٩، ٥٦٢، ٥٣٧، ٥٣٤، ٥١٦  
٦٥٥، ٦٤٩، ٦١٤، ٥٩٦، ٥٧٦

ابن أبي الربيع الأموي : ٥٣٩

أبو رجاء : ٥٨١، ٣٨٧

ابن رشيد : ٦٣

الرقيات (عبد الله بن قيس) : ٣٦١

الرماني (علي بن عيسى) : ١٤، ٦٤

٢٩٦، ٢٤٥، ٢٤٠، ١٣٧، ١٣١

— ٥٨٩، ٥٨٧، ٥٧٩، ٥٧٨، ٥٧٦

٥٩٧ (٦١١، ٦١٠، ٦٠٨، ٦٠٦، ٦١١)

٦٨٧، ٦١٢

ابن الرومي : ٣٢٨

الرياشي : ٣٩٧

( ز )

الزيدي ( أبو بكر محمد بن الحسن ) :

٥٨، ٦٥، ٧٠، ٧٩، ٢٩٥، ٤٤٦

٦٣٩، ٥٨٧، ٥٨٤، ٤٥١، ٤٤٨

ابن الزبير : ٣٧٥

الزجاج : ١١٨، ١٠٧، ٩٨، ٩٢، ٩١، ١٥، ١٣

١١٩، ١٢٥، ١٢٢، ١٢٠، ١٤٧، ١٥٠

١٥٢، ٢١٤، ٢١٣، ٢١٦، ٢٤٥

٢٤٧، ٢٦٩، ٢٤٨، ٢٦٧، ٢٧٢

٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٨٠

٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٩٠

٢٩٤، ٢٩٨، ٢٩٦، ٣٠٢، ٣٢٧

٤٢٩، ٤٣٠، ٤٥٠، ٤٥٧، ٤٥٩

٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧٣، ٤٧٦، ٤٨٠

٤٨٣، ٤٨٥، ٤٨٧، ٤٨٨، ٥٣٣

٥٤٥، ٥٤٦، ٥٥٨، ٥٥٩، ٦١٥

٦٢٠، ٦٢٧، ٦٧٧، ٦٨١، ٦٨٤

٦٨٦

الزجاجي : ١٤، ١٣١، ٤٤٤، ٥٢٠، ٥٧٩

٦١٣، ٦١٦، ٦٢٠، ٦٢٣

٦٢٧، ٦٣٦، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٧

٦٨٨

زر بن حبش : ٢١، ٢٥٢

(٤٥٦) ، ٤٦٠، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٧٣

(٤٧٨-٤٨١) ، ٤٨٤، ٤٩٤، ٥٠١

٥٣٥، ٥٤٤، ٥٥٣، ٥٨٩، ٦١٢

الخنساء : ٢١٠، ٥٥٢

ابن الجياط (محمد بن أحمد بن منصور) : ٥٠

١٥، ٦٤، ٧٩، ٩١، ٩٣، ١١٧، ١٢١

١٢٢، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٨، ١٢٧، ١٢٧

ابن خيرون (أبو عبد الله محمد بن محمد) : ٤٣١

( د )

الداني (أبو عمرو) : ١٣، ١٤، ٢٣، ٢٤٥

(٣٩١-٤٢٦) ، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٨٣

٦٨٩

أبو داود السجستاني : ١٧، ١٩

أبو الدرداء : ١٩، ٢٠، ٣١، ٣٧، ٣٨، ٩٩

ابن درستورية (عبد الله بن جعفر) : ٢٥

٥٨، ٦٣، ٦٤، ٧٤، ٩١، ١٥٨، ١٥٩، ٤٤٢

ابن دريد (محمد بن الحسن) : ٩٤، ٦٣

٩١، ١٢٢، ١٢٣، ٢٧٦، ٢٧٧، ٤٤٥، ٤٩٨

الدمهوري : ٢٤٠

ابن الدهان : ٥٣٧، ٥٧٧

أبو دواد : ٥٥٢

الدبلي : ٦٥، ٦٨، ١٦٥

دي بور : ٤٤٢

( ذ )

ذو الرمة : ٥٠١، ٥٠٣، ٥٠٤

( ر )

رؤبة (ابن العجاج) : ٣١٠، ٥٠١، ٥٠٢

٦٠٩

ابن رائق : ٣٧، ٣٨

الرازي : ٢٤٤

الرازي : ٣٧، ٣٨

الراعي : ٢١٠، ٤٩٧، ٥٢٩

الربيعي (علي بن عيسى) : ١٤، ٦٩، ٧٠، ١٣٢

١٣٧، ٣٩١، ٥٠١، ٥٢٨، ٥٢٩



٢٦٩، ٢٧٦، (٢٩٦ — ٣١٠)،  
٣٢٨، ٣٦٧، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٧،  
٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٥، ٤٠٩، ٤١٦،  
٤١٧، ٤٣٠، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٦٩،  
٤٧٠، ٤٧٦، ٤٨٩، ٥٠١، ٥٠٨،

٥١٦، ٥٢٣، ٥٨٣، ٥٨٧،

سميد الراية : ٤٥٩

أبو سميد البصري الحارثي : ٣٢٠

سميد بن جبير : ٣٠٣

أبو سميد الحذري : ١٧

سفیان الثوري : ٢٤٣

السكري : ٨١، ٢١١

ابن السكيت ( أبو يوسف يعقوب ) : ١٢٦ .

ابن سلام : ٣٦٧، ٤٣٤، ٤٥٢، ٤٦١،

سلمان الفارسي : ٢٧

أم سلمة : ٣٨٧

أبو سلمة الخلال : ٣٥

سلمة بن عاصم : ٢٥٧

سليمان الأعمش : ٢١

سليمان بن عيينة : ٢٦٠

أبو سليمان النطقي : ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨٩،

٥٩٠

سليمان بن يسار : ٢١

سما الدولة : ٣٩

السماني : ٥٧

سهل ( أبو عمرو ) : ٣٢٠، ٤١٤

ابن سيد : ٥٨، ٤٩٠، ٥٧٤

السيراقي ( أبو سميد ) : ٤٤، ٥٦، ٦٩، ٨٢،

١١٦، ١٢٧، ١٣١، ١٤١، ٢٣٤،

٥٠٨، ٥٢٧، ( ٥٧٦ — ٥٨٧ )،

٥٩٠، ٥٩١ .

ابن سيرين : ٣٦٤، ٣٨٧، ٤٤٩

سيف الدولة : ٤٤، ٤٧، ٦٥، ٦٦،

٦٧، ٦٨، ٧٠، ٧٨، ١١٢،

١١٤، ١١٧، ١٤٧، ١٥٣، ١٨٤، ٦٨٥،

سيف ذي يزن : ٣٤١

أبو زرعة بن عمرو بن جرير : ٢١

أبو زكريا : ٥٨٩

الزحفرى : ٢٤٣، ٥٢١، ٥٣٩، ٦٧٢،

٦٧٤ .

الزهرى : ٦٣، ٣٨٧، ٥٨٥

زهير : ٦٣، ٢٠٩، ٤٦٣، ٥١١

زهير الفرقي : ٢٦١

زباد ابن أبيه : ٢٢، ٤٣٢

أبو زيد ( سميد بن أوس ) : ٢٦، ٥٩،

٧٥، ٩٢، ١٠٠، ١٢٧، ١٢٨،

١٣١، ٢٠٩، ٢١٧، ٢٢٨، ٢٤٢،

٢٧٧، ٣٢٠، ٣٤٧، ٣٧٩، ٤٤٣،

٤٥٤، ٤٥٦، ( ٤٦٨ — ٤٧١ )،

٤٨٣، ٤٨٩، ٤٩٧، ٥٠١، ٥٠٣،

٥٢٨، ٥٣٣، ٥٥٦، ٥٨٤، ٦٥١،

٦٨٠، ٦٧٨

زيد بن أسلم : ٢١

زيد بن الحسن بن زيد الكندي : ٢٥٥

زيد بن ثابت : ١٩، ٢٠، ٢٧، ٤١٥،

أبو زيد خالد بن محمد : ٦٢

زيد بن علي الفارسي : ٧٣، ٧٤

زيد بن علي أبو القاسم : ٤١

( س )

السائب بن يزيد : ٥٦

سبط الخياط البغدادي : ٤٢٩

سبكرى ( غلام عمرو بن الليث ) : ٦١، ٦٢

السخاوي ( علم الدين ) : ٢٤٦، ٢٥٥،

٤٢٩، ٤٣٠

السجستاني : ( أبو بكر ) : ٦٩٧ .

السدّي : ٩٢

ابن السراج ( محمد بن السري ) : ١٣، ٢٢،

٢٥، ٣٢، ٦٤، ٨٢، ٩١، ٩٣،

٩٤، ١٠٧، ١١٧، ١٢٠، ١٢٢،

١٢٥، ١٣٩، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٢،

١٥٤، ١٥٨، ٢١١، ٢١٦، ٢٦٨،



عبد الرحمن بن عوف : ٢٧ ، ٣٨٧  
 عبد الرحمن بن محمد الأموي : ٣٨  
 عبد الرحمن بن هرمز : ٢١ ، ٢٤  
 عبد العزيز بن زرارمة الكلبي : ٤٩٧  
 عبد القاهر الجرجاني : ٧٣ ، ٢١٥ ، ٢١٦  
 ٢١٧ ، ٣٦٢ ، ٥٣٠ ، ٥٣٣ ، ٥٣٧  
 ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٥٥  
 عبد الله بن إبراهيم المسمعي : ٦٢  
 عبد الله بن أحمد بن أبي الربيع الأموي : ٥٣٨  
 عبد الله بن أحمد الفزاري : ١٣٣  
 عبد الله بن أبي إسحق : ٢١ ، ٢٤  
 ٣٠ ، ٣٣ ، ١٠١ ، ١٠٧ ، ٢١٧  
 ٢٤١ ، ٣٦٧ ، ٤٠١ ، ٤٣١ ، ٤٣٢  
 ٤٤٨ ، ٤٥٢ ، ٤٥٤ ، ٤٦٠ ، ٤٦١  
 ٤٦٢ ، ٤٦٥  
 عبد الله أمين : ١٢  
 عبد الله بن حمود الأندلسي : ٧٨  
 عبد الله بن سليمان : ٢٧٥  
 عبد الله بن طاهر : ٢١ ، ٩٩ ، ١٠٠  
 ١٠٥ ، ٢٦٤ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٣  
 ٢٤٤ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٣١٢ ، ٣١  
 ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٧٩ ، ٣٩٠ ، ٤١١  
 عبد الله بن عباس : ٩٢ ، ١٥٤ ، ٢٦١  
 ٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٦٤  
 ٣٧٥ ، ٤٤٠ ، ٤٤٩ ، ٦٤٦  
 عبد الله بن قيس : ١٩  
 عبد الله بن أبي محمد الزبيدي : ٢٦  
 عبد الله بن مسعود : ١٨ ، ١٩ ، ٣٠  
 ٢٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٨٣ ، ٣٣٩  
 ٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٥٣ ، ٣٦٥ ، ٣٨٧  
 ٥٥٠ ، ٥٥١  
 عبد الله بن المعتز : ٣٦ ، ٢٩٤ ، ٦٢٩  
 أبو عبد الله الزبيدي : ١٣١  
 عبد الملك بن بكران النهرواني : ١٣٢  
 ٣١٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤  
 عبد الملك بن مروان : ٣٤٥ ، ٤٥٩  
 عبد الواحد البزار (أبو طاهر) : ١٠٨ ، ١٦٠

٣٩٣ ، ٤٠٠ ، ٤١٠ ، ٤١٨ ، ٤٢٦ ، ٦٨٣  
 أبو طاهر القرطبي : ٣٨  
 أبو طاهر المعري النحوي : ٢٢٥  
 الطبري : ١٣ ، ٣١ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ٢٤٧  
 ٣٨٧ ، ٣٩٨ ، ٤٢٩  
 طرفة : ٣٤٠ ، ٣٦٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٣  
 ابن طنج : ٥٨٥  
 طه الحارثي : ٤٦٢  
 طه حسين : ٦٨٥  
 الطوسي : ٢١١  
 أبو الطيب البسقي (محمد بن إبراهيم) : ٥٣٨ ، ٥٣٩  
 أبو الطيب القصري (محمد بن طويس) : ٥٧٢  
 أبو الطيب اللنوي (علي بن عبد الواحد) : ٤٥٠ ، ٥٧٢  
 أبو الطيب المتنبّي : ٣٣١ ، ٣٥٠ ، ٥٧٢  
 (ع)  
 عاصم بن بهدلة : ٢١ ، ٢٢ ، ٩٩ ، ١٠٠  
 ١٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧  
 ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٤٠٥  
 ٤٠٩ ، ٤١٤ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٢٣  
 عاصم الحجدري : ١٤ ، ١٥٤ ، ٢٤٦  
 ٣٠٥ ، ٣٤٢ ، ٥٣٠  
 عالي بن عثمان بن جني : ١٣٨  
 عاصم بن قيس : ٢١  
 العاملي (محسن الأمين) : ٥٤١  
 العباس بن أحمد بن أبي مواس : ٢٥٤  
 العباس بن الأخنف : ٢٩٤ ، ٦٢٩  
 العباس بن الفضل : ١٥٦ ، ٣٢٥ ، ٣٤١  
 أبو العباس القسطلاني : ٢٤٤  
 عبد الحليم النجار : ٢٥٦ ، ٦٨٩  
 عبد الحميد حسن : ١٠٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٥١٩  
 عبد الحالق عمر : ١٤٩  
 عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي : ٦٢  
 أبو عبد الرحمن السلي : ٢١ ، ٣٨٧



أبو القاسم المصاني : ٥٣٧  
القاسم بن سلام ( أبو عبيد ) : ١٥٧ ، ١٨  
٤١٠ ، ٣١٦ ، ٢٧١ ، ٢٤٧ ، ١٦٠

القاسم بن معن : ٦٢١  
ابن القاصح : ٣٩٩  
القاضي أبو الحسين سليمان : ٧٧  
ابن قاضي شعبة الأسدي : ٥٣٥ ، ٤٨٧ ، ٦٠  
قالون : ٤١٤ ، ٣٧٨ ، ٣٤٩  
القاهر : ٣٧

قتاده : ٣٠٦ ، ٣٤٣  
ابن قتيبة : ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٦١٩ ، ٦٧٩  
قتيبة بن مهران : ١٥٦ ، ٣٩٨  
قدامة بن جعفر : ٦٣ ، ٥٨٥  
قطرب ( أبو علي محمد بن المستنير ) : ٢٥ ،  
٥٠٨ ، ٤٨٣ ، ٣٣٧ ، ٣٣٤ ، ٣٠٣ ، ٥٦  
القفطي : ٥٣٧ ، ٤٦٩ ، ٤٦٨ ، ٤٥١ ، ٧٣

٦٨٤ ، ٥٤٩ ، ٥٣٨  
القلقشندي : ٣٧٣  
قيس : ٣٠٢  
قيس بن الخطم : ٥٠١  
( ك )

أبو كبير : ٤٩٧ ، ٥٠١  
كثير غزة : ٣٧٢ ، ٤٩٧  
ابن كثير : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،  
٣١٤ ، ٣١٢ ، ٢٩٩ ، ٢٤٥ ، ١٥٥  
٦١٠ ، ٥٣٥ ، ٣٦١ ، ٣٣٥ ، ٣٢٥

كثير بن هشام : ٩٥  
ابن الكرم المبارك بن فاخر النحوي : ٥٦٨  
الكرماني : ٦٣  
أبو كريب الهمداني : ٩٦  
الكسائي ( علي بن حزة ) : ٢١ ، ٢٢ ،  
٢٤ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٧ ،  
— ٢٥٧ —  
( ٢٢٦ ) ، ( ٢٨٦ — ٢٨٨ ) ، ٣٠٢ ،  
٣١٢ ، ٣٠٥ ، ٣٢٥ ، ٣٢٢ ، ٣٤٧ ،  
٣٦٩ ، ٣٨٣ ، ٣٨٩ ، ٣٩٨ ،  
( ٤٠٤ — ٤٠٧ ) ، ٤١١ ،

عترة بن شداد : ٦٥ ، ٨١ ، ٢١٠ ،  
٤٩٧ ، ٣٦٩

عيسى بن عمر : ٢١ ، ٢٤ ، ٣٠ ، ٣٣ ،  
٤٤١ ، ٣٧٦ ، ٣٦٧ ، ٢١٨ ، ١٥٤  
٤٤٣ ، ٤٤٩ ( ٤٥٢ — ٤٦٥ ) ٦٤٦  
( غ )

الغازي بن قيس : ٤٢٣  
غندر محمد بن جعفر البغدادي : ٤٢  
( ف )

فؤاد سيد : ١٣  
ابن فاخر : ٥٦٧  
ابن فارس : ٢ ، ٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٣ ، ٦٨٢ ،  
أبو الفداء : ٧٩ ، ٥٣٥  
الفراء ( يحيى بن زياد ) : ١٢ ، ١٣ ، ٢٤ ،  
٣٢ ، ٩٤ ، ١٠٧ ، ١١٢ ، ١٢٦ ،  
٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ( ٢٥٧ — ٢٧١ ) ،  
٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٢٩٣ ، ٣٤٩ ، ٣٧٠ ،  
٤٢٥ ، ٤٢٩ ، ( ٤٤١ — ٤٤٧ ) ،  
٤٥٧ ، ٤٦٠ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧٣ ،  
٤٩٥ ، ٥٠٩ ، ٥٤٤ ، ٥٦٥ ، ٦١٧ ،  
٦٨٤ ، ٦٨١

ابن الفرات : ٦٢ ، ٦٣ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ،  
أبو فراس : ٦٣ ، ( ٥٧٦ — ٥٧٨ )  
أبو الفرج : ٤٣٢ ، ٤٦٣  
الفردوق : ٢١٠ ، ٢٤٠ ، ٣٤٣ ، ٣٥٣ ،  
٣٥٩ ، ٣٨٩ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٥ ،

٤٩٧ ، ٥٠١ ، ٥٥٨  
أبو الفضل الرياشي : ١٢٢  
فناخسره : ٧٧  
الفيروزبادي : ٢٢٨  
( ق )

القائم بأمر افة : ٣٨  
أبو قابوس : ٦١ ، ٢١٠  
أبو القاسم بن القاسم : ٥١٥  
أبو القاسم الجنيد الحزاز القواريري : ٧١  
أبو القاسم الدقاق : ٥٣٧  
أبو القاسم الدمقي : ٧٣

التوكل : ٣٦

متى بن يونس : ( ٥٨٤ — ٥٨٧ ) ٦٨٧ ،  
ابن مجاهد ( أحمد بن موسى ) : ١٣ ، ٢٢ ،  
٩١ ، ٩٤ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١١٧ ،  
١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٥٩ ،  
١٦٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ،  
( ٢٥٠ — ٢٥٢ ) ، ( ٢٥٨ — ٢٦٠ ) ،  
٢٨٤ ، ٢٩٨ ، ٣٠٤ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ،  
٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ،  
٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ،  
٣٤٦ ، ( ٣٤٩ — ٣٥٣ ) ، ٣٦٥ ،  
٣٦٧ ، ٣٧٠ ، ( ٣٧٥ — ٣٧٩ ) ،  
٣٨٣ ، ٣٨٦ ، ٤٠٠ ، ٤٠٦ ، ٤١٣ ،  
٤١٤ ، ٤١٩ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٥٠١ ،

٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٩

مجد الدولة : ٣٩

أبو المحسن الميمني : ٥٧

محمد بن أبان القرطبي : ٥٩

محمد بن أحمد بن عمر الحلال ( أبو الفنايم ) :

١٣٣

محمد بن أحمد بن يونس : ٥٨ ، ٥٨٤

محمد بن جعفر : ٤٢ ، ٦٢

محمد بن الجهم : ٢٥٧ ، ٢٦٠

محمد بن الحسن : ٦٣٩

محمد بن الحسن ( صاحب أبي حنيفة ) :

٣٣ ، ١٠٤

محمد بن الحسن الحاتمي : ١٤٣

محمد بن حيان التميمي البستي : ٤٢

محمد بن الحشاش : ٥٨١

محمد الخضر حسين : ٢٢٤ ، ٥٢٩

محمد رشاد عبد المطلب : ١٤ ، ٢٥٦

محمد بن السري = ابن السراج

محمد بن سليمان : ١٥٥

محمد بن شريح الرهيني : ٢٥٣

محمد بن طووس القصري : ٨٠ ، ١٤٩

محمد بن عبد الجبار العقبي : ٤٥

محمد بن عبد الله بن طاهر : ٤٤٠ ، ٤٤٤

٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥ ، ٤٤٢ —

( ٤٤٤ ) ، ٤٤٦ ، ٤٥٠ ، ٤٥٧ ،

٤٥٩ ، ٤٧٠ ، ٤٩٥

الكعبي : ٢١٠ ، ٤٩٧ ، ٥٣٠ ، ٥٠١

الكندي : ٥٨٦ ، ٥٨٩

ابن كيسان ( محمد بن أحمد ) : ٢٩٠ ،

٤٤٧ ، ٦٢٨

( ل )

ليد : ٢٠٩ ، ٤٩٧

الليث بن علي بن الليث : ٦٢

( م )

المأمون : ٣٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٧

المؤيد عماد الدين بن إسماعيل : ٦١

المازني ( أبو عثمان ) : ٣٢ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٩٤ ،

١١٩ ، ١٢٦ ، ٢٩٠ ، ٣٢٨ ، ٣٨٩ ،

٤١١ ، ٤٢٤ ، ٤٥٧ ، ٤٧٠ ، ٤٧٣ ،

٤٨٩ ، ٥٠١ ، ٥٦٦ ، ٥٧٣ ، ٦٥٧

مالك بن أنس : ٢٩

ابن مالك : ٥٣٩

المبرد ( محمد بن يزيد ) : ٣١ ، ٩٤٠ ،

١٠٧ ، ١١٤ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٥٨ ،

٢١٢ ، ٢١٨ ، ٢٣٠ ، ٢٤٣ ، ٢٧١ ،

٢٧٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ ،

٢٩٨ ، ٣٤٧ ، ٣٦٨ ، ( ٤٤٠ — ٤٤٢ ) ،

٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٥٧ ، ٤٦٠ ،

٤٦٩ ، ٤٧٩ ، ٤٧١ ، ٤٧٣ ، ٤٧٧ ،

٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٥٠١ ،

٥١٩ ، ٥٣٣ ، ٥٤٦ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ،

٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٦ ، ٦٥٦ ، ٦٦١ ،

٦٦٦ ، ٦٨٢ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥

مبرمان ( محمد بن علي بن إسماعيل السكري ) :

٥٨٣ ، ١٢٥ ، ١٢٤ ، ١١٧ ، ٩١ ، ٧٤

المتقي لله : ٣٨

المتني : ٤٢ ، ٤٤ ، ٦٩ ، ( ٦٦ — ٦٩ ) ،

٧٦ ، ١١٠ ، ١١١ ، ٣ ، ٥٤٧ ،

( ٥٧٦ — ٥٧٩ ) ، ٦٤٨ ، ٦٥٠

ابن مقسم المطار ( محمد بن الحسن ) : ٢٥ ،  
١٥٨ ، ٢٤٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٤٥ ،  
٣٤٦ ، ٣٧١ ، ٣٧٥

ابن المقفع : ٣٠ ، ٤٤٤

ابن مقلة : ٣٧ ، ٥٠ ، ٣٢٩

المكتفي بالله : ٣٧

مكي بن أبي طالب : ١٣ ، ١٥٩ ، ٢٤٥ ،  
٢٥١ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٩ ( ٣٩١ ) ،

( ٤٢٨ - ٤٣٠ ) ، ٦٨٢ ، ٦٨٣

المتنصر : ٣٦

ابن منظور : ٢٢٨

أبو موسى الأشعري : ١٩ ، ٢٠ ، ٢٧ ، ٢٨

ميسون بنت مجدل السكلية : ٣٥٠

( ن )

النايفة الحمدي : ٥٠١ ، ٥١١

النايفة الدياني : ٨١ ، ٩٠ ، ٩٩ ، ١٠٠

( ٢٠٩ - ٢١١ ) ، ٤٠٩ ، ٤٦٣ ، ٥٢٩

٦٠٩ ، ٦٤١ ، ٦٥٣

نافع بن أبي نعيم : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٩٩

٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣٢٠ ، ٣٨٩ ، ٣٩٣

٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٤ ، ٤٢١ ، ٤٢٤

٤٢٦ ، ٤٢٨

ابن نباته : ٢٠٩

أبو النجم : ٣٦٦ ، ٣٧٢

نجم الدين الطوق : ٣٢

ابن النديم : ٢٦٧ ، ٢٨١ ، ٣٣٠ ، ٤٤٦

٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٤ ، ٤٧٦ ، ٥١٤

٥٨٣ ، ٥٨٩

نصر بن أحمد الساماني : ٣٨

نصر بن عاصم الفيل : ١٦ ، ١٧ ، ٤٠٠

٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ( ٤٥١ - ٤٥٣ )

أبو نصر بن نباته : ٤٣

نصير بن يوسف : ٣٢٦ ، ٤٠٠ ، ٤٠١

٤٠٣

النضر بن هبيل : ٤٢١

محمد بن عبد الواحد أبو الحسن : ١٣٢

محمد بن عبد الواحد بن زوج الحرة : ١٣٢

محمد بن عثمان بن بلبل : ١٣٥ ، ٢٥٠

٤٩٣

محمد بن عيسى المطار : ٧٢

محمد بن أبي الفوارس : ٥٨

محمد بن القاسم بن أحمد الأندلسي : ١٠٨

محمد بن محمد بن عيسى ( الخيثي ) : ١٣٧

محمد بن يحيى : ٢١

أبو محمد المصري النحوي : ٢٢٥

محمد النجار : ١٠٥

محمد بن هبة الله الشيرازي ( أبو نصر ) : ٥٤٩

محمد بن يحيى اليزيدي الدلوي : ٤٦

محمد بن يحيى الصولي : ٤٠

أبو محمد اليزيدي : ٢١٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦٠ ، ١٥٦

٣١٩ ، ٤٤٣ ، ٤٦٠

مروان بن الحكم : ٣٠٦

المستكفي : ٣٨

ابن مسكويه : ٥٦ ، ٧٠

مسلم بن جندب : ٢١

أبو مسلم الخراساني : ٣٥

مسيلة الكذاب : ١٨

مصطفى صادق الرافعي : ٤٣١

ابن مضاء الأندلسي : ٥٧٥

الطبيع لله : ٣٨

معاذ بن جبل : ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٨٧

معاذ بن الحرث : ٢١

معاذ الهراء : ٥٦

مقل بن يسار : ٥٦

المتنصم : ٣٥ ، ٣٦ ، ٧٦

المتنصن : ٦١

المفضل الضبي : ١٢٣ ، ٢٦١

ابن مقبل : ٤٩٧ ، ٥٠١ ، ٥٥٥

المقتدر : ٣٧ ، ٦١

المقدسي البشاري : ٧٥ ، ٧٩ ، ٩٠ ، ٩٥

٩٦ ، ٢٤٣ ، ٣٢٧ ، ٤١٢ ، ٤٢١

٦٤٣ ، ٥٨٩ ، ٥٧٧ ، ٥٤٩ ، ٥١٦

٦٨٤

يحيى بن أكرم : ١٥٦

يحيى بن الحرث : ٣٤٤ ، ٣٦٥ ، ٣٧٨

يحيى بن الحرث الزمارى : ٢١

يحيى بن طباطبا العلوى : ٦١٤ ، ٦٤٩ ، ٦٥٥

يحيى بن عدى : ٥٨٩

ابن يحيى العلوى : ٦٣

يحيى بن على بن يحيى النجم : ٢٧٤

يحيى بن المبارك : ٢١٨

يحيى بن معين : ٤١٦

يحيى بن وثاب : ٢٦١ ، ٢٨٧

يحيى بن يعمر : ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٨٧ ، ٤٤٠

( ٤٤٨ - ٤٥٢ )

يزيد البربرى : ٣٥٤

يزيد بن الحكم : ٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٤٩٧

يزيد بن على : ٦٤٦

ابن يسمون ( يوسف بن يسمى ) : ٣٥٦

يعقوب الحضرمى : ٩٩ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ٢٤١

أبو اليمن الكندى : ٢٥٥ ، ٥٣٧

أبو يوسف : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ١٠٢

٥٣٢ ، ٥٠٥

يوسف بن معزوز القيسى : ٥٣٨

يونس بن حبيب : ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٠

٨٢ ، ٢١٨ ، ٢٦١ ، ( ١٥٤ - ٤٥٦ )

٤٥٩ ، ٤٦٣ ، ٤٩٦ ، ٥٩١

نفلويه : ٢١٨

النمر بن ثواب : ٤٩٧

أبو نواس : ٢٩٤ ، ٦٢٩

( هـ )

٥٨٨ : HART

أبو هانم الجبائى : ١٢٣ ، ١٢٤

٤٦٦ : HAWEL

هبة الله بن الشجرى : ٥٣٧

هرون بن حاتم : ٣٤٥

هرون الرشيد : ٣١ ، ٣٢ ، ٤٦٠

هرون بن موسى الأعور : ١٥٥ ، ١٥٧

٤٥٤ ، ١٦٠

ابن هرمة : ٥٠١

أبو هريرة : ٣٨٧

ابن هشام : ٨٠ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٦٥٧

٦٧١ ، ٦٧٤ ، ٦٨٦

أبو هشام : ٣١٩

ابن هشام الحضراوى : ٥١٥ ، ٥٣٨

هلال بن الحسن بن ابراهيم الصابى : ١٣٢

( و )

واصل بن عطاء : ٣٠ ، ٨٩

ونيمة بن موسى الوشاء : ٥٩

وهيب بن عبد الله : ٣٢٠

( ى )

ياقوت الجوى : ٥٨ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٦

٨٩ ، ٢٥١ ، ٢٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٠٠

٣١١ ، ٣٣٣ ، ٤٦٦ ، ٤٧٦ ، ٥١٥

والحمد لله الذى بنعمته تم الصالحات